المنظمة العربية للترجمة

بول كوبلي

دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات

ترجمة

هبة شندب

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية

دليل راوتليدج
لعلم السيمياء واللغويات

لجنة علوم اللغة والمعاجم

بسام بركة (منسقاً)
اسماعيل عمايرة
حسن حمزة
سامي عطرجي
عبد القادر الفاسي الفهري
صالح الماجري

المنظمة العربية للترجمة

بول كوبلي

دليل راوتليدج
لعلم السيمياء واللغويات

ترجـمة

هبة شندب

مراجعة

المنظمة العربية للترجمة

الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
كوبلي، بول
دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات/بول كوبلي؛ ترجمة هبه شندب؛ مراجعة المنظمة العربية للترجمة.
608 ص. - (علوم اللغة والمعاجم)
ببليوغرافيا: 555-602
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-614-434-091-2
1. اللغات. 2. الدلالة، علم. أ. العنوان. ب. شندب، هبة (مترجم). ج. المنظمة العربية للترجمة (مراجع). د. السلسلة.
410

"الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات تتبناها المنظمة العربية للترجمة"

المنظمة العربية للترجمة
بناية "بيت النهضة"، شارع البصرة، ص. ب:5996-113
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان
هاتف: / (9611) 753024 - 753031 فاكس: (9611) 753032
e-mail: info@aot.org.lb - Web Site: http://www.aot.org.lb

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية
بناية "بيت النهضة"، شارع البصرة، ص. ب:6001 - 113
الحمراء - بيروت 2407 2034 - لبنان
تلفون: 750084 - 750085 - 750086 (9611)
برقياً:"مرعربي"- بيروت / فاكس: 750088 (9611)
e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى: بيروت، آب (أغسطس) 2016
يمكنكم شراء هذ الكتاب عبر الموقع الإلكتروني: www.caus.org.lb.

المحتويات

الجزء الأول

الإشارة، التواصل، واللغة

الجزء الثاني

مسرد للمفردات المهمة والشخصيات الرئيسة في حقل السيمياء واللغويات

مقدمة المترجم

موضوع هذا الكتاب هو علم السيمياء وعلم اللغويات. يبدأ المؤلف كتابه بالتقديم عن أهمية هذا الموضوع في عصرنا. إذ يصعب عليه تصور شخص غير مهتم به. ثم يأتي على ذكر أسماء علماء اللغة من ذوي الشهرة الواسعة وبعض كتبهم ليظهر للقراء مدى أهمية موضوع كتابه إذ إن الكثير من علماء اللغويات اهتموا بـ «السيمياء واللغة» و «السيمياء و العلوم». وإن علم السيمياء يدرس اللغة كما أنه يُعْتَبَر «علمًا» بحد ذاته ويُطْلَقُ عليه أيضاً اسم «علم الإشارات». ينهي المؤلف مقدمة كتابه بتساؤلات حول علم السيمياء ليدفع القارئ إلى التفكير بعمق عله يجد أجوبةً لها. ولكنه يعود ويتكلم عن أثر بعض العلماء في علم السيمياء.

ينقسم الكتاب إلى جزأين. الجزء الأول: «الإشارات، التواصل واللغة»، يحتوي على مقدمة وعشرة فصول قصيرة حول علم السيمياء واللغويات في االقرن الواحد والعشرين. أما الجزء الثاني فهو يطرح المواضيع الرئيسية والشخصيات الرائدة في علم السيمياء واللغويات ويتألف من قاموس علم السيمياء واللغويات الذي يحتوي على تعريفات تفصيلية لأهم المواضيع والمصطلحات التي تتكرر باستمرار عند علماء اللغة والسيميائين الذين قُدِّمَت سِيَرُهم الذاتية ومساهماتهم في علوم السيمياء واللغويات.

يبدأ الفصل الأول بالإقرار بأن الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يستخدم التواصل الشفهي وغير الشفهي. أما بقية الكائنات فهي تستخدم التواصل غير الشفهي فقط. انطلاقاً من ذلك، يصف هذا الفصل أشكال التواصل غير الشفهي

ويفَسَّر كيف أن بعض البشر يستطيعون العيش اعتماداً عليها فقط من دون الحاجة إلى التواصل الشفهي. ويُعْتَبَر التواصل غير الشفهي «لغةً»، فهو يُسْتَخْدَمُ من قبل الحيوانات والنباتات وجميع الكائنات الحية وكذلك حتى من قِبَل الخلايا. وهنا يجب التمييز بين التواصل الصوتي أو البصري أو الحسي أو الكيميائي، وهي جميعها أشكال من التواصل غير الشفهي. إذن يتميز الإنسان بتفوقه في استخدام التواصل غير الشفهي ومن إحدى أهم أشكاله الرقص بكل أنواعه.

بدأ الفصل الثاني بتعريف الإشارة (sign) وإعطاء أمثلة عليها. ثم قام بتعداد الإشارات الثلاث التي هي التمثيلات الصورية، والمؤشرات، والرموز. وهناك أيضاً، توجد الثلاث ترتيبات: الترتيب الأول أو الأوليَة (firstness)، والترتيب الثاني أو الثانيَّة (secondness) والترتيب الثالث أو الثالثيَّة (thirdness). هذه الترتيبات لها علاقة تبادلية في ما بينها. ولقد أتى الفصل على ذكر أنواع الإشارات الثلاثة المخططة والتي بفضلها يتم التعلم.

استُهِلَّ الفصل الثالث بمقدمة موجزة عن أصول اللغة وكيف أنها تنبع من الفضول الإنساني. ثم تحدث عن البحث في تطور اللغة المستمر لأن الباحثين لم يتوصلوا إلى استنتاج واضح عن كيفية تطورها. ثم تحدث عن الرؤية والسمع وفصل بينهما. وكذلك أعطى أمثلة عن القردة وعن الإنسان غير المتطور. بعد ذلك، تحدث عن الإشارات اللفظية وغير اللفظية والجمل والكلمات مُضَمِّناً فيها لغة الإشارة وعلم المورفولوجيا. ثم تحدث الفصل عن الإيماءة كرمز وذلك لأن كل إيماءة ترمز إلى شيء أو فعل معين. وإن الإيماءة أو الإشارة البديلة تفسر المسار التطوري للغة. وأخيراً تكلم عن الأصوات التي يُعَبَّر عنها بالألفاظ والإشارات الجسدية.

بدأ الفصل الرابع «اللغة في بيئة العقل» باستطلاع العلاقة بين اللغة والعقل. ثم قام بتعريف العقل واللغة، كلًا على حدى. كما قام باعطاء رسم بياني لنظام اللغة المحكية. وتحدث بعد ذلك عن اندماجية أو توافقية اللغة وشدد على أن الجملة ليست مجرد عبارة عن كلمات بل هي تحتاج إلى تركيب معين لتصبح مفهومة. اكتساب اللغة والفطرة اللغوية من المواضيع التي اهتم بها المؤلف عن كثب. كما واهتم بالعلاقة بين اللغة والفكر يالإضافة إلى العلاقة بين اللغة والعالم.

يبدأ الفصل الخامس من نقطة البداية أي من تاريخ بدء علم اللغويات الاجتماعية وعلم السيمياء الاجتماعي، ثم يتحدث عن تعدد الأنماط من خلال استبعاد مركزية اللغة. فيما بعد، يتحدث عن الإشارة الموجهة ويعطى مثالاً عن رسمين بيانيين آخرين، أحداهما رسم سيارة والآخر رسمٌ لبيض الضفادع. وبعدها يتحدث عن السياق ثم عن التغير والتاريخ في الأنظمة السيميائية. وفي النهاية يقوم بمقاربة سيميائية للتمثيل والتواصل.

الفصل السادس يربط مصطلح «البراغماتية» بدراسة استخدام اللغة. وهو يصِفُ العالَم الاجتماعي بعالم التواصل، ثم يربط بين الأفعال، والسياقات والنتائج. ثم يشرح توليد المعنى (المؤكد والضمني)، ينتقل إلى الدينامية وصلاحية التفاوض والتداول ويعطي أمثلة شاملة عن ذلك، وبعد ذلك يتكلم عن المعرفة البراغماتية الشاملة. وينهى فصله بخلاصة عن أهمية المتغيرية.

الفصل السابع يعالج «تغير اللغة» بعبارة: الاختلاف وهو المفتاح إلى فهم التغير. إذ يؤكد أنه لا تغيير بدون اختلاف ولكن يمكن أن يحدث اختلاف من دون تغيير. وينتقل بعدها إلى الأسباب الأعمق لتغير اللغة وكيف أن الكثير من لغات العالم اضمحلت بسبب هيمنة لغات أخرى. ويقوم بترتيب النماذج حسب العقل البشري الذي لا يدرك حتى أنه يقوم بهذا الترتيب. وأخيراً يتحدث عن اللغات المضمحلة ويؤكد أن العيب ليس في اللغة نفسها، وإنما في قوة اللغة المسيطرة التي تجذب اهتمام الأشخاص فيتعلمونها تاركين لغتهم الأصلية وراء ظهورهم.

اسْتُهِلّ الفصل الثامن بتجريد تشومسكي من الأساطير والأوهام التي تؤدي إلى إساءة فهمه. ثم انطلق هذا الفصل إلى تعريف الفلسفة والفلاسفة. بعد ذلك تحدث عن اللغويات كعلم وكيف أن تشومسكي فضل الفيزياء كنموذج لعلم اللغويات. ثم انتقل إلى موضوع معرفة اللغة والجمل الصحيحة والخاطئة وقام بالمقارنة بين المعرفة اللغوية والملكة اللغوية. ولقد طرح أربعة أسئلة ثم أجاب عن الأول والثاني تاركاً السؤالين الأخيرين جانباً لأنهما من اختصاص الباحثين في الدماغ. فيما بعد عاد إلى الفلسفة وبعدها إلى التطورات في علم اللغة. وانتهى الفصل بخلاصة موجزة عن ازدهار علم اللغويات عند تشومسكي.

يبدأ الفصل التاسع بمقدمة عن علم اللغويات وباعتبار اللغويات علماً مستقلاً بذاته. ثم ينتقل إلى الحديث عن توثيق لغات العالم وعالميات اللغة، ويعدد المجالات الفرعية لعلم اللغة ثم يتكلم بشكل واسع عن اللغة والخطاب. بعدها ينتقل إلى اللغات واللغة (الأسماء) وبعدها إلى علم اللغويات المتزامن والتاريخي. ويتكلم أيضاً عن عدم التجانس (التباين) اللغوي بالإضافة إلى ذكره للهجات ولخطوط التماثل اللغوي واللهجات الشخصية. وهو يسلط الضوء على المتكلم- المستمع المثالي والرموز الثابتة ويقارن أيضاً بين البنية العميقة والبنية السطحية ويُذَكِّر باختصار الرياضيات اللغوية، والسياق، والتكاملية الوظيفية، والبراغماتية. وقبيل الاختتام، يتوسع الفصل في الحديث عن اللغة والكتابة.

وأخيراً يبدأ الفصل العاشر بالتعاريف المتناقضة «للمحادثة» ثم ينتقل للحديث عن مجتمعات المحادثة وأنواعها. بعد ذلك، يشرح عن العالم الحديث السابق للمحادثة. ويناقش الصراعات الإيديولوجية ويقوم بإعطاء مثال عن نصين يشرح فيهما كيف أن المحادثة قد تكون موضعاً للصراع بين الإيديولوجيات المتنازعة. وفي النهاية، قام هذا الفصل بشرح التحليل الناقد للمحادثة بالتفصيل.

إهداء

إلى عالم السيمياء، عالم اللغويات، وكما قال هو بنفسه عن بيرس
ذلك «الموسوعي الذي لا يضاهى»،
توماس أ. سيبيوك وإلى
روح وليام س. ستوكو، رائد علم
«الإشارة» والإشارات



دليل راوتليدج

لعلم الإشارات واللغويات

دليل راوتليدج هذا هو المصدر المرجعي الأول الذي يجمع بين المجالات المعقدة والوثيقة الصلة لعلم السيمياء واللغويات. حَرَّرَ هذا الكتاب اختصاصيُّ التواصل بول كوبلي، وفيه عشرة مقالات تمهيدية أطلقت المدى لهذا المجال. ويلي هذه المقالات أكثر من 200 مدخل معجمي من الألف إلى الياء تشتمل على:

• المفاهيم الأساسية مثل الإبعاد، الرمز، الوحدة الكتابية الصغرى، النمذجة، فقه اللغة، وعلم بناء اللغة

• الشخصيات الرئيسية مثل: باختين (Bakhtin)، تشومسكي (Chomsky)، بيرس (Peirce)، سوسور (Saussure)، سيبيوك (Sebeok) وغيرهم

• النظريات والمدارس الرئيسية، بما في ذلك البنيوية الأميركية (American Structuralism)، والبراغماتية، ومدرسة براغ (Prague School).

إن **دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات** يفتح عالم السيمياء واللغويات للوافدين الجُدُد إلى هذا المجال المعرفي، وَيُزَوِّدُ الطالبَ المتقدمَ في هذا المجال بمرجعٍ جاهز ومفيد.

بول كوبلي (Paul Kobly) هو مؤلف كتاب **التعريف بعلم السيمياء** (*Intro-*

(*ducing Semiotics* مع ليتزا جانسيز (Litza Jansz)، و**القصص المثيرة الأميركية** (*The American Thriller*)، والعنوان المصطلحي الإشكالي الذي سيرى النور قريباً **السرد** (*Narrative*). هو أيضاً محرر كتاب **نظرية التواصل** (*Communication Theory Reader*) لراوتليدج. كما أن بول كوبلي هو أستاذ محاضر في التواصل في جامعة غيلدهول لندن (London Guildhall).

دلائل راوتليدج

دلائل راوتليدج هي أدلة مرجعية مثالية، وتزود الطالب أو القارئ عامةً بكل ما يحتاج إلى معرفته. هذه الدلائل موثوقة وفي متناول اليد، فهي تجمع بين الخبرة المُعَمَّقَة للاختصاصيين الرائدين والكتابة اللغوية الدقيقة الواضحة والخالية من الرطانة. في كل كتاب من هذه الكتب، سوف تجد ما تبحث عنه، معروضاً بوضوح – سواءً من خلال المقالة المُوَسَّعَة أو من خلال المُعْجَم الموسوعي المُبَوَّب من الألف إلى الياء– وذلك بطرق لا يقتصر فهمها على المبتدئ فقط بل ويُثَمِّنُها أيضاً الخبير في هذا المجال.

دليل راوتليدج للاقتصاد العالمي

حرره روبرت بينون

دليل راوتليدج للنسوية وما بعد النسوية

حرّرته سارة غامبل

دليل راوتليدج لعلم الكونيات

حرره بيتر كولز

دليل راوتليدج لحركة ما بعد الحداثة

حرره ستيوارت سيم

دليل راوتليدج لعلم السيمياء واللغويات

حرره بول كوبلي

نبذة عن المساهمين

الأحرف الأولى من أسماء الكتّاب الذين ساهموا في الجزء الثاني تظهر بعد كل مدخل في المعجم جان آيتشيزون (Jean Aitchison) هو أستاذ في اللغة والتواصل في جامعة أكسفورد. وهو مُؤَلِّفٌ لعددٍ من الكتب، بما فيها في موضوع تغير اللغة، **تغير اللغة: تقدم أو انحلال؟** (الطبعة الثالثة) (*The Seeds of Language Change: Progress or Decay*) وبذور الكلام: **أصل اللغة وتطورها** (*Speech Language Origin and Evolution*) مايردين آندرسون (Myrdene Anderson) هي أستاذة مُشارِكَة في علم الإنسان واللغويات (الألسنية) في جامعة بورديو، إنديانابوليس (Purdue University, Indianapolis). تتضمن منشوراتها: **النمذجة الإشارية: إعادة حساب الأنقاض** (*On Semiotic Modeling: Refiguring Debris*)، **اللائق غير اللائق، غير اللائق اللائق** (*BecomingUnbecoming: Unbecoming Becoming*)، **التشكيل الثقافي للعنف** (*Cultural Shaping of Violence*) (ولقد شاركت في تحرير كل منها) (MA).

إدنا أندروز(Edna Andrews) أستاذة اللغويات السلافية والأنثروبولوجيا الثقافية، ورئيسة قسم اللغات السلافية والآداب، جامعة ديوك (Duke) بولاية نورث كارولينا. دراساتها الأحادية تشمل **لوتمان وعلم سيمياء الثقافة** (*Lotman and the Semiotics of Culture*)، **علم الدلالة اللاحقة** (*The Semantics of Suffixation in Russian*)، **الدلالة في اللاحقة في اللغة الروسية نظرية التمييز: الاتحاد**

بين عدم التماثل ونشاط الإشارات في اللغة (*Markedness Theory: The Union of Asymmetry and Semiosis in Language*) يوجين باير (Eugen Baer) هو أستاذ في الفلسفة في كليات هوبارت (Hobart) ووليام سميث (William Smith) في جنيف، نيويورك، الولايات المتحدة الأميركية. تتضمن مؤلفاته **مقاربات إلى العلاج النفسي وعلم السيمياء الطبي** (*Semiotic Approaches to Psychotherapy and Medical Semiotics*) (EB).

كريستيان بانكوف (Kristian Bankov) هو محاضر في علم الإشارات في الجامعة البلغارية الجديدة (New Bulgarian) وجامعة صوفيا (Sofia) في بلغاريا. من بين مؤلفاته في علم السيمياء نذكر **النص والذكاء** (*Text and Intelligence*) أي، في: **الثلج، الغابة، والصمت: التقليد الفنلندي لعلم السيمياء والجهد الفكري والعمل اللغوي** (*Snow, Forest, Silence: The Finnish Tradition of Semiotics and Intellectual Effort and Linguistic Work*) (وهو يَصْدُرُ قريباً) (KB).

برنارد بيرجوين (Bernard Burgoyne) هو أستاذ التحليل النفسي ورئيس مركز التحليل النفسي في جامعة ميدلسكس (Middlesex). وهو عضو في المدرسة الأوروبية للتحليل النفسي، ومحرر لـ: **رسم الروح** (*Drawing the Soul*) مع ماري سوليفان (Mary Sullivan) وحوارات كلاين – لاكان (The Klein-Lacan Dialogues) (BB).

روكو كابودزي (Rocco Capozzi) هو أستاذ الأدب الإيطالي المعاصر، وعلم السيمياء والنظريات الأدبية في جامعة تورونتو (Toronto). وهو مؤلف لـ: **بيرناري: بين الخيال والواقع، الكتاب، النقاد والصناعة الثقافية، القراءة الثانية اسم الوردة والتناص** (*Bernari*: *Tra fantasia e realtà, Scrittori, critici e industria culturale, Leggere II Nome della Rosa e l'intertestualità*). ومحرر لـ تكريم مورافيا (1992)، **الكتاب والشعر في إيطاليا وبيئة القراءة** (*A Homage to Moravia* (1992), *Scrittori e le poetiche letterarie in Italia* and *Reading Eco*) (RC).

بول كوبلي (Paul Cobley) هو أستاذ معيد في التواصل في جامعة لندن غيلدهول (London Guildhall). تتضمن مؤلفاتُهُ **تعريف علم السيمياء** (*Intro-*

(*ducing Semiotics* مع ليتزا جانسيز (Litza Jansz)، و**القصص المثيرة الأميركية: الابتكار الشامل والتغيير الاجتماعي في السبعينات**:*The American Thriller*) (*Generic Innovation and Social Change in the 1970* وكتاب **نظرية التواصل** (مُحَرَّرَة) (*The Communication Theory Reader*) (PC).

نيكولاس كوبلاند (Nikolas Coupland) هو أستاذ ورئيس مركز اللغة وبحوث التواصل في جامعة كارديف (Cardiff) في ويلز، المملكة المتحدة. بالاشتراك مع آلان بيل (Allan Bell) وهو أيضاً المحرر المُؤَسِّس لـ: **مجلة اللغويات الاجتماعية** (*Journal of Sociolinguistics*). تشتمل مؤلفاته: **اللهجة في الاستخدام، واللغة، والمجتمع وكبار السن**,*Dialect in Use, Language*) (*Society and the Elderly* مع جوستين كوبلاند (Justine Coupland) وهوارد جايلز (Howard Giles)، **اللغويات الاجتماعية: كتاب للمطالعة والتعلم** -*Socio*) (*linguistics: A Reader and Coursebook* و**كتاب التخاطب** *The Discourse* (*Reader* ولقد أَلَّفَ الكتابان الأخيران مع آدم جاوورسكي (Adam Jaworski) (NC).

جون ديلي (John Deely) هو أستاذ في برنامج الدراسات العليا لقسم الفلسفة في جامعة سانت توماس (St Thomas) في هيوستن، تكساس. تشمل مؤلفاته **أساسيات علم الإشارات** (*Basics of Semiotics*) و**بدايات جديدة** -*New Begin*) (*nings* و**الاستخدام الإنساني للإشارات: عناصر علم السيمياء (الأنثروبولوجي) والعصور الأربعة للفهم: الدراسة الميدانية الأولى في الفلسفة لفترة ما بعد الحداثة من العصور القديمة إلى مطلع القرن الحادي والعشرين**: *The Human Use of*) *Signs: Elements of Anthroposemiosis and The Four Ages of Understanding: The First Postmodern Survey of Philosophy from the Ancient Times to the Turn of the Twenty-first Century*) (JD).

روي هاريس (Roy Harris) هو أستاذ فخري في اللغويات العامة في جامعة أكسفورد. تتضمن مؤلفاته **صناع اللغة** (*The Language Makers*)، و**أسطورة اللغة** (*The Language Myth*)، و**آلة اللغة** -*The Language Ma*)

chine) و**الاتصال اللغوي والإشارات، اللغة والتواصل** (*The Language and Communication Language Signs and Connection*) (1996).
حصل على جائزة سكوت مونكريف (Scott Moncrieff) لترجمته لمُؤَلف سوسور **علم اللغة العام** (*Cours de linguistique générale*) (RH).
نيثن هاوزر (Nathan Houser) مدير مشروع التحرير لبيرس (Peirce Edition Project) وأستاذ الفلسفة في جامعة إنديانا (Indiana University)، جامعة بورديو (Purdue University)، إنديانابوليس. وهو المحررُ العام (لثلاثين) مجلّداً لكتاب **كتابات** (*Writings*) لتشارلز ساندرز بيرس، وشارك في تحرير: *The Essential Peirce* (الأساسي)، وكذلك هو مؤلف العديد من المقالات حول المنطق وعلم الإشارات عند بيرس (NH).

راي جاكندوف (Ray Jackendoff) هو أستاذ اللغويات والعلوم المعرفية في جامعة برانديس (Brandeis)، حيث درس منذ العام 1971. هو مؤلف كتاب **علم الدلالة** (*Semantics and Cognition*) **والإدراك والوعي والعقل الحاسوبي** (*Consciousness and the Computational Mind*) **الهندسة المعمارية وملكة اللغة** (*The Architecture of the Language Faculty*) أي: **أسس اللغة** (*Foundations of Language*) **النحو التوليدي للموسيقى النغمية** (*A Generative Grammar of Tonal Music*) بالتعاون مع فريد ليرداهل (Fred Lerdahl).

آدم جاوورسكي (Adam Jaworski) هو محاضر أول في مركز اللغات وبحوث التواصل في جامعة كارديف (Cardiff).

تشمل مؤلفاته **قوة الصمت والصمت** (*The Power of Silence and Silence*) **وجهات نظر لتخصصات** (*Interdisciplinary Perspectives*) (TS). أحد كتبه الذي سيصدر قريباً هو: **المفاهيم الرئيسية في اللغة والمجتمع** (*Key Concepts in Language and Society*) مع نيكولاس كوبلاند (Nikolas Coupland) (AJ).

آدم كيندون (Adam Kendon) عالم الأحياء وعالم النفس في كامبردج وأكسفورد. حالياً، انضم إلى جامعة بنسيلفانيا (University of Pennsylvania) والمعهد الشرقي البريطاني (Instituto Universitario Orientale) في نابولي (Naples)، درس الإيماءة كـ مكوّن للتواصل في التفاعل المباشر وجهاً لوجه.

وحديثاً جداً، نشر طبعةً إنجليزية نقدية لأطروحة آندريا دو جوريو (Andrea de Jorio) حول الإيماءة عند سكان نابولي (AK).

غونثر كريس (Gunther Kress) هو أستاذ التربية/ اللغة الإنجليزية في معهد التربية في جامعة لندن. تتضمن مؤلفاته: **اللغة كأيديولوجية** (*Language as Ideology*) **علم السيمياء الاجتماعي** (*Social Semiotics*) (كتب كلاهما بالتعاون مع روبرت هودج (Robert Hodge)، **قراءة الصور: النحو في التصميم المرئي** (*Reading Images: The Grammar of Visual Design*) مع ثيو فان ليوين (Theo van Leeuwen)، **قبل الكتابة: الهجاء المبكر** (*Before Writing: Early Spelling*) (كلاهما سينشر قريباً) و**التدريس المتعدد الأساليب والتعلم المتعدد الأنماط** (*Multimodal Teaching and Learning and Multimodality*) (GRK).

كاليفي كول (Kalevi Kull) يدرَس علم السيمياء البيولوجي في جامعة تارتو (Tartu)، إستونيا. تتضمن مؤلفاته **محاضرات في علم الأحياء النظري** (*Lectures in Theoretical Biology*) (محرر مشارك)، ومجلداً خاصاً بعلم السيمياء (Semiotica) عن جايكوب فون أويكسكول (Jakob von Uexküll) (مُحَرِّر) وأوراقاً حول مفهوم التمييز، والمظاهر الإشارية للتطور، وتاريخ علم السيمياء البيولوجي (Biosemiotics)، وعلم السيمياء البيئي (Ecosemiotics) (KK).

سفيند إريك لارسن (Svend Erik Larsen) هو أستاذ الأدب المقارن في جامعة آرهس (Aarhus)، في الدنمارك. تتضمن مؤلفاته: **علم السيمياء الأدبي** (*Sémiologie littéraire*)، (*Tegn i brug*) (الذي ترجم تحت عنوان: **الإشارات في الاستخدام** (*Signs in Use*) الذي سيصدر قريباً). **ووقائع بروندال** (*Actualité de BrØndal*) (مُحَرِّر)، و *Gärten und Park* (مُحَرِّر) (SEL).

مايكل د. ليدجيروود (Mikle D. Ledgerwood) تبوّأ منصب أستاذ اللغة الفرنسية، التكنولوجيا، والتعليم في جامعة الولاية (State University) في نيويورك في ستوني بروك (Stony Brook) (الولايات المتحدة الأميركية). تتضمن مؤلفاته في علم السيمياء: **صور «الهندي» في أربعة آداب عالمية جديدة** (*Images of the «Indian» in Four New-World Literatures*) **مقاربات جديدة في تحليل (نصية) القرون الوسطى، ومقالات عن علم السيمياء، والفضاء الإلكتروني** (*New*

(*Approaches to Medieval Textuality*)، **وتحليل المحتوى التواصلي للنصوص** (MDL).

روبين ميلروز (Robin Melrose) هو محاضر رئيسي في اللغة الإنجليزية في جامعة لوتون (Luton)، في المملكة المتحدة. تتضمن مؤلفاته («**هوامش المعنى: (حوارات) من حركة ما بعد الحداثة لمقاربة اللغة والنص**») (*The Margins of Meaning: Arguments for a Postmodern Approach to Language and Text*) و(«**إغواء الإبعاد: إعادة النظر في نظرية بيرس للإشارات**») (*The Seduction of Abduction: Peirce's Theory of Signs Revisited*) (RM).

فلويد ميريل (Floyd Merrell) هو أستاذ علم السيمياء والثقافات الأميركية الإسبانية وآدابها في جامعة بورديو (Purdue). تتضمن مؤلفاته: **إغفال التفكير: خورخي لويس بورخيس، الرياضيات، و«الفيزياء الجديدة»** (*Unthinking Thinking: Jorge Luis Borges, Mathematics, and the «New Physics»*)، و**بيرس، الإشارات، والمعنى، واستشعار الإشارات والبساطة والتعقيد** (*Peirce, Signs, and Meaning, Sensing Semiosis and Simplicity and Complexity*) (FM).

بول بيرون (Paul Perron) هو أستاذ في اللغة الفرنسية في الكلية الجامعية في جامعة تورنتو (Toronto). تتضمن مؤلفاته: (**أ. ج. غريماس والمعرفة السردية وتحليل الثقافات**) (*A. J. Greimas and Narrative Cognition and Analyzing Cultures*) (مع م. دانيزي (M. Danesi))، **بلزاك: علم السيمياء عند الشخصية الخيالية ورواية كيبيك الحديثة** (*Balzac: Sémiotique du personage Romanesque and Semiotics and the Modern Quebec Novel*) (PP).

سوزان بيتريللي (Susan Petrilli) تدرس علم الإشارات وفلسفة اللغة في جامعة باري (Bari) في إيطاليا. تتضمن إصداراتها: **ماذا تعني الدلالة؟ إشارات الأشياء والتفسير، لفيكتوريا ويلبي: الدلالات وفلسفة اللغة، نظرية الإشارات واللغة** (*Che cosa significa significare?, Materia sgnica e interpretazione, Su Victoria Welby. Significs e filosofia del linguaggio, Teoria dei segni e del linguaggio*) مع أوغوستو بونزيو (Augusto Ponzio) **خارج النطاق، المدى العالمي للتواصل** (*Fuori Campo, La comunicazione globale*)، **علامات**

البحث عن الإشارات (*Signs of Research on Signs*)، **الإنسان كإشارة** (*Man as a Sign*)، **الإشارات** (*Signs*)، **الحوار** (*Dialogue*) و**الأيديولوجية** (*Ideology*) (SP).

أوغوستو بونزيو (Augusto Ponzio) حائز على درجة الأستاذية الكاملة في فلسفة اللغة في جامعة باري (Bari)، في إيطاليا، حيث يحاضر أيضاً في علم سيمياء النص والألسنية العامة. وهو رئيس قسم الممارسات اللغوية وتحليل النص ومدير برنامج الدكتوراه في نظرية اللغة وعلوم الإشارة. تتضمن مؤلفاته:

الإنتاج اللغوي والأيديولوجية الاجتماعية، منهجية تدريس اللغة، ثورة باختينيان، الموضوع والغيرية، حول إيمانويل ليفيناس، والتواصل (*Production linguistique et idéologie sociale, Metodologia della formazione linsguistica, La revolución Bajtiniana, Sujet et alterité, Sur Emmanuel Lévinas, and La comunicazione*) (AP) .

بنت برايسلر (Bent Preisler) هو أستاذ في اللغة الإنجليزية والمجتمع في جامعة روسكيلدي (Roskilde) في الدنمارك. تتضمن مؤلفاته: **أدوار الجنس اللغوية في المحادثة، كتيّب قواعد اللغة الإنجليزية في المبادئ الوظيفية، ودانكيرن واللغة الإنجليزية** (*Linguistic Sex Roles in Conversation, A Handbook of English Grammar on Functional Principles, and Danskerne og det Engelske Sprog*) (BP).

رافائيل سالكي (Raphael Salkie) هو محاضر رئيسي في الدراسات اللغوية في جامعة برايتون (Brighton). تتضمن مؤلفاته: **تحديث تشومسكي** (*The Chomsky Update*) و**النص وتحليل التخاطب** (*Text and Discourse Analysis*)، وهو محرر مجلة: **تباين اللغات** (*Languages in Contrast*) (RS).

كيم كريستيان شرودر (Kim Christian SchrØder) هو أستاذ علم التواصل في جامعة روسكيلدي (Roskilde) في الدنمارك. تتضمن مؤلفاته: **لغة الإعلان** (*The Language of Advertising*) **ثقافات وسائل الإعلام: إعادة تقييم وسائل الإعلام العابرة للحدود الوطنية** (*Media Cultures: Reappraising Transnational Media*)، والعديد من المقالات حول استخدام الجماهير وتلقيهم للمحادثات التي تبث عبر وسائل الإعلام (KCS).

توماس أ. سيبيوك (Thomas A. Sebeok) هو أستاذ متميز وفخري في اللغويات وعلم السيمياء وزميل أول في كلية علوم المعلومات (School of Information Science) في جامعة إنديانا (Indiana). شغل منصب المحرر العام للمعجم الموسوعي لعلم الإشارات (الطبعة الثانية، المجلدات 1–3، 1994)، وهو محرر مشارك لكتاب: **علم السيمياء: كتيّب عن أسس الإشارة النظرية للطبيعة والثقافة** (*Semiotics: A Handbook on the Sign Theoretic Foundations of Nature and Culture*)

(المجلدان 1–2، 1997؛ والمجلد 3، سيصدر قريباً) (TAS).

بيبا ستين (Pippa Stein) هي مدرَسة للغة الإنجليزية، ومربية في جامعة ويتووترساند (Witwatersand) في جوهانسبرغ. اهتماماتها البحثية هي علم السيمياء والتعلم المتعدد. نشرت في مجلة *TESOL* الفصلية، وفي **دورية هارفرد التربوية** (*Harvard The Review Educational*) (PS).

وليام س. ستوكو (William S. Stokoe) أستاذ فخري في جامعة غالوديت (Gallaudet)، واشنطن دي سي، درس اللغة والثقافة هناك، وبحث في لغة الإشارة الأميركية ووصفها، وأعطى هذا الاسم لهذه اللغة التي مُنِعَتْ من أن تُمْنَحَ منزلة اللغة لآلاف السنين. تتضمن مؤلفاته: **بنية لغة الإشارة** (*Sign Language Structure*)، **قاموس لغة الإشارة الأميركية** (*A Dictionary of ASL*)، **الإيماءة وطبيعة اللغة** (*Gesture and the Nature of Language*) مع ديفيد أرمسترونغ (David Armstrong) وشيرمان ويلكوكس (Sherman Wilcox)، **واللغة في الاستعمال** (*Language in Hand*). توفي عام 2000 (WCS).

بيتر توروب (Peeter Torop) أستاذ ورئيس قسم علم الإشارات في جامعة تارتو (Tartu)، في إستونيا، نائب رئيس مجلة الدراسات الأميركية البدائية (*EAS*) ومشارك في تحرير كتاب: **دراسات نظم الإشارة** (*Sign Systems Studies*). تتضمن مؤلفاته الرئيسية: **الترجمة الكلية، دوستويفسكي: التاريخ والأيديولوجية** (*Total Translation, Dostoevsky: History andIdeology*)، **إشارات الثقافة** (*Signs of Culture*)، **مدرسة تارتو كمدرسة** (*Tartu School as School*)، **وموقع الترجمة في دراسات الترجمة** (*The Position of Translation in Translation Studies*) (PT).

جيف فيرشويرين (Jef Verschueren) هو مدير البحوث في الصندوق الفلمنكي للبحث العلمي (Flemish Fund for Scientific Research) وأستاذ اللغويات في جامعة أنتويرب (Antwerp). هو المؤسس والأمين العام للجمعية البراغماتية العالمية. تتضمن مؤلفاته: **كتيّب البراغماتية** (*Handbook of Pragmatics*) تَشارَكَ في تحريره مع جان- أولاً أوستمان (Jan-Öla Ostman)، جان بلومايرت (Jan Blommaert)، وكريس بولكاين (Chris Bulcaen)، **مناظرة التنوع** (*Debating Diversity*) بالاشتراك مع جان بلومايرت، و**فهم البراغماتية** (*Understanding Pragmatics*) (JV).



شكر وتقدير

بصفتي محرراً، تقعُ عَلَيَّ مسؤوليةُ كتابةِ هذا القسم من الكتاب. ولكن، ما أودُّ أن أُنَوِّهَ به هو أن هذا الكتاب بمجمله مشروعٌ جماعي. ولم يكن لهذا المشروع أن يتحقق لولا تعاون مجموعةٍ عالمية من الأعلام في علم السيمياء واللغويات (الألسنية).

كان من دواعي سروري العمل مع كل أولئك الباحثين ممن نجد مسعاهم العلمي واضحاً في هذا الكتاب. (ومن) المُؤمَل أنَّ تفانيهم من أجل نشر المعرفة، وكذلك روح التعاون الودية التي تم تنفيذ هذا العمل من خلالها، تجد منعكساً لها في هذا الكتاب. يسعدني أن أقول إنني أسستُ علاقات صداقة جيدة جداً كنتيجة لعملي على إنجاز هذا المعجم؛ ويحزنني أن أقول إنني فقدت واحداً من هؤلاء الأصدقاء في أحد الأسابيع الأخيرة التي سبقت إنتاج هذا الكتاب.

هناك بعض الأفراد الذين لم ترد أسماؤهم في هذا الكتاب والذين كانوا، على قدم المساواة، جزءاً من التأليف الجماعي. إذ يشكل كل من بيتر بيو (Peter Pugh)، جيريمي كوكس (Jeremy Cox)، وبالطبع، ريتشارد أبيغنانيسي (Richard Appignanesi)، قلةً نادرة: إنهم أشخاصٌ لديهم الكثير من الرؤى ويمكن تفويضهم. يمكن أن نتلمس وجودهم في هذا الكتاب حتى ولو كانت أسماؤهم غير مذكورة. وعلى نحو مماثل، كان دنكان هيث (Duncan Heath) وأندرو فورلو

(Andrew Furlow) مساهمين في دعم الحِسّ الجيد الذي ساعد على إنجاز هذا الكتاب الذي بين يديك.

وأخيراً، لا بدّ من نفي المسؤولية الذي جرت العادة عليه: على الرغم من أن هذا الكتاب هو مشروع جماعي، ينبغي الإشارة إلى أن أي أخطاء داخل صفحاته لا يمكن أن تُعْزَى إلى المساهمين. فمنذ بداية هذا الكتاب إلى نهايته،كنت أنا المُكَلَّف الوحيد بمهمة منع ورود الأخطاء فيه.

بول كوبلي

لندن 2000

استخدام هذا الكتاب

دليل راوتليدج إلى علم السيمياء والألسنية يقدم أحدث المعارف بشأن المسائل الرئيسية في مجال موضوع بحثه. فهو مُصَمَّمٌ ليفسحَ المجال أمام القارئ ليبحر في الموضوع بسهولة، من خلال المراجع المتقاطعة في داخل الكتاب وعن طريق الدلالات وذلك بهدف تقديم الإجابات عن المزيد من الاستفسارات.

وينقسم الكتاب إلى جزأين. الجزء الأول: «الإشارات، التواصل واللغة»، يحتوي على مقدمة وعشرة فصول قصيرة. كلٌ من هذه الفصول يجيب بشكل شامل على واحدةٍ من سلسلة من الأسئلة المحتملة حول علم السيمياء واللغويات في بداية القرن الحادي والعشرين (انظر إلى المقدمة). الجزء الثاني: المواضيع الرئيسية والشخصيات الرائدة في علم السيمياء واللغويات، يتألف من **قاموس علم السيمياء واللغويات**، وهو يحتوي على معلوماتٍ وافرةٍ عن المصطلحات المستخدمة في هذا الموضوع ويحتوي كذلك على مداخل حول السيرة الذاتية للأشخاص المُؤَثِّرين في هذا المجال.

تقاطع المراجع (الإحالة المرجعية)

تم استخدام طريقة تقاطع المراجع على مدى صفحات هذا الكتاب. وهذا يعني أن أي موضوع أو اسم لديه مدخل في الجزء الثاني من الكتاب وسوف تتم طباعته بخط عريض عندما يظهر لأول مرة في الكتاب. هذه هي طريقة العرض

بالنسبة للفصول في الجزء الأول وهي الطريقة ذاتها المتبعة بالنسبة لمداخل السجل المعجمي في الجزء الثاني. لذلك عند الاقتضاء وعندما لا يذكر مدخل ما بوضوح الاسم أو الموضوع الذي، بالرغم من ذلك، يحمل معلومات إضافية ذات صلة بالمدخل، سيكون متبوعاً بعبارة «انظر أيضاً» مع المرجع المتقاطع أو المشترك المطبوع بالحروف الكبيرة.

بين الحين والآخر، سوف يكون هناك إحالة للمرجعية من المداخل الموجودة في الجزء الثاني من الكتاب إلى الفصول الموجودة في الجزء الأول. لتجنُّب الالتباس، تمت الإشارة إلى مراجع الفصول في الجزء الأول بوضع خط تحت اسم الكاتب؛ على سبيل المثال نذكر: سالكي، هاريس، جاكندوف، وهلم جراً.

على الرغم من الإحالة المرجعية في هذا الكتاب، يمكن بالطبع استخدام الجزء الأول والثاني كل على (انفراد): أي كمجموعة من المقالات قائمة بذاتها أو كقاموس واسع النطاق لعلم الإشارات واللغويات. يشار إلى هوية الكاتب في كل مدخل في الجزء الثاني بالأحرف الاولى من اسمه مطبوعة بالخط العريض في نهاية كل مدخل.

قراءات إضافية

ويتبع كل فصل من الفصول في الجزء الأول من الكتاب خمس توصيات (مراجع) للقراءة الإضافية عن موضوع هذا الفصل. والاستثناء الوحيد لهذا هو الفصل الأول، «التواصل غير الشفهي» الذي يعتبر موضوعه، على الأرجح، الأكثر توسعاً في الكتاب وإلى حدٍّ بعيد (الأكبر). يستهل هذا الفصل الكتاب عن طريق توفير قائمة شاملة وقَيِّمة للقراءات أو المراجع، حيث يجد القارئ مرجعاً واحداً لكل من المجالات الرئيسية للموضوع قيد البحث.

يستمر رفد القارئ بمزيد من الاقتراحات لقراءة مراجع أخرى في الجزء الثاني. مداخل هذا القسم واردة بثلاثة قياسات للخط (صغيرة، متوسطة، وكبيرة). المداخل ذات القياس الكبير للخط مثل الرمز (Code) يتبعها اقتراح قراءة ثلاثة مراجع إضافية، المداخل المتوسطة القياس مثل علم الدلالة (Semantics) يتبعها اقتراح بقراءة مرجع إضافي واحد؛ أما المداخل الصغيرة الحجم مثل الاسم (Noun) فلا يتبعها أي مرجع إضافي.

المراجع البيبليوغرافية عندما تتم الإشارة إلى عمل منشور، كما في المثال التالي: «بلغ عمل هاليداي في مجال اللغة ذروته في وصفه المُسْتَفيض للغة الإنجليزية بعبارات وظيفية» (1985) أو «بالرغم من ذلك، لا يمكن أن نفهم معظم الجمل إلا بالمقارنة مع مجموعةٍ من الافتراضات الأساسية التي تُحَدِّد السياق بفعالية» (Searle 1978)، هذه الإشارة إلى المرجع الموجود في لائحة المراجع الواردة في نهاية الكتاب وليس في نهاية فصل معين أو مدخل معين.

ويجب أن نذكر أيضاً خصوصية موضوع البحث فيما يتعلق بالمراجع البيبليوغرافية. في منحة بيرس (Peirce) البحثية، كان من المعتاد أن نشير إلى الإصدار القياسي لأعماله، أي (مجموعة) الأوراق البحثية في ثمانية مجلدات، التي تظهر عادةً في لائحة المراجع على النحو التالي:

ولكن، عندما يشير الباحثون إلى الأوراق البحثية المجموعة يستخدمون دائماً طريقةً مختزلة

وهي تسمية رقم المجلد ورقم الجزء من ضمن المجلد؛ مثلًا، فإن «الرمز هو الإشارة» التي تنتج عن عادة (وهو مصطلح أستعمله على أنه يتضمن نزعةً طبيعية) (4.531).

ولجعل الأمور أسهل بقليل في الفهم وللمساعدة في منع أي التباس في عملية الإحالة المرجعية، سوف يُبْقِي هذا الكتاب على ترقيم المجلد والجزء ولكنه سوف يشير إلى الأوراق البحثية المجموعة بالأحرف الأولى من اسم الكاتب CP كما يلي:

«الرمز هو الإشارة» التي تنتج عن عادة (وهو مصطلح أستعمله على أنه يتضمن نزعة طبيعية) (CP 4. 531) وبالإنجليزية كما يلي:

لاحظ أنه لا تظهر كل أعمال بيرس في الأوراق البحثية المجموعة وأن معظم أعماله منشورة في مراجع أخرى: وهذه تتضمن الإصدارات الأصلية للنشر (المجلات مثل *The Monist* أي «الفردية»)، الإصدارات بالترتيب الزمني لكتاباته المنشورة حالياً في مشروع إصدارات بيرس (Peirce Edition Project) فضلاً عن غيرها من المقالات، المذكرات، ورسائل بيرس في مجموعته الأكثر إيجازاً.



الجزء الأول

الإشارة، التواصل، واللغة



المقدمة

بول كوبلي

(متابعة) الإشارات

من الصعب أن نتصور وجود شخص غير مهتم في شؤون التواصل؛ من الصعب أن نجد شخصاً، لسبب أو لآخر، لم يكن في حياته معنياً في طبيعة رسائل معينة أو حتى في طبيعة الرسائل بشكل عام. لا بد أن هكذا شخص لم يتفكر في حياته أبداً كيف يتعلم الأطفال استخدام اللغة، وكيف تعبر الحيوانات الأليفة والحيوانات بشكل عام عن رغباتها، وما هي الفترة الزمنية التي تفصل بين البرق وقصف الرعد، وكيف أنه من الصعب أن نفهم كتيبات ودلائل الكمبيوتر، وكيف أن دقات القلب أسرع في حالات الخوف، وكيف يمكن أن تغلف أسماء العلامات التجارية المنتج ورغبات المستهلك على حد سواء، وكيف أن الموسيقى يمكن أن تكون مهدئة، وكيف أن الناس يمكن تصنيفهم اجتماعياً ومحلياً من خلال لهجاتهم، وكيف أن بعض الممثلين بارعون على المسرح ولكن غير كفوئين في تمثيل الأفلام (أو العكس بالعكس)، وكيف أن بعض مواطني الولايات المتحدة يرفعون إصبعهم الأوسط في إيماءة قذرة في حين أن نظراءهم في بريطانيا يلصقون الإصبع الأوسط بالسبابة، وكيف أن بعض الأطعمة تفوح منها رائحة عفنة بعد فترة من فسادها، وكيف أن محركات البحث على الإنترنت نادراً ما تقدم لنا معلومات ذات صلة بموضوع البحث، وكيف أن الصحف المصغرة مختلفة عن تلك الصحف الكبيرة الدعائية، وكيف أن مستخدمي الهاتف المحمول غالباً ما يكونون «على متن القطار».

باختصار، لا يمكن لهذا الشخص أن يكون مهتماً بعمل الإشارات، وإن طول وتنوع هذه القائمة القصيرة نسبياً تشير إلى استحالة وجود شخص من هذا القبيل. مما لا شك فيه أن البشر أخفوا اهتماماً شديداً بالإشارات، وهو اهتمام لا يسبق فقط الاستقصاء الشفهي عن أهمية الإنسان وإنما كان أيضاً حيوياً لأسلافنا البشريين القدماء الذين لم يكونوا يتواصلون شفهياً (انظر على سبيل المثال، Foley 1997, pp. 43-46). يبدو أن هذه الحالة موجودة ما إذا كان التوجه نحو الإشارات واضحاً من خلال صنع أداة الصيد أو من خلال اللغة وتطور الثقافة.

ربما بشكل غير مفاجئ، ونظراً لدوره المركزي في الثقافة، فإن التدقيق في طبيعة الإشارات عادة ما كان يتم إجراؤه من خلال عدسة بشرية مشوّهة. في هذه الحالات، عادة ما كان يتم الربط بين الإشارات وقدرة الإنسان على استخدام اللغة والنتاجات الثقافية التي تنجم عن ذلك، مع وجود تحيز تجاه الاستخدام الشفهي. وبالتالي، فمن السهل أن نتصور أن دراسة الإشارات، أي علم الإشارات أو السيميوطيقيا (السيمياء)، على الرغم من تاريخه الطويل الذي سيتوضح على مدى صفحات هذا الكتاب، هو نوعاً ما مسألة تحليل للغة واكتشاف للتشابه القائم بينها وبين الحقائق والعمليات المختلفة للثقافات الإنسانية.

هناك بعض الأسباب الوجيهة التي أدت إلى سوء الفهم هذا. فقد تم تسريب مواضيع العلوم الإنسانية الكلاسيكية مثل الفلسفة والتاريخ والدراسات الأدبية، وكذلك المواضيع الأحدث مثل الاتصالات والإعلام والدراسات الثقافية، وفي هذه الحالة الأخيرة، تم ابتداع هذه المواد على الأرجح كنتيجة لرواج أساليب في الفكر مثل: البنيوية، وما بعد البنيوية وما بعد الحداثوية، وكلها، على نحو إشكالي إلى حد ما، عادة ما تنسب إلى أهل الفكر الباريسيين في آخر القرن العشرين. حقيقة الأمر هي أن «البنيوية» ينادى بها، في الأصل، من تشيكوسلوفاكيا وروسيا. وعلاوة على ذلك، فقد ازدهر علم السيمياء (علم الإشارات) في بلدان مثل إيطاليا وإستونيا وفنلندا والولايات السلافية والولايات المتحدة، ناهيك عن بلدان أخرى مثل الصين واليابان. ولكن، نتيجة للظروف التاريخية والمؤسسية، أصبحت السيميوطيقيا، على نحو خاطئ، مرتبطة بالبنيوية/ ما بعد البنيوية في بريطانيا، وفي بعض الجامعات في الولايات المتحدة، وفي باريس.

هذا الارتباط برز على نحو متفاوت في مراجع لعمل عالم اللغويات

السويسري، فردیناند دو سوسور، الذي أطلق فكرة علم السيمياء، ونعني به علم الإشارات. وهكذا، كان ينظر إلى علم اللغويات كعلم مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدراسة الإشارة، فاسحاً المجال أمام انتشار عدد من الرؤى الفكرية التي يمكن البناء عليها في العلوم الإنسانية في الأنثروبولوجيا، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النظرية الأدبية، خاصة التي تم توجيهها، مباشرة أو غير مباشرة، وفقاً للمبادئ اللغوية لسوسور ولما بعد سوسور.

فوق ذلك، يمكن أن يكون هناك القليل من الشكوك حول فكرة أن المبحث البسيكولوجستي لكتاب سوسور **علم اللغة العام** (*Course in General Linguistics*) (1974 [1916]) تم تقويضه بمحاولات لإقامة دراسة للإشارة أو العلامة باسمه. صلب الموضوع هو أن للإشارة اللغوية جانبان (ازدواجية الإشارة)؛ فبالنسبة لسوسور، تتألف الإشارة من «صورة سمعية» و«تصور» أو مفهوم وكلاهما موجودان في ذهن مستخدم الإشارة أو العلامة.

لأسباب غير جليَة، عالج العديد من المترجمين لسوسور، خلال توسيعهم لنطاق عمله ليشمل مجالات أخرى، «الصورة الصوتية» على أنها ظاهرة مادية، مفضلين ذلك على الصورة العقلية التي يصفها.

من الممكن أن يكون الحديث عن هذه المفاهيم قد تزايد بسبب الترجمة الإنجليزية في العام (1959) (لكتاب) سوسور (*Course in General Linguistics*): على الرغم من ظهور إصدار إنجليزي لسوسور أكثر دقة إلى حد بعيد في العام 1983، فإن الترجمة المضللة للتسميتين اللتين أطلقهما سوسور على جانبي الإشارة اللغوية – الدال والمدلول – كانت قد برزت في ذلك الوقت.

عقب تحول الإشارة اللغوية إلى عمل قابل للتعميم، انتشرت فكرة أن علم ألسنية سوسور قد قدم مدخلاً إلى المظاهر الثقافية الأخرى. في الواقع، نادى رولان بارت (Roland Barthes) في الستينات، وبدون تفكير معمق إلى حد ما، بإدخال علم السيمياء كفرع من العلم المعرفي الأساسي، ونعني به اللغويات أو الألسنية (1967a, p. 8).

في ضوء حقيقة أن رأياً كهذا يظهر في أدب هذا الموضوع، دعونا نكن واضحين ودغماتيين في تناولنا فكرة أن هذه الدراسة المتمركزة جداً حول الإشارة

اللغوية، وهي نوع من الإشارة التي يستخدمها البشر لوحدهم، هي فقط مكون واحد لدراسة الإشارة بشكل عام. وباعتراف الجميع، هي ليست جزءاً صغيراً جداً من دراسة الإشارة لأن اللغة معقدة جداً، وعلى ما يبدو، قريبة جداً إلى الهدف لدرجة أن الأوساط الأكاديمية العالمية أسست، لفترة من الزمن، لعلم اللغويات كفرع رئيسي من فروع المعرفة. ومع ذلك، فإن الظاهرة البشرية المطلقة للغة ليست سوى جانب واحد من نشاط يتضمن الإشارات، أي عمل الإشارات بشكل عام، في جميع أنحاء الكون. بهذه الطريقة، تبدو اللغة صغيرةً جداً بالمقارنة مع مجموعة الإشارات الناجمة عن شتى التفاعلات القائمة بين الخلايا الحية.

التركيز على عبارة «الحية» هنا متعمد. وإن التمييز بين ما هو حي وما هو غير حي يساعد على تعريف مصطلحين في نشاط الإشارات غالباً ما يستعملان بطرق غير دقيقة وفضفاضة. التواصل (Communication) هو شكل من أشكال النشاط المتضمن الإشارات الذي يعنى بتبادل الرسائل أياً كانت؛ من الشيفرة الجزيئية والخصائص المناعية للخلايا وصولاً إلى الجمل الصوتية. الدلالة هي ذلك الجانب من النشاط الإشاري الذي يعنى بقيمة أو حصيلة تبادل الرسائل ويعطى أحياناً اسم كلمة «معنى»، وهي كلمة مفعمة بالمعاني المتعددة. كلتا الظاهرتين فطريتان عند المادة الحيوية الحية، ولقد تم تصور النشاط الإشاري على أنه «الميزة المعيارية للحياة» (Sebeok 1994, p. 6). وبما أن الحال كذلك، فما هو ضروري لدراسة النشاط الإشاري هو نظرية للإشارة قادرة على تغطية الامتداد الذي لا يمكن تصوره تقريباً للأنواع المختلفة من نشاط الإشارة.

السيمياء واللغة

في حين أن كلمة علم الإشارات أو السيمياء كان يمكن أن تبدو، في بعض الدوائر الفكرية المحدودة للقرن العشرين، الكلمة الأخيرة عن الإشارة، وبالأخص، عن الظاهرة الإنسانية للغة، نشأ عمل جديد من وجهتي نظر مختلفتين.

فوق كل شيء، ما يجب الإشارة إليه مباشرةً فيما يتعلق بمبادرات اللغويات عند تشومسكي والسيمياء الحديثة كما صاغها هؤلاء الرياديون، هو المشكلة الصعبة الحل والناتجة عن عبارة «اللغة» الشائعة الاستعمال.

أولًا، كانت اللغويات في الجزء الأخير من القرن قد أعيد إحياؤها بكل معنى

الكلمة بخطة مشروع نعوم تشومسكي وزملائه في هذا العمل. إذ إن طرحه لفكرة النزعة الإنسانية الفطرية للغة – وبدقة أكثر – علم قواعد اللغة العالمي – أعاد توجيه الدراسة اللغوية بعمق.

ثانياً، ثلاث شخصيات رئيسية هي – تشارلز موريس (Charles Morris)، رومان جاكوبسون (Roman Jackobson)، وتوماس أ. سيبيوك (Thomas A. Se-beok)، اثنان منهم تعلما وساهما في المدرسة الفكرية لعلم اللغويات الحديث، عملوا بدون كلل على توسيع نطاق دفع دراسة الإشارة إلى ما هو أبعد مما هو صوتي فحسب. فبالنسبة لهؤلاء الثلاثة، إن نظرية الإشارة عند بيرس، التي هي في حد ذاتها إعادة لصياغة الفقه القديم للسيمياء، كانت محورية في محاولاتها لتقصي اتساع مفهومي التواصل والدلالة.

على ما لا يقل عن ست مناسبات لما ذكر أعلاه، قد تم استخدام الكلمة سابقاً كما لو أنها تشير إلى كيان يسهل فهمه. ما سيصبح جلياً في ما سيأتي في هذا الكتاب هو أنه في حين أن اللغة تحظى بقبول واسع لتكون محورية للتعريف بما يمكن اعتباره صفة إنسانية، فإنه ليس هناك من توافق في الآراء بشأن ماهية اللغة في الواقع.

ولكن توجد هناك ثمة نقطة إجماع في الرأي حول أن اللغة التركية، والصينية، ولغة الإشارة الأميركية لا بد من اعتبارها لغات، لكن ومن ناحية أخرى لا ينطبق ذلك على «لغة الجسد»، والموسيقى، ونظم التواصل الحيواني، وأجهزة السيمياء الأخرى مثل إشارات المرور.

يمثل عمل تشومسكي تحدياً خطيراً للحس السليم وللفهم الأكاديمي للغة كظاهرة مادية مكونة من الكلمات والجمل وما إلى ذلك، والتي تسهل التواصل الإنساني. كما هو متباحث فيه في مكان آخر في هذا الكتاب، بعد تشومسكي أصبح من الضروري أن نبحث في احتمال أن اللغة ينظر إليها بشكل أكثر ملاءمة على أنها نظام معرفي موجود في ذهن البشر. ولذلك كان من المطلوب القيام «بثورة معرفية» لمحاولة فصل العلاقات التي تربط ما بين «اللغة»، و«العقل»، و«الدماغ».

تتحدى كذلك دراسات جاكوبسون للصفات **الأيقونية** و**البيانية** للإشارات الصوتية ونقاشاته لدورها في بعض الاضطرابات النطقية، الحالة **الرمزية** للغة التي غالباً ما يتم افتراضها.

ولكن الأكثر أهميةً من هذا في مقاربة تعريف للغة صعب المنال، ربما كان عمل موريس وسيبيوك، في مبادرة علم الأحياء. على وجه الخصوص، فإن البحوث في التواصل الحيواني في هذا العمل الأخير – أسيرة التسمية الذاتية المصوغة، والتي تعرف بعلم السيمياء الحيواني – أظهرت قدرة إنسانية كبيرة على التواصل والتعبير عن المراد.

خلافاً للمعلقين الأكثر سذاجةً على محاولات الخبراء لتعليم مجموعة محدودة من الإشارات إلى الحيوانات الرئيسية الأسيرة، أثبتت كتابات سيبيوك مراراً على النزعة الإنسانية الحصرية إلى ما يجب أن يفهم على أنه لغة. بدورها، سهلت «إنسانية» اللغة دراسة الإنسان القديم، وقدرته اللغوية باعتبارها السمة المميزة لهذه الأنواع.

إن البحث عن الأصول، بطبيعة الحال، ليس بأي حال من الأحوال وسيلة سهلة جداً ومضمونة لاكتشاف السبب الذي من أجله نقوم بما نقوم به اليوم. في كثير من الأحيان، يصل البحث عن أصول – الكون، والحياة، واللغة – إلى نهاية ميتة، بسبب طرح الأسئلة الخاطئة أو بسبب عدم وجود الأدلة المناسبة.

ومع ذلك، ما هو معروف عن الإنسان القديم يوفر لنا بعض الأدلة المهمة عن تصنيف «اللغة»، «التواصل» و«الكلام». ويعتقد أن فصيلة الإنسان القديم (الإنسان الماهر أو هومو هابيليس (Homo Habilis)، منذ نحو مليوني سنة مضت)، أخفت في أدمغتها اللغة، قواعد اللغة، أو «أداة» الصياغة. إن فصيلة الإنسان المنتصب أو الهومو إيريكتوس (Homo Erectus) التي كانت تتميز بحجم أكبر للدماغ، امتلكت كذلك هذه القدرة، التي ما زالت قدرة غير مدركةٍ لنظام التواصل الشفهي الإنساني المعقد.

ومع ذلك، فإن القدرة على الترميز الشفهي أو التكلم وحل الشيفرة أو فهم الكلام وضعت موضع الاستخدام منذ حوالي 300000 سنة مضت مع بدايات فصيلة الإنسان الحديث العاقل (Homo Sapiens). وبالتالي امتلك البشر القدرة على اللغة قبل وقت طويل من بدء تطبيقها عن طريق الكلام لأغراض التواصل الشفهي. قبل ظهور الشكل الشفهي للتواصل، كان هذا الأخير يتم بالوسائل غير الشفهية، وهي وسائل ما زال البشر يستمرون في استخدامها وصقلها إلى يومنا هذا (انظر: Sebeok 1986a and 1991a; cf. Corballis 1999).

ما كان واضحاً للعديد من علماء اللغويات، على الأقل بدءاً بفيلهلم فون هومبولت (Wilhelm von Humboldt) ومن يليه، هو أن اللغات تتكون من مجموعة محدودة من القواعد والمواد المعجمية التي ربما يمكن أن تولّد سويةً عدداً لا نهائياً من تركيبات الكلمات المختلفة.

ويبدو أنه حتى سوسور شارك في هذه الفكرة من خلال تمييزه بين اللغة والكلام، على الرغم من أن أسلوبه في استخدام كلمة قاعدة (règle) بالطبع لا تتطابق مع هذه الكلمة عند تشومسكي، وهو لا يقدم رسمياً كلمة «لغة» (Langue) على أساس أنها نظام توليدي (انظر Harris).

إن نتاج تطبيق المجموعة المتناهية من القواعد تشكل علم البناء أو هيكل صياغة الجملة النحوية، ولكن حتى مع نظرية «القواعد» التوليدية التي تبدو اجتماعية جداً ومع نتاجها المفيد اجتماعياً، فإنه لا يمكن تعريف اللغة كظاهرة «ثقافية» بحتة بالمعنى الذي يعتبرها منفصلة نوعاً ما عن الطبيعة.

إن مصطلح تشومسكي هو أنه على الأقل يتعذر تغيير بعض القواعد التوليدية تماماً كما يتعذر تغيير قواعد المنطق التي يجبر الناس على الالتزام بها حتى دون أن يكونوا مدركين أنهم على علم بها. وبالتالي فإن الـ «قواعد» ليست أمراً «يتوافق» عليه البشر من خلال التفاعل الاجتماعي.

لنتأكد من ذلك، فإنه لا يمكن المضي قدماً في دراسة اللغة من خلال تشريح دماغ الإنسان؛ إذ بدلًا من ذلك يجب العودة بعلم اللغويات إلى الوراء من خلال اختبار استخدام اللغة الفعلي لنستطيع أن نصدر أحكاماً نظرية في قانون النظام العقلي الذي يسبقه. مع ذلك، لا تزال المشكلة مستمرة: يتطلب البحث عن تعريف للغة أن نأخذ في الاعتبار القدرة الإنسانية التي يأتي وجودها سابقاً لمظاهرها الشفهية. فالكائنات الأخرى المختلفة عن الكائنات البشرية لا يساعدها مكون اللغة البنائي النحوي في تواصلها، إذ أن تلك القدرة هي، في أصلها، قدرة بيولوجية خاصة بالنوع الإنساني.

كما يلاحظ هاريس في هذا الكتاب، تم تسمية اللغويات مراراً وتكراراً على أنها علم، وذلك لأسباب تأسيسية وليس انعكاساً للاعتقاد بأن هذا الفرع من المعرفة يتميز بمنهجيات دقيقة بهدف التحقق من الحقيقة العلمية.

في مجالات أخرى غير مجال علم اللغويات، وضمن مبادئ البنيوية وما بعد البنيوية، هناك قدر كبير من المساعي التي، على الرغم من أنها تستقي تلميحاتها من ألسنية سوسور ومن علم الإشارات الذي وضع خطوطه، قد تجنبت العلوم صراحةً كان ذلك أم ضمناً. إذ إن علماً كعلم النظرية الأدبية كان لديه تاريخ طويل في حصر نفسه بعيداً عن التطورات العلمية. من جهة أخرى، فإن الدراسات الثقافية تقريباً (استقت) مبادئها من العلوم وحافظت عليها بقدسية.

إن نص **الأساطير** (*Mythologies*) (1973c [1957]) لرولان بارت (Roland Barthes)، وهو نص ورد مراراً في دراسات الإعلام والثقافة في الوقت الذي كانت فيه فروع المعرفة تغزو الأوساط الأكاديمية، يجسد وضعاً مشجعاً، على نحو قابل للجدل، على اتخاذ موقف انعزالي.

أساساً، أعلن بارت أنه قد كتب نص الأساطير الـ (*Mythologies*) لأنه كان شديد التوق إلى الـ«طبعية» المصطنعة للأدوات الفنية الثقافية الشعبية، وتابع بارت قائلاً أنه «يستاء من رؤية الالتباس بين الطبيعة والتاريخ في كل منعطف» (المصدر نفسه، ص 11).

وكانت هذه الفكرة المهيمنة النظرية تتكرر في الدراسات الثقافية، وخاصة في الكتب الموجهة إلى الطلاب. وعادة ما كانت تتحول إلى جدال «الثقافة مقابل الطبيعة» من أجل أن تعرض، بمساعدة علم السيمياء، «بناء» النصوص الشعبية (انظر على سبيل المثال، Hebdige 1979; Fiske 1989a, 1989b, 1991; Chambers 1986، والدراسات الميدانية الانعكاسية في هذا المجال مثل دراسات: Brantlinger 1990 وTurner 1990).

إن التمييز بين «الثقافة/ الطبيعة» سهلته بإحكام حقيقة أن اللغة الإنجليزية على عكس اللغة الألمانية، مثلاً، كان لديها مصطلحان يبدو أنه جرى العرف على

استخدامهما. في مناسبات أخرى تم تضخيم التناقض بينهما من خلال مناقشات الهويات ومن خلال دعوة علم الأنثروبولوجيا لـليفي ستراوس (Lévi-Strauss) أو التحليل النفسي لـ لاكان (Lacan) (انظر، على سبيل المثال، بعض المقالات الواردة في Woodward 1997).

على نطاق واسع، يطلعنا التعارض نفسه بين الثقافة كما هي «مبنية» والطبيعة كما هي مخلوعة عن الثقافة ومجهولة على نقد ما بعد بنائي عام للعلوم (Robert-son et al. 1996). هنا كان ينظر على أن المؤسسة العلمية كانت ميالةً إلى التأكيدات الاعتباطية لموضوعيتها الـ «طبيعية» الخاصة بها ولحقيقتها.

مما لا شك فيه أن مفهوم العلوم قد تمت معارضته من قبل علاقات السلطة التي حجبت الحقيقة والموضوعية. وعلاوة على ذلك، من الواضح أنه قد ارتكب قدراً كبيراً من الظلم، ناهيك عن الأضرار المادية، كنتيجة لأيديولوجية تحدد مسبقاً ما يجب أن يفهم على أنه «علمي».

يجب أن ينظر الواحد منا في قضية خبير الزراعة السوفياتي، ليسينكو (Ly-senko)، ليجد دليلاً حزيناً على هذا (انظر: Lecourt 1973). تتم إثارة هذه القضية هنا من أجل تسليط الضوء على بعض المسائل المثيرة للاهتمام بالنسبة للدراسة المستقبلية للإشارات، بما في ذلك الإشارات الشفهية التي جعلت ذلك ممكناً بفضل نزوع الإنسان للغة.

في حين أنه كان محتملًا أن علم السيمياء قد احتضن حافزاً لـ «تداخل الثقافات»، بمعنى أنه أكد نفسه على أنه علم ستحكمه ممارساته الداخلية الخاصة به، فإن هذا ليس خياراً بالنسبة لمستقبل السيميوطيقيا، وهو لم يكن كذلك في أي وقت مضى، على الرغم من حقيقة أن بعض المجالات كانت وستظل مكرسة بثبات لدراسة الحقائق «الثقافية».

اشتهر س. ب. سنو (C. P. Snow) بتقطيع أوصال معضلة الفصل بين العلماء و«المثقفين الأدبيين» في العام (1959) عندما أشار إلى «الثقافتين» (1993). فلقد رسم صورة حية لأفراد متعلمين من مختلف فروع المعرفة يرفضون عمداً التحدث مع بعضهم البعض، وبالنتيجة، أظهر كيف أنهم أصبحوا متوطدين أكثر في اهتماماتهم الخاصة.

عندما قدمت الصحف والمجلات والدوريات لمراجعة حججه في العام (1999)، مالت إلى استنتاج مفاده أن القليل قد تغير في السنوات المتداخلة. وصحيح أيضاً أن سيبيوك (Sebeok) قد امتعض مؤخراً من أن «عدد العلماء الذين يندفعون بحماس ذهاباً وإياباً بين «الثقافتين» لا يزال قليلاً جداً لدرجة أنه يحزن القلب لذلك» (1996 b, p. 94).

مع ذلك، إذا كان هناك من ميدان فكري لا يكتفي فقط بالترحيب بالعلماء الذين يبحثون في الهوة التي تفصل بين التحليل الثقافي والعلوم، وإنما يتطلب أيضاً حركة من هذا القبيل، فهذا الميدان هو علم السيمياء. هذا هو الحال الذي كان قائماً خاصة في أعقاب «الثورة المعرفية» في دراسة اللغة، ولكن هناك أسباب أخرى أيضاً. فلقد شهدت السنوات الأخيرة من القرن العشرين تطورات كوبرنيكية (Co-pernican) في دراسة الإشارة وأصبحت محصلة جهود العلماء مثل أوويكسكول (Uexküll)، وموريس، وهيديدجر (Hediger)، وبرودي (Prodi) متبلورة في علم الإشارة الأحيائي (Biosemiotics).

عمل سيبيوك (Sebeok)، إيميتشي (Emmeche)، هوفميير (Hoffmeyer)، كرامبن (Krampen)، كول وغيرهم على إعادة توجيه علم السيمياء بكل ما لهذه الكلمة من معنى، محدثين بذلك طفرة جديدة تكمن جذورها في الواقع في أعراض من الطب القديم. إذا استخدمنا لغة ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة، فإن علم السيمياء الثقافي (أو علم السيمياء البشري) تم إبعاده عن الصدارة بسبب الوعي المتزايد بشأن أنه كان مدمجاً في شبكة أكبر بكثير من شبكته، وهي شبكة مزجت في داخلها علم الإشارة الحيواني، وعلم الإشارة النباتي وحتى علم الإشارة الجرثومي.

إن الآثار المترتبة على علم الإشارة الأحيائي – التعقيد التام والاتساع – مذهلة جداً. و مع ذلك فهي ليست أسباباً خاذلة عن الدافع والحماسة نحو علم السيمياء بشكل عام.

الواقع هو عكس ذلك تماماً. فحيث أن علم السيمياء عند سوسور كان مقيداً بمنشئه من علم اللغويات، فإن فقه الإشارات عند بيرس يتحرر من هذه القيود بفضل مرونته تجاه مختلف فروع المعرفة. بيرس نفسه كان دائماً العالم، ليس فقط في عمله الأساسي الذي كان ينفذه لساحل الولايات المتحدة والمسح الميداني

الجيوديسي (أقصر خط بين نقطتين) (انظر: Brent 1998)، ولكن أيضاً بالطريقة التي كان فيها علمه السيميائي متشابكاً كلياً بـ «التأكيد والتفسير»، اللذين يشكلان السمة المميزة للعلوم انظر العملية الاستدلالية التي تتشكل منها الفرضيات (Ab-duction)، الترتيب الأول (Firstness)، الترتيب الثاني (Secondness)، الترتيب الثالث (Thirdness) والمترجم (Interpretant)، وانظر أيضاً (Hookway 1992, pp. 118-144).

أخذ بيرس على عاتقه مهمة بناء أسلوب يمكن أن تدخل من خلاله حياة العلوم إلى تمثيل حقيقي لكل الحقيقة. منذ البداية، تصور نظرية للإشارة من شأنها أن تكون شاملة وغير متمركزة في موضع واحد. فلقد كتب إلى السيدة ويلبي (Lady Welby):

اعلمي أنه في اليوم الذي بلغت فيه سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من العمر رفعت في غرفة أخي الأكبر نسخة من منطق واتلي (Whateley)، وسألته عما كان ذلك المنطق، وعندما حصلت منه على جواب بسيط، طرحت نفسي على الأرض ودفنت نفسي في ذاك المكان، إذ لم يكن في وسعي دراسة أي شيء من هذه العلوم – الرياضيات، علم الأخلاق، الميتافيزيقيا، الجاذبية، الديناميكا الحرارية، البصريات، الكيمياء، علم التشريح المقارن، علم النفس، علم الأصوات، الاقتصاد، تاريخ العلوم، الهويست أو لعبة الشدة، الرجال والنساء، النبيذ، وعلم القياس، باستثناء دراسة علم السيمياء (1966, p. 408).

فعلم السيمياء، كما هو متصور، يحتضن الطبيعة الحية والثقافة الإنسانية، وهو يمزج بين التحليل العلمي والتحليل الثقافي، ويستعرض استمرارية النشاطات المتعلقة بالإشارة سواءً أكان ذلك ضمن إطار اللغة أو خارجه.

تساؤلات في علم السيمياء وعلم اللغويات

مما لا شك فيه أن اتساع فقه الإشارات بارز، ولذلك يركز هذا الكتاب على العلاقة بين علم السيمياء وعلم اللغويات، ولا سيما كيف أن الثاني هو جزء من الأول، وأيضاً كيف أن القوة الدافعة لعلم اللغويات في مرحلة ما بعد تشومسكي ترتبط بالمجال الأوسع للإشارة. الجزء الأول من الكتاب يطرح الأسئلة التي، وعلى وجه شديد الاحتمال، يمكن أن يتساءل عنها الشخص المتوسط الذكاء

فيما يخص علم السيمياء وعلم اللغويات في مطلع القرن الواحد والعشرين. وهذه الأسئلة هي التالية:

• على ضوء حقيقة أن علم اللغويات هو جزء من علم السيمياء، وعلى ضوء حقيقة أن علم اللغويات يركز على التواصل الشفهي، (ممن) يتكون التواصل غير الشفهي، وما هي درجة انتشاره؟

• إذا كان علم السيمياء هو دراسة الإشارة عبر العوالم الشفهية وغير الشفهية، وإذا كان تشارلز إيس. بيرس مشهوراً جداً في صياغة هذه الدراسة في العالم الحديث، فما هي نظريته في الإشارة وكيف يمكن أن تطبق على الظواهر التواصلية المختلفة؟

• علماً أن البشر يستخدمون الإشارات الشفهية وغير الشفهية، ماذا يمكن أن تكونأصول اللغة؟

• يمكن إدراك اللغة في مظاهرها المادية، فهي أيضاً شيء فكري، ولكن الأشياء الفكرية لا يمكن أن ننسبها ببساطة إلى فيزيولوجيا الدماغ –إذاً ما هي العلاقة بين «اللغة»، و«الفكر»، و«العقل» و«الدماغ»؟

• لا يحدث استخدام اللغة في فراغ: فهناك أشخاص آخرون يجب أن نأخذهم بعين الاعتبار، فضلاً عن العوامل الحياتية، مثل الحالة، الفقر، التمييز وهلم جراً – ماذا يستلزم ذلك لدراسة الطريقة التي يستخدم بها البشر الإشارات؟

• بالتأكيد لا يستخدم البشر اللغة فقط للتناقل المتملق لحقيقة أو أخرى، بل غالباً ما يكون لديهم هدف أو يستخدمون اللغة للقيام بنوع ما من العمل – كيف يستخدم علم اللغويات المعاصر ذلك؟

• وعلاوة على ذلك، تبدلت اللغات واضمحلت عبر تاريخ البشرية على الرغم من أنه أحياناً وحالياً يتصور أن كل لغة هي بنية غير متغيرة، أو حتى هي وسيلة ثابتة، تماماً كنجم الشمال وجاهزة للاستخدام – كيف يحدث هذا التغيير؟

• إذا كان علم السيمياء، ومن ضمنه علم اللغويات، قادراً على معالجة القضايا المذكورة أعلاه بشكل مهم في بدايات القرن الحادي والعشرين، فمن المحتمل أن يكون ذلك بسبب التطورات في هذا المجال خلال الفترة الماضية الحديثة والتي إما وجهت البحث بطريقة معينة أو شقت أرضية جديدة، أحد أكثر الأسماء شهرة في مجال علم اللغويات في القرن العشرين كان تشومسكي – لماذا؟

• الاسم الآخر الأكثر شهرة في علم اللغويات خلال نفس المرحلة هو سوسور الذي كان لديه حقائقه الملحة الخاصة في دراسة اللغة – ماذا كان مصير علم اللغويات بعد وفاته؟

• إذا كانت الإشارات والتواصل هي في غاية الأهمية في العالم المعاصر، وإذا كان للغة الشفهية دور أساسي كهذا في الحياة الإنسانية، فما هي أهميتها بالنسبة لتلك الا اهتمامات التي تستغرق انتباه البشر اليوم – الهوية وعلاقات القوة؟

سوف يتم تناول كل من هذه الأسئلة في فصل قصير في الجزء الأول من هذا الكتاب. الأجزاء الفصلية حول الـ «مراجع الإضافية» في نهاية كل فصل، وكذلك المراجع المتقاطعة (الإحالات المرجعية) مع مداخل الجزء الثاني من هذا الكتاب، تزودنا بمؤشرات للإجابة على المزيد من الأسئلة (انظر استخدام هذا الكتاب).

وهكذا، يبدأ الجزء الأول بمقالة حول الموضوع الرحب الأفق للتواصل غير الشفهي. في عمل فذّ مختصر وجدير بالاعتبار، يقدم توماس أ. سيبيوك صورة غنية عن نوع التواصل الذي يجري بين «جميع الكائنات الحية المعروفة». فعندما يتناول البحث الإشارات الشديدة التنوع والتي تشبه في تنوعها إشارات التواصل القائمة بين بدائيات النوى، والأسماك، أو بين الفرق الموسيقية وقادة الأوكسترا، يلفت الانتباه إلى الطريقة التي تعتمد بها الكائنات الحية – بما في ذلك البشر – على النماذج أو، على البيئات (Umwelten) إذا استخدمنا الكلمة الناشئة عن علم السيمياء البيولوجي. يقدم الفصل الأول من هذا الكتاب وجهة نظر لا غنى عنها عن موقع اللغة الشفهية داخل الكون اللاشفهي الأوسع.

بعد ذلك، تقدم مقالة فلويد ميريل عرضاً لموضوع واقعي حير العلماء لأكثر من مائة سنة ولكنه أثار اهتمامهم في نفس الوقت؛ وهذا الموضوع هو مفهوم بيرس عن الإشارة. من خلال أمثلة مألوفة، تأخر ميريل عن المصطلحات الصعبة أحياناً للشخصية الأبرز في مجال الفلسفة الأميركية. في مراحل مختلفة من حياته، حاول بيرس أن يبرهن أن هناك ثلاثة، عشرة، ستاً وستين أو حتى 59049 صنفاً من الإشارات (1966, p. 407) يتبع ميريل بيرس في إشارته إلى أن هذه الأصناف يمكن أن تتحلل، وأن السيمياء بعيدة كل البعد عن أن تكون مجرد تصنيف وأنه لا توجد «فئات لكل شيء أو فئات للاشيء فيما يتعلق بالإشارات». لكن الفصل

الثاني يبرهن أمراً لا ريب فيه: وهو أن النشاط الذي يتضمن الإشارات يتميز بقدرة على المتابعة كامنة في داخله.

ربما يكون دفع علم الإشارات إلى الأمام دافعاً للنظر إلى الماضي. فالبحث عن أصول اللغة هو بالتأكيد قديم قدم علم اللغويات نفسه كما أن عسر معالجته أدى في بعض الأحيان إلى حظره كموضوع للنقاش من قبل الجمعيات اللغوية (انظر: Sebeok 1986a, p. 172). ولكن هذا لم يمنع العلماء من متابعة هذا الموضوع، ويشهد على ذلك وجود مجتمع رئيسي، ومؤتمر سنوي يوفر منتدىً دولياً للنتائج الجديدة والنظريات في هذا النطاق (انظر صفحات الويب على العنوان http:// welcome.to/LOS).

يعود الراحل وليام س. ستوكو (William C. Stokoe) إلى موضوع أصول اللغة في هذا الكتاب. وهو مشهور بسبب عمله في مجال لغات الإشارة، وخصوصاً الطريقة التي استطاع أن يناقش فيها الخصائص الشبيهة باللغة للغة الإشارة الأميركية (ASL)، وبالتالي أن يساهم في دفع الصم إلى تقرير المصير (انظر Maher 1996)، هنا يوضح ستوكو في الفصل الثالث كيف يتم تضمين اللغة في التواصل غير اللفظي مرةً أخرى. على وجه التحديد، كما يحاجج ستوكو اللغويات المعاكسة لتوجه تشومسكي على أن السعي لأصول اللغة يجب أن يولي اهتماماً أكبر للإشارة: فالقوة السيميائية لهذه الأخيرة، كما يقول، كثيراً ما تم التقليل من شأنها. وإن استخدام الأطفال الصم وغير الصم على حد سواء لإشارات اليد والذراع لبضعة أشهر قبل أن يبدؤوا بالكلام، فضلاً عن حقيقة أن الإشارات من خلال التنسيق بين اليد/ العين/ الدماغ، هي «منشطات قوية للذهن»، هي بعض الأسباب الوجيهة لتقديم التحقيق في أصول اللغة إلى الصدارة.

حتى الآن، «العقل»، «الدماغ»، «التفكير»، و«اللغة» هي كلها كيانات صعبة لا توجد تعريفات سهلة لها. لذلك فإن راي جاكندوف (Ray Jackendoff) في الفصل الرابع يقدم لنا مقالاً يتميز بالوضوح لمساعدة القارئ على التنقل في حقل النهج المعرفي المعاصر للغة. وهو يستكشف العلاقة بين النظم الإدراكية والحركية التي تعتبر مسؤولة عن «رسم خرائط من العالم الخارجي إلى الفكر ومن الفكر إلى السلوك». إن تعقيد العمليات المعنية جدير بالاعتبار وإن المهمة الأساسية في الوقت الحاضر هي تحديد النظم الفرعية الرئيسية واستكشاف تفاعلاتها. قد يكون

الحال هو أنه لا توجد أجوبة سهلة هنا، ولكن جاكندوف يمكِن غير المتخصص من اكتساب فهم لما يمكن أن تكون عليه الأسئلة الصحيحة.

إن الاستخدام الفعلي للغة ليس فقط مسألة نظم إدراكية حسية وحركية. وإن مستخدمي اللغة يجدون أنفسهم متشابكين في الأنساق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة والتي هي، في هيمنتها الكلية، مباشرة وملحة جداً لدرجة اعتبار أن الأساس المعرفي للغة أمر مفروغ منه ومسلم به. في الفصل الخامس حول «اللغويات الاجتماعية والسيميائية الاجتماعية»، يتناول غونثر كريس (Gunther Kress) الأنساق الاجتماعية المدرجة في استخدام التواصل الشفهي. في البداية، سعى كريس، وهو عالم في اللغويات الاجتماعية، تجاوز الحقل المعرفي السائد لعلم اللغويات من أجل محاولة تناول النطاق الأوسع لعلم الإشارات (Semio-sis)، ولا سيما «الميل المتزايد للبشر» إلى «تعدد الأنماط» (Multimodality). لذلك يركز الفصل الذي كتبه كريس على الوضع الذي تعتبر فيه «اللغة مجرد واحدة من عدد من وسائل التواصل، والتي تصاغ جميعها ثقافياً واجتماعياً». في حين أن اللغة قد تكون «طبيعية» في الأساس، فإن فصل كريس يساعد على تبيان حقيقة أن اختيار وخلط وسائط التواصل الإشاري السيميائي تتأثر بعوامل تعتبر ثقافية.

هناك جزء هام في علم السيمياء، وقوة رئيسية في علم اللغة المعاصر، ألا وهو الحقل (الفرعي) للبراغماتية. كما يبين جيف فيرشويرين (Jef Verschueren) في الفصل السادس، كثيراً ما تصوَّر البراغماتية على أنها مكون من مكونات النظرية اللغوية بشكل عام كما لو أنها موضوع للدراسة محدد إلى درجة كبرى وواضح المعالم، تماماً مثل المكونات الأخرى كعلم الأصوات، وعلم النطقيات وعلم التشكل أو المورفولوجيا.

وبالتالي، فقد كانت الحالة هي أنه في كثير من الأحيان ينظر إلى البراغماتية على أنها مهتمة بتصنيفات لغوية تتعلق بطريقة أو بأخرى بـ«السياق» (على سبيل المثال نذكر (deixis) أي التعبير الإشاري أو الكلمة التي لا يمكن تحديد معناها إلا ضمن سياق الكلام، أو الضمائر). وبطريقة مجدية أكثر، يعود فيرشويرين (Verschueren) مرةً اخرى إلى الأهمية الأصلية أو زمن تفوق البراغماتية في عمل موريس (Morris) ويبين أن مدى البراغماتية واسع جداً ويجب أن ينظر إليه بالطريقة المناسبة على أنه رؤية مختلفة للغة. على وجه التحديد، هو يسمي البراغماتية «رؤية وظيفية»، بسبب

تركيزها على استخدام الإنسان للغة. وإن الطبيعة الرحبة الأفق، والجامعة لفروع العلوم المختلفة لهكذا رؤية تقترح وجود صلة قوية بين علم السيمياء الاجتماعي ومجال علم السيمياء بشكل عام.

كانت إحدى أهم القضايا الملحة في دراسة اللغة في القرن العشرين هي «الوكالة»، وهي المدى الذي يصل إليه البشر في قدرتهم على إملاء ما يجري في مجال التواصل من دون تعقيد. كما سيبدو جلياً في نهاية الجزء الأول من هذا الكتاب، تم تضمين البراغماتية وعلم السيمياء الاجتماعي على وجه الخصوص في هذه المسألة. ومع ذلك، هناك مجال واحد طرحت فيه بوضوح هذه القضية منذ مئات السنين ويستمر التطرق إليه في الحوارات اليومية خارج حدود علم اللغويات المؤسساتي، وهو عملية «تغير اللغة». جان آيتشيزون (Jean Aitchison)، أحد المنظرين في علم تغير اللغة الذي تدور معظم النقاشات حوله في المرحلة المعاصرة، يقدم مساهمة واقعية مثيرة للإعجاب حول هذا الموضوع الذي سبب الكثير من الغليان في الدم في ونفث للكثير من الهواء الساخن. كما يبين في الفصل السابع، إن الميول البشرية هي بلا شك جزء من العملية، ولكن ليست هذه نهاية المطاف. فالمسألة لا تعود فقط إلى طابع اللغة الذاتي القابل للتغيير، بل هي أيضاً جزء لا يتجزأ من التواصل المستمر، الإنساني والحيواني على حد سواء.

قد يكون الجدل حول تغير اللغة مستمراً لفترة أطول من الفترات التي يستغرقها الجدل حول الكيان المحوري لعلم اللغويات في القرن العشرين والذي دار في وقت متأخر. ومع ذلك، فإن فصل رافائيل سالكي (Raphael Salkie) حول أعمال نعوم تشومسكي يبدأ بإظهار أهمية منع حشد من تقييمات عمل تشومسكي بالأساطير والأوهام المحيطة به. يختصر سالكي هذه الأساطير على نحو صريح ومحفز، مبيناً العلاقة بين علم اللغة لدى تشومسكي والفلسفة والعلوم، ومقطعاً الإسهاب الذي يغلف أحياناً مفاهيم الملكة العقلية للغة وقواعد اللغة العالمية (Universal Grammar). كما يوضح الفصل الثامن، على الرغم من عمله المثير للجدل، عمل تشومسكي على مشروع بحثي مثير للإعجاب وحافظ على سجل رائع من الإنجازات الفكرية.

العالم الرئيسي الآخر في علم اللغويات في القرن العشرين، سوسور (Saussure)، لم يبق على قيد الحياة ليرى إنجازات توصياته في البحث في اللغة. وفي مساهمة مقنعة ومبتكرة للغاية، قام روي هاريس، مترجم كتاباته إلى اللغة الإنجليزية،

بدراسة واستقصاء علم اللغويات بعد سوسور وتقييم المدى الذي تحققت فيه الأهداف الرئيسية الثلاثة لعلم اللغويات المحددة في كتاب سوسور (**مقرر في اللغويات العامة**) في السنوات التي تلت نشره. يقدم الفصل التاسع أمرين قيمين: فهو يزود القارئ بلمحة عامة عن أهداف الحقل اللغوي المتنوع والمحير للثمانين عاماً أو أكثر الماضية، ويعيد النظر ببرنامج عمل سوسور لعلم اللغة والذي كثيراً ما تم تحريفه بفعل العمل للبنيوية، وما بعد البنيوية وغيرها من الأعمال السيميائية المزعومة التي لها انعكاسات على هذا العلم.

يختتم الجزء الأول من هذا الكتاب بفصل عن التخاطب (Discourse)، وهو موضوع كان منتشراً بشكل كلي منذ أيام سوسور ولكنه فشل في الاستقرار وسط عدد لا يحصى من المجالات المعرفية والحالات التي يتم فيها الاحتكام إليه على الرغم من أن المصطلح بالذات يعني الحركة والاستمرار، فإن عمل نيكولاس كوبلاند (Nikolas Coupland) وآدم جاوورسكي (Adam Jaworski) كان مفيداً في تأمين بعض من الاستقرار لهذا الموضوع، وبالتأكيد في التشديد على المعنى الذي يعمل فيه التخاطب على توفير التماسك والإقفال للنص. أما الفصل العاشر فيبدأ بدراسة للتعريفات المختلفة للتخاطب، أحد هذه التعريفات يتعلق ببساطة باستخدام اللغة التي هي أكبر من جزء الجملة أو الجملة. إن التركيز على محددات ونتائج استخدام اللغة مرة أخرى يدخل هذا الموضوع في صلة وثيقة بعلم اللغة الاجتماعي، علم السيمياء الاجتماعي، والبراغماتية ولكن الفصل العاشر يناقش أيضاً ما كان يعتبر في السابق عبارة شاملة، وهي تحليل التخاطب (Discourse Analysis)، معطياً إياها درجة من التركز كمقاربة، وخاصة فيما يتعلق بطريقة تحليل الحوار (Conversation Analysis). والنتيجة هي التشخيص الجاذب «للغة التي تعكس النظام الاجتماعي ولكن أيضاً تشكل النظام الاجتماعي، وتشكل تفاعل الأفراد مع المجتمع».

(المبدأ) القديم للإشارات وعلم السيمياء في الحاضر في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، اتخذت قضايا السلطة، والهوية واللغة أهمية لم يسبق لها مثيل في حياة الإنسان. لم تستمر المواضيع المتعلقة بـ: «من نحن وما علاقاتنا بقوة الآخرين» في الوجود الاجتماعي في العصر الحديث. على الرغم من أن العوامل الاجتماعية والاقتصادية هي الأهم بالتأكيد، تمت صياغة هذه القضايا مراراً وتكراراً بلغة ملكة الإنسان الكلامية، وتحديداً من خلال الصراع حول اللغات الوطنية (انظر Hobsbawm 1992, pp. 52-62). ومع ذلك، يبدو أن هذا الصراع هو على وشك أن

يستبدل بصراع آخر. كتب جون ديلي (John Deely) أن فترة «ما بعد الحداثة» الحالية تتزامن مع انهيار التقسيمات اللغوية الوطنية الحديثة، لأنه بدأت نظرة عامة جديدة بالظهور متجاوزةً الاختلافات الوطنية للغة. ولا تستند هذه النظرة الناشئة إلى وحدة اللغة الطبيعية، كما في العهود الثلاثة السابقة، وإنما إلى تحقيق وجود نموذج معرفي إنساني قادر على مراعاة الآليات الذاتية للفروقات اللغوية والتغير اللغوي كجزء من إطار الفلسفة نفسها. هذه الحركة، أي تطور ما بعد الحداثة، تأتي لتكون مستندةً بشكل خاص إلى أعمال الفيلسوف الأميركي تشارلز ساندرز بيرس (Charles Sanders Peirce)، مع افتراضاتها الرائدة (التي) تنص على أن «أعلى درجة من الحقيقة يتم التوصل إليها فقط من خلال الإشارات» (1994a, p. 44).

إن حجة ديلي (Deely) ليست الحجة الوحيدة فيما يخص تزايد هيمنة الإشارة في العالم المعاصر، على الرغم من أنها هي بالتأكيد واحدة من الحجج القليلة التي لا يطغى عليها التشاؤم الثقافي. في الواقع، يدل عمل ديلي على أن علم السيمياء الحالي يمثل طفرة جديدة لمبدأ الإشارات الخصب للغاية والذي يمكن أن نجده في الفلسفة اليونانية واللاتينية القديمة (انظر الرواقيين (Stoics) والإبيقوريين (Epicu-reans) وبوانسو (Poinsot)). في مواجهة المعضلات الحالية الإنسانية للدلالة، من المرجح أن يكون علم السيمياء، بالتاريخ المتميز لتماسكه، مصيرياً. فهو يبرهن كيف أن التواصل الشفهي يتم إدماجه في عالم أكبر بكثير من التواصل غير الشفهي، وكيف أنه حتى البشر لا يقيدون بالكلام في إشاراتهم ورموزهم، وكيف أن البشر يستخدمون الوسائط المختلفة في التواصل، وكيف أن اللغة هي مقدرة خاصة بالجنس الإنساني، وربما الأهم من ذلك كله خشية انسياق البشر وراء عنجهيتهم، يبرهن علم السيمياء كيف أن القدرة السيميائية (semiosic) هي مرادفة للحياة، وبالتالي تضع البشر في بيئة يرتبطون فيها ارتباطاً وثيقاً بكل من الحيوانات والنباتات.

الفصل الأول

التواصل غير الشفهي

توماس س. سيبيوك

تتواصل جميع الكائنات الحية المعروفة بالوسائل غير الشفهية حصرياً، باستثناء وحيد لدى بعض أعضاء النوع المعروف بفصائل البشر (Homo Sa-piens)، الذين يملكون القدرة على التواصل، في وقت واحد أو على التعاقب، بالوسائل الشفهية وغير الشفهية.

إن عبارة «بالوسائل الشفهية» تعادل عبارةً مثل «بوسائل الكلام»، أو «بوسائل الكتابة»، أو «بوسائل لغة الإشارة» (للاستخدام في مجموعة الصم على سبيل المثال)، (ولكل) واحدة من هذه العبارات، مظاهر لأي لغة طبيعية ضرورية كشرط مسبق للتواصل وهي هبة يمتلكها البشر وحدهم دون الكائنات الأخرى. ولكن القدرة على القراءة والكتابة أو حتى القدرة على الكلام ليست سمةً موجودةً عند كل البشر: فعادةً تتطور قدرة الأطفال على الكلام، ولكن بشكل تدريجي فقط؛ وبعض البالغين لا يكتسبون القدرة على الكلام على الإطلاق؛ والبعض الآخر يمكن أن يفقد هذه القدرة نتيجةً لصدمة ما (سكتة دماغية على سبيل المثال) أو كنتيجة للشيخوخة. على الرغم من هذه الظروف، وكقاعدة عامة، يستطيع البشر الذين تنقصهم القدرة على التعبير – التحدث، والكتابة، أو التعبير بالإشارة –الاستمرار في التواصل غير الشفهي.

بدايةً، ولتوضيح الأمور يجدر بنا ذكر بعض المصطلحات ذات الصلة

بموضوع التواصل. فكلمة «لغة» تستخدم أحياناً بطريقة مناسبة في الاصطلاح المعروف لتعبر عن وسيلة ما للتواصل غير الشفهي. قد يكون ذلك محيراً في هذا السياق، حيث، على كل حال، يجب استخدام كلمة «لغة» فقط بالمعنى التقني عند تطبيقها على البشر. وينبغي تجنب الاستخدامات المجازية مثل «لغة الجسد»، «لغة الزهور»، «لغة النحل»، «لغة القرد»، أو ما شابه ذلك.

يجري الاتصال غير الشفهي داخل الكائن الحي أو بين اثنين أو أكثر من الكائنات الحية. في داخل كائن ما، يمكن أن تشتمل العناصر المشاركة في أفعال التواصل – كمصادر لإرسال رسالة أو وجهة أو كليهما على حد سواء – في مستويات مرتفعة من التكامل، على العضيات الخلوية، والخلايا، والأنسجة، والأعضاء، ونظم الأعضاء. بالإضافة إلى ذلك، فإن السمات الأساسية للمنظومة البيولوجية بأكملها، والتي تتم إدارتها بوسيلة غير شفهية في المحيط الداخلي تتضمن تصنيع البروتين، والتمثيل الغذائي، والنشاط الهرموني، وانتقال الإشارات العصبية، وهكذا دواليك. عادةً، تتم دراسة التواصل على هذا المستوى (من بين العلوم الأخرى) في مجالات فرعية لعلم دراسة الإشارات البيولوجية (Biosemi-otics)، تسمى علم دراسة الإشارات البدائية (Protosemiotics)، والمجهرية (Mi-crosemiotics)، والخلوية (Cytosemiotics)، أو، على وجه شامل، علم دراسة الإشارات الداخلية (Endosemiotics).

يجري التواصل الداخلي بوسائل كيميائية، وحرارية، وميكانيكية، وعمليات إشارات كهربائية، أو من خلال نشاط يتضمن الإشارات (Semiosis)، ويتكون هذا التواصل من عمليات ذهاب وإياب متواصلة الحركة لدرجة لا يمكن تصورها. خذ على سبيل المثال جسم إنسان واحد يتألف من 25 تريليون خلية، أو ما يعادل حوالي 2000 ضعف الأحياء على كوكب الأرض، واعتبر علاوةً على ذلك أن لدى هذه الخلايا اتصالات مباشرة أو غير مباشرة مع بعضها البعض من خلال الرسائل التي يتم توجيهها عن طريق الإشارات المتعددة الأنماط. لا بد أن الكثافة الهائلة لمثل هذه العمليات مذهلة، ناهيك عن أننا لا نستطيع فهم سوى جزء ضئيل جداً منها. وإن الرسائل الداخلية تتضمن معلومات حول أهمية النظام الجسدي الواحد لجميع الأنظمة الجسدية الأخرى، ولكل نظام مراقبة شامل (مثل نظام المناعة)، وللدوائر المتكاملة كلها، وخاصة الدماغ.

توجد الأشكال البدائية للتواصل بين الكائنات الحية في محيطنا الحيوي في بدائيات النوى (Prokaryotes) - التي هي في معظمها كائنات وحيدة الخلية وتفتقر إلى نواة. وعادةً ما نطلق تسمية بكتيريا على هذه الكائنات. في العقدين الماضيين، بدأ تصنيف التجمعات البكتيرية إلى ثلاثة أنواع، تجمعات متمركزة، كائن شامل يشتمل على عدة كائنات (Superorganism)، وكائنات في تفاعل مع حقيقيات النواة (Eukaryotes) (والتي هي أشكال من أشكال الحياة المألوفة تتألف من خلايا ذات نواة محاطة بغشاء، وتشمل أساساً الحيوانات والنباتات، وكذلك العديد من الكائنات الأخرى). توجد التجمعات المتمركزة الشديدة التعقيد في كل مكان على وجه الأرض؛ فهناك بكتيريا الأمعاء، وبكتيريا جير الأسنان، والحصائر البكتيرية، وغيرها. وهناك بالطبع عدد كبير جداً من التجمعات البكتيرية في كل من التربة ومياه المجاري في قعر كتل المياه. هكذا تجمعات تعتمد كثيراً على المعطيات المناسبة لمجموعة من الظروف الخاصة بها، لا سيما فيما يتعلق بتبادل المعلومات الجينية. وقد لاحظ عالم بكتيريا بارز، في هذا السياق، أن التجمعات المتمركزة من البكتيريا يمكن أن تتخذ استراتيجيات معقدة في التواصل من أجل البقاء، وهذا يعني أنها يمكن أن تعمل لفترة معينة من الزمن ككائن حي وحيد متعدد الخلايا (انظر Sonea and Panisset, 1983).

المهم في هذا الإطار، هو أن كل البكتيريا، في جميع أنحاء العالم، تمتلك القدرة على العمل كمجموعة منسجمة، أي بطريقة تجمعات كوكبية لا حدود لها، يمكن تشبيهها بشبكة تواصل بيولوجية واسعة – أو شبكة حاسوبية، إذا صح التعبير. وقد تميزت هذه المجموعة بكونها بمثابة كائن شامل يشتمل على عدة كائنات ويمتلك معلومات أساسية تفوق تلك الموجودة في دماغ أي حيوان ثديّ، إذ تستطيع أجزاء هذا الكائن، التي لا تعد ولا تحصى، نقل وتبادل المعلومات لتتأقلم مع كافة الظروف أياً كانت.

لقد خلق الكائن الحي البكتيري الشامل الظروف البيئية المؤاتية لتطور شكل من أشكال الحياة مختلف كلياً يدعى حقيقيات النواة (Eukaryotes). ولقد استغلت البكتيريا حقيقيات النواة (كبيئات) لها، فضلاً عن استخدامها لها كوسائل لتعزيز انتشارها بشكل أوسع. وفي الواقع، تطورت حقيقيات النواة (Eukaryotes)

كنتيجة لسلسلة من التجمعات الحميمة داخل خلايا بدائيات النوى. يسمي علماء البيولوجيا هذه التجمعات المعايشة، ولكن حيث أن هذه التجمعات تؤدي إلى عمليات تواصل غير شفهية متنوعة، فإنه يمكن وصفها أكثر عموماً بأنها أشكال من الإشارات السيميائية البيولوجية (Semioses). بدأت هذه الإشارات السيميائية البيولوجية (Biosemioses) بين الكيانات البكتيرية منذ أكثر من ألف مليون سنة، وبالتالي فهي أصل كل عمليات التواصل.

تعتبر الحيوانات هي الأكثر تنوعاً من بين الكائنات الحية، من حيث الشكل ومن حيث تنوع وسائل تواصلها على حد سواء. يقدر عدد الأنواع الحيوانية ما بين نحو 3 ملايين إلى أكثر من 30 مليوناً. وبما أن سلوك كل نوع يختلف عن سلوك أي نوع آخر – وهي في معظمها نادراً ما يتم فهمها تماماً على أي حال – فسيكون من البديهي أن لا نعرض هنا، سوى عدد قليل من الملاحظات العامة حول هذه الكائنات.

تتواصل الحيوانات من خلال وسائل تواصل مختلفة أو من خلال مزيج من وسائل التواصل. وفي الواقع، يمكن أن تستغل أي شكل من أشكال امتداد الطاقة، لأغراض نقل الرسائل بينها. ويمكن أن نلمح هنا فقط إلى التشعبات المعقدة لهذه الرسائل. لنأخذ الوسائل الصوتية مثلاً كمجموعة واحدة من الدلائل على هذه التشعبات. بما أن انبعاث الصوت واستقباله كلي الوجود في التواصل الإنساني، فإنه من المستغرب كيف أن الصوت يندر في النظام الأشمل للوجود البيولوجي. في حقيقة الأمر، إن الغالبية العظمى من الحيوانات صماء وبكماء على حد سواء. وإن السمع السليم وإصدار الأصوات الوظيفية هما السائدان – على الرغم من أنهما بأي حال من الأحوال ظاهرتان عالميتان – فقط من بين شعبتي تصنيف الأحياء الاثنتين الأكثر تقدماً: المفصليات (اللافقريات) والحبليات (الفقريات) (التي ننتمي إليها أيضاً). من بين المفصليات، يفوق عدد الحشرات بكثير بقية كائنات المملكة الحيوانية. عند هذه الكائنات، نجد أن الصوت أكثر انتشاراً في الحشرات المستقيمة الأجنحة، بما في ذلك الجنادب، وخصوصاً السراعيف (جمل اليهود)، وفرس النبي، والصراصير، والزيزان، أو صنف نصفية الجناح (Homoptera). تمتلك هذه الكائنات الآليات الأكثر تعقيداً لإصدار الصوت من بين المفصليات،

ولديها أيضاً أجهزة سمع متطورة في مقدمة البطن. وتستخدم مغمدات الأجنحة، أو الخنافس، عدداً كبيراً من الأشكال الصاخبة. وبالمقابل، فإن استخدام الصوت هو بالأحرى نادر الحدوث بين الفصائل العنكبوتية، التي تشمل القراد، والعث، والعقارب، والعناكب.

عندما نصل إلى الفقاريات، من المفيد أن نميز ليس فقط بين التواصل الشفهي وغير الشفهي، وإنما أيضاً بين التواصل الصوتي وغير الصوتي، وأن نعرض بعد لمزيد من الفروقات مع تطور الأدوات. يبدو أن آلية انتقال الصوت، التي تعمل من خلال تيار هوائي يمر عبر الحبال الصوتية واضعاً إياها في حالة من الاهتزاز، تقتصر علينا نحن البشر، ومع بعض الفوارق، على أقرب الكائنات لدينا، أي الثدييات الأخرى، والطيور (الموهوبة بالمصفار)، والزواحف، والبرمائيات، وبالرغم من أن بعض الأسماك تستخدم الأدوات الهوائية كذلك، فإنها تفعل ذلك من دون القصب المكونة من الحبال الصوتية لدينا. ولحد علمنا، لا يوجد أداء صوتي حقيقي خارج إطار الفقريات الأرضية أو سلالاتها البحرية (مثل الحيتان).

يتواصل الناس عبر وسائل تواصل عديدة، وتشكل وسيلة التواصل الصوتية واحدةً فقط من هذه الوسائل. يمكن أن يكون التواصل الصوتي بيننا شفهياً وصوتياً على حد سواء، تماماً كما يحدث، بالطبع، وبشكل شائع جداً، عندما نتكلم. لكن ما يسمى بلغات الإشارة البديلة (انظر **لغات الإشارة [البديلة]**) التي تطورها باعثات/ مستقبلات الصوت لاستخدامها في المناسبات الخاصة أو في الأوقات التي لا يسمح فيها بالكلام أو يصبح فيها صعباً في ظروف خاصة، هي غير صوتية، على الرغم من أنها شفهية بشكل عام. تدخل في هذه الفئة لغات الإشارة الهندية الأميركية الشمالية والجنوبية، ولغات الإشارة لسكان أستراليا الأصليين كما هو الحال في المسرح الإيمائي أو في بعض أصناف الباليه. يمكن أيضاً أن يتم اختيار الإشارات الصامتة، بحريَة، تفضيلًا لها على الكلام عندما تكون السرية مطلوبة. على سبيل المثال، عندما يرغب ماسك البيسبول في الحفاظ على الضرب المستمر للكرة متجاهلاً النوع التالي من الرمي للكرة الذي يجب أن يقوم به، أو عندما يرغب المجرم في إخفاء رسائل معينة عن الشهود. أما لغات الإشارة الأكثر تعقيداً التي يتم اللجوء إليها من أجل الحفاظ على السرية فهي تلك التي تستخدمها الطوائف

الدينية أو الجمعيات السرية التي تهدف رموز الطقوس فيها إلى معالجة العلاقات الاجتماعية التي يصعب حلها بين أهل «الداخل» و«الغرباء».

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يكون التواصل الصوتي لدى البشر جسدياً أوغير فعلي. يمكن توضيح ذلك جيداً بإظهار التباين بين الطنين أو ما يسمى «كلام الصافرة»، التي يحدثها الجسم وحده، و«إشارة الطبل»، الذي يتطلب نوعاً من آلات النقر (أو على الأقل جذع شجرة). يتم نقل الرسائل الصوتية غير الشفهية – مع أو بدون كلام –عند كشفها، من وراء الأقنعة، من خلال شخصيات غير حية، مثل لعب الأطفال أو الدمى المتحركة أو من خلال الأشياء الأخرى المنفذة للأدوار. مرة أخرى، قد يكون التواصل السمعي الجسدي صوتياً، كصرخة مخيفة مثلاً، أو غير صوتي، كالطقطقة بالأصابع لاستدعاء النادل. بالإضافة إلى ذلك، فإنه تم تطوير التواصل غير الشفهي بالنسق الصوتي لدى البشر، في جميع المجتمعات المعروفة، بأدق تفاصيله وببراعة، إلى مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأداءات الموسيقية. قد تكون هذه الأخيرة مصحوبة بنص شفهي (كما في أغنية)، أو قد يتم ترنيمها بدون كلمات، أو قد يتم إنتاجها عبر جميع أنواع الآلات الموسيقية، أو قد يتم دمجها في عمل فني متعدد الأبعاد، وبالغ التعقيد، مثل الأوبرا. وهكذا، في حين أن مقدمة **دون جيوفاني** (*Don Giovanni*) (لموزار) (Mozart) هي محض لحن موسيقي سريع، فإن اللحن الثنائي الساحر بين دون (Don) وزيرلينا (Zerlina)، «Là ci da-rem la mano»، (الفصل الأول، المشهد 7) الذي يلي مباشرة سرداً شفهياً بحتاً (*Secco*)، ينكفئ على لحن منفرد ثم على أصوات متشابكة، تصل إلى ذروتها في إيماءة للمس الجسدي وقفز خلف الكواليس يشبه الرقص (أي 6/ 8 متر) بذراع متشابكة (...«Andiam, andiam mio bene»). وبما أن الأوبرا هي شكل من أشكال الفن التوفيقي بامتياز، فإن الرمز الموسيقي (لموزار)، مع النص الكلامي للأوبرا لـ «لورنزو دا بونتي» (Lorenzo da Ponte)، قد تم دعمه في هذا المشهد بحشد من الشيفرات الفنية غير الشفهية الإضافية، مثل الإيماء، والديكور، وخلفية المشهد المسرحي، والزي، والإضاءة، من بين الشيفرات الأخرى (كما هو حال الرقص، وفن الطبخ، وحتى فن النحت، في مواضع أخرى في الأوبرا ذاتها).

ربما تشتمل الأشكال الفنية الأقل تعقيداً إلى حد ما، ولكن المنصهرة نسبياً،

على أفلام صوتية. تتشارك هذه عادةً بما لا يقل عن أربعة شيفرات: إحداها بصري والثلاثة الأخرى سمعية، وهي تشتمل على الكلام، والموسيقى، والمؤثرات الصوتية. إن عروض السيرك البهلوانية، والتي يتم أداؤها من خلال ما لا يقل عن 5 شيفرات: السلوك الديناميكي للفنان، وسلوكه الاجتماعي، وزيه والأكسسوارات الأخرى، والمرافقة الشفهية، والمرافقة الموسيقية، ما زالت تمدنا بأداء فني مدمج آخر. يمكن أن نلمح هنا فقط إلى التعقيد المذهل للرسائل التي تولدها الأحداث المسرحية (رسالة هاملت (Hamlet): «طابق العمل مع الكلمة، والكلمة مع العمل» (Suit the Action to the Word, the Word to the Action) التي لا تقدم لنا سوى بداية متواضعة).

هناك نوع مهم آخر من التواصل غير الشفهي يجري أثناء قيادة الأوركسترا، والتي يمكن تعريفها بأنها تنطوي على تحريك الأوركسترا بأقل وأنسب إشارات الألحان الراقصة لتؤدي إلى أقصى حد ممكن من النتائج الصوتية. عند عرض الموسيقى في مسرحية ما، يتواصل قائد الأوركسترا ليس فقط مع أعضاء الأوركسترا ولكن أيضاً مع الجمهور الذي يحضر الحفل الموسيقي، وإن الحركات التي تؤديها أعضاء الجزء العلوي من جسمه – بما في ذلك اليدان والذراعان والكتفان والرأس والعينان –يتم فك شفرتها من قبل المشاهدين من خلال وسيلة الاتصال البصرية التي يحولها العازفون إلى صوت يتلقى الجمهور المنصت ترانيمه. (في غالب الأحيان ينطق قادة الأوركسترا بالكلمات).

لم يتم تحليل مزايا وعيوب مختلف وسائل التواصل بشكل كامل، ولكن يمكن عرض بعض البيانات عن التواصل الصوتي في هذا الصدد، والتي، مع تساوي بقية الأمور الأخرى، تنطبق على الحيوانات وبما فيها الإنسان. هناك عيب واضح، على عكس الآثار الجزيئية مثل الفيرومونات مثلاً أو الرسائل الكيميائية التي يدوم تأثيرها مع الوقت، وهو سمة سرعة زوال الصوت. للتصدي لهذا العيب، لجأ البشر في نهاية المطاف إلى الكتابة، وفي الآونة الأخيرة، إلى وضع جميع أنواع أجهزة تسجيل الصوت موضع الاستخدام. قد يفوق وزن هذا العيب أهميةً العديد من المزايا والحسنات التي تميز الصوت أكثر من أي وسيلة من وسائل الاتصال. أحد الأسباب هو أن الصوت مستقل عن الضوء، وبالتالي يمكن استخدامه ليلاً أو نهاراً.

السبب الآخر هو أن الصوت يملأ كامل الفضاء حول المصدر، وبالتالي لا يحتاج إلى خط مستقيم في الاتصال مع وجهته. كذلك يحتاج إصدار الصوت إلى كمية ضئيلة من الطاقة. عند معظم الحيوانات، يتم إصدار الصوت من الجسم فحسب – وعادةً، ليس هناك من حاجة لأي أداة. أما في حالة الإنسان، فيمكن تعديل طبقة الصوت وتصعيده من الهمس الحميم إلى الصراخ الذي يصل لمسافات بعيدة.

في الخلاصة، لا يمكننا الحديث عن السلوك الصوتي للفقريات إلا بشكل سطحي بسبب ضآلة ما هو معروف عنها. عند الأسماك، كما عند الحشرات، يبدو أن إصدار الصوت لا يحدث إلا بشكل متقطع. تتجمع الأسماك كلها تقريباً في مجموعات الأسماك ذات الهيكل العظمي، وتصنف أساليبها، كما يخبرنا هكسلي (Huxley)، إلى ثلاثة أنواع مختلفة: عن طريق صرير جزء واحد صلب مع جزء آخر (صرير أسنانها مثلاً)، وعن طريق إخراج الغاز (وهو نوع من أنواع التنفس)، أو بواسطة اهتزاز مثانتها الممتلئة بالغازات. بعض الأسماك تهسهس مثل القط، وبعضها يدمدم، وبعضها ينخر مثل الخنزير، والبعض الآخر ينق، ويشخر، أو يدندن، والبعض يخور، أو يخرخر، أو يطنطن، أو يصفر، أو حتى يحدث اهتزازاً مثل الطبل. وبطبيعة الحال تستطيع الأسماك أن تسمع (على الرغم من أن القوى السمعية الخاصة بها متفاوتة إلى حد كبير).

معظم البرمائيات غير قادرة على السمع، ونادراً ما تحدث أي صوت باستثناء إصدار صرير ضعيف، ولكن الضفادع والعلاجيم تعتبر صاخبة جداً وبأساليب متنوعة للغاية. أما قدرة الزواحف على السمع فهي أفضل بشكل عام؛ ولكن عدداً قليلاً منها يحدث أصواتاً (على الرغم من أن التماسيح تهدر وتنخر). تعبر الطيور بالأصوات، التي تصدرها أو تتلقاها، ولكن، بشكل أكثر شمولاً من ذلك، من خلال ما يسمى العروض – وهي أنماط حركية تتضمنها عملية التواصل – التي تضم أيضاً حركات بصرية ووضعيات. تحدث الطيور تشكيلة ضخمة من الأصوات، بدءاً من النداءات القصيرة الأحادية المقطع، إلى المتواليات الطويلة المعقدة، ونعني بها الترانيم. يمكن لبعض الطيور أن تعيد إصدار، أو بعبارة أخرى أن «تقلد ببغائياً»، بأمانة أكثر أو أقل، أصواتاً من بيئتها، مثل أصوات الأنواع الأخرى، وبخاصة حتى أصوات الكلام. إن أنظمة التواصل عند

الطيور، والتي تمت دراستها بشكل جيد لقرون عديدة، غير متجانسة إلى حد بعيد، بحيث أنه لا يمكن تداولها بالشكل المناسب هنا. ولا بد أن نقول الشيء نفسه عن عروضها المرئية المتعددة الأنواع، والمبهرة في كثير من الأحيان – والتي هي عبارة عن أنماط حركية نمطية – تستعمل خلالها ريشها المذهل في بعض الأحيان (عند الطاووس أو طيور الجنة على سبيل المثال)، وقوامها (كما هو الحال عند عصفور العريشة).

أما الثدييات، فلديها أجهزة سمعية متطورة وتعتمد على حاسة السمع أكثر من أعضاء أي مجموعة أخرى من الكائنات، ولكنها أيضاً، وكالعديد من الطيور، تتواصل بالطرق اللاصوتية، في حال كان ذلك التواصل يجري بشكل متقطع. وهناك مثال مألوف على ذلك وهو السلوك الطبلي (إصدار أصوات إيقاعية تشبه صوت الطبل) لدى الغوريلا، التي تصدر أصواتها من خلال قبضاتها المطبقة والضاربة على صدرها. إن تحديد الموقع عن طريق الصدى (Echolocation) هو عبارة عن ظاهرة يكون فيها الباعث والمتلقي لسلسلة من الأصوات هو نفس الكائن، وتوجد هذه الظاهرة عند الخفافيش وكذلك عند الثدييات البحرية، مثل بعض الأنواع المعينة من الحيتان والدلافين. (لم يتم بعد إثبات قدرة الناس المكفوفين على اجتياز المسافات عبر تحديد الموقع بالصدى). بعض الفقريات مثل الجرذان، والفئران، والجرابيع، والفئران البيضاء تتواصل بالنداءات فوق الصوتية في مجال صوتي يتراوح ما بين غير المسموع والمسموع طبيعياً لدى الإنسان العادي. (على سبيل المماثلة، يبدو أن اللون ما فوق البنفسجي هو اللون الأكثر فعالية لدى لنحل الاجتماعي، وهو طيف يفوق قدرة الإنسان على الرؤية من دون مساعدة).

جميع الحيوانات الآكلة للحوم (القطط والكلاب والضباع... إلخ). وكذلك جميع الرئيسيات، بما في ذلك الحيوانات الأقرب إلى الإنسان، أي القرود، تنطق أنغاماً أكثر أو أقل حيويةً. لكن طرق الأداء التي تميز هذه المخلوقات غنية ومتنوعة جداً – بدءاً من إنسان الغاب الصامت نسبياً حتى الجبون «الغناء» المتنوع صوته جداً وبشكل لافت للنظر – لدرجة أننا يمكن أن نحتاج إلى مجلد كامل في وصفها. وبدلاً من محاولة وضع وصف تصويري لهذه الحيوانات هنا، يجدر التأكيد على أن القردة البرية لا تتواصل شفهياً، وأنه، علاوة على ذلك، حتى المحاولات المضنية

لغرس فكرة وجود أي مظهر من مظاهر اللغة الطبيعية عند القردة الأسيرة، خلافاً للمزاعم الملحة في وسائل الإعلام – قد باءت بالفشل بدون استثناء.

ولقد انتقدت محاولات تعليم مهارات شبيهة باللغة للقردة أو أي حيوانات أخرى (مثل الحيوانات البحرية الأسيرة أو الطيور الأليفة) إلى حد بعيد على أساس أن تأثير هانز الذكي (Clever Hans)، أو المغالطة، قد تمت مناقشتها مسبقاً ربما. وبما أن لهذه الظاهرة مضامين عميقة (بين مزدوجات أخرى ممكنة) في إطار التواصل الإنساني–الحيواني بجميع أنواعه، فإنه يبدو أنها يجب أن تؤخذ بالحسبان هنا. باختصار، حدثت القصة في برلين في مطلع هذا القرن، حين اشتهر حصان يدعى هانز (Hans)، بقدرته على القيام بعمليات حسابية وأداء أعمال شفهية مثيرة للإعجاب نسبياً، وذلك من خلال إجابته بطريقة غير شفهية على أسئلة منطوقة أو مكتوبة موجهة إليه، وذلك عبر نقر الإجابات الصحيحة بقدمه. في النهاية، أثبتت الاختبارات المفصلة والمدروسة أن الحصان كان في الواقع يرد على التلميحات غير الشفهية التي يمررها السائل له بعفوية وبدون دراية. ومنذ ذلك الحين الذي تم فيه إثبات كيف أن التلميحات غير المقصودة يمكن أن تؤثر على التجربة التي يتم إجراؤها على سلوك الحيوانات، حاول العلماء المسؤولون والمتنبهون استبعاد الثبات الخادع لهذا التأثير، إلى حد بعيد أحياناً. وتبين فيما بعد أن هناك شكلين مختلفين من مغالطة هانز الذكي (Clever Hans)، تلك المستندة إلى خداع النفس، والذي انغمس فيه مالك/ مدرب هانز والمستجوبون الآخرون، وتلك العروض – مع «الخيول الأعجوبة»، «الكلاب المتكلمة»، الخنازير أو الإوز «الفطنة»– المستندة على الخداع المتعمد، والتي يقوم بها السحرة و«الفنانون» العامون المشتركون معهم (ولقد تم وصف هذه المغالطات على مدى قرون عديدة). وهكذا فإن الإشارات غير الشفهية الخادعة تعم عالم الحيوانات والبشر. عند الحيوانات، تعرف الأشكال الأساسية للخداع غير المتعمد بالمحاكاة. وتستخدم هذه العبارة عادةً لتشمل محاكاة النماذج الخطرة من قبل مقلدين غير خطرين بلغة الإشارات المرئية أو المسموعة، أو الروائح الكريهة، وذلك لخداع الحيوانات المفترسة. أما عند البشر، فقد تمت دراسة الاتصالات الخادعة في الحياة اليومية من قبل علماء النفس، وعلى المسرح من قبل السحرة المحترفين. لتحقيق هذه الخدع، تستخدم أجزاء الجسم المختلفة بشكل كاذب، منفردة أو مجتمعة؛ وهي تشمل نظرةً محدقةً،

اتساعاً لحدقة العين، دموعاً، غمزات، تعابيراً للوجه، ابتسامة أو عبوساً، حركةً، وقفةً، وصوتاً... إلخ.

حتى الآن، وبشكل رئيسي لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن نأخذ بعين الاعتبار الأحداث الصوتية لوحدها ونهمل غيرها من وسائل الاتصال التي يمكن من خلالها تشفير الرسائل غير الشفهية، ومن بين هذه الوسائل الأخرى نذكر الوسائل الكيميائية، والبصرية، والحسية، والكهربائية، والحرارية، أو غيرها. وتسبق وسيلة الاتصال الكيميائية كل الوسائل الأخرى في التطور وهي كلية الوجود في جميع الكائنات الحية. فالاتصال الجرثومي مثلاً هو كيميائي على وجه الحصر.

تتفاعل النباتات مع النباتات الأخرى عبر وسيلة الاتصال الكيميائية، ومع الحيوانات (وخاصة الحشرات، مع أنها تتواصل مع البشر أيضاً)، بالوسائل البصرية بالإضافة إلى وسائل الاتصال المعتادة عن طريق الاحتكاك. في حين لا يمكن استكشاف المزيد عن التفاعلات التي تجري خلال التواصل النباتي (ويعرف هذا التواصل تقنياً باسم علم الإشارة عند النبات (Phytosemiosis))، على الأقل يجب ذكر اثنين من المجالات المهمة ذات الصلة بهذا التواصل، الأداة السيميائية الثانوية الممتعة لتنسيقات الزهور، والنطاق الواسع للحدائق كبناء سيميائي أساسي غير شفهي. إن الحدائق الشكلية، وحدائق المناظر الطبيعية، وحدائق الخضروات، وحدائق المياه، وحدائق المرجان، وحدائق «**زن**» هي كلها إبداعات غير شفهية ملفتة للأنظار، تتم زراعتها بأشكال مختلفة، من جزر التروبرياند (Trobriands) لمالينويسكي إلى اليابانية التقليدية (Kare Sansui) (التي تعني الحديقة الجافة)، إلى الأراضي الإسلامية، والصين، ولا سيما كذلك، فرنسا وإنجلترا.

تستخدم الرائحة (حاسة الشم، العطر، العبير الطيب) لأغراض التواصل وبشكل حاسم، من قبل أسماك القرش والقنافذ، والحشرات الاجتماعية مثل النحل، والنمل الأبيض، والنمل، والثدييات الاجتماعية مثل الذئاب والأسود. وهي أقل أهمية عند الطيور والرئيسيات التي تعتمد بشكل كبير على البصر. في المجتمعات الحديثة، وفي الحقيقة تم استثمار الروائح تجارياً في الإدارة الشمية للسلع الغذائية وأدوات الزينة، قلقاً من رائحة الجسم المثيرة للاشمئزاز ورائحة منتجات التبغ. إضافةً إلى أن العطور ترتبط دائماً بمشاعر الحب وفحولة القدرة الجنسية.

يمكن أن يكون الجسم في حد ذاته أداةً رئيسية للتواصل، سواءً أكان شفهياً أو غير شفهي. وهكذا، ومن المعروف جيداً لدى الحيوانات أن القطط والكلاب تلجأ إلى إستخدام أجسامها للتعبير عن الخضوع والتخويف، وكذلك تم تصويرها في كتاب تشارلز داروين (Charles Darwin) الذي يتحدث عن التعبير عن المشاعر (The Expressions of the Emotions) عام 1998، في الصور 5–8 (الكلاب)، والصور 9 –10 (القطط). وهناك العديد من الصور الإيضاحية البارزة في الدليل الميداني لـ ديزموند موريس (Desmond Morris) عام 1977 والصور التي جمعتها ويلدون كيس (Weldon Kees) (Ruesch and Kees 1956) عن كيفية جلب الإطار الإنساني إلى التمثيل المعتاد. وإن المصارعة المحترفة هي تسلية شعبية تتخفى كرياضة لتبرز اثنين أو مجموعة من الأجسام المتلوية، التي تئن وتنخر، متظاهرةً بذلك في مسرحية شبه أخلاقية للتنافس على انتصار الخير في مقابل الشر، حيث يتفاعل اللاعبان مع بعضها البعض، ولكن، والأهم من ذلك، يتواصلان مع جمهور حي. إن أداءً مثل هذا يختلف عن المباريات المشروعة مثل الملاكمة والمصارعة الجماعية، أو أنواع الرياضة مثل مباريات التنس، والمباريات الجماعية، مثل كرة القدم ولعبة الكرة والمضرب، في أن نتائج هذه المباريات نادراً ما تكون معلقة.

ويعتبر الرقص أحد أشكال الفن المتطورة التي يمكن أن تعبر عن الفكر الإنساني والشعور، بواسطة الجسم، في أنواع أدبية عديدة وفي العديد من الثقافات. أحد هذه الأنواع هو رقص الباليه الغربي، الذي يمزج، مع متواليات باليد والأطراف، تبادلات حركية وحركات جسم منسابة ومجموعة من البروتوكولات غير الشفهية الأخرى التي تحاكي بعضها البعض، مثل الموسيقى، والأزياء، والإضاءة، والأقنعة، والديكور، والشعر المستعار، وما إلى ذلك. وعادة ما يرافق الرقص والموسيقى فن التمثيل الإيمائي أو العروض الصامتة. ويقوم المهرجون الصامتون وممثلو الحركات الإيحائية بتكملة حركات جسمهم عن طريق استخدام الزي والماكياج المسرحي المناسبين.

تشكل تعابير الوجه، والتجهم، والشفة الملتفة، والحاجب المنتصب، والبكاء، والمنخر المتوهج، نظام تواصل عالمي قوي، في الغناء الفردي أو في الحفل الموسيقي. يمكن لعمل العين، بما في ذلك التحديق والتحديق المتبادل،

أن يكون ضليعاً بشكل خاص في فهم مجموعة من الفقريات العادية، وكذلك في فهم السلوك الاجتماعي البشري. على الرغم من أنه تمت مراقبة استجابة حدقة العين، لوحظ منذ العصور القديمة، أن هذه الدراسة تطورت في العقدين الماضيين إلى مجال واسع من البحث، يدعى قياس الحدقة. ومنذ زمن طويل، كانت هناك قاعدة غير مصرحة لدى مدربي حيوانات السيرك وهي مراقبة حركات الحدقة للحيوانات الذين تقع مسؤوليتها على عاتقهم، للنمور على سبيل المثال، للتأكد من تغير مزاجها. تشير التقارير إلى أن الدببة، على العكس من ذلك، «لا يمكن التنبؤ بها»، ومن هنا خطورة ذلك لأنها، على وجه التحديد، تفتقر إلى القدرة على إبراز الحدقة، بسبب خطمها غير المرن، وبالتالي لا يمكن أن «تبرق» أو تنقل إمكانية حدوث هجوم وشيك. في الواقع، وفي العلاقات الشخصية الإنسانية بين الأزواج، يعتبر التوسع في حجم حدقة العين بمثابة رسالة غير قصدية تنتقل إلى الشخص الآخر (أو الشيء) لتعبر غالباً عن رغبة جنسية متناغمة قوية.

تتوفر العديد من القواميس الضخمة، والمعاجم، والكتيبات، والمراجع والدلائل التي تفسر وتوضح تصميم ومعنى العلامات التجارية، والشعارات، والعلامات المميزة، والإشارات، والرموز، والعلامات الأخرى (بالمعنى الحرفي الملموس)، بما في ذلك العلامات الضابطة للكلام مثل النص المكتوب والتنقيط، والعلامات الرقمية، والرموز الصوتية، والتوقيعات، والعلامات التجارية، والشعارات، والعلامات المائية، وأجهزة الإنذار، والعلامات الفلكية، وعلامات الخيمياء (الكيمياء القديمة)، والعلامات الصوفية والسحرية، والتعويذات، والعلامات التقنية والعلمية (كما في الكيمياء)، والصور التوضيحية، وصور أخرى من هذا القبيل، إذ يستخدم الكثير منها على نطاق واسع في مجال الإعلان. كما أن العلامات التنظيمية (ممنوع التدخين)، وإشارات الاتجاه المتواجدة في المطارات (مراقبة جوازات السفر، الرجال، النساء)، أو في المستشفيات (طب الأطفال)، وإشارات الطريق الدولي (ممنوع المرور) عادةً ما يتم استكمالها بالرموز تحت ضغط الحاجة للتواصل في حال وجود الحواجز اللغوية، وبعض الإعاقات الجسدية، أو العاهات المشابهة لها.

إن التفرعات (المتاحة) للاتصالات البصرية في عالم الحيوانات والإنسان لا

حدود لها، وهناك حاجة إلى دراستها بشكل منفصل. هكذا علوم مثل علم الفلك والفنون البصرية برزت جليةً وبشكل طبيعي ورئيسي منذ عصور ما قبل التاريخ من خلال وسيلة التواصل البصري. إن التغيرات التي تحدث في جسم الإنسان ومظهره الجسدي، (غير الدائمة)، مثل الرسم على الجسم، أو الماكياج المسرحي، أو خدمة الشعر الروتينية، إلى تحولات شبه دائمة، بفضل مجموعة من الإجراءات مثل نحت الجسم، قدم اللوتس (Lotus Foot) الصينية الماضية أو عادات «الرباط المحكم» (Tight Lacing) الغربية؛ والتبتيك (تشويه الأعضاء التناسلية للأنثى)، والتَنَدُّب، أو الوشم؛ وبشكل أعم، الجراحة التجميلية، كلها تنقل رسائل - في كثير من الأحيان، مثل إعادة البناء والتشكيل، وهي تجميلية القصد، في حجم الثدي لدى الإناث - من خلال وسائل غير شفهية. ولقد كان القصد وراء فن رسم المومياء في مصر الرومانية تقديم بدائل للرأس الذي يتم من خلاله تسهيل التواصل الصامت لشخص ميت أثناء انتقاله أو انتقالها إلى العالم الآخر.

هناك مجموعة متنوعة ومثيرة للاهتمام في سلوك التواصل الإنساني غير الشفهي المنتقل، وهي تعتبر شكلاً غريباً من المقايضة، المعروفة منذ أيام هيرودوتس (Herodotus) ولا تزال هناك روايات منقولة عن أمثلة حديثة منها يسميها الإنثوغرافيون «التجارة الصامتة». وعادة لا تدخل في هذه التجارة وسائل التواصل المباشرة. ما يحدث هو شيء من هذا القبيل: يأتي فريق من فريقي الصفقة التجارية، فيترك البضاعة في مكان متفق عليه مسبقاً، ثم ينسحب إلى مكان مشرف مخفي حيث يراقب دون أن يراه أحد، أو ربما لا. ثم يظهر الفريق الآخر ويتفقد السلعة. وإذا رضي باللقية، يترك كمية مماثلة من بعض الأصناف التجارية الأخرى.

إن دراسة الترتيبات الجسدية المكانية والزمانية (التي تسمى أحياناً مبحث التداني (Proxemics)) في العلاقة الشخصية، والأبعاد المناسبة لقفص ما في حديقة الحيوان أو لزنزانة في السجن، وتصميم المكاتب، والصفوف الدراسية وأجنحة المستشفيات، ومعارض المتاحف وصالات العرض، وأعداد لا تحصى من التصميمات المعمارية الأخرى - تنطوي على دراسة أكسيولوجيا (علم دراسة القيمة) الحجم والمدة. فالخريطة هي تمثيل بياني للمحيط، وتحتوي على عناصر تصويرية أو أيقونية وعناصر غير تصويرية أو رمزية، تتراوح من بعض الأشكال

البسيطة إلى المخططات المعقدة للغاية أو الرسوم البيانية أو غيرها من المعادلات الرياضية. وكذلك تحتوي جميع الخرائط على فهرس. ويتراوح مجالها من المحلي، مثل الصورة المحلية المتعددة الألوان والمعروفة جداً لمترو أنفاق لندن، إلى اللوحة المعدنية القائمة بين المجرات على المركبة الفضائية بيونير 10 المسرعة في طريقها للخروج من نظامنا الشمسي. جميع الكائنات الحية تتواصل عن طريق استخدام النماذج (البيئات (Umwelts)، أو عوالم الذات، كلٌ وفقاً للأعضاء الحسية الخاصة بكل نوع بيولوجي) من أبسط التمثيلات لمناورات التقارب والانسحاب إلى النظريات الكونية الأكثر تعقيداً لنيوتن وآينشتاين. ومن الجيد هنا التذكير بأن آينشتاين أعاد أصلاً بناء نموذجه للكون من علامات غير شفهية «من النوع البصري والبعض من النوع العضلي». حيث أنه كتب إلى زميل له في العام 1945:

لا يبدو أن الكلمات أو اللغة، كما هي مكتوبة أو منطوقة، تلعب أي دور في آليتي الفكرية. إن الكيان المادي الذي يبدو بمثابة عناصر في الفكر هو عبارة عن علامات معينة، وصور أكثر أو أقل وضوحاً يمكن أن تكون مستنسخة ومتكتلة «طوعاً».

في وقت لاحق، «فقط في مرحلة ثانوية»، وبعد عمل طويل وجاد ليحول البناء غير الشفهي إلى «كلمات اصطلاحية وعلامات أخرى، كان آينشتاين قادراً على التواصل مع الآخرين» (انظر Hadamard 1945).

مراجع إضافية:

بما أن جميع الكائنات الحية تتواصل بطريقة غير شفهية، فإن أدبيات هذا الموضوع ككل هي كونية. لذلك، فإنه تم تحديد المراجع التالية على نحو اعتباطي في مدخل إنجليزي واحد للمواضيع الرئيسية التي نوقشت في هذه المقالة. ولقد تم عرض لائحة المواضيع بالترتيب الأبجدي.

لغات الإشارة البدائية

Umiker-Sebeok, J. and Sebeok, T. A. (eds) (1978) *Aboriginal Sign Languages of the Americas and Australia*, vols I and II, London: Plenum.

(سلوك الحيوانات الصوتي الفيزيائي)

Busnel, R.-G. (ed.) (1963) *Acoustic Behaviour of Animals*, London: Elsevier.

الألعاب البهلوانية (والثقافة: مقاربة سيميائية)

Bouissac, P. (1985) *Circus and Culture: A Semiotic Approach*, London: University Press of America.

(خلق الإعلان المؤثر باستخدام السيميائية)

Nadin, M. and Zakia, R. D. (1994) *Creating Effective Advertising Using Semiotics*, New York: Consultant Press.

(كيف تتواصل الحيوانات)

Sebeok, T. A. (ed.) (1977) *How Animals Communicate*, Bloomington, IND: Indiana University Press.

(لغة الحيوان: كيف تتواصل الحيوانات)

Huxley, J. and Koch, L. (1938) *Animal Language: How Animals Communicate*, New York: Grosset and Dunlap.

(مقالات في سيمياء الحيوانات)

Sebeok, T. A. (1990) *Essays in Zoosemiotics*, Toronto: Toronto Semiotic Circle Monograph Series No. 5.

(كلام) القردة

Sebeok, T. A. and Umiker-Sebeok, J (eds) (1980) *Speaking of Apes: A Critical Anthology of Two-Way Communication with Man*, London: Plenum.

(علم) البكتيريا (الجديد)

Sonea, S. and Panisset, M. (1983) *A New Bacteriology*, Boston, MA: Jones and Bartlett.

(استعراض وسلوك الطير)

Armstrong, E. A. (1965) *Bird Display and Behaviour*, New York: Dover.

أغنية الطير

Catchpole, C. A. and Slater, P. J. B. (1995) *Bird Song: Biological Themes and Variations*, Cambridge: Cambridge University Press.

(ظاهرة) هانس الذكي:

Sebeok, T. A. and Rosenthal, R. (eds) (1981) *The Clever Hans Phenomenon: Communication with Horses, Whales, Apes, and People*, Annals of the New York Academy of Sciences, vol. 364, New York: Academy of Sciences.

(لغة) الملابس

Lurie, A. (1981) *The Language of Clothes*, New York: Random .House

التواصل (بالإشارة هو فقط إشارة)

Sebeok, T. A. (1991) «Communication», in *A Sign Is JustA Sign*, Bloomington, IND: Indiana University Press, pp. 22-35.

القيادة

Schuller, G. (1997) *The Compleat Conductor*, London: Oxford University Press.

الرقص (البشري: نظرية في الاتصال اللالفظي)

Hanna, J. L. (1979) *To Dance Is Human: A Theory of Nonverbal Communication*, London, University of Texas Press.

الخداع

Schiffman, N. (1997) *Abracadabra! Secret Methods Magicians and Others Use to Deceive Their Audience*, Amherst, MA: Prometheus Books.

(نظام) تحديد الأمكنة عن طريق الصدى (الحيواني)

Busnel, R.-G. and Fish, J. F. (1980) *Animal Sonar Systems*, London: Plenum.

(مقال في علم نفس الاختراع في الرياضيات)

Hedamard, J. (1945) *An Essay on the Psychology of Invention in the Mathematical Field*, Princeton: Princeton University Press.

(التعبير عن) العواطف (عند الإنسان والحيوان)

Darwin, C. (1998) *The Expression of the Emotions in Man and Animals*, Introduction, Afterword and Commentaries by P. Ekman, New York: Oxford University Press.

علم دراسة الإشارات الداخلية

Uexküll T. von et al. (1993) «Endosemiotics», *Semiotica* 96: 5-51.

(حول) الوجوه

Landau, T. (1989) *About Faces*, New York: Doubleday.

(اللغة والسينما)

Metz, C. (1974) *Language and Cinema*, The Hague: Mouton.

(ماذا تعني) الحدائق

Ross, C. (1998) *What Gardens Mean*, London: University of Chicago Press.

التحديق (والتحديق المتبادل)

Argyle, M. and Cook, M. (1976) Gaze and Mutual Gaze, Cambridge: Cambridge University Press.

الحركات (أو الإيماءات: أصولها وتوزيعها)

Morris, D. et al. (1979) *Gestures: Their Origins and Distribution*, New York : Stein and Day.

(اليد والعقل: ماذا تكشف الإيماءات حول الفكر)

McNeill, D. (1992) *Hand and Mind: What Gestures Reveal about Thought*, Chicago: University of Chicago Press.

(الإشارات قبل الكلام)

Trevarthan, C. (1990) «signs before speech», in T. A. Sebeok and J. Umiker-Sebeok (eds), *The Semiotic Web 1989*, Berlin: Mouton de Gruyter, pp. 689-755.

الكذب (مفاتيح الخداع في السوق، والسياسة والزواج)

Ekman, P. (1985) *Telling Lies: Clues to Deceit in the Marketplace, Politics, and Marriage*, London: W. W. Norton.

مشاهدة الإنسان

Morris, D. (1977) *Manwatching: A Field Guide to Human Behaviour*, London: Jonathan Cape.

الخرائط

Turnbull, D. (1989) *Maps Are Territories: Science is an atlas*, Chicago: University of Chicago Press.

النمذجة (السيميائية)

Anderson, M. and Merrell, F. (eds) (1991) *On Semiotic Modeling*, Berlin: Mouton de Gruyter.

(لغات الإشارة الرهبانية)

Umiker-Sebeok, J. and Sebeok, T. A. (eds) (1987) *Monastic Sign Languages*, Berlin: Mouton de Gruyter.

(سماع) الموسيقى

Wright, C. (1996). *Listening to Music*, St. Paul/ Minneapolis: West.

(سيمياء) الأشياء

Krampen, M. (1995) «Semiotics of objects», in T. A. Sebeok and J. Umiker-Sebeok (eds), *Advances in Physical Semiotics*, Berlin: Mouton de Gruyter, pp. 515-535.

(وسائل سيميائية: الدمى المتحركة، الاقنعة، ووسائل الإنجاز)

Proschan F. (ed.) (1983) *Puppets, Masks, and Performing Objects from Semiotic Perspectives, Semiotica* 47: 1-361.

(العزف على البيانو)

Rosen, C. (1999) «On playing the piano», *New York Review of Books* 46 (16): 49-54.

(المفاهيم) التصويرية

Sonesson, G. (1989) *Pictorial Concepts: Inquiries into the Semiotic Heritage and its Relevance for the Analysis of the Visual World*, Lund: Lund University Press.

(سيميائيات) النباتات

Krampen, M. (1994) «Phytosemiotics», in T. A. Sebeok (ed.), *Encyclopedia Dictionary of Semiotics*, Berlin: Walter de Gruyter, pp. 726-730.

(مبدأ القرب: الأنثروبولوجيا الحالية)

Hall, E. T. (1968) «Proxemics», *Current Anthropology* 9: 83-108.

(علم نفس استجابة التلمذة)

Janisse, M. P. (1977) *Pupillometry: The Psychology of the Pupillary Response*, London: John Wiley.

إشارات المرور

Krampen, M. (1983) «Icons of the road», *Semiotica* 43: 1-204.

الكيمياء الإشارية: (للثديات): (تحريات كيمياء الإيماءات بين الثديات)

Albone, E.S. (1984) *Mammalian Semiochemistry: The Investigation of Chemical Signals between Mammals*, Chichester: John Wiley.

(علم الإشارات ولغات الإشارة البشرية)

Stokoe, Jr., W. C. (1972) *Semiotics and Human Sign Languages*, The Hague: Mouton.

الإشارات والرموز

Frutiger, A. (1989) *Signs and Symbols: Their Design and Meaning*, New York: Van Nostrand Rheinhold.

(التاريخ الثقافي للرائحة)

Classen, C. et al. (1994) *Aroma: The Cultural History of Smell*, London: Routledge.

(مجسات حرارة الجسم: تشريح مفاصل الحالة الاجتماعية البشرية والسلوك)

Guthrie, R. D. (1976) *Body Hot Spots: Anatomy of Human Social Organs and Behavior*, New York: Van Nostrand Reinhold.

الفضاء (الشخصي)

Sommer, R. (1969) *Personal Space: The Behavioral Basis of Design*, Englewoods Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

بدائل الكلام

Sebeok, T. A. and Umiker-Sebeok, J. (eds) (1976) *Speech Surrogates: Drum and Whistle Systems*, vols I and II, The Hague: Mouton.

(تغير الجسد: فن وثقافة الوشم)

Sanders, C. R. (1989) *Customizing the Body: The Art and Culture of Tattooing*, Philadelphia: Temple University Press.

(سيمياء) المسرح

Carlson, M. (1990) *Theatre Semiotics: Signs of Life*, Bloomington, IND: Indiana University Press.

(الاتصال اللالفظي: ملاحظات حول)

Ruesch, J. and Kees, W. (1956) *Nonverbal Communication: Notes on the Visual Perception of Human Relations*, Berkeley, CA: University of California Press.

(عالم) المصارعة

Barthes, R. (1973) «The world of wrestling», in *Mythologies*, trans. A. Lavers, London: Paladin.

الفصل الثاني

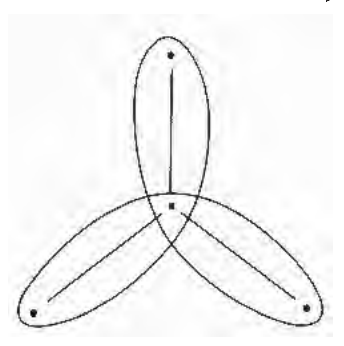
مفهوم تشارلز ساندرز بيرس للإشارة فلويد ميريل

كيف تحدث الإشارات؟

في أبسط أشكالها، تم تعريف إشارة بيرس(Peircean Sign) على أنها شيء ما يتصل بشيء آخر لشخص ما في اعتبار ما أو قدرة ما. الآن في هذه المرحلة أخشى أن يكون وضوح هذا الكلام كوضوح الطين. من الواضح جداً، أن مهمتي الأولى هي توضيح جوهر هذا التعريف بقدر ما أنا قادر على فعل ذلك في صفحات قليلة موجزة. تبين الإشارة عند بيرس وجود ثلاثة عناصر (الشكل 1.2). ما يعرف عادةً بالإشارة في المحادثات اليومية (الذي) يسميه بيرس (Representamen) أو المشير. ولقد قام بيرس بذلك من أجل التمييز بين المشير والمكونين الآخرين للإشارة، الذين، كما سنلاحظ، يمكن أن يصبحا إشارتين في حد ذاتهما. فالمشير هو الشيء الذي يدخل في علاقة مع موضوعه أو الشيء الذي يمثله أي المشار إليه، والذي هو بدوره العنصر الثاني للإشارة. سوف أشير إلى الشيء الذي يتم تمثيله (عند بيرس) بعبارة «الشيء السيميائي» أو المشار إليه، لأنه ذلك الشيء يتعلق بالإشارة. فالمشار إليه السيميائي لا يمكن أبداً أن يكون مطابقاً للشيء «الحقيقي»، لأنه وفقاً لرأي لبيرس، معرفتنا ليست مطلقة بأي شكل من الأشكال. إذ لا يمكن أن تكون معرفتنا أكثر من تقدير تقريبي لما هو عليه عالم «الحقيقية» بالضبط أو، على وجه التفضيل، لما سوف يؤول إليه. وبالتالي، وفي طريقة للتعبير عنه، فإن «الشيء الحقيقي المشار إليه

سيميائياً» والذي نشمه، ونتذوقه، ونلمسه، ونسمعه، ونراه ليس مطابقاً لـ«الشيء الحقيقي حقيقةً» ونحن ببساطة لا يمكن أن نعرف ما سيؤول إليه العالم: فعقولنا محدودة جداً، بالإضافة إلى كونها دقيقة جداً ومعقدة. وبناءً على ذلك، لا يمكن معرفة هذا «الشيء الحقيقي» كليةً مرةً واحدة وبصورة نهائية، إذ لا يمكن أن يكون أبداً أكثر من الشيء «الحقيقي المشار إليه سيميائياً» لمفسريه أو مترجميه. أما العنصر الثالث للإشارة فهو المفسر أو المترجم (Interpretant) (ترجمة أو أداة إيضاح العلاقة بين المشير والمشار إليه). وهو على وجه التقريب وبما يكفي لغرضنا من هذه الدراسة، يتعادل مع ما يمكن أن نأخذ به كمعنىً للإشارة. فالمترجم يتصل بالمشير والمشار إليه السيميائي ويتوسط ما بينهما بطريقة تحدث ترابطاً بينهما في نفس الوقت وفي نفس الطريقة التي يُدخل فيها نفسه في علاقة متبادلة معهما.

مفهوم بيرس للإشارة



الشكل 1.2: إشارة بيرس.

ما أعنيه بالوساطة هو أن مكون الإشارة يعمل كوسيط بين عنصري الإشارة الآخَرين. في عمل الوساطة هذا، الأكثر انتشاراً لدى المترجم للإشارة، يتشارك مكون الإشارة مع قرينيه الاثنين بطريقة تدخل فيها المكونات الثلاث في علاقة تبعية متبادلة تترابط فيها ببعضها البعض. يجب أن يكون لدى الإشارة المكتملة مشيراً، مشاراً إليه، وأداةً لتوضيح الصلة بين المشار والمشار إليه أو لتوضيح معنى الإشارة، وكل واحد من مكونات الإشارة هذه يجب أن يترافق مع المكونين الآخرين. وإلا فلا يمكن الحديث عن وجود إشارة. إذا جلست إلى مائدة العشاء، وكالعادة كان أمامك على الأقل سكين، وشوكة وملعقة. تقطع شريحة اللحم بالسكين، تتناول حساءك بالملعقة، وتمسك الخضار بالشوكة. كل واحدة من هذه

الثلاثة ضرورية في تهيئة أواني الطعام لديك. خذ أياً منها بعيداً وتخيل أن عليك إما أن تشرب حساءك، أو أن تلتقط شريحة اللحم بشوكتك، وتقتطع لقمات منها، أو أن تدفع باللوبياء إلى ملعقتك بإصبعك.

وهذا يعني، أنه في ثقافتك، إلا إذا كنت تأكل على عجلة أو في نزهة أو بطريقة من هذا القبيل، تتوقع عادةً أدواتٍ ثلاث لالتهام الدهن اليومي والكوليسترول: السكين، الشوكة، والملعقة .تتهيأ بالملعقة للبدء. تبسط الزبدة بالسكين على الخبز. تغرز الشوكة في الجزرة الصغرى. هل هذه ثلاث عمليات مختلفة؟ ليس كذلك بالفعل. في الوقت نفسه، هذه جميعها جزء من عملية واحدة: تناول الطعام. في ضوء هذه الاستعارات المطبخية المبتذلة إلى حد ما، فيما يخص الإشارة، نختبر المشير (representamen). فهو يوجه انتباهنا إلى المشار إليه السيميائي. ثم نحصل على نوع من المعنى، المترجم للإشارة، كنتيجة لترابط المشير مع المشار إليه السيميائي وترابطهما الخاص مع معنى الإشارة.

كما ذكرت أعلاه بطريقة غامضة إلى حد ما، يمكن لكلٍ من العناصر الثلاثة للإشارة أن تصبح أياً من العنصرين الآخرين، وهذا يتوقف على الظروف. على سبيل المثال، يمكن للمشير أن يكون صورةً كاريكاتورية لونستون تشرشل (Win-ston Churchill) موجودة في كتاب للتاريخ. يمكن أن يكون المشار إليه السيميائي تشرشل في يالطا، روسيا، في العام 1945، عندما كان يجلس مع ف. د. روزفلت (F. D. Roosevelt) وجوزيف ستالين (Josef Stalin). إن أداة توضيح العلاقة بين المشير والمشار إليه أو معنى الإشارة تتكون من العلاقة بين الكاريكاتور والشخصية الحقيقية التي تمت السيطرة عليها في حدث تاريخي تهتز له الكرة الأرضية. هذا الحدث يساعدنا على استنتاج المعنى من الإشارة إذا أخذنا بعين الاعتبار: معرفتنا بالحرب العالمية الثانية، وهزيمة ألمانيا وحكومتها الثالثة، وارتفاع الأسهم الروسية السياسية الدولية كنتيجة لدور روسيا في الحرب، وانتقال سلطة ستالين، وصحة روزفلت المتدهورة التي جعلته ديبلوماسياً أقل فعالية مما كان يمكن أن يكون عليه لو كان في صحة جيدة، وآراء تشرشل الفطنة والنبوئية في بعض الأحيان. كل هذه المعاني تنبثق من كاريكاتير منفرد. ولكن هذا ليس كل شيء. فيما بعد، يمكن أن يصبح تشرشل المشار إليه كنموذج جسماني للنوع البشري، مشيراً

يلعب عبوسه وتجهمه في صورته في يالطا دور المشار إليه. فتصبح أداة توضيح العلاقة بين المشير والمشار إليه أو معنى الإشارة والذي هو علاقة الربط التأملية بين الرجل وتعابير وجهه، التكبر المتعنت والاصرار على الاستبداد بالرأي في محاولة لهزيمة ما تصوره تشرشل على أنه (القوة) الرهيبة المدمرة. أو ربما يمكن أن يصبح معنى الإشارة الأصلي، أي تشرشل في يالطا، مشيراً. في هذه الحالة، فإن مؤتمر يالطا بحد ذاته يمكن أن يصبح المشار إليه، وبذلك فإن معنى الإشارة يتعلق بنتاج الاجتماع بين قادة العالم الثلاثة. لاحظ أن كل إشارة بدأت بمشير. المشير مرتبط بالمشار إليه. ثم أصبح المشار إليه مشيراً في حد ذاته. ومع ذلك وفي وقت لاحق، أصبح معنى الإشارة مشيراً لديه مشار إليه خاص به ومعناه الذي يوضح العلاقة بين المشير والمشار إليه.

مثال آخر: قد يكون المشير سحابةً من الدخان تظهر فجأة على مجموعة من الأشجار الصنوبرية ذات الأطراف المستدقة الفضية في حديقة روكي ماونتن الوطنية (Rocky Mountain National Park) في ولاية كولورادو (Colorado). يترقب حارس الحديقة العامة الإشارة. على الفور يتبادر إلى الذهن المشار إليه، الحريق. ومن ثم نجد المعنى الذي يتوسط ويجمع ما بين المشار والمشار إليه ليخلق فكرة وضع خطير يتطلب اتخاذ إجراءات فورية. يطلب الحارس المساعدة، ويذهب لإلقاء نظرة فاحصة عن قرب. النار هناك! وفجأةً يصبح المشار إليه المشير الذي يدل المشار إليه عنده إلى الدمار المادي الذي تعيث فيه شرارات النار على الموطن الطبيعي. وإن المعنى الإشاري التوضيحي الذي يمكن إنشاؤه سريعاً يخبر الحارس بأن الوضع أكثر خطورةً مما كان يظن في بداية الأمر. فالخطر الظاهري، من المعنى الإشاري الأصلي، يصبح مشيراً يثير مشاراً إليه مشتملاً على أرض مخيم قريب. هنا يأتي إلى الصورة معنىً إشاري ينطوي على الخطر. وإن التفكير بالخطر يستدعي فوق ذلك مشيراً آخر، المخيِمين، وهذا المشير له مشار إليه وهو عبارة عن مجموعة ألسنة النيران التي تحيط بالبشر وتحاصرهم. فالمعنى الإشاري هنا يؤدي إلى انبثاق فكرة ضحايا حريق آخر للغابات خلال هذا الفصل الصيفي الجاف والحار. إذاً الإشارات تصبح إشارات أخرى وتفسح المجال أمام إشارات إضافية، وبذلك يستمر تدفق الإشارات.

إذا جاز لي أن أعطي بعدُ مثالاً آخر، فهو كالتالي. أنت تضخ الحديد في طابقك السفلي بينما يتم الإعلان عن حدث رياضي في التلفاز. ثم يشوش إعلان تجاري على حملك لأثقالك الحديدية.تسمع «أهو الكوكا كولا!» ، آه، نعم.أنت تعرق، تلهث، وعلى استعداد لأخذ استراحة. تتجه إلى الثلاجة في الطابق العلوي. ولكن انتظر لحظة «الكوكا كولا» هو ماذا؟ في الواقع لم يُذكَر أي شيء في الإعلان التجاري عن إرواء عطشك. في الحقيقة، لم تكن تشاهد تلفازك المعتوه. كنت فقط تضغط على المقعد بضربات قوية وتنخر فيه بالشكل المناسب. إذن أين العمل الفاعل لتلك الإشارة؟ العمل بفاعلية هو في تلك الإشارة، «الكوكا كولا!»، التي سمعتها مئات المرات. إنها ليست أكثر من مقطع لفظي واحد، مشيرٍ بسيط. لكنك أصبحت على معرفة جيدة بهذه الكلمة، مثل الملايين من الناس الآخرين حول العالم، وعلى علمٍ بأنها تنقلك على الفور إلى الإحساس بالمشار إليه، أي زجاجةٍ أو كأسٍ من المادةِ البنيّة الفوارة الباردة. فتشعر أن لسانك أصبح فجأةً أكثر جفافاً، وأن جسمك أكثر حرّاً وتعرُقاً، وأن عضلاتك أكثر إرهاقاً. فتأتي لتنسجم مع الرابط بين المشير والمشار إليه أي مع معنى الإشارة المناسب ولتستجيب له، من دون أي أدنى حاجة إرادية وواعية لتفكر به أو لتتلفظ به. حالاً، مع زجاجة من «الكوكا كولا» في يدك ومرةً أخرى جالساً على المقعد تتأمل الحديد لديك، يصبح المشار إليه السابق مشيراً، والمشار إليه لهذا المشير هو الإحساس المرضي بالبرودة في معدتك وأمعائك، ويصبح المعنى السيميائي الذي يربط المشير بالمشار إليه تلك الاستراحة التي تشعرك بالاسترخاء. الآن، وفوق ذلك كله تصبح وضعيتك الطيعة المسترخية في الجلوس مشيراً آخر يرتبط لديك نوعاً ما بالحالة السابقة للتعرق والإنهاك والجفاف وتكون هذه الحالة الجديدة هي المشار إليه.

وماذا عن المعنى السيميائي؟ إنه تلك العلاقة الوسطية بين المشير والمشار إليه، وهي الانبثاق المترابط لوضعيتك المرنة والمرتخية لدى جلوسك من أجل الاستراحة. حاول الاسترخاء أكثر من ذلك بقليل. بعد كل هذا، لا معنى للمبالغة في الاسترخاء. إذ يكفي التعب والإنجاز القليل ليوم واحد. تبقى مرتمياً بتثاقل على الأريكة لتصبح حالاً شفاف العينين قبل أن تصبح الوحش ذا العين الواحدة. وهكذا فإن الإشارات تستدعي وتستحضر إشارات إضافية، وهذه الإشارات تستثير بدورها إشارات أكثر، من دون حدود وبشكل دائم.

تعداد الإشارات الثلاث

إن (الأصناف) الأساسية الأكثر جوهريةًفي عرض بيرس هي **التمثيلات الصورية، والمؤشرات، والرموز.** التمثيل الصوري هو إشارة مرتبطة بالمشار إليه بحكم بعض التشابه أو التماثل معه، مثل الخريطة والأراضي التي ترسمها هذه الخريطة (صورة تشرشل هي رمز صوري للعنصر الأصلي). المؤشر هو إشارة مرتبطة بالمشار إليه برابط فعلي سببي مادي أو تصوري. فجهاز اتجاه الرياح يتحرك دائرياً بشكل منضبط ليشير إلى (يدل، يؤشر) اتجاه الرياح نتيجة فعل الرياح على الشيء (بالنسبة للحارس كان الدخان مؤشراً على حدوث حريق).

يعتبر الرمز نوعاً ما أكثر تعقيداً. إن سلسلة الإشارات المذكورة في الفقرة أعلاه تسلط الضوء على رمز، «الكوكا كولا»، وهو إشارة يعتبر تفسيرها مسألة تقليد أو اصطلاح اجتماعي. وإن أحدأفضل مميزات رمز بيرس هو الإشارة اللغوية التي يعتبر ترابطها مع المشار إليه اصطلاحياً تقليدياً. وهذا يعني أنه لا يوجد أي ارتباط لازم وطبيعي (كما هو الحال مع المؤشر) أو أي ارتباط ناتج عن بعض التشابه أو التماثل (كما هو الحال مع التمثيل الصوري) بين المشير والمشار إليه. فالأصوات اللفظية أو الحروف المكتوبة مثل «الكوكا كولا» ليس لها بالضرورة أي رابط بهذا الشيء الفعلي (أي الكوكا كولا). بدايةً، إن الأصوات اعتباطية بشكل أو بآخر. وكان من الممكن أن تكون هذه الأصوات عملياً أي أصوات أخرى أو أي إشارات على الورق. على سبيل المثال، يمكن أن نصل مع بعضنا إلى نتيجة ونتفق على أنه يجب أن يتم استبدال كلمة «الكوكا كولا» (Coke) بكلمة «سكلارتش» (Schlarch). مع مرور الوقت، إذا أصبحنا نفكر بذلك المشروب المرطب المألوف في كل مرة نقول أو نسمع أو نكتب أو نقرأ كلمة «Schlarch» فإننا نكون بذلك قد خرجنا بمصطلح اجتماعي صغير خاص بنا فيما يتعلق بالإشارة، وبالمشار إليه لهذه الإشارة وبمعنى الإشارة أي الرابط الذي يوضح العلاقة بين المشار والمشار إليه. لن نستطيع التواصل مع أي أحد خارج مجموعتنا. ولكن لا مشكلة. فيما بيننا، نتطلق وندبر أمورنا بشكل جيد. إذ إن إشارتنا الرمزية التي توافقنا عليها سوف تخدم أغراضنا جيداً. نحن الآن محفزون بشكل واضح بكلمة «سكلارتش». هذه الكلمة هي الدافع لنا لأننا في مجتمعنا الكلامي الصغير عشنا، ونعيش، ونتوقع أننا سنعيش

في المستقبل وقفة الاستراحة هذه التي تساعدنا على الاسترخاء من خلال كلمة «سكلارتش». أصبحت هذه الإشارة الجديدة جزءاً راسخاً من أنشطتنا التقليدية الجماعية السيميائية على نحو متزايد. ولذلك فإن العلاقات المتبادلة في داخل الإشارة بين المشار، المشار إليه، والمعنى هي الآن أكبر بكثير من أن تكون اعتباطية.

لذلك لدينا التمثيل الصوري، والمؤشر، والرمز. إن ثالوث بيرس الأساسي هو: «واحد، اثنان، ثلاثة». «الواحد» يسبقه «الصفر»، أي ذلك «الفراغ» الذي تنبثق منه الإشارة. و«الواحد، الإثنان، الثلاثة» يمكن أن يتبعها «الأكثر»، «الأكثر بكثير»، حتى الوصول إلى «اللانهاية» بما أن «الكوكا كولا» أو أي إشارة أخرى يمكن أن تكون – وعلى الأرجح سوف تتكرر في حالة «الكوكا كولا» تقريباً بلا نهاية. صفر، واحد، اثنان، ثلاثة، ... «لا نهاية» هذا له رنَين معين، أليس كذلك؟ هذه اللعبة التي تبدو بسيطة للعد تدعو إلى أخذ ترتيبات بيرس بعين الاعتبار.

(التصنيف أو) الترتيبات إن توليد ومعالجة الإشارات وجعلها ذات مغزى هي أكثر من مجرد استخراج المعلومات منها أو إعطائها معنىً معيناً. إنها مسألة تفاعل معقد بين ما يسميه بيرس (التصنيف) الأول (Firstness)، (التصنيف) الثاني (Sec-ondness)، (التصنيف) الثالث. ففئات الأول والثاني والثالث تشكل (تصنيفات) بيرس التي من خلالها، يتم توصيف النشاط الإشاري (Semiosis) والإعلام عنه– وهو العملية التي تصبح فيها الإشارات إشارات – عن طريق السيمياء – الذي هو عملية إضفاء معنى على الإشارات. طور بيرس (التصنيفات) من أجل أن يفسر الشعور، والإحساس، والخبرة وتصور الإشارات أو تكوين فكرة عنها. بما أن معالجة الإشارة، من الشعور بها إلى تكوين فكرة عنها.

فلويد ميريل

هي فقط طريقة أو عملية، لا يمكن اختتام أو إنهاء رسم الإشارات الذاتي، أو تحديده.بهذه الطريقة، يمكن اعتبار الترتيبات اتجاهات أو نزعات وليس أشكالاً، فهي ظروف لما يمكن أن تؤول إليه الإشارات وليس إشارات جامدة ملتصقة بالأشياء. أو بما يتناسب مع مفهوم الفيزيائي فيرنر هايزنبرغ (1958) للعالم الكمي، (التصنيفات) هي إمكانات واحتمالات أكثر من كونها حقائق فعلية. يتلازم (التصنيف) الأول (Firstness) مع الإمكانات، ويبرز (التصنيف) الثاني مع الوقائع،

ويأتي (التصنيف) الثالث إلى الساحة عندما تصبح احتمالات الإشارات المستقبلية إشارات. هذه (التصنيفات) تؤسس لثلاثية العلاقات الأساسية عند بيرس على النحو التالي:

(التصنيف) الأول: ما هو موجود كما هو، من دون إسناد أو صلة بأي شيء آخر.

(التصنيف) الثاني: ما هو موجود كما هو، في صلة مع شيء آخر، ولكن من دون علاقة مع أي طرف ثالث.

(التصنيف) الثالث: ما هو موجود كما هو، بقدر ما هو قادر على إدخال كيان ثانٍ في علاقة مع كيان أول وهو في علاقة مع كل واحد منهما.

«واحد، اثنان، ثلاثة». يبدو أن الترتيب بهذه البساطة. ولكن من البساطة، يظهر التعقيد. إذا شملنا «الصفر» و«النهاية» جنباً إلى جنب مع «الواحد، الاثنين، الثلاثة»، يمكنك أن تفهم سبب ذلك. ومع ذلك، ففي الشكل التخطيطي، تبدو الترتيبات ظاهرياً دقيقةً إلى حد بعيد. الترتيب الأول هو **الميزة**، والترتيب الثاني هو **التأثير**، والترتيب الثالث هو النتاج في طريقه إلى أن يصبح نتاجاً. الترتيب الأول هو الإمكانية (ما قد يكون)، والترتيب الثاني هو الواقع (ما يكون في الوقت الحاضر)، والترتيب الثالث هو الاحتمالية، الأرجحية، أو الضرورة (ما سوف يكون، ما يمكن أن يكون، أو ما ينبغي أن يكون، نظراً لمجموعة معينة من الظروف)[*].

في الفن، قد يكون الترتيب الأول رقعةً ملونة مستطيلة وثنائية الأبعاد على لوحة زيتية لبيكاسو. الترتيب الثاني في مثل هذه الحالة سوف يكون العلاقات المتبادلة التفاعلية لتلك الرقعة مع الرقعات الثلاثية، المستطيلة، وغير المنتظمة في اللوحة. وسوف يكون الترتيب الثالث هو ترتيب المشاهد الذي يضع كل هذه الرقعات معاً في صورة خيالية ثلاثية الأبعاد كما لو كان يراها من الأمام، من الخلف، من الجانب

(*) للمزيد من المعلومات: Almeder (1980); Hookway (1985); Merrell (1995a, 1995b); Savan (1987-88), for a Consideration of Pierce's Sign Theory, See Sebeok (1976a, 1991b, 1994) and Sheriff (1989, 1994), for a Collection of Pierce's Writings, Hoopes (1991), Peirce (1992).

الأيمن، من الجانب الأيسر، من فوق، ومن أسفل، وكله ذلك في نفس الوقت. في الشعر، الترتيب الأول هو بضعة أسطر مسجلة كإشارات على الورق من حيث «إمكانية» قراءة بعض منها في مكان ما وزمان ما من قبل محب ما للشعر. الترتيب الثاني هو قراءتها الفعلية وعلاقتها المتبادلة مع عقلية القارئ الحاضرة وذكريات الماضي وقراءات أسطر أخرى كثيرة من الشعر. الترتيب الثالث هو تفاعل القارئ مع السطور الشعرية بطريقة ينبثق عنها معناها في تلك اللحظة بالذات. في الحياة اليومية، الترتيب الأول هو قوس مزدوج ذو اصفرار لامع في الرقعة. الترتيب الثاني هو العلاقة المتبادلة التي ينشؤها المراقب التواق بين الاصفرار المنحني الممدود والبناء الملون تحته. الترتيب الثالث هو تمييز تلك المؤسسة المعروفة باسم ماكدونالدز (McDonald).

ومع ذلك، مثل جميع الترتيبات التخطيطية، هذا الترتيب هو خادع إلى حد ما. في الواقع، الترتيب الأول، في حد ذاته ولذاته، ليس ميزةً فعلية ملموسة (مثل مجرد الإحساس بلون وشكل تفاحة يمكن أن نتطلع إليها في هذه اللحظة). إنه ليس أكثر من مجرد إمكانية، فكرة تجريدية خالصة – مجردة، ومفصولة عن كل شيء آخر – كشيء ينعم بوجوده الذاتي وليس أكثر ولا أقل، بل لا يمكن أن يكون موجوداً لحيوان سيميائي واع على هذا النحو المحدد، فهو كيان من دون أجزاء محددة أو قابلة للتحديد، من دون سوابق أو لواحق. إنه ببساطة ما هو عليه كإمكانية صرفة.

ما هو مدرَك ينتمي إلى الترتيب الثاني. إنها مسألة شيء تم تحقيقه بالطريقة هذه التي تبرز هنا، الآن، لمُتأمل ما للإشارة. على هذا النحو هو خصوصية، تفرُد، وتميز. هذا ما كان لدينا كترتيب أول، على سبيل المثال، نأخذ رقعة «حمراء» غير واضحة (ولكن) من دون وجود أي إدراك لها، أو تعريف لها كما هي بالتحديد. الآن يتجلى لدينا الترتيب الثاني، ولقد تم عزله عن المتأمل ذي الوعي الذاتي، والمتأهب والمستعد لأن يكون منظوراً إليه على أنه تفاحة مثلاً. ومع ذلك، في هذه المرحلة، هي (بعدُ) ليست «تفاحة»، وهذا يعني أنها ليست إشارةً كلامية تحدد الشيء موضوع البحث وتحضر معه مقداراً كبيراً من الثقل الثقافي فيما يتعلق «بالتفاح» (الفئة معينة من التفاح الذي تشكل فيها التفاحة التي هي أمامنا مثلاً عنها، والسبب الذي من أجله يستخدم التفاح، ودور التفاح في تطوير ثقافة شمال أميركا، في الفولكلور والتقاليد

الشعبية، في القصص الخيالية، في المعرفة التقليدية بالصحة، وما إلى ذلك). في المرحلة الأولى من الترتيب الثاني، التفاح هو بالكاد أكثر من إمكانية وجود كيان مادي، «حقيقة عمياء عن الحياة»، كما كان بيرس معتاداً على أن يصوغها. هو شيء إضافي واحد من أثاث عالم النفس المادي. هو الغيرية بالمعنى الأكثر بدائية. إذا كان الترتيب الأول كما هو عليه بالمعنى المحض للإمكانية، فإن الترتيب الثاني هو نفيٌ محض طالما أنه آخر، شيء آخر غير ذلك الترتيب الأول.

يمكن وصف الترتيب الثالث مبدئياً على أنه ذلك الذي يؤدي إلى التوسط ما بين الحدثين الآخرين بطريقة يترابطان بها مع بعضهما البعض بنفس الطريقة التي يترابطان بها مع الحدث الثالث كنتيجة لدوره الوسطي. هذا التوسط ينشئ مجموعةً من العلاقات المتبادلة والتي مثل الترتيب الأول، الثاني، والثالث، يتشابك فيه اتحادها مع بعضها البعض في عقدة بورومين (Borromean Knot) (عُد إلى الشكل 1.2). هذه العقدة تشبك الترتيبات معاً عن طريق «نقطة التقاء» بطريقة تصبح فيها متحدة مع بعضها البعض بطريقة مترابطة متبادلة من خلال «الفراغ» الظاهري لنقطة الالتقاء. بسبب الدور الوسطي للترتيب الثالث، كل من هذه الترتيبات تستطيع أن تلعب بشكل متقطع دور أي من الترتيبات الأخرى. مع ذلك فإن نقطة اتصال الزمان بالمكان، إحدى هذه الثلاثة، ستكون أولى، وإحداها ستكون ثانية، وإحداها ستكون ثالثة. لم يكن هذا الترابط السيميائي ممكناً من دون ترتيب ثالث، لأنه بدونه، هناك شيء واحد تافه وآخره (غيره)، شيء تافه آخر وذاك الذي يسبقه. كما يقول لورنس ولك (Lawrence Welk) في عرض أغنيته الكلاسيكية. واحد، اثنان... «ثم تأتي الفرقة إلى الحياة»- إلى حد بعيد، تقريباً. من دون العنصر الثالث، الفرقة، لن يكون هناك أي موسيقى. تماماً كما يسبق الأرقام «الصفر»، «الصمت»، «الفراغ»، وكذلك أيضاً، بمجرد أن تبدأ الفرقة، يجب أن تنطلق، على وجه الاحتمال إلى «اللانهاية» أو على الأقل حتى تتوقف الموسيقى. من دون الترتيب الثالث، من دون الموسيقى، لا نشاط إشاري سيميائي ولا حياة.

كتلخيص لذلك، الترتيب الأول هو الإمكانية (ما يمكن أن يكون)، الترتيب الثاني هو الواقع (ما يكون)، والترتيب الثالث هو الاحتمالية، الأرجحية، أو الضرورة (ما يمكن أن يكون، سوف يكون، أو ينبغي أن يكون، نظراً لمجموعة معينة

من الظروف). الترتيب الأول، في حد ذاته ولذاته، ليس ميزةً محددة ملموسة لشيء ما (مثل مجرد الإحساس بكتلة ما من الماء يمكن أن نومض إليها). إنه ليس أكثر من مجرد إمكانية، فكرة تجريدية خالصة – مجردة، ومفصولة عن كل شيء آخر – كشيء ينعم بوجوده الذاتي وليس أكثر ولا أقل، بل لا يمكن أن يكون موجوداً لمراقبٍ سيميائي واعٍ على هذا النحو المحدد. هو كيان من دون أجزاء محددة أو قابلة للتحديد، من دونٍ سوابق أو لواحق. كما هو عليه، إنه البداية الظاهرة للعيان والجلية لشيء ما من الفراغ، لشيء ما من الإمكانية لحدوث أي شيء؛ هو في الحال كل شيء ولا شيء، هو ببساطة ما هو عليه كإمكانية صرفة.

الآن، لا بد لي من الاعتراف بأنني أفرطت في تبسيط مفهوم بيرس للإشارة بطريقة غير منتظمة. ولكن، قد كتب ما هو ضروريٌ أن يكتب عن الإشارة، آمل ذلك. على الأقل، أصبح من البديهي أنه في نهج بيرس، واقعياً– أي شيء يمكن أن يكون إشارة، ويجب أن يكون تعريف الإشارة فعلاً من النوع الأكثر عمومية. المسألة ليست مجرد مسألة سؤالٍ كالتالي: «ما هي الإشارة؟» وإنما «ماذا يعني وجود الإشارة؟» و«ماذا تفعل الإشارة؟» الإشارات هي أنواع خاصة من الأشياء، ولكن بالأحرى، أي شيء يمكن أن يكون إشارة إذا كان يبيَن وظائف الإشارة. وغالباً ما تُتخذ الإشارة عند بيرس على أنها شيء ما يرمز إلى شيء ما لشخص ما لاعتبار ما أو قدرة ما. ومع ذلك، بالنسبة لعقلية أوساط عالمنا المعاصر، لا بد لي من التعبير عن استيائي من مفهوم «ما يرمز» (وكذلك «يشير إلى»، «يتطابق مع»، ويدل على) شيء ما. بطريقة أكثر دقةً، يبرز المشير (Representamen)، في أفضل حالاته، بطريقة مترابطة ومتبادلة مع كل الإشارات الأخرى. في الوقت نفسه، هو يترابط ويتشارك مع شيء ما (الموضوع الإشاري أو السيميائي الخاص به). وفي ضوء التعريف أعلاه، يتوسط المشير والمشار إليه مصطلح ثالث، هو المفسر أو المترجم (Interpretant). كنتيجة لهذا التوسط، تأخذ الإشارة قيمةً، ومعنىً وأهمية باعتبارها مشيراً يقوم بعمله مع المجاورين له في دفق نشاط الإشارات أو السيمياء الواسع– حيث عملية الإشارات تصبح إشارات أخرى. تترابط الإشارة في علاقة تبادلية وتتشارك مع مترجم ما، يشرع في عملية معالجة الإشارة. ما هو في غاية الأهمية هو أن جميع مكونات الإشارة الثلاثة، المشير، والمشار إليه، والمفسر، يمكن أن تصبح بذاتها إشارات– أي مشيرات أو مؤشرات.

في ضوء مثالنا عن «الكوكا كولا»، و للأسف تضع المجتمعات البشرية

أولوية لا مبرر لها للأسلوب الرمزي. وإن الإنسان يميل إلى «التعبير عن الإشارة باللغة» (ترميز كل الإشارات). لقد أصبح هذا الاتجاه متوطناً في ثقافاتنا التي أصبحت لفظيةً على نحو متزايد. حتى الآن، في شؤون الحياة اليومية، جميع أنواع الإشارات الثلاثة، التمثيلات الصورية، والمؤشرات، والرموز، لا تتوقف، عن كونها موجودةً بثقل كبير ومعروفة وواسعة الانتشار. على سبيل المثال، يمكن أن يكون امتياز (رخصة) ماكدونالدز المشار إليه لإشارة تتألف من لوحة مع نسخة طبق الأصل (تمثيل صوري) للأقواس الذهبية لحمولة سيارة من بطون الجياع. أو يمكن أن تكون الأقواس الذهبية المشير (الصوري) الذي يحدث المشار إليه، المبنى الغني بالألوان والنابض بالحيوية الذي يتواجد نفسه دائماً بجانب الأقواس المألوفة. في كلتا الحالتين، إن المعنى أو القيمة (المترجم) الذي ينسب إلى فئة كلٍ من المؤسسات يترابط مع البنية المادية للتغذية الخاصة بماكدونالدز من البدايةً حتى النهاية. ثم تدور السيارة على شكل قوس على الطريق العام، و: هناك توجد الأقواس الذهبية !التي تؤدي إلى استحضار صاخب، «وقت الطعام!» (الرمز). في سيناريو آخر محتمل، فإن كلمة «ماكدونالدز»، يرافقها معناها التقليدي وقيمتها، ويمكن أن تكون المشير لذلك الذي يبحث عنه الركاب في حافلة سريعة. ثم تظهر البنية المادية حالما يتحقق المشار إليه، وكلاهما يتوسطه المترجم ليعطي للإشارة قيمةً ومعنى. وأخيراً، تتوقف السيارة بأمان، ويتدفق الراكبون منها بأعداد كبيرة، وينطلقون بسرعة نحو شرحات اللحم. ثم يدخلون. النكهات، والجلبة، وإطلاق الموظفين للأوامر بصوت عال، وانتقال المال من مجموعة من الأيدي إلى مجموعة أخرى، والعبور وراء على الأفواه التي تأكل بشهية، والمضغ، وتلمُس المقاعد البلاستيكية الصلبة، والطعم اللطيف. كل هذه إشارات. معظمها تماثيل صورية ما قبل رمزية ومؤشرات. إذ نحن نعيش في عالم من التمثيلات الصورية والمؤشرات أكثر مما نعيش من عالم الكلمات (الرموز).

يمكن أن تصبح أيضاً الإشارات إشارات أخرى وفي هذه العملية تتخذ معانٍ متمايزة جذرياً، وهذا يتوقف على مجموعة الخبرات والتوقعات لدى مترجمي الإشارات. فالصخرة هي مجرد مصدر إزعاج عندما تكون في الفناء الخلفي لجارك الذي يتخذ العمل في البستان تسليةً له. هو ينقلها من مكان إلى آخر، وغالباً ما يهدد بالتخلص (منها) أو بدفنها بضعة أقدام تحت الأرض. الصخرة (المشير)

هي إشارة، والشيء الذي يشير إليه (هذه الصخرة الموجودة هنا، والتي تزعج تجارب تشجير البساتين) يرتبط بشعور من الإحباط، نظراً لقيمة ومعنى الإشارة السلبي (مترجم الإشارة). فالإشارة يمكن أن تكون بعيدةً في الفناء الخلفي لمنزل شخص آخر بقدر ما هو معني بذلك. يوماً ما بينما أنت تدردش معه عبر السياج، تلمح الصخرة. ولكن، ... ما هذا؟ لماذا لم تعد صخرةً على الإطلاق. إنها حفري مستخرج من الأرض (أحفوري)! تظهر اكتشافك لصديقك الجار، ويجيبك ب «نعم؟ حسناً خذها من بين يديَ إن أحببت فقد تعبت من النظر إليها». صخرته (المشير[1])، مع ترجمة سلبية، أصبحت إشارةً أخرى، الحفري المستخرج من الأرض الخاص بك (المشير[2])، وهو الصخرة التي اتخذت الآن ترجمة إيجابية. أصبحت الإشارة، أو تحولت إلى علامة أخرى. في هذه العملية أصبح المشار إليه شيئاً مختلفاً تماماً عما كان عليه، وأصبحت الترجمة شيئاً متمايزاً كذلك بشكل جذري. تحدث يومياً تحولات مماثلة في الإشارة. فهي شائعة في جميع مناحي الحياة. فهي تحدث أيضاً حتى في أكثر فروع المعرفة دقةً، أي الفيزياء. فالعالم اليوناني القديم، ديموقريطس، اعتقد أن الذرات كرات صلبة، لا يمكن اختراقها. هذا المفهوم غير متوافق كلياً مع مفهوم «السحب». ولكن، في القرن العشرين، أقنع الفيزيائي إروين شرودينغر المجتمع العلمي أن «الذرات» لا علاقة لها «بالكرات الصلبة التي لا يمكن اختراقها» على الإطلاق. بالأحرى، هي أشبه «بالسحب»، أو إذا جاز التعبير، «بحُزم التموجات». أصبحت ذرات ديموقريطس ذرات شرودينغر. كلا الذرات هي تقريباً متعارضة مع بعضها البعض بحق، على الرغم من أن نفس الكلمة، «الذرات»، هي السائدة. علاوةً على ذلك، في كلتا الحالتين هناك استعارة متلازمة. لماذا الاستعارة؟ لأن الاستعارات عادة ما تخبر عن شيء عن طريق ذكر ما لا ينطبق على هذا الشيء. ولذلك هي من أكثر الأدوات فعاليةً في تغيير الإشارة. عبارة «الرجال هم بهائم» صحيحة. حسناً، على الأقل «الرجال» هم «بهائم» طالما أن من يصرح بذلك هي المرأة والنساء الأخريات وربما حتى القليل من الرجال المعنيين بذلك. ولكن «الرجال» ليسوا «بهائم»، وفقاً للتصنيف المتعارف عليه لكلمة «بهائم». الإشارة «البهائم» تصبح ما لم تكن عليه قبلاً، «الرجال»، وفي الوقت نفسه يصبح «الرجال» ما ليس هم عليه عادةً، «بهائم». حتى التأثيرات يمكن أن تنقلب وتتغير فجأةً وتصبح بذلك أسباباً، والعكس

بالعكس، وهذا يتوقف على التحول المستمر في وجهات النظر. ويبدو أن متواليات السبب والنتيجة مؤشرة إلى حد كبير. إذ «تتسبب» الرياح في جعل جهاز قياس اتجاه الرياح يؤشر إلى الاتجاه الذي تهب فيه. و«يتسبب» ارتفاع الحرارة في الارتفاع في عمود الزئبق في ميزان الحرارة. لو كنا أطفالاً أو شعراء، لكان بإمكاننا أن نتخيل ارتفاع الزئبق الذي «يتسبب»في ارتفاع درجة الحرارة. وعادة لا يعتبر الدخان «سبب» الحريق. ولكن إذا غفى المدخن في السرير وإذا تفشّت النار في الفراش، من الممكن أن يقال أن «الدخان» كان «سبب» الحريق. ربما يمكن أن ينسب «سبب» حادث تحطم الطائرة إلى الطقس. لاحقاً، بينت الأدلة أن الطيار شرب كثيراً، وأصبح «السبب» «تأثير» الكحول الذي بدوره أحدث «سبب» وقوع الحادث. في حالات أكثر تعقيداً بكثير، لا يكون السبب والنتيجة واضحين قطعياً. هل «يسبب» الفقر الحمل المبكر في سن المراهقة أو هل الحمل في هذا السن «يسبب» الظروف التي تؤدي إلى الفقر؟ لا يمكن تحديد الجواب بدقة. وبناءً على ذلك، يمكن تقديم الحجج المؤيدة لكلا العاملين لتحديد ما إذا كان الواحد منهما «سبباً» أو «نتيجة»، وذلك حسب وجهة النظر.

هذه التحولات في الإشارة هي نتاج ما سأطلق عليه تسمية **ترجمات** الإشارة. إذا أخذنا بعين الاعتبار التمثيل الصوري، تصبح «ذرات» ديموقريطس «ذرات» شرودينغر وإذا أخذنا بعين الاعتبار المؤشر، يصبح السبب «نتيجةً». هذه الترجمات هي أساساً نتيجة لسُبل ووسائل استخدام اللغة، والرموز. تجمع التمثيلات الصورية إشارتين متوافقتين معاً فيما يُتصور على أنه أساساً إشارة واحدة. والمؤشرات تربط الإشارات معاً في ما هو ظاهرياً عملية طبيعية كما يمكن أن تكون. الرموز، في المقابل، هي في أفضل حالاتها عندما تجزَئ الإشارات وتدخلها في ترتيبات. وهكذا لدينا «الخير» و«الشر»، «الصح» و«الخطأ»، «الرجال» و»النساء»، «اليمين» و«اليسار»، «الأسود» و«الأبيض»، وجميع هذه الفوارق. وبالتالي يمكن أن تكون الإشارات، والإشارات الرمزية، مؤلَفةً للترجمات الراديكالية: من «ذرات» ديموقريطس إلى «ذرات» شرودينغر، من «سبب» إلى «نتيجة» في مسألة «الحمل في سن المراهقة»، وهلم جراً.

يمكن أن تتطلب الترجمات تبديلاً جذرياً كالتبديل الذي أحدثته شخصية

سانشو بانزا ((Sancho Panza)) في قصة الكاتب الإسباني ميغيل دو سرفانتس (Miguel de Cervantes)). فقد اتخذ العدو الوهمي على أنه مجرد عدو وهمي آخر، بينما يرى سيده، المبجل دون كيشوت، أنه عملاق أو تنين يتحرك بتثاقل نحوه. فهما جامحان كبيل كلينتون الذي يعتبره أحد المواطنين «رئيسنا وشخص جيدٌ مُدان، حياته خاصةً به وليست من شأني»، أما بالنسبة لمواطن آخر، «فهو حرج لبلدنا ويجب أن يتم عزله». ولكن في الواقع، لماذا لا تستطيع تركيبات الكلمات والصور والأشياء أن تتغير فعلياً بشكل جذري على مر الزمن؟ هكذا تغير جذري يصبح بديهياً عندما يأخذ الفرد بعين الاعتبار أن «الذرات» كانت **(1)** أجساماً كروية صلبة لا يمكن اختراقها؛ **(2)** أجساماً كروية مع كُلَاب عليها وذلك لتمسك بأجسام كروية أخرى وتكوَن الجزيئات؛ **(3)** مثل حلوى بودنغ البرقوق؛ **(4)** مثل النظام الشمسي، **(5)** في معظمها عبارة عن فراغ؛ **(6)** مثل السحابة الضبابية؛ **(7)** مصدراً لأكثر من 200 من الجسيمات الما دون الذرية، و**(8)** فعلياً لا شيء على الإطلاق؟- كل هذه الآراء الثمانية تم إلحاقها «بالذرات» في فترة ما أو أخرى من تاريخ العلم. أيٌ من هذين أكثر غرابةً، تدفق الأفكار الهذيانية لدون كيشوت، أو القول التالي: «الذرة هي سحابة ضبابية» الذي يصل إلى أسماع ديموقريطس من العصور الماضية أو إلى الكيميائي جون دالتون في بداية القرن التاسع عشر؟ ما هو موظ (حيوان ضخم من الأيائل) لفريق ما قد يكون، بنزوة من الخيال، سمندر (حيوان من الضفدعيات) لفريق آخر: الإوزة التي تؤخذ على أنها ذكر الإوز هي طيعة جداً لهذه اللعبة.

في ضوء ذلك، أود أن أعيد صياغة تعريف بيرس الاعتيادي للإشارة على النحو التالي: أي شيء يترابط تبادلياً مع ترجمته بطريقة ترتبط بها تلك الترجمة تبادلياً مع ما تشير إليه بنفس الطريقة التي يرتبط بها المشار إليه تبادلياً معها، هكذا علاقات متبادلة تساعد على توليد إشارة أخرى من الترجمة، وبالنتيجة يتم تكرار هذه العملية. والآن ذلك كان مقداراً ضئيلاً آخر. فوق ذلك، هذا هو أساساً أسلوب كل الإشارات، وأود أن أخضع له، مع التأكيد على مفاهيم التبعية البينية، والعلاقات المتبادلة، والترابط، وفوق كل شيء المشاركة. لقد أخذت تلميحي مرةً أخرى من بيرس، الذي يرى أن الإشارة هي شيء من خلاله نعرف شيئاً ما كنا لنعرفه في السابق.

أنواع الإشارات الثلاث المخططة

الآن، كل شيء كتبته في هذا القسم يشير إلى أن الإشارة يمكن أن تكون بدرجات متفاوتة تمثيلية صورية، مؤشرة، ورمزية، وكل ذلك في نفس الوقت. فالإشارة التي تُظهر بوضوح نوعاً واحداً من الإشارة لا تستبعد إظهار نوع إشارة آخر أيضاً. ليس هناك من ترتيبات ضمن كل شيء أو لا شيء فيما يتعلق بالإشارات. ما هو عليه نوع معين من الإشارة، هو ما يمكن أن يكون عليه نوع آخر من الإشارة، وما كانت عليه تلك الإشارة يمكن أن يصبح من طبيعة الإشارة الأولى التي هي حالة الإشارة الثانية الآن. إن وضع الأمور في تصنيفات مرتبة يمكن أن يؤمن لنا بعض الأمان، ولكنها لعبة بسيطة، فالإشارات ببساطة لا يمكن أن تبقى على ما هي عليه. إن رقصها المتواصل لا يمكن إلا أن يجعلنا ننطلق بسرعة عبر التيار الإشاري السيميائي، على الرغم من حاجتنا الملحة للاستقرار. وفي خلاصة لهذا الكلام، لدينا الجدول 1.2.

الجدول 1.2: أنواع الإشارات

نوع الإشارة	التمثيل الصوري	المؤشر	الرمز
الصيغة السيميائية	التشابه	العلاقة السببية أو الطبيعية	الاصطلاح أو التقليد
أمثلة عملية	صورة لوحة رسم بياني لمسة حرير علامة موسيقية رائحة جذابة	دخان الحريق عارض المرض ميزان الحرارة تحطم سجل طائرة هابطة ملمس الفرو لذنب القطة طعم الليمون الحامض	كلمة شعار شيفرة مورس (Morse) (مخترع التلغراف) الإشارة المنطقية الإشارة الجبرية

كيف تصنعها وتأخذها	الشعور الإحساس	الإدراك الاستدلال الفعل– ردة الفعل	التعلم بالتعليم والعمل

تتضمن الأمثلة العملية عن التمثيلات الصورية إشارات واضحة: الصور واللوحات والرسوم البيانية (والأشكال والرسوم الكاريكاتورية). فالملمس الناعم لقطعة من القماش تذكر المرء بالحرير من خلال رابط التشابه. كما أن النوتة الموسيقية هي إشارة سمعية يمكن للمرء أن يشعر بأنها مماثلة لنوتة في لحن معين. هناك علاقة مؤقتة ناشئة بين النوتة المسموعة والنوتة الموجودة في مجموعة الألحان التي يخزنها الفرد في بنك ذاكرته. والرائحة الحلوة في مختبر الكيمياء تذكرنا إما بالموز أو بالأناناس، التي هي متناسبة مع فئة من المواد المركبة التي يطلق عليها اسم الأستر (وهي مادة تنتج عن تفاعل الكحول والأحماض). في كل حالة يوجد رابط مبهم بحكم وجود قواسم مشتركة بين شعور الفرد الآن وذاكرة المشاعر الماضية لديه.ولكن، لا بد لي من التأكيد، أن الشعور هو ليس أكثر من شعور في مستهل الأمر. ولهذا السبب لا يزال الشعور مبهماً، غير محدد، ونسبياً. ليس هناك من **آخر** (ثانٍ مختلف) للإشارة، فالمشار إليه أو المترجم للإشارة، أصبح ظاهراً في المشهد عند هذه النقطة. لم يكن هناك أي تحديد لفئة الإشارات التي تنتمي إليها هذه الإشارة الخاصة هنا والآن. يمكن لتلك الإشارات أن تأتي في جزء من الثانية لاحقاً، كما سنلاحظ أدناه.

فدخان الحريق، وعارض المرض، وميزان حرارة المستخدم لقياس كمية الحرارة في الغلاف الجوي، كل هذه هي إشارات مرئية تقود الفرد إلى الثاني المختلف للإشارة (الآخر)، سواءً بصدمة مفاجأةٍ سارَة إلى منغصَة، أو بالإقرار بما كان من المتوقع أن تكون الحالة عليه. فالتحطم المدوي الذي يسببه سجل طائرة أوأي شيء ضخم هو سمعي، وتلمُس شيء ممتد ومتطاول ومكسو بالفراء يدل على أنه قطة، والطعم اللاذع لسائل أصفر اللون يرتبط بعلاقة سببية مع الليمون. هذه الإشارات ليست بصرية، ولكن وظيفتها دلالية (مؤشرة) تماماً كالإشارات البصرية. لذلك يمكن توصيف هذه الإشارات من حيث جسامة الحريق، نوع وشدة

المرض، والقيمة العددية لدرجة الحرارة. ولكن، كل ذلك سيأتي لاحقاً. في الوقت الراهن، نحن نتداول في مؤشرات من النوع الأساسي. والشروع في أسفل دفق التيار الإشاري السيميائي يُكسب على الأقل بدائيات استخدام اللغة، بدائيات الرموز.

إن الكلمات، وشيفرة مورس، والإشارات المنطقية والجبرية، هي في معظمها اعتباطية في البداية على الرغم من أنه لدى تطبيقها أصبحت اصطلاحية وهي تحفز صانعيها ومستعمليها عادةً للاستجابة إليها عبر مسارات محددة سلفاً. وكل من العلامات المميزة، والأعلام والدروع، واللافتات، والطوابع، طالما لم يكن هناك من صلة ضرورية بين الإشارة والشيء اللفظي المادي، والفعل، أو الحدث الذي يربطها بها، عادةً لا تصطف في خط طولي مستقيم، كما هو الحال عليه بالنسبة للغة الطبيعية والاصطناعي. ومع ذلك هي تعتبر، بالشكل الأكثر دقةً، رموزاً. فهي ليست مصنوعة ومستعملة فقط من حيث المشاعر والأحاسيس أو الإدراك وعملية الاستدلال أو الإجراءات المعتادة وردود الفعل. بل على العكس من ذلك، يجب تعلمها بالتعليم المباشر. هذا التعليم تنتقل فيه المعرفة في معظمها من خلال الإشارات الرمزية.

لنفترض أنك تتعلم في المدرسة الثانوية كيفية ملء استمارة الضرائب. يتم إعطاؤك تعليمات لفظية وكتيباً للقراءة. ولكن لا تزال هناك ثغرات: أسئلة، غموض، شك. من أجل ملء بعض هذه الثغرات، تتعلم من خلال مراقبة ما يفعله الآباء والمعلمون، ومُثل التقليد الآخرون عندما يقومون بدفع ضرائبهم. هذه الأمثلة تنفعكبشكل أساسي كتمثيلات صورية، ثم بعد ذلك تحاول تكرار ما قد لاحظته خلال مراقبتك لهم. يتم توسيع التمثيلات الصورية. تندمج مع المؤشرات، لأنك أصبحت الثاني المختلف (الآخر) للأمثلة الأصلية عندما تحاول أن تتخيلها بنمط تمثيلي صوري.

ولذلك، يبدأ التعلم بالحدوث، بفضل التمثيلات الصورية، والمؤشرات، والرموز. ثم بالتمرين الوافر، والتخمين، والتأمل، وربما حتى بالاستبصار، يمكنك، مع مرور الوقت، أن تصبح بارعاً في فهم النشاط الإشاري السيميائي الذي أنت بصدده.

قراءات إضافية:

Merrell, F. (1995) *Peirce's Semiotics Now: A Primer*, Toronto: Canadian Scholars' Press.

Merrell, F. (1997). *Peirce, Signs and Meaning*, Toronto and London: University of Toronto Press.

Peirce, C. S. (1992) *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 1, (ed.) N. Houser and C. Kloesel, Bloomington: Indiana University Press.

Savan, D. (1987-88) *An Introduction to C. S. Peirce's Full System of Semeiotic*, Toronto: Victoria College.

Sebeok, T. A. (1994) *Signs: An Introduction to Semiotics*, Toronto: University of Toronto Press.



الفصل الثالث

أصول اللغة

(وليام س. ستوكو)

المقدمة

يبدأ الفضول عند الإنسان في وقتٍ مبكر، ربما بمجرد أن يبدأ الطفل بالوصول إلى شيءٍ ما يقع أمام ناظريه، ويظهر لديه ذلك بالتأكيد قبل محاولاته الأولى للكلام. ولكن الفضول لتعلم اللغة، لا يمكن أن يبدأ إلا بعد أن يصادف الطفل اللغات التي تثير فضوله والتي تدفعه إلى التكهن بها. وهكذا، في أساطير قصة الخَلْق عند العديد من الثقافات، كان حيوان الطوطم الخَيِّر (شيء يشبه الحيوان ويُتَّخَذ كرمز مقدس) أو الروح أو الإله يتحدث مع البشر الأوائل، أو يترك لهم حرية إضفاء أسماءٍ على نباتات وحيوانات الأرض. تُعْتَبَر هكذا أساطير ساذجةً ولكنها طبيعية في نفس الوقت. وهي في نمطها منطقيةٌ أيضاً: فالمراقب الساذج يمكن أن يفكر باللغة فقط من حيث الكلمات التي يعرفها أحدٌ ما. وبالتالي يفترض المراقب لهذا الأمر أن اللغة يجب أن تكون قد أُعْطيت للبشر، تماماً كما كانت قد أُعطيت للأطفال، من قِبَلِ الآخر الحميد الذي يَعرفُ مُسْبَقاً (ماذا تعني الكلمات المنطوقة).

هؤلاء «الآخرون» الخارقون غير مقبولين كَمُسَلَّمات علمية لشرح أصل اللغة. وبالتالي سيكون السؤال الأول للمُشَكِّك، «مَنْ عَلَّمَ إيلوهيمياوي (Elohi-myaweh) أو الثعبان الكوني (Cosmic Serpent) أو السُّلَحْفاة (Turtle)، أو الأم الأولى (First Mother) ما تعنيه كُلُّ كلمة؟» الجواب الوحيد هو لديها الثقة!

وإن المحاولات الحديثة لتحديد كيفية بدء استخدام اللغة تتعلق بمحاولات تفسير الوعي أو العقل. إن الكتب الأربعة الحديثة لجيرالد إيدلمان (Gerald Edelman)، وخصوصاً: **الحاضر المُسْتَذْكَر: النظرية البيولوجية للوعي** (*The Remembered Present: A Biological Theory of Consciousness*) (1989)، تُحَمِّل المسألة لعلم الأعصاب. ميرلين دونالد (Merlin Donald)، في: **أصول العقل الحديث** (*Origins of the Modern Mind*) (1991)، يَتَتَبَّع المسار التطوري الذي يبدأ من الشمبانزي، ويصل إلى الإنسان المنتصب (Homo erectus) (وهو سلف منقرض من الإنسان العاقل، لديه وقفة عمودية ودماغ صغيرة نوعاً ما وجبهة منخفضة) (من 1.5 حتى 0.2 مليون سنة مضت)، ثم إلى الإنسان الحديث وذلك في ثلاث مراحل ثقافية: العرضية، والمُحاكِيَة، واللغوية (وهو يُماثِل هذه الأخيرة باللغة المحكية فقط). يرى مايك بيكين (Mike Beaken)، في كتابه: **إنتاج اللغة** (*The Making of Language*) (1996)، أن اللغة نتيجة «العمل»، والتعاون في حل المشكلات: «ببساطة، العمل هو الإنتاج الاجتماعي لوسائل الحياة، وأعلى درجات نمو السلوك الاجتماعي» (المصدر نفسه، ص 23). إن آرمسترونغ (Armstrong)، ستوكو (Stokoe)، وويلكوكس (Wilcox) **في كتابهم الإيماء وطبيعة اللغة** (*Gesture and the Nature of Language*, 1995)، كانوا ينظرون إلى ما هو أبعد من الإيماء كما يستخدم عادةً من قِبَل المتكلمين، أي إلى لغات الإشارة التي ما زالت موجودة وكانوا يعثرون فيها على أدلة عن الأصل الممكن لبناء أو تركيب الجملة. وإن كتاب فرانك ر. ويلسون (Frank R. Wilson): **اليد: كيف يصوغ استخدامُها الدماغ، واللغة، والثقافة الإنسانية** (*The Hand: How its Use Shapes the Brain, Language, and Human Culture*) (1998) لا يقوم فقط بتحديث الأعمال الكلاسيكية التي كتبها بيل (Bell) ونابير(Napier) حول علم وظائف الأعضاء الحالي وعلم المتحجرات (الأحياء القديمة) ولكنه يضيف أيضاً إلى الملاحظات المباشرة لاختصاصي الأعصاب الممارس، ويخلص إلى أن اليد تطورت تدريجياً مع الدماغ عند الإنسان مع القدرة على القيام بكل ما يفعله البشر، بما في ذلك إنتاج إشارات اللغة.

ولقد قام كلٌّ من نعوم تشومسكي (Chomsky) (1957) وديريك بيكرتون (Derek Bickerton) (1995) وستيفن بينكر (Steven Pinker) (1994) باتباع

نهجٍ مختلفٍ تماماً في هذه الأعمال وغيرها من الأعمال حول اللغة. وكانت وجهة نظرهم هي أن الهيكل النحوي للجملة، وليس مظهرها الشكلي، يفصل اللغة كقواعد نحوية عالمية (Universal Grammar) أو مجردة عن أي نوعٍ آخر من التواصل. وخَلُصَ تشومسكي في العام 1957 إلى القول بأن الأطفال لا يمكن أن يتعلموا القواعد اللازمة لإنشاء هذه البنيات من اللغة غير المكتملة التي يسمعونها، وبالتالي لا بد أن تكون هذه القواعد راسخة وراثياً لديهم.

ومع ذلك فإن الدراسات الراهنة لفن علم الدماغ وعلم الأعصاب لا تجد واقعاً بيولوجياً مقابلاً لهذه القواعد. إذ يؤكد أربعة عشر من أبرز علماء الأعصاب، الذين يكتبون في إصدار Spring 1998 (أي ربيع العام 1998) لِديدالوس (Daeda-lus (172.2)، أن الدماغ ليس حاسوباً، ولا يحتوي على أعصاب أو وحدات قياس مُخَزَنة مع مُخَطّطَات للكون، أو قواعد عن أي شيء بعيد مثل قواعد اللغة العالمية (Universal Grammar). وهكذا، يبدو من المفيدِ أكثر الاستماعُ إلى ما عند هؤلاء العلماء ليقولوه والتحقيق في احتمال تطور اللغة بشكل طبيعي في (الكائنات الحية والتي تطورت ضمن الفترة الأخيرة لظهورها)، وهو فرعنا الذي ينتمي إلى نوع الرئيسيات.

البحث في تطور اللغة

إن البحث له مدلول مُعْتَبَرٌ أكثر من التخمين، وإن النظر بشكل ناقد إلى المسارات أو الآثار أو الأدلة – الأَثَارَة – هو بشكلٍ دقيقٍ النهج الذي سَنَتَبعُهُ هنا. أولاً، وعلى الرغم من ذلك، قد يكون من المفيد أن نُخَمِّن كيف ومتيضاع هذا الأثر. إذ كان على الفكر الفلسفي البليغ حول أصل اللغة، وكذلك على القدرة على الحفاظ على الأساطير في الكتب المقدسة، انتظار الاختراع والاستخدام الواسع النطاق للكتابة (الذي جعل من الممكن أيضاً ظهور القواعد الأولى للغة منذ 4000 سنة). من المفترض أنه قد تَمَّ تداولُ الأساطير شفوياً قبل التمكن من كتابة اللغة بفترةٍ طويلة – أي منذ حوالي 10.000 سنة. وتشير معظم التقديرات الحديثة إلى أن الكلام يعود إلى 40.000 و 140.000 سنة قبل ذلك. ولكن هناك آثار مُسْتَخْدَمَة كقرائن تشير إلى بدايةٍ حقيقية للغة قبل ذلك بكثير، ربما قبل مليون سنة من الآن. إحدى هذه الآثار هي استمرار لغات الإشارة، التي كان بعضها يُسْتَخْدَم كبديل عن

الكلام عند بعض الشعوب القبلية، والبعض الآخر منها كان يُسْتَخْدَم كلغة أولى أو لغةٍ وحيدة لدى الأشخاص الصم (انظر لغة الإشارة [البديلة] ولغات الإشارة [الأولية]).

الأثر الآخر هو استمرار الإيماءات أو حركات اليد الشائعة على الرغم من أن الغالبية العظمى من لغات العالم تتمثل بالكلام. مثل الحركة المرئية تقريباً لكل مرءٍ يتفاعل مع الآخرين باستخدام الكلام، كانت الإيماءات تعتبر اختياريةً وإضافاتٍ للغة يمكن الاستغناء عنها (كما تصنعها النصوص المكتوبة والهاتفية). وقد تمت دراسة الإيماءات مؤخراً كمخرجات من المصدر نفسه، أي تماماً كالمخرجات الصوتية (McNeill 1992). ومع ذلك، فإن مظهرها الحالي، وتفسيرها، واستخدامها العالمي لا يشير بالضرورة إلى الكيفية التي تم بها استخدام اللغة في العصور السابقة.

ما أدى إلى فقدان مسار اللغة منذ عصور يؤدي بالمُنَظِّرين اليوم إلى القول أن نشوء اللغة لم يكن ممكناً. سَمَّى بايكون (Bacon) هذه المغالطة الشائعة «معبود الساحة»– وهو الاعتقاد السائد بأن الطريقة التي يفعل بهاشيئاً هي الطريقة الوحيدة التي كان يتم بها فعلُ ذلك الشيء في أي وقت مضى. قد يبدو أن كل مولودٍ يتحدث ويفهم لغة محكيةً واحدة، أو أكثر، ولكن في كل مكان يستخدم العديد ممن لا يملكون من الصم القدرة على السمع والكلام لغات الإشارة الوظيفية بالكامل. يشكل الأشخاص الصم الذين يشيرون بلغتهم ويرونها بدل أن يسمعوها وينطقوا بها حوالي 1/ 1000 من مجموع السكان. وهذا قد يصل إلى عددٍ كبير، ولكن الادعاءات غير المُدَعَّمَة بالادلَّة بأن الإشارة عند الصم ليست لغةً على الاطلاق قد حجبت الحقيقة لوقتٍ طويل. وإن لغات الإشارة الحقيقية ما زالت قائمة وتؤدي دورها وربما تحتوي على أدلة على الطريقة التي كان يمكن فيها للبشر أن يتشاركوا فيما بينهم بالمعنى، وحتى بالمعنى اللغوي المُنَظَّم.

الرؤية والسمع

لتحديد مسار اللغة على طول طريق تطورها منذ بدايته إلى الآن، من الضروري إدراك الفرق بين الرؤية والسمع إدراكاً كاملاً. إذ نرى بأعيننا ودماغنا «ما يوجد هناك» – كل شيء ثابت ومتحرك وعلى مرمى البصر. ولكن بآذاننا ودماغنا، يمكننا فقط التقاط التغير السريع في كثافة الهواء. فقط عندما يكون للموجات الصوتية الصادرة

عن طريق الحبال الصوتية أنماطٌ مميزة تسمح لها أن ترتبط رسمياً بشيء آخر، يمكن القول بأن سماعنا لها يخبرنا الكثير عنها. عندما لا يعني لنا مدى معينٌ من الكلام شيئاً، فإن السبب هو أن أفراد المجتمع يمتلكون عادةً مُتَّبَعَة تربط تلك الأنماط من الكلام بتلك المعاني. ولا بد أن هذه العادة ترجع إلى بداية ظهور الكلام، ولكنها بالطبع تتغير باستمرار – على الرغم من أن ذلك يجري ببطء شديد – أي حتى مثل تغير اللغة في بُطئه.

ولكن لم يكن واجباً علينا انتظار اكتساب هذه العادة في اللغة المحكية لنحصل على المعنى. إذ يمكن لمخلوقٍ بشري تفسير بعض أنواع الإشارات مباشرةً دون الحاجة إلى أن يكتسب هذه العادة. على سبيل المثال، عندما يشير أيٌّ واحدٍ منا (أو حتى الشمبانزي التي تمت تربيته في المنازل) بيده إلى أعلى، سيكون من الغريب جداً أن لا يربط المراقب هذه الإشارة بالمفهوم الذي نعرفه على أنه يشير إلى «فوق».

يمكننا تصور «فوق» و«تحت» لأننا حيوانات ذات قدمين ولأن جسمنا ودماغنا تطورا في وقتٍ سابق من أنواع معينة في السلالة الإنسانية. ولقد ارتبطت المعاني مثل «فوق» و«تحت» بنظر الإنسان وحركته لفترة طويلة جداً، وبالتالي فقد أصبحت هذه الكلمات مرتبطة بمعانيها بشكل رسمي وطبيعي. (كلتا الكلمتين تُعتبران مؤشراً ورمزاً). وإن الإشارة إلى فوق وتحت قرَّبت أيضاً السلالات البشرية خطوةً إضافية باتجاه الوعي الكامل واللغة، لأن هذه الحركات تُدْخِلُ ميزةً حاسمة في أي نظام لغوي – وهي التباين أو التغاير. وإن التضاد في المفاهيم يتمثل في التغييرات المرئية وفي الحركات المتناقضة لنفس مجموعات العضلات التي نشعر بهابشدة. فنحن نشعر بالفرق بين إشارةٍ باليد تعني «فوق» ومعنىً واحد هو «تحت»، تماماً كما نشعر بالفرق بين أن نقيس بأيدينا شيئاً كبيراً أو شيئاً صغيراً.

لم نعثر على رئيسيات أخرى غيرنا نحن البشر تشير بوعي إلى شيءٍ ما، على الرغم من أننا عادةً ما نتكلم عن «الحركة – الجمود» الغريزية والنظرة الثابتة للعديد من الحيوانات الاجتماعية كما في حالة الإشارة. المسألة الحاسمة هنا هي الوعي. وكما يلاحظ جيرالد إيدلمان (Gerald Edelman)، تملك قردة الشمبانزي الوعي الأولي (1989, Ch. 9). إذ تمت تربية الشمبانزي واشو (Washoe) بين

البشر غير الناطقين طوعاً وبين البشر الذين يتكلمون بالإشارة، من قِبَل ألين (Al-len وبياتريكس غاردنر (Beatrix Gardner) وزملائهم الصم وغير الصم. عندما أشارت واشو مُعَبِّرَةً: «أنا (وأنت) خارجاً» (مستخدمةً ثلاث إشارات للغة الإشارة الأميركية، [ASL])، كان من الواضح أنها كانت على علم بما كانت تطالب به، وأنها كانت هي بنفسها قد قررت من سيصحبها إلى الخارج من خلال الإشارة بيدها إلى «أنت».

ولكن هذه القرائن بحاجة إلى تفسير. إذ كان يتم عرض إشارات لغة الإشارة الأميركية على لاشو، تماماً كما يتم عرضها في **قاموس لغة الإشارة الأميركية** (*Dic-tionary of ASL*) (1976). وإن لغة الإشارة الأميركية هي بالطبع ثقافةٌ مُصَغَّرَة حيوية حديثة (Hall 1994)، ولكن الإشارات التي كانت واشو قادرةً على تعلمها واستخدامها بالشكل المناسب تشير بطبيعة الحال إلى أن أسلاف جنس القرود (Pan) (البَعام) والجنس الإنساني لم يكن لديهم فقط القدرة على تكوين المفاهيم، ولكن في الظروف المناسبة، كان لديهم القدرة على استخدام وفهم التمثيلات المرئية لتلك المفاهيم.

للانتقال بالتقدير الاستقرائي من الواقع إلى الإمكانية: لا تستخدم الشمبانزي الإشارة العلنية كثيراً وبشكل طبيعي؛ ولكن الإنسان الحديث يستخدم الإشارة بيده بشكل كبير. ولذلك، يبدو من المرجح أن أفراد الأنواع البشرية القديمة (مثلاً الأوسترالوبيتيثين (Australopithecines) [وهي كائنات ذات قدمين وتشبه أسنانها البشر ولكن دماغها ليست أكبر بكثير من دماغ القردة الحديثة])، والإنسان الماهر (Homo Habilis) أو **القرد الحاذق** (هومو هابيلس) [الذي هو من أنواع القردة (كجنس)، وهو نوع منقرض عاش في مناطق شرق القارة الإفريقية ما بين (2.5 و1.6) مليون سنة مضت] كانت قد استخدمت الإشارة باليد إلى حدٍّ ما. من خلال الإشارة يمكن التعبير عن أنواع عديدة من المعاني وفهمها (ولقد كان ذلك ممكناً منذ مليون سنة مضت). وإن إشارة اليد وحركتها، عندما تُلاحَظ وتُفَسَّر في الدماغ الذي ينمو، تستطيع أن تقوم مثلاً بمجموعةٍ كاملة من الإشارات الشخصية: «لكَ، لي، له، لها، لهم»، وكذلك «لنا»، كما في إما «لك»(أو لي) أو «للآخر (للآخرين) ولي». ويمكن أن تشير إلى الاتجاهات: «أعلى، أسفل، هناك، هنا، تلك الناحية،

هذه الناحية». ويمكن أن تشير بصراحةٍ حتى إلى بضعة أصنافٍ من الحركة مثل: «تعالَ، اذهب».

بمجرَّد أن تصبح هذه الأزواج من الإشارات مع معانيها مفهومةً جيداً ومستخدمة بانتظام داخل مجتمعٍ ما، فإن الفروق الدقيقة في تكوين اليد – الذراع يمكن أن تُقَدِّم معاني جديدة، مثل «لي»، التي، يضغط فيها العديد من مستخدمي لغات الإشارة و«الإيماءات» الطبيعية براحة يدهم على جسمهم في عرضٍ طبيعي للحيازة؛ وبالتالي فإن هذه الإشارة إذا اتجهت إلى الخارج، يمكن أن تعني «لك»، «له» وما إلى ذلك. بشكلٍ مجازي، تقوم اليد بدفع الشيء المُتَصَوَّر بعيداً.

كما وإن استخدام عددٍ قليلٍ حتى من هذه الأزواج من الإشارة–المعنى يمكن أن يمنح قيمةً كبيرة من الديمومة للمجتمعات البشرية. إذ إن القدرة على الإشارة إلى الاتجاهات والأشخاص، وكذلك تحديد ملكية شيء ما والشخص الذي تعود إليه هذه الملكية، تعزز تماسك المجموعة فيما بينها. وكما تشير إليه أطروحة بيكن (Beaken 1996)، يمكن كذلك أن تُمَكِّن هذه القدرة الجماعة من إنجاز ما لا يمكن للأفراد أن يقوموا به إذا عملوا بشكل منفصل. في نفس الوقت، يمكننا الاقتراب أكثر من العقل الحديث من خلال هذه الإشارات للمفاهيم. وهكذا ستؤدي بنا أزواج الإشارة – المفهوم إلى مستوى جديد من الدوائر الدماغية. إذ إن المفاهيم التي يتم تشكيلها ومعالجتها في الدوائر المختلفة من الدماغ هي سمة من سمات الوعي الأولي، ولكنْ تصاحبُها تمثيلاتٌ أو تصوراتٌ مباشرة وواضحة وشفافة للمفاهيم (Edelman 1989)، وإن هذه التمثيلات تصبح بذاتها مُدْرَكاتٍ حسية، وبالتالي مفاهيم إضافية. وبالتالي فإن وظيفة الدماغ تنمو حالما يتم تصنيف، وتصور، وتمثيل ما نراه وحالما تتكرر هذه العملية برمتها مرةً أخرى الآن مع مُدْرَكٍ حسي ومفهوم وتمثيل مترابطين فيما بينهم في ما يسميه إيدلمان (Edel-man «التخطيطات المُسْتَعادة» في الدماغ. لاحظ أيضا أن الدماغ يُبقي التمثيلات والأشياء نفسها منفصلةً عن بعضها، إلا في حالة المرض، – «إن تخطيط الدماغ ليس منطقة الدماغ».

وإن سلوك قردة الشمبانزي الذين يرون شيئاً ما يحدث «هناك» يُظْهِرُ أن لديهم معرفة من نوعٍ ما عما يحدث؛ ولكن في نفس الوضع، يمكن للنوع البشري أن يرى

ويشير إلى «هناك»، ويمكن أيضاً لفردٍ من المجموعة أن يرى حركة اليد ويعرف أنها تُوَجِّه الانتباه إلى ما يحدث هناك. هكذا تبادل قد يؤدي ما هو أكثر من مجرد توصيل للمعنى الواضح، بل قد يعني ضمناً أن كل واحد من المشاركين في التواصل قد بدأ ينقل فكرَه أو نواياه إلى الآخر.

الإشارات اللفظية وغير اللفظية، الجمل والكلمات

إن حركات اليد التي هي إشارات، والتي تُفَسَّر على أنها تدل على شيء آخر مختلف عنها، تُؤخَذ عادةً على أنها معادلة الكلمات – حتى عندما يتم توصيفها على أنها غير لفظية. ولكن في سياق البحث عن أصول اللغة ومسارها التطوري، تُعْتَبَر المفاهيم الشائعة المقترنة بالكلمة مضللةً. ولقد كان لثورة تشومسكي في علم اللغة تأثير جيد في تحويل الانتباه غير المتناسب من الكلمات والأصوات والمعاني إلى هيكل وبناء الجمل. ولكن لسوء الحظ، كان أساسها الفلسفي منسوباً إلى مبادئ ديكارت؛ فهي تفصل بين تعريف الكفاءة التامة للمتكلم المثالي (وهي نفسها فكرة أفلاطونية) وبين الأداء الناقص غير المُكْتَمِل لنا نحن البشر، المستخدمون الفعليون للغة. وإن النموذج الذي أسقطته ثورة تشومسكي (كما يفهمه أوستن (Austin)، بلوخ (Bloch)، كارول (Carroll)، سميث (Smith)، تراغر (Trager)، وغيرهم من اللغويين الأنثروبولوجيين والوصفيين) لم يأخذ الكلمات على أنها مركز اللغة ولكن فقط على أنها «نقطة الدخول» أو المدخل. ولقد انتقلت الأبحاث التي أُجريت، في أحد الاتجاهات، من الكلمات إلى الوحدات الأصغر للكلمات، والوحدات اللفظية الصغرى للكلام أو الفونيمة، والأصوات الكلامية، والأسس الفيزيولوجية. في الاتجاه الآخر كان الباحثون ينظرون في علم المورفولوجيا أو (علم الصرف او بنية الكلمات)، بما في ذلك علم (نظم) الجملة، وعلم الأعراض أو الرموز (ما تعنيه العبارات والجمل). ولكن حتى العلماء يسلكون أحياناً الطريق الأقل مقاومةً، أما بالنسبة للغويين الأحدث الذين يعملون داخل هذا النموذج الذي كان قائماً على البيانات فيما مضى، فلا بد أنه كان يبدو من الأسهل والأجدى التركيز على علم الأصوات أكثر من البحث في الاستخدام الفعلي للغة والذي يهدف إلى معرفة معنى الكلمات والجمل.

بطبيعة الحال، كما أكد سميث وتراغر في المعهد الصيفي للجمعية

اللغوية في أميركا (Linguistic Society of Ameri- Summer Institute) ca's في العام 1957، اللغة هي نظام، والنظام يعمل فقط عندما تكون مكوناته منسجمة مع بعضها، وإن التحليل الدقيق للكلمات بعيداً عن الجمل يقَرِّب المرء من المسار الضائع أكثر مما هو الحال عليه عند التحليل الدقيق لقواعد النحو التي تهمل المعنى وتُهْمِل المستخدمين البشريين للغة. هذا القول الفصل حول الأنظمة يؤدي بنا بعد أربعة عقودٍ إلى إعادة صياغة ذلك في شكل مفارقة: لا وجودَ للجمل من دون الكلمات، ولكن لا وجودَ للكلمات لولا الجمل.

بشكل أقل اقتضاباً، يجب أن تكون لدينا إشارات تشبه الاسم وأخرى تشبه الفعل، قبل أن نتمكن من بناء الجمل، ولكن السبيل الوحيد لمعرفة الإشارات التي تشبه الاسم وتلك التي تشبه الفعل هو استخدامها في الجمل. فمثلاً لا يمكننا أن نعرف ما إذا كان «run» (أي يركض) يُستخدم كفعل أو كاسم إلا إذا كان وارداً كجزء من جملةٍ إنجليزية أطول.

قد يُعْتَقَد أن هذا الاعتبار يعرقل البحث عن أصول اللغة وتطورها بالرغم من أن السؤال عما إذا كانت الدجاجة أم البيضة قد أتت في المرتبة الأولى لم يكن عائقاً جدياً أمام تقدم علم الأحياء. وإن معرفتنا بأن الجملة والكلمة تكتسب معنىً فقط عندما تكون مع بعضها– داخل النظام – قد تساعد حتى على تحويل انتباهنا إلى الاتجاه الصحيح. ويبدو أن الفكرة الشعبية الشائعة عن اللغة هي أنه لبناء جملةٍ ما، يضع المرء الكلمات في تسلسل بالاستناد إلى ما يتطلبه تطبيق القواعد النحوية. وهذا لا يختلف كثيراً عن النظرية الحالية التي تنص على أن المرء يبدأ بالقواعد، ويخلق بنيةً هيكلية على شكل تفرعات شجرة، ثم يستبدل الرموز في نهايات فروعها بكلمات من المُعْجَم. ولكن إذا فهمنا المفارقة بشكل تام، لن تصح هذه المنهجية، لأنه يجب أن نصنف مُسْبَقاً الكلمات الموجودة في المعجم حسب نوعها، بالإضافة إلى أن هذا التصنيف يجب أن يستند إلى أدوارها في الجمل. وإن الاعتراف بأن الجملة والكلمة غير قابلتين فعلاً للتجزئة، وغير تدرُّجية هرمية، بل هما فقط جانبان لنظام واحد، يمكن أن يصقل مفهومنا لما نفتش عنه عندما نبحث في أصول اللغة. إذ من غير الممكن أن لا تبرز «الكلمة الأولى» ولا حتى «الجملة الأولى» بذاتها وبشكل منفصل. بدلاً من ذلك، من المرجح أن نجد الكلمة والجملة مجتمعتين في جسمٍ آخر.

إذا كان لنا أن نحيد عن اللغة للحظةٍ ما من أجل البحث المتوازي عن أصول العقل، فإن مقولة مارسيل كينزبورن (Marcel Kinsbourne) يمكن أن تكون مضيئةً في هذا الإطار:

إن التجربة ليست مُرَكَّباً متكوناً من مجموع أجزائه. أما الموقف المعاكس – وهو أن التجربة مُقْتَطَعَة من كُلٍّ أقل تمايزاً – فهو موقف قد اكتسب القبول ظاهرياً. في حين أنه ليس هناك من استعارةٍ مجازية ملائمة تتبادر إلى الذهن لوصف كيفية عمل الدماغ، يبدو أن بلورة الأشياء «وتجزئتها» هي أكثر ملاءمةً لنا من «تجميع هذه الأجزاء معاً» (1998, p. 246).

لإعادة صياغة مقولة كينزبورن، يمكننا أن نقول بأن الجملة لا تُجْمَعُ من الكلمات، ولكن الكلمات تتبلور وتتجزأ من كلٍّ أقل تمايزاً. ولكن لا يمكن أن نجد في الكلام هكذا كلٍّ أو هكذا مَنْبَت مُحَمَّل باللغة. وإن عملية البلورة والتجزئة لن تنفع مثلاً مع لَفظة، «سادة!» (أو سوداء) عندما تعني هذه اللفظة «أريد قهوتي بدون سكر أو كريم». يمكن العثور على الأجزاء كلها في السؤال، وليس في الجواب، على الرغم من أن الإجابة تُفْهَمُ على أنها تشير بالضبط إلى الأجزاء. لا يقدم لنا الكلام كُلِّيَّاتٍ غير متمايزة، ربما لأنه لم يكن عليه أن يقدمها مطلقاً. فالكلام يأتي في أجزاء منفصلة أساساً؛ وليس فقط من «أجزاء الكلام» المألوفة (الاسم، الفعل، الصفة) ولكن أيضاً من الكلمات، والوحدات الأصغر ذات المعنى للغة، والوحدات الصوتية الأصغر أو الفونيمة، والأصوات، وفي الحقيقة يتم وضع هذه معاً في سلسلةٍ مجموعة مع بعضها البعض، ولا تتم تجزئتها. ولكن إذا بدأ استخدام الكلام كبديل عن التعبير اليدوي للغةٍ واضحة مُحَنَّكة أساساً، فمن الواضح أن كليات اللغة كانت منذ زمنٍ بعيد مُجَزَّأة إلى مُكَوِّنات.

الإيماءة كَرَمْز

في الواقع، هناك عدد لا بأس به من الإيماءات التي لا تزال كلياتٍ غير متمايزة. وإنه حتى إيماءات قردة الشمبانزي الاثنتين أو الثلاثة التي تمت ملاحظتها بشكل موثق من بين الحيوانات البرية تناسب هذه الحالة. إحدى هذه الإيماءات تقوم بها القردة بساعدها المُسَطَّح ويدها المُقَعَّرة قليلاً والمنطلقة من ناحية الآخر باتجاه الذات. وهي تعرب بذلك، في ترجمةٍ واحدة عن التالي: «رجاءً، أعطوني بعضاً من

ذلك الطعام». (إن سلوك الحيوان يُلْمِحُ بقوة إلى «الرجاء»؛ لأن الحيوان المهيمن يخطف الطعام من الحيوان الآخر، بينما يُعَبِّر جسمُ الحيون المتوسل بكامله عن الخضوع).

على الرغم من أن قردة الشمبانزي لم تبلور وتُقَسِّم أجزاءها، فإننا نجد كل هذه الأجزاء موجودةً في إيماءة التوسل التي تقوم بها: إذ تتشكل أجزاء اليد بطريقةٍ تظهر فيها وكأنها تحمل قطعةً من الطعام (المفعول به الاسم)؛ وإن مَدَّ اليد إلى الأمام يشير مباشرةً إلى الحيازة على الطعام المنشود (الضمير الفاعل، الذات)، ومن ثم فإن حركتها إلى الداخل تشير مع اتجاهها ونهايتها إلى الفعل المتعدي الذي يعبر عن حركة العطاء فضلاً عن تعبيره عن المستفيد منها (اسم المفعول به غير المباشر).

يرى ديفيد ماكنيل (David McNeil) إيماءات الإنسان مختلفةً عن الكلام: «وبالتالي فإن الإيماءة رمز، ولكن الرمز هو من نوعٍ مختلفٍ جوهرياً عن رموز الكلام». ومع ذلك، فهو يجد أن الرموز الإيمائية والحلقية تؤدي نفس الغرض:

في اللغة، يتم الجمع بين الأجزاء (الكلمات) لإنشاء الكلّ (الجملة)، وبالتالي فإن الاتجاه يتم من الجزء إلى الكل. على العكس، يكون الاتجاه في الإيماءات من الكل إلى الجزء. فالكل يحدد معاني الأجزاء (وبالتالي فهو «شامل») (1992, p. 19).

يختلف نوعاً الرمز بشكل طبيعي، تماماً كما يختلف الصوت عن الضوء وكما تختلف الرؤية عن السمع؛ وإن عبارة «شامل» عند ماكنيل تبدو هنا معادلةً لعبارة «الكل غير المتمايز» عند كينزبورن. ويبدو أن أي اختلاف في الرأي يأتي من أهدافهما – فهدف ماكنيل هو تحديد العلاقة بين الإيماءة والكلام في سلوك الكائنات الإنسانية الحديثة، أما هدف كينزبورن فهو تَتَبُّع أصول العقل، وبالتالي تَتَبُّع أصول اللغة.

على الأرجح، ما يبدو في السياق الحالي هو أن الكائنات البشرية القديمة كانت في البداية تستخدم وتفهم إيماءات اليد غير المتمايزة بشكل شامل – كما تفعل قردة الشمبانزي إلى حد الآن. ولكن من المحتمل أكثر أن الكائنات البشرية كانت تستخدم أكثر بكثير من هذه الإيماءات. وليس هناك أي شك في فائدة مثل

هذه الحركات. كان يمكن فقط للإيماءات التي تشير إلى الاتجاهات والأشخاص التي ألمحنا إليها سابقاً أن تؤدي إلى مجموعات مُتلاحِقَة ناجحة، وذلك لأن الرسائل مثل «أنت تذهب إلى هناك؛ أنت (مشيراً إلى آخر) تبقى هنا، أنت (مُشيراً إلى ثالث) تذهب في ذلك الاتجاه»؛ تغير الحركة العشوائية وتحولها إلى جهود منسقة تنسيقاً جيداً.

عندما تصبح هذه الإيماءات والمعاني الشاملة شائعة الاستعمال – وهنا يجب أن يُحْتَسَب النظام الزمني بمئات الآلاف من السنين– يمكن اتخاذ الخطوة التالية. وإن ذلك قد يتطلب فقط من المخلوقات البشرية، الإنسان المنتصب (Homo erectus) أو النوع الأقدم، أن يبدأ بتصور اليد التي تُصْدِر الإيماءة على أنها تحل محل شيء أو شخص وأن حركتها تمثل في نفس الوقت (غالباً بتشابه هندسي) ما حدث لذلك الشيء أو ما فعل ذلك الشخص. في تلك المرحلة، من وجهة النظر التي أُخِذَت هنا، تمت بلورة أو تجزئة الأسماء والأفعال من الكلّ على اعتبار أنها أجزاء الجملة. وجنباً إلى جنب مع الإيماءة، كانت ما زالت تمثل حتى الآن العلاقة بينهما وكذلك ما يدل عليه كلّ منها بشكل فردي.

لم تكن هذه الملاحظات اللغوية الشاملة (Metalinguistic) (التي تدرس اللغة وعلاقتها بالثقافة والمجتمع) لا ممكنةً ولا ضروريةً للتجزئة والبلورة الأقدم للأسماء والأفعال من الإيماءة بكليتها. ولم تكن كذلك أيضاً القواعد التي تُكَوِّنالبنيات المعقدة. وببساطة إن ربط الطرق المختلفة للإمساك باليد وعرضها مع الأشياء المختلفة والكائنات وكذلك ربط الطرق المختلفة لتحريك اليد أو اليدين بمختلف التغيرات والحركات سيزود المستخدمين الأقدم للإيماءة أو لغة الإشارة بقواعد نحوية ضليعة كمرحلة «قواعد النحو المحورية المفتوحة» التي مَيَّزها جيلٌ سابق من علماء اللغة النفسيين في اكتساب اللغة عند الأطفال (على سبيل المثال، Bullowa 1977؛Braine 1963).

ولا ينبغي أن يُؤخَذَ (هذا) التشابه حرفياً. فالأطفال في «محور الكلام المفتوح» أو في مرحلة «نطق العبارة المؤلفة من كلمتين» (تقريباً في عمر الثمانية عشر شهراً) يُعتبرون بعيدين كل البعد عن كونهم قادرين على الصمودمن دون رعاية البالغين واحتضانهم لهم. ولكن عندما تطور التواصل البشري القديم من مرحلة الإيماءة

الشاملة إلى مرحلة اليد- هو- الاسم، والحركة- هي- الفعل، كان هؤلاء البشر يتحكمون بحياتهم وبيئتهم الطبيعية والاجتماعية بشكل كبير جداً. وكانت بنيتهم الاجتماعية، وصناعتهم للأدوات، وبناؤهم للمأوى، واستخدامهم للنار، وميولهم الفنية التي كانوا يعبرون عنها بالمواد المتينة التي كانت تدوم طويلاً أو بما تركوا على جدران الكهوف، وتكيفهم مع الحيوانات الأخرى التي تتقاسم معهم بيئتهم، ففي الحقيقة كان من الممكن أن يتغير كيانهم الكلي تغيراً كاملاً من خلال قواعد نحوية مؤلفة من عنصرين بسيطين.

قد يكون النحو المؤلف من عنصرين بسيطاً، ولكنه ضليع ويعتبر اكتسابه خطوةً عملاقة نحو تكوين العقل البشري بالكامل، لأنه ينطوي على نظام أبسط بكثير، ونعني به، الرؤية والحركات المتناسقة والدماغ الكامل للجنس البشري. أضف أنه لم يكن لهذا النحو أن يبقى طويلاً عند مرحلة الجملة الاسمية والجملة الفعلية. فالحركة التي يؤديها شخصٌ ما من خلال تأرجح اليد على جانب اليد الأخرى للإمساك بإصبع منها تم تثبيته بشكل مستقيم في هذه اليد، هي حركة معروفة عالمياً في سياقات مناسبة لتعني «أنا أمسكت به» أو «أنا قبضت عليه»، ولتعني تغير نمط الفعل من اللازم إلى المتعدي. وإن تحريك أو هز الرأس أو تقطيب الجبين أو أي تعبير طبيعي يصحبه إيماءة تقليدية تعني «ضربه بتلك الطريقة»، يمكن أن تنبه المتدرب على صنعةٍ ما والذي يعمل على صناعة أداة معينة أن لا يستمر في المهمة بالطريقة الخاطئة. وإن تعابير الوجه التي تشير إلى الموافقة، والدهشة، والعديد من المشاعر الأخرى المرئية في الوقت الذي تتحرك فيه اليد للتعبير عن جملةٍ ما، كلها تضيف معانٍ أصبحت تُعْرَف باسم المعاني الظرفية والوصفية بعد مئات آلاف السنين من معرفة حقيقتها.

وبما أن اليد البشرية خُلِقَت لاستخدامات أكثر، فنية ونفعية وتواصلية، فإن مختلف الأشكال ومسارات الحركات التي كانت تتخذها في مثل هذه الأنشطة كانت ستصبح حالاً إشاراتٍ تمثلها. ولقد أظهر فرانك ويلسون Frank Wilson) ((1998) كيف كان تطور المفاصل في الأصابع البشرية، واليد، والذراع، والكتف ليس مدفوعاً بشيءٍ بقدر ما مدفوعٌ بازدياد استخدام اليد المتنوع وعلى نحو متزايد. وإن الاعتقاد بأن هذه الاستخدامات كانت تمثيلية وكذلك وسيلية مفيدة لهو أمر منطقي واقتصادي في نفس الوقت.

إذا كانت الإيماءة التي تصدر عن المتكلمين الحاليين لدى سرد قصة هي أثرٌ للغة كما كان يمكن إيجادها كذلك في عصرٍ سابق، فإنها، مع ذلك، أدلةٌ غير حاسمة ومُبْهَمَة. وإن الإيماءات التي قام ماكنيل بدراستها، تماماً كالعديد من الإيماءات الشائعة، قد تكون غامضةً فقط في وعي ودراية المتحدث إذا كانت كذلك بأي حالٍ من الاحوال. ولكن الإيماءات الشائعة الأخرى، أي تلك المستخدمة بدلًا من الكلام، مثل «وداعاً»، «بعدك»، «موافق»، «ما هو فوق لك»، وما إلى ذلك، عادةً ما تصدر عن الأشخاص بوعي كامل ويبدو أنها أبقت على «الكل الأقل تمايزاً» والذي ربما قد تكون اللغة أتت منه. لا يوجد أيُّ سببٍ لجعل الاستخدام النحوي للإيماءات يستحث كل استخداماتها الشاملة، وهذه الأخيرة غالباً ما تزودنا بتعبير اقتصادي وفوري ضروري في بعض الحالات.

إن لغات الإشارة لدى الصم، والتي سبق ذكرها، تزودنا بالمزيد من القرائن التي يجب البحث فيها، أضف إلى ذلك أن مستخدميها على درايةٍ باستخدامها للتعبير عن كل أفكارهم ومشاعرهم، ولكن ينبغي توخي الحذر مرة أخرى. إذ سيكون القول بأن لغات الإشارة الحديثة هي تماماً مثل اللغات الأولى اقتراحاً غير مسؤول. ومع ذلك، فإن النظرة المُعاكسة لتلك، بأن استخدام الإشارة عند الصم هو أحدث بكثير من الكلام ومرتبطٌ به، هي نظرة خاطئة أيضاً. كتب ميرلين دونالد (Merlin Don-ald) ما يلي: «إن وصاية لغة الإشارة الرسمية، والتشابه بينها وبين بعض أشكال الكتابة، يجعل من المُقْنِع تصنيفها مع كتابة الإيديوغراف والاختراعات الحديثة الأخرى، وليس مع المهارات الروائية الشفوية والكلام» (1991, p. 308).

ويُعتبَر هذا استكمالاً للخطأ الذي ارتكبه منذ فترة طويلة بلومفيلد (Bloom-field) وسابير (Sapir) في دراساتهما عن اللغة. ويبدو أن هذا الخطأ قد نشأ لأن المُخْبِرين عن لغة الإشارة للصم (المعلمين الاختصاصيين في النطق) كان لديهم مصلحة راسخة في منع استخدام لغة الإشارة بأي ثمن، إذ كان يُدْفَعُ لهم المال لتعليم الأطفال الصم الكلام والقراءة الشفهية. صحيحٌ أن الصم في كثيرٍ من البلدان يستخدمون بالإضافة إلى لغة الإشارة الخاصة بهم مجموعةً من الأحرف الفردية المُمَثَّلَة يدوياً. وهكذا، من خلال تهجئة الأحرف بالإصبع، كانوا يُدْخِلون بحريةٍ

أكثر أو أقل كلماتِ اللغة المحكية المحلية (والمكتوبة) في محادثتهم الإشارية. هذان النظامان – لغة الإشارة الفعلية، والكلمات المكتوبة من خلال التهجئة بالإصبع – يمكن أن يندمجا أيضاً، كما هو الحال عندما يتم اختصار كلمةٍ تتم تهجئتها بالإصبع وتغييرها بصورةٍ مختلفة لتصبح إشارةً فعلية (Battison 1978).

إن خطأ دونالد في تصنيف لغات الإشارة يجب أن لا ينتقص من تَتَبُّعِهِ الدؤوب لمراحل التغير الثقافي بدءاً من الأوسترالوبيتيثين وانتهاءً بالإنسان العاقل. ولا يمكن أن يكون التعبير المرئي عن المفاهيم المرتبطة نحوياً قديماً قِدَمَ التعبير عن مشاعر الحيوانات (Darwin 1998)، ولكن لم يمض بالتأكيد وقت طويل على ظهور التعبير الإيمائي عن الاتجاهات وتحديد الأشخاص والأشياء بعد الفترة التي كان يُنْظَرُ فيها إلى الأنواع الأحفورية على أنها مختلفة بما فيه الكفاية عن القردة الجنوبية التي سيتم تضمينها في الجنس البشري.

التعبير، لغة الجسد ولغات الإشارة البديلة

إن ما يحدد المسار التطوري للغة هو أكثر من الإيماءات اليدوية. وبالتأكيد كان يرافق هذه الإيماءاتتعابير الوجه المختلفة وجميع أنواع السلوك التي تندرج في العبارة الشعبية «لغة الجسد» – وربما إلى حد بعيد على الأرجح في النطق العَرَضي أيضاً. ومن المؤكد أن اللغات الأقدم كانت تشبه لغة الإشارة الحديثة للصم في اتجاهٍ واحد منها: عندما تكون الرؤية هي نظام استقبال اللغة، وعندما تنطوي إشارات اللغة على النشاط البشري المرئي، فإنه يجب الانتباه إلى المظهر الكلي لمن يقوم بالإشارة. وإن الفصل الحديث للمشاعر أو التأثر عن التفكير، هو مجرد – التأثير الحالي للتحليل غير المناسب. ويعبر عن ذلك إ. ج. كايرنز سميث (A. G. Cairns-Smith). بإيجازٍ بقوله أن «الفكر الإدراكي الواعي يتضمن المشاعر» (1996, p. 154). وهذا يعيدنا إلى الوراء إلى ملاحظة كينزبورن: يمكن أن يتدافع التفكير، المنطق، النحو والفكر – جميعاً في أوقات مختلفة من الكل غير المتمايز لما نسميه الشعور، ولكن ما يقوم به الدماغ فعلاً هو كل هذا.

بالإضافة إلى الإيماءات الشائعة وإشارات لغات الإشارة لدى مجتمعات الصم (والتي قد تكون وطنية، وفي أميركا الشمالية قاريةً تقريباً في نطاقها)، يمكن العثور على الأثر أو البقايا في لغات الإشارة البديلة.فيما يخص لغات الإشارة عند

السكان الأصليين في أستراليا 1998(، سَجَّل آدم كيندون (Adam kendon) تقارير عن دراسته الموسعة حول لغات الإشارة عند السكان المحليين (وورلبيري -Warl piri) وهم مجموعة من الأستراليين المحليين) وعند القبائل الأخرى في الصحراء الوسطى الشمالية. استنتج كيندون قائلاً: «لكنْ، إن دراستنا لِلُغات الإشارة في الصحراء الوسطى الشمالية تبين بوضوح أن لغة الإشارة ليست مُجْبَرَة بالوسيلة التي تستخدمها لتتطور بهذه الطريقة» [أي بالطريقة التي تتطور بها لغة الإشارة الأميركية مثلاً]. وفي فقرة سابقة، يذكر كيندون بعض هذه التطورات النحوية: «الحَيِّز. . .الذي يتم استغلاله للتعبير عن العلاقات النحوية، ونظام الإعراب أو التصريف «الطبقي»، واستخدام ما يسمى بـ «المُصَنَّف: الأشكال». «ويضيف أن هذا الاستغلال لن يتحقق «إلا إذا لم يكن هناك أي لغة محكية سائدة مشتركة كلغةٍ أولى بين كافة المستخدمين»» (المصدر نفسه، ص 437–438).

إن الفرق في البنية النحوية بين لغة الإشارة البديلة مثل استخدام الوورلبيري (Warlpiri) ولغات الإشارة للصم كما وصفها اللغويون من قبل، قد تشير (جنباً إلى جنب مع اقتراح كيندون بأن اللغة المحكية تحدد بنية لغة الإشارة) إلى أن لغة الإشارة في الصحراء الوسطى الشمالية لا تكمن في المسار التطوري الذي انطلق من بداية الإيماءة إلى اللغات المحكية الحديثة ولغات الإشارة الأولية. ومع ذلك، ما يزال أفراد القبائل الأميركية المحلية الأصلية يستخدمون لغات الإشارة البديلة الأخرى. إنهم يحافظون على تقاليدهم القديمة، ولكن هذه تؤدي بنا إلى «لغة الإشارة الهندية»، التي تم وصفها على نطاق واسع، ولكنها للأسف أُسيء فهمُها، ولقد عُرِضَت هذه اللغة بشكل بارز وغير أصيل ومُوَثَّق في عدد لا يُحْصى من الأفلام الغربية. وإن عمل غاريك ماليري (Garrick Mallery) الضخم الذي صدر في العام 1881، لغة الإشارة بين هنود أميركا الشمالية بالمقارنة مع **لغة الإشارة للشعوب الأخرى وللصم والبكم** (*Sign Language among the North American Indians Compared with that of other Peoples and Deaf Mutes*)، هي دراسة أنثروبولوجية تستوجب التقدير ووافية للغرض في عصرها. ومع ذلك، فهي متناقضة إلى حدٍّ ما. ففي بعض الأحيان التي كان ماليري يشير فيها إلى لغة الإشارة في صيغة المفرد ويؤكد على شموليتها، كان يسرد أيضاً في مُلحَقٍ عنده الإشارات

الشديدة الاختلاف والتي تستخدم لتحلَّ محل نفس المعنى الذي تستخدمه القبائل الآتية من المناطق البعيدة جداً.

ما يزال لايمان (Laymen) يتساءل إذا كان هناك لغة إشارة واحدة، مفهومة عالمياً؛ والجواب هو: «بالتأكيد لا». ولكن كان الرأي السائد منذ زمن ماليري فصاعداًيفضل اجتذاب العالمية، وكان يتم تعزيز «لغة الإشارة» كلغة عالمية من قِبَل كتاب آخرين لتُرشدهم في السلام العالمي. ولكن أنصار هذا الرأي وجدوا أن مفردات مناطق السهول غير مناسبة لترجمة كتاب روبرت **قوانين النظام** (*Rules of Order*) ولترجمة اللغة التشريعية الرسمية، وبالتالي فإنهم استوردوا بالجملة الإشارات من الكتب المصورة في ذلك الوقت والتي كانت تعرض إشارات «الصم-البكم». وكان ادعاؤهم بأن لغة الإشارة في المناطق السهلية كانت لغةً مشتركة مرئية يفترضُ ضمناً أنه كان يتم اختراعها عند الحاجة، في الوقت الذي كانت فيه القبائل الهندية التي تتكلم لغاتٍ مختلفة تلتقي ببعضها البعض، وكذلك تلتقي بصيادي الجاموس الأبيض وأصحاب الأراضي الذين كانوا يتكلمون اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية.

على الرغم من تأثير التقارب المتعدد اللغات على المجال الذي كان يجوب فيه الجاموس، هناك دلائل أقدم بكثير تشير إلى أنه كانت هناك قبائل تتكلم لغات الإشارة البديلة، وخاصةً في الغرب الجنوبي. أحد الأدلة كان قائمة الإشارات المُوَسَّعة للأعوام (1870–1880) التي وضعها ماليري، أما الدليل الآخر فهو دراسة بريندا فارنيل (Brenda Farnell) الأخيرة لشعب أسينيبوين أو ناكوتا (Nakota) (الشعب المحلي لأميركا الشمالية) في محمية فورت بيلناب (Fort Belnap) في ولاية مونتانا (1995). وهي تصف في هذه الدراسة مُجْتَمَعاً يتكلم لغتين (أو ثلاثة إذا تم تضمين اللغة الإنجليزية)، ولغة ناكوتا المحكية و»كلام الإشارة في مناطق السهول»، وتتناول بالتفصيل (سواءً في الكتاب أو في القرص المضغوط المتوفر) أداء الراوي للقصص والذي تمت ملاحظته. وهذا لا يمكن فهمه أو ترجمته إلا إذا عرف الشخص كلًا من اللغة التي يتحدث بها ولغة الإشارة التي يستخدمها، وذلك لأن الإشارات والكلمات المحكية هي فعلاً مُكَمِّلة لبعضها البعض، وليست متوازية

كما هو الحال عليه في دراسة ماكنيل عن الرواة الذين يستخدمون الإيماءات أو في لغة وويلبيري (Walpiri) في محادثات النساء التي تُسْتَخْدَم خلالها اللغة والإشارة في وقت واحد.

ما وجدته فارنيل يذهب إلى ما هو أعمق من البنية النحوية للغات المحكية وللغات الإشارات. وإن دراستها الإثنوغرافية (الأنثروبولوجية) الوصفية المعَمَّقة تُبَيِّن حركات الإشارة وكذلك الرقص والطقوس من خلال الرموز التصويرية، والمؤشرات التي تعبر رمزياً عن مفهوم شعبناكوتا عن الأرض مثلاً. وهي لا تفرض اتجاهاً شمالياً– جنوبياً أو شرقياً– غربياً، ولا تفرض أنساقاً ديكارتية على الفضاء، ولكن تندفع على امتداد قوس لتشمل رباعياً كاملاً من الدائرة الأفقية لكل اتجاه. وإن الدائرة هي الرمز الجوهري في علم الكونيات عند هذه القبيلة ويتم تصويرها في لوحاتهم ومنحوتاتهم ورقصاتهم وكذلك في غنائهم. وتلاحظ فارنيل أيضاً أن ترجمة إشارةٍ واحدة وجملة محكية واحدة عند شعب ناكوتا بشكل متبادل تعني «هو يفكر بوضوح» و«هو سخي» على حد سواء. وبالعودة إلى فكرة أن «الفكر الواعي يتضمن الشعور» لكايرنز–سميث، يتم التعبير عن هذه الإشارة الأسينيبوينية (As-siniboine) بتحريك اليد من منطقة القلب، وليس من منطقة الرأس. وباختصار، إن الإثنوغرافيا (الأنثروبولوجيا) عند فارنيل تؤسس بوضوح للدور المركزي للحركة في إحداث المعنى؛ وليس فقط لمعنى الكلمة والجملة ولكن للنظرة الثقافية الكاملة لهذه الشعوب عن أنفسهم وعن الكون من حولهم.

ليس هناك دليلٌ واضحٌ في كل هذا ومع ذلك، هناك فقط احتمال أن الحركات كانت قد أصبحت لغاتِ إشارةٍ قبل أن يكون هناك أو قبل أن نتمكن حتى من إيجاد لغةٍ محكية. وإن أقرب شيء إلى الدليل الملموس على ذلك والذي يجب على المرء أن ينظر فيه، في مناطق أبعد من ذلك في الغرب، إلى متكلمٍ واحد أو اثنين من قبيلة لوتوامين الهندية التي تعيش في كلاماث (Klamath) (جنوب ولاية أوريغون في شمال غرب الولايات المتحدة) وإلى تقارير الطلاب الحاليين والسابقين لهذه اللغة (Penutian) التي تنتمي إلى عائلة اللغات الهندية الأميركية التي تستخدم في مناطق ساحل المحيط الهادئ من كاليفورنيا وكذلك إلى لغة المودوك (لغة الأميركيين المحليين الأوائل) المنقرضة التي تتصل بها. بمجرد الإشارة إلى هذه

البنية للفعل، من الممكن أيضاً إيجاد بنياتٍ مشابهة ومتطابقة لها في أفعال عددٍ من لغاتهم الأصلية.

الأصوات (المنطوقة) والإشارات الجسدية

إن لغات الكلاماث والمودوك الهندية تحتوي على أفعال ذات بنية مهمة للغاية. وتتكون هذه الأفعال، إذا استخدمنا مصطلحاتٍ لغوية، من وحدتين من الوحدات اللغوية الأصغر ذات المعنى والمربوطة بوحداتٍ أخرى (Bound Morphemes). وهذا يعني أنه لا يمكن لأي جزءٍ منها، والذي قد يكون مقطعاً لفظياً (Syllable) أو حرفاً ساكناً فقط، أن يأتي لوحده، ولكن كلاهما يعبران سوياً عن المعنى الواضح للفعل. ما يهمنا بشكل خاص هنا فيما يخص هذه الأفعال الأميركية المحلية هو أنه في العديد منها، يكون الجزء الأول ترجمةً حرفيةً لشكل اليد وإن شكل اليد يحل محل شيء يشير إليه هذا الشكل بشكل مرئي واضح. يترجم الجزء الثاني من هذا الفعل حركةً يدوية من النوع الذي يتطلبه صنفٌ كاملٌ من الأشياء. وبالتالي إذا أراد ناطقٌ بلغة كلاماث أن يقول أنَّ شخصاً ما رمى شيئاً، فإنه يجب أن يُعَرِّف الشيء الذي تم رَمْيُه لاختيار الفعل الصحيح. إن الفعل المستخدم للتعبير عن رمي الكرة يختلف عن الفعل المستخدم للتعبير عن رمي الرمح من ناحيتين. فالأول لديه بادئة تدل على صاروخ مضغوط يشبه الكرة؛ كما أن لاحقته تدل على الرمي من خلال حركةٍ لليد فوق الكتف ترسم اليدُ خلالها شكلَ قوسٍ. في الفعل الذي يعني رمي الرمح، تدل البادئة على رمحٍ يمكن إمساكه وتوجيهه إلى مستوىً أعلى في إشارةٍ إلى الأمام أما اللاحقة فتدل على حركة لا تشبه تحرك القوس ولكن تبقي اليد على مستواها عندما تدفعها إلى الأمام.

هذا الوصف هو للحركات البدنية التي يدل عليها الفعلان اللذان يستخدمان للتعبير عن الرمي. وهي حركاتٌ لا يمكن أن تكون عكسية. وليس هناك من وسيلةٍ يمكن فيها لأصوات البادئة واللاحقة الخاصة لأفعال الكلاماث – أو لأصوات أي من الأفعال المنطوقة– أن تخلق، توجه، أو تشكل تلك الحركات الخاصة لليد والذراع. بمجرد تطور اليد– الذراع– الكتف عند الإنسان، يمكن استخدام هذين النوعين المختلفين من الرمي – غير الممكنَين عند غير البشر–كما يشهد على ذلك علم المتحجرات (أو علم الأحياء القديمة). وهذه يمكن أن تكون حركات

مفيدة جداً لمخلوق أصغر حجماً وأقل تجهزاً من أي أقرباء رئيسيين بعيدين ومن الحيوانات المفترسة المحتملة الأخرى. ولكن هذه الحركات كانت بالطبع موضوعة في الاستخدام العملي قبل أن يتم استخدامها كتمثيلات مرئية.

وإن التمثيلات الأقدم والأكثر طبيعيةً لهذه الطرق من الرمي كانت حركاتٍ مُقَلِّدَة تحدث بيدٍ فارغة. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الإشارات التصويرية- التي تخدم كمؤشر كانت ستبدو مشابهة جداً لإيماءاتنا الحالية وإن إشارات لغة الإشارة الحديثة لنفس الحركة ما تزال تبدو كذلك. هذه الأفعال في لغات كلاماث ومودوك، وربما إلى حد بعيد في اللغات المحلية الأصلية الأخرى، تحافظ على الطابع الدلالي والتسلسل اللازم للأجزاء الإيمائية – إذ يتم تحديد شكل اليد قبل أن يتم تحريكها. وهذا دليلٌ واضح كأي دليل يمكن أن نجد فيه على الأرجح بأن اللغة المحكية يمكن أن تتطور من ربط الأصوات الملفوظة بالإشارات المرئية التي تم إقرانُها مسبقاً بمعنىً محدد. إن طبيعة الرؤية والسمع والقواعد أبطلت الفكرة المعاكسة، وهي أن الإيماءات كان يمكن أن تبدأ كترجماتٍ لها ولأي ألفاظٍ أخرى.

لا يوجد دليل راسخ على أن بصيرة الإنسان سابقاً فيما يخص بنية الإيماءات الكلية استهلت اللغة المستكملة بالبنية النحوية، ولكن التفكير بهذا كفرضية لحل المسألة قد يؤدي إلى فهم أفضل لتطور الدماغ والعقل وكذلك لتطور اللغة والثقافة. إن الاعتراف بالقوة السيميائية الدلالية في الإيماءات، والذي يبدو نقصاً، يمكن أن يحسن تعليموتربية الأطفال. ولقد أُثْبِتَ أن التفاعل الإيجابي ذي المعنى في السنوات الثلاث الأولى من حياة الطفل له تأثير دائم على النمو العقلي (Hart and Risley 1995). ومن المُسَلَّم به أيضاً أن جميع الأطفال، الصم وغير الصم، يتواصلون (أي يستخدمون عقولهم)، عن طريق الإيماءة لبضعة أشهر قبل أن يستخدموا لغة الكبار القائمين على رعايتهم (Volterra and Iverson 1996). يستطيع الأطفال الصم وكذلك الأطفال بشكل عام أن يستفيدوا من الوعي العلمي والعام المتزايد بالقوة الكامنة في الإيماءات. في حين أن العديد من حركات الذراع واليد قد تكون ملاحق يمكن الاستغناء عنها لما يجري التحدث به، لا تزال التمثيلات الإيمائية منشطاتٍ قوية للذهن لأنها تنطوي على التناسق بين اليد والعين والدماغ.

قراءات إضافية:

Armstrong, D. (1999) *Original Signs: Gesture, Signs, and the Sources of Language*, Washington, DC: Gallaudet University Press.

Armstrong, D. *et al*. (1995) *Gesture and the Nature of Language*, Cambridge: Cambridge University Press.

Corballis, M.C. (1999) «The gestural origins of language», *American Scientist* 87(2):8-16.

Stokoe, W. C. (1997) «Language is natural but not automatic», *Semiotica* 113(3/ 4): 369-83.

Wilson, F. R. (1998) *The Hand: How its Use Shapes the Brain, Language, and Human Culture*, New York: Pantheon.



الفصل الرابع

اللغة في بيئة العقل

راي جاكندوف

تم استطلاع العلاقة بين اللغة والعقل على مدى قرون باعتبارها إحدى القضايا الأهم والأكثر إثارةً للجدل في الفلسفة وعلم النفس. تستعرض هذه المقالة موقفاً معاصراً وتُبيِّن بإيجاز الاختلاف بينه وبين وجهات النظر الأخرى الحالية. مع ذلك، وبما أن مصطلحي اللغة والعقل مفتوحان على مجموعة واسعة من التفسيرات، من الضروري أن نبدأ بتوضيح ما يُقْصَدُ بهما هنا.

ما هو العقل؟

على نحوٍ تقليدي، كان العقل يُفْهَمُ على أنه مقر الوعي والإرادة؛ وإن مسألة «العقل- الجسم» تهتم بعلاقة الوعي والإرادة مع العالم المادي. منذ زمن فرويد (Freud) على الأقل، أصبحنا معتادين على التحدث عن العقل اللاواعي أيضاً. وإن العلوم المعرفية الحديثة أصبحت تستخدم مصطلح العقل (أو العقل/ الدماغ) للتعبير عن «النشاط الوظيفي» للدماغ، الذي هو واعٍ في جزءٍ منه وغير واعٍ في الكثير من الأجزاء الأخرى.

وهناك طريقة قياسية لفهم النشاط الوظيفي من حيث التناظر (التشابه) الوظيفي مع المكونات-البرمجيات (Hardware-Software) في الحواسيب: إذ يُعْتَبَر الدماغ موازياً لمكونات الحاسوب الإلكتروني، ويعتبر العقل موازياً لبرامج الحاسوب. عندما نتحدث عن برنامج معين لتشغيل الكمبيوتر، لنقل مثلاً، عن

«الوورد 97» (Word 97)، ونتكلم عن تخزينه لبعض هياكل البيانات التي تمكنه من تشغيل ذلك البرنامج، فإننا نتكلم عنها من حيث المصطلحات الوظيفية – أي من حيث التنظيم المنطقي للمهمة التي يؤديها الكمبيوتر. من حيث المصطلحات المادية (المكونات)، يتجسد هذا التنظيم الوظيفي في مجموعة من المكونات الإلكترونية الموجودة على رقائق، وأقراص، وما إلى هنالك، والتي تتفاعل من خلال الدفعات الكهربائية. وبالمثل، إذا كان لنا أن نتحدث عن العقل (أو العقل/الدماغ) لتحديد الملامح البصرية أو لفهم اللغة، فإننا نتكلم بعباراتٍ وظيفية؛ ويتجسد هذا التنظيم الوظيفي في مجموعة من الخلايا العصبية المُنْخَرِطة في التفاعل الكهربائي والكيميائي، وهناك بعض الخلاف حول مدى جدية اتخاذ التماثل (التشابه) الحسابي (انظر مثلاً Searle 1980)، ولكن هذا التماثل أثبت أنه وسيلةٌ تجريبية سليمة لفهم عمليات المخ.

أصبح من الواضح أنه، بعكسِ الحاسوب القياسي، لا يملك الدماغ (وبالتالي العقل) «مُعالِجاً مركزياً تنفيذياً»يتحكم في جميع أنشطته. بدلاً من ذلك، يتألف الدماغ من عددٍ كبير من الأجهزة المتخصصة التي تتفاعل بشكلٍ متوازٍ من أجل تكوين فَهْمِنا للعالم والتحكم بأهدافنا وأفعالنا في العالم. وحتى ما يبدو لنا جهازاً فرعياً مُوَحَّداً مثل الرؤية، وُجِدَ أنه ينقسم بدوره إلى العديد من الأجهزة الأصغر المسؤولة عن ضبط الحركة، والعمق، وتنسيق حركات مدِّ اليد للوصول إلى شيءٍ ما، والتعرف على الوجوه، وهكذا دواليك. للعديد من هذه الأجهزة المتخصصة أصل تطوري، كونها وجدت في الرئيسيات (أعلى رُتب الثدييات كالحيوان والقرد) والثدييات الأكثر بعداً واختلافاً والتي لها صلة بها.

كثيراً ما يستخدم مصطلح التمثيل العقلي من أجل الإشارة إلى «هيكل بيانات» في العقل؛ على سبيل المثال، يمكن أن يتكلم الفرد عن التمثيل العقلي للشكل أو عن علاقات القرابة. بعض الباحثين يَحْفَظون بهذا المصطلح «لهياكل البيانات» التي تنعكس في التجربة الواعية للإنسان؛ ومع ذلك، هنا سيتم استخدام «التمثيل العقلي الواعي» لهذا الغرض، مع التسليم بإمكانية وجود «التمثيلات العقلية اللاوعية» أيضاً.

في الوقت الحاضر، لا يُعْرَف إلا القليل عن كيفية ربط التمثيلات العقلية

بالتجسيد المادي لها في الخلايا العصبية، باستثناء استخدام التموضع الإجمالي نسبياً للنشاط الدماغي الذي كشفت عنه التقنيات الجديدة والمُهِمَّة لتصوير الدماغ وكذلك باستثناء الدراسات المُتَعَارف عليها للأفراد الذين يعانون من إصابات في الدماغ. مع قليلٍ من الاستثناءات (في المقام الأول في حالة ضعف الرؤية مثل دراسات (Hubel and Wiesel 1968)، من الصعب أن نفهم كيف يمكن لأيٍ من هذه الأماكن في الدماغ أن تقوم بما تقوم به، ومن الصعب أن نفهم ما هي «هياكل البيانات» التفصيلية التي تعالجها وتخزنها هذه الأماكن من الدماغ). هناك خلافٌ حاد حول علاقة نشاط الدماغ بمشاكل الوعي والإرادة المُتَعارف عليها (Dennett 1991; Crick 1994; Shear 1998).

ما هي اللغة؟

يمكن فهم مصطلح اللغة في معناه الواسع على أنه يشمل تقريباً أيَّ نسقٍ منظم؛ من أنظمةِ التواصل الحيوانية، إلى لغاتِ الكمبيوتر، إلى «لغةِ الجسد»، إلى «لغةِ البناء». وهنا أود أن أفهم اللغة بالمعنى الأضيق الذي يستخدمه علماء اللغة، مستبعداً كل ما سبق ذكره ولكن مُضَمِّناً اللغات الإنجليزية والهولندية والصينية، والنافاهو (وهي لغةُ قبيلةٍ هندية تقطن في أميركا الشمالية)، وحوالي 6,000 لغة محكيَة طبيعية أخرى في العالم (مع لهجاتها) في تعريفي للغة. لقد أظهرت السنوات الثلاثون الماضية أن هذه الفئة ينبغي أن تشمل أيضاً لغات الإشارة مثل لغة الإشارة الأميركية (ASL) (Klima and Bellugi 1979; Fischer and Siple 1990).

في مقاربةٍ لربط اللغة بخصائص العقل، نجد أنَّ جوهر اللغة هو إقرانُ العبارات بالرسائل. فالعبارات هي الجانب «الخارجي» أو «العام» للغة: الأقوال، الكتابات، أو الإيماءات التي يبتدعها المتكلم الذي يمكن أن يفهمه المُخاطَب بشكل طبيعي. والرسائل، الجانب «الداخلي» أو «الخاص» للغة، هي الأفكار (أو المفاهيم أو المعاني) التي يرغب المتكلم أن يبلِغها إلى المرسل إليه عن طريق العبارة المرتبطة بها.

يمكن أن تنطبق الفقرة السابقة أيضاً على أنظمة التواصل الحيواني. ومع ذلك، فإن لغة الإنسان تتفوق على التواصل الحيواني في ناحيتين جوهريتين. الناحية الأولى هي مجالها في التعبير: يمكن للغة الإنسانية فقط الحديث عن الأشياء

المتواجدة في البيئة، والعلاقات الاجتماعية، والتاريخ، والمستقبل، ونتاجات الخيال؛ وكذلك يمكن فقط لِلُّغة الإنسانية أن تنقل الحقائق، وتقدم المطالب، وتصدر الأوامر والتعليمات. أما الناحية الثانية فهي إنتاجيتها اللامحدودة: إذ كما أكَّدَ تشومسكي (1965، 1972) (بعد ديكارت (Descartes) وهومبولت (Hum-boldt)، تُوفر لغةُ الإنسان إمكانيةَ خلقِ عددٍ لا حدودَ له من التعابير ذات الطول العشوائي؛ وعلاوةً على ذلك، ترتبط هذه العبارات بالعديد من الرسائل المتوازية التعقيد. على الرغم من أن بعض أنواع التواصل تدخل في قالبٍ نمطيٍ نسبياً («كيف حالك؟» «بخير، شكراً»)، هناك نسبةٌ جوهرية جديدة من المزاوجات بين الرسالة– التعبير التي يبتدعها مستخدم اللغة ويَسمعُها (انظر إلى هذه الجملة مثلاً).

يجب أن تشتمل التمثيلات العقلية المعنية باللغة على الرسائل (الأفكار أو المفاهيم) التي تنتقل عن طريق اللغة؛ وسوف نعود إلى هذه المسائل حالاً. ولكن، يجب أن يكون هناك أيضاً تمثيلات عقلية للعبارات التي تصلح لأن تكون صيغةً لنقل الأفكار. يجب استخدام هذه التمثيلات سواءً في إرسال الرسائل وفي استقبالها. وبالتالي، فإنها لا تستطيع أن تُشَفِر أو تعبر بالضبط لا عن الطريقة التي «تُسمَع فيها العبارة وتُدرَك» «ولا عن «كيفية توليد (لفظ) العبارة نفسها»: إذ يجب أن تكون محايدةً بين إنتاج العبارة (لفظها أو إرسالها) وبين تَلَقِّي العبارة أو الإدراك الحسي لها.

إن تمثيل الرسائل والعبارات عقلياً ليس كافياً لاستخدام اللغة. إذ يحتاج المتكلم إلى وسيلةٍ ليربطَ بين الرسائلِ والعبارات– أي لدى إنتاج العبارة، وذلك لِيُعَبِّر عن رسالةٍ يرغب بنقلها؛ ولدى فهمها وإدراكها، وذلك لتفسير العبارة التي يتلقاها أو يدركها حسياً. وبالإضافة إلى ذلك، بما أن التمثيل العقلي للعبارات هو على الحِياد بين الإدراك والإنتاج، فإن المتكلم الذي ينتج تعبيراً ما يحتاج إلى الانتقال من التمثيلات العقلية للعبارات إلى حركات اللسان، والشفتين، وما إلى ذلك، وهذا بدوره يجعل الموجات الصوتية تنتقل عبر الهواء؛ وكذلك فإن المتكلم الذي يسمع تعبيراً ما بحاجة إلى أن يكون قادراً على تحويل الموجات الصوتية المنتقلة عبر الهواء إلى تمثيل عقلي للعبارة. وهكذا نصل إلى أسلوب بناءٍ أوليٍ للمنظومة كما هو مُوضَح في الشكل 1.4. الشكل 1.4. هو نظام اللغة المحكية. وإن

اللغة المكتوبة واللغة المُعَبَر عنها بالإشارة تتطلب تمثيلاتٍ عقلية مختلفة للعبارات وبالتالي تتطلبُ تخطيطاتٍ مختلفة للرسائل وللمدخلات والمخرجات.



الشكل 1.4: نظام اللغة المحكية

بهدف الوصول إلى تقريبٍ أولَ جيد، إن نظام التمثيلات العقلية للرسائل هو نفسُهُ إذا انتقلنا من لغةٍ إلى أخرى. إذ يمكن اعتبار الترجمة من الصينية إلى الهولندية (على سبيل المثال) على أنها ابتداعٌ لعباراتٍ هولندية تعبر عن نفس الرسائل التي تعبر عنها العبارات الصينية المحددة. (سوف نعود لاحقاً إلى تقريبٍ ثانٍ، بشأن درجة عدم قدرة اللغتين عن التعبير عن الرسائل نفسها). من ناحيةٍ أخرى، بما أن تعابير اللغات مختلفة، فإن نمط الانتقال بين الرسائل والعبارات يجب أن يكون مختلفاً بالضرورة (انظر أيضاً كلمة ترجمة (Translation)). ولكن (مرةً أخرى من أجل تقريبٍ أولي)، يُعْتَبَر نظام الانتقال بين التعابير ونظيراتها السمعية والحركية مستقلًا أساساً عن اللغة التي يُنْطَقُ بها (وكذلك، من ضمنِ لغاتِ الإشارة، يُعْتَبَرُ مستقلًا عن اللغة التي يُعَبَرُ عنها بالإشارة).

إذا أُثْبِتَ بأدلةٍ وجودُ ملكةِ اللغةِ عند الإنسان في العقل كمنظومةٍ في موازاة خطوط الشكل 1.4، فإن الناطقين بنفس اللغة يحتاجون (أساساً) إلى نفس المنظومة لفهم بعضهم البعض. والناطقون بلغاتٍ مختلفة يختلفون عن بعضهم البعض في بنية العبارات وفي الانتقال من الرسائل إلى العبارات؛ أما الناطقون بلهجات مختلفة للغة نفسها فهم يختلفون في هذه النظم، ولكن بدرجةٍ أقل.

فكِر الآن بماهيَة الكلمة في هذا النظام العقلي. من الواضح أن الكلمة تشتمل على جزءٍ من العبارة (لفظها، وفي النظام الكتابي، على الرسم الإملائي للكلمة أي تهجئتها)، –هذا هو جانب الكلمة «الخارجي». ولكن وبصرف النظر عن الكلمات

الفارغة مثل بريليغ (Brillig) وتوف (Tove)، فإن الكلمة تحمل معها أيضاً مفهوماً، جزءاً من معنىً أو رسالةٍ – وهذا هو الجانب «الداخلي». وبالتالي فإن الكلمة يجب أن تكون مزيجاً بين جانبٍ خارجي ومعنىً، ولذلك فهي في وقتٍ واحدٍ جزءٌ من منظومة العبارات، وجزءٌ من منظومة الرسائل، وجزءٌ من منظومة الانتقال بينهما. فالمتحدث الذي يرغب في نقلِ رسالةٍ معينة سوف يستخدم هذه الكلمة لينقل هذا الجزء من الرسالة إلى هذا الجزء من العبارة، وسينقل هذا الجزء بدوره إلى انتقالاتٍ حركية تحدث صوتاً. والمستمع الذي يسمع صوتاً معيناً سوف ينقل الصوت إلى جزءٍ من عبارة، ومن ثُمَّ سيصبح بالإمكان استخدام هذه الكلمة ليتم بالتالي الانتقال إلى الرسالة المقصودة. وبالتالي فإن دور الكلمات في نظام اللغة هو ليس فقط كونها أجزاءً ثابتة من البيانات في العقل، ولكن بالأحرى كونُها روابطَ تُسْتَخْدَمُ بشكل فعال في الانتقال ما بين الرسائل والعبارات وفي الاتجاهين.

اندماجية أو توافقية اللغة

اهتمت الكثير من الدراسات العلمية للدماغ والجهاز العصبي بكيفية تنشيط الكلمات المُخَزَّنة في الذاكرة طويلة المدى («الإضاءة على الكلمات») أثناء إنتاج وإدراك الجملة (مثلاً Caramazza and Miozzo, 1997; Pulvermüller 1999). ولكن تنشيط الكلمات وحده ليس كافياً لتفسير فهمنا للجمل. خذ مثلاً الجملة (1).

(1) سَلّم أخي قبعتَهُ لأختِك.

إذا كان فهم هذه الجملة يتوقف فقط على تنشيط الكلمات في الدماغ، فالجملة في (2. أ)، ناهيك عن المعنى الفارغ في (2. ب)، سوف «تضيء «على نفس الكلمات، وبالتالي ستُفهم على أنها نفسها.

2. أ. سلمت أختي أخاك قبعته.

2. ب. أخت أخ كان عليه سلم لي له لك.

من الواضح أن الجملة هي أكثر من مجرد مجموعة من الكلمات: يتم تركيب معاني الكلمة في معنى الجملة عن طريق العلاقات الدلالية (المعنوية) فيما بينها. يشار إلى هذه العلاقات الدلالية إلى حدٍ ما بواسطة البناء النحوي للجملة، وتعكس

العبارة «الخارجية» هذه العلاقات من حيث ترتيب الكلمات (وفي بعض اللغات)، من حيثُ المؤشر الإعرابي أو التصريفي مثل التوافق (بين الفعل والفاعل مثلاً) والحالة. وهكذا، فالجملة هي عبارة عن اقترانٍ للرسالةِ بالعبارة، ويتم الجمع بين كلماتها في جانب «الرسالة» من خلال العلاقات الدلالية، وفي جانب «التعبير» من خلال البنية النحوية التي تشير إلى العلاقات الدلالية.

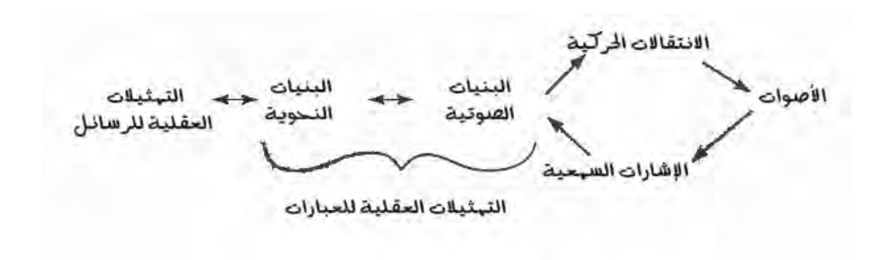
والنتيجة هي أن العقل (/ الدماغ) يجب أن يكون قادراً على بناء عبارات جديدة، ورسائل جديدة، وروابط بينها «على الخط»، وذلك باستخدام الأجزاء والعلاقات المُخزَنة في الذاكرة طويلة المدى. هذا يتطلبُ مساحةَ عملٍ وظيفية، غالباً ما تسمى الذاكرة القصيرة المدى أو ذاكرة التشغيل، وهي ليست مجردَ مساحةٍ أو منطقة لتخزين أو إعادة المعلومات، بل بالأحرى هي عاملٌ نَشِطٌ في تجميع المعلومات في تركيباتٍ منظمة. ولقد أشار تشومسكي (Chomsky) (1957)، (1959؛ Chomsky and Miller 1963) إلى أنه لا يمكن توصيف هذه التركيبات من حيث النظم الإحصائية كاحتمالية ورود كل كلمة في الجملة الواقعة في سياق الكلمات السابقة: فالهدف من فهم اللغة ليس تنبؤَ الجزءِ التالي من العبارة. بل بالأحرى، الهدف هو ربط العبارات الجديدة ككل بالرسائل المركبة الجديدة. وقد توجهت حجج تشومسكي وميلر ضد تعليل معالجة اللغة من حيث العناصر المتسلسلة أو المتتالية احتمالياً (وهذا ما يسمى الحالة المحدودة لعمليات ماركوف (Markov))، وكذلك ضدَّ التعليلات السلوكية للتعلم (كما هو الحال عند سكينر (Skinner 1957). ولكن هذه الحجج تنطبق كذلك على المعاملة الارتباطية لمعالجة اللغة في العصر الحديث مثل تلك التي قام بها ماككليلاند وروملهارت (McClelland and Rumelhart) (1986) وإلمان (Elman) (1990)، والتي تستند على نقاط القوة في رابط التعلم من بين عناصر المدخلات والمخرجات ومن بين عناصر متتاليةٍ ما.

وبالطبع، إن توافقية اللغة ليست حكراً على ملكة اللغة. فهي تظهر مثلاً في العملية العقلية لفهم العلاقات بين الأشياء الموجودة في المجال البصري، والتي تتغير دائماً وتتميزُ بتعقيدٍ كيفي. وهي تظهر أيضاً في التخطيط العملي: انظر إلى عملية بناء سلسلة من الانتقالات الحركية الداخلة في إعادة إرسال كرة التنس، أو

عملية توضيب الأشياء على النحو الأمثل في صندوقٍ ما. من اللافت للنظر هو عدم وجود آلية معروفة حالياً لتدعيم مبدأ التوافقية الخالصة في نظام الخلايا العصبية، وهذا يمثل تحدياً كبيراً لعلم الأعصاب في المستقبل (Marcus 2001).

والتوافقية في اللغة تتطلب منا توسيع الشكل 1.4: «فالتمثيل العقلي للعبارات» يتشعب إلى نوعين متباينين من المعلومات الصوتية والنحوية. وتُعنى المعلومات الصوتية بتسلسل الأصوات الكلامية وخصائصها الإيقاعية (العروضية). أما المعلومات النحوية فهي تُعْنَى بوحدات التوصيف المستقل لوحدات الكلام من حيث أقسامُ الكلام كالاسم، والفعل، والصفة، وتُعْنى كذلك بضم هذه الوحدات إلى وحدات لفظية أكبر (في شبه الجملة) كشبه الجملة الاسمية (الاسم وصفاته) وشبه الجملة الفعلية (الفعل وبراهينه وصفاته أو متغيراته). وإن العلاقات بين الوحدات في بناء الجملة (علم النحو) هي مفاهيم مثلاً هناك «الوحدة الرئيسية لشبه الجملة»، «فاعل الفعل» «صفة الاسم»، «حالة النصب أو المفعول به»، إلى ما هنالك. هذه الفئات والعلاقات لا تفتح المجال للاستبطان بنفس أسلوب أصوات الكلام، بل هي جانبٌ أو مظهرٌ «داخلي» للعبارة، وفوق ذلك كله هي مختلفة عن الرسالة.

يؤدي هذا التشعيب في الرسالة إلى تنظيم الملكة العقلية للغة كما في الشكل 2.4. (الآن يتم تمثيل الوظائف التخطيطية ببساطة عن طريق الأسهم). فالكلمة والجمل تتمثل الآن في كافة المجالات إلى يسار الشكل 2.4.



الشكل 2.4: تنظيم ملكة اللغة

ومن الجدير بالذكر أن هذه الصورة للملكة العقلية للغة تختلف نوعاً ما عن الرؤية القياسية ضمن قواعد النحو التوليدي (Generative Grammar) (Chom-

sky 1965). في تلك الدراسة، يتم تصوير البناء النحوي على أنه القدرة التوليدية المركزية للغة وبالتالي المصدر الوحيد للتوافقية الخالصة؛ حيث يتم استنتاج وتفسير التنظيم الصوتي والدلالي من خلال البناء النحوي. هنا، تظهر التوافقية الخالصة في العناصر الثلاثة كافةً. وتترابط التركيبات بالوظائف التخطيطية (Jackendoff 1997). فبناء اللغة أو النحو، بدلاً من اعتباره جوهر اللغة، يُنظر إليه كآلية وسطية تساعد على الانتقال بين العلاقات «الخارجية» لترتيب الكلمات والمورفولوجيا (علم تشكيل الكلمات) الإعرابية الواضحة في البنية الصوتية، وبين العلاقات الدلالية «الداخلية» التي تبني معاني الكلمات في داخل معاني أشباه (أجزاء) الجمل والجمل.

لاحظ، مع ذلك، أن هكذا إعادة توجيه لدور علم بناء اللغة (النحو) لا تمثل رفضاً للبرنامج الشامل لقواعد اللغة التوليدية عند تشومسكي. وما زال من الضروري أن نصف بدقةٍ أنظمةَ التمثيلِ العقلي التي تؤدي إلى التجربة اللغوية والسلوك اللغوي، على نحو ينسجم مع التوافقية الخالصة للغة، وهذا هو الهدف المركزي للنحو التوليدي.

اكتساب اللغة والفطرة اللغوية

إن محكَّ مقاربة تشومسكي للغة – الذي أدخل علم الألسنية (اللغويات) في حقل العلوم المعرفية – هو مشكلة اكتساب اللغة (انظر سالكي (Salkie)). من أجل أن تكون اللغة فعالةً في التواصل، يجب أن يكون بالضرورة لدى المتحدثين بها أنظمة متماثلة في عقولهم، وكذلك يجب أن يكون هناك نفس التخطيطات أو الخرائط بين الرسائل والتعابير. ومع ذلك فإن هذا النظام ليس موجوداً عند الولادة: إذ يبدو جلياً أن الأطفال يتعلمون اللغة بالاستناد إلى ما يسمعونه في بيئتهم. ولا يمكن تدريس هذا النظام اللغوي للأطفال بشكل مباشر: حتى لو تمكن الأطفال من فهم التعليمات في غياب اللغة، فإن هذا النسق في التعلم ليس مفتوحاً على الاستبطان من قبل الكبار الذين سيكونون بمثابة المعلمين. بالأحرى، يجب أن يتطور هذا النسق بطريقةٍ ما في عقل الطفل في سياق الجهود التي يبذلها من أجل فهم نمذجة السلوك اللغوي للكبار.

إذاً، السؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي النذائر التي يجب أن تكون موجودةً

في عقول الأطفال حتى يتسنى للنظام اللغوي أن يتطور في وجود المدخلات اللغوية في المحيط الذي يعيش فيه الأطفال .على وجه الخصوص، ما هي النذائر الموجودة في ما هو أبعد وفي ما يفوق القدرات المعرفية مثل الذاكرة وموارد الإنصات، والتمييز السمعي، والتحكم الحركي في الجهاز الصوتي، والاندماج الاجتماعي، والقدرة على التعامل مع الكيانات الاندماجية، والقدرة على التعلم عن طريق التقليد؟ بمعنى آخر، ما هي جوانب تعلم اللغة التي تقتضي أن يكون للطفل خصوصية معرفية للغة موجودة مسبقاً في عقله؟ إن المصطلح الشامل والجامع المعروف لهذه النذائر الخاصة باللغة هي القيود المفروضة على تشكيل اللغات الطبيعية أو القواعد النحوية الشاملة العالمية (Universal Grammar) (UG) (تشومسكي 1965؛ انظر أيضاً سالكي (Salkie)). لذلك يمكن التعبير عن السؤال بهذه الطريقة: إلى أي مدى تعتبر القواعد النحوية الشاملة العالمية غنيةً؟

تأمل في الأمر الذي يَرِدُ على المحك عند الإجابة عن هذا السؤال. بما أن النحو الشامل الجامع هو بحكم التعريف غيرُ مُكْتَسَبٍ، فإنه يجب أن ينتقلَ إلى الطفل وراثياً. فالمادة الوراثية، وبطبيعة الحال، لا يمكن أن تُبَرْمِجَ أو تُشَفِّرَ القدرات المعرفية السلوكية مباشرةً، بل هي تستطيع فقط توجيه (مكون) البروتين. لذلك فإن الطريق من الجينات إلى قواعد النحو الشاملة هو بالضرورة غيرُ مباشر: تُوَجِّه الجينات تطوير هياكل الدماغ التي هي على وجه الخصوص قابلة لأن تنتظم بطرق معينة استجابةً للمدخلات اللغوية. هذه الهياكل الدماغية تُدَعِم قواعد النحو الشامل وظيفياً؛ وإن تنظيمها الذاتي استجابةً لنتائج المدخلات اللغوية في الدماغ تُدَعِم وظيفياً القواعد النحوية للغة.

مما لا شك فيه أننا لا نتوقع أن تكون أدمغة جميع المتحدثين باللغة الانجليزية متطابقةً في كل خلاياها العصبية. كما أننا لا نتوقع أن تكون معرفتهم باللغة الإنجليزية متماثلةً وظيفياً، كلمةً في كلمةً وبناءً في بناء. ومع ذلك، كما تم التركيز عليه فيما ورد أعلاه، يجب أن تكون الأنساق اللغوية للمتكلمين متشابهة بما يكفي من أجل تفعيل التواصل؛ ففي الواقع من المدهش كيف أن المتكلمين غالباً ما يكونون موحدين في آرائهم اللغوية حول النقاط الدقيقة للغة.

تبعاً لذلك، هذا يعني أن القدرة على تعلم اللغة يجب أن تكون موحدةً

ومتماثلةً نسبياً من فردٍ لآخر: فهي تشبه تعلم المشي والركض، حيث يختلف الأفراد في تفاصيل وسرعة مشيتهم ولكن الجميع قادر على ذلك أصلاً، أكثر مما تشبه تعلم العزف على آلة موسيقية، حيث يختلف الأفراد إلى حد بعيد في الموهبة. في الواقع، هناك شبه بين هذه الأخيرة وتعلم لغة ثانية في مرحلة البلوغ: إذ هناك تباينٌ في الأهلية أكبر بكثير في هذه الحالة من تعلم الطفل للغته الأولى. فالاتساق والتماثل النسبي في اكتساب اللغة الأولى، على الرغم من التباين الواسع النطاق في مستويات الذكاء العام، يدل على خصوصيةٍ في الدماغ أساسُها جينيٌّ، وهذا ما لاحظه لينبرغ (Lenneberg 1967) في وقت سابق.

وبعدُ إذا تقدمنا خطوةً أخرى إلى الأمام، نرى أن وجودَ خصوصيةٍ وراثيةٍ لاكتساب اللغة يتطلب وجودَ مصدرٍ للجينات التي نحن بصددها. الإمكانية الوحيدة المتاحة هي العملية الاعتيادية للاختلاف الجيني المُصاغ عن طريق الانتقاء الطبيعي، خلال الفترة الممتدة منذ وجود سلالة أسلاف الإنسان المتشعبة من القردة العليا وحتى الآن.

على قاعدة الاقتصاد في هذا الموضوع، وبطبيعة الحال، ينبغي على المرء أن يقيم مجال ونطاق النحو الشامل بتحفظ، محاولًا قدر الإمكان تفسير اكتساب اللغة عن طريق المزيد من القدرات المعرفية العامة. مثل هكذا رأي يضع متطلباتٍ أقلَّ شدةً على بنية الدماغ وبالتالي على التطور. ولكن ضرورة تفسير التفاصيل الواقعية لنظام اللغة واكتسابها يضغط بشكل عكسي وبشدة على نظرية النحو الشامل: فالمرءُ يودُّ لو تكون وظيفة الطفل من أسهل ما يمكن.

هذا الشد بين ما هو مطلوب من الطفل وبين ما هو مطلوب من علم الوراثة والتطور الطبيعي يؤدي إلى جدلية نظرية ومثيرة للاهتمام. فمن ناحية، هناك مؤيدون للقواعد النحوية الشاملة العالمية الغنية نسبياً، والتي تم وَضْعُها بمبادرة تشومسكي. وإن كتاب **نظرية المبادئ والمعايير** (*Principles and Parameters Theory*) لتشومسكي (Chomsky 1981)، في نسخته الأوضح ربما، يَعْتَبِرُ كافةَ الخصائص النحوية في جميع اللغات متاحةً بالضرورة للطفل منذ البداية، وفي تعبير أصح هذه الخصائص شبيهةٌ بعينةٍ من البرمجيات التي تأتي معها جميع الخيارات، ولا تتطلب سوى عددٍ من المفاتيح التي ينبغي ضبطها لتتناغم مع الظروفِ المحلية.

ولكن، على الطفل أن يتعلم المفردات (انظر سالكي (Salkie)). ولقد ظهر مؤخراً نهجٌ مماثل في علم الأصوات كنظرية (الأفضلية) (Optimality Theory) (برينس وسمولنسكي) (Prince and Smolensky 1993): حيث يُنظَر إلى جميع القيود الصوتية على أنها شاملة، ويحتاج المتعلم فقط أن يُحدِّدَ أياً من القيود تأخذ أولويةً على أيٍ من القيود الأخرى في اللغة المحلية. عند الضغط، يميل تشومسكي إلى حلِّ التوتر الآتي من التحول عن طريق إنكار فكرة أن المنطق التحولي وثيقُ الصلة بالنظرية النحوية (Newmeyer 1998). ومع ذلك، على الرغم من أنه من الصعب أن نفكرَ على أسس التطور بالخصائص المحددة والمفصلة للغة (مثل وجود (الظروف) (Adverbs))، فإن مزايا التواصل التي تتيحها اللغة بشكل عام تحمل إشارات الانتقاء الطبيعي (Pinker and Bloom 1990).

من الناحية الأخرى للجدلية، كان هناك حشدٌ من مجموعات أصحاب المصالح المختلفة التي تسعى كل واحدةٍ منها إلى التقليل من شأن أو حتى إزالة القواعد النحوية الشاملة العالمية لصالح عدد أكبر من الآليات ذات المجال العام.

• بعض أطباء الأعصاب النفسيين التطوريين (Donald 1991; Deacon 1996)، الذين لاحظوا أنه لم يتم العثور على نسيج عصبي مُمَيِز لقدرة الإنسان اللغوية، وأشاروا إلى عدم المصداقية التطورية لقواعد النحو الشاملة المحددة والغنية لتشومسكي، ينكرون ببساطة إمكانية أن يكون للغة عنصرٌ فطري ذو أهمية. ولكن هؤلاء العلماء لا يقدمون أيَّ تفسير للحقائق النحوية المفصلة والدقيقة للغاية والتي جهد علم اللغويات في الكشف عنها على مدى العقود الماضية.

• علماء النفس الاتصالي وصانعو أنماط الحواسب (على سبيل المثال Elman, et al. 1996) الذين أكدوا أنه يمكن فقط لآليات المعرفة الفطرية أن تكون أوزاناً مشبكيةً عصبية محددة وراثياً – وهي على الأرجح غير ممكنة – ينكرون إذاً إمكانية أن يكون هناك شيءٌ ما غنيٌ بقدر القدرة الفطرية للتعلم. ومع ذلك، وكما ذكرنا أعلاه، هم يقترحون نموذجاً لوظائف الدماغ يتعارض مع الاندماجية الخالصة للغة ومع القدرات المعرفية الأخرى، ويتجاهلون أيضاً تقريباً كل الظواهر اللغوية التي يجب أن تُفَسِّرَها نظريةٌ ما للتعلم.

• علماء النحو الوظائفي (مثل Langacker 1987; Givón 1995) يحاولون استنباط الخصائص النحوية للغة من الخصائص الأكثر عموميةً للفكر ولاستراتيجيات التواصل. هذه الطائفة من العلماء تولي اهتماماً كبيراً لتعقيد البنية اللغوية، موضحةً في كثير من الأحيان الظواهر التي لم تولها مدرسة تشومسكي الفكرية اهتماماً يُذْكَر. ومع ذلك، هناك بقيةٌ من الظواهر النحوية التي نادراً ما تُعنى بها النظرية الوظيفية، بالإضافة إلى أن العلماء الوظائفيين قليلاً جداً ما كانوا يناقشون نظرية التعلم.

للأسف، كان يتم بشكل ثابت صياغة هذه الجدلية كخيار بين، من جهة، إصدار تشومسكي النوعي والغني للقواعد النحوية الشاملة، المنفصلة إلى حد كبير عن القدرات المعرفية الأخرى، ومن جهة أخرى، الغياب التام لأي خصوصية إنسانية لتعلم اللغة. وغالباً ما تَرَكَ هذا الاستقطاب سلسلةً من الفرضيات الوسطية غير المصاغة، التي تأسست فيها خصوصية لغوية أقل نوعيةً وتجزئةً إلى حد ما، على رأس القدرات العامة وهي تتفاعل معها بوفرة أكثر أو أقل. وإن صياغة واختبار فرضياتٍ من هذا النوع في البحوث المستقبلية ستعتمد على مراعاة (أ) التعقيد التام للظواهر اللغوية ولتعلم اللغة، و(ب) المعرفة القليلة المتوفرة عن تدعيم العمليات الوظيفية للدماغ، و(ج) الاعتبارات التنموية والتطورية. بالإضافة إلى ذلك، فإنها ستتطلب توصيفاً للقدرات العامة أفضل من التوصيفات المتوفرة في الوقت الحاضر.

وإن الدليل على وجود قدر من الخصوصية التي لا تُعَلَم في القدرة اللغوية هو الآن جوهريٌّ. هنا يتسع المجال فقط لسرد بعض الأنواع الأكثر بروزاً من الأدلة؛ ويمكن للقارئ الرجوع إلى مصادر مثل بينكر (Pinker, 1994) وجاكندوف (Jackendoff, 1994) للحصول على تفاصيلَ إضافيةٍ عن الموضوع.

• عموميات اللغة في علم الأصوات، علم بناء الكلمة أو المورفولوجيا، علم بناء الجمل، وتركيبة المعجم.

• التوقيت الشامل لاكتساب الطفل للغة، بما في ذلك اضمحلال القدرة على اكتساب اللغة بدون جهد حوالي سن البلوغ (الفترة الحرجة). استُكْمِلَتْ فكرة صعوبة اكتساب اللغة الثانية في وقت متأخر بأدلةٍ أتت من دراسة الأفراد المحرومين من مدخلات اللغة الأولى حتى ما بعد سن البلوغ بسبب الانعزال الاجتماعي

(كورتيس (Curtiss 1977)) أو الصَّمَم (نيوبورت (Newport 1990))، هؤلاء الأشخاص لا يكتسبون كذلك القدرة على التحكم الكامل بالمبادئ النحوية.

• إنشاء لغات نحوية بالكامل من قبل مجموعات من الأطفال المعرضين لمدخلات لغوية فاسدة. وهذا يشتمل على حالة لغة الكريول (لغة طبيعية) التي تطورت من اللغة الإنجليزية المبسطة (pidgin) التي كانت تستخدم لتسهيل التواصل، مثلاً في هاواي في أوائل القرن العشرين (Bickerton 1981)، وفي الآونة الأخيرة، الانبثاق التلقائي لِلُغة الإشارة النيكاراغوية خلال السنوات العشر التي تلت إنشاء مدارس الصُّمّ في النيكاراغوا (Kegl et al. 1999).

• محاولات تدريب القردة على لغة الإشارة واللغات الصُوَرية المختلفة (Savage-Rumbaugh et al. 1998). إن تفسيري للنتيجة هو أن القردة تكتسب القدرة على الاستخدام الرمزي المناسب لمفرداتٍ محدودة (على الأكثر في حدود المئات، على نقيض (عدة آلاف) من المفردات التي يكتسبها الأطفال لدى بلوغهم سن السادسة) وربما تكتسب أيضاً مبادئَ محدودةً جداً في تركيب الرموز وجمعها مع بعضها البعض، إلا أنها لا تحقق على الإطلاق التعقيدَ النحوي (أي بنية الجملة، الإدماج أو (التضمين)، والتصريف) الذي يُمَيِّزُ اللغةَ الإنسانية الأصيلة (بما في ذلك لغات الكريول الطبيعية). حاول لينبرغ (Lenneberg 1967) أن يبرهن أن هذه الحدود ليست مجردَ قضيةِ حجم للدماغ، مستشهداً بما كان يُرمَز إليه بعبارة «الأقزام الصغيرة الرأس» التي يشبه حجم دماغها حجمَ دماغ القردة؛ إذ إن هؤلاء الأفراد شديدو التخلف ولكنهم قادرون على تعلم اللغة.

• وجود الحُبسة أو فقد القدرة على الكلام (تحديداً العجز اللغوي الناتج عن تلف في الدماغ)، دون الإضرار بالقدرات المعرفية الأخرى.

• ضعف اكتساب اللغة عن طريق ما يعتبر بديهياً عيوباً وراثية. وتشمل هذه العيوب على سبيل المثال ضعف اللغة الخاص (Gopnik 1999)، والذي يؤثر بشكل خاص على تصريف الكلمات (المورفولوجي) العادي المنتظم (هذا الدليل هو، مع ذلك، مثيرٌ للجدل: فارغا خاديم وآخرون (Vargha-Khadem et et al. 1995))، (ووليام سندروم)، التي تترافق مع انخفاض في الذكاء العام، حيث يتم توفير قسمٍ وافر من اللغة، ولكن يَضْعُفُ التصريف المورفولوجي غير المنتظم (Clahsen and Almazan 1998).

بالإضافة إلى ذلك، لقد أصبح من الواضح تماماً أن الاختصاص المعرفي نادراً ما يقتصر على اللغة. كما تمت الإشارة إليه سابقاً، إن أدمغة البشر وكل الحيوانات الأخرى مليئةٌ بالخصوصيات المعرفية الفطرية. لذلك ليس ثمةَ سبب جوهري لنقض الادعاء القائل بأن القدرة على تعلم اللغة هي أيضاً خصوصية مُحدَّدَةٌ وراثياً، وبأنها جزءٌ طبيعي من بيئة العقل البشري. القضية الحقيقية، والتي لا تزال قضيةً مفتوحة جداً، هي مدى تفصيل القدرة وشموليتها.

العلاقة بين اللغة والفكر

يتلازم مصطلح «اللغة» مع مصطلح «العقل» في سياقين رئيسيين. حتى الآن ناقشنا الأول: الحجة على وجود أساس جيني وراء القدرة اللغوية عند الإنسان. أما الثاني فهو علاقة اللغة بالفكر: هل يحتاج المرء إلى اللغة ليكون قادراً على التفكير، وكيف تؤثر لغة المرء على فكره؟

السؤال الثاني هو ذو ثقل كبير، لأنه يثير الأحكام المسبقة فيما يخص العلاقة بين البشر والحيوانات الأخرى. أولئك الذين يرغبون في التأكيد على تَفَرُّد الإنسان (بالعودة على الأقل إلى ديكارت) يميلون إلى تعريف اللغة كمصدر للفكر وإلى اعتبار كلِّ سلوكٍ للحيوان غريزياً بهيمياً. أما أولئك الذين يرغبون في التأكيد على استمرارية وجود البشر مع الحيوانات (بما في ذلك العديد من أصحاب الحيوانات الأليفة)، فهم يميلون إلى نعت الحيوانات بذكاءٍ أكثر مما قد يكون لذلك ما يبرره. وإن اتباع منهجيةٍ دقيقة تؤدي بنا إلى نتيجة وسطية تقريباً بين هذين الرأيين. ولقد حاول كولر (Köhler) (1927) أن يبرهن بدقة على أن قردة الشمبانزي لديه شاركت في سلوك حلِّ المشاكل الإبداعية التي لم تنتج عن أي نوع من الاشتراط أو التكييف للقردة. من ناحيةٍ أخرى، إن فشل القردة في بعض المشاكل التي وضعها لها غالباً ما بَيَّنَت محدوديةً غير متوقعة في ذكائها. وبالمثل، فإن تشيني (Cheney) وسيفارث (Seyfarth) (1990) لاحظا وأجريا تجاربَ على القردة الأفريقية الصغيرة في البرية، وأثبتا أن لديها درجة عالية من الذكاء الاجتماعي، وفي نفس الوقت أظهرا أيضاً المواضع التي تبرز فيها مقدرة القردة على التعميم.

ومع ذلك، يمكن للمرء أن يكون مُمانعاً لإطلاق تسمية «تفكير» على ما تقوم به الحيوانات الرئيسية من غير البشر (والكلاب والدلافين). فالتفكير، بما يتفق مع

حدس ديكارت، عادةً ما يرتبط مع (أ) الوعي و(ب) إمكانية التعبير اللفظي. إذا أخذنا هذه بدورها: نجد أنه ليس هناك من وسيلة لمعرفة درجة وعي الحيوانات – والأطفال. ومن هنا لا يمكن للمرء أن يبنيَ أيَّ استنتاجات حول فكر الحيوانات على تأكيداتٍ عن وعيهم أو عدمه؛ علاوةً على ذلك، لم يتم إثبات الرواسخ المزعومة للعلاقة بين الفكر والوعي. أما بالنسبة لإمكانيةِ التعبير اللفظي: فإن من يشترط أن يكون الفكرُ مُعَبَراً عنه لفظياً، نافياً بالتالي إمكانية ذلك لدى الحيوانات، ينفي كذلك ما كان يفكر به موزار (Mozart) وبيكاسو (Picasso) في لحظات إبداعاتهم. وهذا لا بد أن يكون بالتأكيد استنتاجاً خاطئاً.

إن النظرة إلى اللغة التي أثيرت في الأقسام السابقة تقدم خياراً بين أمرين (Jack-endoff 1996). فالتعبير اللفظي هو الربط ما بين تعبير «خارجي» أو «عام» ورسالةٍ «داخلية» أو «خاصة»؛ هذه الأخيرة، أي المفهوم أو الفكر، هي ما يتواصل من خلاله المتكلمون مع بعضهم البعض باستخدامهم للغة. لاحظ ذلك عندما يختبر المرءُ ذاتَه بالتفكير. إذ إنه في أغلب الأحيان «يتحدثُ إلى نفسه» بلغةِ الصورِ اللفظية. هذه الصور اللفظية تأخذ شكل العبارات العامة؛ ولكنها ليست الشكل «الداخلي» الذي يحدث فيه التفكير الفعلي. بالإضافة إلى ذلك، يمكن لمن يتحدث بلغتين أن «يفكر نفس التفكير بلغات مختلفة». وما يجعلُ لصورتينِ لفظيتين مُعَيَّنَتَين «الفكرَ نفسه» هو كونهما يرتبطان بنفس «الشكل الداخلي».

هذه الملاحظات تؤدي بالأحرى إلى استنتاج يدعو للغرابة وهو أن «الأشكال الداخلية»، أي الأفكار ليست واعية أبداً في حدِّ ذاتها. بدلاً من ذلك، ما يظهر في الوعي هو «الأشكال الخارجية» التي ترتبط مع الفكر. في أغلب الأحيان تكون هذه صوراً لفظية، ولكن في حالة موزار وبيكاسو (وبقيتِنا في بعض الأحيان)، يكون الشكل الخارجي المرتبطُ بالفكر صورةً مصاغة في نمط غير لغوي. وجهة النظر هذه تسمح لنا أن نعزو إلى الحيوانات صفةَ التفكير. ما لا يمكنُ فيه للحيوانات أن تكون واعيةً بتفكيرها في النمط الأكثر راحةً لنا، نعني به الصورَ اللفظية.

لدينا عبارةٌ عن التفكير تبدو كما لو أنها كانت «وراء الكواليس» تسمى «الحدس»وهي غامضة ومُذهلة بالنسبة لنا. وإن الرأي الذي يتم تأييده هنا هو أن كلَّ تفكيرٍ للإنسان والحيوانات هو حدسي، ولكن يتمكن البشر من الوصول إلى

التفكير الواعي بدرجة أعلى بكثير بحكم الصور اللفظية المرافقة لهذا التفكير. وهذا لا يعني أن الفكر الإنساني مماثلٌ للفكر الحيواني. هناك على الأقل ثلاثة فروق:

- يسمح التواصل اللغوي العام بتنسيق الفكر بين الأشخاص بدرجة أكبر بكثير مما هو ممكن بين الحيوانات، مما يجعل التاريخ، والعلوم، والقانون، واللَغة جميعها ممكنةً.

- تُمَكِّن الصورُ اللفظيةُ كلَّ إنسانٍ من تحكمٍ إراديٍ أكبرَ بكثير في عملية التفكر وتؤدي بالتالي إلى منطقٍ أكثرَ دقةً وغنىً (Dennett 1991).

- تسمح اللغة بتأطير المفاهيم العامة والمجردة بطريقة غير متاحة للأنماط الأخرى التي يمكن تخيلها. وبالتالي فإن هذه المفاهيم يمكن أن تُولى الاهتمام، وتُختَبر، وتُستَدعى إلى الأذهان بطريقةٍ واعية.

وهكذا، على الرغم من أن اللغة ليست ضروريةً للتفكير، فهي تعزز بشكل كبير ميزةَ وقوة الفكر – وتساعدنا على التفكير بشكل أفضل. يمكننا أن نُسَلِّمَ بالتفكير «الحدسي» للحيوانات والأطفال، ويمكن أن نُسَلِّم بإمكانية وجود الفكر الواعي و«الحدسي» في أشكال أخرى غير اللغة، ولكن في نفس الوقت، إن الفكر المرتبط بالأقوال الصريحة أو الصور الكلامية من خلال القدرةِ اللغوية هو ميزةٌ مختلفة تماماً.

الرؤية التي وصلنا إليها هنا تتعارض مع الآراء المُؤَثِّرة المختلفة حول علاقة اللغة بالفكر. ولعل الآراء الأكثر تطرفاً هي آراء علماء المدرسة السلوكية، التي انطفأت في معظمها، والتي زعمت (رأي واتسون (Watson 1913) مثلاً) بأن التفكير ليس إلا كلاماً لا صوتياً، أي صوراً لفظية، وأن فكرةَ وجودِ «مفهومٍ وراء اللغة»، أو «شكلٍ داخلي»، لا قيمة لها. ومع ذلك، فإن السلوكية لم تحاول أبداً أن تشرح أكثر من الحقائق اللغوية الأكثر تفاهةً، والحقائق المُلْتَبَس بها (Chomsky 1959).

هناك نوع آخر من الجدل الذي يَبْرُزُ من بعض أساليب الفلسفة اللغوية، التي كانت تجتذب إليها فيتغنشتاين (Wittgenstein) (1953) في كثير من الأحيان. وجهة النظر هنا هي أنه لا يوجد معنى ثابت (شكل داخلي) مرتبط بالتعبير اللغوي،

بل بالأحرى أفضل ما يمكن القيام به هو وضعُ قائمةٍ بالاستخدامات السياقية للعبارات. هناك بدايةًضرورةٌ لتوضيح البصيرة والرؤية هنا، وهي أن الرسالة التي يتم نقلها بالعبارة تتأثر في الواقع تأثراً كبيراً بفهم المرء للسياق الذي وردت فيه (Sperber and Wilson1986, Pustejovsky 1995). ولكن من ناحيةٍ أخرى، يجب أن تَنْقُلَ العبارة شيئاً ما يمكن أن يتفاعل مع السياق؛ وإذا لم يتمَّ ذلك، يمكن للمستمع من حيث المبدأ أن يعرف الرسالة المقصودة من السياق، من دون أن يقول المتكلمُ أيَّ شيءٍ على الإطلاق! هناك الكثير من البحوث الحالية في علم الدلالة (علم المعاني) والبراغماتية (علم طبيعة اللغة واستخدامها) التي تهتم بتحليل المساهمات المختصة بالفهم الذي يخلقه التعبير اللغوي والسياق (انظر فيرشويرين (Verschueren) ونظرية الملاءمة (Relevance Theory)).

ولقد برز رأيٌ في علم اللغة وعلم الإنسان، غالباً ما يسمى بفرضية سابير وورف (Sapir-Whorf Hypothesis)، (Carroll 1956) ليؤكدَ على اعتماد الفكر على اللغة، مُدْلِياً أن الاختلافات بين اللغات تؤثر بشدةٍ على عملية التفكير عند المتحدثين. هناك أيضاً درجةٌ ما من القبولِ الظاهري لهذا الادلاء، وخاصةً في مجال المفردات. ولكن، ليس من الضروري في هذا الصدد أن ننظر إلى اللغات الأخرى: يمكننا أن ننظر ببساطة إلى المفردات الفرعية التقنية في لغتنا الخاصة (لنقل مثلًا المصطلحات الكيميائية والطبية والثقافية والدينية) لمعرفةِ مدى الدقة الأكبر المتاح في المحادثة والفكر بحكم وجود مفرداتٍ مُصنَفَة بشكل أكثر دقةً. (وعَرَضاً، فإن الادعاء المتكرر في أغلب الأحيان بأن هناك عشرات المفردات لكلمة ثلج في لغات الإسكيمو يمكن إرجاعه إلى ادعاءٍ أقلَّ تطرفاً بكثير لوورف؛ فمجال الكلمات الفعلي لا يختلف كثيراً عن الكلمات الإنجليزية التالية كالمطر المتجمد (Sleet)، والثلج في مرحلة الذوبان (Slush)، والعاصفة الثلجية (Bliz-zard)، والغبار الثلجي (Powder)، وما إلى ذلك (Pullum 1991)).

وكان زعم وورف الأكثر راديكاليةً هو أن البنية النحوية تؤثر بشكلٍ أساسيّ على التفكير. إذ كانت حجته مثلاً، هي أن لغة الهوبي (لغة الأوتو-أزتيكان لقبائل الهوبي الهندية) لا تحتوي على عناصرَ لغويةٍ تدل على الزمن، وبالتالي فلا يملك المتحدثون بهذه اللغة الذين لا يتكلمون أي لغة أخرى أيَّ مفهوم (للزمن)، ولقد

دحض مالوتكي (Malotki) (1983) كلا الجانبين من هذا الزعم. حديثاً، أظهرت تجارب ليفينسون (Levinson) وزملائه (1996) بعضَ الاختلافات المثيرة للاهتمام في الفهم المكاني غير اللفظي عند المتحدثين ببعض لغات السكان الأصليين الأستراليين ولغات المايا (لشعوب جنوب المكسيك وغواتيمالا)، بالمقارنة مع المتحدثين باللغات الأوروبية، ويبدو أن هذه الاختلافات تتعلق بالأسلوب الذي ترمز فيه هذه اللغات إلى العلاقات المكانية، داعمةً بذلك روايةً محدودةً لفرضية سابير وورف. (ومع ذلك فإن لي وغلايتمان (Li and Gleitman 2000) يجادلان حتى في هذه النتائج المتواضعة).

العلاقة بين اللغة والعالم

في الرؤية العقلية المتقدمة للغة هنا، يُنظَرُ إلى الكلام على أنه رابطٌ بين التمثيل العقلي الواعي للتعبير المُجَسَد والتمثيل العقلي اللاوعي الذي هو بمثابةِ رسالةً. وجهةُ النظر هذه بعيدةٌ كلَّ البعد عن احتوائها عالمياً .ولعلَّ الرأيَ السائدَ في الأوساط الفلسفية، النابع مثلاً من فكر الفيلسوف فردج (Frege) (1892)، هو أن اللغة ليست ظاهرةً نفسية على الإطلاق. إذ ينبغي أن تُفْهَمَ اللغة على أنها علاقةٌ بين التعابير، العالم (أو العوالم الممكنة)، وقِيَم الحقيقة. إن الصِّيَغَ الأساسية للمعنى، تبعاً لرأي تارسكي (Tarski) (1956)، يُعَبَّر عنها بهذا الشكل «تعتبر الجملة الخاصة وغير المحددة صحيحةً إذا تحققت الظروف لها في العالم (أو في العالم الخاص الممكن)». ولا تلعب العقول أي دور في مثل هكذا جمل، وتُؤخَذُ اللغةُ على أنها جزءٌ موضوعي مجردُ من العالم، وعلى الأصح هي تشبه الأرقام.

يجب على المرء أن لا ينتقص من التقدم الذي أحرزه هذا النهج في فهم مبادئ الاستدلال، والقياس الكمي، والاستنتاج، والجناس (تكرار كلمة في بداية جمل متتالية)، وهكذا دواليك (على سبيل المثال Chierchia and McConnell-Ginet 1990). ولكن من وجهةِ نظرٍ عقلية، من المهم أن ندركَ ما يتجاهلُه هذا النهج: وهو التفسير النفسي لكيفية فهم واكتساب البشرِ للغة. لدى ربطِ هذه الظواهر النفسية بلغةٍ موضوعية مجردة، نرى أنَّ جميع المشاكل التي أثيرت في المقاطع السابقة تعود وتبرز من جديد: كيف يتم تدعيم وإثبات مبادئ الاندماجية في الدماغ، كيف يبني الطفل هذه التمثيلات العقلية بوجود المدخلات في البيئة، وما هي النزعات

الطبيعية الجينية الموجودة في الأنواع لتسمحَ بحدوث تعلم اللغة بهكذا اتساق؟

يمكن دفع وجهة النظر العقلية إلى ما هو أبعد من ذلك: بالقدر الذي تسمح فيه اللغة للمتكلمين بالإشارة إلى العالم، ما يُعْنَى به هنا هو العالم كما هو مُتَصَوَّر، وليس العالم الموضوعي، «العالم الحقيقي الحقيقي» (Jackendoff 1983; La-koff 1987). من جهة، يمكن أن يشير المتحدثون إلى جميع أنواع الكيانات الوهمية مثل بابا نويل وجابروووكس (Jabberwocks) طالما أن هناك بعض التصور والتفسير الخيالي المرتبط بها. على نحو مماثل، اللغة مليئةٌ بالإشارة إلى الكيانات التي لا توجدُ إلا في تصورِ الإنسان، مثل الزواج، والشهادات الجامعية، والحدود السياسية. من ناحيةٍ أخرى، لا يمكن للمرءِ الإشارةُ إلى شيءٍ ما لم يكن قد تَصوَّرَه: لصياغة جُمَلٍ مثل (3 أ، ب)، يحتاج المرء إلى تصورٍ ما مهما كان هذا التصورُ هيكلياً:

(3) أ. أنا أفكر بشيء لا أستطيع أن أصفه، نوعٍ من شعورٍ غامض بلا اتجاه معين.

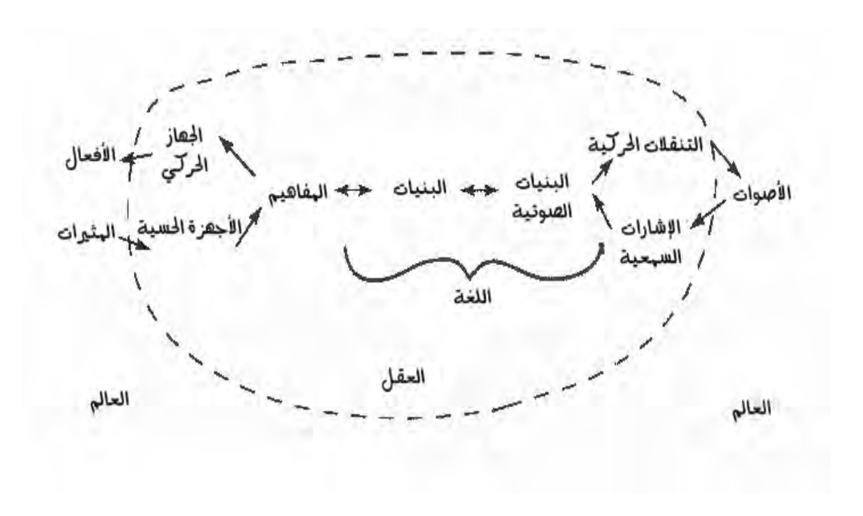
ب. ليس لدي فكرة عما كان ذلك، ولكنها هناك مجدداً!

وهكذا فإن استخدام الناس للغة يتطلب ربط التعبير بتصور ما، وخصوصاً في الحالة المرسومة في الشكلين 1.4. و2.4. قد لا تكون اللغة التي يستخدمها الناس مجردة وموضوعية، ولكن هل يُعْتَبَرُ هذا الأمر ذا أهميةٍ كبرى؟

هناك نقطتان يجب معالجتهما لاستكمال الإجابة على فلسفة اللغة الموضوعية/ الواقعية. أولًا، كيف تتفادى اللغة الفروق الفردية في التصور، مثل الروابط الشخصية (هذه هي حجة الفيلسوف فردج ضد أتباع النهج النفسي)؟ الجواب هو أن المتكلمين ينجحون في اكتساب أنظمةٍ متماثلة أساساً بحكم قدراتهم الفطرية على اكتساب اللغة واكتساب المفهوم. هذه الفروق كما هي يتم عادةً التفاوضُ عليها في سياق المحادثة، إذ يحاولُ كلُّ متكلمٍ أن يقدم مساعدةً لتسهيل فهم الشخص الآخر (Clark 1996).

ثانياً، كيف يدخل البشر في تواصل بين «العالم الحقيقي الأصلي» وتصورهم؟

الجواب هو من خلال نُظُم الإدراك الحسي والحركي، والتي توفر تخطيطاً معقداً (بالكاد يمكن فهمه حتى الآن) من العالم الخارجي إلى الفكر ومن الفكر إلى التنفيذ. وبعبارةٍ أخرى، يمكن توسيع الشكل 2.4 لنحصل على الشكل 3.4.



الشكل 3.4: تخطيط العالم الخارجي

إن المفاهيم الملموسة نسبياً والمُعَبر عنها باللغةٍ (مثل «شجرة»، «أحمر»، «يأكل») هي إلى حدٍ كبير مخططة من المؤثرات الخارجية، عبر الأنظمة الإدراكية الحسية أو عبر الأنظمة الحركية، إلى أفعال، أما المفاهيم المجردة نسبياً (مثل «استراتيجية»، «ينتقص من قدرة»، «خلاصة») فهي أقل ارتباطاً مباشراً بالمؤثرات أو الأفعال في العالم.

وخلاصة القول، لقد قمنا هنا بتقديم نهجٍ تم تضمينُ اللغةِ فيه بشكلٍ راسخ في وسط العقل البشري. إذ يستخدم البشر اللغاتَ للتواصل حول ظروفهمْ في العالم كما يتصورونه. اللغة هي إذن نظامٌ متخصصٌ معرفياً يربطُ المفاهيم بالتمثيلات الداخلية للعبارات، والعبارات ترتبط بدورها بالتعليقات التي تتم لنقل الانطباع عن العالم من خلال نُظُمِ التحكم الإدراكية والحركية الأكثر تخصصاً. ويتم توجيه اكتساب الطفل لِلَغة من خلال نظام غير مُكتَسَب، أي من خلال القواعد النحوية الشاملة العالمية، والتي هي نتاجٌ للانتقاء الطبيعي. ويتم تدعيم كل هذه الأنظمة في النظام العصبي للدماغ. وإن شرح كل التفاصيل بمصطلحات وظيفية، ونفسية

عصبية، وتطورية، وجينية يشكل تحدياً كبيراً لعلم اللغويات، وعلم النفس، وعلم الأعصاب، وعلم الأحياء في القرن الحادي والعشرين.

قراءات إضافية:

Chomsky, N. (1972) *Language and Mind*, New York: Harcourt, Brace, and World.

Crick, F. (1994) *The Astonishing Hypothesis: The Scientific Search for the Soul*, New York: Charles Scribner's sons.

Dennett, D. C. (1991) *Consciousness Explained*, New York: Little, Brown.

Jackendoff, R. (1994) *Patterns in the Mind*, New York: Basic Books.

Jackendoff, R. (2001) *Foundations of Language*, Oxford: Oxford University Press.

الفصل الخامس

علم اللغويات الاجتماعية
وعلم السيمياء الاجتماعي
(غونثر كريس)

نقطة البداية

يجب أن يُنْظَرَ إلى تاريخ التفكير اللغوي في القرن العشرين على خلفية اهتماماته بالقرن الذي سبقه بالإضافة إلى اهتماماته بتِبْيان تواريخ وعلاقات فصيلة اللغات الهندو أوروبية. إنها قصة تغيرٍ مستمر للغاتِ التي أصبحت متباينة مع مرور الوقت، وللصِّلات التي أصبحت غامضة ومحجوبةً والتي يمكن، مع ذلك استرجاعها من خلال صياغة «قوانين» التغيير اللغوي. هي قصةُ رحلةٍ عبر الزمن شملت جزءاً كبيراً من آسيا ومجمل أوروبا. ولقد كان الموضوع الأساسي لتلك الرحلة هو التغيير. مقابل هذا الاهتمام بالتاريخ والتغيير، رَكَّز القرن العشرون على نظام اللغة خارج الزمن. ويمكننا أن ننسُبَ هذه المبادرة في إحداث هذا التحول إلى العالم اللغوي السويسري فرديناند. في سلسلةٍ من المحاضرات التي ألقاها في بداية ذلك القرن، مَيَّز سوسور بين الاهتمام باللغة عبر الزمن، وهي وجهة نظر لغوية تاريخية (Diachronic)، وبين الاهتمام باللغة كنظام تتم دراسته في زمن محدد، وهي وجهة نظر لغوية متزامنة (Synchronic).

كما هو الحال دائماً، تنشأ الأفكار التي هي من النوع التأسيسي في بيئة يكون فيها هكذا تفكير في كل حال من الأحوال «عن»، وكان ذلك التفكير يكفل مجموعة

معقدة من الأفكار التي نجدها في كتابٍ صدر بعد جمع مذكراتٍ عن محاضرات سوسور التي كتبها بعض طلابه، ويحمل هذا الكتاب العنوان: **مقرر في علم اللغويات العامة** (*Course in General Linguistics*) (1916) ؛ في هذا الكتاب تم تناول وتفصيل الأفكار التي ركزت على الدراسة الزمنية للغة، وعلى النظام اللغوي، وعلى استقلالية هذا النظام عن بيئته. ولقد أسست هذه الأفكار للاتجاه الذي كان سائداً في الفكر اللغوي خلال القرن العشرين. وأدى ذلك إلى حالةٍ أصبح فيها جوهر التفكير اللغوي هو الاهتمام بالشكل، سواءً بشكل الصوت، كما في علم (وظائف) الأصوات (Phonology)، أو بشكل البنيات اللغوية الأفقية الأكبر، كما في علم بناء الجملة (Syntax).

إن الاتجاه السائد هو بالطبع كالتالي: كانت هناك تيارات أخرى متواجدة طوال القرن العشرين، وهي تيارات استمرت في التأكيد على الترابط بين اللغة والعوامل الاجتماعية، وأكدت على الأهمية والأولوية للوظيفة اللغوية على أهمية الشكل. ويشكل علم اللغويات الاجتماعية (Sociolinguistics) إحدى هذه التيارات. ويمكن اعتبار تاريخ هذا العلم انتقالاً تدريجياً بعيداً عن الموقف الذي يعتبر اللغة نظاماً مستقلاً متحفظاً عن العوامل الاجتماعية (إما لأنه «هو فقط كذلك»، في الاصطلاح مثلاً، أو بحكم كونه ظاهرةً فكرية، ويمكن اعتباره كذلك تأكيداً متزايداً، خاصةً خلال الجزء الأخير من القرن، على أهمية تشكيل العوامل الاجتماعية، وعلى الصلات الوثيقة بين ما هو لغوي وما هو اجتماعي).

كان لعلم اللغويات الاجتماعية العديد من الاهتمامات التي كانت تعكس الاهتمامات الاجتماعية والسياسية المتغيرة للعصر. وقد تراوحت هذه الاهتمامات من التخطيط اللغوي، إلى استكشاف اللهجات المحلية والاجتماعية والأنظمة الاجتماعية، والتحول من لغة إلى أخرى خلال الكلام، واستخدام اللغة في التواصل ما بين الأشخاص أو في التواصل ما بين الثقافات، والاهتمام باللغات المستخدمة في المؤسسات، وتغير اللغة حسب الموقف، وظواهر اللطف في الكلام (Politeness)، وتركيبات التفاعل المحكي كما في تحليل المحادثة (Con-versation Analysis) على سبيل المثال، وتأثيرات السلطة في اللغة، واستكشاف القضايا الاجتماعية مثل الجنس والعرق وأنماط الاختلاف الأخرى، والكثير

غيرها. وانتقل التركيز على نحوٍ متزايد نحو وحدات لغوية أكبر من حيث المستوى: سواءً تم التعاطي معها من وجهة نظر أكثر اجتماعيةً كالتحادث (Discourse)، أو من وجهة نظر لغوية كالنص (Text).

وهنا يمكن تمييز اتجاهين: أحدهما هو الابتعاد بشكلٍ متزايد عن التجريد نحو الاهتمام بالتحليل الدقيق المضمون والتفصيلي لما يجري، وثانيهما، وهو مرتبط بالأول، هو الميل المتزايد نحو إعادة إدماج ما هو لغوي بما هو اجتماعي، ويعتبر هذا ابتعاداً عن مفهوم نظام اللغة المستقل. وإن الانتقال للاهتمام بما يجري هو الابتعاد عن اللغة كظاهرة مجردة، نحو اللغة كظاهرة مادية بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة. قد يظهر ذلك في أمور مثل ظواهر التردد في الكلام، أخذ الأدوار في الحوار، تكرار أو طول المشاركة في التفاعل... إلخ. وما تم إبرازه في هذا العمل هو أهمية كل مظهر من مظاهر التواصل، وحقيقة أن التمثيل، أي صنع المعنى، يجري على جميع المستويات ويتشارك فيه العديد من جوانب السلوك اللغوي التي تتضمن ما هو أبعد من الجوانب التي تشملها «نواة علم اللغة». إن هذا يجعل من علم اللغويات الاجتماعية، وعلى نحو متزايد إذا كان ذلك ضمنياً، تحدياً لنواة علم اللغة، وهو في الوقت نفسه، حتى ولو ضمناً، يخلق ضبابية وعدمَ وضوح في الحدود الفاصلة بين ما هو لغوي وما هو اجتماعي وبين ما يقع في الوسائط السيميائية الأخرى.

في الوقت نفسه هناك تطورٌ آخر في طور التقدم. وهو يشير إلى أن شكل واتجاه عالم التواصل الحالي يتطلب إعادة تقييم تكون فيه اللغة مجرد واحدة من عدد من وسائط الاتصال التي يجري في الوقت الحالي تشكيلها اجتماعياً وبالكامل. ويجري استبدال دور اللغة اللفظية بالصورة كوسيلةٍ تواصلية في كثير من مواقع التواصل العامة: سواءً في الكتب المدرسية، أو في الصحف، أو في التقارير الصادرة عن المؤسسات بأنواعها، أو في وسائل الإعلام الإلكترونية، أو في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكل عام .ولم تعد الصورة مجردَ توضيح أي تجميلٍ للنص المركزيِّ المكتوب. بل أصبحت الصورة الآن بحدِّ ذاتها تواصليّةً بالكامل في أشكالٍ كثيرةٍ جداً من النصوص. هذا يعني أنه لم يعد علم اللغة وعلم اللغة الاجتماعي كافِيَيْن كمبادرةٍ نظريةٍ تفسرُ بالكامل وبمصداقيةٍ الجوانبَ الأساسية للتمثيلِ والتواصل. وبالتالي فإن هذا الفصل يقدم براهين لضرورة الدخول في بدايةٍ جديدة للتفكير

بالمعنى، إحدى هذه البراهين وعدنا بها كل من سوسور (Saussure) (1916) وتشارلز ساندرز بيرس (Charles S. Peirce) (1935, 1958) في بداية هذا القرن، وهي تقدمُ لنا نظريةً شمولية تفسر النشاط السيميائي الإنساني (الذي يتضمن الإشارات) في جميع مظاهره. من خلال استخدام الأمثلة، يناقش هذا الفصل موقفاً مُنصِفاً لمتطلبات هذا التحول في العالم الحالي للتمثيل.

أولاً، يقدم هذا الفصل برهاناً من أجل ترسيخ مفهوم تعدد الأنماط، أي يفسر فكرة أن التواصل والتمثيل تُسْتَلْهَمُ دائماً من الوسائط السيميائية المتعددة التي قد تشكل اللغة واحدةً منها، و**ثانياً**، يستعرض هذا الفصل القضية المركزية للطابع الاعتباطي أو المُوَجَّه للإشارات، ويناقش الدافع لجميع عمليات صنع الإشارة. **ثالثاً**، يحاول هذا الفصل أن يبرهن أنه يجب إعادة النظر في مفهوم السياق إذا أردنا أن نفسر مفهوم التمثيل والتواصل بالكامل؛ **رابعاً**، لا يمكن اعتبار أيٍّ من تلك المحاولات مثمرةً من دون أن نعالج مسائل القوة، المشاعر والعمل التحولي الدائم لصانعي الإشارات. ويمكن أن يؤدي هذا لاحقاً إلى شرحٍ مرضٍ للتمثيل والتواصل في العالم المعاصر، وكذلك للقضية المركزية للتغير السيميائي في جميع الوسائط السيميائية.

تعدد الأنماط: استبعاد مركزية اللغة

لدي أمامي نصّ عاديّ كلياً، وهو تقرير كتبته تلميذة في الحادية عشرة من عمرها في صفٍّ تُدَرَّسُ فيه مادة العلوم في لندن. كان هذا التقرير مكتوباً بخط اليد، على دفتر مُسَطَّر. ولهذا التقرير عنوان مبطن، وعنوان فرعي، ولقد كُتِبَت فيه ثمانية أسطر، كما وُضِعَ فيه رسمٌ في أسفله. نجد أيضاً تعليقاً لأستاذها على أسفل الزاوية اليسرى للورقة. أسأل نفسي عما أحتاج أن أقوله بالحد الأدنى، للتعبير عن معنى هذا النص. بالطبع، هذا يفتح الباب لمهمةٍ غير ممكنة: إذ هناك عدد كبير جداً من الأمور التي أستطيع أن أقولها. وأنت، قارئ النص في الشكل 1.5، تستطيع بشكلٍ مباشر ومعقول أن تضيف معانٍ أخرى إلى مجموعتي.

الأربعاء 26 تشرين الثاني

مشاهدة الخلايا

الخطوة 1

انزع قطعة صغيرة من الغشاء الخارجي للبصل

الخطوة 2

ضع قشرة البصل على شريحة المجهر وضع مزلق الغطاء فوقها.

الخطوة 3

ضع الشريحة على المجهر وعدل بؤرة التركيز عليها. ابحث عن نموذج من الخلايا السداسية

ما رأينا

x200

يجب أن يكون الرسم البياني أكبر بكثير. هل ما رأيته يبدو مثل "رسم البياني" بأي شكل من الأشكال؟

الشكل 1.5

ليس ذلك سؤالي بالفعل، بل هو بالأحرى التالي: ماذا تحتاج نظريةٌ ما أن تشمل من أجل أن تصبح قادرةً على تقديم فهمٍ للمعنى الذي قد نعتبره جوهرياً هنا؟

سيكون جوابي، للتقدم إلى الأمام بعض الشيء، هو القول بأنه إذا كان لي أن أتحدث فقط عن النص المكتوب، لَكُنْتَ شعرْتُ أنني أهملْتُ جانباً أساسياً من المعنى. وسوف أعود إلى هذه المسألة عند مناقشة الجزء المكتوب من هذا النص.

اسمحوا لي أن أخبركم عن السياق باختصار. لقد تمت كتابة هذا النص في نهاية سلسلة من الدروس حول الخلايا النباتية. تحدث المعلم الكثير عن الموضوع، وتمت العودة إلى الكتب المدرسية وبعض أوراق العمل والتمارين، وجرت الكثير من النقاشات (حول) الموضوع. طلب المعلم من الصف (من جميع الفتيات) إعداد

شريحة عن الغشاء الخارجي للبصلة، وهو جزء من الغشاء الزلق بين الطبقات السميكة للبصلة، كما طلب منهن مشاهدتها تحت المجهر، وقام بتقسيمهن إلى مجموعاتٍ من أربع بنات يعمَلْنَ سوياً حول مجهرٍ واحد، ومع كل مجموعةٍ شريحةٌ واحدة يضعنها تحت المجهر. ثم طلب منهن كتابة تقرير عما قُمْنَ به، ورسمِ صورةٍ عما رأَيْنَه. ولقد أعطاهن بعض التعليمات، مثل: اكتبن في الأعلى، واستخدمن قلم الرصاص الأسود فقط. ومن ثم، أنجزت كل من البنات الأربع كتابة النص الخاص (بهن).

طالما أن الدرس كان حول شكل الخلية النباتية، من الواضح وبشكلٍ مباشر أن تلك المعلومات عن الخلية غير واردة في الجزء المكتوب من هذا النص: بل هي موجودة في الرسم. فلقد كان الدور الأقل أهميةً للكتابة هو تقديم تقرير عما كان يجري، أما الدور الأكبر فكان تحويل ذلك إلى إجراءاتٍ من الواجب اتباعها من قبل القائمين الآخرين بهذا العمل التجريبي. إذ يقدم لنا الرسم معلوماتٍ عما رأته التلميذة عندما ما كانت تنظر في المجهر. وإذا كنت أريد أن أعرف كمدرِّس ما رأته التلميذة، وما تعلَّمَتْهُ عن الموضوع المركزي للمنهج هنا، فإن الصورة هي المسؤولة عن تزويدي بتلك المعلومات. ولقد استجاب الأستاذ لهذا التقرير، من خلال كتابة تعليقٍ له عليه مُقْتَرِحاً ما يمكن القيام به أيضاً، وذلك في نَقْدٍ غير مباشر لما رسمته التلميذة.

بطبيعة الحال، عندما أقول أن ما تعلَّمَتْهُ التلميذة يَبْرُزُ في الصورة، لا يمكن اعتبار الموضوع منتهياً هنا. إذ إن ما يعتبرُهُ مدرس العلوم ضرورياً هو أن الطلاب يجب أن يتعلموا كتابة ما قاموا به بطريقة مناسبة لمادة لعلوم؛ وإن الإجراءات الواجب اتباعها لدى القيام بتجربةٍ ما هي إلا في صميم «أعمال العلوم». ولكن الهدف من هذا الدرس كان ذلك المكتوب في محتوى المناهج الدراسية، ولم يظهر في النص المكتوب.

يوجد هنا تخصيصٌ للمهام التي تتوزع بين الصورة والكتابة. إذ تُسْتَخْدَم الكتابة للإخبار عما جرى، وهي تُبْلِغُ عن الحدث؛ أما الصورة فتُسْتَخْدَم لإظهار ما هو موجود أو ما كان موجوداً وهي تحيطنا علماً بالمحتوى الموجود. إذن تخدم اللغة وظيفةً واحدة، وتخدم الصورة وظيفةً أخرى. واللغة ليست الناقل الكامل لكل المعنى، وهي لا تحمل حتى المعنى «المركزي» أو «الجوهري» بمجمله. اسمحوا لي أن أنتقل الآن إلى نصٍ آخر كتبته تلميذة من نفس المجموعة المؤلفة من الطلاب الأربعة (الشكل 2.5).

الشكل 2.5 يختلف بشكلٍ لافِت عن الأول. فالصورة موجودة في أعلى الصفحة، أي ليس كما طلب المعلِّم. ويبدو أنها ذات صلة بسيطة أو حتى غير متعلقة بالشكل 1.5 إذ من الصعب أن نتصور أن البنتين قد نظرتا إلى نفس الشريحة، أي إلى نفس المقدار من "الحقيقة". وحيث أن النص المكتوب في الشكل 1.5 هو كنوعٍ إجرائيٌ للغاية (فهو أقربُ ما يكون إلى «وصفةِ طعام» تُحَدِّدُ ما يجب القيام به حرفياً خطوةً بخطوة)، وإن الكتابة هنا هي أكثرُ سرديةً بكثيرٍ من تلك التي نجدها في النص الأول: وهي تقدم بياناً بالأحداث التي وقعت بالتسلسل، وتخبر قصةً، بالإضافة إلى أنها ليست إجراءً بشكل عام. يبدو أن المعلم مسرورٌ أكثر بما «رأت» هذه الطالبة وبما رسمت؛ وإن تعليقاته لا تقدمُ انتقاداً ضمنياً، وإنما تقدمُ اقتراحات. أضف إلى ذلك أن رَدَّهُ يدل على أنه يعتبر الرسمَ جوهر النص.



مشاهدة خلايا البصل 26/11/9

كم كانت درجة التكبير؟
هل يمكنك أن تسمي أيا من النقاط؟

26 نوفمبر 99
مشاهدة الخلايا
ما قمت به

في البداية جمعت أنا وأماندا
جميع التجهيزات. نزعت أماندا
الغشاء الخارجي للبصلة، في حين
وضعتُ المجهر. وضعت
أماندا قشرة البصل على الشريحة
ثم وضعتُ قطرةً من اليود
على البصل وفيما يلي وضعنا
مزلق الغطاء فوقها
عندها رفعنا المجهر ثم

وضعنا الشريحة تحت
على المنصة
ثم نظرنا في جزء
الغشاء. كان ممتعاً
لنا النظر في الخلية ورسمها.
جيد ولكن تأكدا من
تنفيذ العمل الذي فاتكما

الشكل 2.5

هناك عددٌ من المسائل التي تتجلى مباشرةً هنا. إحداها كما أشرت سابقاً، هي

أن نظرية التمثيل والتواصل التي تركز على اللغة لوحدها لن تكون كافيةً في هذه الحالة مهما يكن من أمر. ثانيهما هو التخصيص: إذا أخذَتِ الوسائطُ الأخرى بعضَ الثقلِ التواصلي، فلا بد من السؤال عن الثقل الذي تحمله اللغة؛ ويتبع من ذلك أنه إذا كان هناك تخصيصٌ وظيفيٌّ بين الوسائط – حيث تُنَفِّذُ الكتابة نوعاً واحداً من العمل، وتُنَفِّذُ الصورة نوعاً آخر، فما هو تأثير ذلك على اللغة نفسها؟ القضايا الأخرى لها أيضاً علاقة بالتمثيل: كيف لنا أن نفهم الردود المختلفة جداً لهؤلاء الصغار إلى الجزء من الحقيقة نفسه، إلى نفس طريقة التدريس، وإلى نفس الكتب المدرسية وأوراق العمل والتمارين؟ السؤال (الآخر) الذي يمكن طرحُهُ هنا هو: لماذا يتم اختيار الكتابة للمهمة الواحدة، والصورة للمهمة الأخرى؟

وإن استجابة المعلم المختلفة للرسمَيْن يمكن أن تجيبنا عن السؤال الأول. فالرسم في الشكل 2.5 صحيحٌ على ما يبدو (أقرب إلى كونه كذلك)، ولكن الرسم في الشكل 5.1 ليس كذلك. من أين يأتي معيار الصحة؟ في هذه الحالة، قام الكتاب المدرسي وكذلك إحدى أوراق العمل والتمارين بوصف الخلايا على أنها تبدو وكأنها كالطوب (الآجُرّ أو القرميد) في الجدار، وأشار إلى أن الطلاب يجب أن يبحثوا عن شيء يشبه جداراً من الطُّوب. وبالتالي فإن تعليق المعلم هو: «هل إن ما رأيتِه يبدو مثل «رسمي البياني» بأيِّ شكل من الأشكال؟» ولكن لم (يحتو) أيٌّ من الكتاب، أو ورقة العمل أو «الرسم البياني» للمعلم على أي إشارة لفقاعات الهواء الكبيرة أو الصغيرة العديدة المرسومة في الشكل2.5بحيث أن الرسم ليس نسخةً، على الأقل بشكل غير مباشر وصريح، عن الرسم البياني للمعلم أو للصورة في الكتاب المدرسي.

في حديثه السابق عن هذه المهمة، كان المعلم قد استخدم استعارةً مختلفة، وهي استعارة تُشَبِّهُ الخلية بقرص العسل. وكانت التلميذات (الأربع يتجاذبن) أطراف الحديث بينما كنَّ يقمن بالتجربة، (ويستخدمن) المزيد من الاستعارات: «أوه، يبدو أشبه بحجر جدار جاف» و«يشبه النسيج المتموج قليلاً». من الصعب القول ما إذا كان الشكل 1.5 أقرب إلى النسيج المائج منه إلى قرص العسل، بل من الواضح أنه لا يتأثر بالتشبيه بالحائط المصنوع من الطوب. وإن تعليق المعلم الناقد يشير أيضاً إلى أنه لم يكن حقاً على بينةٍ من التأثير المحتمل للشكل في الاستعارة

التي تحدث عنها، أي التشبيه بقرص العسل؛ بل كان تركيزه هو على القوة التعليمية للصورة.

في كل حالة، جعلت التلميذات اختياراتهن من المعاني التي كانت متوفرة لهن في الدروس، والتي كانت هنا وهناك، فقمن باختيار بعضها وتجاهل البعض الآخر. فالاستعارات المتوفرة من حولهن أرشدتهن في رؤيتهن، ولكن رؤيتهن أرشدت أيضاً تمثيلهن الداخلي: «أوه، يبدو أشبه بحجر جدار جاف» هو تمثيلٌ (في الواقع يمثل رسم التلميذة شيئاً ما يبدو كحجر جدارٍ جاف) يُسْتَلْهَمُ من «جدارٍ من الطوب» ويعدِّل عليه، يحوله، ويصنع تمثيلاً جديداً لم يكن متوفراً مسبقاً ولكنه متعلق به. فالبنات هن جزء لا يتجزأ من المعاني والبنيات الموجودة في بيئتهن– التي هي هنا الصف، وليس هذا فحسب، لأن كلاً من «حجر الجدار الجاف» و«النسيج المتموج» يأتيان من مكان آخر - وفي الوقت نفسه هن قادراتٌ على الاختيار من تلك البيئة وفقاً للمصلحة الخاصة بهن، وعلى تحويل ما استَلْهَمْنَ منه في تمثيلاتهن الجديدة.

ولقد فَضَّلَ المعلم صورةً على أخرى؛ إذ سمحت له صلاحيته/ سلطته بذلك، ويمكن أن تؤدي به سلطته أيضاً إلى الإصرار على أن تغير التلميذة التي رسمت قرص العسل/ النسيج المتموج صورتها (هو لم يفعل ذلك). ولكن كلتا الصورتين هما تحولات لمصادر المعنى التي كانت متاحة لهؤلاء البنات، والتحولات ما هي إلا تعابير عن اهتمامهن فيما يتعلق بهذا المجال.

ماذا يمكن أن نقول عن اختيار الوسائط السيميائية المستخدمة في التمثيل، الكتابة والصورة؟ كان من الممكن للمعلم أن يقول: «اكتبي لي، بالتفصيل الوصفي، ما رأيتِهِ عند النظر من خلال المجهر» وكان سيُفْرَضُ ذلك على الأطفال، فيُحْضِرْنَ النصوص المكتوبة التي قامت بالوصف. كان من الممكن ألا تَعْرِضْنَ ما فعلنَهُ في رسوماتهن، وذلك لأن الوسيط المرئي يخلق أشكالاً ممكنة من التمثيل غير متاحة لوسيط الكتابة، والعكس صحيح. فالوسيط البصري قائمٌ على منطق العرض في المكان، وعلى الوجود المتزامن للعناصر المتعلقة ببعضها البعض. أما الوسيط الكتابي (والمحكي بدرجةٍ أكثر بكثير من الكتابي)، فهو قائم على منطق التتابع الزمني، وعلى إظهار الأحداث المتتالية. ويمكن لثقافةٍ ما أن تتخذ القرار بالعمل

ضد منطق كل من الوسيطين، كما فعلت الثقافات الغربية للسنوات الثلاثمائة أو الأربعمائة الماضية، أو أن تتخذ قراراً بالعمل دعماً لهذا المنطق بأي عددٍ من الطرق.

إن تقدم علم اللغويات في الغرب بحاجة إلى أن يُنْظَرَ إليه في هذا السياق، وإن ظهور علم اللغويات الاجتماعية، في النصف الثاني من القرن العشرين على وجه الخصوص، يجب أن يُفْهَمَ في سياق القيود المفروضة على التمثيل والتي يؤدي إليها هذا القرار. نحن الآن في مرحلة ثورةٍ في مشهد التواصل تتسابق فيها حديثاً وسائط اللغة مثل الكتابة والصورة. فالنصوص التي كتبتها البنات هي عاديةٌ جداً في بيئتهن، عاديةٌ جداً بالنسبة لهن، ولكن أيضاً تصبح عاديةً وبشكلٍ متزايد في الممارسات التواصلية في الغرب. وهذا يفرض علينا إعادة تقييمٍ عميقٍ ليس فقط لموقع وسائط التمثيل الأخرى المختلفة عن اللغة، ولكن أيضاً لموقع اللغة نفسها، سواءً كان ذلك في الكلام أو في الكتابة.

الإشارة المُوَجِّهة

عند مناقشة نصوص الأشكال 1.5 و2.5 عَلقّتُ على نقل الأشكال الإجمالية المختلفة التي اختارتها البنتان اللتان قامتا بكتابتها. إذ لم يشترط المعلم نوع النص الذي يجب عليهن استخدامه، لذلك كان هذا خياراً مفتوحاً لهن أكثر من الاختيارات الأخرى هنا. وبما أنه لم يكن هناك في صلب الموضوع من قاعدة، صريحةٍ كانت أو ضمنية، لم يكن هناك من مجالٍ للخرق، ولذلك لم تنشأ مسألة الغلط أو الخطأ، كما حدث مع الرسم.

يمكننا أن نسأل عمّا كان الدافع وراء اختيار نوعٍ ما وتفضيله على الآخر. هل كان الاختيار مجرد صدفة؟ اثنتان من البنات الأربعَ اختارتا الأشكال الكتابية المشابهة للسرد، والاثنتان الأُخْرَيان اختارتا الأشكال الإجرائية. تصاحب المعاني الأنواع: فللإجراء معنى مختلف عن معنى التقرير، وكلا النوعين يمكن استخدامهما كوسائل لنقل التعبير عن محتويات معينة، كما هو الحال هنا مثلاً. ويحق لنا أن نعزو المصلحة إلى الخيار الذي يتم اتخاذه. كما يمكن أن تزودنا معاني الأنواع ببعض الفطنة أو التبصر في ما يمكن أن تكون عليه مصلحتنا. ربما تشعر البنتان اللتان قامتا بالاختيار (الإجرائي) بأنه علميٌ أكثر، ويمكن أن تكون البنتان الأُخْرَيان قد شعرتا بنفس الشيء ولكنهما رغبتا في أن يكون تقريرهما شخصياً أكثر. في هذه الحالة،

كان النوع متوفراً كدالّ أو مؤشر (signifier) (وهو مزيج من الأصوات والرموز التي تمثل الكلمة)، وإن البنات الصغار اللواتي أنتجْنَ الإشارة وجدْنَ معانيها متلائمة بالشكل الأفضل وفي كل حالة من خلال استخدام ذلك النوع/ الدال الذي أثبت قدرته كوسيلةٍ للتعبير عن المدلولات (Signifieds)، أي عن معانيهن.

في هذه المقاربة للمعنى، يبدو الاهتمام الجوهري مصلحةَ صانعِ الإشارة: ما هو ذلك الذي يرغب أو ترغب في تمثيله ونقله، وما هو الشكل المناسب – النموذج الذي، من خلال تاريخ استخدامه مسبقاً بنفس القدر في جوانبه المادية–الذي يطرح نفسه كأفضل وسيلة ملائمة كناقلٍ لذلك المعنى الذي سيتم تمثيلُه وإبلاغه؟ تُعْتَبَر هذه مقاربةً سيميائية اجتماعية للتمثيل، حيث تكون الإشارة مركزيةً، وكذلك نتيجةً للنية أو القصد، أي لِنِيَّةِ صانعيها في تمثيل معانيهم بالشكل الأكثر معقوليةً وملاءمةً.

هذه المقاربة تتناقض مع علم اللغويات السائد طوال القرن العشرين: فلقد كان علم اللغويات إلى حدٍ كبير هو علم الدالّ بدلاً من أن يكون علم الإشارة، أي العلم الذي كان يتناول الشكل. وكان المعنى منفصلاً بشكلٍ تام عن الشكل، مما أدى إلى ظهور مجالات معرفية فرعية تتناول المعنى: وهي علمُ الدلالة، علم الأساليب الأدبية، وعلم البراغماتية (اللغة في الاستخدام)، وعلم اللغويات الاجتماعية.

ولا يمكن فهم نضال علم اللغويات الاجتماعية من أجل أن يؤسس وجوداً لنفسه إلا في سياق محاولته أن يعكس الفرضية المركزية التي تبنتها النظرية اللغوية السائدة، ونعني بها، البنيوية الأميركية، والتي كان الممثل والنصير المعاصر لها هو نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) (1957, 1965) الأكثر شهرةً.

إن مسألة الإشارة المُوَجَّهة لم تكن موضع خلاف في علم اللغويات العامة. وإن مقولة سوسور (Saussure) (1916) الشهيرة بأن العلاقة بين الدال والمدلول هي اعتباطية واصطلاحية كوَّنت مفهوماً مشتركاً لا يقبل الجدل في تلك الصيغة من علم اللغويات. وكانت إحدى متلازماتها ونتائجها الطبيعية المباشرة في مجال علم اللغويات الاجتماعية هي ما يمكن تسميته بالارتباطية أو «التلازمية» (Corre-lationalism). وهذه تسلم جدلًا باستقلالية الشكل عن المعنى (والسياق)، بمعنى أنها تسير قدماً على أساس أن الشكل لا يتحددُ أو ينتجُ عن السياق، وإنما يرتبط به. ذلك ينطبق بنفس القدر على مفاهيم التحول من لغة إلى أخرى خلال الكلام، كما

هو الحال في التغير على المستوى الجزئي المصغر لعلم الأصوات الذي ورد في كتابات لابوف (Labov) (1972a, 1978) الشهيرة، التي أظهر فيها أن لفظ بعض الكلمات (ما إذا كان الحرف r مثلاً يُلْفَظ أم لا في كلمة (Beard) (أي لحية) من قبل المتحدثين في نيويورك) كان يختلف على وجه التحديد وإلى حدٍ بعيد حسب الموقع الاجتماعي للمتكلم.

بعبارةٍ أخرى، ضمن وجهات النظر الترابطية، لا يتحدد النظام اللغوي بخصائصه، سواءً أكان ذلك في بنائه، أو مورفولوجيته، أو أصواته، أو العوامل السياقية له، ولكنه مستقل عن هذه الخصائص. في مرحلةٍ ثانية، يمكن أن نؤسس لنوعٍ ثانويٍ من النظام يؤدي إلى وجود ارتباطات: إذا كنتُ في السياق X، فإن النظام اللغوي Y سيكون النظام المناسب للاستخدام. بالطبع، هنا كما في أي موضعٍ آخر مما أقول، لا بد من التركيز على أنني أتحدث عن التيار السائد: سواءً في علم اللغويات العامة أو في علم اللغويات الاجتماعية. ولقد كانت هناك مواقف أخرى، مثل موقف الوظيفية البريطانية (British Functionalism) عند هاليداي (Halliday 1978, 1985)، والوظيفية الأوروبية عند بولر (Bühler 1990) أو موقف الفلسفة (السوفيتية) وعلم نفس اللغة عند باختين؛ فولوسينوف وفيغوتسكي (Bakhtin 1986; Vološinov [1929] 1973; Vygotsky 1978) (انظر أيضاً Coupland and Jaworski).

ولكن من الواضح أن التحدي المباشر لمفهوم العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول هو أمر ضروري إذا كان على علم اللغة الاجتماعي، حتى في وقتنا الحالي، أن يحرر نفسه من قيود مفاهيم التيار السائد. سوف أتابع هنا من خلال مناقشة مثالين إضافيين، أحدهما من مجال التمثيل البصري، والآخر من مجال اللغة.

مثالي الأول، الشكل 3.5، هو رسمٌ رَسَمَهُ طفلٌ في الثالثة من عمره. إذ عندما كان جالساً في حضن والده، رَسَمَ سلسلةً من الدوائر، وعندما أكمل الرسم قال: «هذه سيارة». كيف يمكن لتلك الدوائر أن تكون سيارة؟ فالمعنى الذي رغب في تمثيله بما يكفي من الوضوح، أي مدلولُه، كان «سيارةً» ولقد اختار ما كانت بالنسبة إليه ميزاتٌ معيارية «للسيارة»، ونعني بها العجلات، لتمثيل «السيارة»، أي الشيء

الكائن في ذهنه. بالنسبة له، كانت العجلات معياريةً للسيارة .ففي سن الثالثة قد تكون العجلات هي ما تقع العين عليه على الفور، ولقد كانت سيارة العائلة في ذلك الوقت VW غولف، وهي سيارة ذات عجلات بارزة ربما بشكلٍ خاص؛ فالعجلات إذن قد تكون تلك الميزة التي أسرت اهتمامه في «السيارة» أكثر من أي شيء آخر، في «جولة دائرية حولها»... إلخ.



الشكل 3.5.

تبرز هنا عدة نقاط عامة. الأولى، عندما نمثل شيئاً أو حدثاً لم نمثل كلَّ خصائصه في أي وقتٍ مضى ولكن نمثله دائماً جزئياً فقط، وبالتحديد في علاقته مع مصلحتنا في لحظة التمثيل في هذه الظاهرة. من السهل أن تفوتنا حقيقة أن التمثيلات هي دائماً ليست سوى تمثيلاتٍ جزئية، كما هو حال (الحقيقة) أن جزئيتها تعكس مصلحتنا في هذه الظاهرة. ومن المرجح أن اللغة تحجبُ ذلك بشكلٍ خاص: فالكلمة هي كلمة، ويبدو أنها تمثل بشكلٍ كامل ما تحل ظاهرياً مكانه في كلامنا. النقطة الثانية هي أن تمثيلاتنا/ إشاراتنا هي دائماً استعارات: «السيارة هي عجلات»، وفي هذا المثال، هناك استعارة ثانية وهي «العجلة هي دائرة». وأخيراً، إن أساس هذه العملية هو الافتراض بأن الدال (الدائرة في الحالة الأولى، والعجلات في الأخرى) ينبغي أن يكون له في تركيبه تلك الميزات أو الخصائص التي تشير مُسْبَقاً إلى معاني المدلول؛ وإذا جاز التعبير، هذا الدالّ «جاهز» في هذه المناسبة ليكون ناقلاً لميزات المدلول.

مثالي الثاني هنا معاكسٌ للمثال الأول: في «السيارة كعجلات» مثلاً، كان

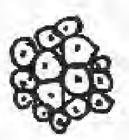
المعنى يبحث عن شكله، وكان المدلول يبحث عن دالِّه المناسب إذا جاز التعبير. في المثال التالي، يبحث الدال عن مدلوله. هذا المثال يأتي من مدرسةٍ ابتدائية في لندن. كان التلاميذ البالغون 8 سنوات من العمر يدرسون دورة التكاثر عند الضفادع (انظر الشكل 4.5). ولقد طلب المعلم من تلاميذ الصف أن يكتبوا عن هذا الموضوع.

جيمس هو تلميذٌ نجده في موقع جميع متعلمي اللغة: هو يصادف أشكالاً لا يعرفها، ويعرف أنها إشارات، ولكن كل ما لديه «كدلائل» هو خصائص الدالّات (signifiers). هو يتصرف على افتراض أن «شكل» الدالّ هو مؤشرٌ جيد ودليلٌ موثوق على «شكل» المدلول. وهو يتلقى معنى الكلمة التي لا يعرفها بطريقتين: كمجموعةٍ من الكلمات، الشكل/ الدال المعجمي (كما يستنتجها هو) لعبارة «الضفادع المولودة»، والمدلول الذي لا يعرفه ولكن يشعر أنه يستطيع أن يستنتجه من شكل الدالّ، أي من الكلمة/ المعنى المجردة للأشياء التي تخرج منها فراخ الضفادع (الشراغيف).

لا يقع جيمس فريسة الفكرة المنتشرة والمستمرة التي تنص على أن علاقة الدال بالمدلول هي علاقة المعنى بالصوت (أي على أن العلاقة هي قائمة بين «المفهوم»/ المدلول من جهة، والتسلسل الصوتي/ الدال من جهة أخرى، أي إن عليه أن يجد بطريقةٍ ما علاقةً بين تسلسل أصوات لفظ كلمة (F r o g z) (الضفادع) المولودة والمفهوم الذي يتوافق مع المادة المشابهة للهلام (المادة الجيلاتينية) التي يتواجد البيض بداخلها). هو يعرف أن الدال– الأشياء في هذه الحالة هو المادة المعجمية، «الكلمات».

إن مشكلة جيمس هي بالتحديد مشكلة أي قارئ: وهي مصادفة الدالات واستنتاج خصائص المدلولات من شكلها من أجل صنعِ إشارةٍ جديدة. وإن نهجه يولي اهتماماً بشكل الاشياء التي تتم قراءتها، وهو يتعاملُ مع «النص» على أن لديه شكلاً وخصائص صلبة، وبالرغم من ذلك هذا يُظْهِرُ كيف تُفْرَضُ على القارئ عمليات الاستنتاج التي تؤدي به من شكل الدالّ إلى شكل المدلول. إن حلَّ عملية الاستنتاج هذه هو العمل التحويلي للقراءة. وبالتالي لا تشبه قراءةٌ ما أي قراءةٍ أخرى، وكذلك لا يمكن التوصل حتى الآن إلى قراءةٍ اعتباطية. وهذا يتغلب على

مشكلةٍ في نظريات القراءة: فهو يعترف بأن النصوص لها ميزاتٌ حقيقية (تعكس التاريخ الاجتماعي لإنتاجها) تُعْتَبَر المُوَجِّه لمحاولة القارئ لإيجاد المدلولات المناسبة لها، بحيث أنها يمكن أن تصبح إشاراتٍ للقارئ، وهذا اعتراف أيضاً بأن القراء يقومون بعمل ما تشكِّلُه مصالحهم الاجتماعية والفردية، في صنع الإشارات من مجموعةٍ من الدالّات.



الشكل 4.5

في هذه المرحلة، تَدْخل مسألة القوة مجدداً. لن تصمد إشارة جيمس؛ إذ إن سلطة المؤسسة التي يتواجد فيها ستؤكد ذاتها، ناهيك عن المجموعات التي هو عضوٌ سابقٌ فيها. ويمكن لقارئ قوي أن يؤكد حقه أو حقها في شرعية صناعة الإشارات الخاصة (بهما). بهذا النمط، تصبح أفكار القوي هي أفكار الجماعة، كما قال ماركس سابقاً. من المهم أن ندرك أنه من وجهة نظر القارئ، النص هو عبارة عن مجموعة من الدالّات، التي يعرف القارئ أنها كانت مصنوعةً كإشاراتٍ في العلاقة المُوَجَّهة بين الدالّات والمدلول.

إذن الإشارة في نظر الكتاب كما في نظر القراء هي بالنتيجة دائماً تأثير حتمي للعوامل الاجتماعية. وإن مصلحتهم في المطابقة بين الدال والمدلول هي التعبير عن تاريخهم الاجتماعي، وتقييمهم للمصادفات الاجتماعية الحالية وللبيئة

التواصلية، بما في ذلك علاقات القوة أو التضامن. كل هذه، بالإضافة إلى مسائل الوجدان، تجد طريقها إلى التحقق في المجاز أو الاستعارة الجديدة دائماً لكل إشارة يتم إنتاجها في الكتابة وفي القراءة. وبالتالي فإن **العامل الاجتماعي هو في الإشارة** (*The Social is in the Sign*)، ليس مسألة ترابط بين الإشارة الموجودة بشكل مستقل، والواقع الاجتماعي الخارجي، لسياق موجود حول الإشارة، أو حول النص الذي يُعْتَبَر إشارةً معقدة. فالإشارة هي اجتماعيةٌ بالكامل، وهي عمل الممثلين الاجتماعيين/ السيميائيين الذين يُعَبِّرون عن مفهومهم للعالم الاجتماعي في لحظةٍ معينة، وعن استجابتهم الوجدانية له.

السياق

في وجهة نظرٍ ترابطية للغة، يظهر السياق كالشيء الآخر في زوج من المصطلحات: اللغة من جهة، وكل الباقي- السياق- من جهة أخرى، ويُؤتى بهما إلى علاقةٍ منتظمة مع بعضهما البعض. ويمكن أن نعزُوَ خصائص النص إلى مظاهر السياق لنفهم معناه بالكامل. في نظريات اللغة غير الترابطية، يشكل السياق نوعاً من الخلفية (أو ليس لديه أي مكانة على الإطلاق)، التي يمكن الاعتماد عليها كلما وجدنا أن خاصيةً ما للنص عصيةٌ على التفسير. فيما يلي مقطعٌ من نص، مأخوذ أيضاً من صفٍ للعلوم، وإن لم يكن من نفس الصف المشار إليه سابقاً في هذا الفصل. حيث يتحدث المعلم عن الدورة الدموية إلى صف مختلط من التلاميذ الذين تتراوح أعمارهم من 13 إلى 14 سنة.

النص المحكي	العمل
الآن إذا نظرنا إلى ذلك في	يضع النموذج على المِنْضَدَة الأمامية
نموذجنا يمكنك أن ترى هنا	يقف وراء النموذج ويضع يديه أمامه
أن القلب له أربعة أوعية دموية رئيسية	يلتقط أطراف القلب في صميم القلب
حسناً الآن	يضع القلب إلى الوراء في النموذج
وإذا ما قطعنا الجهة الأمامية، يمكنك أن ترى ما يجري في الداخل،	يقطع الصفيحة الأمامية للقلب

أساساً يأتي الدم حول

حلقات من بقية أنحاء الجسم إلى هذا

التجويف الأول هنا ... حسناً هو
يذهب من هذ التجويف إلى هذا

التجويف السفلي في هذا الجانبوهناك

نجد المضخة الأولى

ينتزع القلب ويضعه أمامه

يمد إصبع السبابة،

من رأسه إلى القلب، يضع الإصبع
في التجويف ويحرك الإصبع على
مقربةٍ من الجوف
يحرك الإصبع إلى التجويف
المجاور

يقلص اليد ببطء إلى قبضة، مرتين

ولكن لا تُسْتَخْدَمُ كل هذه الوسائط بنفس الطريقة، وبنفس الدرجة، وفي جميع الأوقات. في المُقْتَطَف الوجيز هنا يبرز الكلام بشكلٍ أساسي؛ وفي أوقاتٍ أخرى، ومجالاتٍ كثيرة، يكون الكلام غائباً. لا تخدم كل الوسائط نفس الوظيفة: في هذه الحالة أميل إلى القول بأنه – كما هو الحال في نصوص خلايا البصل – ليست اللغة (أي هنا الكلام) مركزيةً، ولكن النموذج هو كذلك. للكلام دورٌ ثانوي. بمجرد أن نتصور ذلك، تصبح مسألة العلاقة المرجعية مختلفةً تماماً: فالكلام ليس الوسيط المركزي الذي يشير «خارجاً»، ولكنه يعمل كوسيطٍ ثانوي يدعم المهام التي يؤديها المعلم مع الوسيط المركزي للنموذج.

في هذا المثال لدينا مجموعةٌ تمثيلية متعددة الوسائط، مع وسائط مختلفة تؤدي مهاماً محددة (ومختلفة باستمرار). يتعامل المعلم مع هذه المجموعة ككل (كمصمم/ خطيب/ مُنَظِّم)، وفي صناعته للإشارات يُنْشِئ الروابطَ بين الوسائط: فلمدلول النموذج دالٌّ يكون عنصراً من عناصر الكلام، وهو كلمة ذلك أما الدالّ أي كلمة هنا (الواردة في السطر 2) فلديها كمدلولٍ لها عنصرٌ من عناصر الوسيط السيميائي للنموذج، أي القلب، وهلمَّ جراً. لا يوجد أي سياق يُعتَبَر خارجاً: فهناك مجموعة من الوسائط السيميائية التي يمكن جمعها سوياً في كلٍّ متكامل. ويتم استبدال فكرة «الإشارة خارجاً» بمفاهيم الإشارات المُنْتَجَة عبر الوسائط السيميائية، للعلاقات المتماسكة التي تنشئ الإشارات عبر الوسائط. وهنا تختفي العديد من المسائل المركزية للمجال النظري للعلاقة المرجعية في علم اللغة: إذ يمكن اعتبارها مشكلةً تُنْتِجُها نظرةٌ للغة كنظامٍ مستقل.

وبالمثل، فإن رؤية اللغة كنظامٍ مرتبطٍ بالعوامل الاجتماعية، وبالسياقات من أيٍّ نوعٍ كانت، سوف تحتاج إلى تغيير، سواءً على المستوى الكلي الكبير كما في حال التحول من لغة إلى أخرى عند الكلام، أو على المستوى الجزئي الصغير كما في حال التغييرات الصوتية في مختلف السياقات الاجتماعية. إن المثال الصغير الذي أخذناه من الفصول الدراسية يرمز إلى نشاطٍ يتضمن الإشارات على جميع المستويات. هذا لا يعني أن مفهوماً مثل التحول من لغة إلى أخرى في الكلام لم يعد مفيداً: فقد يكون إلى حدٍ بعيد أفضلَ وسيلةٍ لوصف الظاهرة الحقيقية على مستوى الوصف الاجتماعي. ولكن سيميائياً، يعتبر الانتقال من لغة إلى أخرى خلال الكلام مثالاً على صناعة الإشارة كما هو مُوَضَّحٌ هنا، على الرغم من أنه يعمل على مستوىً أكبر من ذلك.

والسؤال الذي طرحناه سابقاً حول التمايز الوظيفي للوسائط يبرز بشكلٍ واضحٍ جداً هنا. لماذا يختار المعلم استخدام هذا الوسيط لهذا الغرض، وذلك الوسيط الآخر لذلك الغرض؟ في نقطةٍ لاحقة ربما قد يستخدم مع ذلك وسيطاً آخر لغرضٍ مماثلٍ تماماً. فمثلًا، في هذه العينة النصية الصغيرة، يُسْتَخْدَمُ الكلام للقيام بالكثير من التواصل الشخصي: «الآن إذا نظرنا إلى ذلك على نموذجنا يمكنك أن ترى في الواقع.. ». ويمكن أن نقوم ببعضٍ من هذا الترسيخ للتماسك بشكلٍ مختلف: في الفصول الدراسية الأخرى، قد يجول المعلم من وراء المقعد، ويقف أمامه، مستخدماً وسيطاً مكانياً لترسيخ التماسك. أو قد لا يستخدم النموذج على الإطلاق، ويختار أن ينقلَ للتلاميذ محتوى المناهج الدراسية عبر الصورة (في شريط فيديو أو على قرص مضغوط) أو عن طريق الكلام الأكثر رسميةً من حيث البناء النحوي.

النقطة هنا هي أن دور المعلم كمصممٍ للتمثيل والتواصل يجب أن يصبح في الطليعة: فمن أجل تشكيل مجموعة تواصليةٍ متكاملة ومناسبة، يحتاج إلى أن يضبط مجموعةً كاملة من الوسائط التي قد تم نَسْبُها سابقاً إلى «السياق» .هذا هو تصميم الأعمال في خدمة الغرض البياني البلاغي: يتم اختيار هذا الوسيط لهذا الغرض لأن الآن، في هذه النقطة، مع هذا الجمهور، ومع هذا الجمهور في هذه الدولة (على سبيل المثال، سيل التلاميذ الآتين من الملعب) سوف يَخْدُمُ هذا التصميم بشكلٍ أفضل. في نقطةٍ أخرى، سوف يكون تقييمه أو تقييمها على النحو التالي:

الآن لا بد لي من تقديم ما قمنا به بشكلٍ «مَشْروع»، هذا الوسيط - ربما يكون صورةً كالرسم البياني، أو لغةً كالكتابة - سوف يخدم بالطريقة الأفضل ليزودَنا بكلِ الإمكانيات المعرفية الإنسانية، وكذلك بشكل السلطة التي نحتاج إليها.

هذه هي الأسئلة التي كانت محورية لعلم اللغويات الاجتماعية في الكثير من حالات حراكه في النصف الثاني من القرن العشرين على أي حال. وإن النهج السيميائي الاجتماعي المتبع هنا يذهب إلى ما هو أبعد من مفاهيم الإجراء المناسب فيما يتعلق بالقوانين اللغوية والاجتماعية المفهومة جيداً. في ذلك المفهوم، «يُنَفِّذ» الفرد ببساطة نظاماً قائماً، ولا يوجد لديه أو لديها (فاعلية) بالمعنى الحقيقي. ويذهب هذا النهج أيضاً إلى ما وراء فكرة أن التمثيل والتواصل هو القيام بخيارات من مخزون الخيارات المتاحة للمعنى، كما في القواعد النحوية الوظيفية النظامية عند هاليداي (Halliday 1978, 1985). في هذا النهج الأخير، يعتبر الاختيار من الموارد المتاحة لصنع المعنى هو الإجراء الذي يمكن لمستخدم اللغة أن ينخرط فيه. وتلك هي درجة كبيرة من (الفاعلية)؛ على الرغم من أنها لا تزال محدودةً بإمكانيات النظام.

في نهج سيميائيٍ اجتماعي، يتم التسليم بوجود الموارد المتاحة، كما في حقيقة أن شكلها هو نتيجة الإجراءات الماضية للممثلين السيميائيي /الاجتماعيين الذين يعملون ضمن قيود مواقعهم، ولكن يعملون بطريقةٍ تحولية، سواءً في اختيار الموارد (أيُّ وسائط، أيُّ عناصرَ ضمن كل وسيط يجب أن نستخدمَ كدالاتٍ للإشارات الجديدة)، أو في تحويلها فيما يتعلق بالمصالح الموجودة لديهم في لحظة معينة من التواصل.

التغير والتاريخ في الأنظمة السيميائية

جميع الأنظمة السيميائية الإنسانية تتغير، ولكن ليس بمعدلٍ يلاحظه عادةً أولئك الذين ينخرطون باستمرار في «استخدامها» .إذا كان لاستعارة «صنع الإشارة» أيُّ معقولية، وإذا كانت الاستعارات/ الإشارات المُنْتَجَة حديثاً باستمرار تعبر عن تقييم الحالة الاجتماعية التي يجد فيها صانعو الإشارات أنفسهم، فضلاً عن تاريخهم الاجتماعي والثقافي الخاص، وحالاتهم الوجدانية في لحظة التمثيل، إذن سيكون لدينا تفسير لكل من التغيير (يتم إنتاج الإشارات حديثاً باستمرار، ويتم إعادة إنتاج موارد التمثيل باستمرار) واتجاهات التغيير، على الأقل على نطاق

واسع (تجسد الإشارة دائماً الحالة الاجتماعية والثقافية على النحو الذي يُقَيِّمُها فيه صانع الإشارة). ولدينا نظريةٌ تقول بأن الفرد الذي هو مُلْزَمٌ بالتمثيل والتواصل هو (الفاعل) لذلك التغيير.

كيف يمكن تبرير أو توثيق مثل هذا الافتراض؟ الموضع الوحيد الذي يمكن أن ننظر إليه هو بالطبع التاريخ المُصَغَّر الدقيق لصنع الإشارة. وهكذا نجد أن الدليلَ موجودٌ في كل مكان بمجرد أن قررنا أن ننظر من خلال هذه العدسة. وهو هناك في الانتقال التدريجي من قِبَلِ الأطفال إلى الأنظمة السيميائية لثقافاتهم، وبقدر ما هو كذلك في كل تفاعلٍ سيميائي. المثال التالي الذي سنسرده يسجل هذه النقطة، وهو يبَيِّنُ أيضاً أن عملية التحول تجري في اللغة كما في أيِّ موضعٍ آخر.

المثال الآن عمره أكثر من اثني عشر عاماً. وكان مقابلةً على محطة راديو (سيدني) (Sydney) يصحبها مناشدةٌ «للشباب». كانت الامرأة التي تُجْري المقابلة والشابتان اللتان أُجرِيَت معهما المقابلة في بداية العشرينات. وكانت هاتان الشابتين استراليتين عادتا من طوكيو، حيث كانتا تعملان كمُضيفتين في الحانات. وأجريت المقابلة في إطار السنة الدولية للمرأة.

افتتحت الامرأة هذا القسم من المقابلة بالسؤال/ التأكيد على أن المضيفات كانت مثل فتيات الغايشا (مغنيات وراقصات يابانيات)، وتَسْتَضِفْنَ و«تُسَلِّين الرجال». ردت الشابتان بالقول بأن عمل الغايشا هو شكل من أشكال الفن، وأن الرجال غالباً ما يجلبون النساء كضيوف؛ وأن المضيفات لا تُمَتِّعنَ الرجال، «إنهن تُمَتِّعنَ الرجل»، وتفعلن ذلك «بالموسيقى، الرقص»، وهذا العمل يقوم على مهارةٍ يمكن مقارنتها بالمهارات الأخرى المتوفرة في «قسم» التسلية والترفيه؛ وما تقوم به المضيفات هو «إمتاع القسم الذكوري».

العنصر الذي ركزْتُ عليه في مُلَخَّصي هو بناء أو إعراب الفعل (enter-tain (أي يُمَتِّع) وتاريخه (الدقيق) في هذا التفاعل. استخدمته السيدة التي أجرت المقابلة للمرة الاولى كفعلٍ متعدٍ«تُمَتِّعنَ الرجال». فالفعل المتعدي الحقيقي هو الفعل الذي يكون فيه اسم الفاعل هو العامل المسؤول عن العمل، وعندما يكون للعمل تأثير فعلي مباشر على كيانٍ ما. إذا أخذنا فعل يسلي أو «يُمَتِّع» كتلطيفٍ للتعبير عن الاتصال الجنسي، فإن الشكل المتعدي للفعل يشكل اتهاماً سترفضه الشابتان.

كلاهما ستشرعان في دفاع كلامي، وذلك باستخدام موارد بناء أو إعراب الجملة للقيام بذلك. الخطوة الأولى هي تغيير إسم المفعول به من الجمع المحدد «تُمَتِّعنَ الرجال» إلى العام المجرد «تُمَتِّعنَ الرجل». هذا يَصُبُّ الاتهام عليهما إلى حدٍ ما: إذ من الصعب ممارسة الجنس مع «الرجل». الخطوة المماثلة هي الانتقال من الفعل المتعدي إلى الفعل اللازم «إنهن تُمَتِّعنَهم بالموسيقى والرقص» حيث اختفى المفعول به وحَلَّت مَحَلَّه تكملة مفيدة للجملة: كما في Chopping Logs with an Axe أي «قطع الأشجار بفأس». في حين يبدو كلا الاستخدامين غريبان بعض الشيء بالنسبة لي، هما لا يزعزعان، كتحولين، النظام البنائي النحوي نفسه: يمكن أن نعتبر «إمتاع الرجل» مطابقاً «لإمتاع الجمهور»، وبالمثل يُسْتَعْمَل للاستخدام المفيد. ومع ذلك، فإن استخدام «إمتاع القسم الذكوري» يتجاوز حدود بناء أو إعراب فعل يُمَتِّع في الاستخدام الذي قُمْتُ بملاحظته، يحتاج الفعل يُمَتِّع إلى كيانٍ حي في موضع اسم المفعول به. يمكنك أن تُمَتِّعَ إنساناً، حيواناً (إذا افترضنا أنه يملك الذكاء) ولكن لا يمكنك أن تُمَتِّعَ خشبةً، أو طبقاً من البطاطا. والقِسم (في «إمتاع القِسم الذكوري») ليس اسماً حياً، وهكذا يتم خرق الـ Selection Re-striction Rules) أي قواعد تخصيص الدلالة الانتقائية (إذا استعرنا مصطلحاً من أشكال القواعد النحوية عند تشومسكي) بين الفعل المتعدي والمفعول به.

بالطبع، في النهج المطروح هنا ليس هناك من «خرقٍ للقواعد»، ولكن هناك تحولٌ للموارد المتاحة. ولكن القدرة النحوية لفعل يمَتِّع هي الآن مختلفة، وقد تم تغييرها، سواءً اعتبرنا ذلك خرقاً للقواعد أو تحولاً للموارد اللغوية. لقد تم تغيير البناء النحوي للغة. وسوف يكون للتغيير هنا تداعياتٌ في جميع جوانب اللغة. إن الدافع لهذا التحول واضحٌ بشكلٍ تام، وإن اتجاه التغيير هو نتيجةٌ للمصادفات الاجتماعية المحيطة بإنتاج النص. هذه هي الطريقة التي يشكل فيها العامل الاجتماعي الصياغة اللغوية.

بالطبع، لن يحدث الكثير كنتيجة لهذا الحدث الواحد؛ على الرغم من أن الشابتين واصلتا نهارهما في تلك المناسبة. ببساطة هذا هو مثلٌ واحد، وإلا إذا حكمت الظروف تكرار مثل هذا الاستخدام مراراً وتكراراً، لن يكون له تأثير دائم في اللغة ككل. لكن من المرجح أن يترك أثراً، مهما كان ذلك طفيفاً، في التاريخ

اللغوي للمشاركات الثلاثة في المقابلة. ومع ذلك، فالمبدأ واضح. فالظروف الاجتماعية اليوم – الظروف السياسية النسائية في أستراليا، فضلاً عن القضايا الأكبر من ذلك بكثير مثل الاقتصاد العالمي – لماذا تذهب الشابات للعمل في طوكيو؟- وغير ذلك الكثير، مثل الموقف الميال للنقد القاسي من قبل السيدة التي أجرت المقابلة، استناداً إلى مجموعةٍ أقدم من القيم، كل هذه العوامل تتضافر كدافع ومصلحة وتؤدي بالتالي إلى هذا التحول. العامل الاجتماعي هو الإشارة. والإشارة تحمل تاريخ إنشائها، وهي بذلك تحمل تاريخ ومعاني المجموعة الاجتماعية التي أنشأتها.

مقاربة سيميائية للتمثيل والتواصل

خلال المائة سنة الماضية، جرت عدة محاولات لتوحيد النظرية فيما يخص الوسائط المختلفة للتمثيل. إحدى أفضل هذه المحاولات كانت محاولات ما يسمى بالمدرسة الباريسية للسيميائيين (School Semioticians) (Barthes 1973c, 1977b)، أو عمل توماس أ. سيبيوك (Thomas A. Sebeok) (1976a, 1977)، أو في الواقع أيضاً عمل أمبرتو إيكو (Umberto Eco)(1973, 1976). تعثرت أعمال المدرسة الباريسية (Paris School) في قضية واحدة فوق كل القضايا الأخرى: وهو خطأ اتخاذ اللغة كوسيط متميز للتواصل، ومحاولات استخدام أدواتها النظرية والوصفية لتفسير الوسائط الأخرى. فرولان بارت (Roland Barthes)، الذي كان عمله منقطع النظير في عدة اعتبارات لقدرته على تقديم نظرة ثاقبة في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية المنظمة بشكلٍ سيميائي، قام بتطوير مفهوم الإشارة المُوَجَّهة؛ وفي مقالته (Myth Day) (أي يومِ الأسطورة) (1973a)، يفسر ذلك بشكلٍ واضح؛ إذ بنظره ليست تلك قضية يصعب حلها. ولكن لا يمكن العثور على الوحدة السيميائية على مستوى الوسائط السيميائية، وإنما على مستوى مبادئ النشاط الإشاري الإنساني. لدى مناقشتي لإمكانيات (Affordances) (القيام بعمل) الوسائط الواردة سابقاً في هذا الفصل، أشرْتُ إلى «المنطق» السيميائي المتميز للصورة والكلام، المنطق الذي نجد أُسُسَهُ في ماديَّة «الاشياء» التي يتم إنتاج هذه الوسائط من خلالها. فالإيماءة مثلاً تجمع بين منطق المكان ومنطق الزمان، وبين منطق العرض ومنطق التسلسل. ولذلك ليس هناك من إمكانيةٍ لتصديق معقولية أي محاولةٍ لوصف (كما كان يتم التركيز على ذلك في معظم فترات القرن الماضي) الإيماءة بعبارات لغوية، سواءً أكان ذلك في ظهورها الكلامي أو في ظهورها الكتابي.

هناك فرق على مستوى الوسيط، وهذا الفرق هو من نوعين: أحدهما هو نتيجة الإمكانيات المادية التي يتشكل فيها الوسيط، وثانيهما هو التواريخ الثقافية/ الاجتماعية للكيفية التي تم بها التعاطي مع هذه الإمكانيات في مواضع ثقافية مختلفة، وللكيفية التي تم بها تشكيلها في تواريخ الثقافات المختلفة (الحالة الواحدة المقنعة جداً بالنسبة لي هي تواريخ أنظمة الكتابة المختلفة، لِنَقُلْ، الكتابة الأبجدية في مقابل الكتابة الأيديوغرافية/ التصويرية). على مستوى المبدأ السيميائي ليس هناك فرق. فمن البديهي تماماً أن الحال بالنسبة للغة ليس هو الحال نفسه بالنسبة لغيرها من الوسائط (فمثلاً في السؤال: هل يوجد أسماء، جمل... إلخ في الصورة؟)؛ لن يكون هناك اتساقٌ جزئي فقط. ولكن الحالة هي أن مبادئ النشاط الإشاري الإنساني تعمل بنفس الطريقة في كل وسيط، إذا أخذنا بعين الاعتبار إمكانيات كل وسيط.

وبالتالي، فإن مسألةَ ماديةِ الوسائط تصبح مسألةً رئيسية. ففي المشهد التواصلي المعاصر، الذي لا يسمح فقط بمجموعةٍ من الوسائط وإنما يستغلها (وهو في جزء منه، بالطبع، يتغذى من الإمكانيات المفتوحة حديثاً للتكنولوجيات الإلكترونية وإن كان ذلك في جزءٍ منه فقط)، يصبح الاختيار من بين الوسائط ممكناً. فالوسيط، بالنظر إلى مسألة المادية، يشكل ما ستكون عليه التمثيلات: ما يمكن تمثيله وكيف. في البحث الجاري في الفصول الدراسية لمادة العلوم الذي أشرنا إليه مُسْبَقاً في هذا الفصل، هناك بعض النماذج الثلاثية الأبعاد للخلايا النباتية. مع ثلاثة أبعاد، تتضاعف إمكانيات التمثيل المتمايز؛ وهنا نجد أن مسألة نوعية المادة التي نستخدمها تفرض نفسها في الطليعة: هل إن أفضل طريقة لتمثيل (اللانفادية) لجدار الخلية تكون باستخدام الورق المُقَوّى الصلب، أو باستخدام الورق الشفاف الرقيق؟ إذ لكلِّ خيارٍ معناه. وهل إن أفضل طريقة لتمثيل النواة هي باستخدام القليل من الإسفنج الملون بالأحمر (الذي يشبه «دماغ» الخلية وبالتالي فهو إسفنجي، وهو مهمٌ بحيث أن الأحمر قد يكون اللون الأفضل)، أم باستخدام الحصاة الملساء؟

لكن المادية تتصل مباشرةً أيضاً بفيزيولوجيا جسم الإنسان، وبالحواس التي يتعاطى الناس من خلالها مع عالمهم. هناك العديد من المواد المختلفة التي تُسْتَخْدَم مع الحواس المختلفة: البصر مع اللون، واللمس مع النعومة، والسمع مع الصوت. وتشكل هذه مساراتٍ مختلفة للإدراك الحسي، ومساراتٍ مختلفة للشعور، وربما

للإمكانيات المختلفة النفسية/ المعرفية (Gardner 1993; Sacks 1984). وبما أن عالم التمثيل ينتقل على نحو متزايد من التواصل إلى الاستخدام، مُدْخِلاً الاستعارة السابقة «لاستهلاك النصوص» في الموضع المشترك الاعتيادي لكل نشاطٍ ثقافي، فإن التمييز بين أهمية ما هو مكتوب على الوجه الخارجي لزجاجةٍ من المياه المعدنية قد يكون أكثر أو أقل أهميةً من شكل الزجاجة، أو لونها، أو الصور الموجودة على بطاقة الزجاجة، أو لمس الزجاجة باليد عند صبِّ الماء، أو طعم وتركيبة الماء عندما أشربها. في الحقيقة يكمن المعنى في كل هذه الصفات.

بما أن عالم أولئك الذين ينعمون بدرجة من الثراء ينتقل من تعريفٍ للذات من خلال مكانتهم في المجتمع («أنا أكاديمي»، «أنا متزوج»، «أنا أسترالي») إلى تعريفٍ للذات من خلال نمط استهلاكهم («أنا أتسوق من الشركة الأميركية The Gap»، «نحن نشتري المياه المعدنية الفرنسية فقط»، «أنا أفضل العيش في أوروبا»)، الذي يصبح هويةً للإنسان كنمط (حياة)، فإن الحدود الفاصلة بين ما كان تواصلياً وما كان اقتصادياً أو ما كان أيَّ ممارسةٍ اجتماعية أخرى، وبين النص والسلع، وبين ما هو سيميائي وتمثيلي وما هو غير سيميائي وغير تمثيلي تتلاشى جميعها. لذا أصبح اختيار الحذاء الذي أشتريه وأرتديه عملاً تواصلياً أُعَرِّف من خلاله عن نفسي. وسيصبح الطَّعْمُ كذلك فئةً نظرية أساسية في علم السيمياء، تماماً كما سيكون عليه علم الجمال (Aesthetics)، الذي يُنْظَرُ إليه على أنه السياسة في الأسلوب (Politics of Style).

في هذه البيئة نحتاج إلى الإبقاء على التمييزات بين الوسائط السيميائية، ولكن وظائف وأهمية هذه الوسائط تحتاج أيضاً إلى إعادة تقييم. ليست هذه حجة ضد اللغة، على الرغم من أنها حجةٌ ضدَّ علم اللغويات الأساسية كما يتم تصوره حالياً. إنها حجةٌ تخدم علم اللغويات الاجتماعية، ولكن ليس كتابع أو كفرع معرفي فرعي لعلم اللغويات، ولكن كعلم لغويات. وإن مفهوم الإشارة الموجهة، للجانب الاجتماعي في الإشارة، يجعل ذلك ممكناً وضرورياً. إن إعادة تصور علم اللغويات (الاجتماعية) بهذه الطريقة سوف تكون واحدةً من المكونات النظرية الأساسية للعالم التواصلي المتعدد الوسائط.

شكر وتقدير

أود أن أشكر كاريجويت (Carey Jewitt) لملاحظاتها على هذا الفصل، ولعملها الحاسم في البحث في الفصول الدراسية لمادة العلوم التي أشرنا إليها هنا. أذكر أيضاً أن العديد من الأفكار حول تعدد الوسائط كانت مُسْتَلْهَمة من عملي ومن عمل ثيو فان ليوين (Theo van Leeuwen). وقد كتب المؤلف هذا الفصل بينما كان يعقد اجتماعاً كأستاذ زائر في قسم اللغة الإنجليزية في جامعة المدينة في هونغ كونغ (City University of Hong Kong).

قراءات إضافية:

Coulon, R. (1989) ‘French and Australian socio-semiotics:

worlds apart and yet so close’, *International Journal for the Semiotics of Law* II (6): 313-24.

Coupland, N. and Jaworski, A. (eds) (1997) *Sociolinguistics: A Reader and Coursebook*, London: Macmillan.

Downes, W. (1998) *Language and Society*, Cambridge: Cambridge University Press.

Giglioli, P. P. (ed.) (1972) *Language and Social Context: Selected Readings*, Harmondsworth: Penguin Books.

Gumperz, J. (ed.) (1982) *Language and Social Identity*, Cambridge: Cambridge University Press.



الفصل السادس
البراغماتية
(الاستعمال الفعلي للغة)
جيف فيرشويرين
دراسة استخدام اللغة

في العصر الحاضر وإلى حد بعيد، يرتبط مصطلح «البراغماتية» مباشرةً بدراسة استخدام اللغة، على الرغم من أنه نشأ في سياق نظريةٍ أعم من نظرية نشاط الإشارات (Semiosis). حسب رأي تشارلز موريس (Charles Morris) (1938a)، كان فرع علم السيمياء الذي يختص بدراسة الخصائص الشكلية للإشارات والرموز (Syntactics) يدرس علاقات الإشارات بالإشارات الأخرى، في حين كان علم الدلالة أو المعاني (Semantics) يبحث في الصلات بين الإشارات والأشياء التي يمكن تطبيق هذه الإشارات عليها، أما علم البراغماتية فيجب أن يُكرَس لدراسة العلاقات بين الإشارات ومستخدميها أو مترجميها. وبعبارة أخرى، «تتعامل البراغماتية مع الجوانب الحيوية لنشاط الإشارات، أي مع كل الظواهر النفسية، البيولوجية، والاجتماعية التي تحدث خلال عمل الإشارات» (المصدر نفسه، ص 30) .أو، «إن أي قاعدة تدخل فعلياً في الاستخدام تعمل كنوع من السلوك، وبهذا المعنى هناك عنصر براغماتي عملي في جميع القواعد» (المصدر نفسه، ص 35).

بعد إدخال علم البراغماتية ضمن علم اللغة، بُذِلت كل الجهود لتعريفه كمُكونٍ

لنظريةٍ لغوية قابلٍ للانفصال (لشرح أكثر تفصيلاً، انظر (Levinson 1983)). ومع ذلك، فإن الآثار المترتبة على توصيف موريس كان من الممكن استخدامها للتنبؤ بالصعوبات التي تنطوي عليها. إذا كانت البراغماتية تقارب اللغة كشكل من أشكال السلوك، يجب أن يكون هناك في الواقع طريقة عملية للنظر في أي جانب من جوانب اللغة وعلى أي مستوى من بنائها. بعبارة أخرى، وخلافاً للمكونات التقليدية للنظرية اللغوية، لا تملك البراغماتية موضوعها البحثي المميز لها والخاص بها. وإذا كان هذا التأكيد على السلوك ينطوي على اعتبارات نفسية، وبيولوجية واجتماعية، فإن البراغماتية يجب أن تكون في تعريفها متعددة التخصصات للغاية، وبالتالي تلامس فروع المعرفة الموصولة بها (علم اللسانيات النفسية، علم اللسانيات الاجتماعية، وما شابه ذلك)، مختلفةً بذلك عنها بسبب افتقارها إلى موضوع ارتباطي تبادلي خاص بها (العقل، المجتمع، وما شابه ذلك). لذلك فإن جهوداً تعريفية كهذه تم حصرها إما في تمييزات غامضة وغير عملية (فمثلًا يدرس علم الدلالة المعنى خارج السياق، في حين يدرس علم الدلالة البراغماتي المعنى في داخل السياق) أو في قوائم مخصصة من المواضيع التي كان من المفترض أن تنتمي إلى مجال البراغماتية (على وجه الخصوص: التعبير الإشاري (deixis)، مضامين التحادث، الافتراضات، وأعمال الكلام، والكيانات التحاورية؛ بعض الدراسات الكلاسيكية حول هذه المواضيع هي، على سبيل المثال دراسات فيلمور (Fillmore 1975)، غرايس (Grice 1975)، كارتونين (Karttunen 1974)، سيرل (Searle 1969)، وساكس وآخرون (Sacks et al. 1974)، على التوالي).

هناك رؤية بديلة، تعود في الأصل إلى موريس وتحظى بالقبول شيئاً فشيئاً، وهي التعاطي مع البراغماتية كوجهة نظر قابلة للتحديد ومعينة حول اللغة، وعلى وجه الخصوص كمنظور وظيفي يدرس اللغة من وجهة نظر ظواهر وعملية استخدامها (انظر (Verschueren 1999)). وبما أن استخدام اللغة ينطوي على البشر في كل تعقيداتهم، فإن وجهة النظر المطروحة هي بالضرورة متعددة المجالات، وتلامس جوانب الإدراك، والمجتمع، والثقافة في نهج متماسك ومتكامل، دون تفضيلٍ لأي من وجهات النظر الخاصة هذه. للسبب نفسه، فإن وجهة النظر المطروحة يجب أن تولي اهتماماً للعمليات المرنة لاتخاذ خيارات لغوية، سواءً في الإنتاج اللغوي (الكلام أو الكتابة) أو في التفسير، من مجموعة من الخيارات المتغيرة (ومن حيث

المبدأ الخيارات التي لا حصر لها)، بطريقة قابلة للتفاوض وحيوية غير ميكانيكية، مُبديةً بالتالي درجةً عاليةً من التكيف. الغرض من الصفحات التالية هو ترجمة هذا الموقف النظري إلى عدد من الملاحظات الأكثر عمليةً.

عالمٌ (من التواصل)

إن العالم الاجتماعي هو بحق عالم التواصل، المحادثة، أو الخطابة. والحقائق الواضحة الجلية هي المحادثات والاجتماعات، والإعلانات، والكتب والمجلات، والإذاعة والتلفزيون. ولكن هذا الادعاء العام صحيحٌ أيضاً على مستوىً أكثر عمقاً. فقط ألق نظرة على صحيفة عادية. من النظرة الأولى، من المفترض أن تخبرك حول حقيقة ما يحدث في العالم. ولكن، عند إمعان النظر في الصحيفة، يبدو أن ما «يحدث فعلياً» ويستحق الإبلاغ عنه خطابي إلى حد كبير في طبيعته. فإذا أخذنا إصداراً عشوائياً لصحيفة **انترناشونال هيرالد تريبيون** (*International Herald Tribune*) (المنبر الرائد العالمي) لعدد شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1999، نصادف المقالات التالية المختلفة للغاية (والمحددة هنا بعناوينها):

(1) مع رهان الانترنت، تنكفئ الموسوعة البريطانية (بريتانيكا) الموقرة.
(2) المشرعون في إندونيسيا يحسمون توقعات النجاح للرئيس يوسف حبيبي.
(3) رفع الأسهم الأميركية على التضخم المذلل.

المقالة **(1)** تتكلم بشكل مباشر عن أنواع وسائل الإعلام، وبالتالي عن التواصل بالتأكيد. هي تقدم تقريراً حول الصراع من أجل البقاء للموسوعة البريطانية بريتانيكا البالغة 231 عاماً من العمر، والتي تُنشَر تقليدياً في شكل كتاب، في عصر تهيمن عليه وسائل الإعلام الإلكترونية والإنترنت بصورة متزايدة، والقرار الأخير في هذا النضال هو توفير إمكانية تصفح الموسوعة مجاناً على شبكة الإنترنت، وهو قرار يوصَف على أنه رهان أمام هذه الموسوعة. المقالة **(2)** تروي عن السياسة، وهي مجال لنشاط إنساني يغلب عليه أيضاً الطابع التواصلي. هي تروي عن فرص النجاح للرئيس الإندونيسي يوسف حبيبي. ويستند هذا التقرير كلياً على البيانات التواصلية:

(4) رفضت الجمعية الوطنية المستقلة حديثاً الخطاب الرسمي الحالي لحكومة الدولة.

ومن الواضح أن «الرفض» هو عمل لفظي، حتى ولو كان مستنداً إلى تصويت لا يتطلب سوى الإجابة بـ «نعم» أو «لا» أو الكبس على زر واحدة تحل محل كلمة «نعم» أو «لا». بالإضافة إلى ذلك، فإن موضوع الرفض هو «خطاب حكومة الدولة»، وهو تقييم شامل، بالكلمات، لرَفاه وتطلعات بلد ما. ولكن ماذا عن عالم الاقتصاد المُفسَر في المقالة (3)، العالم الذي من المفترض أن يكون مضبوطاً بالحقائق والأرقام؟ إن سوق الأوراق المالية (البورصة)، وقياس الرفاه الاقتصادي، هي بكاملها مهمة بيع وشراء،

وهما نشاطان تواصليان يتأثران في حد ذاتها مباشرةً بالأحداث التواصلية الأخرى:

(5) صرحت وزارة التجارة أن أسعار المستهلكين ارتفعت بنسبة معتدلة فقط في شهر أيلول/ سبتمبر، مما يوحي بأن التضخم كان لا يزال تحت السيطرة.

في عوالم أخرى، يمكن أن ترتفع الأسهم بسبب «التصريح» الذي «يشير» إلى أن التضخم هو تحت السيطرة. لا شك في أن تقرير الصحيفة بشأن هذا التصريح سوف يحدث تأثيرات أخرى في ما يسمى العالم «الحقيقي» للمال والأعمال. إذاً أليس هناك أي «أخبار» عن الحقائق أو الأحداث غير التواصلية؟ للتأكد من ذلك، يمكن أن نجد مذكرة عرضية عن إعصار أو زلزال. ولكن المذكرة تنتشر في تقرير حقيقي فقط عندما تتوجه إلى البشر، أي عندما تكون اجتماعية، وهذا يستتبع أن يكون لها مضامين تشاركية تواصلية.

وتتمثل مهمة البراغماتية، كعلم متخصص في استخدام اللغة، في إخضاع هذا العالم التحاوري التخاطبي إلى فحص دقيق ومنهجي. فالبراغماتية، بهذا المعنى، تختلف عن الدراسات التواصلية فقط في أن تركيزها يتمحور حول اللغة. ولكن الطبيعة الذاتية لهذه المبادرة تفرض عدم إعطاء الحرية لعلماء البراغماتية في تجريد وتلخيص كل مواضيع استخدام اللغة من المحددات غير اللغوية.

الأفعال، السياقات، والنتائج

إن الملاحظة البراغماتية الأساسية حول استخدام اللغة (هي كونها) دائماً شكلًا من أشكال الفعل. هذه الرؤية لهذا العلم أدت إلى نظرية فعل الكلام

((Austin 1962)؛ (Searle 1969)). ولكن مفهوم الفعل يتجاوز الأفعال التي هي بحجم الجملة والتي يشار إليها عادةً بأفعال الكلام (التأكيدات، الأوامر، والأسئلة، والوعود). في الأمثلة الواردة أعلاه، فقط المثل رقم (4) ينطوي على شكل من السلوك شبيه بفعل الكلام، وهو «الرفض». و«التقرير» في المثل رقم (5) يتضمن بشكل مؤكد تقريباً عدة تصريحات تأكيدية مُدمَجة مع التوقعات. و«الرهان» في المثل رقم (1) هو استراتيجية معقدة تشتمل على مجموعة متنوعة من أنواع الفعل.

إن للأفعال الواردة هنا نتائج منطقية وفعلية في الواقع. إذ يمكن ربح الرهان أو خسارته مثلاً. ويمكن أن يدمر رفض خطاب الحكومة مستقبل الرئيس السياسي، وربما يكون لذلك عواقبه على البلد وسكانه. وقد ينجم عن الإبلاغ عن التضخم أنماط خاصة في البيع والشراء. يسمي أوستن (Austin 1962) هذا الجانب «التأثيرات الفعلية الكلامية النفسية» لفعل الكلام. وبسبب عدم إمكانية التنبؤ بهكذا تأثيرات، فقد تُركت خارج إطار المعالجة النظرية لأفعال الكلام في وقت لاحق على افتراض أنها لم تكن ضرورية لفهم تركيبة اللغة. مع ذلك، طالما كانت الحالات الفعلية لاستخدام اللغة هي في صلب موضوع البحث، لا ينبغي لنا أن نتركها. حتى لو أن التأثير الخاص للكلام نادراً ما يكون واضحاً في لحظة النطق به، فإن تصويب السلوك اللفظي نحو الهدف يحدث بطريقة يتحدد فيها السلوك بذاته.

إلى حد أبعد من ذلك، يعتبر الفعل اللغوي مُدمَجاً دائماً في السياق. أيما جزء من العالم المادي، والعالم الاجتماعي، أو العالم الفكري يكون داخلاً ضمن نطاق رؤية الناطق بالكلام (المتكلم) أو المفسر (المستمع) أثناء قول أو تفسير جزء من الحديث، يمكن أن يكون بمثابة سياق وثيق الصلة بفهم ما يحدث في موضع ما. وكذلك هو الأمر بالنسبة لأي جانب من جوانب السياق اللغوي، بما في ذلك خصائص قناة التواصل نفسها. هذا المثال (1) يحتكم إلى المعرفة بـ (أ) سلسلة من الكتب تسمى **الموسوعة البريطانية** (*Britannica*) وشبكة الإنترنت (جوانب من السياق «المادي»، بالمعنى الواسع جداً للكلمة)، (ب) حَمَلَة المعرفة المؤسساتيون، مصادر المعلومات، قيم الثقة والسمعة (السياق «الاجتماعي»)؛ و(ج) أهداف المديرين فيما يتعلق بالديمومة الاقتصادية والحفاظ على سمعة المنتج («السياق العقلي»). المثال (2) يستحضر عالماً يتسم (أ) بوجود مجموعة

من الجزر تسمى إندونيسيا، حيث يعيش العديد من الناس (السياق المادي)، (ب) ومجموعة من الممارسات المسماة «السياسة» وتقليد سياسي خاص يسمى «الديمقراطية») السياق الاجتماعي)، و(ج) حب السلطة والتفكير الاستراتيجي المنطوي على الحفاظ على السلطة أو الحصول عليها (السياق العقلي). المثال (3) ذو معنى فقط بالإشارة إلى (أ) الأشياء المشمولة بالتجارة (السياق المادي)؛ (ب) الممارسة الاجتماعية للتجارة، والبيع والشراء، إذ يشكل «المال» بالنسبة للمؤسسة قيمةً ما (السياق الاجتماعي)، و(ج) رغبة وزارة التجارة في الحفاظ على الاستقرار ومجرد رغبة الجميع في كسب المال (السياق العقلي). هذه الأمثلة الثلاثة مُدمَجة جميعها في السياق «اللغوي» الذي يكمن في قناة لغوية محددة، أي، لغة الصحيفة المكتوبة، وهو نوع معين من استخدامات اللغة، نعني به تقرير الصحف، والروابط الما بين النصية للمقاطع التي تُنقَل المعلومات من خلالها واللازمة لكتابة التقرير. (للاطلاع على مفاهيم نوع النصوص وتشكيل معاني النصوص من خلال (تداخل) النصوص الأخرى (Intertextuality)، انظر باختين (Bakhtin 1986) وبريغز وباومان (Briggs and Bauman 1992)). إن السياق هو في غاية الأهمية للعملية لدرجة أن التغيرات في مكونات السياق تؤدي حتماً إلى إجراءات مختلفة ذات نتائج مختلفة. إذا كنت أنت، بدلًا من الجمعية الوطنية الإندونيسية، ترفض الخطاب الحكومي ليوسف حبيبي، فإن ذلك بالكاد سيسبب له الإرباك. أو إذا كنت أنا، بدلاً من وزارة التجارة، سألمح إلى أن التضخم لا يزال تحت السيطرة، فإن عملية البيع والشراء في وول ستريت (Wall Street) سوف تتجاهل تلميحي إلى ذلك بدون أدنى شك. هذا لا يعني أن السياق ثابت وموضوعياً «غير عادي». بالأحرى، بما أن جميع مكونات الحدث الكلامي من المحتمل أن تكون جوانب في السياق ذات صلة وبما أن نطاقها واسع جداً بحيث لا يمكن ربما تفعيلها كلها، فإن السياق يتم توليده بفعالية خلال أي استخدام للغة نتيجةً لتوجهات المشاركين نحو انتقاء للمكونات (أوير ودي لوزيو (Auer and Di Luzio 1992)؛ دورانتي وغودوين (Duranti and Goodwin 1992))، وهو انتقاء غالباً ما يترك آثاراً واضحة يمكن أن يُطلق عليها اسم تلميحات الصياغة (وضع كلمة أو عبارة في سياق ما) (Gumperz 1982). التعبير الإشاري (عن طريق ضمائر الفعل الشخصية، وظروف الزمان والمكان، وما شابه ذلك) هو واحد من وسائل الترسيخ التي تشير إلى عملية الدمج

للغة المستخدمة في السياق، وهذا يبرر بروزها كموضوع هام في الأدبالبراغماتي.

توليد المعنى- المؤكّد والضمني

من منظور براغماتي، إن كل استخدام للغة يؤدي إلى معنى. على عكس علم الدلالة الذي يدرس العلاقات المتبادلة بين المعاني والأشكال كجزء من بنية اللغة، فإن البراغماتية تركز على عمليات توليد المعنى. وإن الهدف الأساسي من علم البراغماتية هو الحصول على رؤية حول الوظيفة المعنوية للغة في حياة البشر. فالمعنى، الذي يُنظر إليه من هذه الزاوية، هو ظاهرة غير ملموسة إطلاقاً. في الاستخدام الفعلي، من الصعب إيجاد علاقات تبادلية دقيقة بين الشكل- المعنى أو الشكل- الوظيفة. وهناك سببان رئيسيان لذلك. أولًا، من أجل تفسير جزء من الكلام التواصلي اللفظي، يجب على المرء أن يأخذ في عين الاعتبار، كما ينبغي أن يكون واضحاً في ما تم ذكره سابقاً، نوع العمل الذي ينتمي إليه ضمن سياقه المناسب. هذا هو، على سبيل المثال، السبب الذي من أجله لا يمكن اعتبار الإنترنت مصدراً موثوقاً للمعلومات- وإن كان مفيداً. إذا استبعدنا فرضية أن الناس كاذبون أو أنهم عازمون على التضليل - على الرغم من أنهم في الواقع قد يكونون كذلك أيضاً - فإن الطبيعة غير المنضبطة (للإنترنت) كوسيط تؤدي بنا إلى شبكة من الأجزاء الإخبارية التواصلية المبعثرة التي تنشأ في بيئات وخلفيات شديدة الاختلاف، وتتناسب مع أهداف وطموحات شديدة الاختلاف، وتتطلب أشكالاً من التفسير جِدُ مختلفةفيما يتعلق بالعوامل المتغيرة التي لا يمكن رؤيتها أبداً بوضوح، بحيث من الصعوبة بمكان إيجاد التفسير المناسب لها في كثير من الأحيان. ليس كل من نشر رسائل على شبكة الإنترنت يريد تزويدنا بالمعلومات؛ إذ قد تكون هذه الرسائل مجرد شكل من أشكال التعبير الذاتي أو التوضيح الذاتي، وقد تكون أُفكوهات ليس من السهل تمييزها على أنها كذلك، أو خططاً مُبطنة من أنواع مختلفة، أو اعتبارات تجارية، أو ما شابه ذلك. إذ بدون أدلة وافية عن هكذا تشعبات في السياق، يصبح من الصعب جداً تفسيرها - وهذا هو السبب الذي من أجله نعتبر أنه إذا كان البحث عن المعلومات هو الهدف الرئيسي، فإن دخول الإنترنت من خلال وسيلة مُراقَبة ومنقحة كالموسوعة البريطانية هو حجة طلب السوق المُضَمنة وراء الرهان في المثال (1).

والسبب الثاني لندرة العلاقات الثابتة بين الشكل- الوظيفة ولغموض أو صعوبة إدراك المعنى يكمن في استحالة التعبير صراحةً عما يعنيه المرء. هناك أنواع عديدة من المعاني التي تعتبر غير «مرئية» بشكل مباشر أو «مُعَبراً» عنها بشكل حرفي وهي: الافتراضات أو التسليمات الجدلية، والمُتضمنات أو تبعات الكلام، والأعمال الكلامية غير المباشرة (Searle 1975). بالإضافة إلى ما تم التأكيد عليه حرفياً، فإن المعنى الضمني مهم جداً في استخدام اللغة بحيث تم اعتباره موضوعاً براغماتياً بامتياز (وبالأخص من قِبل أوستمان (Östman 1986)). من أجل توضيح هذا، دعونا ننتقل مرةً أخرى إلى الموسوعة البريطانية، والتي تمثل شكلاً من أشكال التواصل المعرفي الذي يهدف تحديداً إلى إعطاء معلومات واضحة وصريحة قدر الإمكان.

لنفترض أننا مهتمون بالتعرف إلى جمهورية الكونغو الديمقراطية. في النسخة المطبوعة من الموسوعة، يمكن أن نواجه مشاكل على الفور، وهذا يتوقف على سنة النشر، إذ لم يكن هناك بلد بهذا الاسم حتى شهر أيار/ مايو من العام 1997. ولذلك فإن الأمر يستلزم معلومات أساسية وخلفيةً ما حتى لو كان الهدف هو إجراء بحث بسيط. لهذا الاعتبار تعتبر النسخة الإلكترونية أسهل في البحث، على الرغم من أنه يجب اكتساب عدد من المهارات التواصلية الخاصة بوسيلة البحث قبل أن نتمكن من استخدام الموسوعة الالكترونية. على الأقل هناك خياران مفتوحان بالنسبة لنا. يمكننا أن نكتب اسم البلد في مربع البحث؛ وبدلاً من ذلك، إذا كنا نعلم أن جمهورية الكونغو الديمقراطية هي دولة تقع في أفريقيا (لاحظ مرةً أخرى الحاجة إلى الخلفية المعرفية)، يمكننا أن ننتقل إلى خريطة العالم، وننقر على كلمة أفريقيا، ثم ننقر على جمهورية الكونغو الديمقراطية، لنصل إلى مقالة موجزة تؤدي بنا إلى المزيد من النصوص الأكثر تفصيلاً بمساعدة الارتباطات التشعبية (Hyper-links). في المقالة الموجزة (من النسخة الصادرة عام 1999) نقرأ:

(6) تحتل زائير قلب حوض نهر الكونغو، الذي يضم نحو ثلاثة أخماس من مساحة البلاد الكلية.

العقبة الأولى الممكنة أمام تفسير هذه الجملة التي تبدو واضحة تطرح نفسها في اسم «زائير» (المذكور أيضاً في أول المقالة). عند تفسير الجملة (6) يجب أن نفترض أن هناك مكان يسمى زائير. وهذا ما يسمى عملياً في الأدب البراغماتي

بالافتراض (المسبق) أو التسليم الوجودي الجدلي. ولكن فكرة أن هذا هو بأي حال من الأحوال تافه وعديم الأهمية تبرز من حقيقة أنه ليس هناك اليوم أي بلد في أي مكان في العالم معروف رسمياً باسم «زائير». تحل المقالة المكتوبة في الموسوعة بعضاً من الارتباك الناتج عن ذلك بالقول أنه منذ أيار/ مايو من العام 1997 أصبح الاسم الرسمي هو «جمهورية الكونغو الديمقراطية». ولكن على هذا الأساس كان لا بد من (من إعادة وضع الاسماء وتعديل) تسمية المقالة بكاملها. ولا شك أن السبب في عدم القيام بذلك يعود إلى الظروف المادية (المضاعفات الناجمة عن إجراء تغييرات منهجية في مجموعة كبيرة من النصوص المترابطة - وهذا يستغرق وقتاً)، ولكن ربما أيضاً إلى تقييم للوضع السياسي الذي كان يُحكَم عليه بأنه غير مستقر إطلاقاً لدرجة أن أي تغيير سريع قد يتطلب تحولاً بعد ذلك بوقت قصير. على كل حال، علينا أن نسمح ببساطة (بالافتراض الوجودي المسبق الذي) «يساء (استخدامه)»، وإلا فإنه سيكون من المستحيل بناء الرابط الصحيح بين المقالة والخريطة.

ثانياً، إن معرفتنا بالجغرافيا تتطلب أن نعرف «حوض نهر الكونغو» (وهو مصطلح يتم (ربطه بالافتراضية) الوجودية). على وجه الخصوص، عندما ننظر إلى الخريطة، قد يبدو من المُستغرب أن لا يحتل هذا الحوض سوى ثلاثة أخماس مساحة البلاد الكلية التي تغطيها مجارٍ مائية تصب في معظمها في نهر الكونغو في نهاية المطاف.

إلى حد أبعد من ذلك، هناك ثمة حاجة إلى فهم النمط الضمني للمعنى الذي يتجلى في الاستخدام المجازي للغة. فمن الواضح أن اسم «قلب» في الجملة (6) لا يشير إلى العضلة المركزية في جسم الحيوان، ولكن ببساطة إلى «مركز» أكثر تجريداً. هذا المركز هو في الواقع مجرد وإلا لكان هناك تناقض بين زائير التي تحتل قلب حوض نهر الكونغو وحوض نهر الكونغو الذي يضم فقط جزءاً من مساحة زائير الكلية. إذ كيف يمكن لشيء ما (X) أن يكون قلباً لشيء آخر (Y) دون أن ينتمي (Y) بالكامل إلى (X)؟

هناك تعقيد تفسيري نهائي يكمن في الجمع بين كلمة «قلب» وكلمة «يحتل». فهناك معنىً مجازي يُعتبر فيه «احتلال قلب (X) رصفاً ثابتاً للكلمات التي تأتي عادةً

مع بعضها البعض».ولكن في تلك الحالة تنتمي كلمة «قلب» إلى مجالٍ مجازيٍ مختلف (وليس إلى مجال الجوهر الداخلي–الحد الخارجي للشيء وإنما إلى مجال المشاعر). ونتيجةً لذلك، يجب أن نعطي كلمة «يحتل» معناها الحرفي في هذه الحالة، على الرغم من أنها وردت مع كلمة «قلب» المستخدمة مجازياً والتي تشكل معها في كثير من الأحيان رصفاً مجازياً للكلمات (Collocation).

يمكن للمرء أن يفترض أن لا أحد سيفسر جملةً مثل الجملة رقم (6) بشكل خاطئ بأي من المعاني التي اقترحتها. ولكن ذلك الحكم يستند إلى افتراض يسميه الفيلسوف البريطاني- الأميركي بول غرايس (Paul Grice) التعاون أو المساندة (Cooperativeness) (Grice 1975). بالنسبة لمفسر عادي، على سبيل المثال، سيكون الافتراض الحاسم عادةً هو أن الكاتب يحاول أن يكون وثيق الصلة بالموضوع، وفي هذه الحالة يجب أن يكون هناك رابط أساسي بين «زائير» و«جمهورية الكونغو الديمقراطية». (استندت نظرية الملاءمة (*Relevance Theory*)، وهي نظرية كاملة في البراغماتية، على مفهوم الملاءمة أو وثاقة الصلة بالموضوع، انظر (Sperber and Wilson 1986)).

استنبط غرايس مفهوم التعاون وصاغه فيما يتعلق بالممارسات التخاطبية. وفقاً لهذه النظرية، (حينما يتم) تعطيل مبدأ من مبادئ (التواصل) (مثل «كن وثيق الصلة بالمعنى»)، فإن افتراض التعاون أو المساندة يؤدي إلى تفسيرات تنطوي على أشكال من المعنى الضمني تُسمى عبارات متضمنات أو تبعات الكلام التخاطبية. فقط انظر إلى العبارة رقم (7):

(7) أ: «أنا بحاجة إلى معلومات بشأن جمهورية الكونغو الديمقراطية».

ب: «هل حاولت مراجعة الموسوعة البريطانية؟»

إذا تابعنا هذه النظرية، فإن كلام المتحدث أ، من أجل أن يكون وظيفياً بشكل كامل في المحادثة، يقتضي اعتقاد المتحدث أ بأن المتحدث ب يمكن أن يساعده أو يساعدها في الحصول على المعلومات اللازمة. في مقاربةٍ نظرية مختلفة، وهي نظرية فعل الكلام، سوف يسمى هذا الفعل «الكلامي غير المباشر» (Indirect Speech Act): ما يبدو على أنه جملة عادية هو في الواقع طلب للمساعدة. أضف

إلى ذلك أن جملة المتحدث ب، كاستجابة لطلب المساعدة، سيكون عديم الصلة بموضوع الكلام إذا كان مجرد سؤال – على الرغم من أنه كذلك أيضاً. إذ يجب أن يقتضي ضمناً أن ب يعتقد أن الموسوعة البريطانية تحتوي على بعض المعلومات اللائقة فيما يخص جمهورية الكونغو الديمقراطية.

هناك أيضاً احتمالات أخرى لصياغة التفسير. ويمكن أن تستند هذه الاحتمالات على اصطلاحات حول نوع التخاطب الخاص – وهو جانب من جوانب ما يسمى لدينا بالسياق اللغوي. في نص من النوع الموسوعي حول بلد معين، من المتوقع أن تُعطى المعلومات الجغرافية الأكثر عمومية أولاً. ذلك الاحتمال يستبعد على الفور أي تفسير آخر غير المعنى الحرفي لكلمة «يحتل» والمعنى المجازي المكاني المحدد لكلمة «القلب» في عبارة «يحتل قلب...».

تحتوي كل لغة على العديد من الوسائل لترميز المعنى الضمني. بالعودة إلى نفس المقالة، إذا نظرنا إلى الجملة (8):

(8) ما يزال شعب زائير يصنعون الأدوات التقليدية مثل الأقنعة، والتماثيل الصغيرة، والنُصب المرصعة بالحجر والأوتاد.

إن كلمةً بسيطة مثل «لا يزال» تحمل افتراضات أو مُسَلمات واضحة: افتراض أن شعب زائير اعتادوا على صنع هذه الأدوات في الماضي، وأنه – ربما – من المستغرب قليلاً أنهم لا يزالون يفعلون ذلك في هذه الأيام.

هناك تَبِعات أخرى قد تكون أقل بساطةً وقد تتضمن أطراً من التفسير السياسي والاجتماعي–الثقافي والتي، عند إدراجها عن طريق بناء لغوي يحمل الافتراض، من الصعب ملاحظتها وبالتالي يُنظَر إليها بشكل أسهل على أنها بديهية. تأمل الجملة

(9) كانت الكونغو، تحت قيادة قليل الخبرة باتريس لومومبا (Patrice Lumumba)، غير مستعدة للحكم الذاتي.

«تحت قيادة قليل الخبرة باتريس لومومبا»، التي يتم إدراجها بطريقة يُفهَم من خلالها بوضوح الإقرار الضمني الكامن وراءها، تزودنا مباشرةً بتفسير ضمني لسبب واحد على الأقل من الأسباب الرئيسية التي تفسر ما آلت إليه الأمور من سوء في الكونغو بعد استقلالها في العام 1960.

هذه ليست سوى بعض الأمثلة عن أنواع المعنى غير المؤكدة والتي هي مع ذلك واردة بوضوح. إن الجوانب الضمنية للمعنى هي المسؤولة عن حقيقة أنه، في العالم الاجتماعي الذي يطغى عليه الطابع التواصلي، تقريباً لا شيء يبدو لنا بالضبط كما هو عليه في الحقيقة.

الدينامية (والتفاوضية أو التداولية)

إذا لم يتم تثبيت العلاقة بين الأشكال والمعاني بسبب الوضع الإجرائي السياقي لأمثلة استخدام اللغة وبسبب الدرجة العالية من الضمنية، فإن توليد المعنى يجب أن يكون عملية ديناميكيةً جداً وقابلة للتفاوض. وبعبارة أخرى، إن التواصل اللفظي لا يشتمل فقط على وضع المعنى الموجود مسبقاً في شكل ما، مع ما يلي ذلك من عملية لفك الرموز، إذ قد تبرز معانٍ لم تكن موجودة من قبل.

على سبيل المثال، دعونا نلقي نظرة على الطريقة التي تتفاعل فيها النصوص (أو أجزاء أخرى من المحادثة). هكذا تناص (Intertextuality) أو تشكيل لمعاني النصوص من خلال النصوص الأخرى شائع جداً في أي بيئة مدنية حديثة، التي هي دائماً عبارة عن شبكة كثيفة من الإشارات السيميائية. فقط ألق نظرة على مترو أنفاق لندن حيث العبارة التحذيرية «انتبه للفجوة!» (Mind the Gap!) موجودة في كل مكان، ومكتوبة على طوابق رصيف محطة القطار ومسموعة في البلاغات في العديد من المحطات أيضاً. يعتبر هذا الأمر فرصةً ذهبية للإعلان (عن سلسلة) من محلات الملابس التي تحمل اسم الفجوة (The Gap)، حيث تعرض لوحات إعلانية عملاقة كُتب عليها «كل هدية فقط فجوة». وهناك نوع آخر من الخطاب السائد في نفس البيئة وهو سلسلة «قصائد على المترو»، التي هي قصائد معروضة داخل القطارات بين الإعلانات التجارية. في محاولةٍ لاغتنام هذه الفرصة الممزوجة بالتحذير من الفجوة، وضعت شركة تجارية لمعجون أسنان من نوع محدد إعلانات على شكل قصيدة تركز على فجوةٍ لشخص محبوب بين صف صحي للأسنان من نوع آخر. من حيث المعنى، إحدى النتائج هي أن تحذير مترو الأنفاق نفسه تحول إلى إعلان غير مباشر لسلسلة من متاجر الملابس وكذلك لنوع من أنواع معجون الأسنان، وأن أي قصيدة على المترو قد تكون بمثابة تذكير بمعجون الأسنان.

في خلفيات مؤسسية (انظر مثلاً Drew and Heritage 1992; Sarangi and Slembrouck 1996) إن عمليات التفاوض على المعنى – إذا لم نقل بناء المعنى – غالباً ما تكون ظاهرة، كما تصوبها قيود التواصل التي تفرضها هذه الخلفيات. أحد أفضل الأمثلة في الأدب البراغماتي يمكن أن يكونتحليل غودوين (Good-win (1994 لمحاكمات رودني كينغ (Rodney King) في لوس إنجليس (Los Angeles). عندما تم توقيف كينغ (King)، وهو أميركي من أصل إفريقي، بسبب مخالفة مرورية قام بها في الثالث من آذار/ مارس من العام 1991، ضُرِبَ بعنف من قبل مجموعة من أربعةٍ من ضباط الشرطة. عند إصدار شريط فيديو عن هذا الحدث قام بتصويره أحد هواة مصوري الفيديو، أدى الغضب الشعبي الذي أحدثه إلى تقديم عناصر الشرطة للمحاكمة بسبب الاستخدام المفرط للقوة. إن إجراءات قاعة المحكمة تُفهم بشكل صحيح من حيث إطار المعنى الذي يفرضه نوع النشاط المؤسسي إلى حد كبير. ولكن هذا الإطار هو نفسه جزء لا يتجزأ من سياق للتواصل أشمل بكثير: لأمر واحد، وهو أنه ربما لم يكن للمحاكمة أن تحدث لولا الغضب الشعبي العارم الذي نجم عن عروض شريط فيديو والتعليقات اللاحقة عليه، ونتيجةً لذلك، ومنذ البداية كانت المحاكمة جزءاً من الجدال الشعبي العام والسياسي، مع مشاركة حقيقية للعديد من الناس؛ بالإضافة إلى ذلك، فإن الحدث تمت تغطيته إعلامياً بشكل مبالغ به وفي كل مكان. سيكون من الخطأ تجاهل تأثير هذه الطبقة الاجتماعية المحيطة والمعنية بالتواصل والصراع الاجتماعي. ومن الواضح أن كل ما يقال أثناء المحاكمة سوف يتم تكييفه بدرجات مختلفة، من جهة المحتوى ومن جهة الأسلوب، ليناسب مجموعة من الخطابات، وعلى الأخص الصحافيين، وجمهور الإعلام، وجماعات الضغط السياسي. إلى الحد الذي يمكن أن يُنظر إلى هذا الحدث على أنه مستقل، هو لا يزال يمثل نوعاً من النشاط الشديد التعقيد.

بنيوياً، تتكون المحاكمة من كوكبة من أنواع الكلام وعناقيد الكلام المختلفة: وهي مجموعة متنوعة من الكلام الفردي المونولوجي (التعليمات التي يصدرها القاضي، وخلاصة لجنة التحكيم) وعناقيد الكلام الحوارية (استجوابات الشاهد)، وكلها مترابطة تناصياً أي يتشكل معناها من معاني النصوص الأخرى (كما في سلسلة الاستجوابات، وخلاصة هيئة المحلفين، وتلخيص ما سبق، وما إلى ذلك).

وفقاً للسياق، يتم تحديد أدوار المشاركين جيداً (المتهم، القاضي، المدعي العام، محامو الدفاع، أعضاء هيئة المحلفين، الخبراء، والشهود). تلك الأدوار المؤسسية يتم تحديدها تبعاً للتخصيص المسبق للأدوار أو أنماط الأدوار (أو أنماط الأنواع اللفظية) التي سيتم استخدامها من قبل كل واحد منهم: القضاة يصدرون التعليمات، والمحامون يطرحون الأسئلة (من النوع المسموح به مؤسسياً)، ويعترضون على أسئلة بعضهم البعض، ويجيب الشهود على أسئلتهم، ويستمع المحلفون عموماً (كمشاركين جانبيين خلال معظم المحاضر، وكمتكلمين وموجهين مباشرين خلال إصدار خلاصة لجنة التحكيم، وكناطقين بالحكم في نهاية جلسة الحكم). يتم تحديد ديناميات التفاعل الكلي من خلال تلك الهياكل والأدوار التي يعيها تماماً مختلف المشاركين، ويتم دمج كل ذلك مع مهمة واضحة يجب تأديتها: وهي اتخاذ قرار بشأن تجريم المتهم أو تبرئته.

إن العملية الناتجة تتخذ شكل المنافسة بين الادعاء والدفاع، حيث أن مهمة الادعاء هي إثبات الجرم، في حين أنه يكفي فريق الدفاع، إذا كان ذلك ممكناً، أن يلقي بظلال من الشك المعقول على جرم المتهم. ونظراً للطبيعة التنافسية لهذا الحدث، فإن المشاركين يعلمون أيضاً أن الاهتمام الرئيسي للادعاء وللدفاع ليس بالضرورة البحث عن «الحقيقة»، ولكن بالأحرى السعي وراء استراتيجيات لتحقيق الفوز. في هذه العملية، إن الأداة الأقوى لبناء المعاني والأفكار المتوخاة هي اللغة. سوف أعطي مثالاً واحداً فقط عن الطريقة التي تم بها ذلك في المحاكمة الأولى لرودني كينغ، متبعاً في هذا تحليل غودوين. على ما يبدو، انطلق المدعي العام من فرضية أن لديه قضية قوية، مع أدلة واقعية لا لبس فيها على صورة شريط فيديو. ومع ذلك، كان يكفي للدفاع أن يفرض فكرة أن غودوين يدعو إلى «رؤية مهنية» لما يمكن ملاحظته في الشريط لخلق إطار من التفسير من شأنه أن يؤدي على الأقل إلى «شك معقول». تحقيقاً لهذه الغاية أتى بشهود من ذوي الخبرة، وكانت مهمتهم الأولى أن يفككوا ما كان يبدو على أنه هزيمة ساحقة، وأن يقوموا بتمييز وتصنيف الأجزاء، كما في المقطع رقم (10)(حيث تشير الأرقام الموجودة بين قوسين إلى وقفات الصمت بالثانية).

(10) الخبير: كان هناك، عشرة استخدامات مختلفة (1.0) للقوة.

في كلٍّ من تلك، الاستخدامات للقوة كان هناك تصعيد وتخفيف، (0.8) وفترة تقييم، (1.5) ومن ثم تصعيد وتخفيف مجدداً. (0.7) وفترة تقييم أخرى. (Goodwin 1994, p. 617)

تم إدخال التصنيف بطريقة واعية جداً لتوفير معنىً جديد لما هو مرئي. في السياق الذي تسمح فيه الممارسة المهنية باستخدام القوة عند الضرورة، يقوم مصطلح التقييم (Assessment) خاصةً بتأطير الحدث في إطار يجعله يتضمن سلوكاً عقلانياً وتصرفاً مسؤولاً بكل معنى الكلمة من جانب رجال الشرطة. وفي السياق نفسه وفي جزء آخر، يتم توصيف الركلات على أنها أدوات لعمل الشرطة، وتعتبر على نفس المستوى كعصا يد جانبية، وهي استراتيجية للتصنيف تلغي الصلة الترابطية بين الركلات والغضب أو الحقد. وهذه هي مجرد واحدة من الأدوات التي كانت تستخدم لخلق انطباع بأن ضباط الشرطة كانوا يقومون فقط بعملهم. وهكذا فإنه يمكن استخدم الأدوات اللفظية لتقديم الأدلة ذاتها ولكن بمعانٍ ومضامين مختلفة تماماً.

ولا تقتصر عمليات كهذه على السياقات المؤسسية. في أي محادثة عادية (انظر على سبيل المثال Atkinson and Heritage 1984; Hutchby and Woof-fitt 1998)، يتم التفاوض على المعاني بشكل مستمر وتُوجِّه ذلك التفاوض بعض القيود التفاعلية العامة التي تشمل الوجدان، والمشاركة، والكِياسة (Polite-ness)، وما شابه (لاكوف (R. Lakoff 1973؛ براون وليفينسون (Brown and Levinson 1987). وهذا يعني أنه ليس هناك من معنىً ثابت للكلام بمجرد قوله وتفسيره. وإن الانتقال اللاحق لمتابعة الحوار قد يتطلب إعادة التفسير والتوضيح، وإعادة التفاوض. وكذلك لا تتوقف هذه العملية بالضرورة عندما تنتهي المحادثة. فقط فكر بمحاولةٍ لاتباع تعليمات السير العادية، وهو نشاط يتضمن سلسلة من الخطوات المتتالية التي تؤكد التفسيرات السابقة أو تعيد تفسير شكل سابق من التفاعل وجهاً لوجه.

المعرفة البراغماتية الشاملة

إن توليد عمليات المعنى الواقعة في سياق ما والتي تشكل جوهر استخدام اللغة تتحقق من خلال العقل البشري. من الواضح أن العمليات المعنية في ذلك هي الإدراك والتمثيل، والتخطيط والذاكرة. ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك. إذ بدون الوعي الانعكاسي أو المعرفة البراغماتية الشاملة لما يفعله أحد ما عند استخدام اللغة، لا يمكن لاستخدام اللغة إطلاقاً أن يكون عمليةً لتوليد المعنى الذي نعرفه. إن الوعي الانعكاسي هو وظيفة لقدرة الإنسان الفريدة على رؤية الآخرين ككائنات عقلية تماماً مثله هو (انظر توماسيلو (Tomasello 1999)). هذا هو ما يتيح لمستخدمي اللغة أن يبتدعوا أقوالاً لتوجيهها إلى جماهير محددة، وأن يستبقوا التفسيرات، وأن يضعوا الفرضيات حول المعنى الذي يقصده المتكلم، وأن يتابعوا المدى الذي يفهم فيه المفسر كلام أحدٍ ما. على حد تعبير سيلفرشتاين (Silver-stein):

من دون وظيفة براغماتية شاملة متشاركة في نفس الوقت مع أي وظيفة/ وظائف براغماتية أخرى يمكن تواجدها في التواصل الحواري، ليس هناك من إمكانية للترابط المنطقي التفاعلي، بما أنه ليس هناك من إطار لبنية التواصل – ونعني هنا بنية النص التفاعلي – حيث الأصول الدلالية أو المركزة يمكن ربطها علائقياً ببعضها البعض كمساهمات مجتمعة في حدث ما أو في أحداث يمكن تجزئتها وتحقيقها (1993, pp. 36-37).

كل اللغات تحتوي على دلالات على المعرفة البراغماتية الشاملة. وهي تشمل ظواهر مثل (أ) الاستخدام المرجعي الذاتي لعبارات مثل «هذه الورقة» في بداية ورقة أكاديمية ما، والتي لا تشير فقط إلى العمل الكلي الذي تشكل العبارة المختارة جزءاً مكوناً منه، ولكن الذي يُصنِف أيضاً ذلك العمل الكلي كنوع معين من استخدامات اللغة، مقدماً له بذلك إطاراً معيناً من التفسير؛ (ب) والروابط النصية الصريحة الحرفية التي تُستَهل بعبارات مثل «انظر ...»، «التالي ...» ؛ (ج) الصفات البراغماتية الشاملة لنشاط لفظي مُنَفَّذ خارج النشاط الذي يشكل الوصف جزءاً منه، كما هو الحال في جملة «سيلفرشتاين يُعَرِف البراغماتية الشاملة كـ...»، (د) اختيار نمط معين كما في «سيكون» مقابل «يمكن أن يكون «مقابل» ينبغي أن يكون» مقابل

«كان من الممكن أن يكون»، والذي يلفت الانتباه بشكل واضح إلى حالة الاختيار في تصور المتكلم للحالة الفكرية للأمور المشار إليها؛ (هـ) مجموعة واسعة من الدلالات البراغماتية الأخرى مثل علامات الاقتباس المحيطة بكلمة «البراغماتية» في بداية هذه المقالة، والتي تلفت الانتباه إلى دلالة الاختيار المعجمية نفسها، كنوع من التحذير ضد التفسير غير المدروس. في نهاية المطاف، إن التوسع في التفسير الكامل للمحادثة التي تشكل هذه الجملة جزءاً منها يجري حول خصائص استخدام اللغة، التي تُصاغ على المستوى الشامل للنظرية اللغوية والتحليل اللغوي، وبالتالي فهي دلالة واحدة غير وجيزة على المعرفة البراغماتية الشاملة الزاخرة بالتصنيفات، والاقتراحات، والادعاءات... إلخ.

يمكن إيجاد المعرفة البراغماتية الشاملة على مستوىً عالٍ جداً من الوعي والفكر، كما هو الحال عندما نكتب صفحات عن علم اللغة (الألسنية). من ناحية أخرى، قد تصبح المعالجة للغة تلقائية للغاية. وهذا قد يحدث على مستوى الخيارات النحوية لقواعد اللغة. على مستوى أعلى من البنية اللغوية، قد تصبح أنماط المعنى في المحادثة مألوفة جداً بحيث يتم اتخاذها كأنماط مُسَلَّم بها وليس هناك أي استفهام حولها. ذلك هو الموضع الذي يُثار فيه موضوع الأيديولوجية (الذي هو أحياناً على شكل أيديولوجية اللغة، انظر شيفلين وآخرون Schieffelin et al. 1988)، والذي هو ربما المجال الأكثر تعقيداً للمعنى على مستوى الحياة الاجتماعية. وإذا انتبهنا إلى التفاعل بين الأشكال الصريحة والضمنية للمعنى، فإن البراغماتية توفر لنا أدواتٍ ممتازة للبحث الأيديولوجي التجريبي المَبني على أساس المحادثة (مثلاً: Blommaert and Verschueren 1998).

خلاصة: أهمية (التغايربة) (التغير)

كما يقول هايمز (Hymes)، «في دراسة اللغة كنمط للفعل، يعتبر التباين دليلاً ومفتاحاً» (1974, p. 75). وإن الخيارات التي يقوم بها مستخدمو اللغة أثناء التكلم وتفسير الكلام تنبع من مجموعة من الإمكانيات المتباينة اللانهائية والمتغيرة باستمرار. حتى الآن، وفي ظل العديد من الظروف، توازي معرفة (التغارية) (التغير) (Variability) في صعوبتها معرفة الأنماط الأيديولوجية. يُكوِّن جميع مستخدمي اللغة عادات ربط الأشكال بالمعاني. بعض تلك العادات هي ذاتية (خاصة

بالشخص)، والبعض الآخر مألوف داخل المجتمعات ذات الأشكال والأحجام المختلفة، ولكنها ستكون دائما ذات فائدة من حيث أنها إرشادات توجيهية أولية لكل من الإنتاج اللغوي (الكلام) والتفسير اللغوي. ولكن بما أن هناك الكثير من التباين، فإنه نادراً ما تتطابق عادات المتحاورين المختلفة تطابقاً كلياً. ومن هنا كانت الحاجة إلى التفاوض حول المعنى، وهي حاجة متلازمة دائماً، ليس فقط في الحالات الأكثر وضوحاً مثل سياقات التواصل بين الثقافات (وهذا هو مجدداً مجال مفضل للبحث البراغماتي العملي، انظر مثلاً غامبرز (Gumperz 1982)).

قراءات إضافية:

Clark. H. H. (1996) *Using Language*, Oxford: Oxford University Press.

Davis, S. (ed.) (1991) *Pragmatics: A Reader*, Oxford: Oxford University Press.

Gumperz, J. J. (1982) *Discourse Strategies*, Cambridge: Cambridge University Press.

Verschueren, J. (1999) *Understanding Pragmatics*, London: Edward Arnold and New York: Oxford University Press.

Verschueren, J., Östman, J.-O., Blommaert, J. and Bulcaen, C. (eds.)

(1995 ff.), *Handbook of Pragmatics* (bound manual in 1995, followed by looseleaf annual instalments), Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

الفصل السابع

(تغير) اللغة

(جان آيتشيزون)

إن اللغة الإنجليزية تنزلق بعيداً عن مسارها الطبيعي، هكذا كان التقدير الناجم عن الشكاوى الواردة في الكتب والصحف. ثمة عُرف من القلق على اللغة يعود إلى قرون سابقة: «ما أفعل هنا...هو أنني أشتكي... أن لغتنا تتناقص إلى حد بعيد، وأن التحسينات اليومية عليها ليست بأي حال من الأحوال متوازنة مع تحريفاتها اليومية» هكذا يقول جوناثان سويفت (Jonathan Swift) متنهداً في العام 1712 (Swift 1966, p. 107). ربما يُمكن أن نعذُر نوعاً ما كتاب القرن الثامن عشر لتشاؤمهم، وذلك لأنه لم يكن يُعرف آنذاك سوى القليل نسبياً عن تغير اللغة. كان سويفت وزملاؤه يخشون من عدم استمرارية بقاء عملهم الخاص بهم ما لم يتمكنوا إلى حد ما من إيقاف اللغة الإنجليزية في مساراتها الصحيحة.

لكن تغير اللغة أمرٌ لا مفر منه تماماً كتآكل التلال، أو انسداد مصبات الأنهار بالطمي – بالرغم من أنه لا يشبه تفتت المنحدرات، إذ إن تغير اللغة ليس اضمحلالاً: فالمفردات الجديدة تسمح لأي لغة بالاستجابة للحالات الجديدة، في حين أنه على مستوىً أعمق، تحتفظ اللغة بنماذجها، وتحافظ على التفاعل اللغوي الفعال.

إن اللغة الإنسانية ليست متفردة من بين أنظمة التواصل الحيواني في ميلها نحو تغيير نفسها باستمرار. فالحيتان الحدباء تغير ترنيماتها كل عام، وبعض الطيور

تَدمُج أصواتاً جديدة في تغريداتها: وقد سُمِعَت الطيور– القيثارة الأسترالية كيف تُقلد القرلي (وهو رفراف استرالي كبير لديه صوت ضحك عالٍ) ومنشار الجنزير وحتى أجهزة إنذار السيارات.

ومع ذلك، لم يكتشف علماء اللغة كيف ولماذا يحدث تغير اللغة سوى في القرن العشرين. في وقت ما سابق، كان يُفترض أن تحول صوتٍ أو كلمةٍ ما إلى صوت آخر أو كلمة أخرى يحدث ببطء، مثل حال الشرغوف (فرخ الضفدع) الذي تنمو ساقاه ويتحول تدريجياً إلى ضفدع. ولكن لم ينجح أحدٌ حتى الآن في تمييز مرحلة النمو هذه في منتصفها، أي مرحلة نمو الشرغوف مع الساقين الأماميتين، كما هي. هذا لأن نموذج التحول من الشرغوف–إلى–الضفدع (التغير التدريجي) هو نموذج خاطئ. وإن طيور الوقواق تقدم لنا صورةً أفضل من صورة الضفادع الصغيرة (Aitchison 1995). فنموذج «الوقواق» (البديل) حَلَّ الآن محل نموذج التغير البطيء. إذ ينسل صوت جديد أو كلمة جديدة جنباً إلى جنب مع الصوت القديم أو الكلمة القديمة ويحل محله أو محلها في نهاية المطاف، مثل الوقواق الصغير الذي يكبر تدريجياً، ثم ينتهي طارحاً الوقواق الأصلي، الذي كان يشغل العش، إلى الخارج. ولكن حتى في صورة الوقواق هناك تبسيط مُفرط. في بعض الحالات، تتزاحم عدة احتمالات، كما في حالة المرشحين الذين يتنافسون مع بعضهم البعض في انتخاب ما. في نهاية الأمر، لا بد أن واحداً منهم سيفوز على الآخرين. ولكن العوامل المتغيرةقد تتقلب لسنوات، حتى في خطاب الشخص الواحد منهم.

(التنوع): المفتاح إلى فهم التغير

نحن نعلم الآن أن التغير يتضمن (التنوع). ويمكن أن يحدث (التنوع) من دون تغير، ولكن التغير لا يمكن أن يحدث من دون (تنوع). لقد كان عالم اللغة الأميركي وليام لابوف (William Labov) أول من أثبت ذلك بحجة. إذ أوضح أن الدراسة المنهجية (للتنوع) يمكن أن تكشف التغير الجاري (لابوف (Labov 1972c)) كلٌ منا كان يعرف دائماً أن الكلام يتنوع من شخص لآخر لعدة أسباب، مثل المنطقة الجغرافية، والطبقة الاجتماعية، والعمر، والعِرق، والجنس، ودرجة رَسميَّة مناسبة الكلام. ولكن في الماضي، كان كثيراً ما يُنظَر إلى (التنوع) على أنه يشتمل على

الكثير من المزج العشوائي لدرجة أنه لم يكن من المفيد دراسته بأي عمق. وكانت مساهمة لابوف هي تبيان كيف أن (التنوع) يمكن توصيفه بشكل موثوق.

بطبيعة الحال، تشمل اللغة مجموعةً من الظواهر: الأصوات (علم النطق وعلم تجويد الأصوات الكلامية)، وبناء الكلمات ونهايات الكلمات (علم المورفولوجيا)، وتركيبات الكلمات (علم بناء الجمل)، والمعنى (علم الدلالة)، واستخدام اللغة (علم البراغماتية). بدأ لابوف بالأصوات. وبرهن أن الاختلاف الصوتي يمكن أن يبين كيفية انتشار تغير الصوت.

يقترح لابوف أن المهمة الأولى هي تمييز الأصوات التي قد تكون متقلبة. وقد سمى هذه «بالمتغيرات». وكانت بعض المتغيرات «متقطعة» (إما حاضرة أو غائبة)، كما هو الحال مع الحرف r في نيويورك، الذي كان يُلفَظ أحياناً في كلمةٍ مثل عربة (Cart)، ولا يلفظُ أحياناً أخرى. أما المتغيرات الأخرى فكانت متواصلة، كما في أول حرف علة من كلمة (Coffee) (قهوة)، والتي تنزلق من جانب إلى آخر في مجموعة طرق اللفظ (المختلفة).

بعد أن حسم لابوف متغيراته وحددها، قام بمقابلة عينة عشوائية من المتكلمين من مختلف الطبقات الاجتماعية، ومن كلا الجنسين، مستخرجاً سلسلةً من الأنماط: قراءة أزواج الكلمات، قراءة مقطع معين، الكلام المنطوق الرسمي وغير الرسمي. كان لابوف والعاملون معه غير معروفين لدى المُخبرين، لذلك كان من السهل نسبياً استخراج نمط رسمي إلى حد ما في الكلام. وكان الحصول على عينات من الكلام العفوي أكثر صعوبةً، على الرغم من أن ذلك تحقق إلى حد ما من خلال السماح للطبقة الشعبية (الأكبر سناً) من الناس بالتحدث عن ذكرياتهم، ومن خلال سؤال الناس الأصغر سناً من بينهم إذا كانوا قد تعرضوا في أي وقت مضى إلى خطر الموت، عندما تذكر المخبرون الأحداث التي أوشكت أن تؤدي بهم إلى الموت، أصبح أسلوب كلامهم مرتبكاً وعامياً. أشار لابوف أيضاً كيف كان نمط الكلام يتغير في بعض الأحيان عند المخبر، عندما كان/ كانت يتحدث/ تتحدث إلى أطفاله/ أطفالها، أو يرد/ ترد على الهاتف.

عرض لابوف نتائج بحثه (في) رسوم بيانية كشفت **أولاً** أنه يمكن للعدد المحتمل من الأمثلة عن متغير ما في أي مستوى من رسمية الكلام أن يتم قياسه

كمياً بشكل موثوق فيما يتعلق بأي عامل اجتماعي لغوي لأي شخص، مثل الطبقة الاجتماعية- الاقتصادية. **ثانياً**، تم الكشف عن الطريقة التي حصلت فيها التغيرات: زاد المتكلمون أو قللوا تدريجياً نسبة متغير ما في نمط معين أو أنماط مختلفة.

على المستوى السطحي، تم ربط كيفية حدوث التغييرات بشكل وثيق بسببه أي (أن) داخل أي مجتمع، يرتبط تغير اللغة بالمكانة أو المقام: يتحدث الناس بالطريقة التي يرغبون بها خلال الكلام، يجري ذلك أحياناً عن قصد وأحياناً أخرى دون أن يدركوا ذلك. بعض التغيرات سببها المكانة بشكل واضح: ينظر المتكلمون إلى بعض الألفاظ على أنها من طراز عال أو «من الدرجة الأولى»، ويرغبون أن يتكلموا بهذه الطريقة نفسها، كما في مَثل حرف الـ*r* في نيويورك. كان الناس يرون أنه من «الأفضل» إدراج هذا الحرف في اللفظ. وقد تم تبيان هذا الموقف الإيجابي من خلال التنبيه إلى حقيقة أن هذا الحرف كان يستخدم غالباً في الكلام الرسمي، الرصين، أكثر مما يستخدم في الدردشة العابرة غير الرسمية. هذا ينطبق أيضاً على حرف الـ*h* في اللغة الإنجليزية البريطانية. إذ يظن المتكلمون أنهم «ينبغي» أن يلفظوا هذا الحرف، وحتى في أحيان أخرى يدخلونه في مواضع لم يكن يوماً يرد فيها، كما يبدو في مثل (البستاني) الذي أراد أن يشتري قطع الغيار اللازمة للسياج فطلب سياجاً من الستارة المزركشة مُسمياً إياه (Harris Rail) (سياج هاريس وكلمة هاريس لا تعني شيئاً هنا) بدلاً من أن يسميه تقنياً (Arras Rail) (وهي التسمية الصحيحة). هذا «الإفراط في التصحيح» الذي يبدو واضحاً يميل إلى أن يحدث في أنماط رسمية إلى حد ما، عندما يحاول الناس التحدث بطريقة متأنية حذرة، خاصة إذا كانوا غير واثقين، أو إذا كانوا يرغبون في التأثير بالناس من حولهم.

في مثل هذه الحالات، وفي بعض الأحيان يمكن إيجاد فارق كبير بين الكلام الواعي المتأني والمدروس، والمحادثة العادية العفوية. كان هذا ينطبق بصفة خاصة على النساء اللواتي ينتمين إلى الطبقة الوسطى الأدنى منزلةً وهذا ما استنتجه لابوف وآخرون. ربما تريد تلك النساء من أطفالهن أن يتكلموا «بدقة»، أو ربما هن بأنفسهن يرغبن في أن يُحكَم عليهن من خلال سلوكهن الذي يعتقدن أنه «لائق بسيدة محترمة».

لكن في بعض الأحيان كانت هذه التغيرات خفية مبطنة. ولم يكن المتكلمون

على علم بالتغيير بالضرورة، كانوا يريدون فقط أن يبدوا كأصدقائهم، أو كالناس الذين يوقرونهم. وفقاً لإحدى الدراسات، تم تقسيم المراهقين في ديترويت (De-troit)، إلى نوعين: «الفرسان» (Jocks) من جهة، و«المُرهَقون»(Burnouts) من جهة أخرى (Eckert 1989). كان الفرسان أولئك الذين أرادوا أن يتبعوا نمط حياة تقليدي. كانوا يلفظون حرف العلة الأول في كلمات مثل (الأم) (Mother)، (Sup-per) (العشاء) كأهلهم. من ناحيةٍ أخرى، كان المرهقون يتناولون المخدرات وكان يُعتَقَد أنهم «متسربون» دراسياً على وجه الاحتمال. واحتوت محادثاتهم على نسبة أكبر من أحرف العلة غير المعيارية، وكانوا يبتعدون عن نوع الكلام الذي اعتمده الفرسان الأكثر تمسكاً بالطريقة التقليدية. هؤلاء المراهقون من ديترويت لم يكونوا بالضرورة يدركون ما كانوا يفعلون عندما يتكلمون، كانوا يريدون فقط أن يبدوا كأصدقائهم. وأظهرت أعمال مماثلة عن عصابات شباب المراهقة في (القراءة) (Reading)، (إنجلترا) (England)، أن زعماء العصابات كانوا يميلون لأن يكون خطابهم متطرفاً إلى حد ما، وكان أفراد العصابة الآخرون يحذون حذوهم، غالباً من دون أن يدركوا ذلك (Cheshire 1982): إحدى «الدلالات» (وهي خاصية كلامية مهمة) كانت إضافة حرف s- غير معياري إلى الأفعال التي تم تصريفها بالحاضر البسيط، وفي كثير من الأحيان إلى الأفعال التي لها خصوصية مثل (أطلقنا العنان لساقينا) (We Legs it)، والتي تعني «أننا هربنا».

ولم تجر دراسات على نطاق ضيق مثل دراسة استخدام حرف ال: s- في (القراءة) (Reading) عبر الدراسات الميدانية الاجتماعية التي هي من نوع دراسة لابوف، ولكن جرت عبر طرق عامية: إذ كان الباحثون قادرين على التسلل إلى العصابات وشبكات المعارف من خلال التعريف بأنفسهم على أنهم «صديق لصديق». كان رائدا هذه التقنية في بلفاست في إيرلندا الشمالية هما ليزلي وجيم ميلروي (L. Milroy 1987; J. Milroy 1992). وإن استقصاءاتٍ دقيقة وضيقة النطاق كهذه، تَستكمل بالتالي الدراسات الميدانية الاستقصائية الأوسع، والأكثر تجرداً (اللاشخصية).

وقد كشفت هذه الدراسات، التي أجريت جميعها في النصف الثاني من القرن العشرين، عن كيفية وسبب امتداد تغير اللغة من متكلمٍ إلى آخر. في داخل مجموعة

من الأصدقاء، أو فئة اجتماعية أخرى، يبالغ الأعضاء الرئيسيون للمجموعة باستخدام علامةٍ (دلالة) ما. فيقلد أعضاء المجموعة الآخرون هذه العلامة: إذ يريدون أن «ينتموا» إلى المجموعة ويكونوا متأنقين، وهم يشبهون في ذلك كثيراً المراهقين الذين يقلدون موضات الملابس من بعضهم البعض. وهم يدركون ذلك في بعض الأحيان، ولكن ليس دائماً.

تنتشر التغييرات خارج المجموعة الأصلية من خلال «الحلقات الضعيفة»، التي تتكون من أعضاء المجموعة الذين ينتمون إلى أكثر من شبكة لغوية، ويتواصلون بشكل روتيني مع أناس من خارج زمرتهم المحلية. ثم يجري التكيف، أي أن المتكلمين يوجهون أسلوب كلامهم قصداً أو بدون قصد في اتجاه أسلوب او نمط أولئك الذين يتحدثون إليهم. البشر هم كائنات حيوانية (اجتماعية) حميمة ويقومون بذلك بشكل طبيعي، وغالباً دون أن يدركوا ذلك. عادةً، يضبط المتكلمان في محادثة ما الطريقة التي يتحدثان بها، ولكن في بعض الحالات، يتكيف أحدهما أكثر من الآخر. ولقد لاحظ لابوف في نيويورك، وليزلي ميلروي في بلفاست أن التكيف هو أمر شائع واعتيادي بشكل خاص لدى عمال المتاجر، الذين يحاولون أن يبدوا مثل زبائنهم.

ولفترة طويلة، كانت بلفاست في إيرلندا الشمالية تنقسم إلى نصفين: شرقي وغربي، وغالباً ما كان النصفان يتناصبان العداء الصريح لبعضهما البعض. ولكن أخذت بعض التغييرات بالانتشار عبر الحد الفاصل بين الشرق والغرب من خلال عمال المتاجر: ففي متجر وسط المدينة، كانت نساءٌ قادمات من بلفاست الغربية الأفقر يُقلِّدن لا شعورياً كلام الزبائن الذكور الميسورين القادمين من بلفاست الشرقية، وبالتالي كُنَّ ينشرن مكونات من كلامهن إلى أصدقائهن وصديقاتهن في غرب بلفاست (Milroy and Milroy 1985).

تحدث التغييرات عن طريق التواصل المباشر، كما تبين هذه الدراسات. وغالباً ما يقلق الأهل من حقيقة أن التلفزيون قد يقوض أسلوب كلام أبنائهم الصغار. ولكن تأثير التلفزيون يظل ضئيلاً نسبياً. إذ إن أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أنه يمكن أن ينقل إلى أذهانهم فكرة أنهم يستطيعون التكلم بطرق مختلفة.

لذلك برزت بعض العوامل الأساسية المساعدة على انتشار تغير اللغة:

فأولاً، يحدث التغيير عندما تُستخدم تهجية مختلفة لكلمة على نطاق أوسع، وتحل تدريجياً مكان القاعدة السابقة. و**ثانياً**، يحدث التغيير عن طريق التواصل المباشر أي وجهاً لوجه. **ثالثاً**، قد تكون التغيرات جلية (ملحوظة) أو كامنة (غير ملحوظة)، ولكن في كلتا الحالتين نرى أن أولئك الذين يتأقلمون مع التغيير يريدون أن يتكلموا مثل الناس الذين يقلدونهم، على الرغم من أنهم قد لا يدركون ذلك.

الأسباب الأعمق

للوهلة الأولى، قد تعطي تغيرات اللغة الانطباع بأنها تتأثر بموضة الكلام أو بأنها ناجمة عن إهمال بسيط: «ليس هناك من سبب لتغير اللغة أكثر من سبب مشابه وهو أن يكون للسُترات مثلاً ثلاثة أزرار في سنة ما واثنان في السنة التي تليها»، كما يزعم عالم اللغة بول بوستال (Postal 1968). نحن لسنا معتادين على الاهتمام بلغتنا. . .أوه، من فضلكم، أيها المحبون للغة الإنجليزية في كل مكان، افعلوا شيئاً ضئيلاً للغتكم. تعالوا لنوقف سوياً هذا الانزلاق للغة على منحدر (منزلق)، هذه كانت دعوة أرسلت في رسالة إلى **صحيفة الأحد** (*Sunday Newspaper*) في العام 1981. ومع ذلك فإن هذه الآراء خاطئة. إذ إن تغير اللغة ليس عشوائياً، ولا يمكن إيقافه. في أي وقت من الأوقات، هناك فقط أجزاء معينة من اللغة قابلة للتغيير. وإن نظرةً أكثر حنكةً إلى التغير اللغوي تجد أن هذا التغير هو مجرد تفاعل على مختلف المستويات.

وهناك حاجة إلى حافز اجتماعي لإثارة التغيير. هذا المثير قد يُطلق عند الناس ميلاً لغوياً في الانتظار، وعلى استعداد للانطلاق، مثل (تفاحة) ناضجة على وشك السقوط، مدفوعة برفق إلى الأرض بواسطة زوبعة مفاجئة من الرياح. قد يقع هذا المثير الاجتماعي على صوت مثل صوت حرف الـ*r*في نيويورك. أو قد يقع على نهاية كلمة، كما هو حالة الـــ(القراءة) (Reading) عند المراهقين. ويمكن أن ينتقي جانباً من جوانب بناء الجملة، مثل الأسئلة أو الجمل النافية: فمثلاً يميل المتحدثون باللغة الإنجليزية الهندية إلى وضع عبارات النفي في نهايات الجمل، على النحو التالي: كل هذه الأقلام لا تعمل (All of these Pens don’t Work)، بينما في الإنجليزية البريطانية من المُرجّح أن يقول متحدث ما: إن أياً من هذه الأقلام لا يعمل (None of these Pens Work) وهنا تأثرت اللغة الإنجليزية لهؤلاء

المتحدثين الهنود باللغة الهندية، التي تضع عادةً عباراتها النافية في نهايات الجمل. ويمكن أن يتأثر أيضاً معنى الكلمة: «كنت محطماً (Devastated) بكل ما في الكلمة من معنى» وهي عبارة قالها أحدهم عندما انسكب النبيذ من كوبه على سجادة أحد أصدقائه، في حين كانت كلمة يدمر (Devastate) تستخدم في الأصل لتعني ادخار (الفائض في) بلد ما لوقت الحاجة في زمن الحرب.

قد تبدو هذه التغييرات غريبة ومتباينة. ولكن التغييرات لا تحدث عشوائياً وفوضوياً. فالأسباب الأعمق تخفي وراءها مثيرات اجتماعية. هذه الأسباب الأقل وضوحاً للتغير تقع في أحد التصنيفين الرئيسيين التاليين: الميول الطبيعية من جهة، والتغيرات العلاجية، أي تلك التي تُصلح الأنماط التي تم خرقها من جهة أخرى (Aitchison 2001).

إن الميول الطبيعية هي ظواهر تحدث مراراً وتكراراً في لغات العالم. فمن الطبيعي مثلاً فقدان (الأصوات الصامتة) في نهاية الكلمات. وقد حدث ذلك في اللغة الفرنسية، والإيطالية، واللغات البولينيزية. وهو في طريقه إلى الحدوث في بعض اللهجات الصينية، وفي اللغة الإنجليزية أيضاً. إذ تصبح الأصوات في نهايات الكلمات ضعيفة نسبياً: حاول أن تلفظ الكلمات التالية: pip (يزقزق)، Tit (عصفور)، Kick (ركلة)، ولاحظ مدى قوة صوت (الأصوات الصامتة) في بداية هذه الكلمات مقارنةً مع (الأصوات) الأخيرة (تلك الموجودة في نهايات الكلمات). في بعض الأحيان تُلفَظ (الأصوات الصامتة) في نهاية الكلمات من دون إطلاق النَّفَس: أي لا يتم إخراج الهواء الذي يتراكم وراء نقطة انغلاق الفم، وخاصةً إذا تبع الكلمة (صوت) (صامت) آخر، كما هو الحال في كلمة kick (أرفس) الواردة في الجملة:(Kick the Door Down)(أرفس الباب). ثم في المرحلة التالية، يحل (الانفجاري الوقفي) بين الحبال الصوتية (Glottal Stop) (توقف التنفس أو جريان الهواء في عمق الحلق) محل (الصوت الصامت) النهائي، قبل اختفاء هذا الحرف في نهاية اللفظ (أي لا يظهر هذا الصوت خلال اللفظ).

انطلاقاً من الرسائل الموجهة إلى الصحف، يبدو أن عدداً من الناس يهتم بهذه العملية. والغريب في الأمر أن أولئك الذين يستنكرون تلاشي (الأصوات الصامتة) في اللغة الإنجليزية غالباً ما ينظرون إلى بعض اللغات مثل اللغات الإيطالية التي

ليس لديها الكثير من (الأصوات الصامتة) في نهاية الكلمات على أنها لغات (جميلة)، ويبدو أنهم ينسون مثلاً أن الكلمة الإيطالية vino (النبيذ، الخمر) مشتقة من الكلمة اللاتينية vinum المنتهية (بصوت صامت).

وفوق ذلك، يطال (تأثير الضعف) ما هو أكثر من بعض نهايات الكلمات. فوحدات الكلمات (الوحدات الأصغر ذات المعنى في اللغة)، والكلمات، وحتى أشباه الجمل يمكن أن تتآكل مع مرور الزمن: إذ إن شبه الجملة *mea domina* «سيدتي» أصبحت *ma dame*، ثم madam، ثم فيما بعد *ma ʻam*، وأخيراً حتى مجرد *m*، كما في نعم سيدتي *yes, m* (Hopper 1994, p. 29). وإن فقدان وحدات الكلمات مماثل لحياة الموظفين المدنيين حسب رأي عالم اللغة الألماني في القرن التاسع عشر جورج فون دير غابيلينتز (Georg von der Gabelentz 1891)(انظر Hopper 1994). إذ يتم تعيينهم، ويعملون معظم فترة حياتهم، ثم يدخلون في المرحلة النصفية للتقاعد، وفي النهاية يتقاعدون بالكامل، في الوقت الذي يصطف فيه متقدمون جدد من أجل تعيينهم بدلاً من الموظفين القدماء. عندما يموت هؤلاء الموظفون، يشير غابيلينتز إلى أنهم لا يختفون بالضرورة، ولكن يمكن «تحنيطهم» وبذلك يبقون هنا وهناك على شكل هيئات هامدة لا حياة فيها.

في المصطلحات الحديثة، تُعْرَف هذه العملية باسم (التقعيد) التحول النحوي (Grammaticalization/ Grammaticization)، (عملية تحول الكلمات التي تمثل الأشياء والأفعال، إلى أشياء نحوية مثل لواحق اللغة وحروف الجر، عبر تغير اللغة) وهو مصطلح عرفه أنطوان ماييه (Antoine Meillet) على أنه إسناد صفة نحوية إلى كلمة مستقلة مسبقاً. ن لغة التوك بيسين (Tok Pisin) الكريول المحلية، وهي اللغة الرسمية المحكية في بابوا غينيا الجديدة، تقدم مثالاً جيداً في كلمتها Save أي (يعرف) (Aitchison 1996). تَرِدُ تهجيات مختلفة لهذه الكلمة في جميع أنحاء العالم في لغات البيدجين (Pidgins) المبسطة (وهي لغات محدودة تستخدم للتواصل بين الناس الذين ليس لديهم لغة مشتركة). ويُعتقد أن أصل هذه الأشكال يعود إلى الكلمة البرتغالية saber أي (يعرف)، وهي ما تبقى من المصطلحات البحرية الشائعة الاستخدام في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، عندما كانت البرتغال بلداً رئيسياً في مجال الإبحار.

في لغة التوك بيسين (Tok Pisin) يمكن إيجاد هذه الكلمة أحياناً بمعنى (يعرف)، كما في الجملة التالية: God i Save Olgeta Samting التي تعني (الله يعرف كل شيء). ولكن إلى جانب استخدامها كفعل أساسي لوحدها، أصبحت كلمة save تستخدم قبل فعل آخر، فيما يسمى بناء الفعل المتسلسل. في هذه الحالة، يعني الفعل في الأصل يعرف كيف، كما في الجملة: mi save kukim kaukau أي (أنا أعرف كيف أطبخ البطاطا الحلوة).

ولكن معنى عبارة (أن تعرف كيف)، اندمجت تدريجياً مع، وتحولت إلى عبارة (أن تكون ماهراً في)، وفي النهاية تحولت إلى عبارة (أن تكون معتاداً على). ليس من السهل دائماً أن تقرر أي معنى من هذه المعاني المتداخلة هو المقصود، كما هو الحال في الإعلان في صحيفة ما عن معجون للأسنان: Planti switpela kaikai i save bagarapim tit bilong yu hariap التي يمكن ترجمتها إلى الجملة التالية: (الكثير من الأطعمة الحلوة) [الحرف *i* غير قابل للترجمة] هي على معرفة بـ/ بارعة في/ معتادة على تدمير أسنانكم بسرعة bagarapim هي كلمة عادية تعني (يدمر) وهي مُستعارة من اللغة الإنجليزية الأسترالية. وهي مستخدمة في كل شيء بدءا من حادث تدمير طائرة وحتى تدمير الأسنان، علماً أنه لا وجود لإيحاءات بذيئة للكلمة.

في الكلام المحكي، تم اختصار كلمة save إلى *sa* عند ورودها قبل فعل آخر وهي تعني قياسياً «أن تكون معتاداً على، عادةً» فجملة: mi sa kirap long moning long hapas siks تعني (أستيقظ عادةً في الصباح عند الساعة السادسة والنصف). وهكذا فإن كلمة save في لغة التوك بيسين (Tok Pisin) انقسمت إلى قسمين. حيث احتفظ الشكل الأصلي الكامل للكلمة أي Save بمعناه أي (يعرف)، ولكن الشكل المختصر *sa* أصبح حرفاً من لفظ الفعل ويعني (عادةً).

في جميع أنحاء العالم، تميل تحولات المعنى المرتبطة بالتحول النحوي (Grammaticalization) إلى أن تسلك مساراتٍ متشابهة، ولكن غير متطابقة بالضرورة. فمثلاً، غالباً ما يضعف معنى كلمة (يعرف) مع الوقت. وإن الكلمة الإنجليزية Can أو يستطيع كانت تعني يوماً ما (أعرف)، في الوقت الذي حافظت

فيه الكلمة التي تقابلها في الألمانية (können) على هذا المعنى، كما في ich kann ein wenig Deutsch التي تعني (أنا أعرف الألمانية قليلاً).

تحدث مسارات موازية في العديد من التغيرات غير المترابطة. وتوجد في كل مكان من العالم تأثيرات اجتماعية وتخاطبية مماثلة. فمثلاً يتم تكرار عبارات النفي لمرتين أو ثلاثة لجعلها أقوى تأثيراً. في **قصص كانتربري** (*Canterbury Tales*) لتشوسر (Chaucer) (القرن الرابع عشر)، كان الفارس دائماً دمثاً: He nevere yet no vileyne ne sayde أي لم يقل في حياته أبداً ولا أي كلام سيئ (المقدمة 1.70). وفي بعض الأنواع أو اللهجات غير النموذجية أو القياسية للغة الإنجليزية البريطانية، لا يزال هناك تراكم لبعض العبارات: I Don’t Know Nothing Bout no Bag! أي (أنا لا أعرف ولا أي شيء عن أي محفظة!) هكذا يؤكد صبي من لندن في سن المراهقة لدى اتهامه باختطاف حقيبة.

في نيويورك، سجل لابوف الجملةً التالية: When it Rained, Nobody Don’t Know it Didn’t (عندما أمطرت السماء، لم يكن هناك أي أحد لا يعرف أنها لم تمطر) (Labov 1972c, p. 150). هذه الجملة تبدو شاذةً نظراً لتكديس العبارات النافية فيها لجعلها أكثر تأكيداً. في الواقع كانت تعني: لم يكن أحد يعلم أنها كانت تمطر في لحظة هطولها. أو، لنأخذ مثالاً آخر من نيويورك: Back in Them Times, There Ain’t no Kid Around that ain’t – Wasn’t Even Thinkin’ About Smokin’ No Reefers وهي تعني (بالعودة إلى أزمانهم السابقة، لم يكن أي طفل هنا وهناك لا يفكر ولم يكن يفكر حتى بتدخين ولا أي سيجارة من القنب الهندي). كان المتكلم – وهو ذكر يبلغ التاسعة والعشرين عاماً من العمر– يقصد أنه لم يكن يخطر ببال أي طفل أن يدخن سيجارة من القنب الهندي في ذلك الوقت.

يظهر في اللغة الفرنسية نمط مختلف من طرق تعزيز النفي. إذ كان شكل النفي الأصلي في هذه اللغة هو ne أي لا (الآتي من اللغة اللاتينية non أي لا). ولكن تم إضافة كلمات معزِّزة مختلفة مثل: «not a Jot» أي (ليس أي مثقال ذرة)، و not a Straأي (ليس أي قشة)، و not a Dot أي (ليس أي نقطة) (Ashby 1981). إحدى هذه: ne. . .pas أي كلا، والتي كانت أصلاً: «not a Step» أي (ليس أي خطوة) نجحت في أن تكون عبارة النفي العادية، كما في je ne sais pas أي (لا أعرف)،-

على الرغم من أنه وعلى نحو متزايد، جرى إسقاط كلمة ne، بينما بقيت كلمة pas تعتبر أداة النفي (الحقيقية) je sais pas أي بنفس المعنى (لا أدري)، لذلك فإن العملية تبدأ برمتها من جديد.

للكياسة (التهذيب في الكلام) أيضاً دور لتلعبه. فالبشر في كل مكان يحاولون تجنب المجابهة (Brown and Levinson 1987). في العديد من اللغات، من النادر إلقاء الأوامر مباشرة، إلا في حال وُجِّهَت هذه الأوامر إلى الأطفال. في اللغة الإنجليزية، هناك ميلٌ إلى التعبير عن طلب سداد المال بعبارة: (من المُستَحَب الدفع الفوري)، بدلاً من (يجب أن تدفع الآن). في بعض اللغات، يعتبر التوجه مباشرةً إلى شخص آخر أقل لطفاً من الطريقة غير المباشرة، كما في اللغة الفرنسية. ويبدو أن المتحدث باللغة الفرنسية أكثر ميلاً للقول: On y va أي (أحدنا يذهب إلى هناك) بدلًا من عبارة (نحن ذاهبون) في اللغة الفرنسية.

على المدى البعيد، يمكن أن تؤدي الجمل المتبدِّلة هنا وهناك إلى تغيير دائم، كما حدث مُسبَقاً الكلمات التي تعني (أنت) في العديد من اللغات. في اللغة الفرنسية، كان التوجه إلى المُخاطَب بالضمير vous أو (أنتم) أكثر شيوعاً من الضمير الحميمي tu أو «أنت» والنتيجة هي أن ضمير المُخاطَب الفرنسي vous، الذي كان يُستخدم قبل ذلك للتوجه إلى الجمع، يستخدم الآن لمخاطبة المفرد أي لمخاطبة أي شخص فيما عدا الأصدقاء المقربين والعائلة.

ما يسمى بالاستدراك أو الفكرة (التالية) التي تخطر بالبال بعد الكلام، هو عامل متكرر في المحادثات. في اللغة الإنجليزية القديمة، كانت الأفعال توضع عادةً في نهاية الجمل. ولكن هذا الفعل النهائي يمكن أن يتغير مكانه إذا كانت الجملة تحتوي على (استدراك)، وهي عبارة تُضاف على ما يبدو بعد الجملة (Stockwell 1977):

On thaem waeron eac tha men ofslaegene buton fifum

أي على ذلك المكان كان الرجال قتلى، باستثناء خمسة.

لذلك كان الاستدراك عاملاً لجعل المتكلمين يشعرون بأنه كان من الطبيعي أن توضع الأفعال في وسط الجمل.

وقد تلعب العديد من العوامل الاجتماعية والتخاطبية دوراً ما هنا. على سبيل المثال، وفي اللغات بصفة عامة، غالباً ما يتم وضع المعلومات المشتركة بين المتخاطبين في أول الجملة، بينما توضع المعلومات الأحدث في نهاية الجملة (Tomlin 1986). وهناك ميل لوضع المعلومات المعروفة مسبوقةً بأداة التعريف الـ أو (The) ولوضع المعلومات الجديدة مسبوقةً بأداة التعريف a للاسم النكرة:

The Boy in the Blue Shirt ate a Banana

أي أكل الولد ذو القميص الأزرق موزةً في بعض اللغات، مثل اللغة الإندونيسية، نتج عن ذلك تغير لقواعد النحو: فمن المستحيل وضع أداة لتعريف الاسم النكرة في بداية الجملة. والعوامل الاجتماعية والتخطابية مهمة في تغير اللغة. وإن جميع الأمثلة التي ذكرناها حتى الآن تم تحديدها وتمييزها بالمرور عبر مختلف الثقافات، ويبدو أن هذه الأمثلة قد أخلَّت بالقواعد القائمة في اللغة في بعض الأحيان.

ترتيب (النموذج)

ولكن العقل البشري لا يستطيع أن يتذكر كومةً مطروحةً من العناصر العشوائية. فهو يتعامل بشكل أفضل مع الأنماط المنظمة. ولذلك فإن ترتيب الأنماط هو إجراء مقياسي، على الرغم من أن البشر لا شعورياً يقومون بذلك، وعادةً لا يدركون أنهم يجرون هذا الترتيب.

لنأخذ صيغة الماضي البسيط لفعل Girded (أي طوَّق أو ثبَّت) بدلاً من الشكل الأقدم لهذا الفعل *Girt*. يمكن أن يُنظَر إلى صيغة الماضي النظامية على أنها محاولةٌ من اللغة الإنجليزية لترتيب نفسها. فمعظم صيغ الماضي تنتهي بحرف *d*-، وهذه هي النهاية اللاحقة التي نضيفها إلى أي أفعال جديدة، كما في فعل She Grumped أي تذمرت أو «قالت بتأفف». وهذا الحرف هو أيضاً لاحقة في نهاية الكلمة يتم ضمها إلى الأسماء المركبة، كما في «Greenlighted» أي «أعطى إذناً بالمتابعة»، على الرغم من أن فعل أضاء*lit*ما زال حتى الآن هو صيغة الماضي الاعتيادية لفعل يضيء Light. وبالتالي فإن فعل Girded قد انضم إلى النموذج السائد.

إن ترتيب بناء الجملة يحدث بالضبط بنفس الطريقة. ففي وقت ما سابقاً،

كانت كلمة Chance أي صدفة تسمى فعلاً لا شخصياً أي مبنياً للمجهول، كما في المثل التالي: *Him Chaunst to Meete upon the Way a Faithlesse Sarazin.*

صادف أن التقى في طريقه بشرقيين (Saracen) خائنين.

ولكن بعد ذلك خسرت الأسماء النهايات الخاصة بها. خذ الجملة التالية على سبيل المثال:

Achilles chaunced to sle Philles (c.1400)

حدث أن قتل آخيل (Achilles) فيليس (Philles) (c.1400)

لا يمكن لأحد أن يقول أن آخيل كان له في السابق نهاية النصب للمفعول به، مثل الضمير: له (him) . لذلك فإن المتحدثين باللغة الإنجليزية أعادوا تحليل البناء وفقاً للنموذج السائد للجملة، الفعل–الفاعل–المفعول به (Denison 1993). في اللغة الإنجليزية في القرن العشرين، تم الاستمرار في إسقاط الأفعال اللاشخصية المبنية للمجهول، وبقي فقط عدد قليل منها، خاصةً أفعال الطقس، كما هو الحال في عبارات: إنها تمطر (it's Raining)، أو إنها تثلج (it's Snowing). وبالتالي تنسل التغيرات النحوية إلى اللغة، غالباً دون أن يُلحظ ذلك. ومع ذلك في العديد من الحالات، تُعتبر هذه التغيرات المنسلة إلى اللغة علاجيةً: فهي تستطيع أن تزيل التناقضات، وتساعد على الحفاظ على النماذج.

وإن المتكلمين هم حتى أقل إدراكاً لترتيب النموذج على مستوى الأصوات. (فالأصوات الصامتة) تميل إلى أن تكون ثنائية، أحد عناصر هذا الثنائي يصاحبه اهتزاز للحبال الصوتية (وهو صوت مجهور) مثل (الصوت) b، والآخر يصدر مع بداية متأخرة للاهتزاز (وهو صوت مهموس) مثل (الصوت) p، كلا المكونين لهذا الثنائي يتم لفظهما من نفس الجزء من الفم: *b* و *p* هي أصوات شفهية، أي يتم نُطقها بالتماسٍ بين الشفتين. ولكن أحياناً يُفقَد أحد عنصرَي الثنائي. في وقت ما من الزمن الماضي، لم يكن [(للصوت)] زوجاً في ثنائي ما كما في بداية كلمة ship (سفينة) .لكن مع الوقت، نشأ زوج لهذا الصوت [وهو(الصوت) ʒ] أي(الصوت) الذي يُلفَظ في نهاية كلمة rouge (أحمر التجميل)، و Beige (البني الفاتح).

يأتي هذا الصوت من مصدرين: **الأول**، من الاقتباسات لبعض الكلمات من اللغة الفرنسية، كما في الأمثلة المذكورة، والثاني، من اللفظ السريع لـ [(*y*) [j] +[z، كما في كلمة ***Leisure*** (وقت الفراغ)، وكلمة Plea**s**ure (المتعة). ولكن من ناحية أخرى، بقي (الصوت) الـ *h* لوحده، أي من دون زوج. يواجه (الصوت) الـ h خطر التلاشي من اللغة ويرجع ذلك جزئياً إلى أنه صوت ضعيف، وجزئياً إلى أنه لوحده. وعلى الأرجح أنه كان سوف يختفي، كما حدث له بالفعل في بعض اللهجات المتنوعة للغة الإنجليزية. ولكن الضغط الاجتماعي القوي حافظ عليه: «أولاً وقبل كل شيء، اسمحوا لي أن ألحظ أن أسوأ خطأ من بين كل الأخطاء، هو ترك لفظ) (صوت) معين يُلفَظُ بملء النفس (Aspirate) حيث ينبغي أن يكون (ويوضع) بدلاً من ذلك في موضع لا ينبغي أن يكون فيه»، وهذا ما قاله هنري ألفورد Henry) .(1864, p. 40) Alford)

تظل (أصوات) العلة أيضاً مُنَمذجة بطريقة مخفية عادةً عن المتكلمين. إذ إن (أصوات) العلة الأمامية (تلك التي تُلفَظ من خلال امتداد مقدمة اللسان إلى حد ما إلى أقصى الأمام كأصوات العلة التالية *i, e*) تميل إلى الانطلاق بالتوازي مع العلة الخلفية (تلك التي تُلفَظ بِرَدّ اللسان إلى حد ما إلى أقصى الخلف كأصوات العلة التالية *u, o*). تتغير (أصوات) ظ العلة الإنجليزية بسرعة، ولكن ذلك يحدث بطريقة مُنَظَّمة. عندما يلفظ الشباب في لندن كلمة *beat* (أي يضرب) يبدو للمتحدثين من كبار السن وكأنهم يلفظونها ككلمة *bite* (يعض)، مع الجزء الأول من (صوت) العلة (المركب) Dipthong (أي المؤلف من (صوتي) علة متصلَين ببعضهما البعض) أو ما يسمى Gliding Vowel (صوت العلة الذي ينزلق فيه لفظ (صوت) علة ما إلى (صوت) آخر) ملفوظاً مع توسيع لفتحة الفم أكثر مما كان عليه في الماضي. وبالمثل، في حالة (الصوائت) الخلفية المشابهة، قد يبدو لفظ (الصائت) في كلمة Boot (حذاء طويل) مشابهاً للفظ (الصائت) في كلمة Boat (مركب). وإن (الصوائت) الأمامية والخلفية تتنقل على طول مسارات متوازية. ولذلك فإن أي لغة تتأرجح وتنقلب تِبعاً لاحتياجات الناطقين بها، الذين غالباً ما يكونون غير مدركين لما يحدث. ولكن على كل حال تحتفظ اللغة حتماً بطبيعتها المُنَمذَجة.

إذا كانت اللغات حَذِقة جداً في التكيف مع متطلبات الناطقين بها، وفي المحافظة على نفسها، فكيف (تتآكل) وتموت إلى الأبد؟ إن لغات العالم تضمحل بمعدل هائل لم نعتد عليه في السابق. يوجد حالياً حوالي 6000 لغة محكية، وفقاً لأفضل التخمينات. (Hale et al. 1992) ومع ذلك وبعد قرن من الآن، يُقَدَّر أنه قد لا يبقى إلا حوالي 10 في المائة من مجموع اللغات الحالي.

تزول اللغات عندما يفقد المتحدثون بها الرغبة في استخدامها. أو، لنكون أكثر دقةً، (تموت) هذه اللغات لأن المتحدثين بها يريدون أن يتعلموا لغات القوة والسلطة، التي تطغى عليها حالياً اللغة الإنجليزية. في دراسة استقصائية عالمية نفذها المجلس الثقافي البريطاني، 95 في المائة من الأفراد الذين أُجْرِيَ معهم التحقيق أقروا بمقولة أن: اللغة الإنجليزية أساسية لإحراز التقدم لأنها سوف توفر الوسيلة الأساسية للتمكن من الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتقدمة خلال السنوات الخمس والعشرين القادمة (المجلس الثقافي البريطاني 1995). يريد الناس أن يتعلموا اللغة الإنجليزية من أجل مصلحتهم الخاصة، ومن أجل أطفالهم على حد سواء. وعندما يكتسبون اللغة الإنجليزية، تضمحل لغتهم الخاصة بهم أو لغة آبائهم.

إن زوال اللغة الغيلية (Gaelic) في إيرلندا هي واحدة من أفضل الحالات التي تمت دراسة كيفية (حدوث ذلك). في هذه اللغة يوجد نظام معقد لتحويل الاسم إلى صيغة الجمع. ويوجد لدى الكبار من المتحدثين بهذه اللغة بطلاقة إحدى عشر طريقة مختلفة لتشكيل صيغة الجمع، وفقاً لنانسي دوريان (Nancy Dorian) التي درست اللغة الغيلية الساذرلاندية (في المقاطعة القديمة لاسكتلندا) الشرقية (Dorian 1981). وكانت الوسائل الأربعة الأساسية للتحويل إلى الجمع هي إضافة اللاحقة إلى آخر الكلمة Suffixation، وتغيير (الصائت)، وتغيير (الصامت) النهائي، وإطالة لفظ (الصامت) النهائي. وكان المتحدثون بهذه اللغة الأصغر سناً يستطيعون بشكل أساسي إضافة لاحقة إلى آخر الكلمة، وهي الوسيلة الأكثر استخداماً في اللغة الإنجليزية. ونادراً ما كان المتحدثون الشباب (الأقل) طلاقةً يستخدمون أشكال الجمع التي كانت تتفرد بها اللغة الغيلية.

ولكن اللغات – الغيلية والإنجليزية – لم تكن تُستخدم دائماً في نفس الوقت. عند زوال لغةٍ ما، ليس من الضروري فصل اللغات المعنية عن بعضها البعض. إذ يكون المتحدثون على معرفةٍ باللغتين، إلى حد ما، ويشيع عندهم الخلط ما بين اللغتين على نطاق واسع. وكذلك تُعطى البنيات اللغوية المشتركة بينهما أولويةً عالية. ولكن اللغة ذات المقام أو الامتياز الأعلى تتعدى تدريجياً على اللغة (الأخرى)، في الوقت الذي تتلاشى فيه اللغة ذات المستوى الأدنى.

وهذا يمكن أن يحدث إلى لغة المجتمعات بأكملها، كما هو حال اللغة الغيلية .ولكن يمكن رؤية هذه العملية أيضاً في كلام المهاجرين الذين ينتقلون إلى بلد جديد، وينسون لغتهم الأصلية، ولا يحتفظون في النهاية سوى بالقليل من المفردات. فمثلاً أرادت طفلة انتقلت عائلتها من إسرائيل إلى أميركا أن تتكلم مثل صديقاتها. كانت تستطيع أن تتكلم اللغتين الإنجليزية والعبرية، ولكنها كانت تتحول أكثر فأكثر إلى اللغة الإنجليزية (Myers-Scotton 1998). في نهاية المطاف، لم يبق في كلامها سوى عددٍ قليلٍ من المفردات العبرية، المُدرَجة في إطار إنجليزي:

I'm <u>Menageving</u> Mself. I Want to <u>Inagev</u> Myself.

أنا أجفف نفسي. أريد أن أجفف نفسي. (حيث استخدمت كل الكلمات باللغة الإنجليزية باستثناء كلمة أجفف بشكليها *Menageving* و*Inagev*).

إذن، إن زوال اللغة هو أقصى أشكال تغير اللغة، ولكنه في النهاية لا يستند إلى أي عيب في اللغة المُضمحِلة، ولكن إلى هيبة اللغة «المسيطرة». قد ينتهي الأمر بالمتحدثين بلغةٍ ما إلى أن يتحدثوا بلغة مختلفة عن لغة آبائهم، ولكن سوف يكون لهذه اللغة الغَلَبة لأنها مرموقة وذات اعتبار، وليس لأن لغتهم الأصلية مَعيبة (بها قصور) بأي شكل من الأشكال.

لتلخيص ما سبق، يمكن أن نقول أن تغير اللغة أمر لا مفر منه. فهو يحدث جزئياً على المستوى السطحي، والاجتماعي لأن الناس (يريدون) أن يبدوا كلامهم مثل أولئك الذين يكنون لهم الإعجاب، وأن يحققوا حاجات ثقافية لديهم، مثل قواعد الأدب والكياسة في الكلام. ولكن على الرغم من أن الرغبات الاجتماعية

والاحتياجات الثقافية قد تجر إلى التغيير، فإن التغييرات التي أثارتها هذه العوامل على استعداد لأن تحدث على مستوى أعمق. ومن المحتمل أن تحدث فقط تغييرات معينة.

قد تخُل التغييرات بشكل سطحي بتوازن اللغة. ولكن في النهاية سوف تضبط اللغة نماذجها بنفسها. وهي تشبه بذلك جهاز الترموستات المنظم للحرارة، الذي يعدل نفسه بنفسه. إذ إن اللغة لا تنهار على الإطلاق إذا ما استخدمت بشكل مستمر. وإن فقدان اللغة ينجم عن رغبة المتكلمين بذلك، عندما يصلون إلى مرحلةٍ يفقدون فيها الرغبة في التحدث بلغتهم.

جميع البشر يتكلمون بلغة ما. إذ لم يتم العثور على أي ثقافة إنسانية بدون لغة. وإن صعود وسقوط لغاتٍ معينة يرجع إلى صعود وسقوط هيبة ومقام أولئك الذين يتحدثون بهذه اللغات. والقلق الحالي في عصرنا هو أن اللغات التي سترغب الأجيال القادمة بالتكلم بها سوف تتضاءل كثيراً وبشكل ملحوظ.

قراءات إضافية:

Aitchison, J. (2001) *Language Change: Progress or Decay*?, 3rd edn, Cambridge: Cambridge University Press.

Campbell, L. (1998) *Historical Linguistics*, Edinburgh:

Edinburgh University Press.

Crowley, T. (1997) *An Introduction to Historical Linguistics*,

3rd edn, Oxford: Oxford University Press.

McMahon, A. (1994) *Understanding Language Change*,

Cambridge: Cambridge University Press.

Trask, R. L. (1996) *Historical Linguistics*, London: Arnold.

الفصل الثامن

ثورات تشومسكي

(رافاييل سالكي)

الأساطير

اسم نعوم تشومسكي هو واحد من أفضل الأسماء المعروفة في علم اللغة الحديث. وهو أيضاً واحد من أكثر الذين يساء فهمهم. للوصول إلى فهم عميق لعمل تشومسكي، من المهم جداً تجريده من الأساطير والأوهام التي تحيط به والتركيز على المسائل الجوهرية التي يحاول معالجتها.

إحدى الأساطير العديدة المحيطة بتشومسكي هو الاعتقاد بأن مقاربته لدراسة اللغة كان لها تأثير هائل: ويقال أنه قد تم الاقتباس منه في الأوراق البحثية أكثر من أي شخص حي آخر. والواقع هو أنه أجريت نسبة قليلة من البحوث في اللغة في إطار أعمال تشومسكي: فهناك أبحاث لغوية أكثر بكثير من أبحاثه وهي مختصة بالنظر إلى الجوانب الاجتماعية للغة، وإلى تاريخ اللغات، وكيفية تعلم وتعليم اللغات، وكيفية استخدام أجهزة الكمبيوتر لمعالجة اللغة، وغيرها من الجوانب التي كان تأثير تشومسكي فيها متواضعاً لا يُذكَر. أما بالنسبة للاقتباسات من عمل تشومسكي، فإن الإحصاءات الأولية لا تخبرنا كم من الناس الذين يشيرون إليه في أبحاثهم يفهمونه في الواقع وبشكل صحيح. وأما بالنسبة لأولئك الذين يقتبسون منه، فإن أغلبية الاستشهادات هي على الأرجح عدائية أو مُزدَرِية. تشومسكي نفسُه

يقول أن عمله كان دائماً موضوع اهتمام الأقلية في المجال، علماً أن هذا ليس تواضعاً منه وإنما هو الحقيقة بعينها.

هناك أسطورةٌ أخرى وهي أن علم اللغويات عند تشومسكي كان له علاقة نوعاً ما بنشاطه السياسي. فتشومسكي مشهور كناقد يساري للسياسة الخارجية الأميركية: فلقد شجب الغزو الأميركي على الهند الصينية في الستينات، ولاحقاً بعد ثلاثة عقود، انتقد بشدة الهجوم الذي شنَّته الولايات المتحدة على يوغوسلافيا في العام 1999. في الحالتين على حد سواء – وفي كثير من الحالات الأخرى في ما بينهما – كان تشومسكي يحاول أن يُقنعنا بقوة بأن الأسباب التي تدَّعي بها (الولايات) المتحدة الأميركية لتبرير العمل العسكري هي سلسلة أكاذيب ونفاق. وكانت حججه تتضمن في بعض الأحيان فضح الاستخدام المُضلِّل لعبارات مثل «الإرهاب» أو «عملية السلام» من قبل خصومه السياسيين. يبدو هذا كتحليلٍ لغوي، ولكن ليس هناك

من رابط قوي بين هذا النوع من المعاينة الناقدة للغة وبين العمل الاختصاصي العالي التخصص الذي اضطلع به تشومسكي في علم اللغة. كان تشومسكي دائماً حذراً بشأن مسألة الروابط بين علم اللغة عنده وبين سياسته: فهو أبداً لم يطرح هذه المسألة بنفسه، وعندما يُسأل – وهو غالباً ما يُسأَل - عن هذين الجانبين من عمله، يقيد نفسه عادةً بمسائل عامة عن طبيعة الإنسان. في بعض الأحيان يقوم بما يصفه هو بنفسه على أنه تصويبات مبتذلة تافهة لرفضه المتعنت لقبول الادعاءات غير المُدَعَّمة بالأدلة، سواءً أكانت من السياسيين أو من العلماء. إن كتابات تشومسكي في السياسية تستحق فعلاً القراءة، ولكن ليس من الضروري أن تدرسها إذا كنت تحاول أن تفهم ما لديه ليقوله عن اللغة.

الأسطورة الثالثة لها علاقةبـ «أداة اكتساب اللغة» (Language Acquisition Device): يُفترض أن تشومسكي يعتقد أن لدينا جميعاً هكذا أداة (مختصرة بشكل أبسط بأوائل أحرف كلماتها LAD)في دماغنا، ويعتقد أننا نستخدام هذه الأداة عندما نتعلم لغتنا الأولى كأطفال. وأود أن أُتْبع هذا الكلام بالقول أن تشومسكي يبحث في كيفية تعلم الأطفال لتكلم اللغة وفهمها، وأنه يدعم نظريته حول «أداة اكتساب اللغة» على أساس هذا البحث. ولذلك فإنه لمن المُفاجئ أن نجد أن

تشومسكي لم يقم في حياته بأي بحث من هذا القبيل. هو لم يستخدم عبارة «أداة اكتساب اللغة» على مدى سنوات عدة (ويرجع ذلك جزئياً إلى أن الناس أساؤوا فهمها بشكل مستمر)، وعندما (استخدم) هذا المصطلح لم يكن يريد أن يُوحي بفكرة أن لدينا نوعٌ من آلة في أدمغتنا نتعلم اللغات من خلالها. وبهذا سيكون كلامنا أكثر دقةً إذا قلنا أن تشومسكي كان يقترح بعض التحليلات المجردة للعقل البشري.

الفلسفة يُطلق على الأشخاص الذين يناقشون العقل البشري بطريقة مجردة اسم الفلاسفة: في الواقع، وصف عالمُ لغةٍ رائدٍ تشومسكي مرةً بأنه «فيلسوف القرون الوسطى الحديث» وهو وصف مثير للاهتمام لسببين. **أولاً**، يعطي مثلاً عن العداء – وغالباً ما يصل إلى الإساءة الشخصية التي تسبب بها عمل تشومسكي على نحو منتظم. **ثانياً**، على الرغم من أن المقصود بها هو الانتقاد، لن يأخذ بها تشومسكي على هذا النحو: على الأرجح سيقبل الوصف على أنه دقيق أساساً، شريطة أن يفهم على الأصح «الفلسفة» بشكل مختلف عن فهم الشخص الذي يتهمه لها. بالنسبة لتشومسكي، إن دراسة اللغة جديرة جداً بالاهتمام لأنها تمكننا من تسليط الضوء على بعض الأسئلة الأساسية في الفلسفة .وإن الطريقة الجيدة لمقاربة علم اللغة عنده هو البدء بالأسئلة التالية:

أولًا، (إذاً)، كيف يقارب تشومسكي الفلسفة؟ عندما يتحدث تشومسكي عن «الفلسفة»، يعني شيئاً مختلفاً عما يوجد في أذهان معظم الناس. بتعبير أكثر دقةً، لديه موقف مختلف تجاه الأسئلة التي يعالجها الفلاسفة. فالسؤال الذي تتمركز حوله الفلسفة هو ما إذا كان هناك أشياء يمكننا أن نعرفها على وجه اليقين، وإذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن لهذه الأشياء أن تختلف عن الأشياء التي نحن أقل تأكداً منها وعن الأشياء الأخرى التي لا نعرف شيئاً عنها (انظر روسيل (Russell 1948)، للاطلاع على مناقشة راقية لهذه المسألة). إذا تم التعبير عن السؤال بهذا الشكل، فإنه يبدو مجرداً وعلى الأرجح لا يعني شيئاً لمعظم الناس: إذ من المنطقي أن نسأل عن الفرق الذي قد يحدثه الجواب على هذا السؤال في حياتنا اليومية. أحد أسباب ذلك هو أن الفلاسفة غالباً ما يتحدثون على مستوى عالٍ من العمومية بدلاً من تدارس العالم بالتفصيل. وبعبارةٍ أخرى، ينخرطون في الفلسفة مفضلين ذلك على النشاط الذي حدث أن سميناه مسبقاً «العلوم».

يرفض تشومسكي هذا التمييز بين الفلسفة والعلوم، ويعتبره مضراً وحديث النشأة. ويشير إلى أنه، في العصور الوسطى، كانت العلوم والفلسفة جزءاً من مبادرةٍ لفهم العالم نفسه: كان العلم هو الجانب الذي استخدم الملاحظة والقياس، في حين كانت الفلسفة هي الجانب الذي اهتم بطرح الأسئلة الصحيحة، والطرق الفضلى المُتبعة للإجابة عليها، وما يمكن أن تخبرنا هذه الإجابات عنه بصورة أوسع (انظر Chomsky 1988, p. 2 and 1996, pp. 31-54). بشكل حاسم، حاولت العلوم والفلسفة أن تكون متسقةً مع بعضها البعض: إذا كانت المبادئ العامة قد أشارت إلى أن بعض نواحي الاستفسارات ستكون مثمرة، فإن الاستفهام عنها سينطلق وفقاً لهذه المبادئ. وإذا كانت بعض الملاحظات تلقي ظلالاً من الشك على المبادئ العامة، فإنه يجب إعادة النظر في هذه المبادئ.

إذا كانت العلوم والفلسفة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، فإن السؤال الفلسفي عما يمكننا أن نعرفه على وجه اليقين يأخذ بعداً جديداً. العلوم هي بمجملها معرفةٌ موثوقة: لهذا السبب يقوم العلماء بملاحظات دقيقة، ويديرون تجارب مُوجَهة ومخططة يمكن تكرارها من قبل باحثين آخرين، ويكونون حذرين في عدم تعميم النتائج التي توصلوا إليها إلى خارج نطاقاتٍ محدودة، وبشكلٍ عام يتصرفون كعلماء بدلاً من تصديق الأحاسيس، والخرافات أو الأحكام المسبقة. إذا كان أفضل العلماء الموجودين متفقين حول الوقائع، فإن الإنسان العقلاني سوف يتخذ ذلك نقطةً للانطلاق الأكثر ثباتاً نحو المزيد من البحث. وإن أي إنسان يريد أن يفكر بمسألة معارف معينة سيلحظ تلك المجالات التي حققت أكبر قدر من التقدم، وسيحاول استخدام أساليب ومبادئ مماثلة في مجالات أخرى من البحث.

اللغويات كعلم

إن السؤال المحدد لأي شخص يشارك في النقاش حول اللغويات هو كيف يمكننا تحقيق المعرفة الأكثر حتميةً عن اللغة. فعلماء اللغة قبل تشومسكي صاغوا نظرياتهم على غرار نماذج علم الأحياء. خلال القرن التاسع عشر، حقق كلٌ من علم الأحياء وعلم اللغة خطوات سريعة هائلة –ومماثلة – على حد سواء. فمثلاً سافر عالم الأحياء تشارلز داروين إلى أماكن بعيدة من العالم، وجمع عيناتٍ عديدة من النباتات والحيوانات، وعاينها عن كثب من أجل أن يلاحظ نقاط الاختلاف

والتشابه بينها، وطرح الفرضية الجريئة والمثيرة للجدل والتي تنص على أن العديد منها ينحدر من أصل مشترك. أدرجت فرضية داروين تفسيراً جديداً لكيفية التطور التدريجي للأنواع المختلفة: ونعني به نظرية الانتقاء الطبيعي.

تقريباً في نفس الوقت، جمع علماء اللغة بياناتٍ حول اللغات المحكية في أنحاء عدة من العالم، واختبروها عن كثب من أجل تدارس نقاط الاختلاف والتشابه بينها، وطرحوا الفرضية الجريئة التي تنص على أن العديد من هذه اللغات مشتق من أصل مشترك يسمى اللغة الهندو- أوروبية. (فيما بعد، اقتُرِحَت أصول مشتركة مماثلة للعديد من لغات أفريقيا وأميركا). وكانت الفرضية جريئة لأنه لم يكن (توجد) أي سجلات مكتوبة عن اللغة الهندو- أوروبية، ولم يكن يوجد أي دليل أثري أو تاريخي عن الشعب الذي كان يتكلم هذه اللغة. لقد استندت هذه الفرضية على مفاهيم معينة حول كيفية التطور التدريجي للغات، تماماً مثل نظرية الانتقاء الطبيعي في علم الأحياء.

وحينما بدأ تشومسكي بدراسة علم اللغة، كان هذا المجال أقل اهتماماً بتاريخ اللغات ويركز أكثر على دراسة اللغات بأمانة من أجل تمييز أوجه الشبه والاختلاف. وكان تقسيم اللغات إلى مجموعات أصلية تاريخية مثل اللغات الهندو-أوروبية أمراً مُسَلَّماً به، ولكن تم تخصيص المزيد من الاهتمام بالتصنيفات القائمة على أساس خصائص اللغات، ولا سيما الصوتية (الأصوات، انظر علم الأصوات) والصرفية (بناء الكلمة، انظر علم المورفولوجيا). تماماً كما قضى علماء الأحياء وقتاً كثيراً لفهرسة النباتات والحيوانات، اعتبر اللغويون أيضاً أن مجال عملهم يشتمل وبصورة رئيسية على فهرسة لغات العالم. وتم تطوير تقنياتٍ لجمع البيانات الموثوقة حول مجموعة كبيرة من اللغات. كان هذا إنجازاً فكرياً معقداً وهائلاً، وهو إنجاز يُستهان به أحياناً وبدون مبرر في تاريخ اللغويات.

ولكن كان تشومسكي مقتنعاً بأن علم الأحياء كان النموذج الخاطئ لعلم اللغويات. وكان يعتقد أن الفيزياء هو العلم الذي حقق أفضل النتائج، وصمم على تجريب طرق علم الفيزياء، بدلًا من علم الأحياء، في دراسة اللغة. ما يُكْبِرُهُ تشومسكي في علم الفيزياء هو اتساعه وعمقه. إن نظريات غاليليو ونيوتن مثلاً واسعة جداً بحيث يمكن تطبيقها على الكائنات الصغيرة، وعلى الكواكب والنجوم على حد سواء. وإن عمق نظرياتهم يأتي من نوع خاص من التفكير المجرد. تتحرك

الكائنات على الأرض على طول خطوط مستقيمة تقريباً، أما حركة الكواكب فهي دائرية تقريباً. بالاستناد إلى عمل غاليليو، اقترح نيوتن وجود قوة خفية سماها الجاذبية وهي تجري في خطوط مستقيمة كلياً - على عكس ما نراه في الطبيعة. وبيَّن نيوتن أن بعض الفرضيات الرياضية حول الجاذبية يمكن أن تفسر الحركة التي نشهدها في الواقع من حولنا. وكان تفسيرها يتطلب إطاراً معقداً من الافتراضات والبراهين، كما كان هناك بعض الأمور التي فشلت الفرضيات في شرحها، ولكنها في داخل هذا الإطار ذاته نجحت في تفسير العديد من الأمور.

فيما يلي نورد وصف تشومسكي للطرق المستخدمة في الفيزياء:

إن «أسلوب غاليليو» في الفيزياء هو «بناء نماذج رياضية مجردة للكون يمنحها علماء الفيزياء على الأقل درجة عاليةً من الواقعية أكثر مما يعطون لعالم الإحساس الاعتيادي»... ليس لدينا أي بديل حالي عن اتباع «أسلوب غاليليو» في العلوم الطبيعية على الأقل.

قد يجادل البعض... أننا ما زلنا نستطيع القيام بما هو أفضل من ذلك في «العلوم الإنسانية» من خلال انتهاج مسار مختلف. أنا لا أقصد أن أنتقص من هذه الإمكانيات. ومن غير المستبعد مثلاً أن الأدب سوف يقدم دائماً في ما يسمى أحياناً «الشخص الإنساني الكامل» تبصراً أعمق بكثير مما يمكن أن تأمل بالوصول إليه أي طريقة أخرى للبحث العلمي. ولكنني مهتم هنا بمسألةٍ مختلفة: إلى أي مدى وبأي طرق يمكن أن يؤدي البحث في موضوع مثل «أسلوب غاليليو» إلى تبصرٍ وفهمٍ لجذور الطبيعة البشرية في المجال المعرفي؟ هل يمكننا أن نتأمل بأن نتجاوز السطحية من خلال استعدادنا للاضطلاع ربما بعرض هذا الأمر بطريقة مثالية وواسعة النطاق وكذلك ببناء نماذج مجردة تُعطى أهميةً أكبر من عالم الإحساس الاعتيادي، وبالتوازي مع ذلك، من خلال استعدادنا لتقبل الظواهر غير المُفسرة أو حتى الدلائل المعاكسة غير المُفَسرة حتى الآن للبنيات النظرية التي حققت درجةً معينة من الكفاءة التفسيرية في مجال محدود، بالقدر الذي لم يتخلَّ فيه غاليليو عن مشروعه لأنه لم يتمكن من إعطاء تفسير مترابط منطقياً لحقيقة أن الأشياء لا تطير عن سطح الأرض.

(Chomsky 1980, pp. 8-10)

ولذلك اقترح تشومسكي استخدام طرق الفيزياء بدلاً من طرق علوم الحياة في مقاربته للغة: فقد كان يهدف إلى بناء نظريات مجردة قد تفسر فقط جزءاً من البيانات بدلاً من محاولتها تصنيف الظواهر التي يمكن ملاحظتها على وجه الحصر. ولكن إلى حد الآن رأينا فقط كيف أن أساليبه كانت مستوحاةً من الفيزياء. ولكن ماذا عن أسئلته حول اللغة: ومن أين أتت هذه الأسئلة؟

معرفة اللغة

هنا، نحن بحاجة إلى العودة إلى سؤالنا الفلسفي فيما يخص بعض المعارف ولكن من زاوية مختلفة. إن من يستطيع أن يتكلم لغةً ما لا بد أن لديه «معرفة معينة» من نوع خاص. فمثلًا، أيما شخص يتقن اللغة الإنجليزية يعلم أن المثال (**1**) هو جملة إنجليزية مقبولة:

(1) One Day Even the State of Mississippi, a State Sweltering with the Heat of Injustice, Swelteringwith the Heat of Oppression, will be Transformed into an Oasis of Freedom and Justice.

أي:

(1) في يوم من الأيام حتى ولاية ميسيسيبي، وهي ولاية تعاني من شدة حرارة الظلم، ومن شدة حرارة القمع، ستتحول إلى واحةٍ للحرية والعدالة.

إن المتحدثين باللغة الإنجليزية يعلمون أيضاً أن الجملة (2) ليست جملةً إنجليزية ممكنة:

(**2**) Justice and Freedom of Oasis an into Transformed be will, Oppression of Heat the with Sweltering, Injustice of Heat the with Sweltering State a, Mississippi of State the Even Day One.

أي: (**2**) العدل والحرية للواحة إلى تتحول تكون سوف، قمع حرارة مع شدة، ظلم الحرارة مع شدة دولة، ميسيسيبي الدولة حتى يوم واحد.

إن إدراك شخصٍ ما بأن الجملة (**1**) هي جزء من خطاب مارتن لوثر كينغ «لديَّ حلم» تعود إلى خبرته الفردية الخاصة، ولكن لن يَشُكَّ أي متحدث لهذه

اللغة بأن هذه الجملة **(1)** هي جملة إنجليزية مؤلفة بشكل صحيح في حين لا ينطبق ذلك على الجملة رقم **(2)**. من أين يأتي هذا التأكد؟ يعطينا تشومسكي جواباً واضحاً، وهو أن المتحدث باللغة الإنجليزية لديه «نظام من المعرفة» في عقله/عقلها، وإن هذا النظام المعرفي الذي يكوِّن «اللغة الإنجليزية» هو المعنى الوحيد المفهوم لذلك المصطلح.

يجدر بنا تفصيل هذه النقطة قليلاً، ليس فقط لأنها أساسية في نهج تشومسكي بأكمله، بل ولكن أيضاً لأنها غالباً ما كانت تُهاجَم بشدة. يُعَرِف أحد القواميس اللغة الإنجليزية على النحو التالي:

هي اللغة الرسمية لبريطانيا والولايات المتحدة، ولمعظم أجزاء الكومُنولث وبعض البلدان الأخرى... وهي اللغة الأم لأكثر من 280 مليون شخص... هي لغة هندو–أوروبية تنتمي إلى فرع اللغة الجرمانية الغربية. (Collins 1994, p. 516).

إن هذا التعريف هو مفهوم جغرافي للغة الإنجليزية، وهو دقيق بالقدر الذي يمكن أن يصل إليه، ولكنه لا يصل إلى لب موضوع اللغة. إذا كان هناك شخصان فقط يتحدثان اللغة الإنجليزية ويعيشان على جزيرة صحراوية في مكان ما، فستكون اللغة التي نتحدث عنها هي نفسها، ولكن ما الذي يجعلها كذلك؟ لا بد أن الجواب هو ذلك الذي أعطاه تشومسكي: وهو أن نظام المعرفة في العقول هو الذي يُعَرِّف اللغة الإنجليزية. أما جغرافية اللغة فهي قضية ثانوية.

في مقطع شهير كتبه في العام 1965، أعرب تشومسكي عن موقفه على هذا الشكل:

إن النظرية اللغوية تهتم في المقام الأول بموضوع المتكلم– المستمع المثالي، في مجتمعٍ كلامُه متجانسٌ بالكامل، يعرف لغتَه حق المعرفة، ولا يتأثر بالظروف التي لا علاقة لها بقواعد اللغة، كتحديات الذاكرة، والشرود، والتحولات في الانتباه والاهتمام والأخطاء (سواءً أكانت عشوائية أو خصوصية) في تطبيق معرفته باللغة خلال الأداء الفعلي. . .

وبالتالي فإنا نقوم بتمييز أساسي بين (المقدرة أو) الأهلية (معرفة المتكلم–المستمع بلغته) والأداء (الاستخدام الفعلي للغة في حالاتٍ واقعية). (Chomsky 1965, p. 3).

ولقد هاجم معارضو تشومسكي مقولته على أساس أن الأداء ملموس، قابل للملاحظة والقياس، في حين أن المعرفة لا يمكن ملاحظتها مباشرةً. إذ لا يمكنك أن تفتح دماغ شخص ما لاكتشاف «المعرفة اللغوية». ولذلك يدعي النقاد أن المعرفة اللغوية مُبْهَمَة وتجريدية غيبية، بينما السلوك اللغوي ملموس وواقعي: ويتساءلون كيف أنه يمكن للدراسة العلمية للغة أن تستند إلى هذا الأساس المتزعزع؟

أتى ردُّ تشومسكي على هذه الاعتراضات في جزأين، أحدهما عملي والآخر فلسفي. أولاً، يجادل تشومسكي بأن مثالياته وتجريداته المنصوص عليها في بيانه الذي أصدره في العام 1965 تصف ببساطة ما يفعله كل اللغويين. لدي على رف مكتبتي كتاب تعريفي عن لغة إقليم ويلز، وليس الغرض منه أن يكون تشومسكياً بأي معنى. إذ يسرد الكتاب مختلف القواعد التي يُزعَم بأنها جزء من قواعد تلك اللغة. إذا كان لي أن أقوم بتسجيلٍ صوتيٍ للكلام الويلزي المحكي العفوي، لكنت بالتأكيد وجدت «تحولاتٍ في الانتباه والاهتمام والأخطاء» على شريط التسجيل. ولكن من الواضح أنه من السُخْفِ أن أتوقع أن يتحدث كتابي هذا عن مثل هذه الأمور. إن اللغة الويلزية المثالية التي تم وصفها في الكتاب هي تجسيد مثالي لما يحدث في الواقع: فهو يصف المعلومات الموجودة لدى المتحدثين بالويلزية عن لغتهم، ولا يصف الخصوصيات الفردية للمتكلمين.

الجزء الفلسفي الآخر من رد تشومسكي كان حول المنهج العلمي. إذا كان لنا أن نستكشف جهازاً فيزيائياً، نتوقع بأنه سيكون للخصائص الداخلية في الجهاز صلة بسلوكه: في الحقيقة، من الغباء أن نعتقد خلاف ذلك. إن محرك السيارة يعمل بالطريقة التي نعرفها لأنه مصنوع من معدن بالدرجة الأولى: فلو كان مصنوعاً من الشوكولاته لكان عمل بشكل مختلف. يحاول تشومسكي أن يبرهن أن علينا أن نتخذ الموقف نفسه تجاه الظواهر العقلية. من المفترض أن أنماط السلوك العادية التي نجدها في الأداء اللغوي لا تأتي من الفراغ: فهي تعكس نظم المعرفة الموجودة في عقول الناطقين بلغة ما. عندما نصف لغةً ما فإننا بذلك نصف جزءاً من عقول هؤلاء المتكلمين.

يعزو تشومسكي التحول في التفكير في الخمسينات فيما يخص اللغة – والذي كان مسؤولًا عنه إلى حد كبير – إلى «الثورة المعرفية». بدلًا من اعتبار اللغة مجموعةً من الأصوات والرموز التي تصدر عن مجموعة من الناس محددةٍ جغرافياً، يجادل

تشومسكي بأن اللغة هي نظام من المعارف موجود – عند الحد –في ذهن متحدثٍ واحد. ولا يمكن ملاحظة نظام المعرفة مباشرةً، ولكنه بذلك الاعتبار يشبه الجزء الداخلي للشمس، الذي لا يمكن الوصول إليه أيضاً لأسباب عملية. ومع ذلك يقترح علماء الفلك نظريات حول الجزء الداخلي للشمس بناءً على ملاحظاتهم حول سلوك الشمس؛ ويمكن أن تفعل اللغويات الشيء نفسه فيما يخص ما هو موجود داخل عقولنا. من المحتمل أن يكون للمعرفة اللغوية ارتباط جسدي: إذ يجب تخزينها في دماغنا بشكل محسوس، تماماً مثل أي معرفة أخرى. يمكن أن يستطيع علماء الدماغ يوماً ما تعيين نوع الروابط الجسدية للمعرفة اللغوية: في نفس الوقت، يستطيع علماء اللغة اقتراح نظريات حول بنية هذه المعرفة، ويمكن التحقق من هذه النظريات إلى مدىً أبعد من ذلك من قبل علماء الدماغ (انظر جاكندوف (Jackendoff)، في هذا الكتاب).

من المعرفة اللغوية إلى المَلَكة اللغوية

إذا افترضنا وجود نظام معرفي، هناك أربعة أسئلة أساسية يمكن للمرء أن يسأل عنها:

1. ما هو هذا النظام المعرفي؟

2. كيف يحدث أن يكون هذا النظام في عقل شخصٍ ما؟

3. كيف يتم تخزينه جسدياً في الدماغ؟

4. كيف يتم استخدامه سلوكياً؟

بهدف دراسة اللغة، يمكن أن نضع جانباً السؤال 3، والذي، كما رأينا للتو، هو أمر يختص به الباحثون في الدماغ، وكذلك السؤال 4، والذي يعتبر تشومسكي أنه يمكن أن نعرف القليل عن أي نتيجةٍ لمعالجته، على الرغم من أهميته الجوهرية. يمكن الإجابة على السؤال الأول من خلال اقتراح قواعد نحوية للغة معينة – وبشكل أكثر تحديداً، من خلال اقتراح نحوٍ توليدي. إن مصطلح «توليدي» له معنيان: أولهما أنه «صريح وشامل، ولا يعتمد على المعرفة اللغوية للعالِم الذي يكتبه أو يقرؤه». في المقام الثاني، لمصطلح «توليدي» معنىً رياضي أيضاً: فهو

يشير إلى منظومة منهجية تستطيع بناء مجموعة لا حصر لها من البنيات وذلك باستخدام وسائل محدودة. يمكن أن تشمل معرفتنا اللغوية عدداً لا حصر (لها) من الجمل التي لم نستخدمها أو نسمع بها في معظمها قبل ذلك في حياتنا. قد لا تكون الكلمات الواردة في الجمل جديدةً، ولكن طريقة تركيب الكلمات جديدة في كثير من الأحيان. لا يوجد حدٌّ لعدد الجمل الإنجليزية، وبالتالي يجب أن يكون النظام المعرفي قادراً على بناء مجموعة لامحدودة من البنيات: في الوقت نفسه، إن دماغنا (محدود) في الحجم، ولذلك فإن هذا النظام يجب أن يكون محدوداً.

أما الجواب على السؤال الثاني فهو يأتي في عدة أقسام. إذا كان لشخص ما بعضٌ من المعارف في عقله، فمن المنطقي أن يكون للمعرفة على وجه الإمكان إحدى المصادر الثلاثة التالية:

1. قد تكون موجودةً في الدماغ عند الولادة – وبعبارة أخرى، قد تنتقل إلينا عبر جيناتنا.

2. قد تنمو في الدماغ عندما ينمو الإنسان، تماماً كنمو الأسنان. فنحن نولَدُ بدون أسنان، ولكن إذا وضعنا الحالات المرضية جانباً، فإن جيناتنا تحدد لنا أنه ستنمو عندنا مجموعةٌ أولى ناقصة ومجموعةٌ ثانية كاملة من الأسنان في أعمار معينة من حياتنا. بنفس الطريقة، قد لا يكون لنا معرفة لغوية في أذهاننا عند الولادة، ولكن قد تساعدنا جيناتنا على تطوير هذه المعرفة في سن معينة، بغض النظر عن التجربة التي يمكن أن نمر بها.

3. يمكن تعلُم هذه المعرفة من خلال التجربة.

من الواضح أن تَعلُمَ كلماتِ لغةٍ معينة يأتي من الخبرة: لا يمكن لأحدٍ منا أن يدعي أبداً أن مفردات اللغة الإنجليزية أو أي لغة أخرى يتم برمجتها في جيناتنا عند الولادة. ومع ذلك، قد يحدث أن تنتقل أجزاء من بنية اللغات وراثياً. إن تحديد ما إذا كان ذلك هو ما يحدث فعلياً أم لا هو مسألة تحتاج إلى بحث تجريبي.

إذا كانت أجزاءٌ من معرفتنا اللغوية وراثيةً، فإن هذه الأجزاء يجب أن تكون عالمية: أي يجب أن تنطبق على جميع اللغات البشرية. ويأتي ذلك من حقيقة أنه يبدو أننا لسنا مُعَدين مسبقاً لتعلم أي لغة إنسانية معينة عن طريق الوراثة: فالطفل

نفسه يكتسب اللغة الإنجليزية إذا كان محاطاً بمعلومات ومدخلات عن هذه اللغة، أو أي لغة أخرى إذا كانت المدخلات المرتبطة بها متاحةً له. ولذلك فإن تشومسكي يعزو هذه الأجزاء من معرفتنا اللغوية – على افتراض وجودها – إلى ما يسميه قواعد النحو العالمية أو الشاملة (Universal Grammar) (UG) (انظر جاكندوف -Jack endoff، في هذا الكتاب).

هل هناك أي أسباب للاعتقاد بأن أجزاءً من معرفتنا اللغوية هي وراثية، بدلاً من أن يكون ذلك في الواقع مسألة منطق؟ يحاول تشومسكي أن يبرهن أن هناك عدة أسباب. السبب الأول هو أن اكتساب اللغة من قِبَل الصغار يحدث ضمن أعمار معينة، ويتبع تسلسلاً منتظماً. ويتم عادةً تعلُّم جمل وقواعد معينة قبل أخرى، مع اختلاف بين الأفراد ولكن فقط على نطاق محدود. في هذا الصدد، إن اكتساب لغةٍ ما يشبه تعلم المشي: بصرف النظر عن ذوي الاعاقات العقلية أو البدنية، جميع الصغار يتعلمون المشي في سن معينة وبتسلسل تدريجي معين، ولكن فقط مع اختلاف طفيف بينهم. نحن نفترض عادةً أن تعلم المشي هو محدد وراثياً، ومن المعقول أن نستنتج أن تطور اللغة هو كذلك أيضاً.

الحجة الثانية هي أن كل اللغات لها سمات مشتركة. مثال بسيط على ذلك هو أنه يبدو لنا أن كل اللغات تُميز بين (الأصوات الصائتة) (والأصوات الصامتة)، وفي كل لغة تم استقصاؤها حتى الآن من الممكن أن نميز نحوياً بين الأسماء والأفعال. هناك لغات «غير نموذجية» لاعتبارات متعددة: فمثلًا، يوجد في اللغة الإنجليزية مخزونٌ كبيرٌ جداً من (الأصوات الصائتة) (تقريباً عشرون) بالمقارنة مع معظم اللغات. ولكن لا توجد لغات معروفة تختلف جزافاً عن كل اللغات الأخرى: إذ إن كل (الأصوات الصائتة في) الإنجليزية تَردُ أيضاً في العديد من اللغات الأخرى، أما فيما يتعلق بالاعتبارات (الأخرى) فلا توجد لغات «فريدة». إن الادعاء بما هو عكس ذلك لا يقف في وجه الاستقصاء: فمثلاً، يُعتبر الاعتقاد الذي ما زال شائعاً بأن لغة بلاد الباسك تختلف في قواعدها عن أي لغة أخرى في العالم غير صحيح. فاللغات تختلف بطبيعة الحال، ولكن ليس بشكل غير محدود. عندما نتعلم لغة جديدة، نكتشف مباشرةً اختلافاتٍ واضحة بينها وبين لغتنا؛ ولكن من وجهة نظر علمية منفصلة من الممكن المحاججة بأن ما هو أكثر أهميةً من ذلك هو أوجه التشابه بين اللغات.

الحجة الثالثة تستند إلى العمل فيما يخص النحو التوليدي. يرى تشومسكي أن البحث في لغاتٍ معينة (هناك قواعد ومبادىء) تذهب إلى ما هو أبعد من الأدلة المتاحة للصغار الذين يكتسبون اللغة. ليس من السهل أن يعمم الصغار ما يتجاوز الأدلة الموجودة أمامهم، مثال على ذلك هو إضافة النهايات التي تدل على الجمع إلى الأسماء التي سمعوا بها في حياتهم فقط في صيغة المفرد. إن تصويب تشومسكي هو أنه تُكْتَسب نفس القواعد والمبادئ بانتظام من قبل مختلف الناس، على الرغم من ورود حالاتٍ لا تكون فيها الأدلة متوفرةً لهم على الإطلاق. من الصعب توضيح هذه النقطة من دون أن نكون اختصاصيين للغاية، ولكن مثالاً بسيطاً قد يجعل الأمور أكثر وضوحاً (انظر (Salkie 1990, pp. 28-51)، لمناقشة أكثر تفصيلاً). لنفترض أن ولداً صغيراً سمع هذه الجملة:

(**3**) Mississippi Will be Transformed into an Oasis of Freedom and Justice.

(**3**) سوف تتحول الميسيسيبي إلى واحة من الحرية والعدالة.

استناداً إلى الجمل الأخرى التي سمعها هذا الشخص في حياته، قد يكون/ تكون قادراً/ قادرةً على تحويلها إلى سؤال مثل هذا:

(**4**) Will Mississippi be Transformed into an Oasis of Freedom and Justice?

(**4**) هل ستتحول الميسيسيبي إلى واحةٍ للحرية والعدالة؟

إذا كنا نريد وصف معرفة الولد في هذه المرحلة على شكل قاعدةٍ لتحويل جملةٍ تأكيدية إلى سؤال، قد تكون محاولتنا الأولى هي التالية:

(**5**) بدِّل أول كلمتين في الجملة، واضعاً الثانية مكان الأولى والأولى مكان الثانية. إذا كانت هذه القاعدة البسيطة، المناسبة للأمثلة (3) و(4)، هي القاعدة الصحيحة لتكوين الأسئلة في اللغة الإنجليزية، فإن الصغار الذين يكتسبون اللغة الإنجليزية سيسمعون جملاً مثل الجملة (6) وسيحاولون أن يحولوها إلى أسئلة كما في المثل (7):

(**6**) The State of Mississippi will be Transformed into an Oasis of Freedom and Justice.

(**6**) سوف تتحول ولاية الميسيسيبي إلى واحةٍ للحرية والعدالة.

(**7**) State the of Mississippi will be Transformed into an Oasis of Freedom and Justice.

(**7**) الولاية الـ للميسيسيبي سوف تتحول إلى واحةٍ للحرية والعدالة.

(تشير علامة النجمة قبل الجملة (**7**) إلى أن هذه الجملة هي نوعاً ما غير مركبة بشكل صحيح).

في الواقع، الأولاد الصغار لا يرتكبون أبداً أخطاءَ مثل تلك الواردة في الجملة (**7**). هذا يدل على أنه بدلاً من استخدام قاعدةٍ بسيطة كما في (**5**)، فإنهم يستخدمون قاعدةً أكثر تعقيداً كما في (**8**):

(**8**) بَدِّل شبه الجملة الاسمية مع الفعل المساعد الأول.

هذه قاعدةٌ تستند إلى بناء الجملة: فبدلاً من استخدام مفاهيم بسيطة مثل الكلمة الأولى والكلمة الثانية، هي تعتمد على مفاهيم بنائية أكثر تعقيداً مثل شبه الجملة الاسمية. القاعدة (**5**) غير موجودة في أي لغة، وحقيقة أن الصغار الذين يكتسبون لغةً ما لا يحاولون أبداً استخدام القاعدة (**5**) تتجاوز الدلائل المتاحة لهم. وهذا يشير إلى أن الاعتماد على بناء الجملة هو جزء من قواعد النحو العالمية الشاملة (UG).

إذا كانت هذه الحجج صحيحة، فإن قواعد النحو العالمية هي تنظيم نظري منطقي. وإن الخصائص العالمية للغة هي، كما يقول تشومسكي، ثابتة في جيناتنا ونحن لا «نتعلمها» أكثر مما نتعلم كيف تنمو الأسنان. من خلال دراسة قواعد النحو للغات معينة، يستطيع علماء اللغة الذين يتشاركون مع تشومسكي في الأهداف والأساليب استكشاف خاصية أساسية للعقل البشري، ونعني بها مَلَكة اللغة التي صاغتها نظريات النحو العالمية. يمكننا أن نرى الآن ما كان تشومسكي يشير اليه في المقطع المُقتبَس سابقاً عندما اقترح البحث عن «تبصرٍ وفهمٍ لجذور الطبيعة

الإنسانية في المجال المعرفي». إن أي ميزة عالمية للعقل الإنساني هي في تعريفها جزءٌ مما يجعلنا بشراً، وهي «طبيعتنا البشرية». وإن ميزةً هامة مثل ملكلة اللغة – ولعلها الميزة الوحيدة التي تميزنا بوضوح عن الحيوانات – هي أمر أساسي للكيان الإنساني: فهي جزء من «جذور الطبيعة البشرية». وقد يبدو الانتقال من النحو إلى جذور الطبيعة البشرية وكأنه قفزةٌ عملاقة، ولكن تشومسكي يعتبرها قفزةً مشروعة: فبالنسبة له، هذا هو بالضبط ما يجعل علم اللغويات مثيراً للاهتمام وهاماً في نفس الوقت.

عودة إلى الفلسفة

إن استخدام تشومسكي لمصطلحات مثل «الطبيعة البشرية» هو أمر بغيض بالنسبة لبعض الفلاسفة، ولا سيما أولئك الذين يعتقدون بشدة أن العقل البشري هو صفحة بيضاء فارغة عند الولادة، وأن المعرفة لا يمكن أن تنتقل من خلال جيناتنا. تُسمى وجهة النظر هذه المذهب التجريبي، وهي مرتبطة على الأخص بآراء فلاسفة مثل هيوم (Hume) ولوك (Locke). يُنكر التجريبيون أن تكون «الطبيعة البشرية» معنية بالأمر، مُدَّعين أننا نستمد جميع معارفنا وشخصيتنا من الخبرة. ولقد عارض حججهم فلاسفة آخرون مثل ديكارت (Descartes) ولايبنتز (Leibniz) الذين أبقوا على فكرة أن لدينا منذ الولادة معرفة فطرية، وهو موقف يسمى المذهب العقلاني (انظر Cottingham 1988؛ Woolhouse 1988). حتى وقتٍ قريبٍ جداً، كان للمذهب العقلاني صيت سيء: إذ كان مرتبطاً بمفاهيم غامضة خفية مثل «الحيِّز الأبدي للأفكار» في كتابات «أفلاطون». وقبل تطور علم الوراثة الحديث، كان من الصعب على العقلانيين أن يشرحوا بالضبط كيف أن المعرفة يمكن أن تنتقل إلى البشر عند ولادتهم وقبل اكتساب أي خبرة من العالم.

لا يملك تشومسكي طول الأناة تجاه المذهب التجريبي. ولا يقول عنه فقط أنه خاطئ، وإنما يصل إلى حد وصفه له بأنه الرفض المتعنت لمواجهة الواقع، وهو بذلك قريب من الانحراف العقلي أكثر مما يكون قريباً من الموقف العقلي الفكري المترابط منطقياً. ما إذا كان نموذج المعرفة فطرياً أو مكتسباً من خلال التجربة هو مسألة حقائقية: فهو مسألة يجب البحث فيها من خلال الملاحظة والتحليل، بدلاً من استبعاد إحدى الإجابات قبل البدء بعملية البحث، وهذا هو ما يفعله التجريبيون. في حالة اللغة، هناك أسباب وجيهة لافتراض وجود معرفة فطرية، كما رأينا مسبقاً،

جنباً إلى جنب مع المعرفة المُكتسبة من التجربة. بعبارةٍ أخرى، يقدم لنا تشومسكي حججاً واقعية ومبنية على الأدلة على أن المذهب التجريبي خاطئ، ولقد قام تشومسكي بتطوير برنامج للبحث العلمي القائم على أسس المذهب العقلاني. كما لاحظنا أعلاه، يرى تشومسكي الفلسفة والعلوم على أنها جزء من نفس النهج الهادف إلى فهم العالم ومكاننا فيه. إن دراسة اللغة هي أحد المجالات التي نجد فيها أن التقدم العلمي له مضامين وتأثيرات على الفلسفة وهو لصالح كليهما.

إلى أين يقودنا السؤال حول معارف معينة؟ إن منطق تشومسكي يتركنا مع مفارقة واضحة، مع العلم أن جميع العلماء يواجهونها. ويبدو أن المعرفة العلمية المبنية على الملاحظة الدقيقة للوقائع، واختيار بعض الحقائق القابلة للتحليل، وصياغة النظريات المجردة لشرح هذه الحقائق فقط، هي المعرفة الأوثق التي يمكن التوصل إليها. إن معرفةً كهذه هي محدودةٌ وجزئية؛ فضلاً عن كونها على الأرجح خاطئة، بمعنى أن البحث العلمي الجديد من المحتمل أن يأتي بنظريات مختلفة قد يكون لها تاثيرات كبيرة على الفلسفة، وستجبرنا على الشك ببعض المعتقدات التي نتمسك بها في الوقت الحالي. وهكذا فإن المعرفة العلمية هي أكثر المعارف التي يمكن التيقن بها، ولكنها في نفس الوقت وبشكل أساسي غير ثابتة وغير مؤكدة. برأي تشومسكي، هذا هو عالمنا ببساطة: بدلاً من أن يُشعِرَنا بالانزعاج والملل، يجب أن يجعلنا متحمسين دائماً لأنه ما زال هناك الكثير من الأمور التي يجب أن نتعلمها.

التطورات في علم اللغة

لم تكن حالة عدم الثبات هذه في أي موضع آخر أكثر وضوحاً، وعلى نحو قابل للجدل أكثر إنتاجيةً مما كان عليه البحث اللغوي الذي قام (به) تشومسكي ورفاقه. ننتقل الآن إلى بعضٍ من أهم التطورات، على الرغم من أنه يمكن لنا فقط وصفها هنا. في بعض الأحيان، كان يُصَنَّف العمل القديم لتشومسكي وزملائه (من منتصف الخمسينات إلى منتصف الستينات) على أنه دراسة للقواعد النحوية التحويلية (Transformational Grammar)، لأنه أَولى الكثير من الاهتمام للقواعد النحوية، المُسماة التحويلات. وهناك مثال بسيط على هذه القاعدة وهو تكوين الأسئلة التي قمنا بصياغتها في الجملة (8) كما وردت سابقاً في هذا الفصل: حيث تتناول

القاعدة جملةً تأكيدية و«تحولها» إلى سؤال وفقاً لإجراءات شكلية. في الواقع، تصور تشومسكي أن هذه التحويلات لا تنطبق على الجمل وإنما على التحليلات المجردة التي كانت تهدف إلى تمثيل بعض خصائص الجمل. وكانت تُعرف هذه التحليلات المجردة بالبنيات العميقة (Deep Structures)، وعلى الرغم من أن كلمة «عميقة» كانت تستخدم هنا بالمعنى الدقيق التخصصي، كان بعض المفسرين يفترضون بشكل خاطئ أن البنيات العميقة هي على ارتباط بالطبقات المخفية للشخصية الإنسانية، ربما على غرار العقل اللاوعي لفرويد (Freud) (انظر هاريس (Harris)، في هذا الكتاب، للاطلاع على مناقشة ناقدة للموضوع)...

إن هذا التفسير الذي قام به تشومسكي لم يكن فقط بعيداً جداً عن الهدف، وإنما حتى فكرة أن التحويلات هي محورية في عمله كانت أيضاً غير مفيدة. السبب **الأول** هو أن القواعد التحويلية ليست سوى واحدة من العديد من الوسائل الشكلية التي اقترحها علماء النحو، وليس لديها أي خصوصية. **ثانياً**، حتى علماء اللغة الذين رفضوا أو أساؤوا فهم أهداف تشومسكي (الشاملة)، غالباً ما كانوا سعداء بتبني هذه التحويلات، لأنها كانت الوسيلة الوصفية المناسبة والتي يمكن تكييفها لوضع التمارين اللغوية لمُتعلمي اللغة. ومع ذلك، حسب رأي تشومسكي، كانت القواعد التحويلية جزءاً من تركيبات شكلية يعتزم استخدامها في قواعد النحو التوليدية للغات الفردية وفي فرضياته حول طبيعة قواعد النحو العالمية، والتي هي نهجٌ مختلف تماماً. هذا يقودنا إلى السبب الثالث لعدم اعتبار التحويلات حيويةً: منذ منتصف الستينات، كرَّس تشومسكي وزملاؤه جهداً كبيراً من أجل الحدِّ من قوة ونطاق التحويلات. وإن نظرةً إلى سبب اعتبار تفكير تشومسكي ضرورياً يجعل عمله متمركزاً بشكل أوضح.

إذا كانت قواعد النحو العالمية للغة تلعب دوراً في اكتساب اللغة الأولى، فإن القواعد الفعالة مثل التحويلات ليست من النوع الذي يجب البحث عنه. فالصغار يكتسبون لغتهم الأولى بسهولة تامة، بمعنى أنه يبدو أنهم لا يهتمون بمجموعة واسعة من قواعد النحو وإنما فقط بعددٍ قليل منها. والدليل على ذلك يأتي من نوع «الأخطاء» التي يرتكبوها: كما رأينا سابقاً، هناك العديد من الأخطاء المحتملة التي لا يمكن إيجادها ببساطة. من ناحية أخرى، يمكن أن تُستَخْدَم التحويلات في بناء مجموعة واسعة من قواعد النحو، والتي هي بمعظمها غير موجودة بعد. ما نحتاج

إليه، إذن، هو مبادئ قواعد النحو العالمية التي تقيد التحويلات ولا تسمح إلا بعدد محدود من الاحتمالات. وإن مبدأ الاعتماد على البنية الذي ذكرناه فيما سبق هو واحد من هذه المبادئ. في الأبحاث الحالية، تم اقتراح العديد من المبادئ الأخرى للحد من قواعد النحو العالمية بهذه الطريقة.

الفكرة الأساسية هي أنه من خلال قدر ضئيل من المدخلات العشوائية والمبعثرة (الكلام الذي يسمعه/ يسمعها بالقرب منه)، يجب أن يكون الولد قادراً على استخدام مبادئ قواعد النحو العالمية لبناء قواعد أي لغة إنسانية. يجب أن تكون المبادئ كافية على نطاق ضيق جداً بحيث لا تنطبق سوى على اللغات الإنسانية، ولكن يجب أن تكون أيضاً مرنة بما يكفي لتفسير جميع اللغات الإنسانية. حاولت الأبحاث في الثمانينات وأوائل التسعينات أن تستجيب لهذه المتطلبات باستخدام مفهوم العامل المتغير في التجربة. وهناك مثال بسيط على ذلك وهو ترتيب الكلمات: في لغاتٍ مثل اللغة الإنجليزية نجد أن هناك ضوابط شديدة لترتيب الكلمات، في حين أنه في بعض اللغات مثل اللغة الروسية هناك حرية أكثر من ذلك بكثير في استخدام مجموعة متنوعة من ترتيبات الكلمات. ويسمى هذا الاختلاف العامل المتغير بين اللغات، وفي هذه الحالة الخاصة هو عامل بارز جداً ويستطيع أي ولد أن يدركه بسهولة عندما يكتسب أي لغة من أي نوع كانت.

الاقتراح هو أن قواعد اللغة العالمية توفر لنا عدداً من هذه العوامل المتغيرة، التي يجب أن يقوم الولد «بتثبيتها» بطريقة أو بأخرى على أساس الأدلة المتوافرة من حوله. وبمجرد تثبيت العامل المتغير إما على الطريقة «الإنجليزية» أو على الطريقة «الروسية»، يخرج الولد بنتائج حول القواعد النحوية الأخرى لهذه اللغات. ليس مطلوباً من الولد أن يتعلم هذه النتائج: فهي سوف تتبع ذلك الإجراء تلقائياً بمجرد تثبيت العامل المتغير لقواعد اللغة العالمية بالشكل الصحيح. هذه القواعد، التي تعتبر منظومةً من المبادئ والعوامل المتغيرة، تسهل بالتالي عملية اكتساب اللغة. فضلا عن كونه نظريةً مهمة في كيفية اكتساب اللغات، يعتبر هذا الإطار فكرةً جيدة لإحراز تقدم علمي. إذا رأى نَحَويٌّ ما أنه ينبغي صياغة المبادئ والعوامل المتغيرة (المعايير) بشكل مختلف عن المقترحات السابقة، سينتج عن ذلك تَبِعاتٍ تجريبية على كل قواعد النحو للغات معينة. ولهذا فإن هكذا اقتراح هو فرضية قوية يمكن اختبارها حالاً بمقابلتها مع كم كبير من البيانات (انظر (Culicover 1997) لقراءة تعريف عن هذا المجال).

يقترح أحدثُ عملٍ في إطار تشومسكي حدوداً وقيوداً أكثر تشدداً حتى على قواعد النحو المحتملة (انظر Chomsky 1995). هذا المسلك في العمل، المعروف بالتبسيط أو التقليص، يحاول صياغة عدد قليل من مبادئ قواعد النحو العالمية العامة للغاية والتي تتفاعل فيما بينها بطرق معقدة للحصول على النتائج الصحيحة. إن العديد من القواعد والمبادئ والمعايير المحددة التي بقيت في مركز الصدارة في الأعمال السابقة تم إهمالها أو إدراجها في تصنيف ضمن هذه المبادئ العامة. وقد تم التخلي عن مفهوم البنية العميقة، وفي الحقيقة أيضاً تم التخلي حتى عن البنية السطحية. إن التفاصيل معقدة ولا يمكن التوسع بها هنا، ولكن لا يزال الدافع هو نفسه: بناء نظرية لقواعد النحو العالمية تفسر أكبر مجموعة ممكنة من اللغات الإنسانية وتكون في نفس الوقتمتوافقة مع حقائق اكتساب اللغة.

الخلاصة

إن علم اللغويات عند تشومسكي يواصل ازدهاره وتطوره، مما يشير إلى أن أسئلة تشومسكي الأساسية حول اللغة كانت مفيدة ومثمرة. وكثيراً ما انتُقِدَ تشومسكي لأنه غير نظرياته، ولكن هذا الانتقاد عديم القيمة: لأن كل ما يقوم به العلم هو صقل نظرياتٍ واستبعاد نظرياتٍ أخرى أحياناً حالما تبصر النور دلائل جديدة وتحليلات جديدة. لقد استحسن الكثير من الناس البنية العميقة والتحويلات، ولكنهم رغبوا عن قبول عمل تشومسكي الأخير: هؤلاء الناس يشبهون الكنيسة الكاثوليكية في القرن السابع عشر، التي رفضت قبول نظريات غاليليو ونيوتن لأنها تتعارض مع معتقداتهم الدينية. ويعود الفضل لتشومسكي في استمرار تقدم دراسة قواعد النحو العالمي إلى الأمام، مُسقِطَاً بذلك الافتراضات القديمة وطارحاً مشاكل جديدة.

بدأنا بالقول أن تأثير تشومسكي كان ضعيفاً إذا كان ذلك التأثير يقاس عن طريق تعداد الأشخاص الذين شاركوا بفعالية في برنامجه البحثي. ولكن تحديد ما إذا كان علم تشومسكي في اللغويات مهماً أم لا هو في الحقيقة (مسألة) رأي. ومع ذلك، وبغض النظر عن مزاياه الجوهرية، فإن إنجاز تشومسكي كمفكر هو إنجاز مرموق ولامع. وعلى الرغم من العداء اللدود له ومن سوء فهمه، تحمل تشومسكي كل ذلك خلال أبحاثه في اللغة، ورد على خصومه بالحجة العقلانية والنقاش النزيه. ولقد أثارت أنشطته السياسية عداءً وسوء فهم مُماثلين، وكان يرد على المعارضين

بنفس الطريقة. وهذا بذاته هو سجل متميز له، ولا بد أنه سيكون واحداً من أولئك الذين سيصمدون بالتأكيد أمام اختبار الزمن لهم.

قراءات إضافية:

Barsky, R. (1997) *Noam Chomsky: A Life of Dissent*, Cambridge, MA: MIT Press.

Chomsky, N. (1982) *The Generative Enterprise: A Discussion with Riny Huybregts and Henk van Riemsdijk*, Dordrecht: Foris.

Cook, V. and Newson, M. (1996) Chomsky's Universal Grammar: An Introduction, 2nd edn, Oxford: Blackwell.

Newmeyer, F. (1986) *Linguistic Theory in America*, 2nd edn, London: Academic Press.

Smith, N. (1999) *Chomsky: Ideas and Ideals*, Cambridge: Cambridge University Press.

الفصل التاسع

علم اللغويات بعد سوسور

(روي هاريس)

مقدمة

علم اللغويات هو مصطلحٌ ليس قديماً جداً. وقد تم استحداثه في القرن التاسع عشر عندما بدأ العلماء يُمَيِّزون بين المقاربات المختلفة الممكنة لدراسة اللغة واللغات. إذ رَكَّز الكثير من العلماء، بما فيهم سوسور (Saussure)، على التمييز بين فقه اللغة التقليدي (Philology) (فقه اللغة التاريخى والمقارن: أي دراسة اللغة على الأخص بوصفها أداةَ التعبير فى الأدب وحقلاً من حقول البحث يُلقي ضوءاً على التاريخ الثقافي)، المتمركز على دراسة النصوص الأدبية وغيرها (ولا سيما النصوص القديمة) وعلى صيغةٍ للبحث الأكثر عموميةً (التي تسعى) إلى دراسة اللغات بذاتها، بغض النظر عما إذا كانوا قد ألّفوا نصوصاً ذات أهمية أدبية أو ثقافية، أو ما إذا كانوا قد ألّفوا أيَّ نصوص أصلًا. وفي النهاية، برز علم اللغويات كمصطلح مُميز لهذه الصيغة العامة من البحث الذي تَبَيَّنت أساليبه وبيانه التمهيدي في كتاب سوسور **مقرر في علم اللغويات العام** (*Cours de linguistique générale*) الذي نُشِرَ بعد وفاته. ظهرت هذه الدراسة الأولية في العام 1916، بعد أن تم تجميعها من الملاحظات التي كان يدونها طلاب سوسور خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة جنيف في الأعوام 1907–1911.

في هذا الفصل، سوف يتم استخدام عبارة «ما بعد سوسور» لنقصد بها مرحلة ما بعد نشر **المقرر** (*Cours*) ووفقاً لذلك سَيَرِدُ اسم «سوسور» للإشارة بالشكل الملائم إلى المؤلِّف المفترض لهذه الدراسة، على الرغم من أننا نعرف أن نص الدراسة المنشور هو عمل قام بإعادة هيكلته العديد من الأشخاص، ولا سيما تشارلز بالي (Charles Bally) وألبرت سيشيهاي (Albert Sechehaye) (Godel 1957).

في غضون خمس سنوات من نشره، تمت قراءة مقرر سوسور (*Cours*) على نطاق واسع في الأوساط اللغوية (De Mauro 1972, p. 366). ثم تمت ترجمته إلى العديد من اللغات. وإن التَلَقّي الناقد لهذه الدراسة بدايةً حققت له القبول. بحلول العام1957(الذكرى المئوية لميلاد المُسمَّى سوسور)، كان من الممكن لأحد علماء اللغة الأكاديميين المحترفين أن يكتب التالي: «نحن جميعاً سوسوريون الآن» (Spence 1957). ولكن ما إذا كانوا جميعاً سوسوريين – وإذا كان الأمر كذلك، إلى أي مدى؟ – هي أسئلة مُعَقَّدَة.

اللغويات كعِلْم

تم تصوير اللغويات في مقرر سوسور (*Cours*) على أنها «علمٌ» قائمٌ بحد ذاته. وقد استمر طرح تلك الفكرة منذ تلك الأيام وصولاً إلى يومنا هذا. (للاطلاع على مناقشة للموضوع، انظر Crystal 1985, pp. 76ff, Harris 1992). لن يُعَرِّف الكثير من الأكاديميين، الذين يشغلون مراكز مهمة في اللغويات، موضوعَهم من دون ذكر كلمة «العلم»، حتى إن بعض مسؤولي أقسام اللغويات يُدْرِجون تلك الكلمة في لقبهم (وكأن تسمية موضوعهم علماً يجعل منهم «علماء» بشكل تلقائي). لكن بقاء فكرة أن اللغويات يجب أن تكون علماً ليست مرتبطة كثيراً بسوسور. فالعلم هو إحدى الكلمات التقنية الفارغة الأكثر شعبيةً في الثقافة الأكاديمية الحديثة، ولا سيما في تلك المجالات التي تكون فيها المكانة «العلمية» لموضوعٍ ما مَوضِعَ شك. إذ ترغب كل المجالات المعرفية في الدخول إلى عالم العلم لتلعبَ دوراً فيه (ويرجع ذلك جزئياً إلى أن تمويل المشاريع «العلمية» والإدارات هو أكثر سخاءً بالمقارنة مع تمويل المشاريع «غير العلمية». فخلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر،

كانت مختلف الموضوعات المُهَمَّشة تصطف في الطوابير وتتنافس للحصول على الاعتراف الرسمي بها) كعلوم. فضلًا عن علم اللغة، شملت المجالات الموجودة في القائمة الأكاديمية التي تنتظر الاعتراف بها: علوم الأنثروبولوجيا، وعلم النفس وعلم الاجتماع. لقد كان سوسور بلا منازع أول من دافع عن المكانة «العلمية» لعلم اللغويات. ولقد فشل الكثيرون في القيام بما فعله، أي تبيان الحقيقة الواضحة الشاملة لكل ما يمكن إدماج (هذا) المجال وكذلك تبيان سبب هذا الإدماج.

عَرَّف سوسور علم اللغويات بالرجوع إلى أهدافٍ ثلاثة: (أ) وَصْفُ جميع اللغات المعروفة وتسجيل تاريخها، (ب) تحديد القوى التي تعمل بشكل دائم وعالمي في جميع اللغات وصياغة قوانين عامة تفسر كل الظواهر اللغوية المُصادَق عليها، (ج) تحديد وتعريف علم اللغة بحد ذاته (Saussure 1916, p. 20). ولو كان سوسور حياً اليوم، لكان صُدِمَ بلا شك بضآلة الإنجازات المتحققة وتباعدها في تحقيق هذه الأهداف المحدَّدة.

توثيق لغات العالم

لم يكن التقدم في وصف كل اللغات المعروفة وتسجيل تاريخها دراماتيكياً. ولكن إذا قرر أحد أن يَعُدَّ لغات العالم (وهي مسألة دائماً ما كانت خلافيةً)، فإن الغالبية ما زالت غير مدروسة بعمق. من ناحية أخرى، هناك عدد قليل من اللغات الموثقة توثيقاً جيداً وعلى نحو غير متناسب. وهناك ميل لإجراء هذا التوثيق للغات ذات العدد الأكبر من المتحدثين وذات المكانة الثقافية العالية، حيث هناك طلب كبير جداً على المواد التعليمية. ولكن على الدفة الأخرى من الميزان، هناك ميلٌ إلى التركيز على اللغات «المهددة بالانقراض» بهدف توثيقها قبل أن تنقرض (Robins and Uhlenbeck 1991؛ انظر أيضاً آيتشيزون (Aitchison)، في هذا الكتاب). حتى أن هناك نوعٌ من مشروع أكثرَ مثاليةً يسعى بشكل استباقي إلى إحياء اللغات المضمحلة من خلال تدريسها للأجيال الجديدة من المتحدثين بها كجزءٍ من «التراث الثقافي» الذي يتعرض لخطر الزوال. وليس هناك أي دليل على وجود مثل هذه الحماسة في الحفاظ على الإرث اللغوي عند سوسور.

(شمولية) اللغة

اجتذب البحث عن (شمولية) اللغة الكثير من الاهتمام ولكن ذلك صادف حظوظاً مختلطة (Greenberg 1966; Bach and Harms 1968; Payne 1994; Croft 1994). وإن جوانبها الإشكالية هي في جزءٍ منها متعلقة بـ (أ): بما أن هناك أعداد كبيرة من اللغات التي لم يتم الاستقصاء عنها بشكل كافٍ، فمن الصعب أن نثق بالادعاءات بأن (تاثير) بعض الخصائص مشتركة بين جميع اللغات. هناك أيضاً مصادر أخرى من الشكوك، والتي تتعلق بالافتراضات المسبقة التي تستند إليها ادعاءات عالمية اللغة، جنباً إلى جنب مع صعوبة تحديد ما إذا كانت هذه الخصائص التي تبدو ظاهرياً موجودة في أكثر من لغة هي فعلاً الخصائص نفسها. وهكذا، على سبيل المثال، قد يبدو لأول وهلة أمراً بديهياً بسيطاً أن نحدد ما إذا كان للغةٍ معينة كلمات تشير إلى «نعم» و«لا». لكن لدى تمحيصنا في اللغة بشكل أدق وأعمق يبدو لنا ظاهرياً أن كلمات «نعم» (yes) و«لا» (no) في اللغة الإنجليزية تناقض بعضها ويكمل كل منهما الآخر في مجموعة متنوعة من الأساليب الدقيقة جداً التي لا تتطابق مثلاً مع زوج الكلمات «نعم» (oui) و«لا» (non) باللغة الفرنسية. حالما يتحقق ذلك، يصبح من الواضح أنه حتى طرح السؤال بطريقةٍ تحتمل كلمات مثل «نعم» (yes) و«لا» (no) هو طرحه بطريقةتلتمس السؤال من خلال افتراضنا أن اللغة الإنجليزية تضع معياراً للمقارنة مع اللغات الأخرى. وهذا هو أمر واحد يوضح لنا الصعوبة هنا: إذ هناك أمر آخر تماماً وهو اقتراح طريقة للالتماس اللااستفهامي في إعادة صياغة السؤال.

للاستجابة إلى حد ما إلى هذه المشاكل، نلفت الانتباه الآن إلى الاختلافات التي كانت غير مألوفة لدى علماء اللغة الذين ينتمون إلى جيل سوسور. فمثلاً، بالإضافة إلى (الشمولية) «المطلقة» (التي يفترض أنها مشتركة بين جميع اللغات)، هناك (شمولية) «إحصائية» (في أي لغةٍ نجد أن حرف *x* هو دائماً أكثر شيوعاً من حرف *y*)، وهناك أيضاً (شمولية) «تضمينية» (إذا كان لدى لغةٍ ما الحرف *x* فلن يكون لها أيضاً الحرف *y*).

إن الادعاء الأكثر طموحاً في هذا المجال هو ما يسمى «الفرضية الأساسية العالمية»، التي تدعي أنه يمكن اختزال كل اللغات في مجموعة من القواعد

الأساسية نفسها. يمكن ألا يعجب ذلك **مُؤلِّف المقرر** (*Cours*)، بما أنه في الواقع يعيد تعريف هذا النوع من «قواعد النحو العالمية» (التي) كانت رائجة مُسبقاً في العصور الوسطى، حيث كان يُفترض أن اللغة اللاتينية كانت تقدم مثالاً جلياً للبنية المشتركة لدى كل اللغات (مع اختلافات طفيفة فقط في التفاصيل). في القرن الثالث عشر، ادعى روجر بيكون (Roger Bacon)– الذي كان بالتأكيد مُلِماً بعدد من اللغات أقل بكثير من سوسور – بأن قواعد النحو الأساسية لجميع اللغات متشابهة. (*grammatica una et eadem est secundum substantiam in omnibus linguis*) أي إن قواعد النحو هي نفسها في جميع اللغات. المشكلة هي أنه إذا كان لدينا مجموعة من الوحدات والفئات والقواعد المحددة على مستوى عالٍ من التجريد، فإنه سوف يكون دائماً من الممكن أن «نجدها» متمثلةً في أي لغة معينة نُخضعها للبحث. هل لدى كل اللغات أسماء؟ هل لدى كل اللغات (أصوات صائتة)؟ إن الإجابات على هكذا أسئلة تعتمد على كيفية تحديد الاسم أو (الصوت الصائت). ويمكن أن توضع التعريفات دائماً بشكل «يتناسب مع الحقائق»، ويمكن كذلك تفسير الحقائق دائماً بطريقةٍ «تتناسب مع التعريفات». وعندما يجري البحث عن (الشمولية) بهذه الطريقة، تَبْطُل بنفسها حالاً.

المجالات الفرعية لعلم اللغة

ما كان من المحتمل أن يفاجئ سوسور أكثر من أي شيء آخر هو درجة التجزئة والتخصص التي نشهدها جلياً في أيامنا هذه في الحقل البحثي الذي كان يعتبر متجانساً نسبياً في عصره. كمجالٍ معرفي ذاتي التعريف، حدَّدت اللغويات نفسها في مجموعة متنوعة من الاستفسارات والأبحاث التي لديها في كثير من الأحيان القليل من القواسم المشتركة باستثناء احتكامها إلى مصطلح اللغويات. وإن نظرةً سريعةً في أي معجم حالي تكشف لنا فروعاً معرفية مثل: علم اللغة (الأنثروبولوجي)، علم اللغة (التطبيقي)، علم اللغة (الإحيائي)، علم اللغة (السريري)، علم اللغة الحاسوبية، علم اللغة (النقدي)، علم اللغة (التعليمي)، علم اللغة (الإثني)، علم اللغة (العصبي)، علم اللغة (البراغماتي)، علم اللغة (النفسي)، علم اللغة (الاجتماعي)، وغيرها الكثير.

(لو أن) سوسور كان مُلِماً مثلاً بعمل بروكا (Broca) الذي تناول فيه مراكز

اللغة في الدماغ، (لماسمى) هذا النوع من البحث «علم اللغة» (العصبي) -neuro) linguistique) أو (لما اعتبره) مجالًا فرعياً مشروعاً لعلم اللغة المناسب. وبالمثل، لم يكن لِينظر إلى دراسة الحوار بين الطبيب والمريض أو التفاعلات الصفية بين المعلم والتلاميذ على أنها تقع ضمن حدود المجال المعرفي التي كان يحاول أن يضبطها. كما لم يكن ليرى صلةً بين علم اللغة وتجارب تعليم اللغة للقردة. فعلم الصوتيات كان منطقةً رمادية في **مقرر** (*Cours*) سوسور وبقي كذلك منذ ذلك الحين. بعض المنظرين يصرون على أن علم الصوتيات ليس جزءاً من علم اللغة، الذي يعتبرون أنه (يبدا) بعلم الأصوات. ولكن كيف يمكن للمرء أن يُجْرِيَ أي تحليل صوتي من دون العودة إلى علم الصوتيات هو أمرٌ فيه شيءٌ من الغموض .(حسب رأي سوسور، لم تكن الأصوات الحالية التي تلفظ (هي) أجزاءً مكوِّنة للإشارة اللغوية، (لذا سمى) إحدى مكوناتها «الصورة الصوتية» (image acoustique)).

باختصار، نستطيع أن نقول أن علم اللغة قد حقق عكس ما كان سوسور يأمله: إذ إنه لم يفلح في تعريف نفسه. بدلاً من ذلك، ما حدث هو أن البحوث التي لها علاقة من أي نوعٍ كان باللغة تجد نفسها الآن مُصَنَفَة تحت اسم مصطلح يَكُونُ الجزء الثاني منه هو علم اللغة (Linguistics). أضف إلى ذلك أنه غالباً ما تكون الحدود الفاصلة بين هذه الفروع البحثية المختلفة غيرَ واضحةٍ.

اللغة والكلام

يمكن أن نعتبر أن الأمور المختصرة في النقاط (أ)، **(ب)، و(ج) التي** وردت سابقاً ناتجةً، على الأقل في جزءٍ منها، عن فشل علماء اللغة في التعامل مع بعض الصعوبات العملية والنظرية التي تركها سوسور بدون حل. بهذا المعنى، ما زال علم اللغة المعاصر يحاول – ولكن لم ينجح كثيراً– أن يُجاريَ الإرث الذي تركه سوسور لنا. وسوف نقوم بدراسة بعض هذه المشاكل فيما يلي.

مَيَّز سوسور، بشكل منتظم ومؤكد، بين (مصطلحين) و Langage. ليس من السهل ترجمة هذا التمييز بشكل تام إلى اللغة الإنجليزية لعدم وجود زوج من الكلمات يقابل هاتين الكلمتين. تِبعاً لرأي سوسور، إن Langage تشمل كلاً من الاتصال اللغوي أو اللغة (Langue) والخطاب أو المحادثة أو الكلام (Parole) (Langue) (يتحقق الكلام) من خلال كلام النظام اللغوي (Saussure 1916, p. 38)

الذي يقوم به مستخدم اللغة في أي عمل ضمن التواصل اللغوي (الخطاب أو المحادثة أو الكلام (parole)). وبقدر ما يكون علم اللغة (السوسوري) معنياً بذلك، يمكن إيجاز أولوية اللغة (langue) في الاقتراح الذي ينص على أنه إذا كان أي جزء من الكلام البشري موضوعاً للبحث العلمي الجاد، فإنه يجب أن يكون متصلاً في المقام الأول بنظام يُسَلَّم جَدَلاً بأنه يشكل الأساس له.

ولقد سمى الجيل اللاحق من علماء اللغة تمييز سوسور بين اللغة (langue) والخطاب (parole) تسميةً جديدة وهي (القدرة أو) «الأهلية اللغوية» (Linguistic Competence) في مقابل «الأداء اللغوي» (Linguistic Performance) (From-kin and Rodman 1978, pp. 6-9 et passim). للاطلاع على وجهة نظر شكوكية (انظر Lakoff 1973a). ولكن هذا الابتكار الاصطلاحي لا يشكل أي تقدم إلى الأمام في حل الصعوبات المرتبطةبهذا التمييز في حد ذاته. ولا يساعدنا هنا في هذه المسائل (لعدم) وجود اتساق بين أصحاب النظريات المختلفة (أو في بعض الأحيان حتى عند نفس المُنَظِّر في مواضع مختلفة) فيما يتعلق بالطريقة التي يجب إجراء التمييز بها. بعبارةٍأدق، كل ما ينتمي إلى الخطاب (parole) (الأداء) اللغة (langue) (الأهلية) ما زال موضع شك.

يتردد سوسور في تحديد المكان الذي يرسم فيه خط التمييز، ربما لأنه يرى أن الأشخاص المتحدثين يمكن أن تكون لديهم حرية كبيرة في كيفية جمع الإشارات اللغوية في (وحدات) أفقية – (Syntagmatic) أي العلاقات بين وحدة لغوية وأخرى معها في نفس السياق: مثل العلاقة بين كلمات الجملة الواحدة أو بين أصوات الكلمة الواحدة – (التي يمكن إيجاد عدد لا حصر له منها في أي لغة). لذلك وبعد حدّ معين، يصبح من غير الواضح لنا ما إذا كان «النظام اللغوي» يسمح بتركيباتٍ معينة أوما إذا كانت هذه التركيبات في الواقع ابتكاراتٍ فردية. ولهذا السبب، فإنه يحصر كل ما يراهن عليه في حالة الجملة (شبه الجملة) كوحدةٍ (للغة) (langue).

عندما يتعلق الأمر (بترتيب الوحدات)(syntagmas)... يجب على المرء أن يدرك أنه ليس هناك حدٌّ فاصل واضح بين اللغة (langue)، كما يؤكد لنا الاستخدام الشائع في المجتمع، وبين الكلام (الخطاب (parole)) (المتجسد) في حرية الفرد. في كثير من الحالات، من الصعب تحديد إلى أيّ منهما ينتمي تركيب الوحدات.

وإن العديد من التركيبات هي نتيجةٌ لكليهما، وفي نِسَبٍ لايمكن قياسها بدقة.
(Saussure 1916, p. 179)

ولكن، ما لا يفسره سوسور، هو كيف يقرر عالم اللغة الباحث في مثل هذه الحالات ما يُضَمِّنه في وصفٍ للنظام اللغوي (اللغة (la langue)) وما يستبعده.

إن علماء اللغة المنتمين إلى المدرسة الأميركية التوليدية(أي التي تتبع نظريات قواعد اللغة التوليدية)، الذين اقترحوا في وقت لاحق التمييز بين «الأهلية» و«الأداء»، افترضوا بسذاجة أنه يمكن تعريف أي لغة L على أنها مجموعة من الجمل (Chomsky 1957, p. 13)، واقترحوا أن الوصف اللغوي كان مجموعةً من القواعد التي تميز جمل اللغة L عن غير الجمل (أي التسلسلات الخاطئة (لصيغ) اللغة L أي التي لا تحترم قواعد اللغة). وكان ذلك يترافق مع تركيزٍ شديد على التشكيل شبه الرياضي، الذي يعكس افتراضاً ضمنياً بأنه يمكن معالجة اللغاتٍ مثل الإنجليزية والفرنسية بنفس الطريقة التي نعالج بها «اللغات (الاصطناعية)» للمنطق المنهجي، مع مناهجها المصاغة بالشكل الصحيح. وإن مصطلح «يولد» (Generate)، الذي أدخله تشومسكي في العام 1957 والمستعار من الرياضيات، يشير بشكل خاص إلى الافتراض بأن قواعد اللغة تتألف من مجموعة محدودة من القواعد المستخدمة لتحديد مجموعةٍ لا محدودة من السلاسل المنظمة للرموز من خلال العمليات الخوارزمية الواضحة. وكانت مجموعةٌ هامة من هذه تسمى «لتحويلات» (وهو مصطلح مستعار من المنطق الرياضي): وبالتالي كان يشار عادةً إلى هذا النهج بمصطلح قواعد النحو «التحويلية- التوليدية» (انظر **النحو التحويلي** (Transformational Grammar) **والنحو التوليدي** (Generative Grammar)**)**. ولقد شرع التوليديون بعد ذلك في مناظرات مُطَوَّلة حول عدد التحولات التي يجب افتراضها جدلاً لأية لغة معينة وحول ماهية خصائصها الافتراضية. وكانت المُحَصلة هي جعل علم اللغة «يبدو مثل مفهومنا للفيزياء أو الكيمياء»، وهذا هو ما اقترحه أحد علماء اللغة (Matthews 1979, p. 14)، مُحَوِّلاً علم النحو إلى علم جبر غامض كانت مناهجه – على عكس القواعد التقليدية لكتاب النحو المدرسي– بعيد المنال للجميع باستثناء المتخصصين ويستعصي فهمه (للشخص) العادي كلياً. ولذلك، وخلافاً لعلم اللغة السوسوري، كان هذا العلم فوق كل ذلك عديم الفائدة تربوياً.

مما لا شك فيه أن فكرة إمكانية معالجة اللغة كمجرد مجموعة من الجمل كانت ستُضْحِك سوسور إلى حد كبير. وإن ما يجعل الحرج النظري أكثر حدَّةً هو افتراض التوليديين أن الأدلة الملموسة لتأليف الجمل لا تكمن في الأداء الفعلي (المحادثة أو الخطاب (parole)) وإنما في ما يسمى حدس «المتكلمين (الناطقين باللغة الأم). وهكذا سبب التوليديون لأنفسهم كلغويين معضلةً مزدوجة. أولهما هو كيفية الوصول إلى ما يسمى (بالحدوس)» وتمييزها عن (الخيارات المحضة) (التي يمكن أن تستند إلى جميع أنواعٍ وجهات نظر (السلامة) اللغوية المُحَفَّزة اجتماعياً أو المغروسة في الأذهان تربوياً. وثانيهما هو كيفية تحديد مؤهلات (الناطق باللغة الأم). فقد تبين سريعاً أن المتكلمين الذين يبدون مؤهلين جيداً ظاهرياً لم يكونوا بأي حال من الأحوال متفقين على الجمل في لغتهم الأم. إذن هذا يعود إما إلى أن بعض أعضاء المجتمع (ولكن من هم؟) ليسوا على وجه الافتراض متكلمين (باللغة الأم) بعد كل شيء، أو، وهو الأسوأ من ذلك، إلى أن ما كان أصلاً (يفترض) أن يكون اللغة Lتبين الآن أنه أكثر من لغة واحدة (ولكن كم؟).

اللغة والخطاب

بالعودة إلى الماضي، يبدو أن التوليديين بذلوا طوال عقودٍ من الزمن جهوداً ضائعة في محاولةٍ ضحلة لإضفاء الطابع الرسمي على مفهوم («القدرة اللغوية» من حيث قواعد الجمل، بعد أن فشلوا في إيلاء الاهتمام الكافي للمشكلة الأساسية التي لفت سوسور الانتباه إليها في السنوات السابقة. وإن علماء اللغة الذين أدركوا أن الخطاب ليس (إلا) فقط سلسلة متوالية من الجمل ولكن (تظهر) ترابطاً منطقياً هيكلياً على مدى أوسع بكثير من (الوحدات) الأفقية (Syntagmatic)، (لذا) تجنبوا الإطار التوليدي وطوروا ما يُعرَف اليوم بأوجه مختلفة على أنه «تحليل الخطاب»، «لغويات الخطاب» أو «لغويات النص» (انظر van Dijk 1985؛ Beau-grande 1994). وهذا يولي اهتماماً خاصاً لخصائصَ مثل التماسك النصي والصفة السردية أو الروائية، ويدرس كذلك كيفية سرد سلسلة الأحداث، وأنواع المعلومات الأخرى حول تتابع الأحداث، وأنواع المعلومات الأخرى المتواجدة على امتداد نصوص كلامية أو كتابية (إلى مستوى عرض نص) بطول كتاب. هذه الحركة هي في الواقع تطويرٌ (للعناصر) الأفقية السوسيرية (Syntagmatics) (وليس للنحو

(القائم) على الجمل)، وهي في أصلها سوسورية بمعنى أن سوسور لم يضع أي سقف أعلى للعلاقات الخطية (للوحدات) الأفقية.

اللغات واللغة-الأسماء

بمجرد إهمال الفكرة المبسطة بأن اللغة هي فقط مجموعة من الجمل، تبقى المشكلة، ضمن جميع استعمالات اللغة الملحوظة والمتنوعة، في تحديد موقع النظام الذي يسميه سوسور اللغة (langue)، والتي يميزها عن ملكة اللغة (lan-gage). كانت الصعوبة الجَلِيَّة (بالنسبة لسوسور وخلفائه) هي أن هذه الأنظمة لا تتوافق بشكلٍ لا لبس فيه مع أسماء اللغة المقبولة عموماً (مثل «الإنجليزية»، «الفرنسية»، «اللاتينية»، وما إلى ذلك). لذلك ليس هناك ما يضمن أن أي شيء يسمى، لنقل مثلًا، «اللغة الإنجليزية» ينتمي إلى نفس النظام اللغوي (اللغة (langue)).كما أنه ليس هناك ما يضمن بأن الشخص الذي يتحدث لغةً معينة (مثل «اللغة الإنجليزية») يقوم فعلياً بذلك بانتظام وفق متطلبات نظامٍ واحدٍ معين.

لا يمكن تحاشي هذه المشكلة، كما يُفترض ذلك في بعض الأحيان، بالاحتكام إلى وعي المجتمع اللغوي بهويته الخاصة. وهكذا، يزعم البعض مثلاً أن اللغة الإنجليزية هي اللغة المحدَّدة بالإشارة إلى جميع المتكلمين الذين يعتقدون أنفسهم واعتقاد بعضهم للبعض بأنهم متحدثون باللغة الإنجليزية (Pateman 1983, p. 120). وبغض النظر عن دائرية هذه المناورة النظرية، ومشكلة اللغات الكامنة وراء العديد من أسماء اللغات، فإن مثل هذا المعيار يستبعد تلقائياً أي متحدث يكون انتماؤه إلى المجتمع اللغوي هامشياً أو موضع نزاع. إن هذا من شأنه أن يترك حتماً عالم اللغة مع بقايا من المتحدثين الذين (يضيعون) في متاهات لغوية. إذ هل يتطلب علم اللغويات العامة الافتراض بأن الجميع يتحدثون على الأقل لغةً واحدةً قابلة للتحديد؟ إذا كان الأمر كذلك، ما هي معايير اللغة «القابلة للتحديد»؟ وإن لم يكن كذلك، كيف يتعامل علم اللغويات العامة مع حالة المتكلمين الذين يُفْلِتون من شبكة المتحدثين باللغة؟

علم اللغويات (التزامني) والتاريخي

كان سوسور يدرك بوضوح معظم المشاكل المذكورة أعلاه، ولقد وَرِثَ هذه

المشاكل أولئك الذين تابعوا محاولته في تأسيس علم اللغة كحقلٍ معرفي مستقل. ولقد تابع غالبية خلفاء سوسور مبادرته على الأقل في ناحيةٍ واحدة منها. وقبلوا تضييق سوسور لمفهوم اللغة (langue) (المرتبط) بمرور الزمن. إذ قام سوسور بإجراء تمييز أساسي بين ما سماه باللغويات (التزامني) (Synchronic) وبين ما سماه باللغويات التاريخية (Diachronic) وأعطى الأولوية للأولى منهما. ولا شك أنه سيكون مسروراً اليوم عندما يرى أن دراسة تغير اللغة تحتل مكاناً أقل بروزاً مما كانت عليه في القرن التاسع عشر.

إن الظواهر المتعلقة باللغة (langue) هي ظواهر متزامنة، وهذا يعني أنه يجب أن لا نعتبرها عرضةً للتغيير. فهي تتواجد في مرحلة معينة من الزمن وهي متصلة بانتظام ببعضها البعض عند تلك المرحلة. هذه العلاقات «الثابتة» تُعَرِّف في جزء منها ما كان سوسور ينظر إليه على أنه لغة. من ناحية أخرى، يهتم علم اللغة التاريخي بالعلاقات بين الكيانات التي تتغير مع مرور الوقت. فهي تدرس مثلًا كيف، لماذا – وبأي معنى – «تحولت» اللغة اللاتينية تدريجياً إلى «الفرنسية». وإن بقاء الكلمة اللاتينية mare أي «بحر» بالصيغة الفرنسية (mer) (بحر) هو مظهر تاريخي نموذجي؛ أو، بعبارة أدق، هو أحد الأمثلة عن سلسلة كاملة من الظواهر التاريخية. لأنه، وفقاً لسوسور، إن الكلمة اللاتينية mare والكلمة الفرنسية mer ليست بأي معنىً من المعاني «الكلمة نفسها»، على الرغم من أنها قد تظهر تحت نفس التبويب في القواميس الإتيمولوجية الاشتقاقية.

قَبِلَ معظم خلفاء سوسور بالتمييز «التاريخي–التزامني»، الذي لا يزال قائماً بقوة في علم اللغة في أوائل القرن الحادي والعشرين. في الممارسة العملية، ما يعنيه هذا هو أن إدراج الدلائل المتصلة بالحالات التاريخية المختلفة في نفس التحليل التزامني يُعْتَبَر انتهاكاً للمبدأ اللغوي أو الطريقة اللغوية. لذلك سوف يُعْتَبَر من غير المقبول الاستشهاد بالصيغ اللغوية لشكسبير كداعم، لِنَقل، لتحليل القواعد النحوية عند ديكنز وإن سوسور شديدٌ بشكل خاص في القيود التي يضعها على علماء اللغة الذين يخلطون بين الحقائق (التزامنية) والحقائق التاريخية.

ولكن إقامة تمييز «تزامني– تاريخي» لا يَحُلُّ تلقائياً مشكلة كيفية تمييز حالةٍ ما للغة عن حالة أخرى. ويُظْهِرُ لنا سوسور بنفسه علاماتٍ عن قلقه حول ما إذا كان

التتابع الزمني معياراً موثوقاً به أم لا. وإذا اندمجت حالاتٌ مختلفة زمنياً في بعضها البعض، (فهذا يعني) أنه يجب علينا السعي إلى أساس آخر لتحديد النظام اللغوي الذي يضعه علم اللغة التزامني في مقدمة بحثه.

وبالتالي فإن أي عالم لغة يشرع في وصف نظامٍ لغوي فردي L (لغةٍ واحدة بالمعنى السوسوري)، لا بُدَّ أن يواجه على الفور مشكلةً كيفية تحديد موقعه وتمييزه في نفس الوقت. وذلك لأن الاستخدام اللغوي القابل للملاحظة يتميز قبل كل شيء وبوضوح بعدم تجانسه. وهناك أمل بسيط في تحديد نظامٍ لغويٍ متماسك ما لم يكن بالإمكان تقليص هذا التنوع أو التعددية في استخدام اللغة.

عدم التجانس (التباين) اللغوي

كيف حاول علماء اللغة الذين أتوا بعد سوسور التعامل مع هذه المشكلة؟ إحدى الخطوات كانت إعادة تموضُع النظام اللغوي ليس على المستوى المحدد بالتسميات الجافة مثل «الإنجليزية» و«الفرنسية»، وما إلى ذلك ولكن على مستوى «اللهجات المحلية» أو «التنوعات اللغوية». في مقرر (*Cours*) سوسور نجد اقتراحاً – لكنه لا يكاد يكون أكثر من مجرد اقتراح (Saussure 1916, p. 132) - أنه لإيجاد تناسق نظامي (انتظام) تزامني، سيكون من الضروري أن نفكر باللهجات واللهجات الفرعية التابعة للَّهجة الرئيسية. هذه الخطوة تتوافق مع التصور المطروح بأن الناس الذين يمكن أن يتكلموا «اللغة الإنجليزية» مثلاً– والذين يصفون أنفسهم كمتكلمين بالإنجليزية – لا يتكلمون بالضرورة وعلى الرغم من ذلك نفس اللغة الإنجليزية. وإن اللهجات قد تختلف بشكل ملحوظ عن بعضها البعض في خصائص اللفظ والنحو والمفردات. إذ كيف يمكن للوصف اللغوي «المتزامن» استيعاب هذا الكم الهائل من الاختلاف؟

اللهجات وخطوط التماثل اللغوي

في المقام الأول، قد يحاول عالم اللغة تضييق نطاق الوصف اللغوي جغرافياً. وبالتالي إذا تم اختيار المخبرين عن اللغة من مناطق معينة، فإنه يمكن تقسيم اللغة «الإنجليزية» إلى اللغة الإنجليزية الأميركية، والإنجليزية الأسترالية، والإنجليزية الويلزية، والإنجليزية الاسكتلندية، وما إلى ذلك، ومن ثَمَّ تتم معالجة كل نوعٍ

منها على حدة (Trudgill and Hannah 1982). ولكن هذه الاستراتيجية بدورها تؤدي إلى بعض المشاكل. ففي إطار هكذا فئات واسعة، لا تزال هناك اختلافات لغوية متميزة جغرافياً (فمثلاً هناك اختلافات بين مناطق نيويورك ونيو أورليانز، أو بين مناطق ليفربول وبريستول). بالإضافة إلى ذلك، على الرغم من أنه في عصر سوسور ومنذ ذلك الحين حاول ممارسو ما يسمى بـ«جغرافيا اللهجات» تحديد المناطق اللغوية من خلال تقنيات مثل وضع الخرائط لخطوط التماثل اللغوي (وهي خطوط على الخرائط يُفْتَرَض أنها تُبين حدود الانتشار الجغرافي للميزات اللغوية الخاصة) ولكن ظروف النقل الحديثة وتحركات السكان بشكل متزايد تجعل هذه المحاولات بلا جدوى. فاللغات لا تبقى في مكان واحد لأن المتكلمين بها لا يثبتون في مكانٍ واحدٍ أيضاً.

المزيد من الصعوبات في محاولات تثبيت الاختلاف اللغوي جغرافياً ينشأ من حقيقة أنه حتى عندما يتم إجراء البحث في اللغة في موقع محدد بدقة، نجد عادةً أن الكلام في المجتمع المحلي القائم في هذا الموقع لا يزال غير متجانس إلى حدّ بعيد، وهو يتغير وفقاً لعوامل مختلفة مثل العمر والجنس والطبقات الاجتماعية للمتحدثين. وإن «علم اللغة الاجتماعي» هو مصطلحٌ عام يُستخدم حالياً للدلالة على الأبحاث اللغوية التي يتمحور اهتمامها حول هذا النوع من الاختلاف. وكمجالٍ معرفي فرعي لعلم اللغة، نادراً ما كانت تجري دراسته في أيام سوسور، ولكن في العقود الأخيرة تم القيام بدراسات في علم اللغة الاجتماعي أكثر من أي ميدان آخر من ميادين الدراسات اللغوية (Coulmas 1997). وإن نوع اللغة المحددة اجتماعياً والتي تتحدث بها فئة اجتماعية معينة داخل مجتمع ما تُسَمَّى في بعض الأحيان (اللهجة الاجتماعية) (من أجل تمييزها عن «اللهجة» المُستندة إلى المعايير الجغرافية).

اللهجات الشخصية

هناك استراتيجية مختلفة تماماً لمحاولة تحديد «النظام» اللغوي (التزامني) كهدف لوصف اللغة (القابلة) للتطبيق. تهدف هذه الاستراتيجية إلى تركيز الانتباه على كلام متحدثٍ واحد. إذ يُتصَوَّر أن لكل فرد طريقته الخاصة في الكلام، ويُطْلَق على هذهالطريقة تقنياً اسم (Idiolect) أي اللهجة الشخصية الخاصة. وهكذا ففي

التحليل النهائي وتِبعاً لوجهة النظر هذه، يمكن تشعيب الطرق التي يتحدث بها المتكلمون باللغة الإنجليزية إلى عدد من اللهجات يوازي عدد المتكلمين بهذه اللغة (أي الملايين مثلاً). وإن تحديد ما إذا كانت أي اثنتين من هذه اللهجات متشابهتان كلياً هو أمرٌ مُتَنازَعٌ فيه: كما أن الافتراض المُتَعارف عليه هو أنهما مختلفتان عن بعضهما في بعض الميزات ولكن بالحد الأدنى.

للوهلة الأولى قد يبدو أن تركيز التفكير على مستوى المتكلم الفرد هو أسلوبٌ مُحْكَم للالتفاف حول مشكلة كيفية تحديد ما إذا كانت لغة مجموعةٍ من المتحدثين مُتَّسقةً بما يكفي لكي نعتبرها «لهجةً» واحدة أو «لهجةً اجتماعية». ولكن هذه الاستراتيجية غير مكتملة وذلك لمجموعة متنوعة من الأسباب. إذ لم يتمكن علماء اللغة من الاتفاق على كيفية تعريف اللهجة الشخصية. إحدى التعاريف المعروفة التي يعود تاريخها إلى الأربعينات كانت التالية: «مجمل التعابير التي يمكن أن تصدر عن أحد المتكلمين في وقتٍ واحد خلال استخدامه للغة مع متحدثٍ آخر» (Bloch 1948). حاول هذا التعريف أن يدرك مُقَدَّماً اعتراضين. أولهما هو أن طريقة الكلام التي يتميز بها فردٌ ما يمكن أن تتغير خلال فترة حياة الإنسان. وثانيهما هو أن فرداً ما يمكن أن يتكلم بطريقة مختلفة إلى أشخاص مختلفين وفي ظروفٍ مختلفة. وهذه ظاهرةٌ لغوية معروفة الآن باسم «التلاؤم» (Giles 1994). ولكن محاولات تجنب هذه الاعتراضات لا تزال تترك عالم اللغة مُفْتَقِراً إلى الهدف المنشود، أي لم تستطع فصلَ صيغةٍ مستقرة ومتماسكة من التعبير لإجراء الدراسات عليها. لأنه حتى في سياق محادثةٍ فرديةٍ مع نفس المشارك في الحديث، من الممكن للمتكلم أن يُحْدِثَ تغييرات ملحوظة في اللفظ والنحو والمفردات، وما إلى ذلك. علاوةً على ذلك، نرى أنه من الصعب الاعتبار أنه من المنطقي من الناحية العملية أن يُوَجِّه المتكلم «كل التعابير الممكنة» إلى مُتَحَدَّثٍ إليه واحد و»في وقت واحد». على أي حال، يبدو أن هذا لا يقدم لنا في نهاية المطاف تعريفاً للهجة الشخصية وإنما يقدم لنا ما يسميه بعض المنظرين «النمط» أو (اللهجة الخاصة). إذ بقدر ما يحاول الواحد مناتقييد وتضييق نطاق الوصف اللغوي، بقدر ما يصبح مفهوم اللغة (langue) مُحَيِّراً.

هنا يعرض سوسور لخلفائه مشكلةً لا تزال دون حل. وهي في الواقع

المشكلة الأساسية لعلم اللغة الوصفي (Descriptive Linguistics) وهي كلمة مُتَمَلِّصة (وصفية) هذا إذا كان هناك في أي وقت مضى كلمةٌ للتعبير عنها. لأنه مهما حاول عالم اللغة أن يمارس حقه في المبادرة في حصر الدراسة (أي في استبعاد هذا الأمر وذاك من الاعتبار)، فإنه ليس هناك أي ضمانة بأنه يمكن الحصول على «النسق» الكامن للغة من خلال موارد الأدوات الوصفية المتوفرة له. إحدى الأمور التي لم يتمكن سوسور تماماً من معالجتها بشكل كافٍ – أو كما يقول البعض، لم يتمكن من معالجتها على الإطلاق – كانت الحالة اللغوية لِعِلْمِهِ الوصفي الخاص باللغة. حتى إنه لم يحقق أيُّ أحدٍ من أتباعه أيَّ نجاح في هذا المجال، على الأقل في الاتجاه السائد لعلم اللغة الحديث. ولا يزال يتعذّر على اللغويين أن يحاولوا تحقيق التقدم من خلال جذب الانتقادات الوصفية للغة الخاصة بهم. وهذا لأن الانعكاسية التي يعتمد عليها علم اللغة لا تستطيع في نهاية الأمر أن تتوافق مع مفهوم «الوصف» الأولي البسيط (الوضعي الإيجابي) الذي كان يحتاجه علماء اللغة (وما زالوا بحاجة إليه؟) من أجل جعل مجال بحثهم المعرفي الأكاديمي يبدو مؤهلاً ليكون «علماً»قائماً بذاته.

المُتَكَلِّم – المستمع المثالي والرموز الثابتة

وهناك مشكلة تتعلق بحالة «نسق اللغة» (اللغة) وتعتبر مرتبطةً بالمتكلم الفرد. فوفقاً لسوسور، اللغة تخص المجتمع وليس الفرد. واللغة نفسها ليست كاملة لدى أي متكلم ولا تكتمل إلا مع مجموعة المتكلمين كلِّهم. ولقد طرح هذا الاعتقاد مشاكل لأجيال اللغويين اللاحقين الذين وجدوا صعوبة في قبول مجموعة المبادئ التي يقوم عليها المفهوم المجتمعي وليس الفردي للغة. ولذلك تحايلوا على هذا الاعتقاد من خلال الإشارةإلى «المتكلم–المستمع المثالي». وكان من المفترض أن تكون هذه الشخصية الوهمية (أ) فرداً، ولكن أيضاً (ب) فرداً يمتلك معرفةً «كاملة» (متزامنة) باللغة L (كونه بطبيعة الحال مثلاً وعلى وجه الافتراض «متكلماً» (باللغة الام) L). وكان واضحاً منذ البداية أن هذا الكلام للمتكلم–المستمع المثالي كان (نظرياً) حيلةً للتهرب من المشكلة التي لفت سوسور الانتباه إليها. ولقد تم القيام بمحاولةٍ واهنة لتبرير ذلك من خلال القيام بمقارنة «علمية» بين مراقبة الغازات الفعلية في المختبر وسلوك الغاز «المثالي» (الخاضع للشروط المنصوص عليها

فيما يخص الضغط ودرجة الحرارة وغيرها). إن فكرة (الاعتماد تقريباً على مثل هذه المبررات) تشير إلى المدى الذي كان فيه علم اللغة ما بعد سوسور – وما زال حتى الآن – يبحث فيه عن تشابه وضع اللغة مع وضع «العلوم». ما تهمله هذه المقارنة هو أن دراسة اللغة، على عكس دراسة الغازات، ليست بأي حال من الأحوال مَدينة بالفضل إلى الرياضيات والنماذج الرياضية.

وإن فكرة أنه يمكن اعتبار أن كل لغة (langue) مُمَثَّلة من قِبَل متكلم–مستمع «مثالي» هي طريقةٌ أخرى لفهم اللغات على أنها رموز ثابتة. لأنه من الصعب أن نرى كيف يمكن للمتكلم– المستمع أن يكون مثالياً دون أن نحكم بنجاح في ما إذا كان النموذج المقترح للتعبير صحيحاً أم لا. وبعبارةٍ أخرى، تم طرح هذه الصورة الافتراضية منذ البداية على أنها شخصٌ «يعرف» مُسْبَقاً ما إذا كان هذا البناء للجملة أو ذلك مقبولاً، وما إذا كانت هذه الكلمة أو تلك مسموحاً بها، وما إذا كان هذا اللفظ أو ذاك صحيحاً، وما إذا كانت جملةٌ معينه تعني هذا المعنى أو ذاك أم لا. إذا تغيرت وجهات نظر المتكلم– المستمع «المثالي» لتلك المسائل من مناسبةٍ إلى أخرى، فسيكون هناك تلقائياً استبعادٌ للدور النظري الموكَل إلى مثل هذه الشخصية. من المهم هنا أن نلاحظ الفرق (الغير واضح في كثير من الأحيان) بين المثالية والنموذجية. فالمتكلم – المستمع النموذجي ليس – ومن الصعب أن يكون – متكلماً - مستمعاً «مثالياً» بالمعنى المطلوب نظرياً، على الرغم من الخلط الشائع بين هذه المفاهيم. (لمعرفة الفرق، خذ مثلاً فكرة أن جورج بستانيٌ نموذجي. هذه الفكرة لا تؤدي بنا إلى اعتبار أن جورج بستاني مثالي: إذ إن معنى هذه العبارة بعيدٌ عن ذلك كلياً).

البنية العميقة والبنية السطحية

إن التسليم جدلاً بأن موضوع «المتكلم – المستمع المثالي» لكل لغة كان يميل في الستينات والسبعينات إلى أن يكون متماشياً مع قبول التمييز الدغماتي بين «البنية السطحية» و«البنية العميقة» للغة. وهكذا، على سبيل المثال، على الرغم من أن جملة «عض الكلبُ ساعيَ البريد» وجملة «تم عضُّ ساعي البريد من قِبَل الكلب»، مختلفتان على المستوى «السطحي»، فإنه كان يُنظَر إليهما على أنهما متشابهتان على المستوى «العميق» (أي بالمعنى – البديهي ظاهرياً ولكن ليس

المُفَسَّر بوضوح جداً – يُنْظَر إليهما على أنهما نفس الجملة). هذا نوعٌ من التمييز لم يستنتجه سوسور أبداً، وكان التوليديون يعتبرون فشله في استنتاجه لهذا ضعفاً أساسياً في علم اللغة السوسوري. وكانوا المرَوِّجين الرئيسيين للتقسيم الثنائي لبنية الجملة إلى بنيةٍ «سطحية» في مقابل بنيةٍ «عميقة» (لأن) نموذجهم «لتوليد» الجملة كان يتطلب منطقياً مجموعةً من الوحدات الضمنية التي يمكن أن تعمل عليها الخوارزميات الاندماجية. بالمعنى الوارد في نموذجهم، يمكن انتقاد سوسور لافتراضه المُبَسَّط بأن العلامة اللغوية هي وحدةٌ «سطحية»، مُرَكزاً بذلك على معايير تحديد الوحدة الأفقية التركيبية التتابعية للجملة بالاستناد إلى تلك التي تليها.

ولكن هنا مرةً أخرى، شرع التوليديون في مشروع رفع أنفسهم من خلال المبدأ النظري الخاص بهم. وبمجرد التخلي عن البنية «السطحية» لتحديد الرمز السوسوري، تصبح أعماق البنيات الضمنية الممكنة مُبْهَمَةً. إذ هل هناك مستوىً لغويٌ «عميق» تتشابه فيه الجمل الفاعلة مع الجمل غير الفاعلة التي ترتبط بها في علاقةٍ متبادلة؟ أو تتشابه فيه الأفعال مع الصفات المطابقة لها؟ وكيف لنا أن نعرف ذلك دائماً؟

منذ عهدٍ قريبٍ إلى حدٍّ ما، بدأ التوليديون بالاعتراف بأنه ربما ينبغي التخلي عن فرضية «البنية العميقة»، أو على الأقل إنزال مرتبتها إلى «أداةٍ تقنيةٍ مُبْتَذَلة» (Pinker 1994, p. 120). ولكن نادراً ما كانت هكذا اعترافات مصحوبةً بالتسليم بأن سوسور قد يكون بعد كل هذا مُحِقّاً.

الرياضيات اللغوية

إذا كانت لغة «المتكلم– المستمع المثالي» هي استقراءٌ غير مقنع، فإنه على الاقل لم يَعُدْ بتاتاً غيرَ مقنعٍ للعقل أكثر من اللغة التي يتم تصوُّرها على أنها نظام مستقل عن أي إدراكٍ ملموس. كانت هذه نتيجةٌ لتفسير لويس هيلمسليف (Louis Hjelmslev) لسوسور، والتي وضعت الأساس للمدرسة الدنماركية للرياضيات اللغوية. ولقد أخذ علماء الرياضيات اللغوية القول المأثور لسوسور بأن اللغة هي «شكل وليس مادة» (Saussure 1916, p. 163) إلى خلاصته المنطقية، وكانت حجتهم في ذلك أن اللغات الموجودة الآن والمتاحة للدراسة هي مجرد إدراكات تاريخية لبعض النظم التي كان من الممكن أن تتواجد في مظاهر أخرى على قدم

المساواة (أي ليست بالضرورة محكيةً أو مكتوبةً حتى). وبالتالي فإن مهمة العالم النظري ليست مجرد وصفِ نظامِ التعبيرِ الحالي، ولكن هي احتساب نظم التعبير التي هي بشكل عام ممكنة على أنَها تعبيرٌ عن نظامِ محتوىً معينٍ، والعكس صحيح (Hjelmslev 1961, p. 105).

السلوكية والواقع النفسي

إن علماء اللغة (الرياضيين وكذلك التوليديين)، على الرغم من مطالبتهم بتطوير نظرية سوسور، هم بشكلٍ واضحٍ على خلافٍ مع اشتراط سوسور بأنه يجب على عالم اللغة، لدى وصفه للغة (la langue) في أيةِ حالةٍ معينة، إعداد التصنيفات والتمييزات التي لا تقل أو تزيد عن تلك التي كان يدركها مُسْبَقاً المتحدثون بها «بوعي أو دون وعي» (Saussure 1916, p. 195). وكانت هذه أول صياغة لهدف «الواقع النفسي» في علم اللغة الوصفي. ولقد أثبتت أنها كانت كابوساً للغويين منذ ذلك الحين.

لماذا؟ في المقام الأول حدث هذا لأن المفهوم الكلي للإشارة اللغوية السوسورية كان يبدو سايكولوجستياً جداً لأولئك اللغويين (وخاصةً في الولايات المتحدة الأميركية) الذين كانوا قد انتصروا على قضية المدرسة السلوكية. فالإشارة التي كانت تتألف من «مفهومٍ» مرتبط «بصورة صوتية» في ذهن المتكلم صدمتهم لكونهاكلياً غامضة جداً وغير مرئية لتكون أساساً لعلمٍ «تجريبي» من النوع الذي كان من المفترض أن يكون عليه علم اللغة. وبقدر ما يعنيهم هذا الأمر، كان على «العلم» أن يتعامل مع الأشياء الظاهرة القابلة للملاحظة، وليس مع ما قد يحدث – أو قد لا يحدث – في مكان ما داخل الدماغ. وكانت النتيجة المباشرة لذلك هي أنه كان يجب الاستعاضة عن الإشارة السوسورية بشيء أكثر حِسِّيةً – بصيغةٍ لغوية مسموعة مع صِلاتِها «بالعالم الحقيقي». ولكنَّ هذا التحول في النظرة سبَّبَ بعض المشاكل في أعقابه، (لأنه) لم يكن من المتوقع من اللغويين أن يكونوا خبراء في تحليل «العالم الحقيقي» لكون ذلك هو مجالُ العلومِ الفيزيائية والبيولوجية المختلفة. كانت الخلاصة المُسْتَنْتَجَة أنَّ علم اللغة لا يمكنه معالجة «معاني» الكلمات ما عدا، كما قال أحد السلوكيين الرئيسيين في الثلاثينات، في الحالات التي تنطوي على «بعض المسائل التي لدينا المعرفة العلمية عنها» (Bloomfield 1935, p. 139).

لذلك حيث أنه كان من المتفق عليه تعريف معنى الكلمة الإنجليزية Salt (أي ملح) بمكوناتها أي «كلورايد الصوديوم» (NaCl)لأن العلم يخبر اللغويين أن تلك كانت هي «فعلاً» المادة المسماة Salt، لم تكن هكذا معلوماتٍ متوفرةً لتساعد على تعريف كلمات مثل «يحب» (Love) و«يكره» (Hate)، ناهيك عن كل الجوانب الأخرى «للعالم الحقيقي» التي لم يبحث العلم حتى الآن فيها.

كانت هذه وبشكل ملحوظ خطوةً لعلم اللغة إلى الوراء، ليس فقط لأنها كانت تعني الاعتراف بأن هناك جوانب مهمة في اللغة لم يكن علماء اللغة مؤهلين لمعالجتها، ولكن لأنها أيضاً عادت إلى مفهوم «المعنى» الذي كان سوسور قد انتقده مُسْبَقاً بشدة على أساس أنه غير ملائم لهذا المجال المعرفي. كانت هذه هي الفكرة القديمة التي تنص على أن الكلمات كانت فقط عبارةً عن ميزات صوتية مرتبطة «بالأشياء» القائمة سابقاً. (هنا لدينا مادة كلورايد الصوديوم وهناك لدينا كلمة ملح (Salt). حيث الكلمة الأولى هي معنى الكلمة الثانية). وكان النموذج التقليدي لهذا التفسير المُعتمِد على التسمية الرمزية (أي إعطاء الشيء اسماً يكون عبارةً عن مجموعة من الرموز أو المصطلحات) هو قصة آدم في **الكتاب المقدس** التي تُسَمّي الحيوانات في جنة عدن. ولقد استبق سوسور فيتغنشتاين (Wittgen-stein) في رفضه الصريح لهذه النظرية الأولية لكونها عاجزة تماماً عن توفير تفسيرٍ مرضٍ للدلالات اللغوية.

فقط عندما انحسر نجم النظرية السلوكية بعض الشيء في علم النفس الأكاديمي، أصبح «مُعْتَبَراً» مرةً أخرى من قِبَل علماء اللغة من أجل مناقشة المعنى في المصطلحات السوسورية وغير السوسورية. ولكن هذا لم يحلَّ أيضاً المشكلة فعلياً.

إن إدخال «الواقع النفسي» في الدراسة اللغوية يتضح عندما ننظر في الشرط «الواعي أو اللاوعي» لسوسور. في الممارسة العملية، كيف يمكن لأيِّ «عالم» أن يأمل سبر أغوار أعماق اللاوعي اللغوي للمتحدث؟ بالتأكيد ليس من خلال القيام بجولةٍ مع استبيانات من أجل التساؤل عما إذا (كانت) بعض التركيبات الشكلية هي جمل إنجليزية «جيدة» أو عما إذا كانت تعريفات القاموس لكلماتٍ مثل Salt (الملح) «صحيحةً». ولقد تم تكرار نفس الخطأ ولكن بشكل أكثر تنَقيحاً من

قِبَل أولئك «الواقعيين النفسيين» الذي اقترحوا اختبار «حقيقة» القواعد النحوية في المختبر من خلال تحديد الوقت الذي يستغرقه أولئك الذين يجري معهم الاستقصاء للتوصلِ إلى تحويلٍ للجملة «الفاعلة» إلى جملة «غير فاعلة» («تم عض ساعي البريد من قبل الكلب» في مقابل «عض الكلب ساعي البريد»). يتمثل الخطأ في تلك المسألة في افتراض أن «قواعد» اللغة هي أساليب ثابتة يُحَوِّل فيها العقل الإنساني تركيباً أفقياً معيناً للجملة إلى آخر. ومرةً أخرى، كان سوسور سيسخر من سذاجة أيِّ افتراضٍ من هذا القبيل.

المنهجية اللغوية

إن مشكلة (الواقعية النفسية) في علم اللغة تميل إلى الاندماج مع قضيتين مرتبطتين ببعضهما البعض، وكلاهما بدوره يثير الخلاف والجدل. إذا كان للغويات أن تُعْتَبَر علماً، فإنه أُثير جدلاً على أنه يجب على اللغويين تطويرُ منهجيةٍ مماثلة لمنهجيات العلوم الطبيعية. ولذلك يجب حظر الاستبطان[0] ويجب ألّا يُسْمَحَ إلا باستخدام الطرق الموضوعية، القابلة للتحقق. وأدى هذا إلى الكثير من الجدل حول كيفية تحديد ما يسمى «طرق الاسكتشاف» التي ينبغي على اللغويِّ أن يتبناها في الممارسة عندما يواجه مجموعةً من الأدلَّة التي تتطلب التحليل. في المقام الثاني، برزت شكوكٌ ليس فقط حول ما إذا كان هدف (الواقعية النفسية) قابلاً للتحقيق فعلياً، ولكن حول ما إذا كانت التوصيفات اللغوية تُصَوِّر أيَّ شيء من «الحقيقية» أم لا. وكان يُسَمَّى أولئك الذين يعتقدون بالوجود (المادي) اللبنية اللغوية: لُغَوِيي «الحقيقة الإلهية». على العكس من ذلك، كان أولئك الذين يعتقدون أن البنية اللغوية هي من صنع الطرق التحليلية لعالم اللغة يُعْرَفون باللغويين «المُشَعوذين». على الرغم من أنه لم يعد استخدام هذه المصطلحات شائعاً جداً، فإن الجَدَل الكامن وراءها لا يزال يظهر في مجموعةٍ متنوعة من الأساليب. وبالتالي فإن إحدى أسباب رفض مقاربة «نُظُم القواعد» للوصف اللغوي هو أن القواعد نفسها تم اختراعها لتلبية متطلبات اتباع المنهجية المُفَضَّلة، وأنه ليس لهذه القواعد علاقات ارتباطية قابلة للتحقق بشكلٍ مستقل لا في ذهن المتكلم ولا في أقوال المتكلم.

السياق

في برنامج اللغويات عند سوسور، لا تتوفر دراسةٌ للسياقات الفعلية التي يتواصل فيها المتحدثون مع بعضهم البعض. وبعبارةٍ أخرى، ما يُفْتَرَض هو أن نظام

اللغة (اللغة) يبقى ثابتاً في جميع السياقات. إذ لا تفيدنا معرفةُ من هم المتحدثون الفعليون أو في أي ظروف يتحدثون. هذا الافتراض غير المُحْتَمَل إلى حدٍّ ما تم تأييده اليوم فقط من قبل أنصار ما يسمى الآن «اللغويات المستقلة»، والتي ينتمي إليها غالبية التوليديين (الأحياء) (Newmeyer 1994). ولكن العلماء الآخرين أدركوا أنه لا يعني شيئاً (ولا يخدمُ أيَّ غرض) الإصرارُ على معالجةِ اللغات كنظم عقلية قائمةٍ بذاتها وغيرِ مرتبطة بأي صلةٍ كانت- إلا خارجياً وبالصدفة- بحياةِ المتكلمين وأغراضهم (عبر) التواصل الذي يوضعون فيه باستمرار.

وبالتالي تتعلق المسألة الخلافية بين «الاستقلاليين» و»غير الاستقلاليين» بموضوعِ دور التواصل. فبالنسبة للاستقلاليين، إن التواصل هو ببساطة مجموعة من الاستخدامات التي، وكما يحدث فعلاً، يمكن أن تُوضَعَ فيها الأدوات اللفظية المتوفِّرة، أما بالنسبة لغير الاستقلاليين، فإن اللغة هي شكلٌ من أشكال التواصل، ولا يمكننا أن نُفَسِّر الأدوات اللفظية إلا إذا رأينا أنها تخدم الغاياتِ التواصلية.

(الاندماج)، الوظيفية والبراغماتية

عند جمهور غير الاستقلاليين، يتخذ (الاندماجيون) الموقفَ الأكثرَ راديكاليةً الذين ينكرون أن الإشارات اللغوية يمكن تعريفها بالرجوع إلى حالات التواصل الفعلي التي تحدث فيها (Harris 1998). الموقفُ الأقل راديكاليةً وتشدداً هو موقف الوظيفيين (Dick 1994; Martinet 1994)؛ فالوظيفية هي قبعةٌ نظرية ذات حروف عريضة جداً، وواسعة بما فيه الكفاية لإيواء جميع أولئك الذين يرون أن البنية اللغوية تتم قولبتها في استجابة لمتطلبات التواصل والعوامل البيوميكانيكية الأخرى. وهكذا، على سبيل المثال، سيتم شرح بعض خصائص النظم الصوتية بالرجوع إلى خصائص الجهاز الصوتي للإنسان والحاجة التواصلية لتوضيح الفروقات السمعية. وإن مصطلح «وظيفي» هو على وجه الخصوص مرتبط بما يسمى «مدرسة براغ» (Prague School) وهي مجموعة من اللغويين السوسوريين الجدد الذين أسسوا في العام 1926 دائرة براغ اللغوية وشملت هذه المجموعة بين أعضائها فيليم ماثيسيوس (Vilém Mathesius)، رومان جاكوبسون (Ro- man Jakobson) ونيكولاي تروبتزكوي (Nikolai Trubetzkoy) (Fried 1972; Vachek 1964)). أما «البراغماتية» فهي المصطلح الذي أصبح الآن عاماً في مجموعةٍ واسعة من الدراسات – سواءً أكانت عَلَناً وظيفيةً أو غيرَ وظيفية – التي تركز على الحاجة لدراسة اللغة في علاقتها مع الظروف الواقعية (لاستخداماتها)

(Mey 1994). بعض البراغماتيين يشيرون حتى إلى «الكفاءة البراغماتية الواقعية»، تمييزاً لها عن «الكفاءة اللغوية» للمتكلمين، ولكن من الصعب رؤية كيفية تعريف الكفاءة البراغماتية بالضبط بدون الرجوع إلى تفاصيل حالاتٍ تواصلية معينة. وفي هذا الصدد، فإن البراغماتية الموضوعة في سياقٍ ما تؤدي إلى موقفٍ متطابق مع ذلك الذي اتخذه (الاندماجيون).

اللغة والكتابة

وأخيراً، استند برنامج سوسور لعلم اللغة على فرضيةٍ أساسية حول العلاقة بين الكلام والكتابة. لدى توصيف اللغة (la langue) على أنها نظامٌ كان موضوع البحث في علم اللغة، أوضح سوسور جيداً أن الكتابة ليست جزءاً من هذا النظام (Saussure 1916, p. 46). في الواقع، ساوى سوسور بين اللغة واللغة المحكية. ولقد اتبع غالبية اللغويين الأكاديميين هذه المبادرة طوال القرن العشرين. وهناك أيضاً إقرارٌ شائع مَفادُه أن «الكتابة ليست لغة».

ولكنَّ هذا يثير العديد من المشاكل في علم اللغة التطبيقي وعلم اللغة النفسي، وخاصةً في دائرة التعليم، حيث أنَّ تعلم القراءة والكتابة في وقتٍ مبكر يتخذ أهميةً قصوى في مجال التعليم اللغوي. إن التَّقَيد الجازم بالنظرة التي تعتبر أن علم اللغة يهتم فقط بالكلام يهدد بعزل هذا المجال المعرفي عن التعبير عن أي شيءٍ ذي صلةٍ بالحالة السائدة في معظم المجتمعات المتعلمة.

لماذا اتبع سوسور هذا الاتجاه؟ ولماذا اتبع معظم خلفائه الاتجاهَ نفسه؟ مما لا شك فيه أن (الاعتراف) بأن الكتابة تتساوى في المنزلة اللغوية مع الكلام كانت ستُسَبِّبُ مشاكلَ نظريةً هائلة لمجالٍ معرفي أراد أن يحافظ على استقلاليته الأكاديمية الخاصة. كما ذُكِرَ في الفقرة الافتتاحية لهذا الفصل، كان علم اللغة يسعى في الأصل إلى تمييز نفسه عن «فقه اللغة»، الذي كانت يحتكر دراسة النصوص الأدبية. ولكن ربما ما هو أهمُّ من ذلك هو اعتبار أن (الاعتراف) بالكتابة (كلغة) سوف تنشأ عنه في الواقع ومباشرةً حاجةٌ إلى إنشاء فرعين في علم اللغة، أحدهما يبحث في اللغة في مجتمعات ما قبل القراءة والكتابة والآخر يعالج اللغة في المجتمعات المُتَعَلِّمة. من خلال الإصرار على مبدأ «أسبقية الكلام»، (وبالتالي) ضَمِنَ اللغويون وحدة واستقلال موضوعهم الأكاديمي الخاص.

ومع ذلك، لا يمكن أن نطرح الكتابة جانباً لأن المصدر الرئيسي للمعلومات

الذي كان متاحاً للغويين فيما يخص لغات الماضي كان يشتمل على النصوص المكتوبة. وهكذا وجد سوسور نفسه في وضع حَرِج. إما لم يكن للغويات على الإطلاق شيءٌ لتقوله عن اللغات التي ليس لها متكلمون أحياء لتزويد عالِم اللغة بالأدلة (التي كانت النهج الأكثر صدقاً)، وإما كان يجب الوصول إلى حلٍّ وسط يسمح للغوي بالوصول بطريقةٍ «غير مباشرة» إلى اللغات الزائلة. ولقد اختار سوسور الحل الثاني. واضطر بالتالي إلى القول بأنه على الرغم من أنه لم يكن للكتابة منزلةً لغوية، فقد كانت نظاماً مستقلاً من الإشارات التي كان هدفها الوحيد «تمثيل» الكلام أو التعبير.

ودائماً ما كان هذا الحل الوسطي يُعْتبرُ مواربةً. فضلاً عن ذلك، فرض هذا الحل على كل من سوسور وخلفائه الذين اتبعوا هذا الاتجاه الذهابَ بعيداً وبشكل استثنائي في شرح السبب الذي جعل في واقع الأمر عدداً قليلاً جداً من أنظمة الكتابة «يمثل» الكلام بطريقة دقيقة أو مستقيمة ومتسقة داخلياً. كما لم يكن اللغويون قادرين على إعطاء أيِّ تفسير مُقْنِع للسبب الذي من أجله ينبغي لنظام الكتابة أن يؤثر فعلياً على النظام المحكي، كما يبدو ذلك ظاهرياً في حالات (ألفاظ التهجئة) (إذ كان على سوسور أن يرفض هذه الألفاظ على أنها «شاذة»). وباختصار، فإن محاولة التعامل مع الكتابة أظهرت حدودَ الاعتقاد بـ«أسبقية» الكلام وأوكلت إلى علم اللغة الحديث (الـ) «مسؤوليةَ المركزية الصوتية» (وهو الاعتقاد بتفوق الأصوات والكلام في جوهرها على اللغة المكتوبة)، التي وضعها ديريدا (Derrida 1967) وآخرون.

يمكن وضع ردودُ فعل اللغويين الحالية على مشكلة الكتابة في ثلاث فئات عامة هي: **(1)** لم يقولوا شيئاً عنها. وتبدو هذه ميزةَ معظم التوليديين، الذين لا يمكن أن نُمَيِّز لديهم أَيَّةَ نظرية للكتابة على الإطلاق. **(2)** تعاملوا مع الكلام والكتابة كنظامين مستقلين منفصلين عن بعضهما البعض. وهذا هو عادةً الموقف الذي تبناه علماء الرياضيات اللغوية (Uldall 1944) والمنظرون من مدرسة براغ (Prague) (Barnet 1972). **(3)** تعاملوا مع الكلام والكتابة كنظامين للتواصل متكاملين مُنْدَمِجَين في كل المجتمعات المُتَعَلِّمة. وهذا هو الموقف الذي تبناه الاندماجيون (Harris 1995).

الخلاصة

لتلخيص ما سبق، يمكننا القول أنَّ علم اللغة بعد سوسور اتسع وتنوَّع بأساليب لا يبدو أن هناك أي إشارة على أن سوسور تَوَقَّعَها. ولكنَّ هذا العلم فَقَدَ في ذلك أيَّ توافقٍ نظري أو اتساقٍ فيما يتعلق بأهداف البحث اللغوي أو الطرق التي يجب اتباعها. ولقد عَبَّر أحد اللغويين المعاصرين عن ذلك بقوله: «إذا سألنا اللغويين بشكل صريح مباشر عن الهدف من علمهم، فإنني أفترض أن عدداً قليلاً من المحترفين منهم سيترددون في الإجابة بأن الهدف من عِلْمِهِم هو «اللغة». ولكن إذا طُلِبَ منهم تفسير ما يَقصدون بـ«اللغة» فستظهر فوراً اختلافاتٌ صارخة (Martinet 1984). تلك الملاحظة هي في حدِّ ذاتها تعليقٌ على المدى الذي أثبت فيه علماء اللغة عجزَهم عن حل المشاكل التي كانت جزءاً لا يتجزأ من الإرث السوسوري. وإنَّ الفصل الافتتاحي لمقرر سوسور (*Cours*) يُخْتَتَم بالتأكيد على أن «المشاكل الأساسية لعلم اللغة العام لا تزال تنتظر حلاً». ومن المثير للسخرية هو كيف أن هذا التأكيد لا يزالُ في مَحَلِّه في يومنا هذا.

قراءات إضافية:

لا توجد «سجلات تاريخية» كافية لعلم اللغة الحديث. ربما يمكن متابعة القضايا الراهنة بالشكل الأفضل من خلال الاطلاع على المجلدات المتعاقبة لمحاضر المؤتمر الدولي للغويين Proceedings of the International Congress of Linguists (التي تُعْقَدُ كل خمس سنوات). وإن أفضل موسوعة تغطي جميع تشعبات هذا الموضوع هي **موسوعة اللغة واللسانيات (اللغويات)** (*Encyclopedia of Language and Linguistics*)، التي حَرَّرها ر. إ. آشر (R. E. Asher)، في أكسفورد (Oxford)، بيرغامون (Pergamon)، 1994، (في 10 مجلدات)، والتي تَمَّت الإشارة إلى المداخل الموجودة فيها في مواضع مختلفة من هذا الفصل. وإن إصدار سوسور **سوسور وعلم اللغة اليوم**(*Saussure and Linguistics Today*) ، الذي حَرَّرَهُ توليو دو ماورو (Tullio De Mauro) وشيغيكي سوغيتا (Shigeaki Sugeta)، في روما (Rome)، بولزوني (Bulzoni)، 1995، يتناول طائفةً متنوعة من القضايا المتعلقة بارتباط سوسور المستمر بعلم اللغة المعاصر وهو يحتوي على مساهمات العلماء السوسوريين الرائدين.

الفصل العاشر

الخطاب أو المحادثة

نيكولاس كوبلاند وآدم جاوورسكي

التعاريف المتناقضة (للخطاب) في بعض الأحيان، يتم تعريف (الخطاب) (Discourse) بعبارات بسيطة من شأنها تجريد الشك وزيادة اليقين بفحوى مفهومها. بالنسبة لستابس (Stubbs)، اللغة هي «في مستوىً أعلى من مستوى الجملة أو جزء الجملة» (Stubbs 1983, p. 1) ، وبالنظر إلى هذا التعريف، كل ما نستخدمه في اللغة، باستثناء الشتائم، وقوائم التسوق وإشارات الطريق مثلاً، هو (خطاب). وبعباراتٍ أكثر تجريداً من ذلك بكثير، كما ينعكس ذلك على كتابات فوكو النظرية حول المحادثة، يشير هذا الأخير إلى أنه وَسَّعَ نطاق مصطلح المحادثة، «متعاطياً معه أحياناً على أنه الحقل العام لجميع التعابير، وأحياناً أخرى على أنه مجموعةٌ من العبارات التي يمكن تمييزها لأفراد معينين، وأحياناً أخرى أيضاً على أنه ممارسة مُنَظَّمَة تفسر عدداً من العبارات» (Foucault 1972, p. 80, Cited in Mills 1997, p. 6).

تبدو هذه التعريفات متباعدةً جداً عن بعضها البعض. فالتعريف الأول يجعل المحادثة تبدو عادية ومحايدةً بالكامل، في حين تلَمِّحُ عبارة فوكو «ممارسةٌ مُنَظَّمة» إلى قضايا السلطة والصراع. يلفت ستابس انتباهَنا إلى المثل المحلي (لأن المحادثة هي أيُّ(مثال) على اللغة يضم أكثر من جملة واحدة فقط)، في الوقت الذي يفكر به فوكو بالعموميات الكبيرة (مثل «الحقل العام لجميع التعابير»). في هذا الفصل،

الذي يتبنى مقاربةً أكثرَ وظيفية، نريد أن نُبَيِّنَ أن المحادثة تتطلب منا بالفعل أن ننظر إلى اللغة في أبعادها المحلية والعالمية على حد سواء وبالتالي، فإن كلا التعريفين الواردين آنفاً هما مناسبان هنا. وإن الأمثلة المحلية للغة المُستخدمة غنيةٌ بمدلولها الاجتماعي– الثقافي؛ بالإضافة إلى أن القواعد الواسعة النطاق، كما القيم والأيديولوجيات هي مُكَرَّسة بشكلٍ راسخ في أنماط المحادثة. وإن أهم المقاربات الثاقبة للفكر في تعريف المحادثة هي تلك التي تجمع بين التحليل المفصل للغة في الحالات الخاصة لاستخدامها، وتحليل البنية الاجتماعية والممارسة الثقافية.

في أيامنا هذه، المحادثة هي مفهوم جوهري في جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويتجاوز إلى حدٍ بعيد المجالات المعرفية لعلوم اللغويات ولعلوم السيمياء بذاتها. ولا بد أن أصول تحليل المحادثة (Discourse Analysis) موجودة في علم اللغويات، والفلسفة اللغوية، والأنثروبولوجيا الاجتماعية وعلم الاجتماع النظري. ونحن هنا لن نحاول أن نتتبَّع تاريخ تحليل المحادثة بالتفصيل، انظر (Ja-worski and Coupland 1999، لمجموعةٍ مختارة من الكتابات المهمة حول المحادثة وشرح تحليل المحادثة التاريخية والمعاصرة). ولكن النظرة الموحدة التي يقدمها تحليل المحادثة هي أن جوانبَ مهمةً من حياتنا الاجتماعية يتم بناؤها في اللغة ومن خلالها، سواءً كان ذلك في المحادثات الاجتماعية التي تجري لحظةً بلحظة في الأحاديث اليومية أو في المعتقدات، والمعارف، والمبادئ التي تنظم حياتنا. وبالتالي فإن تحليل المحادثة هو محاولة (ملاحظة)، وحلّ ونقد أعمال البناء هذه. يمكن تسمية الموقف النظري نفسه الذي يعتمده تحليل المحادثة، بالموقف «البنائي» لأنه يدَّعي راديكالياً بأن الحقائق التي نأخذ بها لتحديد ظروفنا الاجتماعية، وأنفسنا داخلها، هي إلى حدٍ كبير ذاتُ بناءٍ اجتماعي (Shotter and Gergen 1989; Shotter 1993).

ويمكن إرجاع نظرة الهوية البنائية هذه (أو المُفَسِّرَة) إلى عمل غوفمان (Goffman) ومفاهيمه لـ «(التمثيل) الذاتي» ولـ (نظام التفاعل) (1959، 1967). يقول غوفمان أن الأشخاص الذين يتفاعلون فيما بينهم يتشاركون في حوارٍ يعتبر شكلاً من أشكال العمل الاجتماعي الذي، إذا عدنا إلى مجازه (1974) المسرحي المفضل، يُسْتَخْدَمُ لخلق «تأثير دراماتيكي» خاص (Goffman 1959, pp. 253-

(253. فالتواصل هو، إذن، عملية شكلية تسمح للمشاركين فيها ببناء وإسقاط ترجمات مُسْتَحَبَّة لهوياتهم، ومُصَرَّح عنها في سلسلةٍ من الأداءات المُوَجَّهَة إلى جماهير معينة. ولأن الفاعلين الاجتماعيين في الحوار متضامنون فيما بينهم، فإن سلوك أحد المشاركين في الحوار يحدد ويبني علاقاتٍ اجتماعية وهوياتٍ للأعضاء الآخرين في المجموعة. وهكذا، فإن المعنى الاجتماعي يبرز خلال التفاعل وكذلك إن هويات الفاعلين الاجتماعيين متعددة وحيوية (قادرة على التغير في سياق التفاعل). ولقد قامت الكثير من البحوث التحليلية للمحادثة بدراسة جوانبَ مختلفةً لكيفية بناء الهويات، فيما يتعلق مثلاً بنوع الجنس (كما في Coates 1996؛ Cameron 1999)، والعِرْق (Tannen 1999)، والعمر (مثل كوبلاند وآخرون (Coupland et al. 1991)؛ والأوراق البحثية في كوبلاند ونوسباوم -Coup (land and Nussbaum 1993)، والصورة الشعبية (Jaworski and Galasiński 1998)، أو الصحة (يونغ (Young 1999)).

مثلان نَصِّيَّان

بالمعنى الذي عَناهُ ستاب، النص 1 هو مثال على كلام روتيني إلى حدٍ ما، وعلى محادثة.

النص 1

ولدان في الثالثة عشرة من العمر يتكلمان عن أستاذ مدرسة.

ديفيد: إنه حقاً غبي وكل ما يفعله هو أنه يوبخُكَ بقسوة دون أن يستمع إليك على الإطلاق. أوليفر: نعم يا له من أحمق (.) لا أستطيع أن أتحملَه فهو دائماً يهاجم ويهاجم بعنف(.) (مُقْتَبَس من هولمز (Holmes 1999, p. 336)) (الرمز(.) يدلُّ على توقف قصير خلال دور أوليفر في الكلام. ونحن في الواقع نفضل أن نطلق على هذا الجزء من الحديث المعروض كلمة «**نص**»، لأنه سرْدٌ لما تم تبادلُه كلامياً بين ديفيد وأوليفر خلال مقطعٍ قصير من التحاور اللفظي. ما نستطيع أن نسجله ونطبعه كنصٍّ قدمه لنا ديفيد وأوليفر بأنفسهما بطريقةٍ مختلفة تماماً. بالنسبة لهما، لم يكن حديثهما عبارةً عن نصٍ تم تأليفه مُسْبَقاً. فقد كان ذلك عمليةً تراكميةً لاستخدام اللغة، اجتماعياً، أدت في نهاية المطاف إلى إنتاج ما نعتبره نصاً. إن التعاطي مع اللغة

التي يتم استخدامها كمحادثة يعني محاولة تفسير الطبيعة الاجتماعية للتواصل كما هو مُمَثَّل، وكذلك تفسير كيف يمكن للناس تشكيل وتفسير المعاني في ظروف اجتماعية محددة. بالرغم من أن النص1 يبدو روتينياً، يمكننا أن نعتبره بالتالي نتاجاً للتمازج المعقد للعمليات الشخصية، والاجتماعية والثقافية، التي تُخْتَصَر جميعها في عبارة «محادثة».

عندما تُلْفَظُ الكلمات (أو تُكْتَب)، من الصعب إلى حدٍ ما فصلها عن سياق استخدامها، الذي يشتمل على أهداف المتحدثين وعلى هوياتهم وعلى الأشياء التي تم ذكرها سابقاً. إذ يجب أن يُنْشِئ المتكلمون (أو الكتاب) الروابط بين عناصر التفاعل الاجتماعي واللغوي في التخطيط لمساهماتهم في وقائع المحادثة، وذلك من أجل أن يقوم (المستلم) بتفسير التعابير المنطوقة أو الجمل المكتوبة. وإن المراقبين غير المشاركين، كالمحللين للمحادثة والمدققين لأمثلةٍ كالنص 1، عليهم إعادة بناء وفهم التأثير المتبادل بين العمليات الاجتماعية والعمليات اللغوية قدر المستطاع.

دعونا ننظر عن كثب إلى النص 1. بالحد الأدنى، نحن بحاجة إلى معرفة الشخص الذي يدور الحديث حوله من أجل تحديد مرجع الضمير «هو»، الذي كان كلمة ديفيد الأولى وفي نفس الوقت الشخص الذي أُسْنِدَت إليه الإساءة. وإن معنى هذا الحوار والمضامين الاجتماعية له كانت ستختلف كلياً لو أن مرجع الضمير «هو» كان تلميذاً آخر بدلاً من أن يكون أستاذ الولدين. بالمِثل، من المهم نوعاً ما بالنسبة لنا أن نعرف أن المُتَحَدِثَيْن هما تلميذان وليس أستاذين (يتحدثان عن أحد زملائهما) مثلاً. لذلك لا يكفي لتفسير المحادثة أن نعرف معاني الكلمات الفردية المُنَسَّقة بطريقة معينة في العبارات الحالية، المنطوقة أو المكتوبة. نحن بحاجة إلى أن نستلهم من معرفتنا الإضافية عن (الظرف) الذي أُنْتِجَتْ فيه هذه العبارات من أجل أن نبنيَ تفسيراتٍ (له)، إذ يمكن أن يأتيَ عدة أشخاص بتفسيراتٍ مختلفة لنفس مقطع المحادثة تِبعاً لمعرفتهم الخاصة ولخبرتهم بالعالم المحيط بهم. فمثلاً، كمُسْتَمِعين إلى هذه المحادثة بالصدفة، قد يفسر معلمو الصَّبِيَّيْنِ مناقشتَهما على أنها «إهانةٌ وقحة»، في حين أن أصدقاء الصَّبِيَّيْنِ قد يسمونها «مجردَ دردشة».

قد نسألُ تالياً عن الغرض من هذا الحوار وعن دوره. ما الفوائد التي يمكن

أنيقدمها الحوار لأولئك الذين يشرعون فيه؟ ألقى كل من تريسي وكوبلاند (Tracy and Coupland (1990)) نظرةً عامة على الدراسات التي أجْرِيَت حول الأهداف التواصلية وأتيا بفكرة التمييز بين «المهمة» أو الأهداف «المفيدة» (مثلاً التحدُّث لتبادل المعلومات الواقعية) وبين «الهوية» والأهداف «العلائقية» (مثلاً في التأكيد على الانتماء والتضامن في المجموعة). عموماً، تتعلق الأهداف المُساعِدة بالمعنى المرجعي للعبارات (ما يتم الحديث عنه، والسمات المرتبطة بالأشخاص، وما إلى ذلك)، في حين أن الهوية والأهداف العلائقية تتعلق بالطريقة التي يقدم بها المتحدثون أنفسهم (Goffman 1959)، ويديرون بها «الاحتياجات الظاهرية» الخاصة بهم وبالمتفاعلين معهم (براون وليفينسون Brown and Levinson (1987). ويتفاوضون بها على السلطة والمسافة الاجتماعية من خلال كلامهم. على الرغم من أن العبارات متعددة الوظائف إلى حدٍ نموذجي، أي على الرغم من أنها تؤدي مهمةَ وأهداف الهوية الذاتية/ العلائقية (وغيرها) في نفس الوقت، يمكن أن تهيمن مجموعةٌ واحدةً من الأهداف في أيٍّ من العبارات. إذا افترضنا أن هذه ليست المرة الأولى التي يتحدث فيها الصبيان عن معلمهم، علينا أن نستبعد فكرة أولوية تبادل المعلومات في هذه الحالة. فمن المرجح أن الرأي الرهيب الذي يتشارك فيه الولدان حول المعلم قد ترسَّخَ جيداً لديهما مسبقاً، ولا يحتاج أيُّ واحدٍ منهما إلى الإقناع حول هذه النقطة. لذلك إذا لم يكن الولدان يقولان أيَّ شيءٍ جديد لبعضهما البعض، لماذا يقولانه إذاً؟ ويُفْتَرَض أنهما يستحضران علاقتهما المتبادلة كأصحاب، وهويتهما كتلميذين في المجموعة (وليس كمعلمين من خارج المجموعة). فهما يلعبان دورهما الاجتماعي المشترك بشكلٍ تبادلي، وهذا يشمل ربما جنسيهما المشترك (وهويتهما) العمرية.

إن (الهدف المكاني) لتبادل الحوار بين الولدين تلعب دوراً في التعبير عن التضامن في المجموعة. وتماماً كالعديدِ من النقاشات الكلامية الجارية بين طرفين، يستند هذا النقاش إلى عبارةٍ واحدة تدعو إلى ردٍ من قِبَلِ الطرف الآخر. وعادةً ما تكون الحوارات المتبادلة المحكية عبارةً عن كياناتٍ مؤلفة من طرفين (نذكر على سبيل المثال التحيات المُتَبادَلَة، أو المُجامَلة التي تليها ردود مجاملة أخرى). في **تحليل الحوار** (*Conversation Analysis*) تُعرَفُ هذه الكيانات «بالأزواج المترافقة» (Schegloff and Sacks) (1999). ولكن النص 1 ليس زوجاً

مترافقاً نموذجياً لأن عنصره الثاني (استجابة أوليفر لعبارة ديفيد) هو اختياري، أو على الأقل لم يكن مطلوباً من المتكلم السابق في سياق الكلام. اختار أوليفر أن يقول شيئاً ما رداً على شكوى ديفيد عن المعلم، والأهم من ذلك، أنه اختار أن يتفق معه بطريقةٍ تحاكي عبارة ديفيد الأولى. إن كلمة «غبي» التي قالها ديفيد وجدت صدىً لها في كلمة «أحمق» التي قالها أوليفر – وهي كلماتٌ مُسْتَمَدَّة من نفس نمط أو «أسلوب» اللغة، الذي يمكن أن نسميه الأسلوب العامي في المجموعة التي ينتميان إليها. وإن كلمة أوليفر (yeah) أو «نعم» هي بالطبع تعبيرٌ عن الموافقة في الرأي، كما أن عبارته: «لا أستطيع أن أتحملَه» تعزِّز القوة التقييمية لتوصيف ديفيد الأصلي للمعلِّم. وإن تعليق ديفيد «يوبخُكَ بقسوة دون أن يستمع إليك على الإطلاق» يتطابق بشكلٍ مباشر مع عبارة أوليفر «هو دائماً يهاجم ويهاجم بعنف». هذا تعليق استطراديٌ تالٍ للأول (أي محادثة عن المحادثة، انظر جاوورسكي وآخرون (Jaworski et al. 2000)) ويُبَيِّنُ كيف يمكن للناس أن يُسْنِدوا بعضاً من تقييماتهم الاجتماعية للآخرين على أساس كيفية استخدامهم للغة.

وخلاصة القول، يتحقق الدور العلائقي بين الأشخاص في المحادثة في النص 1 على عددٍ من المستويات المختلفة: موضوع القيل والقال حول شخصٍ من خارج المجموعة يعزِّز الشعور بالتلاحم داخل المجموعة (Coates 1989; J. Coupland 2000)؛ المفردات – استخدام المفردات العامية والمُحَرَّمَة تستحضر الهوية الذَّكَرِية المُشْتَرَكة (Kuiper 1991)؛ واستراتيجية الاستجابة – إذ إن موافقة أوليفر داعمة لديفيد (Holmes 1999) وكذلك هي لطيفة بشكلٍ إيجابي (Brown and Levinson, 1987؛ فيرشويرين (Verschueren)، في هذا الكتاب)، والتوازي الهيكلي في العبارات – وانعكاس عبارات أوليفر في عبارات ديفيد بشكلٍ متطابق وهذا يضيف شيئاً ما إلى حِسّ المساندة.

النص 2 يوضح كيف أن المحادثة تسمح للمشاركين في المطالبة بعلاقات القوة وتوطيدها، والتي نُعَرِّفُها هنا كدرجةٍ من التأثير والسلطة والسيطرة بين الأشخاص. النص 2 مقتطف من برنامج هاتفي حواري يُذاع على راديو بريطاني. أما موضوع هذا البرنامج فهو «حملة جمع تبرعات»، وهنا تحاول المُتَّصِلة أن تُوَسِّعَ إحالة الحوار إلى طلبات التبرعات الخيرية، التي تتلقاها عن طريق البريد.

النص 2

المتصلة: لديَّ ثلاثة رسائل للمناشَدة هنا هذا الأسبوع. (.) كلها تطلب التبرعات. (.) اثنتان منها من أولئك الذين أساهم دائماً معهم بأية حال.

المضيف: نعم؟

المتصلة: ولكن أتوقع أن أحصل على أكثر من ذلك بكثير

المضيف: إذن؟

المتصل: الآن الموضوع هو أن هناك حدٌّ لِ...

المضيف: ولكن ما علاقة ذلك ما علاقة ذلك بحملة جمع التبرعات؟

المتصل: لأن حملات جمع التبرعات... (تُتابِع) (Hutchby 1999, p. 581)

في هذه النسخة المكتوبة من الحوار، يشير الرمز (.) مرةً أخرى إلى وقفةٍ قصيرة ويشير الرمز (إلى الكلام المُتَداخِل؛ ولقد قمنا بحذف كل الاصطلاحات المُخْتَزَلَة المنقولة من التسجيل إلى الكتابة والمستخدمة في النص الأصلي). في تحليله لهذا النص، يقول هاتشباي أن المتصلة مدعوَّةٌ إلى ترتيب برنامجها للكلام من أجل مناقشته. ويبدو أن هذا التفويض غير المحكي مضمونٌ بموقعه المتميز والمُفْتَتِح للمحادثة. ومع ذلك، كان يمكن للمضيف أن يبسط سيطرته على برنامج الكلام الذي وضعته المتصلة من خلال خلق «موقعٍ (مواجهة) ثانٍ». فمثلاً في النص 2، يشتمل الدور الثاني للمضيف في الكلام على سؤالٍ يتكون من كلمة واحدة «إذن؟»، هذه الكلمة تُضْفي عنصراً من السلطة والسيطرة على المتصلة، على الأقل بطريقتين. **أولًا**، (مواجهة) أهلية مشروعية الكلام للمتصلة، و**ثانياً**، تتطلب من المتصلة إعطاءَ سرد لجدول كلامها. (تتوضح) السِّمة المتحَكِّمة في كلمة «إذن» بعد فشل المتصلة في تقديم تفسير لصلة برنامج كلامها استجابةً لذلك، ولقد تمت مقاطعة كلامها من قبل المضيف (وهي استراتيجية تحادث حوارية أخرى لتعليل السلطة التفاعلية – زيمرمان وويست (Zimmerman and West 1975)). ولقد طُلِبَ منها مباشرةً تفسير جدول كلامها: «ولكن ما علاقة ذلك (وما) علاقة ذلك بحملة جمع التبرعات؟» ولا يبدو سؤال المضيف السابق («نعم؟») تحدياً

ولكن بالأحرى يحقق الدور المُوَجَّه نحو مهمة استنباط المزيد من المعلومات من المتصلة. فقط عندما يجمع المضيف معلوماتٍ كافية، يُوَجِّهُ (أنظاره) نحو مشاركة المتصلة مستنداً إلى صِلَتِها بالبرنامج وصِحَّتِها.

مجتمعات وأنواع المحادثة

إن تعليقاتنا على هذه التسلسلات الكلامية الوجيزة تحاول إلقاء الضوء على وقائع المحادثة التي أدت إلى هذه التعليقات. وهناك إحساسٌ بأنه لا يمكننا أبداً الوصول إلى تلك الوقائع وإلى مكوناتها الثانوية (وتتابعها) بالكامل. حتى المشاركون أنفسهم، وحتى لو استطعنا إعادة تشغيل حديثهم المُسَجَّل أمامهم وسؤالهم عنه، على الأرجح لن نستطيع تقديم تحليلاتٍ نهائية. في الواقع، ليس من الواضح ما إذا كان دائماً بالإمكان إيجادُ تحليلٍ نهائي لأي تسلسل في المحادثة. وإن أحد المبادئ الأساسية لتحليل المحادثة هو أنه لا توجد قراءات نهائية وحاسمة للوقائع الاجتماعية واللغوية الاجتماعية. إذ في الحقيقة، يأتي الكثير من الزخم لمقاربة المحادثة كَرَدٍ ناقد على تقاليد البحوث التي كانت تفترض أن لديها أساليبٌ لإنتاج تحليلات حاسمة للمحادثات، وهي بهذا الافتراض، أغلقت باب مناقشة الآثار الاجتماعية للغة قبل أوانها (انظر على سبيل المثال Potter and Wether-ell 1987). وإن تحليل المحادثة مع مفهوم الغموض التفسيري وتعدد التكافؤ (Polyvalency) يُعَدُّ وافياً أكثر من معظم التقاليد التي نجدها في البحث التجريبي الكلاسيكي (كاختبار الفرضيات في البحث التجريبي) .لقد رَكَّزَ محللو المحادثة على أن البحث الأكاديمي هو في حد ذاته مجموعةٌ من المحادثات، وأننا بحاجةٍ إلى دراسة الكيفية التي يخدم فيها البحث مصالح معينة ويبني معانيه وقِيَمَه التي تنعكس في النصوص الخاصة به وفقاً لذلك (Gilbert and Mulkay 1984)؛ انظر أيضاً المناظرة الأخيرة في مجلة: (**المحادثة والمجتمع** (*Discourse & Society*) لعام 1999 للاطلاع على مناقشةٍ لهذه المسائل). ومع ذلك، يمكن أن يحقق تحليل المحادثة شكلاً من الموثوقية والقابلية للتعميم.

– هاتان الميزتان هما من متطلبات مناهج البحث الكلاسيكي. في النَّصَّين الذين ناقشناهما، لم تكن على الإطلاق عملياتُ المحادثة الجارية فريدةً من نوعها واستثنائيةً لِلَّحظات المُسَجَّلَة الخاصة. كما أشرنا آنفاً، يبدو أن ديفيد وأوليفر يُعْرِبان

عن هويةٍ مشتركة عند العديد من الأشخاص الآخرين – أطفال المدارس أو ربما أولاد المدارس. فلغتهم، على الرغم من أنها بالطبع لغتهم الخاصة بهم فردياً، هي نموذجٌ على لغة المجموعة أو لغة المجتمع. وهي ليست فقط كذلك بحكم أشكالها اللغوية (مثل العناصر العامية في الكلام، التي يمكن أن تميز جانباً من اللهجة المحلية للشباب). بل هي شكلٌ من أشكال الممارسة الاجتماعية والثقافية، وهي «وسيلة للمعنى» (هاليداي (Halliday 1978)) تتجاوز أسلوب اللغة بحدِّ ذاته. هذه النبذة، أو النموذج المحلي «مرتبطة مباشرةً» بمجموعةٍ من القيم والمواقف المألوفة في الثقافة. هذه هي وجهة النظر التي يتبناها فيركلاو (Fairclough) عندما يكتب: «المحادثة» هي بالنسبة لي أكثر من مجرد استخدم للغة: إنها استخدامٌ للغة، سواءً في الكلام أو في الكتابة، يُنْظَرُ (إليها على أنها) نوعٌ من الممارسة الاجتماعية . (Fairclough 1992, p. 28)

تتم هيكلة ممارسات المحادثة في بُعْدَين عامَّين، من قِبَل المجموعات أو «الأعضاء» (الذين) يقومون بها أو يسيطرون عليها ومن قِبَل الظروف الاجتماعية (المستخدمة). لذلك يمكننا تحديد **مجتمعات الممارسة** (للمحادثة)، مثل تلك التي تلتئم حول الأمومة، أو التسوق، أو ثقافة الجسم (Holmes and Meyer-hoff 1999) (Coupland and Coupland 2000). في نفس الوقت، سيتم تنظيم ممارسات المحادثة في مجموعةٍ من الأنواع (Bakhtin 1981; 1986). ولقد كان مفهوم «النوع» في الأصل مفهوماً أدبياً، يشير إلى أنواع من النصوص الأدبية الإصطلاحية، مثل القصص الشعرية والروايات أو السونيتات (القصائد الغربية المؤلفة من 14 بيتاً والتي تتبع قافيةً وتركيباً منطقياً). وتتضمن أنواع المحادثة غير الأدبية الدردشة، وإلقاء الخطابات، والسرد القصصي، أو الحوار العام. ويقول باختين (Bakhtin) أنه يجب علينا أن نتوقع أن تُقَدِّمَ اللغة مزيجاً غنياً من الأنواع أو ما أسماه «الأصوات» بحيث يكون العديد من النصوص اللغوية أو معظمها متضاعف الأصوات أو ثنائي اللغة (انظر ثنائية اللغة). وتُوضح دراسة جرادول (Graddol's 1996) للبطاقة المُلْصقة على زجاجة النبيذ كيف أن الأجزاء المختلفة من البطاقة، باعتبارها حَيِّزاً سيميائياً، تُسْتَخْلَصُ من أنواع مختلفة – نذكر مثلاً، وصفَ نوعِ النبيذ وصفاته، وتحذيراً صحياً، وشريطاً ورمزاً رقمياً. ويتحقق الكثير من الأصوات المختلفة – الاستهلاكية، والقانونية، والتجارية – التي تتوجه إلى مختلف الجماهير

المحتملة – لدى المستهلكين والمروجين للصحة وتجار المُفَرَّق – وذلك لأسباب مختلفة.

العالم الحديث-السابق للمحادثة

هناك العديد من الأسباب التي تؤدي إلى الاعتقاد بأن «الانتقال إلى المحادثة» هو أكثر من نهجٍ أكاديمي، ويمكن ربطه بإعادة تشكيلٍ جذريٍ للحياة الاجتماعية. فالحياة المعاصرة، وفي قائمتها نذكر المجتمعات المتقدمة والأكثر ثراءً في العالم، لديها صفاتٌ تميزها بشكلٍ ملحوظٍ جداً عن المرحلة الصناعية «الحديثة» التي سبقت الحرب العالمية الثانية. إحدى المظاهر الأكثر وضوحاً لما سماه غيدنز (Giddens 1991) «الحداثة العليا» أو «الأخيرة»، وما يشار إليه أكثر عموماً بعبارة **ما بعد الحداثة**، هو التحول في الاقتصادات الرأسمالية المتقدمة من التصنيع إلى صناعة الخدمات.

يعزو فيركلاو (Fairclough 1992, 1995b) جزءاً من هذه الظاهرة إلى (تقنية) المحادثة في مجتمعات مرحلة ما بعد فورد، أي تلك التي لم يعد جوهرها الاقتصادي مرتبطاً بالانتاج الإجمالي للسيارات والتطورات الصناعية المماثلة وإنما أصبح مرتبطاً بالصناعات ذات التكنولوجيا الحديثة العالية وقطاع الخدمات الضخم. وهكذا، فإن مجموعة العمال المُصَنِّعين والعاملين على خطوط الإنتاج، والمعزولين عن مستهلكي المواد التي ينتجونها، تم استبدالهم إلى حدٍ كبير بمجموعةٍ من العمال المتصلين بشبكة مع بعضهم البعض عند القيام بمهام تواصلية من أنواعٍ مختلفة أو بمجموعةٍ من العمال الممثلين لشركاتهم في أنواع مختلفة من اللقاءات الخدماتية مع العملاء. بالمعنى الحرفي إلى حدٍ ما، تستحوذ اللغة على أهمية أكبر في عالم توفير واستهلاك الخدمات، حتى ولو كان ذلك فقط في اللغة الترويجية لخدمات البيع في البيئة التنافسية للمصارف، وشركات التأمين، أو مخازن بيع الهواتف.

وإن التطور السريع في وسائل الإعلام والاتصالات، مثل القنوات الفضائية والراديو والتلفزيون الرقمي، والنشر المكتبي، والاتصالات (شبكات الهاتف المحمول، والمؤتمرات عبر الفيديو)، والبريد الإلكتروني، وتقديم المبيعات والخدمات عبر الإنترنت، وتوفير المعلومات والترفيه، خَلَقَ وسائط جديدة

لاستخدام اللغة (جنباً إلى جنب مع الوسائط التقليدية). وإنه ليس من المستغرب أن يتم التدقيق باللغة عن كثب، على سبيل المثال في المناهج الدراسية ومن قِبَل المُنْتَحِلين للقب الخبراء والأوصياء على ما يسمى «بالمعايير اللغوية» – (انظر ميلروي وميلروي (Milroy and Milroy 1998)؛ كاميرون (Cameron 1995)؛ آيتشيزون (Aitchison)، في هذا الكتاب). وكذلك يتم في نفس الوقت تشكيل اللغة وشحذها من قبل أصحاب الإعلانات والصحفيين، والمُذيعين في مسعى لإحداث اهتمام ووقع تأثير مُقْنِع أكثر من أي وقت مضى. وفي ظل هذه الظروف، تصبح اللغة بحد ذاتها قابلةً للتسويق ونوعاً من السلع، ويستطيع المتعهدون بها تسويق أنفسهم من خلال مهاراتهم في التلاعب اللغوي والنصي (Bourdieu 1991).

إن الباحثين الاجتماعيين في المجال النظري الذين لديهما التأثير الأكبر في تنمية فكر ما بعد الحداثة في المحادثة هما بيار بورديو(Pierre Bourdieu) وميشال فوكو (Michel Foucault). لم يكن اهتمامهما بالمحادثة يَصُبُّ كثيراً في الاختبار التجريبي للمعطيات الواقعية التفاعلية، ولكن كان يتركز على المحادثة كوسيلة مجردة للإجراءات الاجتماعية والسياسية. فاللغة في نظرية بورديو (Bour-dieu 1991) للممارسة الاجتماعية ترتبط بمفهومه عن «الخِلقة» (الصحية) أي مجموعة القواعد والتنظيمات الداخلية التي تتمثل مهمتها في تنظيم وتوليد الإجراءات (الممارسات)، والتصورات والتمثيلات للأفراد، والتواسط بين البنيات الاجتماعية التي تُقيم فيها. والجانبان المهمان والمترابطان بالخِلْقَة (الصحية) هو أنها تعكس البنيات الاجتماعية التي اكْتُسِبَتْ فيها، وأنها تُعيد إنتاج هذه البنيات. وبالتالي، فإن الشخص الذي نشأ في بيئة الطبقة العاملة سوف يُظْهِرُ مجموعةً من التصرفات والرغبات المختلفة عن تلك التي اكتسبها شخصٌ ينتمي إلى بيئة الطبقة الوسطى وستعيد هذه الاختلافات بدورها إنتاج الانقسامات الطبقية بين الأفراد (ومجموعاتهم).

بالنسبة لبورديو، اللغة هي بؤرة الصراع على القوة والسلطة حيث يُفْتَرَض أن بعض أنماط اللغة (الأساليب، اللهجات، اللكنات واللغات المحلية، والرموز الشيفرية، وما إلى ذلك) «صحيحة»، «متميزة» أو «مشروعة» على عكس تلك الأنماط «غير الصحيحة» أو «المُبْتَذَلَة». وأولئك الذين يستخدمون (في الحديث

أو الكتابة) أنماط الكلام المُصَنَّفة كأنماطٍ مقبولة، يمارسون درجةً من السيطرة على أولئك الذين لديهم خِلقة(صحية) لغوية مُهَيْمَن عليها (Bourdieu 1991, p. 60). ويمكن إصلاح مجال الإنتاج اللغوي، للغة «المشروعة» في عملية التفاوض «من خلال محادثةٍ تَبَدُّلِيَّة ذاتية فيما يخص شروط استخدام المحادثة» (Bourdieu 1991, p. 71; Bourdieu 1999, p. 505)، وخلاصة القول:

الخِلْقَة (الصحية) تزود الأشخاص بفهمٍ وإدراك لكيفية التصرف والاستجابة في سياق حياتهم اليومية. إنها توجه «أفعالهم» وميولهم دون تحديدها بدقة. إنها تعطيهم «شعوراً بالطريقة» التي يجب التصرف بها، شعوراً بما هو مناسبٌ في ظروفٍ مُعَيَّنة وما هو غير مناسب، أي «شعوراً عملياً».

(Thompson 1991, p. 13)

كان الاهتمام الأولي لفوكو(Foucault 1979) بالمحادثة يتركز على كونها وسيلةً لإنتاج (إعادة إنتاج) علاقات القوة. بالنسبة له، تتوزع السلطة على جميع العلاقات الاجتماعية وكقوةٍ بارزة هي تمنع إجراءاتٍ معينة بينما تُمَكِّن بعض الإجراءات الأخرى. ومع ذلك، لا تقتصر القوة على العمليات الواسعة النطاق (في السياسة) والمجتمع. إنها قوةٌ موجودة في جميع المحادثات اليومية واللقاءات الاجتماعية (Hutchby 1999؛ انظر أيضاً تحليلَنا للنص 2 الوارد آنفاً). في نظام فوكو، تُمَثَّلُ علاقات القوة من خلال المحادثات التي تجري في مؤسساتٍ مثل المدارس والعيادات الطبية، والسجون، وما إلى ذلك، والتي تمارس قدراً من التحكم والتدقيق بالأفراد وبممارساتهم وهوياتهم. مثال على ذلك، يعتبر فوكو (Foucault 1999) بأن انتشار المحادثة عن الجنس والنشاط الجنسي في بداية العصر الحديث، لم تؤدِّ «ببساطة» إلى قمع النشاط الجنسي للأطفال، ولكن عَمِلَت كوسيلة لبناء روايةٍ مقبولة لنشاطهم الجنسي. في دراساتنا حول الكيفية التي تُبْنَى فيها هويات الناس من مختلف الأعمار، حاولنا أن نبرهن أن «تَتَبُّع البناء الاجتماعي وتقليد المتقدمين في السن من خلال الكلام يبدو توجهاً بحثياً فعالاً لإثبات أن «الكهولة» هي ذاتية جماعية (كما) هي نقطة النهاية البيولوجية أو المتعلقة بسيرةِ حياةِ إنسان» (Coupland et al. 1991, p. 207).

وهناك جانب آخر مهم في نظرة فوكو ((Foucault (1977) للقوة وهو أنها مرتبطة بوضوحٍ بالمعرفة. يوضح ميلز (Mills) هذه النقطة على النحو التالي:

ما تتم دراسته في المدارس والجامعات هو نتيجة الصراعات حول الجهة التي تُعْتَبَرُ روايتها للأحداث مقبولة. فالمعرفة هي غالباً نتاجٌ لإخضاع الأشياء، أو ربما يمكن أن يُنْظَرَ إليها على أنها عملية يتم من خلالها تكوين الأشخاص كأفرادٍ خاضعين، فمثلاً، عند مراجعة فهرس المكتبة الجامعية، إذا كنت تبحث عن مصطلح «النساء»، ستجد مجموعةً واسعة من الكتب والمقالات التي تناقش اضطهاد النساء، وسيكولوجية النساء، والأمراض الجسدية التي تعاني منها النساء، وما إلى هنالك. أما إذا كنت تبحث عن مصطلح «الرجال» فلن تجد نفس الوفرة في المعلومات. (1997, p. 21) وترتبط فكرة المعرفة كقوة بمفهوم فوكو (Foucault) (1977) «لنظم الحقيقة» التي تسهل إعادة إنتاج أنماط القوة، والهيمنة والسيطرة. وإنه من خلال نظم الحقيقة هذه التي تجد تصريحاً بها في «محادثة المختصين» حول القضايا الاجتماعية مثل الأُبُوَّة (الأمهات العازبات)، والإدمان، والنشاط الجنسي، والإجرام، وثقافة الشباب، وما إلى هنالك، يتم بالفعل دراسة الأفراد والتحكم بهم في مجتمعات ما بعد الحداثة (Cameron et al. 1999).

وبالمثل، لم تعد المحادثة «مجرد» وظيفةٍ للعمل، بل أصبحت عملاً، تماماً كما تُعَرِّف الأشكال المختلفة من الترفيه ولذلك الأمر، (وللدراسة) الأكاديمية.

بطريقةٍ موازية، يصبح تحليل المحادثة أكثر أهميةً – في المقام الأول بالنسبة لأولئك الذين لديهم التزامٌ تجاريٌ مباشر في اقتصادات اللغة، وفي المقام الثاني، بالنسبة لأولئك الذين يحتاجون إلى تفكيك هذه الاتجاهات الجديدة، لفهم قوتها وحتى لمقاومتها أيضاً.

كما قيل من قِبَل علماء الإشارة الاجتماعيين (انظر كريس (Kress)، في هذا الكتاب)، التمثيل هو عمليةٌ خاضعة لنظم الإنتاج والاستقبال، والتي هي بدورها انعكاسٌ للمركبات الأيديولوجية الموجودة في المجتمع. إن ممارسات التمثيل، المُتَوقِّفة بشكلٍ أكثر أو أقل على المجموعات المُتَنازَع عليها لتصنيف الناس والظروف، هي دائماً جزءٌ من الحالة التواصلية، والتي، بدورها، دالَّةٌ على ومُحَدَّدة بفوارق القوة بين الأشخاص الذين يتواصلون مع بعضهم البعض وكذلك بين

الأشخاص الذين هم موضوع التمثيل (انظر مثلاً هودج وكريس (Hodge and Kress 1988؛ كريس وفان ليوين (Kress and van Leeuwen 1996)).

في عقب هذا التقليد البحثي، يُبَرْهِن غالاسينسكي وجاوورسكي (يأتي ذلك لاحِقاً) كيف أن قصص السفر في الصحافة البريطانية تمثل السكان المحليين بالنسبة للسائح بطرقٍ تدل على مواقع الهيمنة التي تمت كتابة قصص السفر من خلالها. يتم وصف السكان المحليين بشكلٍ نموذجي كأفرادٍ في جماعات اجتماعية، متجانسة نسبياً، أو إثنية غير متمايزة، أو كأفراد رمزيين يحملون بشكلٍ أكثر أو أقل نَمَطيّةِ الصفات «الوطنية»، «الإثنية» أو غيرها من الصفات الأخرى للمجموعة. بدلاً من ذلك، المحليُّ «الآخر» هو إلى حدٍ كبير فردٌ «بدون صفات»، ويبدو أن مهمته الوحيدة هي مساعدة الكاتب في رحلته/ رحلتها في الأراضي الأجنبية، الغريبة. في تلك الكتابات، يتم تمثيل المجتمعات المحلية كجزءٍ من التوصيف العام للبلد/ المنطقة/ الجزيرة التي سافر الكاتب إليها. وليس السكان المحليون أكثرَ من جزءٍ من «مشهد» وِجْهَةِ الهدف. في دراسته لتسويق وكالة السفر، يذهب سيلفر (Silver 1993, p. 305)، بعيداً في افتراضه أن التمثيلات السياحية لا تعزِّز الصور النمطية فقط، وإنما توحي بأن المواطنين المحليين يتواجدون في الغالب للاستهلاك من قِبَل السُّيَّاح الغربيين (حتى أنه يمكن تصويرهم بدون إذن، تماماً مثل الطبيعة). انظر في المثال التالي:

النص 3

ما أذكره عن تارانتو (Taranto) هو التجول بين الأطفال والعشاق وكبار السن تحت أشعة الشمس في الحدائق العامة فوق مار بيكولو (Mare Piccolo)، البحر الداخلي الذي ترسو فيه السفن البحرية الإيطالية، ثم أذكر الليلة التي قضيتها مع الحشد الكثيف في فيا داكينو (Via d'Aquino)، الذي يضيع تدريجياً في جَلَبَة الصوت الغاضب لامرأةٍ شابةٍ تصرخ.

مجلة الغارديان (*The Guardian*)، 27 أيلول/ سبتمبر 1997؛ مُقْتَبَسَة في غالسينسكي وجاوورسكي، يأتي ذلك لاحقاً).

يستحضر الكاتب عدة مجموعات من السكان المحليين، ولكن هؤلاء يبقون

مجهولين (من دون اسم) وغير متمايزين. بالإضافة إلى ذلك، هم يشكلون جزءاً من قائمة أطول من العناصر المكوِّنة لمشهد البلدة. ويُوَفِّر السُّكَان المَحَلِيون مجردَ خلفية لتجول الكاتب، على نفس مِنوالِ «الشمس المشرقة»، و«الحدائق العامة» و«البحر الداخلي».

ويُسْتَكْمَلُ هذا الإطار البصري بالمشهد السمعي. وغالباً ما يتم عَرْضُ ذلك على أنه غريبٌ وغيرُ مفهومٍ كبقية البيئة الخارجية. هذا المثال يضع عدم الكشف عن هوية «الحشد الكثيف» بموازاة توصيف الصوت كـ«جَلَبَة»، «صوت غاضب»، «امرأة تصرخ»، وإن كل ذلك يشير إلى درجةٍ من الانحراف عن الكلام المنظم والعقلاني.

هذه العمليات لاستخدام «الآخر» تسمح للكتاب التصويريين للرحلات أن ينأوا بأنفسهم عن السكان المحليين وأن يُضْفوا شرعيةً على وضعهم المُنْتَقَص المُعْتاد (انظر Coupland 2001). من خلال تأليف رواياتٍ خاصة من تمثيلات المحادثة للآخر المحلي، يخلق الصحافيون المسافرون بعنجهيتهم بيئةً ذات نفع وإرضاء ذاتي من أجل أن يختاروا لأنفسهم دور الأبطال الذين غامروا في المجهول العظيم، وجابهوا كلَّ الأخطار المحتملة وعادوا منتصرين من أجل رواية هذه القصة (وتحقيق الربح).

الصراعات الأيديولوجية

كان لعمل فوكو النظري (انظر ما ذكِرَ آنفاً) ولعمل ميشال بيشو (Michel Pêcheux (1982) مكانة كبيرة في التعريف بالصلة بين المحادثات والأيديولوجية. يؤكِّدُ بيشو أن أية محادثة خاصة أو «بنية محادثة» هي، على مستوى التنظيم الاجتماعي، في تعارضٍ مع المحادثات الأخرى. وهو يقدم لنا نظريةً حول كيفية تنظيم المجتمعات من خلال نضالاتها الأيديولوجية، ويبين لنا كيف أن الجماعات الخاصة (مثل المجموعات المُصَنَّفَة حسب الطبقة الاجتماعية أو حسب الجنس) ستكون أكثر أو أقل حظوةً في الوصول إلى شبكات المحادثة الخاصة. وإن وجهات النظر المحلية والعالمية تتوافق معاً عندما يمكن لجزءٍ من تحليل المحادثة أن يُظْهِرَ كيف يُؤتى بضغط الأعراف الاجتماعية أو المؤسسية لترتبط بهوية وتصنيف الأفراد.

المثال الممتاز على ذلك هو تحليل ميهان (Mehan 1999) لمقابلةٍ نفسية يتوجب على الأطباء من خلالها التأكد من الصحة العقلية لمريضٍ ما قبل أن يقرروا ما إذا كان بالإمكان إخراجه من مستشفى الأمراض النفسية (وإعادة إدخاله إلى السجن). يُبَرْهِن ميهان كيف أن المريض والأطباء يبنون وجهات نظر مُتَعارِضة تماماً حول حالة المريض العقلية؛ إذ يدعي المريض أنه «طبيعي» ولكن يدحض الأطباء ادعاءاته عبر إعادة تفسير كل ما يقوله على أنها أعراضٌ تشير إلى عدم الاستقرار العقلي. من المثير للاهتمام أنه خلال المقابلة، طرح الأطباء الأسئلة وسمحوا للمريض بالإجابة عنها بشيءٍ من التفصيل، على الرغم من أن الأسئلة صيغت بطريقةٍ لا تحتمل سوى الإجابة بنعم/ أم لا (انظر النص 4). وهذا يخدم الغرض من فحص المريض أو التدقيق في حالته (انظر فوكو، المشار إليه آنفاً). ولكن تقييمهم للحالة يجري بعد أن يتم نقل المريض. ولاحقاً، كان يتم تناول إجاباته بشكل استراتيجي خارج السياق (Mehan 1999; p. 569; See Text 5). تأمّل في الأمثلة التالية:

النص 4

الطبيب: هل أنت داخلٌ ضمن أي علاجٍ جماعيٍّ هنا؟

المريض: لا! ليس هناك مجموعة، من الواضح أنني لست بحاجة إلى علاجٍ جماعي، أنا بحاجة إلى السلام والهدوء. انظر إلي. هذا المكان يضايقني! يَضُرُّني ... أنا أخسر وزني. كل شيء، كل شيءٍ كان يحدث لي سيءٌ.

وكل ما حصلت عليه، كل ما أحصل عليه هو: «حسناً، لماذا لا تأخُذُ الدواء؟» الدواء كريهٌ بالنسبة لي. هناك أشخاص يمكن ألا تعطيهم الدواء. بالتأكيد، والدواء الذي تناولتُهُ يَضُرُّني، إنه يؤذيني!

(Mehan 1999, p. 567)

النص 5

أحد الأطباء علَّق على انفعال المريض المُعَبَّر عنه.

كلما علا صراخه من أجل العودة، دلَّ ذلك على الأرجح على حالة الخوف التي يمر بها.

في دراسته، يوضح ميهان (Mehan 1999) كيف أن الطرفين (المريض والأطباء) يأتيان إلى الفحص غيرَ مستعدَّين تماماً لتقبل وجهات النظر المعاكسة (والمتضاربة) للطرف الآخر، حيث يدعي المريض أنه على استعداد لأن يُطْلَقَ سراحُه من المستشفى في حين ترى لجنة الأطباء أنه غير مؤهل تماماً للخروج. كلا الجانبين يدخلان في جدال يحاولان فيه إقرار روايتهم للحقيقة ولكن في نهاية المطاف الطرف الذي يمكن أن يحظى بقوة أكبر، أي اللجنة، هو الطرف الذي تغلب روايته «للحقيقة» بشأن المريض. كما يقول ميهان: «كل الناس يُعَرِّفون حالاتٍ ما على أنها حقيقية؛ ولكن عندما يعرِّف الناس الأقوياء هذه الحالات على أنها حقيقة، تصبح حقيقةً بنظر جميع المعنيين بنتائجها» (المصدر نفسه، ص 573).

تشير دراسة ميهان بوضوح كيف أن المحادثة يمكن أن تكون موضعاً للصراع بين الإيديولوجيات المتنازعة. وكانت الأيديولوجية مفهوماً مركزياً للمحلِّلين الآخرين الذين يتعاطون مع المحادثة من زوايا مختلفة قليلاً مثل بيلينغ (Bil-lig 1990, 1991) في البلاغة وفان دايك (van Dijk 1998) في التحليل النقدي للمحادثة (انظر أدناه). هذه هي الحالة التي يمكن إثباتها والتي تنص على أن الأيديولوجية، مثل الفئات الاجتماعية عامةً (انظر أعلاه)، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالممارسات القائمة في التفاعل اليومي. في الواقع، يقول فان دايك أنه تتم صياغة الأيديولوجيات، وإعادة إنتاجها وتعزيزها من خلال المحادثة والممارسات الإشارية الأخرى. إن إنجاز الأيديولوجية هو هدفٌ هام في المحادثة السياسية لأن قبولها من قِبَلِ الجمهور، وخاصةً جماهير وسائل الإعلام، يضمن إنشاء العلاقة بين أفراد المجموعة. ويعبر فاولر (Fowler 1985, p. 66)، عن ذلك بقوله أن ظهور «مجتمع أيديولوجي، ونظام مشترك من المعتقدات حول الحقيقة» يخلق هويةَ المجموعة.

نحن نفهم مصطلح الأيديولوجية على أنه مجموعةٌ من التمثيلات الاجتماعية (العامة والمُجَرَّدَة) المشتركة بين أعضاء المجموعة والمُستخدمة من قِبَلِهم لإنجاز الممارسات الاجتماعية اليومية: العمل والتواصل (على سبيل المثال فان دايك (van Dijk 1998)؛ بيلينغ وآخرون (Billig et al. 1988)؛ فاولر (Fowler 1985)).

ويتم ترتيب هذه التمثيلات في نُظُم تنشرها الفئات الاجتماعية والفئات الأخرى من أجل أن تفهم، وتكتشف وتوضح الطريقة التي يعمل بها المجتمع» (Hall 1996, p. 26).

يُمَيِّز بيلينغ وآخرون ((Billig et al. (1988) بين الأيديولوجية «الحية» والأيديولوجية «الفكرية». فالمصطلح الأول قريبٌ من الطريقة التي تم تعريف الأيديولوجية بها في الفقرة السابقة، كما هو مُتَّضِح في مثال ميهان عن الأطباء الذين ينشرون بعض المُعتقدات المشتركة والتمثيلات عن المريض من أجل الخروج بفهمٍ منطقي لعملية الفحص، والتوصل إلى الاستنتاج المفضل لديهم. أما الأيديولوجية «الفكرية» فيتم فهمها كنظام من الفكر المتماسك الكلي: البرامج السياسية أو البيانات الرسمية، التوجهات الفلسفية أو الرموز الدينية. هذا التمييز مفيد لأنه يُظْهِرُ أيديولوجيةً تعمل على مستويين: نُظُم الاعتقاد المتماسكة والرسمية للمشاركين (أي أيديولوجياتهم الفكرية)، وأهدافهم في العرض الذاتي وفي عرض الآخر، وفي التعبير، وفي التعبير عن الآراء التي تمثل و تلبي وجهات النظر المفضلة لهم ولجماعاتهم، والتي بُنِيَتْ لتتناسب مع الأهداف المحلية للتفاعل (انظر Jawor-ski and Galasiński 1998). إحدى بنيات المحادثة ذات الصلة أيديولوجياً والتي أشار إليها فان دايك (van Dijk 1998, p. 209) هي التفاعل، وبشكل أكثر تحديداً، عالم التحكم التفاعلي أو التثبيت الأيديولوجي (انظر جاوورسكي وغالاسينسكي (Jaworski and Galasiński 1999)). من يبدأ بالتبادل الحواري، من يُنهيه، من يفتتح مواضيع جديدة، من يقاطع مَنْ خلال الكلام، ما هي أشكال الخطاب التي يتم استخدامها في سياق التفاعل، قد تكون كل هذه المعطيات مؤشراً على قوة المُشْتَرِك في الحوار وهي على هذا النحو مُشْبَعَة بالأيديولوجيات. إذا (استخدمنا) مصطلح فان دايك (van Dijk 1998, p. 209) ، يمكننا القول أن للتفاعل الاجتماعي «بعدٌ أيديولوجي».

(تحليل الخطاب النقدي)

كما تُظْهِرُ الأمثلة السابقة، يقدم تحليل المحادثة وسيلةً لعرض أو تفكيك الممارسات الاجتماعية التي تشكل «البنية الاجتماعية»، وكذلك ما يمكن أن نسميه أيضاً بنيات المعنى التقليدية للحياة الاجتماعية. إنه نوعٌ من النشاط الجَدَلي،

يَصْحَبه ميلٌ سياسيٌّ تحرري. وإن الدافع للقيام بتحليل المحادثة غالباً ما يكون اهتماماً بأنماط اللامساواة الاجتماعية المُبْهَمَة وإدامة علاقات القوة، سواءً بين الأفراد أو بين الفئات الاجتماعية، على الرغم من أنه من المستحيل الحكم المسبق على العدالة أو الأمانة الأخلاقية في الكثير من الحالات (Fairclough 1995a).

في كل أشكاله ولكن ما عدا تلك التي تُعْتَبَر الأشكال الأتفه، كما هو الحال عندما يبقى ذلك على مستوى وصف اللغة، يتبنى تحليل المحادثة وجهة نظر «نقدية» حول اللغة المُسْتَخْدَمة. إن فاولر (Fowler) واضحٌ حول ما يعنيه مصطلح «ناقد» في أبحاثه الخاصة، والتي هي في معظمها تتمحور حول النصوص الأدبية. هو يقول أن هذا المصطلح لا يعني «فيض الكتابات حول النصوص والكتاب الذي يسمونه النقد الأدبي بذاته» ولا يعني كذلك «إيجاد الخطأ غير المُتَسامِح»:

أعني به التحقيق التحليلي الدقيق للفئات الأيديولوجية، والأدوار والمؤسسات وما إلى ذلك، والتي من خلالها يبني المجتمع نفسه ويحافظ على كيانه ويُكَوِّنُ وعيَ أفراده ... كل المعرفة، وكل الأشياء، هي تركيبات: يحلل النقد تقدم البناء، وبإقراره بالسِّمَة الاصطناعية للفئات المَعْنِيَّة، يوفر لنا إمكانية تصور العالم على نحوٍ مفيد بطريقةٍ ما بديلة.

(Fowler, 1981, p. 25)

هناك العديد من العناصر في تعريف فاولر للتحليل (النقدي) الذي قد رأيناه مُسْبَقاً كسمةٍ مميزة لتحليل المحادثة، وخاصة في استفهامه عن الموضوعية واهتمامه بالممارسات التي تؤدي إلى موضوعية ظاهرية، وإلى حالةٍ سوية طبيعية وإلى واقعية.

فاللغة، بوصفها ظاهرةً اجتماعية، هي على حدٍ سواء نِتاجٌ وانعكاسٌ لقيم ومعتقدات المجتمع الذي يستخدمها. وهكذا، فإن بناء أية رسالة مُصَمَّمَة لتمثيلِ حقيقةٍ ما يستتبع بالضرورة قراراتٍ حول جوانب الحقيقة التي يجب تضمينها، ومن ثم يستتبع قراراتٍ بشأن كيفية ترتيب تلك الجوانب. إن كل واحدة من الخيارات المُتَّخَذَة في بناء رسالةٍ ما تحمل نصيبها من هذه القيم الراسخة، بحيث يتم في نفس الوقت بناء الحقيقة المُمَثَّلة اجتماعياً (Hodge and Kress 1993, p. 5; see also Fowler et al. 1979; Fairclough 1992; van Dijk 1993; Chouliara-

(ki and Fairclough 1999. بهذا المعنى، يَتْبَع (تحليل الخطاب النقدي)، على نطاق واسع، موقفَ وورف (Whorf) حول تأثير اللغة على الفكر والإدراك للواقع (Whorf 1997).

ما أسميناه الأهداف الجدلية لتحليل المحادثة يعاود الظهور في تعريف فاولر، وفي النصوص المدروسة بدقة وفي ممارسات المحادثة من أجل اكتشاف المعنى الكامن وبنيات –القيم. وإن نظرة فاولر إلى المجتمع على أنه فئة من المجموعات والمؤسسات المُنَظَّمَة من خلال المحادثة تُذَكِّرُنا إلى حدٍ بعيد بالكتابات النظرية لفوكو (Foucault) وبيشو (Pêcheux) (انظر آنفاً).

ولكن إذا تم توطيد وجهة النظر (النقدية) لفاولر في كل أو معظم جوانب تحليل المحادثة، لماذا توجد حاجة لتمييز تحليل (الخطاب النقدي) كتقليدٍ منفصل؟ أحد الأسباب هو تاريخي. فقد كان هناك أهدافٌ وصفية بشكل رئيسيّ للعديد من المقاربات السابقة للمحادثة، مثل عمل (علماء لغوي) مدرسة برمنغهام (Birmingham) الذين طوروا تحاليل محادثة الفصول الدراسية (Sinclair and Coulthard 1976). فلقد وضعوا إطاراً تراتبياً مُفَصَّلاً لترميز «الأعمال»، و«التحركات» و«المعاملات» التحاورية للتلاميذ والأساتذة خلال التحدُّث في الصفوف الدراسية. وكانت النية هي تقديم نموذج بنائي مُفَصَّل لتنظيم المحادثة، من الفئة (الأعلى)، «الدرس»، وصولاً إلى الفئة (الأدنى) للأدوار الكلامية الفردية. وإن المقاربة (النقدية) للمحادثة تُبْعِدُ نفسها عن الأسلوب الوصفي الذي ينتمي إلى هذا النوع. وهي تضع في مقدمة اهتمامها البنائية الاجتماعية وبناء الأيديولوجية بشكلٍ خاص. وكما يقول فان ليوين (Van Leeuwen) «إن التحليل (النقدي) للمحادثة هو، أو ينبغي أن يكون، معنياً بـ ... المحادثة كأداةٍ للبناء الاجتماعي للواقع» (1993, p. 193). وتهتم البنيات الأيديولوجية بالضرورة بتحليل علاقات القوة والتمييز (والتحيز)، مثلاً من خلال إثباتها للوصول المُتباين إلى شبكات المحادثة.

يعطي فيركلاو التفسير الأوضح (للتحليل النقدي للخطاب او المحادثة)، كتحليل أيديولوجي:

أرى أن المؤسسات الاجتماعية تحتوي على «تشكيلات أيديولوجية–تحادُثِيَّة» مرتبطة بمجموعاتٍ مختلفة ضمن المؤسسة. يهيمن عادةً وبشكلٍ واضح

تشكيلٌ أيديولوجيٌّ واحد... إذ يتم بناء الأشخاص المؤسسيون، وفقاً لقواعد التشكيلات الأيديولوجية التحادثية، في مراكز قد لا يكونون على علمٍ بأسسها الأيديولوجية. وإن صفةً مميزة للتشكيل الأيديولوجي التحادثي المهيمن هي القدرة على «تطبيع» الأيديولوجيات، أي على الفوز بالقبول لصالحها كـ«منطقٍ سليم» غير أيديولوجي. وثَمَّةَ من يقول أن انتظام التفاعلات يعتمد في جزء منه على هذه الأيديولوجيات التي تم تطبيعها. وإن «تجريدها من الصفات الطبيعية» هو الهدف من تحليل المحادثة الذي يتبنى الأهداف «الناقدة». وأقترح أن يتضمن التجريد من الصفات الطبيعية تِبيان كيف أن البنيات الاجتماعية تحدد خصائص المحادثة، وكيف أن المحادثة بدورها تحدد البنيات الاجتماعية.

(Fairclough 1995a, p. 27)

النقطة الهامة حول المفاهيم مثل «التطبيع» والتجريد من الصفات الطبيعية» هي أنها عملياتٌ حيوية. وهي تفترض ضمناً نزاعاً مستمراً على الترتيبات الاجتماعية وأعمال فرض العبء والمقاومة. في الواقع، إن وِجهة النظر النقدية مُوَجَّهة إلى التغيير الاجتماعي، في معْنَيَيْنِ مختلفين. أولاً، يؤسس التحليل (النقدي) للمحادثة، وخاصةً في عمل فيركلاو، لِفَهْمِ التغيرات الاجتماعية في الاستخدام الأيديولوجي للغة. ذكرنا بإيجاز حجج فيركلاو حول (التقنياتية أو التقنية). تحت هذا العنوان، هو يحدد العملية الثقافية المستمرة «لإعادة تصميم الممارسات التحادثية وتدريب طاقم العاملين المؤسسيين على الممارسات التي تم إعادة تصميمها» (المصدر نفسه، ص 102)، والتي سبَّبَها جزئياً ما يسمى «بالتدريب على المهارات الاجتماعية». يشير فيركلاو إلى أن التدريب على المهارات الاجتماعية يبدو لنا جلياً من خلال بروز «تكنولوجيي المحادثة»، وضبط ممارسات المحادثة، وتصميم تقنيات المحادثة غير المُقَيَّدَة بالسياق ومحاولات جعلها معيارية (المصدر نفسه، ص 103). وهو يجد أمثلة في إنشاء مشاريع «تنمية العاملين» و«تقييم العاملين» في الجامعات البريطانية (وبالطبع في أماكن أخرى). وهناك أشكال جديدة من المحادثة (مثلاً: تعلم المصطلحات التي ستنال إعجاب المشرفين أو المُقَيِّمين، أو تعلُّم كيف يبدو المُتحدث فعالاً، لطيفاً أو حاذقاً) يتم تطبيعها (ولقد تم إنشاؤها لتبدو غير استثنائية) وضبطها أو متابعتها، جنباً إلى جنب مع النظام الذي يتعلق بالمرتبة، والمكافآت

المالية والعقوبات التي تترتب عنها. وإن التحولات الخطابية الأخرى التي بحث فيركلاو فيها هي تحاورية المحادثة العامة وتسويق المؤسسات العامة (مرةً أخرى، على وجه الخصوص، الجامعات).

الجانب الثاني من التغيير هو محاولة الناقد نفسه بأن يقاوم التغييرات الاجتماعية التي تمت السيطرة عليها للحد من الحرية. وغالباً ما يتصف النقد الأيديولوجي بشكل من أشكال التدخل. لاحظ كيف يذكر فاولر (في الاقتباس الوارد آنفاً) «تصور العالم على نحو مفيد بطريقةٍ بديلة». وإن (التوجه النقدي) ليس مجرد توجه «تفكيكي»، بل يمكن أن يهدف إلى أن يكون «ترميمياً»، يعيد بناء الترتيبات الاجتماعية. وإن استخدام فاولر لمصطلح «مفيد» هو ربما غير مُلائم، على الرغم من أنه يبدو أنه يعني «أكثر قابليةً للتبرير» أو «أكثر عدلاً». يكتب فيركلاو أيضاً ما يلي:

إن إشكالية اللغة والسلطة هي في الأساس مسألة ديمقراطية. وإن أولئك المتأثرين بها بحاجة إلى أن يستثيروها كقضية سياسية، تماماً (كالقضية النسوية) فيما يخص مسألة اللغة والجنس... وإن اللغويين الناقدين ومحللي المحادثة يلعبون دوراً هاماً مُساعِداً هنا [أي دوراً ثانوياً بالمقارنة مع دور الأشخاص المتأثرين مباشرة] في تقديم التحليلات، والأهم من ذلك، في تزويد المعلمين الناقدين بالموارد والتي (أسميها و) يسميها زملائي «الوعي اللغوي (النقدي)».

(المصدر نفسه، ص 221)

(ولقد قدم فيركلاو (Fairclough 1992) مجموعةً من وجهات النظر حول الوعي اللغوي(النقدي)).

إن تحليل المحادثة (النقدي) من وجهة النظر هذه هو مصدرٌ ديمقراطي يجب أن يكون متاحاً من خلال النظام التعليمي. وإن محللي المحادثة (النقدي) بحاجة إلى أن يروا أنفسهم معنيين سياسياً، ويعملون جنباً إلى جنب مع الفئات الاجتماعية المجردة من الحقوق (انظر أيضاً كاميرون وآخرون (Cameron et al. 1999)).

الخلاصة بدأنا هذا الفصل بتعريفين متناقضين «للمحادثة» وأشرنا إلى أن نهجنا في المحادثة يتطلب دمج كلا المقاربتين، المقاربة «النصية» والمقاربة

«المجردة». ربما من المفيد أن نختم بتعريف آخر يسعى إلى وجهة نظر أكثر شمولاً عن المحادثة:

«المحادثة» ... تشير إلى اللغة في الاستخدام، كعمليةٍ تقع في موضع اجتماعي. لكن... قد نستمر في مناقشة الدور البنائي والديناميكي للمحادثة الشفهية أو المكتوبة في هيكلة مجالات المعرفة والممارسات الاجتماعية والمؤسسية التي ترتبط بها. بهذا المعنى، المحادثة هي وسيلةٌ للحديث والكتابة والتعبيرعن العوالم، وهي وسيلةٌ تبني ويتم بناؤها عبر مجموعة من الممارسات الاجتماعية داخل تلك العوالم، وبذلك فهي تعيد إنتاج، وتبني مجدداً الممارسات التحادثية الاجتماعية، المقيدة أو المُشجعة من قِبَل اتجاهات إضافية ضخمة تساهم في التشكيل الاجتماعي الشامل.

(Candlin 1997, p. ix)

إن التعريف السابق، وكذلك التعريفين المقتبسين الواردين في بداية هذا الفصل، تَدْمُجُ جميعها بين مقاربتين أساسيتين للمحادثة: اللغة الموضوعة في الاستخدام واستخدام اللغة نسبةً إلى التشكيلات (الاجتماعية) والسياسية والثقافية، أي اللغة التي تعكس ليس فقط النظام الاجتماعي ولكن أيضاً تشكيل النظام الاجتماعي، وتشكيل تفاعل الأفراد مع المجتمع. هذا هو العامل الأساسي الذي يشرح لماذا تهتم العديد من المجالات المعرفية الأكاديمية بمفهوم المحادثة بهذا القدر من الالتزام. وتندرج المحادثة بحقٍّ ليس فقط ضمن اهتمامات اللغويين، والنقاد الأدبيين، وأصحاب النظريات النقدية وعلماء التواصل، ولكن أيضاً ضمن اهتمامات الجغرافيين والفلاسفة وعلماء السياسة وعلماء الاجتماع وعلماء الأنثروبولوجيا وعلماء النفس الاجتماعيين، والكثيرين غيرهم. وعلى الرغم من الاختلافات الهامة في التركيز في كل مجالٍ من هذه المجالات، تبقى المحادثة مفهوماً هاماً لا مفر منه لفهم المجتمع والاستجابات الإنسانية لها، وكذلك لفهم اللغة بحد ذاتها.

قراءات إضافية:

Brown, G. and Yule, G. (1983) *Discourse Analysis*, Cambridge: Cambridge University Press.

Cobley, P. (ed.) (1996) *The Communication Theory Reader*, London: Routledge.
Coupland, N. and Jaworski, A. (forthcoming, 2002) *Key Concepts in Language and Society*, London: Routledge.
Drew, P. and Heritage, J. (eds) (1992) *Talk at Work: Interaction in Institutional Settings*, Cambridge: Cambridge University Press.
Gumperz, J. J. (1982) *Discourse Strategies*, Cambridge: Cambridge University Press.

الجزء الثاني

مسرد للمفردات المهمة والشخصيات الرئيسة في حقل السيمياء واللغويات



A

الإرجاع (Abduction):
الإبعاد هو عملية استنتاجية يتم تأطير الفرضيات من خلالها. وهو عملية استدلالية يتم من خلالها افتراض القاعدة التي تشرح الحقيقة من خلال علاقة تشابه (علاقة صورية) مع تلك الحقيقة. هذه القاعدة التي تقوم بدور الافتراض العام يمكن أن تُؤخَذَ من حقل الخطاب الذي هو قريب أو بعيد من ذلك الذي تنتمي إليه الحقيقة، أو يمكن اختراعها بشكل جديد. وإذا تم تأكيد الإستنتاج، تتم العودة إلى القاعدة ويتم تأكيد صحتها (هذا هو الإبعاد أو الإرجاع). هذا الإجراء الإرجاعي يجعل الاستدلال الإبعادي مجازفاً، مُعَرّضاً إياه لاحتمال الخطأ. لكن، وفي نفس الوقت، إذا كانت الفرضية صحيحة يكون الإرجاع جديداً، مبتكراً، وأحيانا حتى مدهشاً (Bonfantini 1987).

وفقاً لبيرس (Peirce): الإرجاع هو عملية تشكيل لفرضية تفسيرية. وهو العملية المنطقية الوحيدة التي تقدم أي فكرة جديدة؛ فالاستقراء لا يقوم إلا بتحديد القيمة، والاستنتاج يطور فقط النتائج اللازمة لفرضية بحتة.

يثبت الاستنتاج أن شيئاً ما يجب أن يكون؛ ويظهر الاستقراء أن شيئاً ما هو في الواقع منطوق؛ والإرجاع يوحي ببساطة بأن شيئا ماقد يكون.

(*CP* 5.172)

يمكن اعتبار العلاقة بين

(*) تمرين منطقي أو حجة تكون فيها الفرضية الرئيسية بديهية، بينما تكون الفرضية الثانوية محتملة فقط (المترجم).

الافتراضات والاستنتاج من حيث الصلة بين ما يمكن أن نسميه، على التوالي الإشارات المُفَسَرة والإشارات المُفَسِّرة (Interpretant). في الاستقراء، يتم تحديد العلاقة بين الافتراضات والاستنتاج عن طريق العادة وهي من النوع الرمزي (Sym-bolic). وفي الاستنتاج تكون العلاقة دلالية (Indexical)، بما أن الاستنتاج هو اشتقاق ضروري من الافتراضات. أما في الإرجاع، فالعلاقة بين الافتراضات والاستنتاج هي صُوَرية (Iconic)، أي إنها علاقة من الاستقلالية المتبادلة. هذا يؤدي إلى درجة عالية من الابتكار وإلى هامش من الاحتمالية الكبيرة للوقوع في الخطأ. إن عمليات الإبعاد هي حوارية للغاية وتولد استجابات من النوع الأكثر مجازفةً، والأكثر ابتكاراً وإبداعاً. وإن الادعاء بأن الإجراءات الجدلية الإبعادية تستدعي المجازفة يعني القول بأنها أساساً مؤقتة وافتراضية ولا تترك سوى هامش ضئيل من الاصطلاح (الرمزية) والضرورة الآلية (الصُّوَرِية). وإن العمليات الاستنتاجية الإبعادية تولد عمليات إشارية على أعلى مستويات الغيرية والحوارية الديالوجيكية.

إن درجة الحوارية الديالوجيكية (انظر Ponzio 1985, 1990a) في العلاقة بين تفسير المُفَسَر والمُفَسِّر هي بالحد الأدنى في الاستنتاج: هنا، بمجرد قبول الافتراضات، يكون الاستنتاج واجباً. يتميز الاستقراء أيضاً بعمليات استنتاجية ذات اتجاه واحد: حيث تهيمن الهوية والتكرار، على الرغم من أن العلاقة بين الافتراضات والاستنتاج لم تعد إلزامية. في المقابل، إن العلاقة في الإرجاع بين الأجزاء الجدلية هي حوارية بالمعنى الجوهري. وفي الواقع، تتحقق درجات عالية جداً من الحوارية الديالوجيكية وكلما كانت الدرجة أعلى، أي كلما أصبح التفكير أكثر ابتكاراً.

يتم تمكين عمليات الإرجاع من قِبَلِ الاستعارات في عمليات المحاكاة المستخدمة لإنتاج النماذج، الاستدلالات،الاختراعات،والمشاريع.

وكما يُبَيِّن ويلبي (Welby)، يتم تحديد العلاقة الوثيقة بين الاستدلال الإبعادي والاحتمالية بحقيقة أن «إحدى أروع أدواتنا الفكرية» هي ‹الصورة أو الشكل› (Welby [1911] 1985a, pp. 13; also Petrilli 1986; Petrilli 1995b, 1998b). نظراً للعلاقة الوثيقة بين الإرجاع، والرمز والمحاكاة، ليست المشكلة في إزالة

الخطاب الاستعاري المجازي لصالح ما يسمى الخطاب الحرفي، ولكن في تحديد وإزالة الصور غير المناسبة التي تُرْبِك العلاقات بين الأشياء وتشوه تفكيرنا. كما يقول ويلبي: «نحن بحاجة إلى طبيب عيون لغوي لاستعادة قوة تركيزنا المفقودة، ولإعادة صورنا إلى الواقع من خلال عدسةٍ ما تجعل الرؤية طبيعيةً سوية» (Welby 1911 1985, (SP) p. 16).

انظر أيضاً الحوار (Dialogue).

قراءات إضافية:

Peirce, C. S. (1955) «Abduction and induction», in J. Buchler (ed.) *Philosophical Writings of Peirce*, New York: Dover.

Peirce, C. S. (1992) «Types of reasoning», in K. L. Ketner (ed.), *Reasoning and the Logic of Things: The Cambridge Conferences Lectures of 1898*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Sebeok, T. A. and Umiker-Sebeok, J. (1980) «*You Know My Method*»*: A Juxtaposition of Charles S. Peirce and Sherlock Holmes*, Bloomington: Gaslight.

اللهجة (Accent): من وجهة نظر سيميائية، إن مفهوم اللهجة له أهمية خاصة ليس كإشارة كتابية للدلالة على النبرة أو التوكيد، أو على مقطع (صوتي منبور)، أو على اللفظ، كما في التعبير «يتحدث بلهجة أميركية»، أو على نبرة الصوت، أي على لهجة غاضبة على سبيل المثال. سيميائياً، اللهجة ليست مجرد وسيلة صوتية أو كتابية، كما أنها لا تتعلق فقط بالإشارات اللفظية. وطالما أن اللهجة تتولد بين الأفراد ويتم إنشاؤها ضمن وسط اجتماعي، فهي تشير إلى التأكيد التقييمي الموجود في الإشارات اللفظية وغير اللفظية لدى الإنسان. إن الإشارة اللفظية، سواءً أكانت شفوية أو كتابية، هي علامة ذات معنى قوي، وهي ليست مؤشراً فقط، ولكنها تتحلى بليونة في المعنى تمكنها من الاستجابة لوجهات النظر الأيديولوجية المختلفة، وللحواس المختلفة. بفضل مثل هذه الصفات وقبل كل شيء، ليس للإشارة اللفظية فقط موضوعٌ ومعنى في الفهم المرجعي لهذه الكلمات، أو في فهم محتواها، وإنما لديها أيضاً حكم قيمي، ونبرة تقييمية محددة. لا شيء مثل الكلمة، وخاصة الكلمة التي تستخدم في الخطاب

الفعلي سواءً المكتوب أو الشفهي، لا يتميز بالنبرة من حيث التنغيم التقييمي (انظر Ponzio 1980a, 1992a). من خلال مقطع من **يوميات كاتب** *Diary of a Writer*) لدوستويفسكي (Dosto-evsky)، الذي يحلل محادثة عصابة من ستة من الحرفيين المترنحين سُكراً، يبين فولوسينوف (VoloŠinov) كيف أن (1973, p. 103) التقييمات، والأفكار، والمشاعر، وحتى سلاسل الأفكار يمكن التعبير عنها بمجرد استخدام نفس الإسم بنبرة مختلفة في كل مرة (AP).

الخوارزمية (Algorithm): يوسع لاكان (Lacan) هذا المفهوم الرياضي ليشمل مجالات اللغة والبنية اللاوعية. فالخوارزمية الرياضية هي عملية فعالة تنتج حلاً للاستعلام عن جزء من البنية في عدد محدود من الخطوات. ما يسميه لاكان «خوارزمية سوسور» (Algorithm Saussurean) يركز على الانتقال إلى دال (Signi-fier) آخر من أجل تطوير معنى الأول. في استخدام لاكان، يمكن للخوارزمية أن تنتج، عمليةً للتحليل، وليس حلاً (BB).

الاختلاف (Alterity): الاختلاف (أو الغيرية) يدل على وجود شيء لحسابه الخاص، بشكل ذاتي، ومستقل عن مبادرة، وإرادة ووعي واعتراف الأنا. الغيرية هي مرادف للمادية التي تُفْهَم على أنها الموضوعية. فعالم الأشياء المادية هو الآخر بالنسبة إلى الأنا. وإن جسد المرء، أي جسد كل واحد منا، هو آخر في استقلاليته عن الإرادة والوعي. ولكنَّ أكثر آخر على الإطلاق هو الشخص الآخر في مقاومته/ ها وعدم قابليته/ ها للاختزال إلى الأنا. والاغتيال هو دليل على مقاومة الآخر وعلى الهزيمة التامة للأنا، وعلى شعوره/ ها بالعجز. بالطبع لدينا أيضاً «الغيرية النسبية» التي يصنفها بيرس (Peirce) على أنها الترتيب الثاني (Secondness)، ولكن هذه هي الغيرية للأنا، في أدوار شخص ما (أب بالنسبة إلى ولده، زوج بالنسبة إلى زوجته... إلخ). ولكن الغيرية للآخر كآخر هي «الغيرية المطلقة».

ونتيجةً لذلك، عندما يُطْرَح سؤال عن الغيرية المطلقة وغير النسبية (Levinas 1961, 1974; Ponzio 1996; Ponzio 1998c) فإن الاختلاف عند الشخص الآخر لا يمكن أبداً اختزاله إلى المجموع «نحن» في ميتساين (*Mitsein*) (أن تكون- مع)

عند هايدغر (Heidegger)، ولا إلى العلاقةبين الفاعل والمفعول به في «أن تكون لأجل» عند سارتر (Sartre). تقع الغيرية في داخل الفاعل، في داخل الأنا، في القلب نفسه للفاعل، دون أن يحتويها هذا الأخير. لهذا السبب لا يمكن للفاعل أن يصبح كلاً مغلقاً ولكنه يدخل باستمرار في الحوار، فهو في حد ذاته حوار، صلة بين الذات والآخر. وخلافاً لسارتر وهيغل، فإن نفس «كون الإنسان واعياً لذاته» لا تتلاقى مع الوعي ولا هي تفترضه، بل وجودها سابق لوجود الوعي وترتبط به بعلاقة الغيرية. الآخر هو جزء لا يتجزأ من الأنا، أنا، الذات (النفس (Même كما يعني بها إيمانويل ليفيناس (Emmanuel Levinas)، ولكن لا يمكن إدراجه ضمن كلية الأنا. والآخر هو ضروري لتكوين الأنا وعالمه، ولكن في نفس الوقت هو عائق تأسيسي لإتمام ولإسدال الستار النهائي على الأنا والعالم.

إن العلاقة مع الآخر – كما يعلمنا كُتّاب مثل تشارلز بيرس (Charles S. Pierce)، فيكتوريا ويلبي (Victoria Welby)، ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin)، تشارلز موريس (Charles Morris)، وليفيناس (Levinas)– هي علاقة إفراط، فائض، هروب من جعل الفكر موضوعياً، هي تحرير من العلاقة بين الفاعل والمفعول به؛ وعلى المستوى اللغوي هي تنتج تحويلاً داخلياً للكلمة إلى حوار، مع استحالة كونها كلمةً غير قابلة للتجزئة في أي وقت (Bakhtin 1929, 1963; Vološinov [1929]) (AP).

قراءات إضافية:

Levinas, E. (1989) «Time and the other», in S. Hand (ed.), *The Levinas Reader*, Oxford: Blackwell.

البنيوية الأميركية (American Structuralism): تطور علم اللغويات في أميركا بشكل مميز في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وقد تم بذل الكثير من الجهد في تسجيل وتصنيف لغات السكان الأصليين في أميركا، ولذلك كان علماء اللغة يبحثون عن أساليب دقيقة لجمع وتحليل البيانات. وكان ذلك ينطوي على جهد مدروس للابتعاد عن المفاهيم المسبقة المستندة إلى اللغات الأوروبية، وللتعاطي مع كل لغة بعباراتها الخاصة. وكان هناك تركيز على الأصوات وعلى بنية

الكلمة لكل لغة، بما أن هذه كانت تعتبر ملموسة وقابلةلإعادة الإنتاج؛ وكان هناك شعور بأن المعلومات حول بنية الجملة أقل قابلية للاعتماد عليها، وكانت فهرسة معنى واستخدام اللغة بشكل موثوق صعبة ويتم إيلاؤها اهتماماً أقل في كثير من الأحيان.

على الرغم من أنه سيكون من المضلل الحديث عن «مدرسة»، فإن التركيز على العناصر التي يمكن ملاحظتها في البنية كان الركيزة في الكثير من الأبحاث خلال هذه الفترة. وقد كان من الشائع لسنوات عديدة تسليط الضوء على عدم الملاءمة النظرية لعلم اللغويات البنيوية، ولكن إنجازاته الوصفية كانت هائلة وتعكس المجهود الفكري الهائل وتكريس الاهتمام الرائد الذي أدى إلى هذه الإنجازات .(RS)

انظر أيضاً بلومفيلد (Bloom-field)، سابير (Sapir) وهاريس (Har-ris).

قراءات إضافية:

Fought, J. G.(1994) «American Structuralism», in R. Asher and J. Simpson (eds) *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, vol.1, Oxford: Pergamon Press, pp. 97-106.

علم السيمياء الأنثروبولوجي (Anthroposemiotics): علم السيمياء الأنثروبولوجي (Anthroposemiotics) هو اسم يطلق على دراسة استخدام الإنسان للإشارات. وهو واحد من الفروع الحديثة لشجرة المصطلحات التي نمت نتيجة الابتكار الأصلي لتشارلز بيرس (Charles S. Peirce) لمصطلح السيمياء (Semiosis) للإشارة إلى نشاط الإشارات. تم اقتراح هذا الاستخدام على بيرس (Fisch 1986b) من خلال قراءة (Philodemus i.54-.40bc) وهكذا، فإن دراسة السيمياء فتحت المجال أمام فرع المعرفة الذي (تبعه) بيرس لوك (Locke) في تسمية «علم السيمياء» (Semiotics) أو «فقه الإشارات». لذلك، كما أن علم السيمياء هو الاسم الذي يطلق على الدراسة العامة لنشاط الإشارات (أو السيمياء (Semiosis))، فإن علم السيمياء الأنثروبولوجي هو الاسم الذي يطلق على الدراسة المخصصة لاستخدام الإنسان للإشارات (أو السيمياء الأنثروبولوجي (Anthroposemiosis). وإن الفروع الرئيسية الأخرى على شجرة المصطلحات هذه، تشمل على سبيل التعداد علم الإشارة الحيواني

(Zoösemiotics) (دراسة مجموعة السلوكيات التواصلية لدى الحيوانات التي ليس لديها لغة)، وعلم السيمياء النباتي (Phytosemiotics) (دراسة مجموعة السلوكيات التواصلية لدى النباتات)، والسيمياء الكونية -Physi osemiotics)[*] (او الفيريائية))، التي تم ربطها جميعاً بمؤلفين محددين في القرن العشرين (انظر ديلي (Deely 2000)، الفصل 15)؛ ولكن التأليف الخاص لكلمة «Anthroposemiotics» لم يتم تحديده بدقة حتى الآن.

فقد ركز العمل الأول المكرس حصراً لموضوع علم السيمياء الأنثروبولوجي(Deely 1994c) على الأنواع والسمات المميزة على وجه التحديد للسيمياء الأنثروبولوجية. لكن المجال هو في الواقع أوسع بكثير مما تتقدم به هذه الدراسة، طالما أن جميع النظم الأخرى للإشارات الموجودة خارج الجنس البشري تلعب دورها هنا أيضاً، بطريقة أو بأخرى، داخل الكائنات البشرية، فهي تشكل جزءاً من السيمياء الحيواني، حتى وإن لم يكن هذا هو الجزء المميز للأنواع على وجه التحديد. بهذه الطريقة يمكن أن يقال أن علم السيمياء الأنثروبولوجي (انتعش) داخل فقه الإشارات المفهوم الرواقي القديم للكائن البشري (أنتروبوس (Anthropos)) على أنه العالم المصغر الذي يُختَزَل فيه ويتركز فيه كل ما يمكن إيجاده في العالم أو الكون بأسره. وبالتالي فإن المجال المفتوح تحت اسم علم السيمياء الأنثروبولوجي هو في الواقع واسع، وأُدْرِجَت فيه جميع الدراسات التقليدية للحياة البشرية والثقافة ولكن في ظل تركيز أو منظور جديد، نعني به، محاولة تقدير دور الإشارة في جعل كل ما هو إنساني على نحو متميز في عوالم الحياة، والفعل، والمعرفة ممكناً. ويمكن كذلك تصنيف كل العلوم الإنسانية التقليدية، والفن، والطب، والتكنولوجيا – تحت عنوان «علم السيمياء الأنثروبولوجي».

إن إعادة صياغة الأفكار التقليدية للكائن البشري في إطار هذا المنظور لن يتطلب في نهاية المطاف أقل من موسوعة تُعْرَض فيها المكونات التقليدية للعلوم الإنسانية تماماًكما كانت تتم إعادة صياغتها في المنظور المناسب لفقه الإشارات. منذ البداية، سوف يكون لمثل هذه المبادرة ميزة

(*) دراسة السلوكيات التواصلية في الكون المادي بأسره (المترجم).

التغلب على الانقسام بين العلوم «الإنسانية» و«الطبيعية» (*Naturwissenschaften und Geisteswissenschaften*) بحكم المنظور المناسب للإشارة، المعترف بها على أنها، منذ بداية منهجتها (Poinsot 1632)، متفوقة على الانقسام بين الطبيعة والثقافة، وذلك لأنها تشتمل على كليهما. من وجهة نظر علم السيمياء الأنثروبولوجي، الثقافة هي في حد ذاتها جزء من الطبيعة، على الرغم من أنها جزء مميز للأنواع على وجه التحديد، فكل جزء منها هو تماماً كجسم الإنسان (JD).

انظر أيضاً علم السيمياء البيولوجي (Biosemiotics) والرواقيين (Stoics) والإبيقوريين (Epicureans).

قراءات إضافية:

Deely, J.(1990) *Basics of Semiotics*, Bloomington: Indiana University Press.

Nöth, W. (1990) *A Handbook of Semiotics*, Bloomington: Indiana University Press.

Sebeok, T.A. (1985) *Contributions to the Doctrine of Signs*, with Foreword by B. Williams, Lanham, MD: University Press of America.

الحجة (Argument): هي مجموعة من البيانات المترابطة أو المعتقدات، التي تقوم فيها بعض الافتراضات الأساسية أو المقدمات المنطقية بدعم الاستنتاج. في علم السيمياء عند بيرس، الحجة هي علامة على وجود علاقة قانونية بين الافتراضات والاستنتاج. هناك أنواع ثلاثة من الاستدلال، أو الانتقال من الافتراضات إلى الاستنتاج، وذلك تبعاً لشكل الحجة: الاستنتاج، أو التفكير المستند إلى البراهين، والاستقراء، حيث يتم استخلاص استنتاجاتٍ عامة من حالات مختارة، والإرجاع، أو التخمين الذكي (NH).

انظر أيضاً التعليق (Rheme) و(Dicent).

أرسطو (Aristotle): هو فيلسوف يوناني (384–322 قبل الميلاد)، وأحد المرجعيات الأكثر احتراماً في العالم القديم، وغالباً ما كان يشار إليه ببساطة طوال العصور الوسطى الأوروبية باسم «الفيلسوف».كان تلميذاً لأفلاطون، ولقد حاضر حول مواضيع تتراوح من الميتافيزيقيا وفن الشعر إلى السياسة

وعلم الأحياء. على الرغم من أنه لم يترك أي عمل مكرس خصيصاً لدراسة اللغات أو النحو أو أصل الكلام (كما يفهم العلماء (الحداثيون) تلك الموضوعات)، فإنه وضع أسس المنطق الغربي. على نحو قابل للجدل، كان يرى المنطق على أنه تحليل للغة على مستوىً من التجريد اللازم لإجراء تعميمات حول اللغة يمكن دعمها. وأحياناً كان يقال أن المنطق الغربي كان سيتخذ شكلاً مختلفاً تماماً لو كان أرسطو يتكلم لغة أخرى مختلفة عن اللغة اليونانية (RH).

أوغسطينوس (Augustine): هو قديس مسيحي ولاهوتي (30354–430)، وأسقف للهيبو في شمال أفريقيا. يُنْظَرُ إليه عادةً على أنه مؤيد للنظرية الرواقية للإشارات، وعلى وجه الخصوص على أنه مدافع عن التمييز بين الإشارات الطبيعية والتقليدية، ولكن اهتماماته بهذه المسائل كانت تمليها عليه معتقداته الدينية والمشاكل التي ينطوي عليها تفسير الطقوس الدينية والكتب المقدسة أكثر من أي شيء آخر. وينطبق الشيء نفسه على تصريحات أوغسطين حول الترجمة، حيث كان دافعه الأساسي هو تبرير استخدام الكنيسة المبكر للنسخ اللاتينية من **الكتاب المقدس**. وكان يعتقد أنه من الممكن للكلمات أن تتشارك بنفس المعنى بالرغم من انتمائها إلى لغات مختلفة. ولقد اعتبر فيتغنشتاين (Witt-genstein) أن تفسير أوغسطين لكيفية تعلمه للغته الأم عندما كان طفلاً، يجسد رؤيةً شائعة مشتركة لكيفية عمل اللغة ولكن ساذجة للغاية (RH). انظر أيضاً الرواقيين (Stoics) والإبيقوريين (Epi-cureans).

أوستن (Austin): كان جون لانكشو أوستن (John Langshaw Austin) (1911-1960) أستاذاً للفلسفة في جامعة أكسفورد، حيث كان واحداً من الشخصيات البارزة في منهاج معروف باسم مدرسة أكسفورد لـ«فلسفة اللغة العادية». «يمكن فهم تعاليم هذا المنهاج، وكذلك أسلوب أوستن الشخصي بشكل جيد من خلال صياغة هدفه الفلسفي في محاولة لاكتشاف الفروق التي وجدها الرجال [كما ورد ذلك مع الأخطاء في النص الأصلي] جديرة بالاستنتاج، والعلاقات التي وجدوها جديرةً بالإنشاء، في حياة العديد من الأجيال: بالتأكيد يبدو أن هذه أكثر عدداً، وأكثر رسوخاً، بما أنهم تعرضوا لاختبار طويل يكون البقاء فيه للأصلح، وللأكثر دهاءً، على الأقل في جميع الأمور العادية والعملية بشكل معقول،

مما يمكن لأي واحد منكم ومني أن يفكر به ونحن جالسون على كرسينا بعد ظهر يوم ما – وهو الأسلوب البديل الأكثر تفضيلاً.

(1957, p. 24)

من هذه الزاوية، قارب أوستن مجموعة واسعة من المواضيع الفلسفية التقليدية، مثل مشكلة الحقيقة، والمعرفة والمعنى، أو مشكلة الإرادة الحرة وكان أسلوبه الفلسفي المستند إلى اللغة يُقَدَّم كترياق ضد التجريبية المنطقية الأكثر شعبية.

ولقد قدم مساهمته الأكثر تأثيراً وثباتاً في فلسفة اللغة، حيث كان يدمج بين أسلوبه وهدفه، وليس ذلك مستغرباً. ففي (*How To Do With Words*) أي كيف نتعامل مع الكلمات)، وهي محاضرات وليام جيمس التي ألقاها في جامعة هارفارد في العام 1955، والتي نشرت بعد وفاته في العام 1962، كان أوستن يمعن النظر عند مراقبته للغة باعتبارها شكلاً من أشكال الفعل.

كلما يقال شيء ما، يتم بالمقابل فعل شيء ما بالفعل أو بالقول. من وجهة النظر هذه، هو يتساءل عن الفرق بين العبارات المتعلقة ببيانات مثل «إنها تمطر في الخارج» (التي يقال فيها شيء، والتي هي إما صحيحة وإما خاطئة) والعبارات التنفيذية مثل «أسمي هذه السفينة الملكة إليزابيث» أو «أعتذر» (التي يتم فيها القيام بعمل ما، والتي قد يكون المتكلم فيها سعيداً أم لا تبعاً لتوفر عدد من الظروف، مثلاً فيما يتعلق بهوية المتكلم الذي قد يكون أو قد لا يكون الشخص المعني بتسمية السفينة أو بنواياه/ نواياها التي قد تكون أو قد لا تكون مناسبة لفعل الاعتذار. هو يلاحظ أيضاً أن العبارات المتعلقة بالبيانات تخضع لمعايير اللباقة في التعبير التي لا علاقة لها بالحقيقة أو بالزيف (فمثلاً عبارة «جميع أطفال جون لديهم صلع» ليست صحيحة ولا خاطئة في السياق الذي لا يكون لجون فيه أي طفل). وعلى العكس، العبارات التنفيذية ليست عرضة لأي بعد من الانتقاد المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحقيقة والزيف (مثلاً «أنا أعلنك مذنباً» قد تكون حكماً تم التوصل إليه بشكل صحيح وبحسن نية، ومع ذلك ما يهم هو ما إذا كان الحكم عادلاً أم لا). وهكذا بعد أن رفض أوستن هذا الفرق، قدم إطاراً مفاهيمياً ذا وجوه ثلاثة لفهم الجوانب المختلفة المشاركة في كل نوع من أنواع الكلام

أو العبارات: التعبير (Locution) (وهو فعل قول شيء بشكل لفظي صوني ونحوي محدد يحمل معنىً محدداً)، الفعل المُنَفَذ بالتحدث (Illocution) (وهو الفعل المنجز لدى قول شيء ما، مثل التأكيد، والوعد، أو الطلب)، والفعل المؤثر سيكولوجياً (Perlocution) (وهو الفعل الذي يتم تأديته بقول شيء ما، مثل الإقناع، الخداع، أو التخويف). أصبح هذا الإطار أساس نظرية فعل الكلام (Speech Act)، الذي طورها أكثر جون سيرل وتبناها بصيغتها المعتمدة العديد من اللغويين ابتداءً من الستينات وما يليها (JV).

قراءات إضافية:

Austin, J. L. (1961) *Philosophical Papers*, Oxford: Oxford University Press.

Austin, J. L. (1962) *How To Do Things With Words*, (ed.) J. O. Urmson, Oxford: Oxford University Press. (2nd Revised Edition, 1975, (eds) J. O. Urmson and M. Sbisà, Cambridge, MA: Harvard University Press).

Warnock, G. J. (1989) *J. L. Austin*, London: Routledge and Kegan Paul.

الفعل المساعد (Auxiliary): هو الفعل الذي يساعد فعلاً آخر مختلفاً عنه للإشارة إلى فعل أو حدث. في الجملة *Susie will reach the top* (أي «سوف تصل سوزي إلى القمة»)، الفعل الرئيسي هو *reach* (أي تصل): الفعل المساعد (will) (سوف) يساعد على التعبير عن وقت الوصول. الأفعال المساعدة مهمة في العديد من مجالات قواعد اللغة الإنجليزية (RS).

انظر أيضاً بناء الجملة (Syntax).



B

باختين (**Bakhtin**): ميخائيل ميخائيلوفيتش باختين (Mikhail Mikhailovich Bakhtin) (أوريل (Örel) 1895 – موسكو 1975)، هو فيلسوف روسي. التقى ببافل إن ميدفيديف (Pavel N. Medvedev) (1891-1938) وفالنتين إن فولوسينوف (Valentin N. Vološinov) (1884/5-1936) في فيتيبسك (Vitebsk) في العام 1920، وأنشأ علاقات صداقة وتعاون معهما. ولقد شكلوا معاً (Bakhtin Circle) «دائرة باختين» بمشاركةٍ من العازف الموسيقى سوليرتينسكي (I. I. Sollertinskij)، وعالم الأحياء كانايف (I. I. Kanaev)، والكتاب فاجينوف (K. K. Vaginov) وكارمز (D. I. Kharms)، والعالم بثقافة القارة الهندية توبيانسكي (M. I. Tubianskij)، والشاعر كلجوييف (N. A. Kljuev). وحتى لو كان ذلك فقط على مستوىً مثالي، يمكن اعتبار نيكولاي (Nikolaj) (1894-1950) وهو شقيق باختين عضواً في «الدائرة» أيضاً (انظر Ponzio, «Presentazione: Un autore dalla parte dell’eroe» [أي العرض التقديمي: مؤلف بواسطة البطل] في: (N. Bakhtin 1998, pp. 7-13). بعد أن غادر روسيا في العام 1918 استقر إن باختين (N. Bakhtin) في نهاية المطاف في برمنغهام، حيث أسس قسم اللغويات في الجامعة في العام 1946. وتوفي هناك بعد أربع سنوات.

خلال العشرينات، كان عمل باختين مرتبطاً بشكل وثيق جداً بعمل

معاونيه لدرجة أنه كان من الصعب التمييز بينهما. ويبدو أن هذا تأكيد على أطروحته حول الصفة «شبه الأخرى» «للكلمة الخاصة بشخص ما»، على الرغم من النقاد الذين يصرون على حقوق الملكية والتأليف. لعب باختين دوراً هاماً في كتابة كتابين لفولوسينوف: **الفرويدية: تصميم انتقادي** (*Freudianism: A Critical Sketch*) (1927)، و**الماركسية وفلسفة اللغة** (*Marxism and the Philosophy of Language*) (1929)، وكذلك: **الأسلوب الرسمي في المعرفة الأدبي** (*The Formal Method in Literary Scholarship*)، (1928)، الذي وقعه ميدفيديف. ساهم في العديد من المقالات التي نشرها نفس «الكتاب» بين عامي 1925 و1930، كما ساهم في مقالة كاناييف **المذهب الحيوي المعاصر** (*Contemporary Vitalism*). وحتى عندما تعطلت «الدائرة» تحت القمع الستاليني، مع اغتيال ميدفيديف وموت فولوسينوف، كانت «أصواتاً» مختلف عناصرها لا تزال تُسْمَع في حوار مستمر مع باختين الذي ثابر على بحثه حتى وفاته في العام 1975.

نُشِرَ كتاب **مشاكل فن دوستويفسكي** (*Problems of Dostoevsky's Art*) في العام 1929، وتبع ذلك صمت طويل لم ينقطع سوى في العام 1963 عندما ظهرت أخيراً طبعة أكثر توسعاً تحت عنوان **مشاكل شاعرية دوستويفسكي** (*Problems of Dostoevsky's Poetics*). في الواقع، مع الستالينية في أسوأ حالاتها، تم إبعاد باختين عن الثقافة الرسمية ونفيه إلى كوستاناي (Kustanaj). في العام 1965 نشر دراسته الأحادية **رابليه وعالمه** (*Rabelais and His World*). وظهرت في الأصل مجموعةٌ من كتاباته باللغة الروسية في العام 1975 وأخرى في العام 1979، تلتها طبعات من كتاباته غير المنشورة أو إعادة طبعات من الأعمال التي نشرها هو ودائرته (hk/v في اللغة الإنجليزية، Bakhtin 1981, 1986, 1990). ومنذ ذلك الحين تم تكريس العديد من الدراسات الأحادية لفكره: (Clark and Holquist 1984; Holquist 1990; Morson and Emerson 1989, 1990; Ponzio 1980a, 1992a, 1998a, Todorov 1981).

تم تقييم باختين «كناقد»، بالمعنى الأدبي وكذلك بالمعنى الفلسفي بعد كَنْت (Kant) وماركس (Marx)، وتكمن مساهمة باختين الأساسية في

«فلسفة اللغة» أو اللغويات الشمولية (Metalinguistics)، وكذلك في نقده للمنطق الديالوجيكي.

ولقد أعطى امتيازاً لمصطلح «اللغويات الشمولية» ليعني بها مقاربته لدراسة **الإشارة**، و**الكلام**، و**النص**، و**الخطاب**، و**النوع**، والعلاقات بين الكتابة الأدبية والعبارات غير اللفظية في الثقافة الشعبية، كما في إشارات المهرجان.

إن نقد باختين للمنطق الديالوجيكي يركز على مفهوم المسؤولية دون أعذار (Responsibility without Alibis)، وهي مسؤولية غير تقليدية، ولكن تتعلق «بالمخطط العام» (Architectonics) الوجودي في علاقته مع الأنا، مع العالم ومع الآخرين، والذي لا يمكن نقله على هذا النحو. بالنسبة لباختين، الحوار هو تعبير متجسد، بين جسدين، عن التزام جسد إنسانٍ ما، والذي هو بشكل خادع فقط فردي، منفصل، وذاتي. الصورة المناسبة عن الجسم هي صورة «الجسم الغريب» (انظر (Bak h tine 1965)) التي تجد تعبيراً عنها في الثقافة الشعبية، وفي اللغة الشعبية للمكان العام وقبل كل شيء في أقنعة المهرجان.

هذا هو الجسم في علاقته الحيوية التي لا تنفصل عن العالم وعن جسم الآخرين. مع تحول في التركيز من الهوية (سواءً أكانت فردية، كما في حالة الوعي أو النفس، أو جماعية، كما هو الحال في مجتمعٍ ما أو لغةٍ تاريخية، أو نظامٍ ثقافي بصفةٍ عامة) إلى **الغيرية** (Alterity) - وهذا نوع من الثورة الكوبرنيكية – فإن نقد باختين للمنطق الديالوجيكي لا يشكك فقط بالتوجه العام للفلسفة الغربية، وإنما يشكك أيضاً بالنزعات والميول المهيمنة على الثقافة التي تولدها (AP).

قراءات إضافية:

Bakhtin, M. M. (1981) *The Dialogic Imagination: Four Essays*, trans. C. Emerson and M. Holquist, Austin, TX: University of Texas Press.

Bakhtin, M. M. (1984a) *Rabelais and His World*, trans. H. Iswolsky, Bloomington: Indiana University Press.

Bakhtin, M. M. (1984b) *Problems of Dostoevsky's Poetics*, trans. C. Emerson, Minneapolis: University of Minnesota Press.

بارت (Barthes): رولان بارت

(شيربورغ 1915 (Cherbourg) – باريس 1980)، هو عالم سيمياء فرنسي، ومُنَظِّرٌ أدبي، وناقدٌ لرداءة النقد الأدبي والأيديولوجية، وكاتبٌ ورسام. في العام 1947، بدأ ينشر تحليلاً لألبيرت كاموس (Albert Camus) عن **الكتابة الجوفاء** (*Blank Writing*) (*écriture blanche*) في دورية كومبات (Combat). كمُدَرِّس للغة الفرنسية في الإسكندرية (مصر)، التقى غريماس (Greimas) واهتم بسوسور (Saussure)، هيلمسليف (Hjelmslev) وجاكوبسون (Jakob-son) بينما كان يتابع دراساته في الأدب والمسرح، وركَّز بشكل خاص على بريخت (Brecht) والمؤرخ ميشليه (Michelet).

استقر في باريس في العام 1950، وبعد ذلك نشر **الدرجة صفر في الكتابة** (*Le degré zéro de l'écriture*) في العام 1953، ثم **ميشليه بنفسه** (*Mi-chelet par lui-même*) في العام 1954. وتوافق اهتمامه بعلم السيمياء، والأدب والرواية الحديثة (روب غرييه (Robbe-Grillet)، بوتور (Butor)... إلخ) مع نقده لأيديولوجية الثقافة الجماهيرية. ويشهد كتاب **الأساطير** (*Mythologies*) (1957)على مثل هذه الاهتمامات: إذ يركز بارت على «أشياء من الحياة اليومية»، من السيارات إلى منتجات البلاستيك والمنظفات ورقائق البطاطس، التي يمكن دراستها من خلال فئات مأخوذة من كُتَّاب موثوقين مثل سوسور، هيلمسليف، وماركس. وينتمي كتاب **نظام الموضة** (*Système de la mode*)(1967، الذي كُتِب بين1957 و1963) إلى نفس السياق. هو يدرس العلاقة بين الأنظمة السيميائية اللفظية وغير اللفظية في الملابس النسائية كما يتضح ذلك في مجلات الموضة، الأمر الذي أدى أيضاً إلى انتباهه إلى الطريقة التي يتم التحدث فيها عن الأزياء) (بطريقة الكلام) (الموضة المحكية)، والتي بدونها لا معنى للصور.

في كتاب **عناصر علم السيمياء** (*Eléments de Sémiologie*) (1964)، تعتبر العلاقة بين العلامات اللفظية والعلامات غير اللفظية أمراً أساسياً. إذ كما يقول، يجب التخلي عن لغويات علماء اللغة، لتوظيف مفهوم أوسع بكثير للغة كممارسةٍ تصوغ وتنظم مجالات المحادثة أو الخطاب. عندما نترك جانباً الرؤية المحدودة لعلم اللغويات كما يتصوره عالم اللغة (أُجْرِيَ نقدٌ مماثل من قبل موريس

في العام 1946)، يصبح من البديهي القول أن «لغة الإنسان هي أكثر من نموذج للمضمون (signification): فهي أساسه إلى حد بعيد» «وأنه من الضروري «أن نأتي بعكس صيغة سوسور ونؤكد على أن علم السيمياء هو جزء من علم اللغويات» (Barthes 1967a, p. 8). «التحول» الآخر الذي أنتجه هذا المقال هو الانتقال من **سيمياء التواصل** (*sémiologie de communication*) (Saussure, Buyssens, Prieto, Mounin) إلى **سيمياء المضمون** (*Semiotics of Signification*)، وتِبعاً لهذا السيمياء ليست الإشارات هي فقط تلك التي يتم إصدارها قصداً من أجل التواصل (ولكن أيضاً، على سبيل المثال، تمثل الإشارات الأعراض في علم السيمياء الطبية، أو «الحلم» وفقاً لفرويد). هذه الدراسات في علم السيمياء العامة، والتي لها تطبيق ملموس، تتضمن: **المدخل إلى التحليل الهيكلي للقصص** (*L'introduction à l'analyse structurale des récits*) (1966b).

إن «الصفة المتعدية والمتجاوزة للسيميائية» موجودةٌ أيضاً في مساهمات بارت في التحليل الأدبي مثل: **حول راسين** (*Sur Racine*) (1963)، **مقالات نقدية** (*Essais critiques*) (1964)، **النقد والحقيقة** (*Critique et vérité*) (1966)، (*S/ Z*) (1970)، **ساد، فورييه، لويولا** (*Sade, Fourier, Loyola*) (1971)، **لذة النص** (*Le plaisir du texte*) (1973)، **إمبراطورية النص** (*L'empire des signes*) (1970)، وأ**جزاء من خطاب غرامي** (*Fragments d'un discours amoureux*). مع اهتمامه بالمضمون أو المغزى و لما يسميه في مقالٍ كتبه عام 1975 (*L'obvie et L'obtus*))، الآن في بارت (1982) «الحاسة الثالثة»، **سيميائية المغزى** (*The Semi-otics of Significance*)، وموضوعها ليس الرسالة (سيمياء التواصل)، ولا الرمز بالمعنى الفرويدي (سيميائية المغزى)، ولكنْ موضوعها **النص** أو **الكتابة**، أي، الانفتاح الأقصى للحاسة (التي تميز) بشكل خاص الكتابة الأدبية (انظر: Ponzio 1995b; Marrone, «Introduzione», in Barthes 1998: ix-xxxv). ولكن **الفيلمي**، **والحَي**، **والموسيقي** (*Image-Music-Text*) (1977b) (أي **الصورة**، **الموسيقى**، **النص**)، والتصويري (انظر *La chambre claire*, 1980) يحقق أيضاً

المضمون. بداعي الترابط بين النص المقروء (*lisible*) والنص المكتوب (*scriptible*) للكاتب (*scripteur*, *écrivant*) الذي هو موجود بدلاً من ذلك بدرجة أقل في نص المؤلِّف غير الأدبي (الكاتب)، يفترض القارئ دور التأليف المشترك، وبالتالي يشارك بطريقةٍ حوارية في تكوين المعنى.

من العام 1962 إلى العام 1967 درَّس بارت سوسيولوجية الإشارات، والرموز والتمثيلات في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا في العلوم الاجتماعية (École Pratique des Hautes Etudes en Sciences Sociales). في عام 1967 تم استدعاؤه إلى (Collège de France) (كوليج دو فرانس أو كلية فرنسا). **محاضرته** (*Leçon*) الافتتاحية في الكولاج (1977) تنسب صفةً تخريبية إلى الكتابة الأدبية وذلك بفضل التحول الذي يحققه المضمون: إنها تمكن الكاتب (écrivant) أن يتكلم دون أن يكون هو الفاعل–المؤلف، وبالتالي تمكنه من الهروب من ترتيب الخطاب الذي يعيد المتكلم إنتاجه عندما يلتزم بقواعد اللغة (langue) (AP).

قراءات إضافية:

Barthes, R. (1967) *Elements of Semiology*, trans. A. Lavers, London: Cape.

Barthes, R. (1974) *S/Z*, trans. R. Howard, New York: Hill and Wang.

Barthes, R. (1977) *Image-Music-Text*, ed. and trans. S. Health, London: Collins.

بودريار (Baudrillard):

جان بودريار (مواليد 1929)، هو مُنَظِّرٌ اجتماعي فرنسي. في بداياته، رأى بودريار المجتمع مُنَظَّماً حول الاستهلاك الملحوظ وعرض الفخم من السلع عن طريق الوسائل التي يمكن للمرء أن يكتسب من خلالها الهوية، والهيبة، والمكانة في المجتمع. بذل بودريار جهوداً ترمي إلى الجمع بين نظرية سوسور السيميولوجية من حيث «نقد الاقتصاد السياسي للإشارة» مع نقد ماركسي للرأسمالية (Baudrillard 1975, 1981). في أواخر حياته، لم يعد العمل قوة إنتاج ولكن أصبح في حد ذاته مجرد إشارة أخرى من بين الإشارات. فالإنتاج ليس أكثر من نظام استهلاكي للإشارات التي تشير إلى

نفسها (Baudrillard 1983a, 1983b, 1988, 1995).

لقد ولدت وسائل الإعلام لبودريار فيضاً من الصور والإشارات كانت نتيجتها «عالَم محاكاة»، يمحو التمييز القديم بين «الحقيقة» و«الوهم». أما المجالات المتميزة من العلوم الحديثة، والفلسفة، والعمل، والمؤسسات الخاصة، والبرامج الاجتماعية، وفوق كل شيء، النظرية، فقد تم امتصاصها من قِبَلِ زوبعة من الدالات الباطلة وتم وضعها في «ثقب أسود» .وتلاشت الأوهام القديمة الباقية في الذهن عن الإشارة المرجعية، وذلك لأن الإشارات وأدواتها تنفجر داخلياً إلى مجرد إشارات غير مُتَجسدة. ونتيجةً لذلك، فإن سلع ثقافة «ما بعد الحداثة» المعاصرة المُنَظَّمة حول الاستهلاك اللافت فقدت قيمتها باعتبارها سلعاً مادية. وكإشاراتِ نظام اللغة التفاضلي لسوسور، اتخذت قيمةً لها وفقاً لعلاقاتها مع جميع السلع الإشارية الأخرى في النظام بأكمله. وتم تسوية كل شيء إلى نفس المستوى، وهو مستوى الدالات القائمة في علاقةٍ متلامسة مع الدالات الأخرى، التي تؤلف بمجملها نظاماً استدلالياً ضخماً. وهنا لا يصبح الأفراد أكثر من أدواتٍ من الاحتياجات مُختَرَعَة اجتماعياً. أي يصبح كل فرد بمثابة أي واحد من الأفراد أو بمثابة جميع الأفراد. مثل أي سلعةٍ إشارية معينة، لا يساوي الفرد أكثر من أيٍّ، أو كلِّ السلع الإشارية الأخرى التي تحمل نفس الاسم والقيمة.

يكتب بودريار أن ثلاثة «أنظمة من المحاكاة»، بلغت أوجها في حياة «ما بعد الحداثة» الاجتماعية المُمِلة، والمعقدة وهي: **(1)** نظام التزييف (القانون الطبيعي للقيمة) والذي يتزامن مع صعود الحداثة، عندما كانت المحاكاة التافهة (simulacra) تعني ضمنياً السلطة والعلاقات الاجتماعية؛ **(2)** المرحلة النهائية للثورة الصناعية، عندما فتح مسلسل الإنتاج والتشغيل الآلي (المستند إلى القانون التجاري للقيمة) الباب أمام الاستنساخ اللانهائي، وبدأت الآلات تأخذ مكانها جنباً إلى جنب مع البشر؛ **(3)** ومجتمعنا المعرفي السبراني الحالي، عندما بدأت النماذج تفوز بالأسبقية على الأشياء، وبما أن النماذج هي إشارات، فإن الإشارات بدأت تمارس الآن القوة الكلية لهيمنتها. هذا النظام الثالث للمحاكاة هو بطريقة هاجسية

ثنائيٌّ أو ازدواجي بطبيعته - وهو أمر متوقع، لأنه وفي نهاية المطاف، فإن نموذج بودريار نفسه هو نموذج سوسوري بشكل ثابت. فاللغة، وعلم الوراثة، والتنظيم الاجتماعي متشابهة جميعاً ويحكمها منطقٌ ثنائي يشكل الأساس للنماذج الاجتماعية والرموز التي تسيطر على الحياة المؤسساتية واليومية. وعلى النقيض من النظريات الكلاسيكية للسيطرة الاجتماعية، يبدو لأول وهلة أن نظرية بودريار غير محددة جذرياً: كل شيء يشبه «الحركة البراونية للجسيمات أو حساب الاحتمالات». فالإشارات وأنماط التمثيل، على الأصح من التمثيل نفسه، تأتي لتشكل «حقيقةً». حيث تصبح الإشارات مجرد ذرات: فالإشارات المنعزلة الوحيدة تشكل نمطاً جديداً من النظام الاجتماعي. هي تصبح مُحَمَّلةً بالمعنى فقط فيما يتعلق بالأوساط، وتأخذ مكانها الصحيح في لغة الأوساط، فيما يخص فقط الإشارات الأخرى في النسيج المتاهي، المتشابك، والمتنوع، الكلي. فالإشارات ليس لها مصير آخر إلا العَوم في فضاء غير محدد، وبدون صلة، مِن صُنْعِها (FM).

قراءات إضافية:

Baudrillard, J. (1975) *The Mirror of Production*, trans. M. Poster, St. Louis: Telos.

Baudrillard, J. (1981) *For a Critique of the Political Economy ofthe Sign*, trans. C. Levin, St. Louis: Telos.

Gane, M. (ed.) (1993) *Baudrillard Live: Selected Interviews*, London: Routledge.

بينفينيست (Benveniste):

كان إميل بينفينيست (القاهرة 1902، باريس 1976) عالماً لغوياً فرنسياً وشخصيةً مُحدِّدَةً لفكر فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية وما بعدها. تلقى تعليمه في جامعة السوربون على يد تلميذ سوسور (Saussure)، أنطوان مابيه (Antoine Meillet)، وانطلق للتدريس في كوليج دو فرانس (Col-lège de France) من العام 1937 وحتى العام 1969. وعلى الرغم من أن بينفينيست لم يُمنح أبداً الشهرة التي مُنِحَت للعديد من معاصريه، فإنه كان لا يزال قوة رئيسية في مختلف التخصصات في الأوساط الأكاديمية. إذ يروي ميركيور (J. G. Merquior)

«ما زلت أذكر كيف كنا نمتلئ رهبة عندما كنا نمر جانب باب مكتبه في طريقنا إلى ندوة ليفي ستروسس (Lé-vi-Strauss) التي يحضرها الحشود» (1986, p. 15). وعلاوةً على ذلك، فمن الواضح أن بينفينيست هو أبُ ما بعد البنيوية (Poststructuralism)، بحيث مَهَّدَ عملُه الطريق منذ أواخر الثلاثينات فصاعداً لانتقادات البنيوية التي قدمها أمثال ديريدا (Derrida)، لاكان (Lacan)، كريستيفا (Kriste-va)، ولاحقاً رولان بارت (Barthes)، بودريار (Baudrillard)، وأمثال المُنَظِّرين الأنجلو أميركيين المُصَنَّفين في دراسات السينما والأدب والفلسفة (انظر: Easthope 1988).

يدخل عمل بينفينيست بشكل أساسي ضمن مجال اللغات الهندوأوروبية، ولكن ربما كان مجموع مقالاته، *Problèmes de linguistique générale* أي مشاكل اللغويات العامة (1966، الذي تُرْجِمَ إلى الإنجليزية في العام 1971)، هي التي قدمت لرؤيته رواجاً أكبر. كانت المقالات في المجلد قصيرة، شديدة التركيز ومُناقَشَة عن كثب. وتراوحت من نقدٍ حاد لمبدأ سوسور (Saussure) حول الطبيعة الاعتباطية للإشارة، «طبيعة الإشارة اللغوية»، من خلال النظر في الدور العام لحروف الجر، «النظام المنطقي التابع لحروف الجر في اللغة اللاتينية»، إلى مقالته حول «الضمير الغائب» «ك» غير (عاقل)، «طبيعة الضمائر». وعلى الرغم من المنطق الدقيق وراء كل من هذه المقالات، فإنها تسأل جميعاً الأسئلة الأكبر التي تفرض إعادة توجيه أساسية للغويات العامة لمرحلة ما بعد سوسور. وحتى أكثر من عَمَلِ جاكوبسون (Jako-bson)، تهتم هذه المقالات بالآثار الناجمة عن الظاهرة التي تُعْرَف باسم «الذاتية في اللغة» (عنوان المقال رقم 21 في المجلد).

في ضوء ذلك، من السهل أن نرى كيف أثَّر بينيفيست بأتباع ما بعد البنيوية. «إن المرء يشكل نفسه كفاعل في اللغة ومن خلالها»، كما يكتب بينيفيست، «لأن اللغة وحدها تؤسس لمفهوم «الأنا» في الحقيقة، أي في حقيقتها التي هي حقيقة الوجود» (1971, p. 224). بالنسبة لبينيفيست، كان الفصل بين «أنا» و«أنت» في الحوار (Dia-logue) جوهرياً لفئة الشخص (Per-son) لأنه هو الوسيلة التي يحدد بها الفرد نفسه/ نفسها كفاعل في الخطاب (Discourse). فالضمائر (Pronouns)

الشخصية هي واحدةٌ فقط، وبالرغم من أنها الأهم، من الوسائل التي يخصص فيها كل متكلم لغةً؛ والإشارة (Deixis) هي وسيلة أخرى تتطلب فهم فكرة أن المعنى (Meaning) لا يمكن تحقيقه إلا بالإشارة إلى مثلٍ من الخطاب التي تظهر فيه الفئة الإشارية. على هذا النحو، تخلق اللغة تعييناً لشخصٍ ما، ولكنها تساهم أيضاً في فهم الإنسان لهذه الظواهر التي يُفْتَرَض أنها مستقلة كالزمان والمكان.

ولكن الفاعل لا يصبح ممكناً فقط بفضل اللغة في نظرية بينيفيست؛ ففي تطورٍ يجعل عمله ملائماً لبعض متغيرات التحليل النفسي، يتم تقسيم الفاعل جوهرياً فيما يتعلق بالقدرة اللغوية. ويحدد بينيفيست جانبين لأي استخدام للغة: ويسميهما اللفظ (énoncé) والتعبير (énonciation). اللفظ بسيطٌ جداً: هو الجملة أو المحتوى لمثلٍ محدد من اللغة، أي هو ما تم قوله. والتعبير، من ناحية أخرى، هو فعلٌ من الكلام ويفترض وجود متكلمٍ ومستمع. يمكن التمييز بين اللفظ والتعبير عندما يتم فصلهما بهذه الطريقة المجردة ولكن، من الناحية العملية، هما دائماً متشابكان. ففي غرفةٍ تحتوي على مجموعة كبيرة من الناس، قد يهمس شخصٌ لأولئك الموجودين على مرمى السمع أن واحداً من المجموعة البعيدة عن مدى السمع، لديه رائحة جسم كريهة جداً. اللفظ أو الكلام هو عن شخص تصدر منه رائحة، ولكن التعبير سيكون الشخص الذي همس بهذا الكلام. فوق ذلك يتم اكتشاف الواحد منهما وهو ضروري للآخر: فالملاحظة شخصية جُعِلَت أكثر شخصية وذلك بأدائها بالهمس (أي من خلال أدائها بصوت منخفض).

موضوع هذه الديناميكية في اللغة لا يمكن إلا أن يتم تناوله بطريقتين. سيكون هناك أداء له/ لها كفاعل متمثل في استخدام الضمائر مثل (*I*) أي أنا (اللفظ)؛ ولكن سيكون هناك أيضاً ذلك «الأنا» الآخر الذي يقوم بالأداء (التعبير). المعضلة، هنا، تتوضح في هكذا جمل متناقضة مثل «أنا أتمدَّد»، حيث لا بد أن يكون الفاعل المتكلم منفصلاً عن الفاعل المُشار إليه في هذا المَثَلِ من الخطاب.

لقد وجدت كتابات بينيفينست حول الذاتية واللغة ترحيباً حاضراً في أوساط ما بعد البنيوية وفي أوساط التحليل النفسي. ومع ذلك، فإن عمله

هو أوسع نطاقاً مما تسمح هذه الحقيقة بالتعرف عليه، وتستحق مقالاته في علم اللغويات العامة قراءات متكررة، خاصةً وأنها في كثير من الأحيان تتطابق مع فلسفة اللغة العادية (Or-dinary Language Philosophy)، والبراغماتية (Pragmatics)، وعمل موريس (Morris) والسيميائية (Se-miotics). إن مساهمة بينيفيست في السيميائية العالمية هي الآن معروفة جيداً. فبعد تقاعده من كوليج دو فرانس (Collège de France) أصبح رئيس IASS، وهي منظمةٌ أَسَّسها مع آخرين، ولقد تُوُفي في ظروف مأساوية في العام 1976 (PC).

قراءات إضافية:

Benveniste, E. (1971) *Problems in General Linguistics*, trans. M. E. Meek, Coral Gables: University of Miami Press.

Benveniste, E. (1973) *Indo-European Language and Society*, trans. E. Palmer, London: Faber.

Lotringer, S. and Gora, T. (eds) (1981) *Polyphonic Linguistics: The Many Voices of Emile Benveniste, Semiotica* (SpecialSupplement).

بيركلي (Berkeley): جورج بيركلي (1685–1753). هو ثاني التجريبيين البريطانيين الثلاثة الأكثر تأثيراً: لوك (Locke)، بيركلي (Berke-ley)، وهيوم (Hume). على افتراض أنه يمكن تجربة الأحاسيس فقط، وأنه لا يمكن لأي شيء أن يكون محسوساً باستثناء الأفكار، يخلص بيركلي إلى اعتبار أن هناك وجود للعقل والأفكار فقط. وزعم أنه يمكن أن يكون لدينا فقط أفكار الأفكار، وليس الأشياء المتواجدة خارج العقل، ونفى إمكانية أن يكون لدينا أفكار عامة مجردة. إذ يمكننا أن نميز التجربة الواقعية عن الخيال من خلال حيويتها الأكبر ومن خلال الاستمرارية التي تميز الواقع. ولكن بيركلي اعتبر أنه «أن يكون هناك شيءٌ ما يعني أن يكون مُدْرَكاً»، وبالتالي فإن ترابط الأفكار التي تشكل الواقع تعتمد على الإدراك المستمر. وهذا ما نسبه بيركلي إلى الله. لذلك قَبِلَ بيركلي واقع التجربة الاعتيادية ولكنه نفى وجود عالمٍ خارجي يسبب الأحاسيس ويكونُ مصدراً

للاستمرارية التي نعيشها. حاول تشارلز بيرس (Charles S. Peirce) أن يُثبِتَ أن هذه الواقعية كانت صُوَرِية مزيفة، وأن بيركلي ينتمي إلى التقليد المؤيِّد للاسمية. ومع ذلك، كان بيرس متأثراً جداً بفكرة البراغماتية الأولية لبيركلي التي تنص على أن الأفكار هي **إشارات** وكذلك برفضه للأشياء المادية التي لا يمكن أن يكون لها أي آثار محسوسة. وإن هيوم، العالم التجريبي الأكثر تشككاً، نفى العقل جنباً إلى جنب مع المادة واعترف فقط بالانفعالات والأفكار (NH) .

انظر أيضاً جاكندوف (Jackend-off) (فيهذا الكتاب).

قراءات إضافية:

Warnock, G. J. (1953) *Berkeley*, Harmondsworth: Penguin.

برنشتاين (Bernstein): باسيل بيرنارد برنشتاين (Basil Bernard Bernstein) (مواليد 1924)، هو عالم الاجتماع البريطاني، المعروف بعمله على العوامل اللغوية في علم اجتماع التربية. بعد الحرب العالمية الثانية، قضى ثلاث سنوات على التوالي في إدارة نوادي للبنين من الطبقة العاملة في الطرف الشرقي من لندن حيث وجد نفسه يفاوض على الاختلافات بين حركة الإصلاح واليهودية الأرثوذكسية عند السكان المحليين. في العام 1947، التحق بـ London School of Economics (أي مدرسة الاقتصاد في لندن)، وبعد أن غيَّر دبلومه في العلوم الاجتماعية، حصل على درجة البكالوريوس في الاقتصاد. مثل العديد من شخصيات تلك الحقبة الذين أصبحوا مؤثرين في الحياة الفكرية البريطانية، وخاصةً في الدراسات الثقافية وعلم الاجتماع (مثل ريتشارد هوجارت (Richard Hoggart)، رايموند وليامز (Ray-mond Williams)، وستيوارت هول (Stuart Hall))، أمضى برنشتاين فترةً في تدريس الكبار. وحتى العام 1960، عمل أستاذاً للعمال الصناعيين بدوام كامل على برنامج «تحرير اليوم» (Day Release) في السيتي داي كوليج (City Day College). بعد ذلك، عمل فترةً كمساعد باحث في قسم علم الصوتيات، في الكلية الجامعية (University College) في لندن، وهنا أصبح يتأثر بعمل سابير (Sapir)، وورف (Whorf)، كاسيرير (Cassirer)، فيغوتسكي (Vygotsky)

ولوريا (Luria). في وقت لاحق، انضم إلى معهد التربية (Institute of Education) في جامعة لندن (Uni- versity of London) حيث كان على احتكاك بالتيارات الفكرية مثل البنيوية، وبالأشخاص الباحثين مثل رقية حسن (Ruquaia Hasan)، مايكل هاليداي (Michael Halliday) وماري دوغلاس (Mary Douglas).

تطور عمل برنشتاين الخاص داخل وحدة البحوث الاجتماعية التابع لمعهد التربية حيث أصبح أستاذاً في وقت لاحق. في ورقةٍ سابقة (1962)، كان قد ركز على ظواهر التردد بين تلاميذ المدارس، وعرض لمفهوم «الرموز» (Codes) في تحليله. توسعت أوراق الأبحاث اللاحقة حول هذا الموضوع وولدت المفهوم الذي ارتبط ببرنشتاين: الرموز المحدودة والرموز المُفَصّلة. بسبب حداثة هذه الأفكار الخاصة والتركيز الرائج عليها على حساب جوانب أخرى من عمله، أصبح برنشتاين شخصية جدلية. يلخص برنشتاين نفسه الأمر تماماً عندما يقول أن اليسار السياسي أحب أفكاره في البداية لأنها ألقت التهمة على عدم المساواة، ولكن في وقت لاحق، وخاصةً مع اليسار الجديد، انتُقِدَ لأنه ألغى مناقشة الفقر والعوامل المادية الأخرى وببساطة أعاد إنتاج عدم المساواة في محاولةٍ منه لفرض معايير الطبقة المتوسطة. من ناحية أخرى، كان اليمينيون سعداء لأن برنشتاين قد «أثبت» أن الثقافة العليا كانت بعيدةً عن متناول الطبقات العاملة. ولقد تم تبسيط جميع هذه الآراء بإفراط، وكما يقول برنشتاين، ركزت كل هذه الآراء على فكرة «النقص» اللغوي.(1971, p. 19).

بالنسبة للبعض، لا يزال برنشتاين «أحد علماء الاجتماع البريطانيين الحديثين الأكثر أصالةً وإبداعاً» (At- kinson 1985, p. 7). ويؤكد هاليداي (1973, p. xvi) بإيجاز على فوائد عمل برنشتاين عندما يقول أنه بدلاً من أن يبقى أعمى عن نتائج اللغة على مستخدميها فإنه يركز على السلوك الاجتماعي للغاية (من اللغة)، وعلى «فهم اللغة كمعنى بدلاً من فهمها كبنية». على أقل تقدير، يعتبر عمل برنشتاين رائداً في الاستقصاءات المعاصرة لما بعد فوكو (Foucauld) حول الخطاب (Discourse) في التعليم (PC).

قراءات إضافية:

Bernstein, B. (1971) *Class, Codes and Control vol. 1: Theoretical Studies Towards Sociology of Language*, London: Routledge and Kegan Paul.

الثنائية (Binarism): في علم اللغويات، هناك افتراض بأنه يمكن تحليل التناقضات من حيث التعارضات أو الخيارات الثنائية. لذلك ففي علم الأصوات، على سبيل المثال، يمكن تصنيف الحروف الساكنة من حيث التعارض بين ما هو «صوتي» و«غير صوتي»، أو في علم النحو حيث يتحدد العدد بالاستناد إلى التعارض بين «المفرد» و«الجمع». إن الأساس المنطقي للازدواجية هو النفي، مثلاً عندما نقول هذا الحرف ليس P ‘not *p*’، يكون ذلك متعارضاً مع الحرف ‘*p*’. وبالتالي فإن الثنائية غالباً ما ترتبط بفرضية أن واحداً من+ عناصر هذا الزوج من الصفات «تم تحديده» (Marked) أي تتوفر فيه هذه الصفة أو هي إيجابية) فيما الآخر غير محدد (Unmarked) (بمعنى أنه لا تتوفر فيه هذه الميزة أو هي سلبية). قد تكون التحليلات الثنائية مثيرة للجدل لسببين على الأقل .أحدهما هو أنها تميل إلى توفير قيدٍ لا بد أن يدخل فيه قسرياً (نوع) من التباين اللغوي الأكثر دقةً وتفصيلاً. السبب الثاني هو أنه على الرغم من أن الثنائية تُطْرَحُ كمنهجية تحليلية، فهي في الواقع نظرية بديهية حول عموميات البنية اللغوية وتفتقر إلى أي أساس تم إثباته بشكل جيد.

في علم السيمياء والدراسات الثقافية عموماً، كان للثنائية دعاية سيئة لأن الإصرار على مثل هذه التناقضات («جيد» في مقابل «سيء»، «علمي» في مقابل «غير علمي»، «ديمقراطي» في مقابل «غير ديمقراطي»... إلخ) يُنْظَرُ إليه على أنها وسيلة لغرس تلك القيم التي تتحيز لها المؤسسات الحالية ولقمع وجهات النظر البديلة أو الانشقاق عنها (RH).

انظر أيضاً الفرق (Différance).

علم السيمياء البيولوجي (Biosemiotics): على مدى التاريخ الغربي، ركزت أكثر النظريات السيميائية وتطبيقاتها على الرسائل، سواءً اللفظية أو غير اللفظية، الموضوعة في التداول بين البشر، والواردة عموماً ضمن السياق الثقافي. هذا النوع من البحث السيميائي – الذي يتم توصيفه على

أن محوره الإنسان والكلمة–كان هو القاعدة منذ العصور القديمة، مع استثناء جزئي في حال السيميائية العلاجية (علم الأعراض، والتشخيص، أو ما شابه ذلك)، التي مارسها وكتب عنها أطباء مثل أبقراط من كوس (Hip-pocrates of Cos) (حوالي العام 430قبل الميلاد) أو جالينوس من بيرغامون (Galen of Pergamon) (129–200) حتى حوالي العام وكذلك أتباعهم الحديثون الذين لا عد لهم ولا حصر، وخصوصاً توري فون أويكسكول (Thure Von Uexküll)، وهو طبيب من مواليد (1908) ويعتبر علم السيمياء البيولوجي نموذجاً أساسياً لكل مجالات الطب النفسي. وفي الواقع، إن المهد الأولي لعلم السيمياء البيولوجي يرتكز، إذا كان ذلك ضمنياً، على الطب القديم.

تدريجياً وبخطىً مترددة، اتسع نطاق علم السيمياء التقليدي بشكل كبير بعد العشرينات، وإذا أردنا التعبير عن ذلك بطريقةٍ أخرى، أصبح علم السيمياء «الاعتيادي» تدريجياً مترسخاً وجزءاً لا يتجزأ من مجال أوسع بكثير من ما أطلق عليه طبيب الأورام السرطانية الإيطالي، جيورجيو برودي (1928-1987)، علم «السيمياء الطبيعي» (1988). في الوقت الحاضر وبشكلٍ أكثر شيوعاً، تسمى دراسة الرموز البيولوجية **علم السيمياء البيولوجي**- وهو مصطلح تمت صياغته بشكل مستقل في العقود الأخيرة في الولايات المتحدة وفي أماكن أخرى، الذي يتبع العمل الكلاسيكي الحالي جايكوب فون أويكسكول (Jakob von Uexküll) (1864-1944)، **نظرية علم الحياة** (*Theorestiche Biolo-gie*) (1920، وما يليها). يستلزم علم السيمياء البيولوجي الهوية البديهية للمحيط السيميائي مع المحيط الحيوي.

سمى أويكسكول (Uexküll) موضوعه (Umweltehre)، وهو دراسة العوالم الذاتية الاستثنائية، والتي ربما يتم تقديمها كنماذج فريدة لعالَم كل شخص. كل شخصٍ هو مُنْشِئٌ «للمحيط المهم»، وكل محيطٍ مُطَوَّق وفقاً لأجهزته من أعضاء الإدراك الحسي – التي تنظم الإشارات الإدراكية إلى تلميحات إدراكية حسية؛ وأعضاء مستجيبة مُنَفِّذة– هي أجزاءٌ من العالم التشغيلي للشخص، وهي إشارات للتغييرات التي يستحضرها العضو المستجيب في الشيء الذي يتم من خلاله إطفاء التلميح الإدراكي

الحسي. ما يسمى بالدورة الوظيفية يربط أجزاءً من البيئة بالنموذج الداخلي لكائنٍ حي عبر أعضائه الإدراكية الحسية وأعضائه المستجيبة، بالتنسيق مع الوسط الذي يتحرك الحيوان فيه (مثل الزعانف/ الماء، الجناح/ الهواء، القدم/ المسار، الفم/ الغذاء، السلاح/ العدو، أو ما شابه ذلك). هكذا شبكاتٌ تتكون من إشارات موضوعة فقط في متناول الكائن المُشَفِّر، وتبقى مجرد «ضوضاء» لجميع الكائنات الأخرى.

قام عالم النفس السويسري ومؤسس (Zoo Biology) (بيولوجيا (الحيواني))، هايني هيديجر -1992) (1908، والمتأثر بنظريات–جايكوب فون أويكسكول (Jakob Uexküll)، بدراسة استجابات الطيران الحيواني، ومبادئ ترويض وتدريب الحيوانات الأسيرة في البرية، وكذلك في بيئات حديقة الحيوانات والسيرك، وتدجين الحيوانات الأليفة المنزلية وحيوانات المزرعة. وكان مسؤولاً بشكل رئيسي، من خلال إجراءات روتينية سيميائية بيولوجية وتجريبية دقيقة، عن حل مسألة مفاهيم المساحة الفردية والاجتماعية في التطبيقات على الحيوانات التي تنتمي إلى العديد من الأنواع. لاحقاً، قام آخرون بتطبيق هذه المفاهيم على الإنسان وطوروها أكثر تحت مسميات مثل «مبحث التداني».

فبينما اختبر أويكسكول كلاً من الأنواع الحيوانية المختلفة على (انفراد)، لِنَقُلْ، القراد بحثاً عن دم الثدييات، كان هيديجر غالباً ما يبحث في هذه الأنواع في ترابطها الثنائي مع الأنواع الأخرى، وبشكلٍ لافت مع البشر (متضمنةً بشكل شهير تفاعلاتٍ من نوع «ظاهرة هانز الذكي»). في وقت لاحق، تم توسعة التأملات حول السيمياء الحيواني (المُسَمى علم السيمياء الحيواني -Zoosemi)) (otics من قبل علماء آخرين لتشمل النباتات (علم السيمياء النباتي -Phy)) (tosemiotics والفطريات (علم سيمياء الفطريات -Mycosemiot)) (ics، والأهم من ذلك، لتشمل شبكة التواصل الكلية لبدائيات النواة داخلَ وبين الخلايا البكتيرية المختلفة التي نشأت منذ ثلاثة بلايين سنة ونصف (علم السيمياء المجهري -Microse) (miotics، وعلم السيمياء الخلوي ((Cytosemiotics)).

إن جسم أي كائن حي يتكون من شبكة معقدة من النشاطات السيميائية الإشارية؛ وإن مصطلح السيمياء

الداخلية (Endosemiosis) يشير إلى سلسلة انتقال للإشارات داخل الكائن الحي. وتشمل الرسائل التي يتم انتقالها معلوماتٍ حول معنى العمليات في نظام واحد من الجسم (الخلايا والأنسجة والأعضاء، أو أنظمة الأعضاء) لأنظمةٍ أخرى، وكذلك لأدوات التنظيم التكاملي (خاصةً الدماغ) وأنظمة التحكم مثل شيفرة المناعة (القادرة على تمييز الذات عما هو غريب عن الذات بشكل قاطع). من بين الشيفرات السيميائية الداخلية الأساسية الأخرى هناك الشيفرة الوراثية، وشيفرة التمثيل الغذائي، والشيفرة العصبية (TAS).

انظر أيضاً علم سيمياء الإنسان (Anthroposemiotics).

قراءات إضافية:

Hoffmeyer, J. (1993) *Signs of Meaning*, Bloomington: Indiana University Press.

Kull, K. (2001) *Jakob Von Uexküll, Semiotica*, forthcoming [Special issue].

Merrell, F. (1996) *Signs Grow: Semiosis and Life Processes*, London: University of Toronto Press.

بيردويستيل (Birdwhistell):

عرَّف راي لي بيردويستيل (Ray Lee Birdwhistell) (1918–94) مبحث حركات الجسم (kinesics)، وهو دراسة حركة الجسم كنظام تواصلي في التفاعل البشري. ولد في مدينة سينسيناتي (Cincinnati) بولاية أوهايو (Ohio)، ولكنه ظل شديد التعلق بكنتاكي، مسقط رأس والديه. حصل على درجة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من جامعة شيكاغو في العام 1951 من أجل دراسة التنشئة الاجتماعية في ولاية كنتاكي الريفية. بينما كان في شيكاغو، تعرف على مارغريت ميد (Margaret Mead) وجريجوري باتيسون (Gregory Bateson) وكان تأثير أحدهما على الآخر متبادلاً وجديراً بالاهتمام. في العام 1956 اشترك مع باتيسون في مشروع «التاريخ الطبيعي للمقابلة» في مركز الدراسات المتقدمة في العلوم السلوكية (Center for Advanced Study in the Behavioral Sciences) في بالو ألتو (Palo Alto). بدأ ذلك بمبادرة من علماء اللغويات والأطباء النفسيين، وكانت هذه

المحاولة الأولى من نوعها لدراسة التفاعل المباشر وجهاً لوجه كعملية للتواصل المتعدد الوسائط، وأجريت فيها تحليلات دقيقة للأفلام التفاعلية المتزامنة مع الصوت. ولقد وضعت هذه المحاولة الأسس للأفكار الجوهرية لبيردويستيل حول طبيعة دراسة الحركات الجسدية والتواصل. درَّس بيردويستيل في جامعة تورنتو (University of Toronto)، وجامعة لويزفيل (University of Louisville) في كنتاكي، وجامعة بوفالو (University of Buffalo) في نيويورك. وقام بإدارة مشروع حول التواصل البشري (Project on Human Communication) في معهد الطب النفسي لولاية بنسلفانيا الشرقية (Eastern Pennsylvania Psychiatric Institute) في فيلادلفيا (Philadelphia)، وكان أستاذاً في مدرسة أننبرغ للاتصالات (Annenberg School of Communications)، في جامعة بنسلفانيا. (University of Pennsylvania) وكان معلماً ذا شخصية كاريزمية، وذا تأثير واسع على أجيال عديدة من الطلاب (AK).

قراءات إضافية:

Kendon, A. and Sigman, S. J. (1996) «Ray L. Birdwhistell (1918-1994): Commemorative Essay», *Semiotica*, 112: 231-61.

بلومفيلد (Bloomfield): كان ليونارد بلومفيلد (1887–1949) رائداً رئيسياً في علم اللغويات الحديث، وشخصيةً بارزة في البنيوية الأميركية. بعد بحث الدكتوراه في تاريخ اللغات الجرمانية، انطلق إلى القيام بعمل مهم فيما يخص اللغات الأميركية والأسترونيزية الأصلية. كتابه **اللغة** (*Language*) (1933) أنتج بطريقة اختصاصية الكثير مما كان معروفاً حول علم اللغة في ذلك الوقت، ولا يزال إلى الآن يستحق القراءة بجدارة. عمل بلومفيلد بِجِدٍّ ليؤسس علم اللغة كمادة مستقلة ولعب دوراً بارزاً في إنشاء الجمعية اللغوية الأميركية (Linguistic Society of America) عام 1924. ولقد كتب كتباً تمهيدية حول الهولنديين والروس فضلاً عن العديد من الدراسات الأكاديمية.

كونه مثالاً للعالِم الحذر، رفض بلومفيلد أن يصدر ادعاءات غير مدعومة بالملاحظة الدقيقة والتحليل.

ولم يكن راغباً في استخدام معاني الكلمات والجمل كأساسٍ للتحليل النحوي، لأنه لم يكن مقتنعاً بأن المعنى يمكن وصفه علمياً .ومع ذلك، لم يتجاهل المعنى تماماً: إذ تناقش الفصول اللاحقة من كتابه **اللغة** (Lan-guage) المعنى وكذلك تغير المعنى على نطاق واسع (RS). انظر أيضاً سابير (Sapir).

قراءات إضافية:

Hall, R. (1987) *Leonard Bloomfield: Essays on His Life and Work*, Amsterdam: John Benjamins.

بواس (**Boas**): فرانز بواس (Franz Boas) (1858–1942)، ولد في ألمانيا من أبوين يهوديين، وفي البداية درس الفيزياء والجغرافيا هناك قبل أن يتحول إلى دراسة الأنثروبولوجيا. بعد بعثاته الأولى إلى القطب الشمالي، انتقل إلى الولايات المتحدة في عام 1887. ثم أصبح منخرطاً في (Chicago World's Fair)أي المعرض العالمي في شيكاغو 1892–1894، و (Jessup North Pacific Expedition) أي بعثة دجيسوب في شمال المحيط الهادئ 1897–1902، والمتاحف الرئيسية. بين 1896 و1936 قام بتدريس علم الأنثروبولوجيا في جامعة كولومبيا (Columbia University)، وقام بتدريب الجيل الأول من المهنيين. تركزت أبحاثه الإثنوغرافية على الساحل الشمالي الغربي لأميركا الشمالية.

دمج بواس الزمان (التاريخية) والمكان (السياق) في اللغة والثقافة، وعلم الأحياء، محاولاً بالتالي أن يكسب الخلط الإختزالي الحتمي بين العِرق والثقافة (Williams 1996). ولم يثق بفرضية «التقدم» وبمذهب استقامة التطور الثقافي الأحادي النسب في عصره (Boas [1911] 1963). وكانت «ثقافة» بواس دمجاً فضفاضاً للعلاقات (Stocking 1966).

وتمت صياغة فرضية سابير–وورف بشأن التفاعل بين اللغة والثقافة، والإدراك – من قبل أحد طلابه .وإن اعتراف بواس باللغة الشفوية كوسيلة لجمع البيانات وكمادة للتحليل بحد ذاته على حد سواء قد ساهم في مهمة علم اللغويات البنيوية.

إن التزام بواس المبتكر بجمع البيانات الإثنوغرافية المكثفة بدلاً

من التعميمات المُقَنَّنة، وبالدراسات الطولية، وبتدريب الباحثين المحليين، مهد الطريق لمرحلة بناء نظرية جوهرية في الأنثروبولوجيا في القرن العشرين الأخير (Goldschmidt 1959; Stocking 1996 (MA).

انظر أيضاً البنائية الأميركية (American Structuralism).

قراءات إضافية:

Stocking, Jr., G. W. (ed.) (1996) Volksgeist as *Method and Ethic: Essays on Boasian Ethnography and the German Anthropological Tradition* (History of Anthropology, vol. 8) Madison, WI: University of Wisconsin Press.

بريال (**Bréal**): ميشال بريال (Michel Bréal) (1832-1915) قَدَّمَ لعلم النحو التاريخي المُقارَن في فرنسا. بعد أن درس مع فرانز بوب (Franz Bopp)، كان إلهامه الأولي هو التراث الألماني. ومع ذلك، فإن بريال أكد منذ البداية على أن مقاربة التطور اللغوي كعلم «طبيعي» ينبغي إثراؤه بالعودة إلى البعد الإنساني والثقافي. في عمله المُبْدِع، **مقالة في علم المعاني** (*Essai de sémantique*) (1897) انتقل من الشكل اللغوي إلى الوظيفة والمعنى، وكان مهتماً بشكلٍ خاص بالفروق الوظيفية التي لاً يقدمها الشكل مباشرةً وبدور الذكاء البشري في سد تلك الثغرات في عملية التفسير. وبالتالي أصبح بريال واحداً من الآباء المؤسسين لعلم المعاني في عصرنا الحالي (وربما هو علم لغوي معرفي قبل أن يُعْرَفَ هذا العلم)، الذي يُعَرِّفُه بريال بكلماته باسم علم الدلالة (Signification). كان يؤمن بشكلٍ راسخ بالتكامل بين علم اللغة وفقه اللغة كمكون للبحث التاريخي. في مقاربته المتوجهة نحو المعنى لتغير لغة وتطورها، أو نشوء الدلالة، يُعْتَبَر مفهوم الإرادة البشرية هو المفتاح (JV).

قراءات إضافية:

Bréal, M. (1995) *De la Grammaire Comparée à la sémantique:*
Textes de Michel Bréal publiés entre 1864 et 1898, ed. P. Desmet and P. Swiggers, Leuven: Peeters.

برونداль (**Brøndal**): فيغو بروندال (Viggo Brøndal) (1887-1942): هو عالم لغة وفيلسوف لغوي دانماركي، وهو أستاذ فقه اللغة اللاتينية في جامعة كوبنهاغن (1928–42). وإن دراساته في باريس (1912–13)

مع أنطوان ماييه (Antoine Meillet) وقراءته **لمقرر علم اللغويات العامة** (*Cours de linguistique générale*) (1916) لفرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure) مباشرةً بعد نشره جعلت علم اللغة البنيوية مجاله الرئيسي. وإن تدريبه الفلسفي مع هارلد هوفدينغ (Harald Høffding) أعطى للبنيوية منظوراً فلسفياً وتاريخياً وفتح عينيه على علم وصف الظواهر، وخصوصاً عند إدموند هوسيرل (Edmund Husserl) (*Logische Untersuchungen* 1900-1) والمنطق الصوري. جنباً إلى جنب مع لويس هيلمسليف (Louis Hjelmslev) أسس الدائرة اللغوية لكوبنهاغن (Cercle Linguistique de Copenhague) في العام 1931 ومجلة *Acta Linguistica hafniensia* (1939).

وإن وجهات النظر المزدوجة من الشكليات وعلم الظواهر واللغويات والفلسفة صاغت مساهمته في اللغويات والسيميائية على النحو المبين في المقالات التصويرية «اللغة والمنطق» (Language et logique) (1937) **وعلم اللغويات البنائية** (1939) (*Linguistique structurale*)، وكذلك في مقالاتٍ أخرى أعيدت طباعتها في (*Essais de linguistique générale* (1943)) (أي مقالات في اللغويات العامة). وكان الهدف من مشروعه هو التعبير عن العلاقة بين اللغة والفكر بطريقة أصبحت تنطبق فيها منهجياً على تحليل اللغة على جميع المستويات: من الوحدات الصوتية (Phonemes) (الفونيمات) إلى الخطاب (Discourse). تم تنفيذ هذا المشروع باعتباره قواعد عالمية (Universal Grammar) مكونة من عدد محدود من الفئات المنطقية ومن سلسلة من المبادئ الهيكلية لمزج وربط العناصر المنطقية الأساسية. في نظرية بروندال (Brøndal)، إن القواعد العالمية للغة وكذلك القواعد النحوية الخاصة بلغة معينة تحتوي على أربعة أبعاد تعرب كلها وبشكل واضح عن علاقة الفكر باللغة بطريقة خاصة: علم (الصرف) أو المورفولوجيا (Morphology) وعلم بناء الجملة (Syntax)، البعد الرمزي والبعد المنطقي (التي تُقارَن، على التوالي، مع التعبير والمحتوى).

إن عمل بروندال (Brøndal) على القواعد العالمية للنحو يركز على علم المورفولوجيا في (Ordklasserne 1928; French translation 1948)، في حين أنه يحدد علم معاني الكلمات

في *Præpositionernes Theori* (1940; French Translation 1950) وبناء الجملة في *Morfologi of Syn-*) (*tax* 1932. فهو يتعامل فقط بشكل متقطع مع علم (وظائف) الأصوات أو الفونولوجيا (Phonology) وعلم الأصوات الكلامية (Phonetics). وإن جوهر نظريته هو إعادة تفسير تصنيفات أرسطو (Aristotle) الفلسفية في منظور ظواهري. منذ البداية، كانت نظرية بروندال تشكل تركيباً وإنتاجاً لعلم اللغويات الكلاسيكية والحديثة في محاولة طموحة لفهم الواقع الإنساني على أساس المسلمات العالمية للغة، وهي تدمج أيضاً مفاهيم المنطق والفلسفة اللغوية للسكولائية (وهي فلسفة يحاول أتباعها تقديم برهان نظري للنظرة العامة الدينية للعالَم بالاعتماد على الأفكار الفلسفية لأرسطو وأفلاطون)، بور روايال (Port-Royal)، لايبنتز، وهومبولت (Humboldt) وكذلك علم الظواهر عند هوسيرل (Husserl) والمنطق العلائقي للإيجابية المنطقية.

على الرغم من أنه عالم لغة بنائي متحمس، لم يدافع بروندال أبداً عن فكرة اللغة بوصفها بنيةً راسخةً بحتة. وإن صورته المفضلة للغة هي الهندسة، والتي يمكننا من خلالها تحويل العالم إلى معنى (Meaning)، وبذلك نتمكن من تحريك بنية العالم وموقفنا الخاص فيه على حد سواء.

بالنسبة لبروندال، اللغة هي قبل كل شيء مُتَعَمَّدَة بالمعنى الظواهري لكل من بريتانو (Bren-tano) وهوسيرل (Husserl): اللغة هي مُوَجَّهَة الهدف ومُكَوِّنَة لعلاقة الإنسان بالعالم. يطبق بروندال تصنيفات أرسطو المُعاد تفسيرها: الجوهر، والنوعية، والكمية، والعلاقة ببناء قواعد اللغة من هذا الافتراض الأساسي.

إنَّ متطلبات علم اللغويات البنيوية ساعدت بروندال على تعريف التصنيفات لأغراضٍ صرفية (مورفولوجية) ونحوية بنائية في ترابطها العلائقي اللازم والكافي. ولكن بروندال يقوم أيضاً بتطوير مجموعةٍ من التصنيفات النسبية المحددة، وخاصةً التطابق والانتقالية والارتباطية، من العلاقات المنطقية للمنطق الشكلي، وذلك لأغراض دلالية بالدرجة الأولى.

تماماً كمفهومه عن قواعد النحو العالمية وكمفهومه عن القصد، تتأثر فكرة بروندال عن القوانين البنائية

بكتاب هوسيرل (*Logische Untersuchungen*) (1900-1)، وهو تأثير حَفَّزَته مناقشات بروندال مع رومان جاكوبسون (Roman Jakobson) حول مفهوم هوسيرل عن التأسيس (Fundierung)، أي العلاقة الهرمية بين عناصر الكلّ. وعلى الرغم من أن المفاهيم الأساسية لعقيدة بروندال تغطي المجال الذي يتم تعريفه في النظريات الأخرى عبر مفاهيم تنشأ في أصلها من الإشارة، فإن بروندال غالباً ما يركز على الكلمة كمفهومه البنائي والسيميائي الرئيسي.

إن مساهمات بروندال الرئيسية في السيميائية (Barthes 1953; Greimas 1966, 1970) هي تحليلاته للقوانين الهيكلية للغة وجهده الدؤوب في تأليف علم اللغويات والفلسفة، والمنهجية ونظرية المعرفة المُتَّبَّعّة في رفض مذهب اللغة كبنية راسخة بحتة (SEL).

انظر أيضاً هيلمسليف (Hjelmselv) وبارت (Barthes).

قراءات إضافية:

Brandt, P. A. (ed.) (1989) *Linguistique et Sémiotique, Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague XXII.* Larsen, S. E. (1987a) «A semiotician in disguise», *The Semiotic Web ’86* (1987), 47-102.

Larsen, S. E. (ed.) (1987b) *Actualité de Brøndal, Languages 86.*

بولر (Bühler): كان كارل بولر (Karl Bühler) (1879-1963)، وهو عالم نفس وعالم لغة ألماني، مؤسسَ ومديرَ معهد علم النفس (Institute of Psychology) في جامعة فيينا (1922-1938). كان مصطلح بولر للسيميائية (Semiotics) هو (Sematology) أو السيماتولوجيا (وهو علم التعبير عن الأفكار من خلال الإشارات). وإن أكثر ما يُعْرَف عن بولر هو أنه المدافع الريادي عن صفة الإشارة (Sign) في اللغة. النقطة المحورية لكل التحليل اللغوي هو الحَدَث الخطابي (Sprechereignis) الذي يَحْدُثُ في حقلين: حقل الإشارة (Zeigfield) (Index) الذي يتكون من التعبير الإشاري (Deixis)، وحقل الرمز (Symbol) (Symbolfeld)، الذي يتكون من الإشارات ذات المحتوى المفاهيمي. لإشارات اللغة ثلاث وظائف: فهي بمثابة أعراض تعبر عن الحالات الداخلية للمتكلمين، وهي بمثابة إشارات تحدد الاتجاهات للمستمعين، وكذلك هي

بمثابة رموز تمثل القضايا والشؤون في العالم. وبسبب تأثره بهومبولت (Humboldt)، كان بولر يعتقد أن لكل لغة رؤيتها العالمية الخاصة (Welt- ansicht). ومثل ميد، كان مؤيداً قوياً للمصفوفة الاجتماعية للمعنى (Meaning) ولأولوية الفعل. ولقد مَهَّدت نظريته في الاستعارة الطريق أمام التطورات في علم اللغة المعرفي (Cognitive Linguistics). وبفضل نموذجه الذي أتى به عن مجموعة المبادئ العلمية والفلسفية للغة كوسيلة للتواصل بين المُرسِلين والمُتَلقين، استبق الدراسات السيميائية البيولوجية (Biosemiotic) للتواصل الخلوي والحيواني عبر الإشارات المُؤَثِّرة والإشارات المُسْتَقْبِلة. أعماله الرئيسية هي (1933) *Ausdruckstheorie* و (1934) *Sprachtheorie*. وقد تمت ترجمة الكتاب الأخير إلى اللغة الإنجليزية (Bühler 1990) (EB).

قراءات إضافية:

Innis, R. (1982) *Karl Bühler: Semiotic Foundations of Language Theory*, New York: Plenum Press.

C

تشومسكي (Chomsky): نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) (من مواليد العام 1928) هو لغويٌ أميركي وناشطٌ سياسي. ولد في فيلادلفيا، وكان قد اتجه نحو الخروج من الجامعة عندما التقى بزيليغ هاريس (Zellig Harris) الذي جمعه به اهتمامهما المشترك في السياسة اليهودية اليسارية التحررية. شجع هاريس تشومسكي على دراسة علم اللغويات، وسرعان ما حصل تشومسكي على منحة جامعية من جامعة هارفارد. وفي عام (1955) انتقل إلى معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) في بوسطن، حيث عمل فيه منذ ذلك الحين.

وضع تشومسكي نهجاً جديداً لدراسة اللغة، على الرغم من أنه غالباً ما كان يقول أن عمله هو تطوير للأفكار التي كانت شائعة في عصر النهضة والتنوير. كانت نقطة بدايته هي استياؤه العميق من علم اللغة البنيوي (انظر البنيوية الأميركية -Ameri can Structuralism) الذي ازدهر في أميركا في النصف الأول من هذا القرن.ساعدت انتقاداته القوية للبنيوية (Chomsky 1964a) ، ولعلم النفس السلوكي الذي كان مرتبطاً به -Chom sky 1964b) على تعزيز سمعته على الرغم من أنها أثارت أيضاً العداء الهائل تجاهه والذي استمر حتى يومنا هذا.

وكان تركيز البنيويين على معطياتٍ جديرة بالملاحظة قد أدى بهم إلى اعتبار اللغة مجموعةً من أحاديث الكلام: وبالتالي كانت اللغة الإنجليزية هي عبارة عن كل

ما كان يقوله المتحدثون بالإنجليزية ويكتبونه، إذا أخذنا ذلك بمجمله. كان لتشومسكي اعتراضين عمليين على وجهة النظر هذه إلى اللغة. **أولاً**، المحتمل أن تكون هذه المجموعة غير محدودة، وبالتالي على الرغم من أنه يمكن تحديدها حسابياً، فإنه لا وجود لها في عالم الواقع (تماماً كمجموعة الأعداد الصحيحة الموجبة التي هي غير موجودة في عالم الواقع). **ثانياً**، تشمل هذه المجموعة الأخطاء، والتكرارت، والبدايات الخاطئة، والأشياء المماثلة التي يجهلها اللغويون عادةً عندما يصفون لغةً ما.

من وجهة نظر تشومسكي، الاعتراض الأهم على البنيوية هو أنها فشلت في التقاط الرؤية البديهية للغة، والتي يخمنها ضمنياً جميع اللغويين. إن ما هو مشترك بين متحدثي لغةٍ ما (وما تحاول قواعد (Grammar) تلك اللغة أن تصفه) هو نظام المعرفة في عقولهم. ولقد رفض تشومسكي حجج الفلاسفة بأن المعرفة ليست شيئاً يمكن البحث فيه علمياً: بل على العكس، اعتبر أنه في حال وجود هذه المعرفة في عقولنا، يجب أن يكون لها حقيقةً ملموسة أكثر من حقيقة «اللغة» بالمعنى البنيوي. بطريقةٍ ما، يجب أن يكون للمعرفة وجود مادي في الدوائر العصبية للدماغ البشري. وإن مصطلح «المعرفة» ليس إلا وسيلة مجردة للإشارة إلى هذا الجزء من أدمغتنا. هذا التجريد هو جائز مثله مثل أي إجراء تجريدي في العلوم: فعلماء الفيزياء، على سبيل المثال، يستخدمون باستمرار نماذج مجردة عن الكون (ويشمل ذلك وعلى نحوٍ كامل الخطوط المستقيمة، والمفاهيم مثل «النقاط» التي تحتل موقعاً معيناً دون أن يكون لها حجم، وهكذا دواليك) .والسؤال هو ما إذا كان يمكن الحصول على التبصر والفهم باستخدام نماذج: إذ إن استنكار كل التجريد الخارج عن السيطرة هو ببساطة مُسَلَّمَة غير علمية.

ولقد ذهب تشومسكي إلى القول بأن بعض جوانب هذه المعرفة اللغوية هي فطرية، أي أنها تنتج عن البرمجة الجينية البشرية بدلاً من أن تنتج عن التعلم من التجربة. وإن الهدف الأساسي من برنامجه البحثي هو تحديد هذه الخصائص الجينية للغة التي يسميها قواعد النحو العالمية (Universal Grammar) (RS)**.**

انظر أيضاً (الكفاءة) -Compe)

(Deep Struc- البنية العميقة ،tence)
(Generative النحو التوليدي ،ture)
(Grammar، نظرية المبادئ والقيم
(Principles and Param- الوسيطة
(eters Theory، والنحو التحويلي
(Transformational Grammar)
وجاكندوف (Jackendoff) (في هذا
الكتاب) (RS).

قراءات إضافية:

Chomsky, N. (1996) *Powers and Prospects*, London: Pluto press.

Cook, V. and Newson, M. (1996) *Chomsky'sUniversal Grammar: An Introduction*, 2nd edn, Oxford: Blackwell.

Salkie, R. (1990)*The Chomsky Update: Linguistics and Politics*, London: Unwin Hyman.

جزء الجملة (Clause): هي مجموعة من الكلمات التي تتضمن بالحد (الأدنى) فاعلاً وفعلاً (Verb) محدوداً. نحن نميز بين أجزاء الجمل والجمل وذلك لأن بعض الجمل تحتوي على أكثر من جزء جملة واحد. فجملة I Love you Because you are Kind-Hearted (أي أنا أحبك لأنك طيب القلب) تحتوي على (جزئي) جملة: الجزء الأول هو I love you) أي أنا أحبك (مع الفاعل I أي أنا، والفعل المحدود Love أي أحب) والجزء الثاني هو you are Kind-hearted أي أنت طيب القلب (مع الفاعل you أي أنت، والفعل المحدود are أي تكون) (RS).

النص المغلق (Closed Text):
قبل ظهور مقالات أمبرتو إيكو (Umberto Eco) عن جمالية العمل المفتوح (1962 *Opera aperta*، 1989 *The Open Work* أي العمل المفتوح)، كان من المفترض عموماً أنه ليس هناك من أشياء كهذه من النصوص المفتوحة أو المُغْلَقَة كلياً (وخصوصاً الأدبية منها). هكذا تمييز يأخذ اليوم بعين الاعتبار تعريف إيكو لما يشكل الانفتاح وبالتالي فإن إيكو يرى أن أي نص يضع قيوداً واضحة على تفسيرات القارئ المُحْتَمَلَة هو نصٌ مغلق. باختصار، فإن المؤلف قد كوَّن عن قصد (إذا كان ذلك ممكناً) النص على أنه نظام ثابت، مكتمل، من دون أي غموض أو تضمينات، ومن دون أي خيارات مؤثرة أو قراءات مفتوحة مُحْتَمَلَة.

ويجب عدم خلط ذلك مع مفاهيم «الحدود» التي تم تفصيلها

فيكتاب إيكو (*The Limits of Interpretation*) (1990) أي **حدود التفسير**، حيث أن نفس المؤلف الذي لديه تصوراته عن «العمل المفتوح» قد يكون مسؤولاً جزئياً عن تحويل السند أو الحجة عن المعاني (Meanings) المحتملة المُتَوَقَّعَة من قِبَل المؤلف، إلى النص أولاً ومن ثم إلى القارئ (كما نرى مع الحداثيين التفكيكيين)، وإن هذا المؤلف يؤكد لاحقاً بعد ما يقارب ثلاثة عقود أنه على الرغم من أنه قد لا يكون هناك عدد محدد من التفسيرات المحتملة للنص، بالتأكيد لا يمكن لأحدٍ أن يجعل النص يتحدث عما ليس في نيته الحديث عنه.

على عكس النصوص العلمية، من الصعب أن نتصور أن الأعمال الأدبية يمكن أن يكون لها فقط مستوى واحد ممكن من القراءة/ التفسير. بالنصوص المغلقة يُفْتَرَض أننا نشير إلى نص منظم بطريقة لا يثير فيها فقط ابتكار القارئ أو دوره المستقل في تعاونه التفسيري لإيجاد المعاني/ الاستنتاجات الممكنة، ولكنها في الواقع تنظم قراءتنا من خلال الإشارة إلى رسائل معينة، أو أجزاء من المعلومات يود المؤلف أن ينقلها. وإن النص المغلق يُسْتَهْلَك من خلال قراءته لأنه لا يتطلب تفاعلاً عقلياً أو نفسياً مع المؤلف. بشكل عام، ترتبط النصوص المغلقة بنقل المعلومات والرسائل بدلاً من نقل المعنى والوعي الثقافي (RC). انظر أيضاً النص المفتوح (Open Text).

قراءات إضافية:

Eco. U. (1979) *The Role of the Reader: Explorations in the Semiotics of Texts*, Bloomington. Indiana University Press.

الشيفرة (Code): يتم وصف التواصل كلاسيكياً على أنه وسيلةٌ لتبادل المعاني (Meanings) التي تمثلها الإشارات (Signs). الترميز أو التشفير هو عملية تمثيل المعاني بشكل منهجي. يمكن للمتواصلين تشفير معانيهم في سياقات متتالية من الإشارات (مثل مجموعات الأصوات، العلامات على الورق، أو الإيماءات المرئية)؛ ويمكن للمُتَلَقّين فك رموز الشيفرة وفهم هكذا معانٍ من تسلسلات الإشارات التي يتلقونها.

وبالتالي، فإن الشيفرة هي نفسها مجموعة أو منظومة من القواعد والمراسلات التي تربط بين الإشارات

والمعاني. على وجه الإمكان، إن أي معنى واحد يمكن تمثيله بأي إشارة يتم اختيارها بشكل اعتباطي. وكما أشار سوسور (Saussure)، لا يوجد أي رابط بين معنى كلمة «ثور» (ox) وشكل تلك الكلمة (اللفظي أو المُمَثَّل برسم) في اللغة الإنجليزية، أو بين ذلك المعنى والكلمة الفرنسية (boeuf) أو البقرة.الشرط العام الوحيد هو أن قواعد الترميز معروفة وتليها مجموعةُ ذات صلة من مستخدمي الرموز أو الشيفرات.

إن تشفير المعنى في اللغاتٍ الإنسانية هو متعدد الأبعاد. ولقد مَيَّزَ جاكوبسون بين الأبعاد التراتبية الاستبدالية (للإشارة إلى طائفة من العناصر ذات الجوانب المتشابهة) والتركيبية التتابعية للتنظيم اللغوي كمبادئ أساسية ضمنية للتشفير. بمعنى آخر، إن اصطلاحات التشفير المُتَعارَف عليها في أي لغة تحتاج إلى تحديد نماذج أو ترتيبات استبدالية يجب أن نختار منها إشارات ذات مغزى، لملء «الفجوات» المحددة لدينا في سلسلةٍ من الإشارات .فمثلاً يمكن اختيار اسم (Noun) من مجموعة أسماء معينة لنقلٍ معنىً تم اختياره بالتحديد. وإن الاصطلاحات المتعارف عليها تتطلب أيضاً من مستخدمي اللغة بناء سلاسل من «التراكيب التتابعية» (Syntagms)، وفقاً لقواعد محددة للتركيب. على سبيل المثال، يجب أن تتقدم بعض أنواع الصفات على الأنواع الأخرى في اللغة الإنجليزية (إذ إن صفة «Large» أي كبير يجب أن تسبق كلمة «Steel» أي «صلب» في «a Large Steel Bridge» أي «جسر صلب كبير»). على المستوى الصرفي أو المورفولوجي (Morphology) للكلمة (بناء الكلمات من الأجزاء ذات المعنى)، تتكون الصفات بانتظامٍ تام عن طريق إضافة بعض اللواحق إلى الأفعال (Verbs) في اللغة الإنجليزية «Watch-Able» أي يشاهد– يمكن مشاهدته، «Believe-Able» أي يعتقد– قابل للاعتقاد. بالمثل، تتشكل الافعال بإضافة لواحق إلى الأسماء والصفات – «Item-Ise» أي عنصر في القائمة– يُفَصِّل العناصر في القائمة، «Regular-Ise» أي منتظم– يُنَظِّم. ولكن قواعد صياغة الرموز التشفيرية النحوية والمعجمية من هذا النوع يجب أن تكون مصحوبة بقواعد أخرى لتمثيل التسلسلات النحوية في الكلام والكتابة أو أي وسيطٍ آخر. على سبيل المثال، في نطق اللغة الإنجليزية

القياسية المعيارية يتم تشفير أو ترميز المورفيم المُلْحَق (Able) على أنه (الصوت الصائت المحايد)الذي تتعادل فيه حركة الشفاه والمُسَمّى (Schwa) بالإضافة إلى (صوتي) الـ: «b»و الـ: «l». ويتم ترميز اللاحقة-ise على أنها التسلسل الصوتي ai (الصوت المركب) بالإضافة إلى (صوت) الـ: «z» (الصوت)الصفيري).

ويمكن للإدراكات المُشَفَّرَة للمعاني أن يتم إعادة ترميزها مجدداً. على سبيل المثال، غالباً ما يُعْتَبَر الكلام على أنه الرمز الأولي للغة الإنسانية، فيما تُعْتَبَر الأشكال المكتوبة الإملائية الهجائية تمثيلاتٍ ثانوية أو متراكبة. بدورها، يمكن لأشكال اللغة المكتوبة أن يُعاد ترميزها إلى سلاسل رقمية ثنائية ليتم تخزينها وتبادلها في تطبيقات الحوسبة. فلقد سمحت التكنولوجيا السابقة للغات المكتوبة أن يعاد ترميزها ونقلها باسم رمز أو شيفرة مورس (Morse). وإن شيفرة مورس أو اللغة الإنجليزية المكتوبة الرقمية يمكن أن يعاد ترميزها عن طريق القواعد التي تشفرها، أي تجعلها غير مفهومة لأولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى قواعد حل الشيفرة أو ترجمتها.

(يضم) التمثيل غير اللغوي على الترميز أيضاً. فللموسيقى والصور مثلاً وسائلها الخاصة في تمثيل المعلومات (Semantic) والعلاقات الدلالية. يعطى كريس (Kress) وفان ليوين (Van Leeuwen) مثال أن بعض المعاني التي تنقلها حروف الجر المكانية في اللغة الإنجليزية تتحقق في الصور عن طريق الخصائص الشكلية التي تنتج التناقض بين المقدمة والخلفية (1996, p. 44). وكذلك يتم ترميز التواصل الإيمائي، على الرغم من أنه بالنسبة لمعظم الناس، ليس هناك من دلالةٍ محددة ومُتَّفَق عليها بشكل راسخ داخل مجتمع ما إلا لمجموعة صغيرة نسبياً من الإشارات الإيمائية (Gesture). فقد يكون إخراج اللسان دلالةً على انتقاصٍ خفيف للشخص المستهدف، في حين أن بسط الخد مع اللسان قد لا يكون له أي معنى مُرَمَّز. إذ قد يدل ذلك على أن المتكلم لديه رقاقة من الطعام العالق بين اثنين من أسنانه، ولكن ليس لذلك أي دلالة تفاعلية مُرَكَّزَة. وإن توجيه راحتي اليدين إلى الأعلى عند التحدث قد يشير إلى أن المتكلم مستاء، أو غير متأكد، ولكن هذه المعاني لم يجري ترميزها بدقة.

وهناك استثناء واضح وهو الإشارة الإيمائية لمستخدميها الذين يعانون من صعوبة في السمع، حيث أن مستوى التوصيف الشكلي هو نفسه بالمقارنة مع الشيفرات المنطوقة أو المكتوبة. ولذلك يجب علينا أن نميز بين الترميز الرسمي وغير الرسمي، ودرجات الترميز.

عموماً، يمكن اعتبار الأعراف والضوابط الاجتماعية والثقافية رموزاً كرموز الزي، ورموز الكياسة ورموز التطبيق المؤسساتي. مرةً أخرى ما يعنيه ذلك ضمنياً هو أن المجتمعات الإنسانية سوف تتفق على القواعد التي تفرض (وتحرم) مجموعات من السلوكيات في ظروف محددة كالكشف عن الأجساد في الشواطئ الذي هو (أكثر) شيوعاً مما هو عليه الحال في الكنائس. ويمكن للنظام الشيفري للإيتيكيت أن يصف تسلسلات الحدث (التركيب أو السلسلة) أيضاً، كالطعام الذي يأكله شخصٌ ما بدايةً في حفل عشاء رسمي، أو كالتوقيت المنسق لشرب النخب. قد يتم في الواقع تعريف الجماعات الثقافية وشبه الثقافية بموجب انضمامها المشترك إلى شيفراتٍ من هذا النوع. خارج نطاق التحليلات الأنثروبولوجية، أو التعليقات التأملية في السرد الثقافي، سوف تكون الشيفرات الثقافية عموماً تفاهمات ضمنية بدلاً من أن تكون قواعد مقننة ومُشَفَّرَة بشكل واضح، ولكنها في الحقيقة لا تقل تأثيراً وتقييداً عن ذلك.

في حين أن مفهوم التشفير هو بالنتيجة المفهوم النواة للسيميائية (Semiotics)، فإنه مع ذلك يجازف في تبسيط بعض أوجه التواصل. إذ نادراً ما تكون الروابط المُصادَق عليها ثقافياً بين معاني الدالات (Sig-nifiers) والمدلولات (Signified) مُنَظَّمَة كتنظيم نموذج التشفير الذي يعني ضمنياً أنها كذلك. في حالة اللغة الإنسانية، نادراً ما يكون بالإمكان تحديد المعاني كمدلولات دقيقة على الكلمات أو العبارات المحددة. عبر المجموعات الثقافية، يمكن أن يكون هناك بالتأكيد اختلاف كبير بين معاني الأشكال اللغوية التي تبدو متعادلة. حتى في مثال سوسور عن كلمتي الثور «ox» والـ: «boeuf»، يبدو ذلك جلياً. هذه الكلمات لا ترمز إلى معانٍ متطابقة في اللغتين الإنجليزية والفرنسية. وإن مبدأ بنيامين لي وورف (Benjamin Lee Whorf) عن النسبية اللغوية يشير إلى كيفية تصنيف

الحقائق الاجتماعية بشكل مختلف من قبل المجتمعات المختلفة. وهذا يستتبع أن يكون الترميز، وحتى الترميز اللغوي، عمليةً أكثر فعالية وتغيراً مما يُفْتَرَض أن يكون عليه غالباً.

علاوةً على ذلك، فإن النقطة الأساسية هي أنه لا ينبغي المبالغة في مدى الدقة التي يوصف بها التواصل الإنساني كسلسلةٍ من عمليات التشفير وفك التشفير. بعض الدراسات عن معالجة الخطاب، مثل دراسات سبيربر (Sperber) وويلسون (Wilson) في عملهما حول نظرية وثاقة الصلة أو الملاءمة (Relevance Theory)، تجادل بشكل مقنع أن صنع المعنى هو عمليةٌ استنباطية أكثر من كونها عمليةً (تشفير). وهذا يعني أن المتكلمين لا يشفرون ببساطة المعاني التي يمكن للمستمعين الذين يتشاركون في فهم الشيفرة أن يُحَصِّلوها. بدلاً من ذلك، ينشر المتكلمون إشاراتٍ على أساس أن المستمعين سوف يجدونها ذات صلة أو ملاءمة. ومع ذلك، يبقى على وثاقة الصلة أو المُلاءَمَة الدقيقة أن تنشأ من خلال إجراءات البحث الفاعل الذي يُفَعِّلُه المستمعون. ولا يمكن ضمان اتجاه ونتيجة الاستدلال من قبل المتحدثين في وقتٍ مُسْبَق.

فالمعاني ليست «هناك لتُكْتَشَف»، ولِتُرَمَّز إلى أحاديث طالما أنها مبنية بشكلٍ فعال من قِبَل المستمعين في كل مناسبة من مناسبات التفاعل الاجتماعي (NC and AJ).

انظر أيضاً سيبيوك (Sebeok) (هذاالكتاب)، والإيماءة (Gesture) ومجتمع الكلام (Speech Community).

قراءات إضافية:

Geertz, C. (1993) «Thick description», in: *The Interpretation of Cultures*, London: HarperCollins.

Kress, G. R and van Leeuwen, T. (1996) *Reading Images: The Grammar of Visual Design*, London: Routledge.

Sperber, D. and Wilson, D. (1995) *Relevance: Communication and Cognition*, 2nd edn, Oxford: Blackwell.

علم (اللغة) المعرفي (Cognitive Linguistics): إن كلمة «المعرفي» تعني «لها علاقة بالتفكير»، لذلك يمكن أن يُفْهَم علم (اللغة)

المعرفي بمعناه الواسع على أنه دراسة اللغة في علاقتها مع الفكر. ومع ذلك، يمكن أن تُفْهَمَ هذه العلاقة من خلال طرق عدة مختلفة.

يصف تشومسكي (Chom-sky) مقاربته في علم اللغويات على أنها تشكل جزءاً مما يسميه «الثورة المعرفية» التي حدثت في حوالي منتصف هذا القرن. بالنسبة لتشومسكي، كانت السمة الأساسية لهذه الثورة هي الاعتقاد الجديد بأن المعرفة كانت قابلة للاستقصاء أو البحث العلمي. إن المعرفة اللغوية هي نوع واحد فقط من المعرفة، ولكن يمكن دراستها تجريبياً ويمكن صياغة الفرضيات حول بنية المعرفة اللغوية في العقل البشري. ويميزتشومسكي بين معرفة لغة معينة يتم وصفها من خلال قواعد النحو التوليدي (Gen-erative Grammar) لتلك اللغة، وبين معرفة اللغة بشكل عام والتي تشملها قواعد النحو العالمية (Universal Grammar).

وبالتالي هذا هو علم اللغويات (في جزئه الذي يمثل) وجهة نظر تشومسكي حول علم النفس المعرفي، ولكن هذا العلم يوظف الأساليب التي تبدو مختلفةً جداً عن تلك الطرق التي يستخدمها عادةً علماء النفس. وعلى الرغم من أسسها المعرفية، فإن أساليب تشومسكي هي لغوية بحتة، على الرغم من أن الفرضيات التي تطرحها متأثرة بأساساتها المعرفية: فالتطوير المعروف باسم نظرية المبادئ والمعايير أو القِيَم الوسيطة (Principles and Param-eters Theory) هو مثال واضح على ذلك. ليس لدى تشومسكي ما يقوله حول كيفية استخدام المعرفة اللغوية: وبعبارة أخرى، هو لا يحاول أن يربط بين اللغة والعملية النشطة من التفكير.

وقد حاول علماء اللغويات الآخرون استكشاف العلاقة بين التفكير واللغة، وهم يودون اعتبار عملهم جزءاً من العلوم المعرفية. وإن الافتراض وراء هذا العمل هو أن البشر هم آلات أساساً، وأن عمل العقل البشري مشابه جداً لعمل جهاز الكمبيوتر (لاحظ أن تشومسكي غير ملتزم بهذا الافتراض الذي يرفضه صراحةً). إن أجهزة الكمبيوتر هي آلاتٌ تعالج المعلومات، وإن العلماء المعرفيين حاولوا تحليل اللغة بنفس الطريقة. ولقد كان أحد الأهداف عندهم هو برمجة أجهزة الكمبيوتر على فهم واستخدام اللغة، وهو هدفٌ

لم يحقق حتى الآن سوى نجاح جزئي.

الحبل الثالث للبحث يسمى علم النحو المعرفي، وهو ملتزم بوجهة نظر مفادها أن بنية اللغة تتأثر إلى حدٍ بعيد بالطريقة التي يعمل بها العقل (وهو افتراض آخر يرفضه تشومسكي). وإن الأسماء الرئيسية في قواعد النحو المعرفي تتضمن رونالد لانجاكر (Ronald Langacker) وجورج لاكوف (George Lakoff)، وهما يعتبران أن النحو هو «رمزي» بشكل أساسي، ودوره يتمثل في أنه يقوم بهيكلة المحتوى المفاهيمي للغة ويرمز إليه. على عكس تشومسكي، يرفض علماء النحو المعرفيون أن يقوموا بتمييزٍ دقيق بين المعرفة اللغوية والأنواع الأخرى من المعرفة. وإن عملهم في علم الدلالة هو محاولةٌ للنظر إلى المعنى (Meaning) من وجهة نظر شاملة، تتجاوز تعريفات الكلمات البسيطة التي هي من نوع التعريف المعجمي وتحاول أن تحدد المجال الكامل للتجربة العقلية المرتبطة بالكلمات والجمل عندما تُسْتَخْدَم هذه الأخيرة في سياقاتٍ خاصة.

وهكذا فإن علم (اللغة) المعرفي يغطي عدداً من الأطر، مع افتراضاتٍ مختلفة جذرياً حول العلاقة بين اللغة والعقل. ما هو مشترك بينها هو الاعتقاد بأن الاهتمام الحصري باللغة هو أقل فائدةً من البحث الذي يربط اللغة بمظاهر أخرى من التجربة الإنسانية: ولكن في الحقيقة تظل طبيعة ذلك الرابط جدليةً (RS). انظر أيضاً جاكندوف (Jackendoff) (في هذا الكتاب).

قراءات إضافية:

Johnson-Laird, P. (1993) *The Computer and the Mind: An Introduction to Cognitive Sciences*, 2nd edn, London: Collins.

Langacker, R. (1986) «An Introduction to Cognitive Grammar», *Cognitive Science* 10:1-40.

Salkie, R. (1990) *The Chomsky Update: Linguistics and Politics*, London: Unwin Hyman.

التماسك أو الترابط (Cohesion): إن فئة «الترابط» تُعْنى بالعناصر الشكلية والمبادئ التي تُحَوّل مجموعةً من الجمل إلى نص (Text). وهذه المجموعة تتراوح من صِيَغ الضمير

(Pronoun) **الاسم** (Noun) أو الجملة) مثل «These» أي «هؤلاء» (في بداية هذه الجملة)، «This» أو «هذا» (كما في الكلمتين السابقتين)، «Therefore» أو «لذلك»؛ والعناصر المُنَظِّمَة للنص مثل «However» أي (مع ذلك)؛ إلى التكرار و/ أو استبدال العناصر المعجمية لصياغة السلاسل المعجمية، إلى استخدام علم البناء (Syntax) وضع الجملة (أو جزء الجملة، كما في الجملة المعترضة هنا الآن) في مكانها المحدد والمناسب في النص الظاهر للعيان (GRK).

الأهلية أو الكفاءة اللغوية (Competence): هي معرفة الشخص بلغة معينة، في مقابل الأداء اللغوي (Performance)، الذي هو الاستخدام الفعلي للغة في حالاتٍ ملموسة. فالشخص الكفؤ في لغةٍ ما يمكنه التحدث بشكل طبيعي وفهم اللغة، ولكن حالات العجز مثل الصمم قد تُضْعِفُ بشكل دائم أو تمنع بعض جوانب الأداء اللغوي، وهناك عوامل أخرى (الانفعال، الضوضاء الخلفية، الطعام في الفم... إلخ) قد تعوق الأداء اللغوي مؤقتاً. وإن الأهلية هي كفاءة الشخص في لغةٍ ما (التي) تجعل استخدامه لتلك اللغة ممكناً، وهذا أمرٌ أساسيٌ في علم اللغويات.

عندما نقول «اللغة الإنجليزية»، فإننا نعني عادةً «نظاماً معيناً من المعرفة اللغوية التي قد اكتسبها بعض الأشخاص، والتي تسمى «الإنجليزية». تهدف القواميس وقواعد النحو (Grammars) في اللغة الإنجليزية إلى وصف هذه الكفاءة بدقة وصراحة، تاركةً عوامل الأداء عديمة الصلة بها. إذاً، إن التمييز بين الكفاءة اللغوية والأداء هو مشابه جداً للتمييز الذي قام به سوسور (Saussure) بين اللغة (langue) (والكلام) (parole) على الرغم من أن سوسور يضع المزيد من التركيز على الجوانب الاجتماعية المشتركة للغة. ولقد كان يُقال أحياناً أن الكفاءة هي مفهوم غامض وأن الأداء بمفرده ملموس وقابل للملاحظة: ولكن تشومسكي يعتبر أن الكفاءة هي مفهوم صريح ومباشر وأن تفسير الأداء اللغوي قد يكون مستحيلاً من حيث المبدأ (RS).

انظر أيضاً سالكي (Salkie) وجاكندوف (Jackendoff) (في هذا الكتاب).

قراءات إضافية:

Chomsky, N. (1965) *Aspects of the Theory of Syntax*, Cambridge, MA: MIT Press.

المُكَوِّن (Component): ينبغي أن يكون للنحو التوليدي (Genera- tive Grammar) عدة عناصر، أبرزها مجموعة الكلمات (المعجم (Lexi- con) وقواعد الجمع بينها (بناء الجملة (Syntax))، والنطق بها (علم الأصوات (Phonology)) وتفسيرها (علم الدلالة (Semantics)). وإن أحد مهام البحث الأساسية لعلم اللغويات هو تحديد تقسيم العمل بين المكونات المختلفة. وقد قام العديد من الباحثين بهذا التقسيم في مواضع مختلفة، ولقد أتى ذلك بنتائج نظرية وعملية هامة، مما أدى إلى الكثير من الجدل المثمر (RS).

صيغة السعي أو الأمر (Cona- tive): هي واحدة من(الوظائف) الست الأساسيةالتي وردت في فعل الكلام عند جاكوبسون (Jakobso- nian Speech Act)، والذي يحدده عامل المُتَلَقي لعمل الكلام. عندما يكون التركيز في الكلام على المتلقي، تظهر أشكالٌ أكثر بروزاً من دور صيغة السعي أو الأمر على المستوى الصوتي، النحوي، أو البنائي. ومن الأمثلة على ذلك حالة النداء و صيغة الأمر (EA).

التضمين (Connotation): هو معنى (Meaning) ظني من «الدرجة الثانية، وغالباً ما يكون «ثقافياً»، مُكَمِّلاً بذلك المعنى (الإشاري) (Denota- tion)». تسمى التفاحة «خضراء» لأن هذا هو لونها عندما تكون غير ناضجة. إن استخدام كلمة «خضراء» لوصف شخصٍ ما لأنه/ لأنها غير ناضج/ غير ناضجة هو في هذه الحالة مجازي؛ وقد تم تمديد معناها ليتجاوز المعنى الأساسي لها. هكذا استخدامات تؤدي إلى «غبش» حول الكلمة، مُشيرةً بذلك إلى مضامينها. وإن التمييز بين المعنى الدلالي والمعنى الضمني يرتبط بشكلٍ خاص بأعمال بارت (Barthes) وهيلمسليف (Hjelmslev) (GRK).

الصامت (Consonant): هو صوت الكلام الذي يتم معه عرقلة التنفس، عادةً عن طريق اللسان، الشفتين أو الأسنان. يُسْتَخْدَم هذا المصطلح أيضاً مع الأحرف التي تمثل (الصوامت)، ولكن الحروف الهجائية هي للأسف ليست دائماً متسقة: إذ إن كلمة Law أي قانون مثلاً، تحتوي على (صوت صامت) يتبعه (صوت صائت)، ولكنه يُكْتَب بحرف (صامت) أخير وكأنه يحتوي على ثلاثة أصوات (RS).

انظر أيضاً (الصوت الصائت (Vowel).

التقريرية (Constative): أو صفة الجملة التي تبين الحدث فقط: في التباين بين التقريرية – الأدائية (Performative)، يُسْتَخْدَم مصطلح «التقريرية» لوصف الجمل التأكيدية أو التصريحات، التي يمكن أن تكون صحيحة أو خاطئة. وإنه بسبب وضع أبعاد الحقيقة أو الزيف، شكلت الجمل التقريرية محط اهتمام بالنسبة لمعظم فلاسفة اللغة قبل ظهور نظرية فعل الكلام (Speech Act). ومع ذلك، أظهر أوستن (J. L. Austin) أن الجمل التقريرية أو بيانات الحقيقة، مثل الجمل الأدائية، يمكن أن تكون أيضاً «غير موفقة» أو غير مناسبة بطرق لا علاقة لها بالحقيقة. على سبيل المثال، إن جملة «جميع أطفال جون هم صلع» تنتهك افتراض أن جون لديه أطفال إذا قيلت في سياق آخر لا يكون فيه لجون في الواقع أي أطفال. وبالمثل، فإن جملة «القطة على الحصيرة» تنتهك الفكرة الضمنية بأن المتكلم يعتقد أن القط على الحصيرة إذا قالها شخص لا يعتقد في الواقع مثل هذا الاعتقاد. وأخيراً، فإن جملة «جميع الضيوف هم فرنسيون» تستتبع فكرة أنه ليس صحيحاً أن «بعض الضيوف ليسوا فرنسيين» وهذا من شأنه أن ينتهك هذه الفكرة الضمنية إذا تلتها تلك الجملة التأكيدية الثانية (JV).

قراءات إضافية:

Austin, J. L. (1963) «Performative-constative» (1958) in *Philosophy and Ordinary Language*, ed. C. E. Caton, Urbana, IL: University of Illinois Press, pp. 22-54.

تحليل المحادثة (Conversation Analysis) (CA): إن الأصول والكثير من الممارسات الحالية في تحليل المحادثة (CA) تكمن في النهج السوسيولوجي للغة والتواصل المعروف بالاثنوميتودولوجيا أو المنهجية الإثنية (Garfinkel 1974). إن المنهجية الإثنية تعني دراسة الصلة بين ما «يفعله» الفاعلون الاجتماعيون في التفاعل وبين ما «يعرفونه» عن التفاعل. وإن البنية الاجتماعية (Social Structure) هي شكل من أشكال النظام، وإن ذلك النظام يتحقق جزئياً من خلال الكلام، الذي هو نفسه مُهَيْكَل ومُنَظَّم. إن الفاعلين الاجتماعيين لديهم المعرفة البديهية حول مايفعلونه خلال التفاعل في أداء أنشطة معينة وفي تحقيق اللحمة في التواصل

سوياً. وإن توضيح هذه المعرفة حول المسائل اليومية العادية، وبهذه الطريقة إيجاد فهم لكيفية تنظيم وعمل المجتمع، هو موضع اهتمام المنهجية الاثنية الرئيسي (Garfinkel 1967; Turner 1974; Heritage 1984b).

وباتباعه هذا المسار في البحث، ينظر تحليل المحادثة إلى اللغة باعتبارها شكلاً من أشكال العمل الاجتماعي وهي تهدف على وجه التحديد، إلى اكتشاف ووصف الطريقة التي يوضح ويعزز فيها تنظيمُ التفاعل الاجتماعي هياكلَ التنظيم الاجتماعي والمؤسسات الاجتماعية (انظر على سبيل المثال: Boden and Zimmerman 1991; Drew and Heritage 1992).

هاتشبي (Hutchby) وووفيت (Wooffit)، االذان يشيران إلى أن «الكلام في التفاعل» يُفَضَّل أن يسمى بشكل متعارف عليه «المحادثة»، يعرفون تحليل المحادثة CAكما يلي:

هي دراسة الحديث التفاعلي المُسَجَّل الذي يجري بشكل طبيعي ... أساساً هو اكتشاف كيفية فهم المشاركين واستجابتهم لبعضهم البعض عند حلول أدوارهم في الكلام، مع تركيزٍ أساسي على كيفية توليد تسلسلات التفاعل. بعبارةٍ أخرى، إن الهدف من تحليل المحادثة (CA) هو الكشف عن الإجراءات المنطقية الضمنية والكفاءات الاجتماعية اللغوية الكامنة وراء إنتاج وتفسير الحديث في التسلسل المنظم من التفاعل (1998, p. 14).

كما يوحي به هذا البيان، إن التركيز في تحليل المحادثة، على نقيض الاهتمامات المنهجية الاثنية السابقة، قد تحول بعيداً عن نمط «المعرفة» في حد ذاتها نحو اكتشاف بنيات الكلام التي تنتج وتعيد إنتاج أنماط العمل الاجتماعي. على الأقل، يتم دراسة بنيات الكلام كالدليل الأفضل على المعرفة العملية للفاعلين الاجتماعيين حولها.

هناك مفهوم أساسي لتحليل المحادثة وهو التفضيل الذي هو فكرة أنه في نقاط محددة من المحادثة، هناك أنواع معينة من العبارات المفضلة أكثر من غيرها (إذ مثلاً تكون الاستجابة المفضلة اجتماعياً للدعوة هي القبول، وليس الرفض). تتضمن الميزات الحوارية الأخرى التي ركز عليها تحليل المحادثة (CA) ما يلي: افتتاح وإغلاق المحادثات؛ الثنائيات

المتلازمة (أي الجمل المزدوجة من نوع الاستدعاءات - الإجابة، التحية - التحية، المجاملة – الرد على المجاملة... إلخ)؛ إدارة الموضوع وتحويل الموضوع؛ الإصلاحات الحوارية؛ إظهار الموافقة وعدم الموافقة؛ تقديم الأخبار السيئة وإجراءات الإخبار عن المشاكل (وربما أساساً) آليات أخذ الدور في الكلام.

في ورقتهم المبدعة، اقترح ساكس (Sacks)، شيغلوف (Sche-gloff) وجيفرسون (Jefferson) (1974) قائمةً من المبادئ التوجيهية لتنظيم أخذ الأدوار في المحادثة (باللغة الإنجليزية). وقد لاحظوا أن المبدأ الأساسي الذي يتبعه المتكلمون في أخذ الأدوار هو تجنب الثغرات والتداخلات في المحادثة. على الرغم من أن الثغرات تحدث بالطبع، فهي مختصرة. وإن السمة المشتركة الأخرى للأدوار التخاطبية أو التحادثية هي أنه، عادةً، يتحدث طرفٌ واحدٌ في وقتٍ واحد. ومن أجل تيسير أخذ الأدوار التي تحدث عادةً في «مواضع ارتباط التحول» (Sacks et al. 1974)، يراعي المتكلمون عدداً من المبادئ المتعارف عليها. على سبيل المثال، يتبع المتكلمون سيناريوهات ثابتة، كما هو الحال عليه في لقاءات الخدمة، التي يتم فيها تحديد أدوار المتكلمين بوضوح. فهم يملأونا– الفجوات المناسبة في بنية الخطاب مثل جمل الجزء الثاني في الثنائيات المتلازمة، وهم يتوقعون الانتهاء من الكلام على أساس الإتمام الملحوظ للوحدة النحوية (جزء الجملة أو الجملة). قد يشير المتحدثون بأنفسهم إلى استعدادهم للتخلي عن الحديث لصالح متكلم آخر (الذي يمكن تسميته المتكلم الحالي فقط) .ويمكنهم القيام بذلك من خلال توجيه أنظارهم نحو المتكلم التالي وتوظيف نماذج مميزة للإيماءات المتزامنة مع الكلمات الأخيرة. إذ يمكن أن يغيروا نبرة الصوت، ويتحدثوا بهدوء أكثر، ويطيلوا المقطع الأخير أو يستخدموا علامات (Markers) الخطاب النمطية (مثل you know أي أنت تعرف أو That's It أي هذا ما عنيته) (NC and AJ).

قراءات إضافية:

Hutchby, I. and Wooffitt, R. (1998) *Conversation Analysis*, Cambridge: Polity Press.

Schegloff, E. A., Ochs, E,

and Thompson, S. A. (1996) «Introduction», in E. Ochs *et al.* (eds) *Interaction and Grammar*, Cambridge: Cambridge University Press.

Ten Have, P. (1999) *How to Do Conversation Analysis*, London: Sage.

اللغة الهجينية الكريولية (Creole): هي لغةٌ تنتج عن الاتصال المُوَسَّعِ بين لغتين، وهي تدمج ميزات من كلٍّ من اللغتين وتُسْتَخْدَم كلغة أصلية. أحد اللغات المعنية هنا هي غالباً اللغة الاستعمارية الأوروبية (الإنجليزية، الفرنسية، البرتغالية... إلخ)، ولكن ليس هذا هو الحال دائماً. فللعديد من اللغات الهجينية أوجه من التشابه، وإن الخبراء يختلفون حول السبب في هذا: إذ يعتبر البعض منهم بأن اللغات الهجينية المختلفة قد أثرت على بعضها البعض، فيما يؤكد آخرون أن السبب المسؤول عن ذلك هو خصائص النحو العالمي (RS).

انظر أيضاً اللغة المُبَسَّطَة (Pidgin) التي تستخدم للتفاهم بين الشعوب الناطقة بلغات مختلفة.

الفضاء الإلكتروني (Cyberspace): استحدث وليام جيبسون (William Gibson) مصطلح الفضاء الإلكتروني في روايته *Neuromancer* التي كتبها في العام 1984. وهو عبارة عن مزيج بين كلمتي: السبرانية التحكمية والفضاء. «الفضاء» هي كلمة غامضة للغاية وذات مدلولات متعددة تُفهم بالشكل الأفضل بالإشارة إلى مفاهيم النشاط الإشاري (Semiosis) والشبكة السيميائية – هذه الأخيرة هي صورة آتية من الشبكة العنكبوتية التي تسبق الإنترنت. إلا أن الصعوبة الحقيقية في استيعاب معاني (Meanings) كلمة «الفضاء» تجعلها مثالية للمفهوم المعقد للفضاء الإلكتروني. المكون الآخر لمصطلح الفضاء الإلكتروني، أي «السبرانية» أو علم التحكم الآلي يأتي من اليونانية ويعني التبحير والسيطرة على السفينة. في منتصف القرن العشرين، أصبح يرتبط بالآلات التي يمكنها السيطرة على نفسها بطريقةٍ ما، مثل الطيارين الآليين، والروبوتات، وأجهزة الكمبيوتر. وهكذا، ومن خلال هذا الاشتقاق، فإن الفضاء الإلكتروني هو الفضاء التلقائي الآلي الذي يمكنه التوجيه والسيطرة على نفسه.

ومع ذلك، لم يقصد جيبسون هذا المعنى المحدد. وإن ما اخترعه في روايته كان فضاءً يصل إليه «قراصنة

الكمبيوتر» عندما كانوا يصلون عقولهم مباشرة بشبكة الكمبيوتر. ولقد كان الواقع الافتراضي الذي كانوا يعيشون فيه غنياً ومتطوراً بما فيه الكفاية ليكون معادلاً للحقيقة الحسية «الواقعية». بالنسبة لجيبسون وقراصنته، الفضاء الإلكتروني هو فضاءٌ يشكل مجال الواقع الافتراضي (التي تخلقها شبكة الإنسان/ الكمبيوتر). من خلال ربط الشخصيات الإنسانية مباشرةً بهذا الفضاء الجديد، سد جيبسون الفجوة بين الحقيقة والافتراض بحيث يتداخلان فيما بينهما. بالنسبة لبعض النقاد، إن مفهوم «العقل» يصف بالشكل الأفضل الوعي الذي يطبقه البشر على الحقائق الوهمية وغير الوهمية.

يذهب جون بيري بارلو (1996) إلى أبعد من ذلك في وصف الفضاء الإلكتروني كالموطن الجديد من العقل (رَسْمَلَتُه). وهو يصفه كذلك «كقانونٍ للطبيعة» ويقول أنه «يُنَمّي نفسه من خلال الإجراءات الجماعية لدينا». بالنسبة له، «يتكون الفضاء الإلكتروني من الترجمات، والعلاقات، والفكر نفسه، والمُنَظَّمَة كموجةٍ قائمة في شبكة اتصالاتنا. إن عالمنا هو عالمٌ موجودٌ في كل مكان وفي نفس الوقت هو ليس موجوداً في أي مكان، ولكنه ليس المكان الذي تعيش فيه الأجساد».

على الرغم من أن بارلو يُعَرِّف الفضاء الإلكتروني كعالم وعقل، فإن الآخرين يعرفونه كموطن مشترك أو مجتمع. في الواقع، إن مفهوم المجتمع البشري الذي يتقاسم «فضاءً» تحدده أجهزة الكمبيوتر وشبكاتها هو ذلك الذي يؤثر على العديد من نُقّاد الفضاء الإلكتروني. ميتش كابور (Mitch Kapor)، مُؤَسِّس الـ: -Elec tronic Frontier Foundation) (أي مؤسسة الحدود الإلكترونية)، يعتبر أن المجتمعات الافتراضية تستجمع الإمكانيات الطوباوية عندما يقول أن «الحياة في الفضاء الإلكتروني ... في أفضل حالاتها هي أكثر مساواتيةً مما هي نخبوية، وأكثر إنحرافاً عن المركز مما هي هرمية».

الباحثون الآخرونهم أقل تفاؤلاً. فشيري توركل (Sherry Turkle) (1995) يعطي العديد من الأوصاف السلبية لعلاقات الأفراد بالفضاء الإكتروني في حين يصف ليدجيروود (Ledgerwood) (1995, 1997, 1998a, 1998b, 1999) كيفية ارتباط

الأفراد بجوانب وأنماط من هذا الفضاء المجتمعي/ الجماعي المشترك الذين يشعر فيه معظمهم أنه حميم وتباعديٌ في آن واحد.

إذاً ولتلخيص ما ورد، يُفْهَمُ الفضاء الإلكتروني سيميائياً على أنه سلسلة من المُفَسِّرات (Interpre-tants) التي يخلقها ويتلقاها البشر الذين يتواصلون مع بعضهم البعض ومع أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم عبر شبكات تتحد فيما بينها لتخلق «عقلاً» «ومجتمعاً» غير قابلين للخلق بطرق أخرى (MDL).

قراءات إضافية:

Ludlow, P. (ed.) (1996) *High Noon on the Electronic Frontier: Conceptual Issues in Cyberspace*, Cambridge, MA: MIT Press.

Rheingold, H. (1993) *The Virtual Community: Homesteading on the Electronic Frontier*, Reading MA: Addison-Wesley Publishing Company.

Turkle, S. (1995) *Life on the Screen: Identity in the Age of the Internet*, New York: Simon & Schuster.

D

البنية العميقة (Deep Structure): في الإصدارات الأولية لعلم النحو التوليدي (Generative Grammar) هو مستوىً من التحليل يسبق تطبيق أية تحولات. ولقد تمت محاولة إثبات أنَّ المكون (Component) الدلالي يعمل على البنى العميقة. على سبيل المثال، فإن جملةً مثل Ruby Hopes to Arrive on Time أي «روبي تأمل أن تصل في الوقت المحدد» سيكون لها بنية عميقة من النموذج Ruby hopes [Ruby arrives on time] أي روبي تأمل [روبي تصل في الوقت المحدد]. إن هذا التحليل يوضح فكرة أن روبي هي التي سوف تصل، على الرغم من أن الفعل وصل (To Arrive) لا يتصل مباشرةً بالفاعل كما هو الحال عليه لدى الأفعال عادةً. فالتحول المسمى Equivalent Noun Phrase Deletion أي حذف الجملة الاسمية المرادفة (equi) قام بحذف تكرار اسم روبي (Ruby) وحَوَّل Arrives إلى to arrive.

على الرغم من شعبيته خارج التيار الرئيسي للنحو التوليدي، فإن مفهوم البنية العميقة تم التخلي عنه بسرعة من قبل المتخصصين، وذلك لعدة أسباب تجريبية ونظرية. وما تبقى هو فكرة أنَّ الجملة يمكن أن تكون مُمَثَّلة في سلسلة من الطرق المُجَرَّدة، مع قواعد تربط المستويات المختلفة من التمثيل (RS).

انظر أيضاً البنية السطحية (Surface Structure).

قراءات إضافية:

Chomsky, N. (1965) *Aspect of the Theory of Syntax*, Cambridge, MA: MIT Press.

التعبير الإشاري (Deixis): (كلمة أو تعبير لا يمكن تحديد معناها إلا ضمن سياق الكلام): الكلمات التي تنتقي خصائصها من سياق أو حالة الكلام تسمى الكلمات الإشارية (Deictic)، وهي كلمة يونانية تعني «الإشارة». تشمل هذه الكلمات الضميرين أنا (I) وأنت (you) (للإشارة إلى المتكلم والمستمع)، هنا (Here) وهذا (This) (للإشارة إلى المكان الذي يجري فيه الكلام) والآن (Now) (للإشارة إلى وقت الكلام). وتسمى هذه الكلمات الإشارية أحياناً «المُتَبَدِّلة» (Shifters) (خاصةً من قبل جيسبرسن (Jespersen) وجاكوبسون (Jakobson)) (RS).

الدلالة (Denotation): يرتكز هذا المصطلح على نظرية اللغة حيث تشكل الكلمات أسماءً لظواهر في العالم، وإن اللغة مستقرة، بحيث أن علاقات الكلمة بالشيء ثابتة. وإذا كان التضمين أو المعنى الضمني (Connotation) هو حقل المعاني (Meanings) الثقافية، فإن الدلالة هي، نظرياً، ظاهرة التسمية «البحتة»، والتي تخلو من تأثير الثقافة. وتُسَمّي الدلالة العلاقة المناسبة بين الكلمة والظاهرة؛ فكلمة «خضراء»، على سبيل المثال، تُسَمّي منطقة محددة من الطيف اللوني (GRK).

انظر أيضاً التضمين (Connotation).

المدلول (Denotatum): (وهو الشيء أو الشخص أو الصفة أو الحدث الموجود خارج النظام اللغوي والذي ترمز إليه الكلمة): «حيث أنَّ ما هو مشار إليه الموجود فعلاً كما في الإشارة إلى الشيء المرجع يُسَمّى المدلول أو denotatum» (Morris 1938, p. 5). على سبيل المثال، إذا كانت الإشارة (Sign) وحيد القرن «تشير إلى ما تحدده باعتبار أنها موجودة في عالم علم الأساطير، فإن تلك الإشارة لديها مدلول أو denotatum بما أنها موجودة في ذلك العالم. من جهةٍ أخرى، إذا كانت الإشارة «وحيد القرن» تشير إلى ما تدلُّ عليه باعتبار أنها موجودة في عالم علم الحيوان، فإن تلك الإشارة ليس لديها مدلول أو denotatum بما أنها

غير موجودة في ذلك العالم. في هذه الحالة، فإن للإشارة مشار إليه (des-ignatum) (المصدر نفسه) أو مدلول عليه (significatum)، كما سمّاها موريس (Morris) (1946) لاحقاً، ولكن ليس للإشارة مدلول (denota-tum). وهكذا يصبح من الواضح أنه، مع أنّ لكل إشارة مشار إليه (desig-natum)، فإنه ليس لكل إشارة مدلول (denotatum). إن تمييز موريس بين المشار إليه (designatum) والمدلول (denotatum) يُجَنِّب سوء الفهم فيما يتعلق بالمرجع أو ما تتم الدلالة عليه (Referent). في الرسم البياني المثلث الشكل للإشارة المُقترح من قبل أوغدن (Ogden) وريتشاردز (Richards) (1923)، دائماً ما يتم التنبؤ بالمرجع الذي يشكل إحدى الزوايا الثلاثة. وعلى العكس من ذلك، في النظريات الدلالية (Semantic) الأخرى (Eco 1975, 1984)، يتم استبعاد المرجع علماً أن ما تدل عليه الإشارة ليس موجوداً دائماً كما هو مشار إليه من قِبَل الإشارة في الحالة التي لا يُؤخذ فيها بعين الاعتبار المشار إليه (designatum).

كما أثبت أوغوستو بونزيو (Au-gusto Ponzio) (1981a, 1990b, 1997b; Ponzio et al. 1985)، للإشارة دائماً مرجع، أو حسب مصطلحات موريس (Morris)، للإشارة مدلول (denotatum): فمرجع (Cheshire cat) أي «قطة تشيشاير» في *Alice in Wonderland* أي أليس في بلاد العجائب للويس كارول (Lewis Carroll) هو في الوقت ذاته مشار إليه (designatum) ومدلول (denota-tum؛ «الله» لديه مرجع يُعْتَبَر مشاراً إليه (designatum) ومدلول (deno-tatum) للمؤمن، بينما في الافتراض التالي: «الله غير موجود»، «الله» لديه مرجع (وإلاّ فإن الإفتراض يفقد معناه)، ولكن فقط كمشار إليه (desig-natum) وليس كمدلول (denotatum) (SP).

ديريدا (**Derrida**): وُلد جاك ديريدا (Jacques Derrida) في الجزائر في العام 1930، ودرس الفلسفة في الـ: École Normale Supérieure في باريس، حيث دَرَّس لعدة سنوات. وبدأ يبرز في العام 1967 عندما نشر أي **الكتابة والاختلاف** (*Writing and Difference of Grammatology*) **أي علم الكتابة**. تبع هذه المنشورات **هوامش الفلسفة والمواقع** (*Mar-gins of Philosophy and Posi-*

tions**)** *(1972)*، *Glas* (1974) **وبطاقة البريد** (*The Post Card*) (1980)**.**
في قلب عمل ديريدا توجد العملية التحليلية المعروفة بـ: Deconstrac-tion أي التفكيكية، التي تتضمن أخذ موقف المعارضة مثل تلك الداخلية/ الخارجية وقلبها رأساً على عقب من أجل إفسادها. تم تطبيق هذه العلمية على شخصيتين بارزتين في حقل الألسنية، وهما فرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure) وأوستن (J. L. Austin)**.**

وهكذا، في *Linguistics and Grammatology* (1976) أي علم اللغة وعلم الكتابة، يحلّل ديريدا بالطريقة التفكيكية مقابلة سوسور بين الكلام والكتابة. إذ يزعم سوسور أن موضوع/ هدف دراسة عالم الألسنية/ عالم اللغة يجب أن يكون اللغة المنطوقة، بما أنّ الكتابة موجودة لهدفٍ وحيد هو تمثيل اللغة، وهو بذلك «غير مرتبط بالنظام الداخلي» للغة(Saussure [1916] 1974, p. 3). هنا، يقول ديريدا أن سوسور يتكلم من أجل نظام ميتافيزيقي كامل يعود لأفلاطون، الذي أعطى ميزةً للكلام والذاكرة الحية (mneme) على الكتابة والمساعد للذاكرة التابع -mnesis hypo). ويقول ديريدا أن ما يرفض سوسور وكذلك هذا النهج بمجمله الاعتراف به، هو أنه أصبح بالإمكان تصور مفهوم الإشارة (sign) فقط مع ظهور الكتابة الصوتية (انظر أيضاً Ong 1982, p. 61)، وأن كل الدالات المؤسسة (signifiers) (الأصوات والرموز التي تمثل الكلمة) سواءً كانت «تصويرية كتابية» أو صوتية هي في الواقع دالات مكتوبة. بهذه الطريقة، يقضي ديريدا على التعارض بين الكلام/ الكتابة عبر إدخال الكتابة كمصطلح متمتع بامتياز.

في سياق حدث التوقيع (Signa-ture event context)، يُحَلِّل ديريدا (1982) بالطريقة التفكيكية التعارض بين أفعال الكلام (Speech Acts) الجدية وغير- الجدية. ويدور التحليل التفكيكي عند أوستن حول زعم الفيلسوف بأنّ اللفظ الأدائي (Per-formative) يمكن له أن يكون مناسباً فقط إذا كان في نية المتكلم أن يؤديه، وسيكون «مجوّفاً وفارغاً إذا صدر عن ممثل على المسرح»، حيث لا تستخدم اللغة بشكل «جدّي» (Austin 1962, p. 22). بدءاً من الافتراض الأساسي بأن أفعال الكلام يجب أن تكون قابلة للإعادة (التكرار) بالضرورة، يذهب

ديريدا ليزعم أنّ كل أفعال الكلام هي بنمطٍ معين «مقتبسات» وبالتالي هي غير- جدية. ولذلك فهو يقضي على التعارض بين الجدية/ غير الجدية عبر إدخال الغير- جدية (أي المُقْتَبَسة) كمصطلحٍ يتمتع بالامتياز. وهو أيضاً يعترض على الدور الذي يوكله أوستن (Austin) للقصديّة: إذا كانت أفعال الكلام مقتبسات، فإن «القصد الذي يُحَفِّز الكلام لن يكون موجوداً بالكامل بنفسه وبمضمونه»، بما أن «التكرار الذي يكوِّنه (يشكل) انفتاح أساسي» (Derrida 1982, p. 326). (التفتح) (توضيح المترجم) هو اصطلاح في علم النبات معناه «تفتح الفاكهة من أجل إخراج محتوياتها الناضجة»: بالنسبة لديريدا هذا المصطلح هو تعبير مجازي لعملية تكوين وتفسير المعنى (Meaning)، بما أنّ (التفتح) يؤدي إلى إعادة الإنتاج، ولكن «يحد مما يجعله ممكناً» في «قانونٍ من التلويث غير الممكن إقراره» (1977, p. 197). عند ديريدا، إن منهج التفكيك لسوسور يجد أصداءً له في عمل علماء اللغة الذين يرفضون ثنائيات سوسور؛ وإصراره على فكرة أن تكوين وتفسير المعنى تخضع«لقانون التلويث الغير الممكن إقراره» يربطان بين سوسور وأولئك الذين يسعون إلى التقاط النواحي الغامضة في اللغة (انظر: Firth 1957, p. 227; Halliday 1978, p. 51, 139; Lemke 1995, p. 180) (RM).

انظر أيضاً الثنائية (Binarism).

قراءات إضافية:

Derrida J. (1976) *of Grammatology*, trans. G.C. Spivak, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press.Derrida, J. (1981) *Positions*, trans. A. Bass, Chicago: Universityof Chicago Press.

Derrida, J. (1982) *Margins of Philosophy*, trans. A. Bass,Chicago: University of Chicago Press.

علم اللغة الوصفي (Descriptive Linguistics): هو حركة تسجيل خصائص اللغات بدقة وبشكلٍ مختصر. وقد يهتم هذا العلم بلغةٍ خاصة قائمة بذاتها، أو بمجموعةٍ واسعة من اللغات: في الحالة الأخيرة يُدعى هذا العلم علم اللغويات النمطي أو الرمزي. ويقع علم (اللغة التقابلي)،

الذي يتعاطى مع لغتين أو مع عددٍ صغيرٍ من اللغات، بين علم (اللغة) الوصفي وعلم (اللغة) النمطي.

غالباً ما تتعارض الألسنية الوصفية مع الألسنية التقادمية، التي تحاول أن تحدد الكيفية التي يجب فيها على الناس أن يتكلموا ويكتبوا، بدلاً من تسجيل كيفية كلامهم وكتابتهم بموضوعية.

المقارنة الأخرى هي مع علم اللغويات النظري، بما أنّ علم اللغويات الوصفي يحاول أن يستخدم فقط المفاهيم التي يعرفها جميع علماء اللغويات، بدلاً من المفاهيم أو القواعد التي تُسْتَخْدَم فقط ضمن نظرية معينة. أحياناً يكون من الصعب تطبيق التمييز، بما أنّ أيّ جزءٍ من البحث في علم اللغويات سيكون لديه مضمون وصفي ونظري. إذ سوف يميل علماء اللغويات المهتمون بالوصف إلى تقديم بيانات أكثر، وهذه البيانات غالباً ما تكون أمثلة أصلية لاستعمال اللغة ومأخوذة من أشرطة تسجيل أو من عينات كبيرة لنصوص مكتوبة. كما أن علماء اللغة من ذي الميول الأكثر نظريةً سيكونون أقل اهتماماً بجمع البيانات لمجرد جمعها، وأكثر اهتماماً بإيجاد أدلة للنظرية المعينة التي يؤيدونها.

أحياناً يتم إجراء تباين بين علم اللغويات الوصفي والتطبيقي في محاولةٍ لاستخدام (أفكار فطنة) من علم اللغويات لتحسين تعلّم وتعليم اللغة (RS).

المُشار إليه (Designatum): انظر المدلول (Denotatum) (وهو الشيء أو الشخص أو الصفة أو الحدث الموجود خارج النظام اللغوي والذي ترمز إليه الكلمة) والمدلول عليه (Sig-nifactum) (وهو ما تشير إليه الكلمة من إنسان أو حيوان أو شيء أو مفهوم موجود خارج اللغة أما الكلمة فتُدعى دالّاً ومعناها يُدْعى دلالة).

التعاقبي الزمني (Diachronic)، التعاقب أو التطور التاريخي (Dia-chrony: (نوع من الدراسة اللغوية أدخلها دو سوسور وهي تعتمد على مراحل التطور عبر الزمن، وتقوم على تغير بعض خصائص اللغة عبر المراحل الزمنية المتتابعة): كان يسيطر على الاتجاه السائد للتفكير اللغوي في القرن العشرين محاولات لفهم العلاقات المتداخلة للعناصر في نظامٍ ما، وعلاقة العناصر في البنيات والعلاقة بين النظام والبنيات. قد

يُقال عنه أنه متزامن (Synchronic) في توجهه. على العكس من ذلك، فإن العمل اللغوي في القرن السابق كان مهتماً بالتغييرات في الأنظمة (في اللغات، في «عائلات» اللغات)، ومهتماً أيضاً بتقفّي هكذا تغييرات، وتأسيس «القوانين» التي يمكن اكتشافها والتي تشكل الأساس لهذه التغييرات. «فقانون غريم» (Grimm's Law)، على سبيل المثال، شَرَح الرابط بين الأصوات الصامتة الانفجارية (التي ينحبس معها تيار النفس ثم ينطلق الهواء بشكل انفجار) مثل /p/– , /t/ , /k/ – ونظيراتها من الأصوات الاحتكاكية، مظهراً العلاقة بين الكلمة الإنجليزية *nut* أي الجوز والكلمة الألمانية Nuss أي الجوز أيضاً. ولقد كان هذا نمطياً ونموذجياً للمقاربة التطورية التاريخية أو التعاقبية الزمنية.

ولقد بُذِلَ جهد رئيسي في مجالين محدَّدَين، أنظمة الصوت لـ (لعائلات) اللغات، والتغييرات الدلالية للكلمات. هذا العمل أسس بشكل لا نزاع فيه ترابط مجموعات اللغات في أوروبا، والشرق الأوسط وشبه القارة الهندية عبر الزمن وفي فتراتٍ معينة (أي العلاقة بين لغاتٍ مثل اللغات الإيطالية، البرتغالية، الإسبانية، الكاتالانية، القُسْطانيَّة، الرومانية، واشتقاقها المشترك من اللغة اللاتينية).

إحدى القضايا الرئيسية للسيمياء (Semiotics): في العقود القادمة ستكون دراسة التطور التاريخي والتزامن في نفس الوقت: لربط التواريخ – الدقيقة للتفاعلات الاجتماعية مع الاستقرارات النسبية للأنظمة التمثيلية، حتى تتم رؤية التاريخ دائماً كأمرٍ متواجد في البنية (GRK).

اللهجة (Dialect): هذا المصطلح يدل على الاختلافات المنهجية ضمن اللغة الواحدة في الكلمات والأصوات، مع تركيز أقل على بناء الجملة (Syntax). في الأعمال المشتقة من علم (اللغة) التاريخي في القرن التاسع عشر، أقيمت الحدود بين اللهجات، وذلك كخطوطٍ يمكن أن تُرْسَمَ على خريطة تُظْهِرُ توزيع الكلمات المقياسية (مثلاً «العضو الأضعف في بطن الجِراء»: «القزم»؛ أو، في إحدى اللهجات الألمانية *Wurnagei*). تستعمل الكلمة على جهة واحدة من الخط، بينما لا تستخدم في الجهة الثانية. ويمكن

رسم خطوط مماثلة للأنظمة الصوتية للهجات (ففي شمال خط إنجلترا، تُلفَظ كلمة *France* باستخدام صوت علة مماثل لذلك الموجود في كلمة *mat* أي الحصير، وفي جنوب هذا الخط تُلْفَظ باستخدام صوت العلة الموجود في كلمة *car* أي سيارة).

وإن التمييز بين اللغة واللهجة هو دائماً تمييز سياسي (في القول الفصل عند فيشمان (Fishman) مثلًا، «اللغة هي لهجة مع جيش وأسطول»). يستند هذا التمييز على الظروف التي نشأت من الاستقرار الجغرافي النسبي للسكان. إذ يُفْسِدُ التنقل المتزايد سلامة اللهجات (الجغرافية والاجتماعية). وإن التنقل الذي تنتجه وسائل الاعلام وظهور محو الأمية الجماعي الشامل يُسَرِّع ويُعَمِّق هذه العملية. وغالباً ما تُسْتَخْدَم السلطة السياسية لمحاولة السيطرة على هذه العمليات، ونقلها، وتوجيهها، وذلك بطمس اللهجات، أو حتى ترفيع اللهجات إلى مرتبة اللغات (GRK).

انظر أيضاً هاريس (Harris) (في هذا الكتاب) وعلم اللغويات الاجتماعي (Sociolinguistics).

قراءات إضافية:

Chambers, J. K. and Trudgill, P. (1980) *Dialectology*, Cambridge: Cambridge University Press.

الحوار (**Dialogue**): هو الخطاب (Discourse) الداخلي أو الخارجي الذي يتداخل فيه كلام الشخص الآخر، وليس بالضرورة المُخاطَب، مع كلام الشخض نفسه. وهو أيضاً نوعٌ (genre) من الخطاب. ويعتبره بعض الفلاسفة مثل تشارلز بيرس (Charles S. Peirce) وميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin) نمطاً للتفكير بحد ذاته.

لهذا السبب، يجب استنتاجُ تمييزٍ بين الحوارية الجوهرية (Substantial Dialogicality) والحوارية الشكلية البحتة. فالحوارية الجوهرية لا تتحدد بالشكل الحواري للنص، أي بالحوارية الرسمية، ولكن تتحدد بدرجة الحوارية في ذلك النص التي قد تتخذ أو قد لا تتخذ شكل الحوار. بعبارةٍ أخرى، وكما يُبَيِّن أوغوستو بونزيو (Augusto Ponzio) (1994)، تتحدد الحوارية الجوهرية بالدرجة الأعلى والأدنى للانفتاح باتجاه الاختلاف (Alterity).

ويُعْنى التمييز الآخر بالفعل اللفظي، بما في ذلك الحوار، الذي

يمكن اعتباره من الناحية العملية غايةً في حد ذاته، كتنفيذ دورٍ مفيد، وهو في هذه الحالة وسيلة لتحقيق غايةٍ ما، أو يمكن اعتباره أيضاً كتحديدٍ وتقييمٍ للغايات والوسائل. بالاستناد إلى هذين التمييزين، يقترح بونفانتيني وبونزيو (Bonfantini and Ponzio (1986)) دراسة الرموز الثلاثية التالية للحوار:

(1) الحوار كغاية بحد ذاته، أي بعبارةٍ أخرى، المحادثة أو حوار التسلية. هذا النوع من الحوار يدل على الكلام لمجرد الكلام، أي الحوار ذي الدور الاجتماعي– الوجداني (Phat-ic) ويمكن تقسيمه إلى:

(1.1) الحوار التوافقي– التكراري؛ و

(2.1) حوار التسلية

المثال على النموذج (1.1) يتمثل في بعض أشكال التواصل التلفزيوني التي تميل إلى أن تكون متكررة، وتمتثل للقواعد التركيبية – التعليمية العالية التحديد والتصميم وإلى أن تكون فقط كعملياتٍ لفك الرموز عالية التصميم.

(2) الحوار الوظيفي الذي يهدف إلى تحقيق الهدف، والذي ينقسم بدوره إلى نوعين: (1.2) الحوار التبادلي و(2.2) الحوار التنافسي.

(3) الحوار التعاوني أو التأملي أو الاستقصائي. بما أنه يستخدم درجة الحوارية الجوهرية كمعيار للتمايز، يمكن تصنيف هذا النوع من الحوار (على مقياس متصاعد من درجة الحوارية) إلى:

(1.3) حوار إعادة الاكتشاف والإلهام؛

(2.3) الحوار البحثي والبنائي؛

(3.3) الحوار الذي يهدف إلى الاستكشاف وطرح الإشكالية (حول العلاقة بين الحوار والحقيقة، انظر (Bonfantini, Ponzio and Petrilli 1996).

ويمكن أن يُرْبَطَ الحوار بمنطق الهوية أو أن يكون مفتوحاً على الانزياح نحو الاختلاف. الحالة الثانية تبتعد عما تم تصنيفه كحوارٍ يسعى إلى تحقيق هدفٍ ما، حيث يهدف المتحاورون إلى تحقيق غاية، وبالتالي، إلى الحفاظ على الهوية وإعادة ترسيخها. ويتخذ الحوار أهميةً محورية في التفكير الجدلي، وهو تفكير غير ثابت من

حيث الدفاع عن الهوية وإعادة إنتاجها، وإنما هو متاح ومنفتح على الاختلاف والغيرية. ولقد سبق أن سلَّط ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin) الضوء على كيفية اشتقاق الأحادية، الرجعية، والجدلية المستقيمة الخطوط من الحوار المتصلب. وتتجه الجدلية المونولوجية، والأحادية الخط، والكلية نحو توليفةٍ واستنتاجٍ ما، وهي بذلك تدعو، كما أثبت بونزيو (Ponzio 1993)، إلى نقد المنطق الحواري. وذلك هو نقدٌ لفئة الهوية التي تسيطر اليوم على الفكر والتطبيقات العملية الغربية (AP).

قراءات إضافية:

Bakhtin, M. M. (1981) *The Dialogic Imagination: Four Essays*, trans. C.Emerson and M. Holquist, Austin, TX: University of Texas Press.

الإشارة الوجودية (Dicent): هي كلمة أتى بها تشارلز بيرس (Charles S. Peirce) للدلالة على القسم الثاني من ثلاثية الإشارات (Signs) الذي يهتم بكيفية ترجمتها. الإشارة الوجودية (أو dicisign تُفَسَّر، أو تميل إلى أن تُفَسَّرَ على أنها إشارةٌ على الحقيقة أو الوجود الحقيقي. إحدى الأنواع العديدة للإشارات الوجودية هي حرف الجر (Preposition)، الذي يدمج عنصراً إشارياً وجودياً، للإشارة إلى حقيقة المادة (الموضوع أو المسند إليه)، مع عنصر مُسْنَد (Rhematic)، في ميلٍ إلى وصفه (Predicate) أو المُسْنَد الذي يعزى إليه صفة ما) (NH).

انظر أيضاً المُسْنَد (Rheme) والحجة (Argument).

التباين والتفاضل (Différance): هو مصطلح أدخله إلى المعجم الفيلسوف الفرنسي جاك ديريدا (Jacques Derrida)، في نهجه التفكيكي لعالِم اللغة فرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure). في مقرره في **علم اللغويات العامة** (*Course in General Linguistics*)، طرح سوسور فكرة أن المبدأ الأساسي في دراسة اللغة هو مبدأ الاختلاف، الذي ينص على أن «المفاهيم هي تباينية-تفاضلية ومعرّفة بشكل محض... عبر علاقاتها مع المصطلحات الأخرى للأنظمة» (Saussure [1916] 1974, p. 117). يرى ديريدا الاختلاف جامداً، ويسعى إلى تحويله عبر إدخال مصطلح

différance أي التباين والتفاضل (وهو في الفرنسية يدل على فعل الاختلاف أو التباين وفعل الإرجاء أو الوضع جانباً). عندما يقول ديريدا أنّ كل الدالات (Signifiers) (مزيج الأصوات والرموز التي تمثل الكلمة) «مكتوبة» (حتى لو كانت منطوقة)، يستخدم المباعدة أو المسافة بين الكلمات في اللغة المكتوبة كمجاز لعملية تشكيل المعنى (Meaning): فيقول بأن المسافة تعني أنّ المعنى دائماً مؤجل أو مُؤَخَّر بمقتضى «مبدأ التباين بالذات الذي ينص على أن لعنصرٍ ما دور ودلالة... فقط عندما يشير إلى عنصر ماضٍ أو مستقبلي آخر» ,1981) (pp. 28-29. إذاً التباين–التفاضل هو «اللعب المنهجي على الاختلافات»، والتي «لا هي ساقطةٌ من السماء ولا هي مكْتوبة نهائياً وبشكل حاسم في نظامٍ مغلق» (المصدر نفسه، ص 27 .(RM

قراءات إضافية:

Derrida, J. (1981) *Positions*, trans. A. Bass, Chicago: University of Chicago Press.

الإزدواجية اللسانية أو اللغوية (Diglossia): هي استخدام لغتين ضمن المجتمع الواحد. إن الكثير من المجتمعات تستخدم لغتين (أو أكثر) في تفاعلاتها اليومية. وإن أحادية اللغة هي الاستثناء في جميع أنحاء العالم (والتي يبلغ معدلها ما يقارب 75:25 بالمئة). وحيث تتواجد ازدواجية (أو ثلاثية) اللغة، غالباً ما يكون هناك صيغة «متفوقة» وصيغةٌ «ضعيفة» للغة، خلال الانتقال والتبديل بين اللغتين، وذلك كمؤشر على المعاني (-Mean ings) والمضامين الاجتماعية للوضع الاجتماعي والشكليات (GRK).

الخطاب (Discourse): تستخدم هذه الكلمة بمعنين مختلفين بالرغم من كونهما مرتبطين ببعضهما البعض. يشير أحدهما إلى معنىً (-Mean ing) كذلك الذي يعبر عن «الامتداد المنتشر للغة»؛ ويشير المعنى الآخر إلى التنظيم الإجتماعي للمضامين في الاستخدام. ويميز المعنى الأول العمل الموجه لغوياً؛ أما المعنى الثاني فتميزه المقاربات ذات التركيز الاجتماعي. وغالباً ما يكون هناك تداخل ملحوظ بين الاثنين.

تركّز المقاربة اللغوية على الخصائص الشكلية لامتدادات اللغة فوق مستوى الجملة، مثلاً، معَيِّنَةً بذلك

تكرار استعمال الكلمة؛ والتركيبات النحوية، والمجموعات المعجمية (لتنظيمات) تركيبات النص (Text) نفسه؛ وكذلك تركز على الخصائص الشكلية لامتدادات وحدات تفوق مستوى الجملة في النص (تركيبات الموضوع؛ الفقرات؛ (عناصر المخطوطات؛ الأنواع (Genres)، تركيبات أخذ الأدوار المتبادلة في التفاعلات الكلامية...إلخ).

تعود المقاربة المتمحورة حول اللغة إلى عمل هاريس (Harris) الذي أدرك أنّ بعض مشاكل علم اللغويات البنيوية لا يمكن حلها بالإشارة إلى الجملة لوحدها، بل كان لا بدَّ من شرحها من خلال العلاقات بين حدود الجمل. ويتضمن ذلك حتماً اعتبارات المعنى، وكذلك تطوير هاريس للمفهوم الشكلي للتحول.

في المقاربات ذات التركيز الاجتماعي، النص (سواءً المحكي أو المكتوب) هو الموضع المادي الذي يظهر فيه المعنى المُنْتَج اجتماعياً. والنص هو وسيلة إدراك المعاني الاجتماعية غير المادية، في اللغة أو في الأنماط التمثيلية الأخرى.

الخطاب هو اجتماعي؛ وليس بالضرورة أن يكون النص لغوياً. في هكذا مقاربات، يمكن معرفة ما هو اجتماعي فقط من خلال ظهوره في النص، وهنا يكون التركيز على البنية الاجتماعية - الخطابية للعالم. بشكلٍ عام، الهدف هو تمييز ووصف العناصر النصية كمؤشرات على الكيانات الاجتماعية أو الاجتماعية النفسية مثل الهوية وتشكيلات الهوية (مثلاً الهوية الجنسية)، أو الذاتية. وإن المحاولة هي لكشف الكيفية التي يوفر فيها التنظيم - ويقترح فيها - التشكيلات «الداخلية» الخاصة والتي يمكن أن تشكل أساس الكيانات الظاهرة خارجياً مثل تحديد ماهيَّة الأب «الأصيل»، الابنة، المواطن... إلخ. وكذلك هي تكشف الكيفية التي ينتج فيها ذلك التنظيم السلوكيات والبنيات التي تستتبعها هكذا بنيات (داخلية).

هذا العمل نفسه يتأثر بنظريات لويس ألتوسير (Louis Althusser)، الذي يحتكم إلى أيديولوجياته الأفراد لاتخاذ مواقف معينة، ولنظريات ميشال فوكو، الذي قام عمله بتقديم البنيات الخطابية للفئات الاجتماعية/ التاريخية الفعّالة. بالنسبة لفوكو، أُنْتِجَت هكذا بنى ذات مستوىً أكبر في «أنظمةٍ» مثل أنظمة النظام القانوني،

والمهنة الطبية، والكنيسة، والعلم الغربي، التي أنتجت وأطلقت بيانات نظمت مجال سلطتها.

تتواجد إحدى التطبيقات الأكثر شموليةً لهذه المقاربة في عمل إدوارد سعيد، وعلى الأخص في كتابه *Orientalism* أي **الاستشراق** (1995). في هذا الكتاب، يعرض سعيد كيف أن «الغرب» أنتج خطاباً محيطاً بجميع نواحي «الشرق»، أي بما يعني أن تكون «شرقياً». وإن العمل في مجالٍ مشابه لهذا المجال يتعاطى مع القضايا القومية والعنصرية. كما أن المقاربات التي يتم فيها التقريب بين اللغوي/ النصي والاجتماعي/ الأيديولوجي معاً هي تلك التابعة «لتحليل الخطاب النقدي»، حيث يُعتبر الإدراك اللغوي والنصي مؤشراتٍ مباشرة على التنظيمات الاجتماعية/ الأيديولوجية التي تتواجد ما وراءها (GRK).

انظر كوبلاند (Coupland) وجاوورسكي (Jaworski) (في هذا الكتاب)، تحليل الخطاب (Discourse Analysis) والخطاب الإعلامي (Media Discourse).

قراءات إضافية:

Schiffrin, D. (1994) *Approaches to Discourse*, Oxford: Blackwell.

تحليل الخطاب (Discourse Analysis): مع بروز مصطلح الخطاب (Discourse) كنوع تفسيري رئيسي في العلوم الإنسانيةً والاجتماعية منذ السبعينات وما يليها (أُلْقِيَت محاضرة فوكو الافتتاحية (Orders of discourse) أي تنظيمات الخطاب في العام 1959)، أصبح تحليل الخطاب مصطلحاً متداولاً عصرياً في أي عملٍ يُعْنى بالنصوص (Texts) أياً كان نوعها. قد يكون من الأفضل الاحتفاظ بالمصطلح لتفسيرات الانتظامات المتعددة الأنواع والتي يمكن أن تكون جليةً في النصوص كإشاراتٍ على التنظيم الاجتماعي (أو الاجتماعي- النفسي) تبدو ظاهرةً في النص. وهذه الإشارات «ترجع» إلى الأنظمة التي نشأت فيها هذه الانتظامات. تتراوح هذه المقاربات بين تلك التي تركز أكثر على الشكل اللغوي/ النصي لكشف إدراك الكيانات الاجتماعية في الخطاب، وتلك التي تركز على التركيبات ذات المستوى الأوسع للمضمون والذي غالباً ما يبدو جلياً بشكل معجمي (أي عن طريق المفردات) في النص.

يُعنى تحليل الخطاب بشكل متساوٍ بتأسيس بنيات وخصائص الخطابات الداخلية؛ وكذلك بعلاقة الخطابات ببعضها البعض؛ وبتأثيراتها الاجتماعية والنفسية – في تكوين الذاتيات، والهويات، والأنظمة الاجتماعية، والسلوكيات والممارسات (GRK).

انظر كوبلاند (Coupland) وجاوورسكي (Jawsrki) (في هذا الكتاب)، الخطاب (Discourse)، تحليل الحوار (Conversation Analysis) وهاريس (Harris).

قراءات إضافية:

Gumperz, J. J. (ed.) (1982) *Language and Social Identity*, Cambridge: Cambridge University Press.

Jaworski, A. and Coupland, N. (eds) (1999) *The Discourse Reader*, London: Routledge.

Lee, D. (1992) *Competing Discourses*, London: Longman.

الخاصية المُمَيِّزة (Distinctive Feature): هو مصطلح تقني في علم اللغويات يُسْتَخْدَم للدلالة على خاصية تساعد على تمييز وحدةٍ ما عن وحدةٍ أخرى من النوع نفسه. في علم (وظائف) الأصوات (الفونولوجيا)، يقالُ غالباً أن الخاصيات المُمَيِّزة هي تلك التي من خلالها يتم تمييز صوتٍ لغوي واحد (وحدة صوتية أو فونيم) عن صوتٍ آخر في اللغة نفسها (RH).

دوغلاس (Douglas): (هي) أحد علماء الأنثروبولوجيا الأكثر إنتاجاً في القرن العشرين. تَدَرَّبَت ماري تيو دوغلاس (Mary Tew Douglas) (b. 1921)في جامعة أكسفورد ودرست الإثنوغرافيا لشعب الـليلي (Lele) (الحالي) في زائير. تشير العناوين التالية لعددٍ قليل من كتبها (وفي بعض الأحيان الكتب التي شاركت في كتابتها) إلى مجال مساهماتها في **البنيوية** (*Structuralism*) البريطانية: *Symbols* أي **الرموز** (الذي يقدم تحليل المجموعة/ الشبكة) (1970)؛ *The World of Goods* أي عالم السلع (1979)؛ و *Risk and Culture* أي المجازفة والثقافة (1982) (MA).

E

إيكو (Eco): هو الباحث الدولي في علم السيمياء (Semiotics)، والخبير في علم الجمال، والمراقب الثاقب لوسائل الإعلام والظواهر الثقافية، وكاتب الروايات الأكثر مبيعاً: **اسم الوردة** (*The Name of the Rose*, 1980)؛ **رقاص الساعة عند فوكو** (*Foucault's Pendulum*, 1988)؛ **جزيرة اليوم السابق** (*The Island of the Day Before*, 1994). وُلِدَ في ألساندريا (Alessandria) عام 1932. وكان إيكو يستقطب القراء والنقاد حول العالم عند نشر أيِّ إصدارٍ له وذلك منذ أن صدرت مقالته الجدلية والإبداعية: **العمل المفتوح** (*The Open Work* 1989; *Opera aperta*, 1962).

بدأ السيميائيون بالاهتمام بأمبرتو إيكو في المؤتمر الدولي الأول للسيمياء، في ملتقى الـ: IASS الذي عُقِدَ في ميلانو، في شهر حزيران/يونيو من العام 1974، حيث انْتُخِبَ أميناً عاماً للجمعية. في مقدمة محاضر المؤتمر (*A Semiotic Landscape*, 1979)، أي فن التصوير الطبيعي السيميائي، وتعليقاً على محاضرة رومان جاكوبسون (Roman Jacobson)، اقترح إيكو إمكانية قراءة تاريخ الفلسفة بلغة السيمياء. وتابع اقتراحه في الملتقى الثاني للـ: IASS في فيينا (1979)، بمحاضرةٍ حول «علم تاريخ السيمياء». ويبقى ذلك (حقيقة) بديهية أساسية يمكن تتبعها في كتابات إيكو بدءاً من كتابه **نظرية السيمياء** (*A Theory of Semiotics* (1975)، **والسيمياء وفلسفة اللغة** (*Semiot-*

ics and the Philosophy of Language) (1997)، إلى كتابه: **البحث عن اللغة المثالية** (*The Search for the Perfect Language*) (1997) و *Kant e l'ornitorinco*، *Kant and the Platypus* (2000)

كان إيكو طالباً في اختصاص الفلسفة وعلم الجمال تحت إشراف باريزون (L. Pareyson) في جامعة تورين (University of Turin)، ويمكن تتبع اهتماماته الأولى بإنتاج الإشارات والتواصل في دراساته حول وسائل الإعلام والثقافة الشعبية في أوائل العام 1960. وإن قراءاته لكتابات تشارلز بيرس (Charles S. Peirce) وتشارلز موريس (Charles Morris) وتعاونه مع السيميائي البارز توماس سيبيوك (Thomas A. Sebeok)، وحماسته لعلم السيمياء الاجتماعي عند لوتمان (Lotman)، أوقدت اهتماماته الجديدة بسلاسل الدلالات (Signifiers) عند بارت (Barthes)، وعلاقات بيرس الثلاثية التكاملية بين الإشارة (sign) (المُمَثِّل -Representamen)، والمُفَسِّر -Interpretant) والشيء (Object)، والموسوعة، والبنيات البارادايماتيكية أو النموذجية، وآليات الإبعاد (Abduction)، وتشكيل معاني النصوص من خلال النصوص الأخرى (Intertexuality). هذا الابتعاد عن سيميولوجيا -Semiology) سوسور، وعن البنيوية -Structuralism) الوجودية لكلود ليفي ستراوس (Claude Lévi-Strauss) (انظر في: **العمل المفتوح** *The Open Work*) **والسلاسل والبنية** (*Series and Structure*)، وبشكل عام عن العلاقات الثنائية بين الدال والمدلول (Signified)، أو بين الإشارة، الرمز أو الشيفرة (Code) وعلم الدلالة -Semantics) القاموسية، أدى بإيكو لِتَبَنّي مفهوم العملية السيميائية اللامتناهية نظرياً والتي تهدف إلى تفسير الإشارات والنصوص).

أصبحت فكرة إيكو عن الموسوعة إعادةً بطيئةً لصياغة سلسلة الشيفرة من حيث مفهوم بيرس عن النشاط الإشاري اللامحدود. وكنظرية بيرس التي تنص على أن «الإشارة هي الشيء الذي بمعرفته نتمكن من معرفة أشياء أكثر» (*CP* 8.332)، يعطي إيكو أهميةً أقل للمرجع (Referent) وأهميةً أكثر للعمليات العقلية التي تتبع عن ذلك في ديناميات إدراكنا

لكل الإشارات، ليُثْبِتَ بهذا أن الإشارة ترمز في الحقيقة إلى إشارةٍ أخرى. منذ (أواخر) الستينات وفيما يليها، وبسبب قناعته بأن الظواهر الثقافية هي أنظمة إشارات، حَوَّل إيكو تركيزه من سيميائية التواصل إلى سيميائية المضمون أو الدلالة (Significa- tion)، ومن الإنتاج الإشاري والدلالة إلى العمليات الاستنتاجية الموجودة في آليات علم السيمياء.

يُوَثِّقُ كتاب: *La struttura as- sente* (1968) *The Absent Struc- ture* (أي(البنية) الغائبة) هذا التحول، كما أنه يتعامل أيضاً مع الشيفرة أو الرمز، والبنية وعلم الجمال، وهو يقع في (نطاق) *A Theory of Semiot- ics* ([1975] 1976) ((الـ) نظرية السيميائية). في كتاب: **علم السيمياء وفلسفة اللغة** (*Semiotics and the Philosophy of Language*) (1984)، يجمع إيكو بين ملاحظاته حول النظريات العامة وتاريخ السيمياء فيما يواصل مناقشته للإشارة، والاستعارة، والرمز، والأُطُر، والمعنى الدلالي (الإشاري) (السطحي) (De- notation) في مقابل المعنى الضمني (Connotation)، والموسوعة. في كتابه **كَنْت وبلاتيبس** (*Kant and the Platypus*)، الذي يشير بالأساس إلى أعمال كَنْت (Kant) وبيرس، وفيما يُفَصِّل في القضايا السيميائية للإدراك والتصنيفات والوعي والخبرة الثقافية والروابط العقلية والتفسير، يراجع إيكو بعض صياغاته النظرية السابقة الخاصة مؤكداً أن الإبعاد هو العملية الاستنتاجية الرئيسية التي تنظم نشاطاتنا في الإدراك والمنطق والتفسير.

بدءًا بمقالته: (Sign, 1973) «Segno» أي إشارة، يبحث إيكو في تاريخ فلسفه اللغة فيما يعيد بناء علم الإشارات والعلاقات بين الإشارة والفكر ابتداءً من الكُتّاب القدماء (من أفلاطون (Plato) إلى أوغوستين St (Augustine))، إلى العصور الوسطى (أوكهام (Ockham) وبيكون Ba- con)، مروراً بالقرن السابع عشر (هيوم (Hume)، ويلكنز (Wilkins) ولوك (Locke))، ووصولاً إلى المُفَكِّرين (المحدثين) مثل كَنْت (Kant) وبيرس (Peirce) وفيتغشتاين (Wittgenstein). استندت أبحاثه التاريخية على اعتقاده بأن إدراكنا وتفسيرنا للإشارات يعتمد عليسلسلة من الاستدلالات (الإبعادات) التي

تتجاوز العلاقة الخطية للدَال والمدلول وبأن الإشارة لا تتبع المعادلة «a=b» وإنما تتبع العلاقة: «a» (أي «أ») ترمز إلى ’-‘ (Eco 1984).

من خلال عمله يُظْهِرُ إيكو أن علم السيمياء، بدلاً من أن يكون مبداً أو نظريةً، هو حقلٌ متعدد الاختصاصات وهو عملية مستمرة من الإدراك الذي يستند إلى التدخل النشط لخبرتنا ومؤهلاتنا الموسوعية (ثقافتنا العامة). ويدافع أيضاً عن الفكرة التي تعتبر أننا غالباً ما نعتمد في استدلالاتنا على أُطُر جاهزة (مشاهد وأجزاء من موسوعتنا). في مقالاته، كما في أدبه القصصي، يمكن للقراء أن يُقَدِّروا قدرة إيكو على الجمع بين علم اللغة والعلوم المعرفية، والفلسفة والنظريات الأدبية من أجل إثبات وجود علاقات متبادلة بين جميع الإشارات. وفي ذلك هو يتبنى استعارات من المكتبات، والمتاهات، والجذامير (الجذمور هو ساق يشبه الجذر ينمو بشكل أفقي تحت سطح التراب وينتج البراعم الجديدة)، والموسوعة لتفسير الإشارات، والنصوص والأحداث الثقافية بشكل عام.

إن كفاءة إيكو الساحقة التي تجمع بين فروع العلم المختلفة، جنباً إلى (جنب) مع موهبته في القيام بملاحظات بارعة ومماثلات، وفي إعادة الحكايات المثيرة إلى الأذهان، وفي استغلال أصداء الترابطات النصية، كل هذه تجعل أدبَه القصصي، كمقالاته النظرية والعلمية، مفيداً دائماً ومسلياً في نفس الوقت (RC).

انظر أيضاً النص المفتوح (Open Text) والنص المُغْلَق (Closed Text).

قراءات إضافية:

Caesar, M. (1999) *Umberto Eco*: *Philosophy, Semiotics and the Work of Fiction*, Oxford: Polity Press.

Capozzi, R. (ed.) (1997) *Reading Eco: An Anthology*, Bloomington: Indiana University Press.

Eco, U. (1986) *Semiotics and the Philosophy of Language*,

Bloomington: Indiana University Press.

(الشفرة الموسعة) (Elaborated Code): طوَّرَ باسيل برنشتاين

(Basil Bernstein) مُصْطَلَحَي الشيفرة المُوَسَّعَة والشيفرة المحدودة (Re-stricted Code) في أواخر الخمسينات والستينات. هذان المصطلحان يشيران إلى ظاهرتين مركزيتين: الأولى هي أن خصائص البيئة الاجتماعية للمتحدثين تؤدي بهم إلى توجهات خاصة نحو لغتهم. والثانية هي أن الاستقرار النسبي لخصائص البيئة الاجتماعية يميل إلى الاستخدامات المعتادة التي أصبحت ثابتة مع الوقت كشيفرة أو رمز (Code). في عملٍ لاحق، تحدث برنشتاين عن التشفير– التوجه لمستخدمي اللغة، وهو موقف محدَّد تجاه موارد المنظومة اللغوية الشاملة.

ولذلك فإن الشيفرة– المستخدم غير مُسْتَبْعَدَة عن الاستخدامات الأخرى للمنظومة اللغوية ولكن يُنْظَرُ إليها على أن لديها نزعة نحو استخدام كل الموارد، مما يؤدي إلى اختيارات أفضل بكثير. وفي البيئة الاجتماعية لمستخدمي الشيفرة المُوَسَّعَة، لا يمكن الاعتماد على مُتَلَقّيَ الكتابة أو الكلام ليشاركونا معلوماتهم عن المتكلم/ الكاتب بحيث أنه في الكلام، يجب التعبير بوضوح عن المعلومات التي يجب أن تكون بدورها أكثر كميةً مما يمكن أن تكون عليه لدى أعضاء المجموعات التي تشارك بعضها بمعلوماتٍ أكثر عن المعلومات ذات الصلة. إن التعبير عن معلوماتٍ أكثر وبالتالي عن بنيات أكثر تعقيداً يتطلب مزيداً من «التوسع» أو التفصيل في استخدم اللغة– أي يتطلب بناء جملٍ (Syntax) أكثر توسعاً وتفصيلاً، ومفرداتٍ أكثر توسعاً: ونعني بذلك شيفرةً أكثر تفصيلاً (GRK).

قراءات إضافية:

Bernstein, B. (1970) *Class, codes and Control*, vol.1, London: Routledge and Kegan Paul.

الادخال أو الانضمام (Embed-ding): عندما يشكل شبه الجملة أو العبارة جزءاً من عبارة أخرى، يقال أن العبارة الأولى داخلة أو مُتَضَمَّنة في العبارة الأكبر الأخرى. على سبيل المثال، في جملة: **أعلم أنك صديقي** (*I Know that you are my friend*)، عبارة أنك صديقي (that you are my friend) هي المفعول به للفعل (Know) (أي أعرف)، وبذلك تم تضمينها في العبارة الكبرى (RS).

الكلام الفارغ (Empty Speech): وفقاً لفرويد (1905) (Freud) ، إن وجود عدد من المعاني «الكاملة» أو «الفارغة» لكلمةٍ ما هو تأثير فقهي لغوي. ويمكن أن يُبْطَلَ فراغ (Emptiness) الكلمة بتزويدها برابط تشاركيّ جديد أو مُفاجئ: فهناك سياقات تفقد فيها الكلمات معناها الكامل (Full Meaning)، فقط لتستعيده من خلال الروابط الأخرى التي تتوفر لها. يقول فرويد أنه: لعبارة «خذ حماماً» معنىً كامل ومعنىً فارغ على حدٍّ سواء. وإن الانتقال من معنىً إلى آخر يتيح الوصول إلى العقل اللاوعي، عن طريق ما تؤديه النكتة، «هل أخذت حماماً؟»، «لماذا، هل هناك حمامٌ مفقود؟». ويقول فرويد أيضاً أنه يمكن تحويل الآراء أو المعاني الثابتة أو الاعتيادية وذلك لتكتسب معنىً أكمل من خلال تقنيات مساوية لتلك التقنيات المُسْتَخْدَمَة في المزاح: وبذلك تشكل المُوارَبَة أو اللعب على الكلمات شكلاً فعالاً في تقنية التحليل النفسي.

مثل فرويد، ينظر لاكان (Lacan) إلى الكلام الفارغ (*la parole vide*) في علاقته مع الكلام الأعمق، الذي هو «أكمل». وهو يوازي بين عمليات الانتقال من الكلام الفارغ إلى الكلام الكامل (Full Speech) وبين «الفهم التحليلي النفسي للموضوع». خلال معظم فترة الخمسينات، كان مصطلحا «فهم المعنى الكامل» و«فهم الذاتية» عنصرين قابلين للتبديل في نظريته عن تقنية التحليل النفسي (BB).

انظر أيضاً العبارة أو أسلوب الكلام (Locution) وتعدد المعاني (Polysemy).

قراءات إضافية:

Freud, S. (1960) *Jokes and their Relation to the Unconscious* (1905) in *The Standard Edition of the Complete Psychological Works of Sigmund Freud*, vol.VIII, London: Hogarth Press.

الإبيقوريون (Epicureans): انظر (Stoics) أي الرواقيون والإبيقوريون (Epicureans).

التعبير (Expression): التعابير هي أشكال لغوية تُلْفَظ عند أداء الأعمال الاقتراحية (الأسماء العلم، الضمائر (Pronouns)، الأسماء

(Nouns) والجمل الاسمية (Noun Phrases) للإشارة إلى شيءٍ ما، والأسماء النحوية المُسْنَد إليها أو الخبر للإخبار عن شيءٍ ما) أو هي تُلْفَظُ في أداء الأعمال التمثيلية اللغوية للفعل في تقديم تعبيرٍ ما (الجمل الكاملة كنموذج). وإنه من الممكن تعريف أو تحديد المعنى (Meaning) من خلال خلق الرابط أو العلاقة مع هذه الأشكال. في أغلب الأحيان (مثلاً في سيرل (Searle 1969))، يمكن صياغة العلاقة بين التعابير والمعنى في مبدأ التعبيرية (Principle of Ex- pressibility) الذي يأخذ بفكرة أنّ كل ما يُقْصَد يُقال (JV).

انظر أيضاً المقترحات (Propo- sitions).



F

الحقل أو المجال (Field): هي واحدة من ثلاث كلمات مترابطة (الكلمتان الأخريان هما النمط (Mode) والفحوى (Tenor) في نظرية الأسلوب أو النوع اللغوي (Register). يصف الحقل الممارسات الاجتماعية التي هي تركيز الفعل (التفاعل) الألسني، محكياً كان أم مكتوباً: على ما هو، وعلى من يتصرف، وعلى الشخص المَعْنيَ، وعلى الظروف المُلازِمة ذات الصلة (GRK).

الأولية (Firstness): الأوليَّة هي الاسم الذي يُطْلَقُ على واحدة من الفئات الثلاثة للظواهر في الكون والتي حددها تشارلز بيرس (Charles S. Peirce). الاسمان الآخران هما الثانيَّة والثالثية (انظر ميريل (Merrell)، في هذا الكتاب). الأولية تساعد في شرح العمليات المعرفية المنطقية الإدراكية وبالتالي، ومرةً واحدة، هي تساعد على تكوين الإشارات. وإذا تم تحليلها في ضوء دراسة بيرس لرموز الإشارات، تتلاقى الأوليَّة مع الدائرة الأيقونية (Iconicity). الشيء الذي يقدم نفسه على أنه الأولية، الحضور، «التشابه المتطابق» (Suchness)، والنوعية النقية الخالصة يتميز بعلاقة التشابه (cf. *CP* 1.356-358). وكما أثبت بيتريللي (Petrilli) (1999)، تمَّ التَّنبَؤ بالأولية من قِبَل علمظواهر الإدراك لإدموند هوسيرل (Edmund Husserl) ومن قِبَل الآراء المسبقة/ الأحكام التنبؤية، بالرغم من أن مصطلحاته مختلفة.

في (*Erfahrung und Urteil*) هوسيرل «التسبيق السلبي» أو

المعلومات الأولية السلبية كما تُقَدِّم بالأصل نفسها للفهم والإدراك عبر استخراج كل مواصفات المعروف والمألوف الذي يؤثر فينا. وتُظْهِرُ تحليلاته أن التشابه يلعب دوراً بارزاً على مستوى الفهم غير المحدد أيضاً. في الواقع، وعن طريق التجريد والاستخراج، إذا تركنا جانباً المرجع للشيء المعروف مُسْبَقاً والذي يُوَلِّدُ الإحساس (الثانيَّة Second-ness الدلاليّة)، وعن طريق الإلمام عبر العادة (Habit) والتقليد، حيث الأمر الذي يؤثر فينا موجودٌ بما أنه أُعْطِيَ من قبل (الثالثية (Thirdness)، الاصطلاحية، الرمزية Symbolic-ity) وكما هو معروف مسبقاً في ناحيةٍ ما بالرغم من أنه مجهولٌ بالنسبة إلينا، نصل في النهاية إلى حالةٍ من الفوضى الكاملة، كما يقول هوسيرل، أي إلى مجرد تشويش للمعلومات. عندما لا يُدْرَكُ اللون على أنه لونٌ لشيءٍ، أو لسطحٍ، أو لبقعةٍ على مادةٍ ما... إلخ ولكن يُدْرَكُ على أنه ذو نوعية خالصة، أو، بعبارة بيرس، عندما نكون في دائرة الأولية حيث لا يدل شيءٌ ما على أي شيء سوى نفسه وكذلك عندما يكون مهماً وذا دلالة فقط في ذاته، فإن هذا الشيء يبرز في النهاية كوحدةٍ، وذلك من خلال عمليات التجانس (Homogeneity). وبذلك هو يتعارض مع شيءٍ آخر، ألا وهو عدم التجانس مع معلوماتٍ أخرى، مثلاً الأحمر على الأبيض. التشابه على مستوى الإشارة الأولية كرمز (الصُّوَرِيَّة أو الأيقونية)، أي للمرحلة الأصلية الأولية في تشكيل الإشارة كأيقونة أو رمز يحدد التجانس الذي يتناقض مع عدم التجانس والاختلاف: يقول هوسيرل أن «التجانس أو التشابه»، يتحقق بدرجات مختلفة حتى يكْتَمِل التجانس، أي المساواة بدون اختلافات. يمكننا أن نقول بأن التشابه يجعل التوحيد التركيبي للأولية أو الرمزية/ الأيقونية الأولية ممكناً.

إن الرابط الأولي ليس سيكولوجياً على الإطلاق. وهنا تلتقي نزعة هوسيرل اللاسيكولوجية مع نزعة بيرس. وإن الرابط الأولي المُتسامي هو شرطٌ لإمكانية تشكيل الإشارة (Sign).

بفضل بُعْدِ الأولية، لا تُسْتَنْفَذ المادة القابلة للحركة في هوية المادة المباشرة، ولكن تُسْتَنْفَذ كأساس، أي كرمز (صورة) أولي، تفرض نفسها على المفسر (Interpretant) مراراً

وتكراراً ((*immer wieder*)، كما كان يقول هوسيرل)، كاختلافٍ لها غير قابل للإنقاص.

قد لا نصل إلى هذا المستوى الأساسي من الأولوية، أي من الرمزية (الأيقونية) الأولوية، إلا طريق التجريد. وهذا إما يتضمن إنقاصاً ظواهرياً للعهد (*epoché*)، حسب هوسيرل، أي الوضع بين قوسين للعالم المعطى مسبقاً، وللعادات التفسيرية النسبية، أو هو يتضمن رؤيةً فنية. كما يُظْهِرُ موريس ميرلو بونتي (Maurice Merleau-Ponty) فيما يخص (س) يزاني (Cézanne)، الرسم هو البحث عن المواقف المعتادة المضادة الأخرى باتجاه الأشياء والاصطلاحات المألوفة والتقليدية.

تعود لوحة (س) يزاني إلى علاقةٍ إدراكية حيث يسيطر تصنيف الأولية بشكل شبه كامل، كما يعبر عنه بيرس، أي «يعطي الانطباع عن ترتيب حديث الولادة، عن شيءٍ على وشك الظهور، عن شيءٍ على وشك التَّكَتُّلِ تحت أعيننا» (Merleau-Ponty, 1966, p. 25) هذا التكتل يحدث من خلال عمليات ربطٍ مبنيةٍ على التشابه (SP).

انظر أيضاً (Representamen) (الممثل).

قراءات إضافية:

Pierce, C. S. (1955) «The principles of phenomenology», in J. Buchler (ed.) *Philosophical Writings of Peirce*, New York: Dover.

Pierce, C. S. (1958) «Letter to Lady Welby, 12 October 1904», in P. Wiener (ed.) *Charles S. Pierce: Selected Writings*, New York: Dover.

Petrilli, S. (1999d) «About and beyond Pierce», *Semiotica*, 124 (3/4), 299-376.

فيرث – جون روبرت فيرث (Firth John Rupert Firth) (1890-1960): هو عالم لغويات بريطاني. مثل هاليداي (Halliday) وبرنشتاين (Bernstein)، ولاحقاً، كريس (Kress)، كانت له صلة بالكليات التي تشمل جامعة لندن، بدايةً في المعهد الجامعي (University College) ثم في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية (School of Oriental and African Studies) حيث كان أستاذاً في الألسنية العامة. ولقد قضى أيضاً تسع سنوات كأستاذ للغة

الإنجليزية في جامعة بونجاب (University of Punjab). وإن التمحيص الدقيق في أوراقه اللاحقة وفي الخمسينات تحديداً، ستكشف أسباباً مقنعة لتأثيره على التراث البريطاني لعلم اللغويات الاجتماعي (Sociolinguistics). من ناحيةٍ أخرى، وكعالم ألسنية، أخذ الطبيعة التجريدية للتزامن (Synchrony) على محمل الجد، و كان أكثر ما يهمه هو المعنى واستيراد كلمات وعبارات مستخدمي اللغة. في هذا السياق، يتبع عمله مساراً مماثلاً لمسار تلميذه، هاليداي (Halliday)، ولمسار المُنَظِّر الروسي فولوسينوف (Vološinov). ولكن، حتى بشكل أكثر بروزاً، تابع فيرث دراساته من خلال أمثلةٍ عن استعمال اللغة أو من خلال أنماط نصوص خاصة بحالاتٍ معينة، أي لنقُلْ، من خلال أنواع وأساليب الكلام (Registers). وإن تركيزه على أحداث الكلام كانت توجهُهُ مبادئ عديدة أصبحت عملياً أمراً بديهياً لمقاربات ما بعد هاليداي للغة والتواصل. المثال على ذلك قد يكون بشكلٍ خاص صياغات فيرث التنبؤية فيما يخص حالة «السياق» في علاقته مع استعمال اللغة، والتي أصبحت صحيحةً لبلورة علم اللغة البراغماتي (Pragmatics) (اللغة في الاستخدام) وعلم اللغويات الاجتماعي (انظر كريس (Kress)، في هذا الكتاب) (PC).

قراءات إضافية:

Firth, J. R. (1968) *Selected Papers of J. R. Firth, 1952-1959*, ed.

F. R. Palmer, London: Routledge and Kegan Paul.

الكلام التام (Full Speech): إن الانتقال من الكلام الفارغ إلى القدرة التامة على الكلام يشكل المدخل لاعتماد الطفل على حديث (Discourse) الطفل الاخر. في المعالجة التحليلية، يتم توجيه الموضوع نحو الكلام التام. وإن هدف التأويل هو غلب الأنا، لتخطي فرضه لكلامٍ أكثرَ نمطيةً عن طريق المواربة، والتلميح وتأثيرات المفاجأة– للحصول على ردٍّ يحتوي على كلامٍ تام. يفترض لاكان (Lacan) أنه ليس من السهل اكتساب القدرة التامة على الكلام. ففي حال قدرة الأم على تمييز الطلب أو الحاجة، تُعْتَبَر فرضية القدرة التامة على الكلام تجربةً من الألم.

يميز لاكان بين اتجاهين: الأول

هو الأنا – إلى– الأنا (أو العلاقة الوهمية)– وهو مجال الكلام الفارغ أو عدم إدراك الوجود. الاتجاه الآخر هو «اتجاه المعالجة»: وهو يهدف إلى إدخال وتحليل علاقات الحب أو الرغبة المكسورة والضائعة للطفولة. إذ يمكن للانتقال نحو الكلام التام أن يأخذ بفرضية الفقدان هذه فيما يخص أعزَّ شيء مرغوب: وهو بالتالي يتضمن في داخله تركيبة هذه العلاقات الأوديبية، ونتائج خسارة الشيء المرغوب الأساسي (BB).

انظر أيضاً الكلام الفارغ (Empty Speech) والقول المحقّق (Illocu-tion).

قراءات إضافية:

Lacan, J. (1977) «The function and field of speech in psychoanalysis» (1953), in *Écrits*: *A Selection*, trans. A. Sheridan, London: Tavistock, pp. 30-113.



G

النحو التوليدي (Generative Grammar): هو وصف اللغة الرسمية والظاهرة: أي الوصف الذي لا يعتمد على المعرفة اللغوية للإنسان الذي يقرأ أو يكتب النحو (Grammar). والقواعد التوليدية هي تسميةٌ مناسبة لكتابة قواعد النحو. في الرياضيات، تعتبر المجموعة مُتَوَلِّدة عن القواعد التي تحددها: على سبيل المثال، إن قاعدة: ضَمِّن أشهر السنة التي تنتهي بـ: -Ember تُوَلَّد المجموعة {September, November, December} أو {سبتمبر، نوفمبر، ديسمبر}. بنفس الطريقة، إن قاعدة «ضع الصفات أمام الأسماء» تُوَلِّدُ مجموعةً من التعابير مثل: **وجبة لذيذة** (Nice Meal)، **ساعة سعيدة** (Happy Hour)، ومؤمن مُتَّقِد (Fervent Believer) أي والعديد غيرها في اللغة الإنجليزية. بالنسبة لتشومسكي (Chomsky)، النحو التوليدي للغةٍ معينة مثيرٌ للاهتمام إذا كان خطوةً نحو نظرية النحو العالمي (Universal Grammar) لجميع اللغات (RS).

علم الدلالة التوليدي (Generative Semantics): هو ميل مثيرٌ للجدل في علم اللغويات، ازدهر في الولايات المتحدة في أواخر الستينات ولكن قل تأثيره تدريجياً. بدأ الخلاف بنزاعٍ تقني حول طبيعة البنية العميقة (Deep Structure)، التي اعتقد بعض علماء اللغة أنها غير ضرورية لأنها كانت ببساطة هي نفسها المعنى (Meaning). وبما أن الأمور اتَّسعت، فإن علم

الدلالة أو علم المعاني التوليدي كان يُرَكِّز بشكلٍ متزايد على أسئلته حول المعنى بدلاً من طرح أسئلةٍ حول بناء الجملة (Syntax)، وهو يعطي العديد من الحجج لِيُثْبِتَ أن المعنى يؤثر على الشكل النحوي. ولقد كان بعض علماء الدلالة التوليديون يعتبرون أن معتقدات وافتراضات المتكلمين لها دور أيضاً في قواعد اللغة (Gram- mar). ولقد عارضهم تشومسكي بقوة، وأدى ذلك إلى قدرٍ كبيرٍ من الجدل المُحْتَد، وإن معظم هذا الجدل هو الآن ذو أهمية تاريخية بحتة (RS).

قراءات إضافية:

Harris, R. A. (1993) *The Linguistic Wars*, New York: Oxford University Press.

النوع (Genre): إن تاريخ هذا المصطلح يرجع إلى أرسطو (Aris- totle)، الذي قام بتسمية الأنواع الأدبية البارزة وخصائصها النصية. ولقد أدى هذا الاستخدام إلى الكثير من النقاش في القرون التالية، وإلى بناء الأشكال النصية البارزة للإنتاج الأدبي. منذ السبعينات انتعش هذا المصطلح من جديد بشكلٍ كبير، وذلك في اتجاهين مختلفين: في وصف وتسمية أشكالٍ جديدة و«شعبية» جداً (القصص الخيالية الشعبية المكتوبة، والنصوص الفيلمية السينمائية، مثل «الغربية»)، وفي وصف جميع النتاجات النصية المتوافقة مع الانتظام. وإن شعبية المصطلح في جزءٍ منها هي اعتراف بالأصل الاجتماعي والثقافي للشكل النصي، وذلك إدراكاً لملامح البيئة الاجتماعية التي أُنْتِجَ النص فيها.

يعود تاريخ (مصطلح) النظرية إلى أواخر السبعينات وبدايات الثمانينات. وهنا يمكن تمييز اتجاهين: أحدهما يُسْتَخْدَم فيه مصطلح النوع كمرادف قريب للنص (Text)، وهذا يعني أن النوع يصف كافة الميزات ذات الصلة التي تميز النص. الاتجاه الثاني يعالج النص باعتباره إحدى التصنيفات المُكَوِّنَة للنص، وهذا يعني أنه يرى النص كنتاجٍ لعدة عوامل اجتماعية مختلفة متميزة.

وقد تم تطوير عمل النوع (Genre) من كلا هذين الاتجاهين في أستراليا، وكندا والولايات المتحدة الأميركية. إذ عندما يُنْظَرُ إلى النوع على قدم المساواة مع النص، هناك ميلٌ إلى التركيز على الشكل العام للنص وعلى بنيته. فالقصة السردية هي مثلٌ معروفٌ

جداً. أو كذلك الأمر في حال مقابلة العمل مثلاً، حيث نجد الترحيبات المفتوحة لرئيس الجلسة، والتعريف عن أعضاء اللجنة المُحَكِّمَة، وشكر المرشح لحضوره المقابلة، وسلسلة الأسئلة/ الأجوبة المتتالية؛ ودعوة العضو الرئيس للمتقدم للعمل من أجل طرح أسئلة على اللجنة، والملاحظات الختامية. كل هذه تشكل بنيةً مستقرة نسبياً، لدرجة أنه من الممكن التحضير للمقابلة، أو توفير التدريب على «تقنيات المقابلة». هذه البنيات هي ذات استقرار نسبي فقط: فمقابلات العمل في العام 2001 مختلفة جداً عن تلك التي كانت تجري في العام 1981.

النوع يستجيب إلى البنيات الاجتماعية المتغيرة، التي هي تحقيقٌ وفهمٌ له. ففي الأنواع، ليست السلطة مُوَزَّعَة بالتساوي أو بصورةٍ مُنْصِفَة، بحيث أن وسائل التغيير غير متساوية ومتلازمة مع مخاطرة الموافقات غير المتساوية. إذ تُوَفِّر الأنواع «مواقع» محددة لمشاركيها (مثل الشخص الذي يُجْري المقابلة، والشخص الذي تجري معه المقابلة)، وهي ببساطة قد تتبنى التغيير أو تسعى إليه، أو قد ترفض ذلك تماماً – نظراً لقيود السلطة.

هناك بعض التهكم من حقيقة أن الاهتمام بالنوع والمكثف حديثاً يأتي في وقتٍ يتعرض فيه تكوين وثبات الأنواع إلى أشد الضغوط. وتتميز الفترة الحالية أكثر بكثير من ذي قبل بضبابية الحدود العامة، وبتحلل وتآكل الأنواع الثابتة (المقابلة التي تصبح «دردشة»، والإعلان الذي أصبح مُدْمَجاً بشكل غير قابل للتمييز مع المقالة الخاصة). هذه الفترة تتميز بالضبابية أكثر مما تتميز بالثبات (النسبي) للأنواع التي ميزت الفترة التي سبقتها مباشرةً. وهذا يعكس الأسئلة التي طرحتها التقاسمات الجديدة للسلطة في الفترة المعاصرة (GRK).

قراءات إضافية:

Altman, R. (1999) *Film/ Genre*, London: BFI.

Bakhtin, M. M. (1986) *Speech Genres and Other Late Essays*, trans. by V. McGee, ed. C. Emerson and M. Holquist, Austin, TX: University of Texas Press.

Kress, G. and van Leeuwen, T. (1996) *Reading Images: The Grammar of Visual Design*, London: Routledge.

الإيماءة (Gesture): الإيماءة

تشير عادةً إلى أي عمل جسدي مرئي يعبر عن الفكر أو الشعور أو يلعب دوراً في العمل الرمزي. على الرغم من أنه لا يمكن تعريفها بدقة، فإن الأفعال عادةً ما تُعْتَبَر بمثابة إيماءة «إرادية» إلى حدٍّ ما على الأقل. هكذا أفعال تتراوح من الصفة غير الرسمية إلى الصفة التي هي في غاية الرسمية أو الشكلية. وهي تشمل حركات اليد والرأس والوجه التي غالباً ما تصاحب الكلام، وكذلك الحركات الجسدية المستخدمة لنقل فكرةٍ ما عندما يكون الكلام مستحيلاً؛ والأشكال المُقَنَّنَة مثل إيماءة «OK» للتعبير عن الموافقة، وإيماءة (Thumbs Up) أي رفع إبهام اليد، وإيماءة (V for victory) للتعبير عن النصر، والمصافحة باليد، والمعانقات، وما شابه ذلك، وهذه جميعاً تلعب دوراً في الترحيب وغيرها من الطقوس التفاعلية. إن حركات اليد والوجه للغات الإشارة كتلك التي نجدها عند مجموعات الصم (لغات الإشارة الأولية) (على سبيل المثال نذكر: Klima and Bellugi 1979) أو عند المجتمعات القبلية مثل بعض مجموعات سكان أستراليا الأصليين (Kendon 1988) أو الأميركيون الأصليون (لغات الإشارة البديلة (Mallery [1881] 1972; Farnell 1995) هي أيضاً جزء من «الإيماءة» ولكن غالباً ما تجري عليها اليوم أبحاث منفصلة ومتخصصة. يمكن أن نُضَمِّن أيضاً الأنظمة الإيمائية المعقدة الموجودة في بعض تقاليد الرقص، وخاصة في الهند؛ والحركات الموجودة في الطقوس الدينية مثل تلك التي يؤديها الكهنة في الاحتفال الجماهيري أو المودرا (وهي أنواع من الإيماءات اليدوية الرمزية في البوذية والرمزية) والمُسْتَخْدَمَة في الصلاة في التانترا البوذية.

إن المعالجة المنهجية الأقدم للإيماءة في الغرب هي التي أجراها كوينتيليان (Quintilian) (1924)، الذي ناقشها في بحثه حول فن الفصاحة والبلاغة (Rhetoric) في القرن الأول. ولقد تم تناولُ الإيماءة في الكتب التي تناقش آداب أو فن الإيتيكيت في البلاط في القرن السادس عشر. في القرن السابع عشر، نُشِرَ العديد من الكتب حول فن الإيماءة في الخطابة والتمثيل (Barnett 1987). الكتب المُمَثِّلَة لهذه الاهتمامات هي: **فن الإشارات** (*L'arte dei cenni*) لبونيفاسيو (Bonifacio) (1616)،

و*Chirologia and Chironomia* لبولوير (Bulwer) (1806)، و *Ideen zu einer Mimik* لإنجل (J. J. Engel) (1756). كانت الإيماءة ذات أهمية كبيرة لفلاسفة عصر التنوير الفرنسي لِما قد تكشفه لنا عن الطبيعة الأصلية للغة (Seigel 1969; Wells 1987). ولقد اعتُبِرَت أيضاً أساساً محتملاً لإيجاد لغةٍ عالمية (Knowlsen 1965). في القرن التاسع عشر، اعتبر علماء الأنثروبولوجيا مثل إدوارد تايلور (Edward Tylor) (1865) وجاريك ماليري (Garrick Mallery) (1972 [1881]) أن الأبحاث الجارية حول موضوع الإيماءة هامة جداً للإجابة عن التساؤلات حول تطور اللغة.

اليوم، يبحث طلاب المعرفة واللغة في العلاقة بين الإيماءة والكلام لما قد يمكن تعلمه عن عمليات التفكير التي يقوم عليها إنتاج الأحاديث أو التعابير. ويُفْتَرَض أن الإيماءات التي تُسْتَخْدَم في وقت واحد مع الكلام تعبر عن جوانب المعنى (Meaning) التي لا تظهر في الكلمات، وتكشف عن رؤيةٍ وافية عن تصورات وخواطر المتكلم (McNeill 1992). إن دراسة العمليات التي يمكن من خلالها للإيماءات أن تصبح اصطلاحية ومُمَنْهَجَة لدى استخدامها بصرف النظر عن الكلام، كما في المفردات الإيمائية المُفَصَّلَة والدقيقة والموجودة في بعض الثقافات (مثل جنوب إيطاليا) أو في أنظمة اللغة المُصاغَة في إيماءاتٍ مثل لغات الإشارة، تزودنا بنظرة ثاقبة حول أصول وتطور تشكيل الرمز وتنظيم وأصل اللغة (Armstrong et al. 1995). الإيماءة تُهِمُّ أيضاً الطلاب الذين يدرسون تاريخ ثقافة الحياة اليومية، وأولئك (الذين) يدرسون الإيماءات والتعابير الجسدية الموجودة في المنحوتات واللوحات والمطبوعات، وما شابه ذلك، بسبب الأدلة التي يمكن أن توفرها لفهم الممارسات التعبيرية للماضي (Bremmer and Roodenberg 1992). وهناك اهتمام أيضاً بالإيماءة المستخدمة في علوم الكمبيوتر، سواءً فيما يتعلق بمحاولات تطوير أجهزة الكمبيوتر التي يمكن أن تستجيب لإيماءات المستخدمين أو فيما يتعلق في تطوير الروبوتات المتحركة (AK).

انظر أيضاً سيبيوك (Sebeok) (هذا الكتاب) والحركيات (Kinesiks).

قراءات إضافية:

Calbris, G. (1990) *Semiotics of French Gesture*, Bloomington: Indiana University Press.

Kendon, A. (1997) «Gesture», *Annual Review of Anthropology* 26: 109-28.

McNeill, D. (1992) *Hand and Mind*, Chicago: Chicago University Press.

Gram انظر خيالات الفهم أو اللاوعي الثقافي (Différance).

قواعد النحو (Grammar): لمصطلح «قواعد النحو» مجموعة من التعاريف، وكلها تدور حول عملية المَنْهَجَة في اللغة. عموماً، النحو يعني القواعد المستخدمة في بناء التراكيب اللغوية مثل الكلمات (انظر علم(الصرف) أو المورفولوجيا (Morphology) أو الجمل (انظر علم بناء الجمل (Syntax)). من ناحية، تستطيع هذه القواعد أن تُكَوِّنَ النظم الدقيقة التي يجب أن يتعلمها الطفل في المدرسة والتي كانت من العادات القديمة منذ تعاليم الفترة الكلاسيكية، وذلك من خلال قواعد اللغة «العامة» التي قدمها من قبل علماء بور روايال خلال عصر التنوير. من ناحية أخرى، وبعد المتابعة المتزايدة لعمل تشومسكي (Chomsky)، كانت القواعد تُفهم على أنها تشكل القدرة «الداخلية» للغة عند البشر. في هذه الصيغة، يُعْتَقَد أن القدرة على ملاحظة بعض القواعد النحوية البنائية هي قدرةٌ فطرية أو واردة ضمن الشيفرة الوراثية (Code) التي تنتقل إلى الأجيال المتعاقبة من البشر كنحوٍ عالميٍّ شامل (Universal Grammar). ومع ذلك، ينبغي أن نتذكر أن علم اللغويات ما بعد تشومسكي يحدد أيضاً قواعد اللغات غير الفطرية ولكن المنتظمة بما فيه الكفاية لتفتح المجال أمام الخواطر لتكون دائماً فعالة. هكذا قواعد مثل قواعد النحو التوليدي (Generative Grammars) تجعل من الممكن تأليف الكتب التي تصف قواعد اللغات القومية .بطريقةً مُحَيِّرَة إلى حدٍّ ما، هذه التفسيرات بنفسها تسمى في كثيرٍ من الأحيان «النحو» (PC).

قراءات إضافية:

Crystal, D. (1996) *Rediscover Grammar*, 2nd edn, Harlow: Longman.

غريماس (Greimas):

ألغيرداس جوليان غريماس (Al-girdas Julien Greimas) (1917-1992): هو فرنسي متخصص في علم المعنى وعلم السيمياء. وُلِدَ في روسيا ودرس الحقوق في كاوناس (Kaunas) (ليتوانيا (Lithuania)) قبل أن يلتحق بجامعة غرونوبل في فرنسا حيث رَكَّزَ قبل الحرب العالمية الثانية، على اللغة والأدب في العصور الوسطى. وكانت أول إجازة جامعية حصل عليها هي في اختصاص علم اللهجات الفرنسية–البروفنسية. التحق بالخدمة العسكرية في ليتوانيا في العام 1939 وهرب إلى فرنسا في العام 1944 عندما غزا السوفييت بلاده واحتلوها للمرة الثانية، بعد ثلاث سنوات من الاحتلال الألماني (1941–1944). التحق بجامعة السوربون في باريس. وهناك حصل على دكتوراه الدولة في العام 1948 وكان موضوع أطروحته الأولية هو الموضة في فرنسا عام 1830، ولقد تناول فيها الدراسة المعجمية لمفردات الملابس كما كان يتم تصويرها في مجلات ذلك الوقت، ولقد كتب أطروحةً ثانية استندت إلى تحليل الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية في الفترة نفسها. دَرَّس غريماس تاريخ اللغة الفرنسية في جامعة الاسكندرية في مصر، حيث التقى برولان بارت (Roland Barthes)، قبل توليه التعيينات في جامعتي أنقرة واسطنبول في تركيا وبواتييه في فرنسا. تم انتخابه في: École Pratique des Hautes Études (أي المدرسة التطبيقية للدراسات العليا) في باريس في العام 1965 لإدارة حلقة دراسية سنوية في السيميائية (Semiotics) اجتذبت عدداً كبيراً من الطلاب المتخرجين والأساتذة من فرنسا والخارج. هذه الندوة، التي لا تزال تُعْقَدُ حتى اليوم بمشاركة طلابه وزملائه، تطورت فيما بعد إلى: Paris School of Semiot-ics (أي مدرسة باريس السيميائية).

اقترح غريماس (Greimas) أسلوباً أصيلًا في تحليل الخطاب (Analysis Discours) قد تطور على مدى ثلاثين سنة. بدأت نقطة انطلاقه بحالةٍ من عدم الرضا العميق بعلم اللغويات البنيوية في منتصف القرن. دَرَسَ هذا العلم فقط الوحدات الصوتية أو الفونيمات (Phonemes) (الوحدات الصوتية الأصغر لكل لغة) والوحدات الأصغر ذات المعنى في اللغة أو الكليمات (Morphemes) (الوحدات (الصرفية) التي تتولد عن

تركيبات الوحدات الصوتية). يمكن لهذه الوحدات النحوية توليد عدد لا حصر له من الجمل، وتبقى الجملة هي الوحدة الأكبر في التحليل. هذا النموذج الجزيئي لا يسمح بتحليل الوحدات المُكَوَّنَة ما وراء الجملة.

بدأ غريماس بافترض وجود عالَمٍ دلالي (Semantic) عَرَّفَه بأنه مجموع كل المعاني (Meanings) المحتملة التي يمكن أن تتولد عن نظم القيم للثقافة الكلية للمجتمع العرقي–اللغوي. وبما أنه لا يمكن تخيل العالم الدلالي في مجمله، فإن غريماس قام بإدخال مفهوم العالَم الدلالي الصغير وعالم الخطاب، كما تم تحقيقه في النصوص المكتوبة، المقروءة أو الصورية (Iconic). وليُحْكِمَ السيطرة على مشكلة الدلالة/ المغزى (Sig-nification أو إنتاج المعنى، كان على غريماس أن ينقل مستوىً واحداً من اللغة (النص) إلى مستوىً آخر (لغة المعرفة أو اللغة التي تُستعمل لوصف لغات أخرى (Metalanguage)) وأن يستنبط تقنياتٍ ملائمة لهذا النقل (Greimas 1987).

الإجراءات الوصفية لدراسة البنية الروائية، ومفهوم السرد هما الأساس الفعلي لسيمياء غريماس. إذ تَنُصَّ فرضيته الأولي على أن المعنى يُفْهَمُ فقط إذا تمَّ لفظه أو سرده. **ثانياً،** بالنسبة إليه يمكن إدراك البنيات السردية في النظم الأخرى التي لا تعتمد بالضرورة على اللغات الطبيعية. هذا أدى بغريماس إلى افتراض وجود مستويين للتحليل والعرض: المستوى السطحي والمستوى العميق، الذييشكل قناةً مشتركة حيث يتعين موقع السردية ويتم تنظيمها في وقتٍ سابق لظهورها أو للتعبير عنها. بالتالي فإنمفهوم الدلالة/ المغزى لظاهرةٍ ما لا يعتمد على نمط ظهورها أو التعبير عنها، ولكن نظراً لأنه ينشأ على المستوى العميق، فهو يمر بجميع التعابير أو المظاهر اللغوية والغير لغوية. ولقد مرّت سيميائية غريماس التوليدية والتحويلية بثلاث مراحل من التطور. وبدأ بالعمل على سيميائية الفعل حيث يقوم بتعريف الأشخاص من حيث سعيهم للأهداف أو الأشياء، وذلك باتباع مخطط سردي مقبول، وهذا الأخير هو إطار رسمي يتكون من ثلاث سلاسل متعاقبة: الأمر، والعمل والتقييم. بعد ذلك هو يبني نحواً سردياً وبناءً نحوياً من البرامج السردية التي يُجْمَعُ فيها الأشخاص

أو ينفصلون عن الأشياء ذات القيمة. في المرحلة الثانية نجح في التوصل إلى السيميائية المعرفية، حيث إنه من أجل أن يقوم الأشخاص بأداءٍ ما، يجب أن يكونوا مؤهلين للقيام بذلك. ويتم تنظيم أهلية (كفاءة) الأشخاص عن طريق قواعد اللغة (Grammar) المشروطة الشكلية التي تقسر وجودهم وأداءهم. هذه السيميائية المشروطة الشكلية تفتح المجال أمام المرحلة النهائية التي تدرس كيف أن العواطف تغير الأداء العملي الإجرائي والأداء المعرفي للأشخاص وكيف أن الاعتقاد والمعرفة يغيران أهلية وأداء هؤلاء الأشخاص أنفسهم. يكمن التحدي أمامنا في استنباط الإجراءات الوصفية اللازمة والملائمة، ليس فقط للمواصفات المشروطة الشكلية وإنما أيضاً للميزات التابعة لجوانب الخطاب المعرفي والعاطفي: نذكر مثلاً جوانبَ كقيد النشاط (بداية الفعل)، والتوقيت (حل ألغاز الفعل) وانتهاء النشاط (نهاية الفعل) التي تسمح بوصف الوقتية الزمنية كعمليات في النصوص (PP).

قراءات إضافية:

Greimas, A. J. (1987) *On Meaning: Selected Writings in Semiotic Theory*, trans. and ed. P. Perron and F. Collins, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Perron, P. and Collins, F. (eds) (1989) *Greimassian Semiotics*, *New Literary History*, 20.3 [Special Issue].

Schleifer, R. (1987) *A. J. Greimas and the Nature of Meaning*, Lincoln, NB: University of Nebraska Press.

غرايس (Grice): بول غرايس (H. Paul Grice) (1926–1985) هو فيلسوف في اللغة، بدأ حياته المهنية في العمل على تراث فلسفة اللغة العادية (Ordinary Language Philosophy) وكان يعمل مع أوستن (Austin) في جامعة أكسفورد في الأربعينات والخمسينات. بالرغم من أن عدد إصداراته كان قليلاً نسبياً خلال حياته، فإنه كان ذا تأثيرٍ لا مثيل له على نظرية المعنى (Meaning). عمل على التمييز بين المعنى «الطبيعي» (كما في Clouds Mean Rain أي «الغيوم تعني المطر») و«المعنى الغير الطبيعي»

(أو المعنى اللغوي). وعلى الرغم من تسليمه بوجود المعنى التقليدي المرتبط بالتعبيرات اللغوية (البعض منها قد يكون ضمنياً بدلاً من أن يكون ظاهراً، كالحالة التي يعني فيها تعبير «a US President» أي الرئيس الأميركي ضمنياً ومنطقياً أننا نتحدث عن «رئيسٍ للولايات المتحدة»)، فإن غرايس كَرَّس معظم اهتمامه لتلك الأنواع الغير الطبيعية للمعنى والتي تتعلق بالناطق بالكلام بدلاً من أن تتعلق ببناء الكلمات والجمل؛ وبالتالي يأتي مصطلح «المعنى عند الناطق» ليكون مغايراً لكل من مصطلح «معنى الجملة» ومصطلح «معنى الكلمة» (Grice 1957, 1968, 1969). يجري تحديدٌ أكثر لمعنى الناطق بالكلام، الذي يكون مرتبطاً بمناسبةٍ أو حدثٍ ما على عكس معنى الكلمة أو الجملة الذي يكون «غيرَ مرتبط بالزمن»، من حيث نوايا المتحدث (دون إنكار فكرة أن بعض أشكال المعنى يتم التعبير عنها ببساطة دون أن تُقْصَد)؛ فمعنى الناطق هو نية المتحدث عند تفوُّهه بالكلام في إنتاج تأثير على المستمع عن طريق تَعَرُّف هذا المستمع على النية لإحداث ذلك التأثير.

عندما لاحظ غرايس أن التعابير، في أكثر الأحيان، تعني أكثر مما يقال حرفياً، بدأ بسبر أغوار المعنى الضمني الكامن وراء عالم التضمينات المنطقية (Grice 1975, 1978, 1981). بِرَأيِ غرايس، تخضع المحادثات نموذجياً «للمبدأ التعاوني» الذي يقول: «اجعل مساهمتك في الحديث تماماً كما هو مطلوب، أي في المرحلة التي تجري فيها، وذلك من خلال الهدف المقبول وتَوَجُّه التبادل الكلامي الذي تشارك فيه» (1975, p. 45). تماشياً مع هذا المبدأ، هناك عدد من «الثوابت أو المبادئفي المحادثة» وهذه الثوابت توجِّه التفاعل الحواري:

1. **مبدأ الكمية** (*The Maxim of Quantity*): (أ) إجعل مساهمتك في المحادثة إخبارية بقدر ما هو مطلوب لتحقيق الأهداف الحالية للتبادل الكلامي؛ (ب) لا تجعل مساهمتك أكثرَ إخباريةً مما هو مطلوب.

2. **مبدأ النوعية** (*The Maxim of Quality*): حاول أن تجعل مساهمتك صحيحة: (أ) لا تقل ما تعتقد بأنه غير صحيح، (ب) لا تقل شيئاً ما

ينقصك أدلةٌ كافية حوله.

3. **مبدأ العلاقة أو الصلة** (*The Maxim of Relation*) (الذي سُمِّيَ فيما بعد وثاقة الصلة بالموضوع): كن ذا صلة بالموضوع أي ليكن كلامك مناسباً.

4. **مبدأ الأسلوب** (*The Maxim of Manner*): كن واضحاً:

(أ) تجنب الغموض في التعبير، **(2)** تجنب الالتباس، **(3)** كن موجزاً، **(4)** كن منظماً.

على افتراض أنه يتم الالتزام عادةً بهذه الثوابت، تؤدي الأحاديث إلى تضمينات حوارية تقليدية أو معيارية: وبهذا فإن تعبير «إنها تمطر في الخارج» يقتضي ضمناً وعلى أساس مبدأ النوعية، أن المتحدثين يعتقدون أن السماء تمطر في الخارج (وهو معنىً ضمني يعكس حالةً من الصراحة التي يحققها (الفعل) الكلامي (Speech Act) التأكيدي). ومع كل ذلك، فإنه غالباً ما يتم تعطيل هذه المبادئ. ولكن بما أنه يُفْتَرَض أن يكون المتحاورون متعاونين، فإن أي خرق واضح لمبدأٍ ما قد يؤدي إلى خلق مزيد من العبارات الضمنية (غير التقليدية) في المحادثات. وهكذا، فإن الرد في مثال غرايس الكلاسيكي، «هناك مرآب عند الزاوية» استجابةُ للقول «لم يعد لدي بنزين»، لأنه لا يلتزم بمبدأ الكمية، بل لأنه يفترض التعاون المتبادل، سوف يقتضي ضمناً أن هذا المرآب مفتوح وفيه بنزين للبيع (JV).

انظر أيضاً القواعد (Rules) وعلم الدلالة أو المعاني (Semantics).

قراءات إضافية:

Grice, H. P. (1989) *Studies in the Way of Words*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Leech, G. N. (1983) *Principles of Pragmatics*, London: Longman.

Levinson, S. C. (1983) *Pragmatics*, Cambridge: Cambridge University Press.

الأساس أو الدافع (**Ground**): هو مصطلح قَدَّمَه تشارلز ساندرز بيرس (Charles S. Peirce) للدلالة على «اعتبارٍ ما أو قدرة ما» يصبح شيءٌ ما على أساسها إشارةً (Sign) أو ممثلاً (Representamen) (بمعنى آخر هو

يمثل شيئاً آخر، أو موضوعاً)، وذلك بفضل إشارةٍ أخرى تُسْتَخْدَم كمفسّر (Interpretant). في الواقع، إن هذا الشيء الذي هو بمثابة إشارة لا يمثل الشيء أو الموضوع في كل الاعتبارات ولكن بالإشارة إلى اعتبارٍ معين أو قدرة معينة، أي كما يقول بيرس (Peirce)، «بالإشارة إلى نوع الفكرة» (*CP* 2.228). هذه هي الفكرة الأساسية التي تشكل الأساس أو الدافع للممثِّل. لذلك، يتم تحديد هذا الشيء تدريجياً في غموضه في ظل الاعتبارِ المعين الذي بفضله تصبح الفكرة تغريدةً للمفسّر. إذا قُلْتُ من أجل أن أتذكر المثال الذي أتى به بيرس، «هذا الموقد أو الفرن أسود»، فإن الشيء (Object) المباشر «الفرن»، يُفْتَرَض أنه يخضع لاعتبار معين، أي «سواده»، الذي هو الأرضية (الأساس أو الدافع) للمفسّر (cf. *CP* 1.551). من وجهة نظر علم ظواهر الإدراك (هوسيرل (Husserl)، ميرلو بونتي (Merleau-Ponty))، الأساس هو شيءٌ ما لم يكن متمايزاً وأصبح الآن متمايزاً في جانبٍ ما، ليصبح بذلك إشارةً للمفسر (SP)

H

العادة (Habit): هي نزعة مكتسبة أو ميل إلى التصرف بطريقة منتظمة في ظروف اعْتيادية. وهي عموماً نتيجة لردود الفعل المتكررة أو للاستجابات المُنْتَظِمَة، سواءً أكانت جسدية أم فكرية، على أحداث أو تجارب من نفس النوع. يمكن اعتبار الغرائز عاداتٍ طبيعية في الكوزمولوجيا أو علم الكونيات لتشارلز بيرس (Charles S. Peirce) وآخرين، وإنه حتى قوانين الطبيعة يمكن اعتبارها عاداتٍ. عادةً ما تكون ردود الفعل المعتادة لاإرادية، أي دون تفكيرٍ أو وعيٍ لدى اتخاذ القرار وبالتالي فهي لا تخضع للسيطرة الذاتية المباشرة؛ ولكن يمكن تغيير العادات عن قصد عبر نظامٍ مُوَجَّه من إعادة تنميط السلوك. للعادة أهمية جوهرية في فلسفة بيرس. فهو يرى أن المعتقدات هي عادات الفعل التي تنتجها عمليات الاستنتاج. وكذلك هو يعتبر أن التأثير النهائي للنشاط الإشاري (Semiosis)، الذي سماه المُفَسِّر (Interpretant) النهائي هو العادة الفكرية، التي، وإن لم تكن بحد ذاتها إشارة، تتوج عملية صقل الفكر من خلال التكيف مع التجربة. هذه هي إحدى الركائز الأساسية لبيرس في التطبيق العملي أو البراغماتية (Pragmaticism) (NH).

انظر الأساس (Ground)، التمثيل الصوري (Icon)، المؤشر (Index)، والرمز (Symbol).

قراءات إضافية:

Peirce, C. S. (1905a) «What pragmatism is,» and (1907) «Pragmatism», in C. S. Peirce (1998) *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 2, (ed.) Peirce Edition Project, Bloomington: Indiana University Press, pp. 331-45 and pp. 398-433.

هالي (Halle): موريس هالي (Morris Halle) (مواليد 1923)، هو أستاذ اللغة السلافية وعلم اللغويات العامة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (Massachusetts Institute of Technology) (MIT). اشتهر كأحد مؤسسي علم (وظائف) الأصوات (Phonology) التوليدي وشارك جاكوبسون (Jakobson) في تأليف كتاب: **أساسيات اللغة** (*Fundamentals of Language*) في العام 1956 والذي ناقشا فيه: الوحدات الصوتية (Phonemes)، والسمات المميزة (Distinctive Features)، وفقدان القدرة على الكلام، واضطراب التشابه، واضطراب التقارب، والاستعارة والكناية أو المجاز المرسل (Metonymy). وتشمل أعماله الأخرى: **النمط الصوتي للغة الروسية** (*The Sound Pattern of Russian*) (1959) **والنمط الصوتي للغة الإنجليزية** (*The Sound Pattern of English*) الذي كتبه عام 1968 مع نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) (EA) .

إن عمل مايكل هاليداي (Halliday) (مواليد 1925) هو البديل الرئيسي المعاصر لهيمنة التفكير اللغوي بالمُقاربات البنيوية (Structuralist). في حين ركز البنيويون على مستوى علاقة الكلام الترابطية (Syntagmatic)، كان هاليداي يركز في المقام الأول على علاقات الكلام النموذجية البارداماتيكية الاختيارية (Paradigmatic). ولقد أعاد هاليداي صياغة مبدأ سوسور (Saussure) الرئيسي والذي ينص على أن «المعنى (Meaning) اختياريٌّ في السياق».

يصوغ هاليداي تأثير التفكير مُرَكِّزاً بالتساوي على الفاعل الذي يتخذ الخيارات من موارد المنظومة اللغوية، وهو يفعل ذلك في سياقاتٍ حاضرة بشكل ملموس. وفي هذا نجد صدىً لأقوال ماركس (Marx) وإنجلز (Engels): «الرجال يصنعون تاريخهم الخاص بهم ولكنْ في ظروفٍ ليست من اختيارهم».

ولقد صاغت نظرية النظام – البنية لأستاذه فيرث (J. R. Firth) عملَه السابق، كما نجدها بالضبط في عمله الأصلي الإبداعي **تصنيفات نظرية قواعد النحو** (*Categories of the Theory of Grammar* (1961))، مثلما فعلت المقاربات الوظيفية للُّغة للعالم الأنثروبولوجي برونيسلاف مالينويسكي (Bronislaw Malinowski). الوظائف الثلاث التي يعتبرها هاليداي متأصلة في كل نظام سيميائي يعمل بشكل كامل– أي وظيفة تمثيل الأحداث والقضايا في العالم (الوظيفة الفكرية (Ideational))، ووظيفة تمثيل العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في التفاعل (الوظيفة التفاعلية بين الأشخاص (Interpersonal))، ووظيفة تمثيل تفسيرٍ منسجمٍ لعالم الرسائل (الوظيفة النصية (Textual)) – هي أصداء قريبة جداً من أفكار مالينويسكي. بالمثل، تأثر عمله أيضاً بمعرفته الوثيقة باللغة الصينية التي اكتسبها خلال إقامته في بكين (1949–1951) عندما كان طالبا في جامعة بكين. إذ إن مفاهيم الموضوع أو المبحث (*Theme*)، والمزاج (*Mood*)، والانتقالية (*Transitivity*)، وكذلك عمله على تنظيم الكلام (الإنجليزي)، وعلى الأخص على موضع الترنيم أو التنغيم باللغة الإنجليزية (نحوياً ونصياً) هي مَدينةٌ بمعظمها إلى وجهة نظرٍ أتى بها من اللغة الصينية.

المقالات الثلاث التي نشرها بين عامي 1967 و1969 (في *Journal of Linguistics* أي مجلة **اللغويات الجديدة**): ومن بينها «الانتقالية والموضوع في اللغة الإنجليزية» كانت مؤشراً على الانتقال الحاسم من التركيز على النظام والبنية وترابطهما، إلى التركيز على الوظيفة: وهو انتقال في الجملة باعتبارها جوهر الوظيفة الفكرية (*Ideational Function*)؛ وفي المزاج باعتباره جوهر الوظيفة التفاعلية بين الأشخاص (*Ideational Function*) لموضوع باعتباره جوهر الوظيفة النصية (*Textual Function*). وهذا أدى أيضاً إلى التمييز، نحوياً ونصياً، بين اللغة بشكليها المحكي والمكتوب. ولقد اتبع معظم المفكرين اللغويين هذا الاتجاه الذي بدأ يحل محل تجريد اللغة كما هي (*Language-as-Such*). وإن التركيز على أهمية مادية اللغة (كما في النظم التمثيلية الأخرى) هو نتيجة لهذا الانتقال، ومن المرجح أن يكون

واحداً من التطورات الرئيسية التي ستميز العمل السيميائي في العقود المقبلة.

بلغ عمل هاليداي اللغوي أَوْجَهُ في وصفه الموسع للغة الإنجليزية من حيث الوظيفة (1985). في عمله هذا، تم توثيق شعار «النحو كمورد للمعنى» في وضع الخطوط العريضة لنظم الخيارات المتاحة لأعضاء الحضارة أو الثقافة، وكذلك في احتمالية استمرارية إعادة تحديد هذا المصدر من خلال الاستخدام العادي (النحوي) للاستعارة. وكان لعلم النحو (Grammar) التطبيق الأكثر انتشاراً سواءً في تطوير برامج التحليل في التكنولوجيات الجديدة للمعلومات، أو في تطوير التوصيفات التي تدخل في اللغة ومناهج محو الأمية في أيٍّ مستوىً من المستويات (GRK).

قراءات إضافية:

Halliday, M. A. K. (1976) *System and Function in Language*, ed. G. Kress, Oxford: Oxford University Press.

Halliday, M. A. K. (1978) *Language as Social Semiotic*, London: Arnold.

Halliday, M. A. K. (1985) *Introduction to Functional Grammar*, London: Arnold.

هاريس (Harris): كان زيليغ هاريس (1915 – 1922) عنصراً رائداً في مجال علم اللغويات البنيوية (انظر البنيوية الأميركية (American structuralism).

ولد في أوكرانيا وعاش في فيلادلفيا معظم فترة حياته، حيث دَرَّسَ علم اللغويات في جامعة بنسيلفانيا. أمضى هاريس أيضاً الكثير من وقته في مستوطنة مشمار هيمك (Mishmar Ha-emek) وكيبوتز (a kibbutz).

عادةً، يُذْكَرُ هاريس في الوقت الحاضر لثلاثة أشياء. **أولاً**، يعتبر كتابه: **طرق في اللغويات البنيوية** (*Methods in Structural Linguistics*) الذي كتبه في العام 1951 البيان النهائي اللامع للبنيوية، وذلك قبل أن تتمكن نظريات تشومسكي (Chomsky) من استبداله لتصبح الاتجاه السائد في علم اللغة الأميركي.

ولقد سمح ليونارد بلومفيلد (Bloomfield) باستخدام اختبارات التشابه أو الاختلاف في المعنى (Meaning) كأساس للبيانات النحوية،

أما هاريس فقد بقي ملتزماً بفكرة أن توزيع العناصر اللغوية هو الأساس الوحيد الصحيح للتحليل النحوي .وإن توزيع عنصرٍ معين مثل الوحدة اللغوية (Morpheme) أو الكلمة هو ببساطة مجموع البيئات التي يَرِدُ فيها هذا العنصر (Fought 1994, p. 103).

المثال على ذلك هو معالجة تعبيرين كـ: *Give a Damn* (أي لا أبالي) أو (*Take no for an Answer* انت لا تقبللا كجواب)، الذين يَرِدان عادةً في حالة النفي فقط.

(1) بصراحة، يا عزيزتي، أنا لا أبالي Frankly, my dear, I Don't Give a Damn.

(2) أنت لا تقبل

الـ: «لا» كجواب عندما لا يكون لديك شيء لتخسره. You Don't Take no For an Answer when you've Nothing to Lose.

لم يكن ممكناً لريت بتلر (Rhett Butler) أن يقول أنا أبالي بشدة (I Give a Damn) ولم يكن ممكناً أيضاً لتوم روبنسن (Tom Robinson) أن يغني أنت تقبل لا كجواب (*you Take no for an Answer*) (العلامة النجمية هنا تشير إلى أن الجملة غير ممكنة في اللغة الإنجليزية). ويمكن إيجاد هكذا عبارات بعد لا (Don't)في هذه الأمثلة، ولكنها تَرِدُ أيضاً بعد بالكاد (Hardly) كما في جملة:أنا بالكاد أبالي (*I Hardly Give a Damn*) وكذلك بعد أبداً (*Never*) أي كما في جملة: لا تقبل أبداً لا كجواب (You Never Take no for an Answer). كان بإمكان بلومفيلد أن يقول أن كل هذه التعابير سلبية ولكن بالنسبة إلى هاريس، إن ما يحدد معنى التعابير هو حقيقة ورودها قرب بعضها وليس معناها الحرفي.

في بعض الأحيان يتم رفض هذه الطريقة كوسيلة ملتوية للوصول إلى التحليل النحوي لأن البدء بالمعنى يبدو أكثر بساطة . ولكن في الكيان الأساسي للغويات، تتفق الأعمال الأخيرة لجون سنكلير وغيره (John Sinclair and others 1991) بشكلٍ مساوٍ في تشديدها على توزُّع المعنى وليس على المعنى الحرفي للتعابير وذلك كنقطة انطلاق مُعْتَمَدة وموثوقة أكثر في التحليل.

ثانياً، إن مساهمة هاريس الثانية هي تأثيره على تشومسكي: إذ كان

هو الذي عَرَّفَ تشومسكي على علم اللغويات، وإن استخدامه لمصطلح التحول (*Transformation*) (انظر في: النحو التحويلي (Transformational Grammar) كان ينذر بالاستعمال اللاحق لهذا المصطلح في أعمال تشومسكي.

ثالثاً، أدخل هاريس تعبير «تحليل الخطاب» (Discourse Analysis) وحاول توسيع الطرق البنيوية لتشمل النصوص بدلاً من أن تكون محصورة بالجمل المنفصلة فقط.

استمر هاريس في إنتاج أعمال أصلية مهمة حتى وقتٍ متأخر من حياته (انظر Harris 1991)، ولكنْ وإلى حد كبير تجاهلَ الجميع هذه الأعمال، باستثناء قِلَّةٍ من زملائه المقربين. وإن هذا لأمر مؤسفٌ حقاً: إذ يحتاج المرء فقط أن يقرأ ورقة هاريس المُتْقَنَة حول سابير (Sapir) (Harris [1951] 1984)للتعرف على وفكره المرموق (RS).

قراءات إضافية:

Harris, Z. (1951/ 1984) «Review of *selected Writings* by Edward Sapir (Berkeley, Univ of California Press, 1949)» *Language* 27.3: 228-333. (Reprinted in K.Koener (ed.) *Edward Sapir: Appraisals of His Life and Work*, Amsterdam: John Benjamins, 1984, 69-114).

Harris, Z. (1991) *A Theory of Language and Information*, Oxford: Clarendon Press.

Hiz, H. (1994). «Harris, Zellig S.», in R. Asher and J. Simpson (eds) *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, vol. 2, Oxford: Pergamon Press, 1523-4.

هيغل (Hegel): جورج فيلهلم فريدريتش هيغل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel) (1770–1831)، هو ميتافيزيقي مثالي ألماني وأحد أعظم الفلاسفة المنهجيين المعروفين وخاصة بسبب طريقته الديالكتيكية الجدلية الثلاثية (الطريحة أو الفرضية أو الرأي (Thesis) التي تؤدي إلى النقيضة أو التناقض (Antithesis) والتي يمكن حَلُّها بالجميعة أو التركيبة (Synthesis)، التي تصبح بدورها

فرضيةً جديدة لتناقض جديد، وهلم جراً) وكذلك بسبب وجهة نظره بأن التاريخ يجسد هذه الجدلية الديالكتية في تطورها العقلاني باتجاه «الفكرة المطلقة». كانت فلسفة هيغل مهمة في تطور الماركسية والفلسفات الأوروبية الأخرى ولقد أثرت في بعض الفلاسفة الأميركيين الكلاسيكيين، وخصوصاً رويس (Royce)، ديوي (Dewey)، وبيرس(Peirce) (في سنواته الأخيرة) (NH).

التأويل (Hermeneutics):

في البداية، ظهر «التأويل» كطريقة للتفسير في العلم التاريخي والفقهي اللغوي للقرن الثامن عشر ولكنه اكتسب مكانته كفرعٍ معرفي منفصل بفضل أعمال شلاييرماخر (Schleier-macher) وديلتهاي (Dilthey). وتميز هؤلاء بمركزية فكرة «الفهم» (كـ: «دائرة تأويلية»)، فضلاً عن التعارض بين التأويل والتفسير، الذي يتوافق بشكل نموذجي مع علوم الإنسان والعلوم الطبيعية. ولذلك أصبح التأويل طريقةً فلسفية أساسية تستند إلى فهم الضرورات المعنية في تفسير الظواهر. مع علم الظواهر، دخل علم التأويل مرحلةً جديدة، على الرغم من أن أب علم الظواهر، هوسيرل، لم يركز بشدة على التأويل كبقية المفكرين التأويليين. ولكن من ناحية أخرى، ركز عالم الفينومينولوجيا أو الظواهر الرئيسي في القرن العشرين، هايدغر (Heidegger)، على التأويل أيضاً: فبالنسبة له، أصبحت منهجية التأويل أنطولوجيا أو علمَ وجودِ الفهم. هذا المنظور تَبَنّاه كذلك غادامير (Ga-damer) الذي شرح الخطوط العريضة لفلسفة التأويل في عمله المعلمي: **الحقيقة والأسلوب** (*Truth and Method*، (1975)، مشدداً على الطبيعة اللغوية للوجود والتقليد بوصفها الأفق لأي فهم وخبرة. ولقد كان لهذا العمل صدىً هائلاً في التفكير المعاصر، واتخذه تقريباً كل الكتاب الذين يدرسون التأويل كنقطة انطلاقٍ لهم.

المُمَثِّل الأساسي الآخر للتأويل الفلسفي هو بول ريكور (Paul Ricoeur). وكان إسهامه الرئيسي هو إعادة النظر في النموذج الهيكلي الكلي وفي النهج السيميائي من وجهة نظر فلسفة التأويل. المشاركون الآخرون المعنيون في تطوير التأويل هم جياني فاتيمو (Gianni Vattimo)، الذي يدرس مصير التأويل في فترة ما بعد الحداثة بالعودة إلى العدمية، وريتشارد

روورتي (Richard Rorty)، الذي يؤكد على أن فلسفة المستقبل، الخالية من أي تحيز أو فكرٍ مُسْبَقٍ، ينبغي أن تكون «تأويلاً مُثَقِّفاً مُفَقِّهاً». ولقد قام كتابٌ آخرون مثل آبيل (Apel) وهابرماس (Habermas) بمساهمات كبيرة أيضاً، على الرغم من أنهم يعارضون عموماً عالمية التأويل كنهج شامل للأسئلة الفلسفية (KB).

قراءات إضافية:

Palmer, R. E. (1969) *Hermeneutics*, Evanston, ILL: Northwestern University Press.

تعددية أنواع اللغة (Hetero-glossia): بالنسبة لميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin)، يؤيد مصطلح «heteroglossia» على حقيقة أن أي مجتمع يتكون من مجموعات من التكوينات والمصالح المتنوعة. وإن تنوعها يؤدي إلى اختلاف في اللغة (الاستخدام) بحيث يمكن لأعضاء أي مجتمع التحدث دائماً «بأصوات» متنوعة، تكون في تنازع في أي حديثٍ أو كلام. ولقد أَثْبَتَتْ حجج باختين حول تعددية أنواع اللغة بامتياز منقطع النظير بالعودة إلى النموذج الروائي من السرد (GRK).

اللغويات التاريخية (Historical Linguistics): هي دراسة كيفية تغير اللغات على مر الزمن، وتسمى أحياناً فقه اللغة. بعض اللغويين التاريخيين يدرسون لغةً واحدة بالتفصيل، ويبحثون عن نصوص سابقة وعن غيرها من أدلة التغيرات في المفردات والنحو (Grammar) واللفظ. ينظر الآخرون إلى مجموعة اللغات التي لديها أوجه تشابه ويحاولون إعادة بناء اللغة الأصلية التي أدت إليها. في بعض الحالات، يكون لدينا سجلات مكتوبة: فاللاتينية، على سبيل المثال، تطورت لاحقاً إلى الإيطالية، والإسبانية، والرومانية، والفرنسية وإلى اللغات الحديثة الأخرى. ولكن في كثير من الحالات، ليس لدينا أي أدلة مكتوبة: فمن الواضح، على سبيل المثال، أن اللغات الإنجليزية والألمانية والسويدية والآيسلندية يمكن إرجاعها جميعاً إلى لغة أصلية (غالباً ما تسمى اللغة البروتو جرمانية (Proto-Germanic))، ولكن هذه اللغة قد تلاشت تقريباً دون أن تترك أي أثر. ويمكن أيضاً إرجاع اللغة البروتو جرمانية واللغة اللاتينية إلى أبعد من ذلك، أي إلى منبع لغوي مشترك.

وإن الاهتمام الأوسع نطاقاً لعلم اللغة التاريخي هو الآليات التي تتغير اللغة من خلالها وسبب هذا التغيير. فأحياناً تؤثر لغةٌ ما على لغةٍ

أخرى، وهذا ما حصل عندما غزا (النورمنديون) (Normans) بريطانيا حيث اقْتُبِسَت العديد من الكلمات الفرنسية واعْتُمِدَت في الإنجليزية. في حالاتٍ أخرى، تتغير اللغة لأسبابٍ داخلية: فالأحرف *gh* في كلمات مثل الليل(night)كانت تُلْفَظ في الأصل مثل *ch* في الكلمة الاسكتلندية *loch*، ولكن في نهاية المطاف، اختفى هذا المقطع الصوتي من معظم أنواع الإنجليزية (RS).

انظر أيضاً آيتشيزون (Aitchi-son) (هذا الكتاب)، (Diachronic) أي التطورات والتغيرات في اللغة على مر التاريخ و(Synchronic) أي التطورات المتزامنة للغة.

قراءات إضافية:

Trash, R. L. (1996) *Histori-cal Linguistics*, London: Arnold.

هيلمسليف (Hjelmslev):

لويس هيلمسليف (Louis Hjelmslev) (1899-1965) هو عالم لغوي دنماركي وعالم سيمياء، وهو أستاذ فقه اللغة المُقارَن في كوبنهاغن (1937-1965)، ومؤسس النظرية اللغوية التي يُطْلَق عليها اسم glosse-matics أي الرياضيات اللغوية.

إن مشروع الرياضيات اللغوية هو محاولة لجعل طرحِ فرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure) (1916) بأن اللغة هي شكلٌ وليس مضموناً، طرحاً راديكالياً متطرفاً. وقد كان هذا النهج النظري شعارَ مدرسة كوبنهاغن لعلم للغويات (Copenha-gen School of Linguistics). ويَرِدُ جوهر الرياضيات اللغوية في: (*Om-kring sprogteoriens grundlæg-gelse*) (1943)، الترجمة الإنجليزي، **مقدمات إلى نظريةٍ للغة، ملخص نظرية اللغة** (*Résumé of a Theory of Language*) (1975). وكان الهدف من **المقدمات** (*Prolegomena*) هو أن تكون النسخة الشعبية للنظرية، وأن يكون **الملخص** (*Résumé*) هو العرض العلمي البحت. أُعِدَّ الكتابان في نفس الوقت خلال الثلاثينات بالتعاون مع هانز يورغن أولدال (Hans-JØrgen Udldall) (1907-1957)، على الرغم من أن كتابه: **مخطط الرياضيات اللغوية** (*Outline of Glossemat-ics*) (1957) يُظْهِرُ اختلافات جوهرية عن الرياضيات اللغوية في نهجه الشبه ظواهري. أعيدت طباعة سلسلةٍ من مقالات هيلمسليف الأصلية المبدعة للثلاثينات في: **مقالات لغوية** (*Essais Linguistiques*) (1959) **والمقالات اللغوية II** (*Essais Linguistiques II*) (1973) ولقد أسس مع فيغو بروندال

(Viggo BrØndal) الدائرة اللغوية لكوبنهاغن (Cercle Linguistique de Copenhague (1931)، بالإضافة إلى: *Acta Linguistica Hafniensia* (1939–).

إنَّ أعمال هيلمسليف (Hjelmslev) السابقة، **مبادئ النحو العامة** (*Principes de grammaire générale*) (1928)، و**الدراسات البلطية** (*Études Baltiques*) (1932)، **وتصنيف الحالات** (*La catégorie des cas*) (1935-1937) هي أمثلة عن علم اللغة البنيوي السابق لعلم الرياضيات اللغوية. هنا، تماماً كأعضاء مدرسة براغ (Prague School)، يُعَرِّف هيلمسليف الوحدات اللغوية من السمات المميزة لها (Distinctive Features)، أي من العناصر المرتبطة ببعضها من خلال خصائصها الشكلية. ولكن علم الرياضيات اللغوية يضع تعريفات تستند فقط إلى الوظائف، أي إلى العلاقات المستقلة عن العناصر. إذ يجب أن تُعَرَّف جميع العناصر اللغوية، تعريفاً فقط، من خلال علاقاتها المتبادلة، التي تُسَمّى وظائفها. وإن الهدف من التحليل اللغوي هو تحويل الميزات (مثل الحالة، الوضع البنائي للجملة، والوقف المزماري (Glottal Stop... إلخ) إلى وظائف.

ولذلك، سيتشكل المكون اللغوي من الطريقة التي يتم من خلالها إجراء التحليل الراسخ بشكل دقيق: وهي عملية من التجزئات الثنائية للنص المادي. ويتم تعريف الوحدات المعزولة في كل خطوة من التحليل من خلال علاقتها مع الوحدات الأخرى، علماً أن الوحدات ليس لديها خصائص تتجاوز هذا التعريف الوظيفي. الهدف النهائي هو تحويل جميع جوانب النص المتصلة لغوياً ببعضها إلى ثوابت، أي أن الوحدتين هما في علاقة مترابطة أو أنَّ إحدى الوحدات متصلة بالوحدات الأخرى من جانبٍ واحد. وإن بنيةَ ظاهرةٍ لغوية معينة هي نظام العلاقات بين الثوابت. كما أن الوحدات أخرى لديها صلة من جانب واحد، أما الوحدات الواقعة مع بعضها ببساطة فهي المتغيرات.

تسمى الوحدات اللغوية الأساسية (figurae) أي مكونات الدلالات غير المهمة (الإشارات). وبما أنه ليس لديها أي محتوى باستثناء وظيفتها، فإنها خيار عشوائي لما نسميه التعبير ولما نسميه المحتوى. بالإضافة إلى الثبات الصلب للبنية اللغوية، فإن هذه النتيجة الراديكالية المتطرفة هي أساس التأثير السيميائي العام لعلم الرياضيات اللغوية.

تُعَرَّف الإشارة (Sign) على أنها الترابط المتبادل بين مستويين، مستوى التعبير ومستوى المحتوى. الشكلان المترابطان الذان يُسَمَّيان شكل التعبير وشكل المحتوى هما ثوابت المستويين. وإن مُتَغَيِّرَي المستويين هما ما يُسَمَّيَان مادة التعبير ومادة المحتوى (ولقد وصف هيلمسليف المتغير الأخير بغموضٍ فحسب). تتوضح هاتان المادتان من الأشكال الخاصة بها وذلك لإحداث إشارةٍ تتجلى في مادة التعبير المحددة (مثل المادة السمعية للغة الطبيعية) وفي مادةِ محتوىً معين (مثل المحتوى النفسي للنص). يجب دراسة المتغيرات من خلال علوم أخرى غير علم اللغويات من أجل أن تكتسب مكانةً رسمية كثوابت إذا، وفقط إذا، كانت هذه العلوم تتبع الإجراءات الرياضية اللغوية، لتصبح بالنتيجة علوماً سيميائية.

إن التعريف الرسمي للإشارة يسمح لنا بتحليل مستوى المحتوى للإشارة وذلك باتباع نفس المبادئ الأساسية المُتَّبَعَة في تحليل مستوى التعبير. هذا هو أساس علم الدلالة البنيوي كما نفذه ألغيرداس غريماس (Algirdas J. Greimas) (1917-1992) في معظم تفاصيله على أسس رياضية علمية. وإن التركيز على الشكل المحض يعني ضمنياً أيضاً أن مادة التعبير عديمة الصلة بمبادئ التحليل: فالرياضيات اللغوية تنطبق على أي نظام إشاري، بالإضافة إلى قابليتها للتطبيق على الأنظمة غير اللغوية. الشيء نفسه ينطبق على مادة المحتوى: إن أي محتويات أيديولوجية أو نفسية تُعْتَبَر ثانوية مقابل المبادئ الرسمية التي تجعلها في متناول الجميع كمحتويات. هي بدون تعبير أو صياغة رسمية، لا يمكن أن تتواجد كمحتويات، ولكن كأساسٍ مُشَوَّش لا يمكن تحديده ويُسَمَّى المضمون أو المغزى، هذا إذا كانت المحتويات موجودة أصلاً. وإن أي نظام إشاري رسمي يبين المادة بوضوح على المستويين يُسَمَّى النظام السيميائي.

وبما أن الإشارة هي وحدة رسمية، فإن الإشارة ككل قد تكون بحد ذاتها شكلاً للمحتوى أو شكلاً من أشكال التعبير. وبالتالي، يمكن لإشارات نظامٍ إشاري ما أن يكون لديها إشارات نظامٍ إشاري آخر، ولأن يكون لديها ما يسمى بالنظام السيميائي الدلالي، كمستوىً لها للمحتوى، الذي هو بحد ذاته سيميائي شمولي (على سبيل المثال، علم اللغة في مقابل اللغات الطبيعية -Natural Lan)

(guages). أو قد يكون لديها إشارات نظام إشاري آخر كمستوىً للتعبير عنها وبالتالي فهي تشكل نظاماً سيميائياً دلالياً ضمنياً (على سبيل المثال، رموز واستعارات اللغة الأدبية). وبالتالي، فإن اللغة الطبيعية فقط تصبح النظام الإشاري الأساسي عندما يُنْظَرُ إليها على أنها نظام سيميائي دلالي، أي فقط عندما يتم إدماجها وإدخالها في تسلسل هرمي من السيميائية. الهدف النهائي لهذا التقسيم الطبقي الهرمي التدريجي هو جعل النظام السيميائي الشمولي ذو المستوى الأعلى يُحَوِّلُ متغيرات السيميائية في المستويات الأدنى إلى ثوابت. هذا المنظور هو الرؤية السيميائية السائدة والواسعة النطاق لعلم الرياضيات اللغوية (SEL).

انظر أيضاً بارت (Barthes)، الدلالة أو المعنى السطحي (Deno- tation) والدلالة الضمنية أو المعنى الضمني (Denotation).

قراءات إضافية:

Caputo, C. and Galassi, R. (eds) (1985) *Louis Hjelmslev: Linguistica, Semiotica, Epistemologia, II Protagora* IV, 7-8.

Rasmussen, M. (ed.) (1993) *Louis Hjelmslev et la Sémiotique Contemporaine: Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague* XXIV. Copenhagen: Munksgaard.

Siertsema, B. (1954) *A Study of Glossematics*. The Hague: Martinus Nijhoff.

هومبولت (Humboldt):

فيلهلم فون هومبولت (Wilhelm von Humboldt) (1767–1835)، هو ديبلوماسي بروسي وعالم ينظر إلى اللغة كمفتاح لفهم العقل البشري. وقد اعترف العديد من علماء اللغة اللاحقين بتأثيره الهام. ونُشِرَت رائعتُه الإبداعية الأدبية *On the Kawi Language of the Island of Java*، بعد وفاته (1836–9) (RH).

I

IASS: (IASS) هي أوائل حروف الكلمات المتعارف عليها والمستخدمة بشكلٍ شائع الآن، والتي ترمز إلى International Asso-ciation for Semiotic Studies أي الجمعية الدولية للدراسات السيميائية أو دراسات علم دلالات الألفاظ (وهو مجتمع مثقف، يُرْمَز إليه بشكلٍ بديل بـ AISAssociation Internationale: de Sémiotique أي الجمعية العالمية لعلم الإشارات أو علم دلالات الألفاظ). تأسست هذه المنظمة، الثنائية اللغة في بندها التأسيسي، في 21–22 كانون الثاني/ يناير من العام 1969، من قِبَل مجموعة من الأفراد المتشابهي التفكير، الذين اجتمعوا في باريس بمبادرةٍ أولى من إميل بينفينيست (Emile Beveniste) من (Collège de France) (الكلية الفرنسية). منذ تأسيسها، أعلنت الجمعية وسعت إلى الالتزام بثلاثة أهداف أساسية: تطوير الأبحاث السيميائية بروح علمية، وتحفيز التعاون الدولي في هذا المجال، وتشجيع التعاون مع منظمات محلية من جميع أنحاء العالم.

يدير الهيئة الحاكمة اليومية للـ: IASS مسؤولون لفترتين، مدة كل واحدة منها هي عادةً خمس سنوات (باستثناء مسؤول واحد، تكون فترته غير محدودة). ولقد تم انتخاب إميل بينفينيست كأول رئيس سنة 1969، وبقي في هذا المركز حتى وفاته عام 1976. خَلَفَهُ بعد ذلك سيزار سيغر (Cesare Segre) (إيطاليا)، ثم جيرزي

بيلك (Jersy Pelc) (بولندا)، ومن ثم رولاند بوسنر (Roland Posner) (ألمانيا) الذي تولى مسؤولياته في فترته الأولى التي انتهت في العام 1999 ثم باشر فترته الثانية في نفس السنة. هناك حالياً خمس نواب للرئيس: جون ديلي (John Deely) (الولايات المتحدة الأميركية)، جيرارد ديليدال (Gerard Deledalle) (فرنسا)، أدريان جيمات–ويلش (Adrian Gimate-Welsh) (المكسيك)، أليكساندروس لاغوبولوس (Alexandros Ph. Lagopoulos) (اليونان)، وإيرو تاراستي (Eero Tarasti) (فنلندا). (وكان من بين نواب الرؤساء السابقين رومان جاكوبسون (Roman Jakobson) ويوري لوتمان (Yuri M. Lotman) وكانت الأمينة العامة الأولى هي جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) (فرنسا)، التي خلفها بعد استقالتها من هذا المنصب أمبرتو إيكو (Umberto Eco) (إيطاليا)؛ ويشغل هذا المنصب حالياً جيف برنارد (النمسا)). كان أول أمين للصندوق هو جاك دجينيناسكا (Jacques Geninasca) (سويسرا)، الذي خلفته فيما بعد ذلك غلوريا ويتالم (Gloria Withalm) (النمسا)، وتشغل هذا المنصب حالياً ماغدولنا أوروسز (Magdolna Orosz) (هنغاريا). وهناك مسؤول تاسع يُدْعى توماس أ. سيبيوك (Thomas A. Sebeok) (الولايات المتحدة الأميركية)، وهو رئيس تحرير مجلة **السيمياء** (*Semiotica*).

يرفع المسؤولون تقاريرهم، ويُنْتَخَبون بدورهم مرةً كل خمس سنوات أو أكثر من قِبَل أعضاء الجمعية العامة، بالإضافة إلى لجنة تنفيذية يتم اختيارها (حالياً) من ضمن ثماني وثلاثين دولة مختلفة.

إحدى المسؤوليات الرئيسية للهيئة هي تنظيم مؤتمرات دولية (International Congresses) دورية، لفترات تستمر لخمس سنوات عادةً. ولقد تمَّ عقد المؤتمر الأول بدعوةٍ من أمبرتو إيكو في ميلان عام 1974، وتلاه مؤتمرات أخرى في فيينا (1979)، وباليرمو (1984)، وبرشلونة/ بيربينيان (Perpignan) (1989)، وبركلي (1994)، وغوادالاخارا (Guadalajara) (1997)، وديرسدن (1999).

النشاط الأساسي الآخر لـ: IASS هو المشاركة في الرعاية مع موتون (Mouton) (سابقاً لاهاي، وحالياً موتون دو غرويتر (Mouton de

(Gruyter، برلين) للإصدار الأفضل من نوعه للـ: IASS، أي مجلة *Semi-otica*، التي أُنْشِأَت في العام 1969، وهي تُنْشَر حالياً في ألفي صفحة سنوياً. بحلول نهاية العام 1999، ستكون هذه المجلة قد ظهرت في مئة وسبعةٍ وعشرين مجلداً، وفي دليلٍ من ثمانمائة صفحة للمجلدات من 1–100 التي نُشِرَت في العام 1994، وسوف تكون قد استُكْمِلَت بقائمة الباحث Finder List والمُحَدَّثة حتى منتصف العام 1999. وتُصْدِر سكرتارية فيينا أيضاً نشرات تثقيفية، ونشرات إخبارية، حول عمل الـ: IASS خلال حقبات زمنية منتظمة (TAS).

قراءات إضافية:

Website of the IASS-AIS: http://vhf.msh-paris.fr\escom\AIS\sem-www/w3-1-assoc.html

التمثيل الصوري (الأيقونة) (Icon): واحد من الأنواع الثلاثة للإشارات التي حددها تشارلز ساندرز بيرس (Charles S. Peirce)، النوعان الآخران هما المؤشر (Index) والرمز (Symbol). يتميز التمثيل الصوري بوجود علاقة تشابه بين الإشارة (Sign) وموضوعها (Object). ولكن لن يكفي التشابه بمفرده لتحديد الإشارة الصورية الأيقونية. إذ مثلاً يبدو التوأمان متشابهين ولكنهما ليسا إشارتين لبعضهما البعض. تبدو صورة انعكاسي في المرآة مشابهةً لي تماماً ولكنها ليست إشارةً تمثيلية صورية. لتحصل الإشارات التمثيلية الصورية على تأثير التقليد أو العادة (Habit)، يجب إضافة الممارسات الاجتماعية أو الوظائف الخاصة إلى التشابه. التشابه التمثيلي الصوري هو نوعٌ خاص من التشابه: هو تجريد على أساس التقليد (العرف)، لأنه يعطي امتيازات لبعض سمات التشابه دون غيرها. فالتشابه بين ورقة نقدية وأخرى بقيمة 50$ هو بدون شك إشارة إلى أن الورقة النقدية الأولى هي بقيمة 50$ أيضاً. لكن إذا كان التشابه كاملاً لدرجة أن الأرقام التسلسلية لكلٍ من الورقتين النقديتين متطابقة، يصبح لدينا ورقة نقدية مزورة لا يمكن أن تنفذ وظيفةً مشروعة كإشارة تمثيلية صورية (أيقونية) في الأسواق المالية. وبالمثل، كما يقول بيرس، التمثيل الصوري هو الإشارة الأكثر استقلاليةً عن التقليد والسببية/التقارب: «التمثيل الصوري هو الإشارة التي تمتلك الميزة التي تجعلها بالغة الأهمية، رغم أن موضوعها لا وجود

له، مثل خط قلم الرصاص الذي يمثل خطاً هندسياً» (*CP* 2.304) (SP).

الفكري (**Ideational**): هو مصطلح في النحو الوظيفي المنهجي (Systemic Functional Grammar) ويَفْتَرِض أن أي إشارة سيميائية يجب أن يكون لديها السهولة في الإخبار عن القضايا والأحداث في العالم. تشير الوظيفة الفكرية إلى مشاركين بارزين، وإلى العمليات التي تربطهم ببعضهم، والتي يمكن رؤيتها عادةً «كمحتوى» لجملةٍ ما (GRK).

انظر العلائقية ما بين الأشخاص (Interpersonal) والنصي (Textual).

Idiom: المصطلح هو عبارة أصبح لها معنىً لا ينتج ببساطة عن مجرد جمع معاني أجزاء العبارة. فمعنى جملة: صعدنا إلى الجبل (We Went up the Mountain) مرتبطٌ ببساطة بمعنى الكلمات في الجملة. على العكس من ذلك، فإن جملة: نحن نعاني من صعوبات (*We are up the Creek*) لا تعبر فقط عن معاني كل كلمة في الجملة: إذ إن لمجموع هذه الكلمات معنىً خاص، وفي هذه الحالة *up the Creek* هو مصطلح يعني «في صعوبات» (RS).

إنجاز أو تحقيق الكلام، الكلام المنجز او المتحقق فعلاً (Il-locution, Illocutionary):في إطار المصطلحات التي قدَّمَها أوستن (Austin) (1962) ليجاريَ التعدد الوظيفي لكل الألفاظ التالية (عبارة(Locution)– قول محقق (Il-locution)– كلام (Perlocution))، فإن القول المحقق يشير إلى نوعٍ من الفعل الذي يتحقق بقول شيءٍ ما: بالسؤال أو بالإجابة على سؤال يلقي أمراً أو تنبيهاً، أو يعطي تعهداً أو تصريحاً أو ما شابه ذلك. السؤال الأساسي هو: ما هي الطريقة التي يمكن من خلالها لفظ العبارة في مناسبةٍ معينة في الاستخدام؟ والجواب على هذا السؤال هو تقييم لوظيفةِ ما يقال أو لقوة الكلام (المحقق). يشير أسلوب الكلام إلى إجراء نوع من الفعل الذي يتحقق عند قول شيءٍ ما: السؤال أو الإجابة عن سؤال، إعطاء أمر أو إنذار، التعبير عن تعهد أو تصريح. السؤال الأساسي هو: ما هي الطريقة لاستخدام أسلوب الكلام؟ والجواب هو تقييم عملية ما يقال أو قوة الاسلوب في الكلام. بالرغم من أن القول المحقق هو في الأساس فئة وظيفية، فهو ليس مرتبطاً بالمظاهر

الشكلية. فغالباً، هناك (مؤشرات) (Markers) واضحة ذات قوة كلامية تدعى القوة الكلامية التحقيقية التي تشير إلى أدواتٍ كالأفعال الأدائية (Performative Verbs) (مثل أَعِدُ أن آتيَ غداً -*I promise to come tomor-row*)، أو كالصيغة الاستفهامية التي تدل على سؤال، أو على نفي (مثلاً not التي تحوِّل الوعد إلى رفض كما في الجملة: لا أعِدُ بأنني سآتي غداً *I do not promise to come tomor-row*). في النصوص المعدلة لنظرية فعل الكلام (Searle (Speech Act) 1976 sq.)، تم تقديم مفهوم الغاية الكلامية التحقيقية كواحدة من القِيَم الوسيطة التي يمكن تمييز أنواع من الأفعال الكلامية التحقيقية بموازاتها: فالغاية من الجملة التأكيدية هي عرض قضية معينة؛ والغاية من الجملة التوجيهية هي توجيه السامع ليفعل شيئاً ما؛ والغاية من عبارة الالتزام هي أن المتكلم/ المتكلمة يتعهد/ تتعهد بأن يفعل/ تفعل شيئاً ما؛ والغاية من الجملة التعبيرية هي التعبير عن حالةٍ نفسية ما؛ والغاية من الإقرار أو التصريح هي إحداث شيءٍ ما في العالم (JV).

قراءات إضافية:

Austin, J. L. (1962) *How to Do Things with words*, ed. J.O. Urmson, Oxford: Oxford University Press. (2nd rev. edn, 1975, eds J. O. Urmson and M. Sbisà, Cambridge, MA: Harvard University Press).

المؤشر (Index): واحد من الأنواع الثلاثة للإشارة التي حددها تشارلز ساندرز بيرس (Charles S. Peirce)، النوعان الآخران هما التمثيل الصوري (Icon) والرمز (Symbol). المؤشر هو إشارة تدل على شيءٍ ما بواسطة علاقة تقارُبية، سببية أو عن طريق صلة مادية. ولكن هذه العلاقة تعتمد أيضاً على العادة (Habit) أو الاصطلاح. مثال على ذلك هو الرابط بين سماع قرعٍ على الباب وبين الشخص الموجود على الجهة الأخرى من الباب والذي يريد الدخول. هنا يلعب الاصطلاح دوره في الربط بين القرع على البابوبين الشخص الذي يقرع الباب، ولكن التقارب/ السببية يسيطر علينا لدرجة أننا نستغرب إذا فتحنا الباب ولم نجد أحداً. تشتمل أنواع المؤشرات على:

1. الأعراض، الطبية، النفسية، من الظواهر الطبيعية (التقارب الواقعي + السببية الفعلية)؛

2. الدلائل، الظواهر الطبيعية، المواقف والميول (التقارب المُفْتَرَض + السببية غير الفعلية)

3. الآثار، الجسدية أو العقلية (التقارب غير الفعلي + السببية المُفْتَرَضة)

يقول بيرس (Peirce) بأن «المؤشر» هو إشارة تَفْقِدُ في الحال الميزة التي تجعلها إشارةً في حال تمت إزالة الشيء الذي ترمز له، ولكنها لا تفقد هذه الميزة إذا لم يكن هناك مُفَسِّر (SP) (CP 2.304).

العلائقية ما بين الأشخاص (Interpersonal): إن وظيفة العلاقة بين الأشخاص تُعْنى بتنظيم وشكل (الجملة (Clause)) اللغة كوسيلةٍ للتعبير عن العلاقات الاجتماعية بين أولئك الذين يشاركون في التواصل. وهي تهتم بالتعبير عن القوة والتضامن في العلاقات الاجتماعية (GRK).

انظر الفكري (Ideational) والنَّصِّي (Textual).

المُفسِّر (Interpretant): هو مفهوم أتت به سيميائية تشارلز س. بيرس (Charles S. Peirce). فوِفقاً لـبيرس (Peirce)، النشاط الإشاري (Semiosis) هو عمليةٌ تكاملية ثلاثية تتضمن مكوناتها الإشارة (Sign) (أو التمثيل (representamen))، الشيء (Object) والمُفَسِّر.

الإشارة، أو التمثيل، هي أولٌ يدخل في علاقة ثلاثية أصيلة مع ثانٍ، ويسمى الشيء، ليكون قادراً على تحديد ثالث يسمى مُفَسِّر الإشارة، ليفترض نفس العلاقة الثلاثية مع شيئه الذي يمثل بذاته نفس الهدف.

(CP 2.274)

لذلك فإن الإشارة تدل على أمرٍ ما، هو شيئها، الذي «يتحدد بمساعدة وسيط» (المصدر نفسه، 8.343)، «وليس في جميع النواحي، ولكن في إشارةٍ إلى نوعٍ ما من فكرة» (المصدر نفسه، 2.228). ولكن الإشارة تستطيع أن تقوم بهذا الأمر إذا كانت تحدد المُفَسِّر الذي «يتحدد بدوره بمساعدة وسيط من خلال ذلك الشيء» (المصدر نفسه، 8.343). تتوسط الإشارة بين الإشارة المُفَسِّرَة وشيئها» طالما أن الأولى تتحدد بشيئها تحت اعتبارٍ معين أو فكرة، أو

أساس (Ground)، وهي تحدد المفسر «بطريقة تُدْخِلُ فيها المفسر في علاقةٍ مع الشيء تتوافق مع علاقتها الخاصة بالشيء» (المصدر نفسه، 8.332).

إن مُفَسِّر الإشارة هو إشارة أخرى يخلقها المُفَسِّر في مُقّدِّم التفسير (interpreter). هذه «إشارةٌ مُعادِلة، أو ربما هي إشارةٌ أكثر تطوراً» (المصدر نفسه، 2.228). لذلك فإن الإشارة المُفَسِّرَة لا يمكن أن تكون متطابقةً مع الإشارة المُفَسَّرَة، وهي لا يمكن أن تتكرر، لأنها بالضبط أداة وسيطة تفسيرية ولذلك فهي دائماً شيءٌ جديد. فيما يخص الإشارة الأولى، المُفَسِّر هو استجابة، وهو بذلك يفتتح عملية إشاريةً جديدة، أي نشاطاً إشارياً جديداً. وهو بهذا المعنى يُعْتَبَرُ إشارةً أكثَرَ تطوراً. كإشارة، يحدد المفسِّر إشارةً أخرى تعمل بدورها كمُفَسِّر: لذلك فإن المُفَسِّر يفتح المجال لنشاطات إشارية جديدة، ويطور العملية الإشارية، وهو حَدَثٌ إشاريٌّ جديد. وفي الحقيقة، يمكن القول أنه في كل مرة يكون هناك حدث إشاري يتضمن «الإشارة الأولى»، يكون لدينا «ثالث»، شيء وسيط، إستجابة، إبداع تفسيري، مُفَسِّر. إذاً، الإشارة هي في تكوينها مُفَسِّر (Petrilli 1998d.I.1). وإن حقيقة أن المفسر (ثالث) هو بدوره إشارة (أولى)، وأن الإشارة (أولى) هي بدورها مُفَسِّر (هو أصلاً ثالث) تضع الإشارة في شبكة مفتوحة من المُفَسِّرات: هذا هو مبدأ بيرس (Peirce) في النشاط الإشاري اللامحدود أو في السلسلة اللامتناهية من المُفَسِّرات (*CP* 1.339).

لذلك فإن معنى (Meaning) الإشارة هو إجابة، أو مُفَسِّر يستدعي استجابةً أخرى، أو مُفَسِّراً آخر. وهذا يدل ضمنياً على الطبيعة الحوارية للإشارة وللنشاط الإشاري. تحصل الإشارة على معناها في إشارةٍ أخرى تستجيب لها، والتي هي بدورها إشارة إذا تواجدت إشارةٌ أخرى تستجيب لها وتفسرها، ويستمر الأمر هكذا إلى ما لا نهاية. في مصطلح أوغوستو بونزيو (Augusto Ponzio 1985, 1990b)، «الإشارة الأولى» في العلاقة الثلاثية للنشاط الإشاري، الشيء الذي يتلقى المعنى، هو المُفَسَّر، وما يمنح المعنى هو المُفَسِّر، الذي يمكن أن ينتمي إلى نوعين رئيسيين. المُفَسِّر الذي يمنح القدرة على تمييز الإشارة هو مُفَسِّرٌ تعريفي، وهو مرتبط بالمؤشر، الرمز (Code) والنظام الإشاري. المفسر الخاص للإشارة، ذلك الذي يفسر

المغزى أو المعنى الفعلي، هو مُفَسِّر فهم الإجابة. هذا النوع الثاني من المفسر لا يقتصر على تحديد المُفَسَّر فقط، وإنما يعبر عن معناه العملي الدقيق، واضعاً إياه في علاقة التزام ومشاركة: إذ يستجيب المُفَسِّر للمُفَسَّر ويتخذ موقفاً تجاهه.

للمفهوم الثنائي للمفسر نفس توجه السيميائية عند بيرس (Peirce) والتي لا يمكن فصلها عن براغماتيته (Pragmatism). في رسالة موجهة في العام 1904 إلى فيكتوريا ويلبي (Vic-toria Welby)، كتب بيرس (Peirce) أنه إذا اخذنا الإشارة بمعناها الواسع جداً، فإن مُفَسِّرَها ليس بالضرورة إشارة بما أنه يمكن أن يكون فعلاً أو تجربةً أو حتى شعوراً فقط (cf. *CP* 8.332). هنا تُفْهَم الإشارة بالمعنى الضيق بشرط أن لا يكون المفسر، كاستجابة تدل على شيءٍ ما أو تعطي أهميةً لشيءٍ ما وبذلك تصبح إشارة، قادراً بدوره على أن يكون أي شيء آخر غير الحدث الإشاري، أو الفعل الإشاري، حتى وإن كان عملاً أو شعوراً. في أي حال، نحن نعالج ما نسميه «مفسر فهم الإجابة»، أي بالنتيجة نعالج الإشارة. بدلاً من ذلك وتماشياً مع هوسه بالثلاثية، يُمَيِّز بيرس في تصنيفه للمفسرات بين المشاعر، والجهود، والإشارات (المصدر نفسه، 4.536). وفي إحدى مخطوطاته(*MS* 318 ، التي نشر جزءٌ منها في *CP* 5.464 -496) cf. Short 1998)، يُمَيِّز بيرس أيضاً بين المفسر العاطفي، والحيوي، والمنطقي. هذا الأخير مع الثالوث المؤلَّف من «المباشر»، «الديناميكي»، و«المفسر النهائي»، ربما يكونان الثالوثين الأكثر شهرةً من بين العديد مما قام بيرس بوصفه لتصنيف المظاهر المختلفة للمفسِّر.

العلاقة بين الإشارة والمُفَسِّر لها نتائج ذات نظام سيميائي لدراسة رموز الإشارات وذات نظام منطقي لدراسة رموز الاستدلال والحجة. ما إذا كان عندنا تمثيل صوري (Icon)، أو مؤشر (Index) أو رمز (Symbol) يعتمد على طريقة تنظيم هذه العلاقة. وبما أن العلاقة بين المقدمات المنطقية والاستنتاج هي أيضاً تُفْهَم تِبْعاً للعلاقة بين الإشارة والمُفَسِّر، فإن الثلاثي الذي يشتمل على الإبعاد (Abduc-tion)، والاستقراء، والاستنتاج يعتمد عليها أيضاً (SP).

انظر أيضاً الحوار (Dialogue)، النشاط الإشاري اللامحدود (Un-

(Firstness) الأولية، limited Semiosis) (Secondness) الثانيَّة، والثالثيَّة (Thirdness).

قراءات إضافية:

Merrell, F. (1993) «Is meaning possible within indefinite semiosis?», *American Journal of semiotics* 10 (3/4): 167-96.

Peirce, C. S. (1955) «Logic as semiotic: The theory of signs», in J. Buchler (eds). *Philosophical Writings of Peirce*, New York: Dover.

Peirce, C. S. (1992) «Some consequences of four incapacities», in N. Houser and C. Kloesel (eds) *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 1, Bloomington, IND: Indiana University Press, pp. 83-105.

IPRA هي أوائل حروف الكلمات التالية: International Pragmatics Association (أي الجمعية البراغماتية الدولية)، وهي منظمة دولية علمية مكرسة لدراسات البراغماتية (Pragmatics) بأوسع معانيها كمنظور معرفي واجتماعي وثقافي للغة ولاستخدام اللغة. بعد تأسيسها في العام 1986، ضمت الـ IPRA فيها حوالي ألف وخمسمائة عضواً من أكثر من ستين بلداً حول العالم؛ وهي تنظم المؤتمرات البراغماتية الدولية International Pragmatics Conferences وتنشر (أي البراغماتية) *Pragmatics*: وهي إصدارٌ فصلي للجمعية البراغماتية العالمية Quarterly Publication of the International Pragmatics Association؛ ويتم تنسيق النشاطات البحثية في IPrA Research Center (أي مركز الـ IPrA للبحث)، الذي تستضيفه جامعة أنتويرب (University of Antwerp)، في بلجيكا (JV).

قراءات إضافية:

Website of the IPrA: http://ipra-www.uia.ac.be/ipra/



J

جاكوبسون (Jakobson): رومان أوسيبوفيتش جاكوبسون (Roman Osipovič Jakobson) (1896–1982). أحد أهم مساهمي القرن العشرين في النظرية العلمية للغة كنظامٍ سيميائي. تَخَرَّجَ جاكوبسون من معهد لازاريف في العام 1915، ثم التحق بجامعة موسكو (Moscow University). وهو مؤسس مشارك لـ: Moscow Linguistics Circle (الدائرة اللغوية لموسكو) في العام 1915، St Petersburg's OPOJAZ (أوبوجاز لسينت بيترزبرغ) (وهي جمعيةٌ تهدف إلى دراسة اللغة الشعرية)، و(Prague Linguistic Circle (Hd) الدائرة اللغوية لبراغ) في العام 1926. يمكن تقسيم منحته الدراسية إلى فترته في موسكو (1915-1926)، وفترته في تشيكوسلوفاكيا (1926-1939) وفترته في أميركا (1949-1982). وهو معروفٌ أصلاً كممثل **للشكلية الروسية** (Russian Formalism)، وأصبح أحد أهم ناقديها، وبالتالي أصبح مشاركاً أساسياً في النموذج البنيوي (Structuralist). بحلول العام 1957، أصبح جاكوبسون أول عالم يشغل كرسيين في آن واحد، في كل من هارفرد (بالتحديد منصب أستاذ اللغات والآداب السلافية لساموييل هازارد كروس (Samuel Hazzard Cross Professor of Slavic Languages and Literatures) ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (Massachusetts Institute of Technol-

(ogy. تتضمن ارتباطاته الأميركية الأخرى: معهد سالك للدراسات البيولوجية (Salk Institute for Biological Studies) وكذلك الحقبة التي قضاها كرئيس الـ: المجتمع اللغوي لأميركا (Linguistic Society of America).

كان جاكوبسون قوةً أساسية في جلب ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin) وتشارلز ساندرز بيرس (Charles S. Peirce) إلى طليعة المجتمع الأميركي للمثقفين المُكَرَّس للدراسات الأدبية واللغوية على التوالي. تضمنت مساهماته النظرية نظرية متطورة حول الثبات في دراسة اللغة الإنسانية والأنظمة السيميائية، وحول إعادة تقييم لنظرة سوسور للغة، وكذلك تضمنت مفهوماً معقداً عن الذاتية النسبية، وعلاقات التمييز غير المتطابقة، ونموذج فعل الكلام المتعدد الأوجه الذي يستمر في لعب دور عميق في نمذجة (Modeling) لغة الإنسان. بعض أبرز مساهمات جاكوبسون المنشورة تضم: **ملاحظات حول التطور الصوتي للغة الروسية بالمقارنة مع اللغات السلافية الأخرى** (*Remarques sur l'évolution phonologique du russe comparée à celle des autres langues slaves*)، و(*Musikwissenschaft und Linguistic*) (1932)، و(*Beirtag zur allgemeinen Kasuslehre*) (1936)، و**الإشارة صفر** (*Signe Zéro*) (1939)، و**مقدمات لتحليل الكلام** (*Analysis- Preliminaries to Speech*) (1952)، و*Morfologičeskie nabljudenija nad slavjanskim skloneniem* (1958)، **علم اللغويات (والشعرية)** (*Linguistics and Poetics*) (1960)، و**شعر النحو ونحو الشعر** (*Poetry of Grammar and Grammar of Poetry*) (1961) (EA).

انظر أيضاً سوسور (Saussure) ومدرسة براغ (Prague School).

قراءات إضافية:

Jakobson, R. (1987) *Language in Literature*, ed. K. Pomorska and S. Rudy, Cambridge, MA: Belknap Press.

Jakobson, R. (1995) *On Language*, ed. L. R. Waugh and M.

Monville-Burston, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Waugh, L. R (1998) «Semiotics and language: The work of Roman Jakobson», in R. Kevelson (ed.) *Hi-Fives: A Trip to Se-*

miotics, New York: Peter Lang.

جيسبرسن (Jespersen): جنز– أوتو هاري جيسبرسن (Jens Otto Harry Jespersen) (1860-1943) هو عالم لغوي دنماركي، وأستاذ للغة الإنجليزية في جامعة كوبنهاغن (1893-1925). كان جيسبرسن مصلحاً لامعاً ومنتجاً على نحوٍ هائل، ولقد اتسعت اهتماماته لتشمل تقريباً كلَّ مجالٍ من مجالات دراسة وتعليم اللغات، وكان لأفكاره الحديثة بشكل جذري تأثير مهم على اتجاه علم اللغويات ومنهجية تدريس اللغات. ففي عصرٍ كانت تُعْتَبَر فيه اللغة الحديثة أقل شأناً من اللغة اللاتينية واليونانية كمواضع لاهتمام العلماء، حيث فُرِضَت فئات قواعد اللغة اللاتينية على وصف أي لغةٍ أخرى كأمرٍ واقع، وحيث كانت الطريقة الوحيدة لتدريس لغة أجنبيةٍ تتم من خلال الترجمة والتعلم عن ظهر قلب من النماذج النحوية، كان جيسبرسن يشن حملةً لتعزيز مكانة اللغات الحديثة كموضوعات مستقلة للدراسة، ولتحسين تدريس اللغة الحديثة من خلال تطبيق أبحاثه الخاصة والرائدة في علم الأصوات (Phonetics).

ذلك العمل الضخم: **قواعد اللغة الإنجليزية الحديثة على أسس تاريخية** (*Modern English Grammar on Historical Principles,* I-VII) (1909-49) والتي هي إحدى **القواعد** (*Grammars*) «التقليدية» البارزة للغة الإنجليزية. ومع ذلك، عند إعداد فئات من نوع الصنف النحوي والصلة، ولدى الربط بين الجمل المبنية للمعلوم والجمل المبنية للمجهول كتركيبات ذات صلة في هذا الكتاب وفي غيره من الأعمال مثل **فلسفة القواعد اللغوية** (*The Philosophy of Grammar*) (1924) – قدم جيسبرسن اقتراحات مثمرة لعلماء النحو اللاحقين الذين ينتمون إلى مدارس مختلفة من الفكر. وعلى الرغم من أن الحركة البنيوية الأميركية أدانت نهج جيسبرسن «المفهومي»، كان تشومسكي (Chomsky) وغيره من النحويين التحويليين يحتجون به في المقابل في هجماتهم ضد البنيويين (Structural-ists)، في الوقت الذي كان فيه هذا النهج، وبشكل يدعو للسخرية، مؤثراً في أصول الحركات المؤيدة للوظائفية بعيداً عن النحو التحويلي (Transfor-mational Grammar).

عمله الأكثر شهرةً هو بلا شك

كان جيسبرسن مفكراً أصيلاً،

وكثيراً ما كانت ملاحظاته الحادة وتأملاته في اللغة سابقةً لعصره. وكانت دراسته للغة الطفل *Nutidssprog hos börn og voxne* (1916) مستوحاةً من إدراكه بأنه:

يمكن للمرء أن يقرأ صفحةً بعد صفحة، أو في الحقيقة حتى كتاباً بعد كتاب لمعظم علماء اللغة الحديثين دون أن يصادف كلمة طفل في أي مكان من الكتاب (أو لهذه المسألة دون أن يصادف كلمة امرأة) في محاولاتٍ لتفسير تطور اللغات. (Juul et al. 1995, p. 120)

وكما تمت الإشارة إليه سابقاً (Bull 1996)، فإنه على الرغم من أن توصيف جيسبرسن اللغوي «للمرأة» والمُقْتَبَس في كثير من الأحيان (انظر الفصل الذي يحمل هذا العنوان في: **اللغة: طبيعتها، تطورها وأصلها** (*Language: Its nature, Development and Origin*) [1922]) ورد بشكل عام فقط كمجرد انعكاس فضولي للأحكام المسبقة في وقته، فإنه لا يختلف بشكلٍ جوهري عن وصف روبن لاكوف (Robin Lakoff) (1975) «للغة المرأة»– بعبارات أنثوية. لكنه كان أيضاً من المدافعين المتحمسين عن الداروينية اللغوية التي تعتبر أن التغير اللغوي يمكن أن يُنْظَرَ إليه كتطور وتقدم، كما في: **الفعالية في تغير اللغة** (*Efficiency in Linguistic Change*) (1941)، وهو بنفسه ساعد على هذا التطور من خلال مشاركته في الجهود الرامية إلى بناء لغة دولية مُساعِدة.

في الواقع، كان للكثير من أعمال جيسبرسن توجه عملي. وتابع فكرته حول تدريس اللغة الإنجليزية على أساس اللغة المنطوقة من خلال استخدام النسخ الصوتي جنباً إلى جنب مع النص المكتوب بالأحرف العادية في كتبه الموجهة إلى المتعلمين، والتي استُخدمت لسنوات في المدارس الدنماركية. ولقد كتب أيضاً أحد الكتب الأكثر استخداماً وعلى أوسع نطاق في تاريخ اللغة الإنجليزية في هذا القرن وهو: **نمو وبنية اللغة الإنجليزية** (*Growth and Structure of the English Language*) (1905). وتُرْجِمَت العديد من أعماله المكتوبة باللغة الدنمركية إلى لغاتٍ أخرى (BP).

قراءات إضافية:

Jespersen, O. (1922) *Language: Its Nature, Development and Origin*, London: Allen and Unwin.

Autobiography with Notes, Photos and a Bibliography, trans. D. Stoner, Odense: Odense University Press.

Jespersen, O. (1924) *The Philosophy of Grammar*, London: Allen and Unwin.

Juul, A. et al. (eds) (1995) *A Linguist's Life: An English Translation of Otto Jespersen's*



K

كَنْت (Kant): إيمانويل كَنْت (Immnanuel Kant) (1724-1804): هو فيلسوف عملاق غَيَّرَ مجرى الفلسفة الحديثة من خلال طرحه للسؤال الثوري: «ما الذي يجعل المعرفة التأليفية البديهية ممكنة؟» يجيب كَنْت على هذا السؤال بأننا لا ينبغي أن تفترض أن جميع المعارف تنشأ من مواضيع الفكر وتتوافق معها ولكن، بدلاً من ذلك، ينبغي أن نفترض أن كل مواضيع الفكر تتوافق مع القدرات المعرفية أو مع شروط الخبرة. ويُعْرَف هذا التحول في النظرة إلى المعرفة بثورة كَنْت الكوبرنيكية في الفلسفة. فوفقاً لكَنْت، بما أن المكان والزمان هي أشكال من الحس الإنساني، وهي بالتالي، شروطٌ ضرورية للتجربة الإنسانية، يترتب على ذلك بداهةً أن كافة الأشياء القابلة للتجربة الممكنة سوف تكون واقعةً في المكان والزمان. هذا هو الاستنتاج الواقع وراء نطاق الخبرة البشرية. وإن نتيجة ميتافيزيقيا كَنْت هي أننا نستطيع فقط معرفة الأشياء كما تظهر أمامنا (الظواهر) وليس كما هي في ذاتها (noumena or *Ding an sich*). تلك هي مثالية كَنْت التي تفوق نطاق الخبرة البشرية.

يُسَلِّم كَنْت جدلاً أيضاً أن الفهم الإنساني يفترض، كمبدأ تنظيمي، أن الطبيعة هادفة. في فلسفته الأخلاقية، يميز كَنْت بين صِيَغ الأمر الافتراضية، حيث لا يمكن فهم الفعل إلا في علاقته مع الأهداف الإنسانية، وبين

صِيَغ الأمر التصنيفية، حيث تحتكم أوامر الفعل إلى الواجب، وليس إلى الهدف. إن صيغة الأمر التصنيفية عند كَنْت والمُعَبَّر عنها بشكلٍ عام كالآتي: «الصيغة التي تعمل فقط على المبدأ الذي يمكن أن تنويَ أن تجعله بنفسكَ قانوناً عالمياً في نفس الوقت،» تعيد إلى الأذهان «القاعدة الذهبية». وعلى الرغم من أن تشارلز ساندرز بيرس (Charles S. Peirce) كان متأثراً إلى حدٍّ بعيد بكَنْت، فإنه أخذ بالرأي القائل بأن وحدة الفكر تعتمد على طبيعة العقل البشري بدلاً من أن تعتمد على «الأشياء في حد ذاتها» لتكون شكلاً من أشكال الاسمية (NH).

قراءات إضافية:

Körner, S. (1955) *Kant*, London: Penguin Books.

دراسة الحركات الجسدية (Kinesics): في العام 1952، عرَّف بيردويستيل (Birdwhistell) مصطلح الـ: Kinesics أي دراسة الحركات الجسدية كشكلٍ من أشكال التواصل للدلالة على دراسة حركة الجسد كوسيلة للتواصل في التفاعل المُباشَر (وجهاً لوجه) الذي يُنْظَرُ فيه إلى حركات الوجه والرأس واليدين والجسم كله كحركاتٍ مُنَظَّمة ثقافياً، يتعلمها الأفراد عندما يصبحون مؤهلين لاستخدام نظم التواصل الموجودة في ثقافتهم وذلك من دون وساطة. تم تطوير دراسة الحركات الجسدية كجزءٍ من المحاولة لتوسيع نطاق التقنيات التحليلية اللغوية الهيكلية بهدف تغطية جميع جوانب السلوك المُشارِكة في التفاعل المباشر. اقترح بيردويستيل مصطلحاتٍ وإطاراً مفاهيمياً متوازياً مع ذلك المُسْتَخْدَم في علم اللغة. حيث أُطْلِقَ اسم Kineme أي الوحدة الحركية على الوحدة الأقل تمييزاً في حركة الجسم والتي تُحْدِثُ تبايناً في المعنى (بالموازاة مع الـ: phoneme أو الوحدة الصوتية). ولقد اندمجت الوحدات الحركية مع الأشكال الحركية (Kinemorphs) التي اقتُرِحَت بدورها كمكوناتٍ لبنيات الأشكال الحركية. وإن محاولات تحليل حركة الجسم بهذه العبارات نادراً ما كانت أكثر من محاولاتٍ برمجية تصويرية، ولكن هذا المفهوم كان مؤثراً إلى حد بعيد في تنمية الوعي بأهمية دور الحركات الجسدية المرئية في التواصل. اليوم، يمكن إيجاد «دراسات الحركات الجسدية» (Ki-nesics) في قواميس اللغة الإنجليزية

حيث يتم تعريفها على أنها دراسة كيفية نقل حركات الجسم للمعنى. وهي تُسْتَخْدَم أيضاً للإشارة إلى تلك الحركات التي يحدثها الشخص والتي تُعْتَبَر ناقلةً للمعنى (AK).

انظر أيضاً ستوكو (Stokoe) (هذا الكتاب)، سيبيوك (Sebeok) (هذا الكتاب) والإيماءات (Gesture).

قراءات إضافية:

Birdwhistell, R. L. (1970) *Kinesics and Context*, Philadel phia: University of Pennsylvania Press.

كريس (Kress): كان غونثر كريس (Gunther Kress) (مواليد العام 1942) أساسياً في صياغة السيميائية الاجتماعية كوسيلة ذات حد قاطع في الاستقصاء عن التنوع في الإنتاج التمثيلي في الواقع المعاصر. تأسست السيميائية الاجتماعية على أسس النظرية الاجتماعية للإشارة وادَّعت بأن العلاقة بين الدال والمدلول ليست اعتباطية وإنما مُوَجَّهَة. لم يقتصر كريس على هذا فقط، وإنما أصر على فكرة أن هناك علاقة موجَّهة دافعية بين عالَم الإشارة – المستخدم والدال. وتستند هذه النظرية إلى الاعتراف بأن البشر يُصْدِرون إشاراتٍ كنتيجة لعملهم المُشارِك كأفرادٍ تم تشكيلهم ثقافياً وتاريخياً ضمن سياقاتٍ اجتماعية معينة وضمن علاقاتٍ من القوة. من خلال وضع البيئات الاجتماعية والثقافية البشرية في مركز التحليل السيميائي، يؤكد كريس على صناعة المعنى كفعل غير ثابت وتحويلي يُحْدِثُ تغييراً في الشيء الذي يتم تحويله وفي الفرد المسؤول عن هذا التحول على حدٍّ سواء. وإن صنع المعنى هو عملية مستمرة لإعادة تصميم الموارد المتاحة للتمثيل، وبالتالي فإن صناعة الإشارات ليست عملاً من أعمال التقليد وإنما هي من الأعمال الإبداعية والابتكارية.

إن عمل كريس على تعدد الوسائط يُبْعِدُ عن التركيز اللغة المكتوبة كنمطٍ سائدٍ من التمثيل في العالم المعاصر الذي يتجه بشكل متزايد نحو إعطاء امتياز أكبر للوسائط المتعددة للتواصل، وخاصةً للوسيط البصري. وقد طبق كريس العديد من هذه الأفكار على إعادة النظر في اللغة وفي تعليم القراءة والكتابة في مجتمع تعددي عالمي لا بد من تسخير الموارد التمثيلية فيه لجميع الناس من أجل مستقبلٍ إنساني واجتماعي منتج (PS).

انظر أيضاً كريس (Kress) (هذا الكتاب) وهاليداي (Halliday).

قراءات إضافية:

Kress, G. (1999) *Early Spelling*, London: Routledge.

كريستيفا (Kristeva): وُلِدَت جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) في بلغاريا في العام 1941، وهي تعمل في باريس منذ العام 1966 كعالمة سيمياء، ومحللة نفسية، وكاتبة، ومُنَظِّرَة أدبية وناقدة. هي رئيسة تحرير المجلة الشهيرة **تيل كيل** (*Tel Quel*) وتُدَرِّس في جامعة باريس VII وفي جامعة كولومبيا في نيويورك. أَلَّفت ثلاث روايات، ساموراييس (Samouraïs) التي تعكس واقع المجتمع الفرنسي، **الرجل العجوز والذئاب** (*Le Vieil Homme et les loups*)، و**الحيازة** (*Possession*) وهي تكتب الآن ثلاثيةً بعنوان **العبقرية الأنثوية** (*La génie feminine*)، التي أهدتها إلى حنَة أرندت (Hannah Arendt)، وميلاني كلاين (Melanie Klein) وكوليت (ولقد ظهر سابقاً المجلد الأول من هذه الثلاثية).

في كتابها: **الحوار، شيء غير معروف** (*Le langage, c'est inconnu*) الذي صدر عام 1969، تستعرض كريستيفا مجال علم اللغة مشيرةً إلى حدوده. وتعود هذه الحدود لتاريخ علم اللغة ولتسويته مع الثقافة الأوروبية ومع المركزية الصوتية (Phonocentrism) (وهو الاعتقاد بأن الأصوات والكلام أعلى من الكتابة) ومع الأولوية أو الحصرية الممنوحة للكتابة الأبجدية النصية، وما إلى ذلك. إذا أخذنا بعين الاعتبار الانعكاسات على اللغة والتي تقدمها فلسفة اللغة والسيمياء، فإن علم اللغة اليوم قد توسَّع نطاقه. ومع ذلك، وفي نفس الوقت، فإن النماذج المعرفية التي تبناها التقليد الفلسفي عند ولادة علم اللغة لا تزال هي نفسها. وفوق كل شيء، لا يُعْتبَر مفهوم الفاعل (Subject) المتكلم موضِعَ شك.

مع طرحها «للتحليل الإشاري» (Semanalysis) كما تمت صياغته في (*Semiotike*) (1969)، كانت كريستيفا قد حاولت اتباع الطريق الأقصر من خلال ربط المقاربة اللغوية والسيميائية بمقاربة التحليل النفسي. تضع كريستيفا الأنا الديكارتية (Cartesian) في مواجهة الأنا المتعالية لعلم الظواهر عند هوسيرل (Husserl)، وتضع موضوع علم اللغة الكلامي في مواجهة الفاعل

المزدوج كما تم تنظيره من قبل فرويد ومفهومه للّاوعي. في منظور كريستيفا، يدل اللاوعي ضمنياً على وصف المدلول كعملية غير متجانسة. ويتجلى ذلك بشكله الأفضل في الكتابة الأدبية.

في كتابها: **ثورة اللغة الشعرية** (*La révolution du langage poétique*) (1974)، ميَّزت كريستيفا بين ما هو رمزي (Symbolic) وما هو سيميائي (Semiotic). فالرمزي يشير إلى اللغة كما هي مُعَرَّفَة في علم اللغة وتقليده، أي يشير إلى اللغة في استخدامها المعياري. تشير السيميائية إلى العمليات الأولية وإلى البواعث أو الدوافع التي تدخل في تناقض مع ما هو رمزي. إذ يتم توليد الكتابة الأدبية في التناقض بين ما هو رمزي وما هو سيميائي. ولذلك فإن قيمتها عند السيميائية تتجلى في قدرتها على استكشاف تجربة عدم التجانس في عمليات المضمون أو المدلول.

وفيما بعد، طورت كريستيفا تمييزها بين ما هو سيميائي وما هو رمزي في إطار التحليل النفسي. فقامت بتحليل تجانس مضمون أو مدلول الكلام، الذي عاينته أيضاً مباشرةً في الممارسة التحليلية التي قامت بها في كتبها: **قدرات الرعب** (*Pouvoirs de l'horreur*)، و**مقالات حول الدناءة** (*Essais surl'abjection*) (1980)، و**قصص الحب** (*Histoires d'amour*) (1985)، و**الشمس السوداء، الاكتئاب، والحزن** (*Soleil noir dépression et mélancolie*) (1987). لكن الأسئلة عن هوية الفاعل المتكلم وعن عدم التجانس في عملية المدلول، ظهرت كذلك فقط في حالات الشذوذ للغة، والتي تم تحليلها في: **غرباء عن أنفسنا** (*Étrangers à nous même*).

ولقد تم التعاطي أيضاً مع مسألة الشذوذ في واحد من أهم أعمالها الأخيرة: **الوقت الدقيق: بروست والتجربة الأدبية** (*Le temps sensible: Proust et l'expérience littéraire*) (1994). إذ حلَّلَت كريستيفا كذلك الدور الذي لعبه الشذوذ (العنصري: اليهودي، والجنسي: مثلي الجنس) في: **بحث بروست** (*Proust's Recherche*). يمكن أن تثري الكتابة الأدبية فهمنا للدخيل وذلك بفضل تعاطيها مع عدم التجانس في المدلول ومع الغيرية. وكلما تعرفنا على أنفسنا كغرباء عن ذاتنا، كنا قادرين على تقبل شذوذ الآخرين (AP).

قراءات إضافية:

Kristeva, J. (1981) *Desire in Language: A Semiotic Approach to Literature And Art*, trans. T. Gora, A. Jardine and L. S. Roudiez, Oxford: Blackwell.

Kristeva, J. (1982) *Powers of Horror: An Essay on Abjection*, trans. L. S. Roudiez, New York: Columbia University Press.

Kristeva, J. (1984) *The Revolution in Poetic Language*, trans. M. Waller, New York: Columbia University Press.

L

لابوف (Labov): يعتبر العمل الاجتماعي اللغوي لوليام لابوف (William Labov) (1927b) العلاقة بين البنيات الاجتماعية واللغوية هدفاً أساسياً لبحثه. ويمكن قراءة ذلك بطريقتين. فمن ناحية، ومن خلال العمل التجريبي الدقيق – في تحليل التباين اللفظي الصوتي، وفي التوثيق الكمي وتقييم التباين – يؤسس هذا العمل للاختلاف التشاركي الدقيق بين الشكل اللغوي والبنية الاجتماعية. ومن ناحية أخرى، يمكن لعمله أن يوفر الأساس النظري والوصف المفصل لآليات التغيير اللغوي. وإن الرؤية الأكثر إنتاجيةً لعمل لابوف هي اعتبار أن هذا العمل يدمج البحث الاجتماعي اللغوي والتاريخي من خلال افتراض قوي واحد، ونعني هنا الـ: التي وَصَفَها على أنها ناتجة عن القوى والعمليات الاجتماعية؛ وعلى أنها هي نفسها بالنسبة للاختلافات المرئية على المستوى الدقيق للصوتيات (Pho-netics) وكذلك على المستوى الكلي الشامل الذي يُكَوِّن اللغات المنفصلة.

وإن طريقة لابوف كانت عزل عنصرٍ ما خاضع لاختلافٍ كبير ضمن مجموعةٍ لغوية، على سبيل المثال صوت الراء (*r*) الذي يتبع حرف العلة (الراء الواردة ما بعد الحرف المعتل *r* (Post-Vocalic)) في اللغة الإنجليزية المحكية في نيويورك (كما في كلمتي: bea*r* أي دبّ وpa*r*ty أي حفلة). ولقد أنتج نصوصاً تختلف عن بعضها فقط من ناحية المتغير.

هذا الاختلاف مَكَّنَه من تأسيسٍ لدور المتغير (كمؤشر) (Marker) على الوضع الاجتماعي - الاقتصادي وكذلك مكنه من وصف كيفية عمله كدال على المقام أو المكانة، وبذلك ربطه لابوف ربطاً هاماً مع الأحكام التي تتعلقب المستوى الاجتماعي- الاقتصادي للمتكلم، أو بواقع مناسبة الكلام (التي تتراوح من المناسبة الرسمية إلى المناسبة العادية).

وجد لابوف إجماعاً على بعض المعاني عند جميع أعضاء المجموعات (في بنيةٍ طبقية اجتماعياً). ولقد تم تعيين هذه المعاني بشكلٍ بحت على أساس الدالات التي تمّ اختيارها من قِبَل المتكلمين. وإن كل مجموعات الأشخاص ذوي الصلة والمستخدمين لأشكال الكلام المميزة في المجتمع والذين يمتلكون قدرةً عالية على الكسب؛ من حيث القوة المادية «الذين يملكون القدرة على مواجهة الحياة»، أي أولئك الذين هم من ذوي المكانة الاجتماعية والاقتصادية العالية، كانوا يميلون إلى تصنيف وتقييم المستخدمين لأشكال اللغة الأقل مكانةً في المجتمع، وذلك أكثر من أولئك الذين كانوا يستخدمون هذه الأشكال اللغوية أنفسهم.

ولقد فتح هذا الإجراء المجال أمام ما سبق فَهمُه انطباعياً على أنه حكم مسبق (اللغوية) على الوصف الكمي: مُوَفِّراً بذلك أداةً دقيقة وجديدة لدراسة آليات وعمليات تشكيل المجموعة، والمعاني الاجتماعية - الأيديولوجية المعقدة التي تحافظ عليها. وفي تحليلاتٍ دقيقة من هذا النوع، كان يمكن لِلابوف أن يكشف ويصف الأدلة على التحولات الأيديولوجية والتناقضات في تحالفات المجموعة، وكذلك مقاومات الجماعات المؤسَّسة سابقاً «للوافدين الجدد» -كما في حال المقيمين في فاينيارد مارثا (Martha's Vineyard) الذين رفضوا واستاؤوا لوجود «الغرباء» الذين يستخدمون أشكالًا مُفْرَطَة في اللياقة من اللهجة المحلية (Dialect).

استنهض عمل لابوف جهوداً كبيرة في علم اللغويات: وهي دراسات التغير أو الاختلاف. وإن افتراضه بأن العمليات التي تعمل على المستوى الجزئي هي بنفس فعالية العمليات الفاعلة على المستوى الكلي مَكَّنَه من العمل في كلٍّ من المستويين (كما في عمله على اللغة في داخل المدينة، وعلى المبارزة اللفظية، على سبيل المثال). في بعض أعماله، نجد أن

استخدام إطار قواعد النحو التحويلية التوليدية (Generative Grammar) مع افتراضاتها النظرية المتوافقة قد أدى به إلى وجهات نظر مختلفة عن عمله التأسيسي، كما هو الأمر في مقالته ذات التأثير الواسع النطاق: «منطق اللغة الإنجليزية غير القياسية» (The Logic of Non-Standard English) حيث كانت المحاولة هي لمحو الفرق في الوصف بين صِيَغ اللغة الإنجليزية عند السود وصِيَغ لغة الطبقة المتوسطة (البيض) (GRK).

انظر أيضاً آيتشيزون (Aitchi-son) (هذا الكتاب) في علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics)، علم اللغة التاريخي (Historical Linguis-tics) وقواعد النحو التحويلية (Trans-formational Grammar).

لمزيد القراءة:

Labov, W. (1972a) «The Logic of Non-Standard English», in P. P. Giglioli (ed.) *Language and Social Context*, Harmondsworth: Penguin.

Labov, W. (1972b) *Sociolinguistic Patterns*, Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press.

Labov, W. (1994) *Principles of Linguistic Change*, vol. 1, Oxford: Blackwell.

لاكان (Lacan): كان جاك لاكان واحداً من المساهمين الثلاثة الأكثر إبداعاً والأقوى في التحليل النفسي. فقد أنتج مع سيغموند فرويد (Sigmund Freud)، وميلاني كلاين (Melanie Klein) أهم الأسس المفاهيمية والسريرية لحركة التحليل النفسي. عند لاكان، أدى ذلك إلى إعطاء صياغات صريحة للموضوعات الفلسفية والعلمية واللغوية التي ظلت في كثير من الأحيان ضمنية في كتابات فرويد.

وُلِدَ لاكان عام 1901، وأبدى اهتماماً مبكراً في الفلسفة (وخاصة فلسفة سبينوزا)، والأدب، والسريالية. دَرَّب كطبيب نفسي في نهاية العشرينات قبل الشروع في تدريبه كمحلل النفسي في: جمعية التحليل النفسي في باريس (*Société Psychanalytique de Paris*) بين عامي 1932 و1938. اشتملت هذه الجمعية على إدوارد بيشون (Edouard Pichon)، الذي أبدى اهتماماً خاصاً في وظيفة ومجال اللغة في التحليل النفسي، وريمون دو سوسور (Raymond de Saussure)،

نجل عالم اللغة فرديناند دو سوسور (Ferdinand de Saussure). ولقد تطور اهتمام لاكان باللغة جنباً إلى جنب مع صداقاته مع دالي (Dali)، أندريه ماسون (Andre Masson)، وبيكاسو (Picasso)، وذلك ضمن خلفية أعمال ألكسندر كويري -Alex) andre Koyré) فيما يخص مواضيع المنطق ومنهجية العلوم. في أواخر الأربعينات ساعدته لقاءاته وصداقاته مع كلود ليفي ستراوس (Claude Lévi-Strauss) ورومان جاكوبسون (Roman Jakobson) على إعادة صياغات مفهوم البنية اللاواعية، وعلى المشاركة في مجموعات عمل مع علماء الرياضيات، بدءاً بجورج تيودول–غيلبو (Georges-Théodule Guilbaud)، وجاك ريغي (Jacques Riguet). منذ العام 1953، كان يلقى ندواتٍ عامة على مدى فترة ستة وعشرين عاماً؛ وكانت مجموعة مقالاته – *Écrits* -قد تُرْجِمت جزئياً إلى اللغة الإنجليزية: ومن المتوقع أن تنتهي الترجمة الكاملة في المستقبل القريب.

وكانت أعمال لاكان – منذ كتاباته الأولى حول الهستيريا في العام 1928 وحتى ندوته العامة الأخيرة في العام 1979 – قد امتدت لنصف قرن. ويمكن محاولة تقسيم عمله إلى فترات بعدة طرق (بها) مواضيع أعماله كانت منظمة حول سلسلة من البنيات التي كانت تأخذ أشكالاً مختلفة من عقد إلى آخر. في كل من هذه الصياغات، أكد لاكان مراراً وتكراراً أنه استنتج، وأعاد بناء المفاهيم والمشاكل التي أدخلها فرويد إلى التحليل النفسي. وقد تركز عمل لاكان في الثلاثينات على محاولته للتفسير الواضح والصريح لعدد من الموضوعات التي كانت نتائجها الأساسية – إلا أنها حُدِّدَت فقط على نطاق واسع – عند فرويد هي: النرجسية، التمييز، وسوء التمييز أو الإدراك. (اختيار هذه) المواضيع أدى به إلى البحث في الجانب الخيالي لبناء الواقع، وإلى التمييز بين الأنا، بوصفها القوة المسؤولة عن مثل هذه الابتداعات، وبين شروط (البنيات) الذاتية. إن بنية اللغة هي (التكيف) الذاتية، وبالنسبة للاكان، هي ليست سوى تلك الأدوات التي يمكن أن توفر مقارَبَةً لما هو حقيقي. فبالنسبة للاكان، تُبْنى اللغة عن طريق السلسلة الدّالَّة.

وإن مجال اللغة، ومجال النرجسية، وكذلك مجال الصدمات النفسية، تمتد معاً إلى ما بدأ لاكان

بتسميتها لمجالات الرمزية، والوهمية، والحقيقية بحلول العام 1950. في ندواته في بدايات الخمسينات، حاول لاكان اختبار ملاءمة هذه العبارات لصياغة المسائل السريرية الكلاسيكية والقضايا المفهومية أو النظرية عند فرويد. في هذه السنوات، ركزت إعادة صياغته لعقدة أوديب (Oedipus Complex) على أولوية الرغبة؛ وخلال هذه الفترة من عمله تم بناء الهدف من التحليل بتمييز الرغبة – واعتمادها على مصدر أو منبت الرغبة الأخرى. في بداية الستينات ولمدة ثلاث سنوات، ركزت الحلقات الدراسية للاكان على مفهوم فرويد من التحويل، وتحديد الهوية والقلق أو الحصر النفسي. ولقد عَزَّزَ هذا العمل تفسير لاكان لهيكلة الذاتية، وأدى إضفاء الطابع الرسمي على هذه المفاهيم بلاكان إلى تطوير نظريته في **الخطابات** (*Discourses*) بحلول نهاية ذلك العقد. في السبعينات اقترح لاكان توازياتٍ بين البنية اللاوعية والبنية الرياضية، وذلك باستخدام نظرية العقدة، ونظرية العدد والمنطق الصوري الشكلي في دراسات النشاط الجنسي عند الذكر والأنثى وأوجه القصور في علاقة الحب.

وكانت السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرةً قد شهدت تأسيس الـ: جمعية التحليل النفسي الفرنسية (*French Psycho-analytic Society*) التي أعيد تشكيلها كواحدةٍ من الجمعيات الأكثر إنتاجاً في العالم. انقسمت هذه الجمعية إلى قسمين في العام 1953، وترأَّس لاكان القسم الأول منه. ولقد تم تقديم هذا الانقسام على أنه يجري حول مسائل تقنية، إلا أنه بالأحرى كان في الواقع مؤشراً على عدم قدرة الجمعية الفرنسية على أن يكون لها الأصالة والقوة التي ميزت نظريات لاكان.

ولقد تكرر هذا التأثير نفسه في العام 1963 عندما تم عزل لاكان فعلياً من الـ: جمعية التحليل النفسي الدولية (International Psychoana-lytic Association). وفي عام 1964 أسس مدرسته الخاصة: مدرسة فرويد في باريس (École freudienne de Paris)، التي حققت نجاحات عظيمة في تقدم الحدود البحثية والسريرية للتحليل النفسي قبل أن يقوم لاكان بحلها في بداية العام 1980. خلال هذه الفترة، أتاحت ندوة (Seminar) ومدرسة لاكان أفكار التحليل النفسي لجمهور واسع، ولقد أدى ذلك إلى بناء المدارس الفرنسية– الإسبانية

للتحليل النفسي والتي تمثل اليوم نصف كمِّ التحليل النفسي المُمارَس في العالم. تُوُفِّيَ لاكان عام 1981، أي بعد وقت قصير من افتتاح الجمعيات الوطنية والدولية التي حلَّت محل الـ: **المدرسة الفرويدية في باريس** (*École freudienne de Paris*) (BB).

انظر أيضاً ما بعد البنيوية (-Post structuralism).

قراءات إضافية:

Fink, B. (1997) *A Clinical Introduction to Lacanian Psychoanalysis: Theory and Technique*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Lacan, J. (1990) *Television*, New York: Norton.

Roudinesco, E. (1990) *Jacques lacan & Co - A History of Psychoanalysis in France, 1925-1985*, London: Free Association Books (a translation of vol. 2 of E. Roudinesco, *La Bataille de Cent Ans - Histoire de la Psychanalyse en France; vol 1: 1885-1939*, Paris, 1982, *Vol. 2: 1925-1985*, Paris, 1986).

مَلَكَة اللغة (Langage): هو مصطلح فني أتى به سوسور، وينبغي عدم الالتباس بين هذا المصطلح وبين مصطلح اللغة كنظام اتصال (*langue*). إذ وفقاً **لمقرر سوسور في الألسنية العامة** (-*Cours de linguis tique générale*)، إن مَلَكَة اللغة هي «قدرة» إنسانية، وهي تتطلب لممارستها توطيد اللغة كنظام اتصال بين أفراد المجتمع .(RH) انظر أيضاً هاريس (هذا الكتاب)، والكلام أو العبارة(*Parole*).

اللغة كنظام اتصال (Langue): هو مصطلح فني أتى به سوسور، وكذلك ينبغي عدم الالتباس بين هذا المصطلح وبين مصطلح **مَلَكَة اللغة** (*Language*). فوفقاً لمقرر سوسور في الألسنية العامة(-*Cours de lin guistique générale*)، اللغة كنظام اتصال (*la langue*) هي «كتلةٌ من الاصطلاحات الضرورية التي يتبنّاها المجتمع لتمكين أفراد المجتمع من استخدام القدرة اللغوية» (RH).

انظر أيضاً هاريس (هذا الكتاب)، والكلام أو العبارة (Parole).

الإشارة (القانونية او التشريعية) (Legisign): هو مصطلح تشارلز

بيرس (Charles S. Peirce) للتقسيم الثالث لثلاثيته عن أصول (Grounds) الإشارات. الإشارة الاصطلاحية هي قانون أو نوع عام في حد ذاتها. والإشارات التقليدية، مثل الكلمات، هي إشارات إصطلاحية. والإشارة الاصطلاحية لها دلالة من خلال النسخ المتماثلة أو الرموز (نماذج تطبيقها). هناك أنواع مختلفة من الإشارات الاصطلاحية التي تتميز أساساً عن طريق ما إذا كانت مواضيعها الكامنة وراءها تتمثل صُوَرِياً (Iconically) (كما في الرسوم البيانية)، أو على شكل مؤشرات (Indexically) (كما في ضمائر (Pronouns) الإشارة)، أو على شكل رموز (كما هو الحال في الأسماء المشتركة، والمقترحات، أو الحجج) (NH).

انظر أيضاً (نوع الإشارة) (Qual-isign)، والإشارة المُفْرَدَة (Sinsign)، والخبر، أو المُسْنَد (Rheme)، (Di-cent) والحجة (Argument).

ليفيناس (Levinas): إيمانويل ليفيناس (Emmanuel Levinas) (Haunas 1906-Paris1995)، هو واحد من أهم فلاسفة القرن العشرين، وقد ساهم بعمق في الإشكاليات اللغوية الإشارية من خلال معالجته لمسألة الغيرية (Alterity) من حيث نقد الأنطولوجيا أو علم الوجود. يمثل عمله إسهاماً أصيلاً، جنباً إلى جنب مع هارتمان (Hartman)، بلوك (Block)، هايدغر (Heidegger)، هوسيرل (Husserl)، سارتر (Sar-tre)، ميرلو- بونتي (Merleau-Pon-ty) وباختين (Bakhtin) في الحركة المتعددة الجوانب في الفلسفة المعنية بإعادة تأسيس الأنطولوجيا. هكذا إعادة للتأسيس تتناقض مع الفلسفات التي يسيطر عليها منطق المعرفة والتي ذُكِرَت بطريقةٍ مُخْتَزَلَة في المصطلحات المعرفية. طَوَّرَ ليفيناس فكره عن الحوار مع هوسيرل وهايدغر ولقد كان أول من أدخل أعمالهما إلى فرنسا بعد أن تابع مقرراتهما في فرايبورغ (Freiburg) بين عامي 1928 و1929 (AP).

قراءات إضافية:

Levinas, E. (1990) *The Levinas Reader*, ed. S. Hand, Oxford: Blackwell.

ليفي ستراوس (Lévi-Strauss): هو عالم الأنثروبولوجيا البنيوي (Structuralist) كلود ليفي

ستراوس – وُلِدَ في بروكسل (من عائلةٍ فرنسية) في تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1908 ولا يزال ناشطاً مهنياً علماً أنه في التسعينات من عمره – ارتبط مع: جامعة باريس (Univer- sity of Paris) و كلية فرنسا (Col- lege of France) طوال معظم فترة حياته. وكان أول تدريبٍ قام به هناك، من العام 1927 إلى العام 1932 يتركز على الفلسفة والقانون. في العام 1934 وافق على أن يتبوَّأ منصباً في قسم علم الاجتماع في جامعة ساو باولو في البرازيل، ومن خلال هذا المنصب، غامر في العديد من الرحلات الميدانية إلى منطقة الأمازون، وذلك بشكلٍ متقطع بين عامي 1935 و1938. من هذه الخلفية وفي هذه البوتقة، وضع العمل الميداني التجريبي الخصب الأساس لعملٍ ضخم عظيم من الأطروحات الإثنوغرافية والإثنولوجية التي تدرس الأجناس والأعراق البشرية، والنظرية منها بشكل خاص. ولقد تم تشكيل البنيوية (Structuralism) الأنثروبولوجية من خلال ليفي ستراوس، ولكن ليس من دون دمج التأثيرات السابقة واللاحقة في حياته (ماركس (Marx)، كَنْت (Kant)، دوركهايم (Durkheim)، موس (Mauss)، سوسور (Sau- ssure)، جاكوبسون (Jakobson))، وكان أيضاً من الأوائل الذين بادروا إلى فهم مقياس درجة الفوضى في النظم الاجتماعية والثقافية.

في بداية الحرب العالمية الثانية، خسر ليفي ستراوس منصباً أكاديمياً بسبب القوانين العنصرية لحكومة فيشي (Vichy). وانتقلَ إلى الولايات المتحدة في العام 1941، ليتبوَّأ منصباً في الـ: المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية (New School for So- cial Research) وكذلك عمل بين العامين 1945–1947، كملحق ثقافي فرنسي. وأثناء وجوده في نيويورك، التقى برومان جاكوبسون (Roman Jakobson)، وفرانز بواس (Franz Boas)، وبمجموعة أخرى لا تعد ولا تحصى من المثقفين من الولايات المتحدة ومن الخارج (Sebeok 1991c). تواصله مع جاكوبسون وكذلك احتكاكه بعلم اللغويات البنيوية أَلْهَبَ إلمام ليفي ستراوس الفطري بالمقاربات المتزامنة (Syn- chronic) للغة والدراسات والثقافة.

تَرَكَّز عمل ليفي ستراوس حتى منتصف القرن على أنظمة القرابة

وقواعد الزواج (مثل عمله في العام 1949)، في حين أنه تركز في وقتٍ لاحق على أنظمة المُعْتَقَد المنصوص عليها في الأساطير والدين (مثل رباعيته الأسطورية الخرافية My thologiques) (1964-1971). في هذين العالَمَين، كان هدفه هو نفسه – الكشف عن نُظُم مجردة مع منطقها الداخلي للعلاقات، ليُؤمِّن نوعاً من التماسك في الممارسات التي هي فوضوية في غالب الأحيان والتي تبدو عشوائية على مستوى الحياة الاجتماعية (Jenkins 1979; de Jos-seling de Jong 1952).

مستوحياً من علم اللغويات وعلم (وظائف) الأصوات خاصةً (Phonology)، طَوَّرَ ليفي ستراوس منهجيةً لاستنباط المبادئ المتعلقة بالنظم العالمية للمصاهرة بالزواج وللأسطورة المَحكِيَّة. إحدى هذه المبادئ هي التبادلية (1944)، والتي يغذيها التبادل/ الانتشار/ التواصل، حيث تكون قيمة العملية أعلى وأبعد مما يتم تبادله. وإن التبادل المُقَيَّد والمُعَمَّم لا يلقي فقط الضوء على تداول السلع، والنساء، والكلمات، ولكن يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ليشرح نظام القانون العالمي لحظر سفاح القربى. وإن تحريم الجنس والزواج في الأسرة النواة وفي الكيانات الأخرى الخاصة يؤدي إلى مصاهرات أو قرابات زوجية في جميع أنحاء المجتمع الأوسع، وعلى العكس من ذلك، فإن زنا المحارم يمكن أن يقضي على التبادلية.

استنتج ليفي ستراوس مبادئ عالمية في النظم المجردة الآتية من الملاحظات الإثنوغرافية التجريبية ومن المقارنات الإثنولوجية السلالية. وكان عمله بنيوياً في تحيزه المتزامن، وفي استيائه من التفسيرات الزمنية (الانتشارية والنَّسَبِيَّة). وإن للتاريخ صلة بذلك، ولكن ليس لأنه سابقٌ لذلك وبالتأكيد ليس بسبب مسائل الأصالة. بين الصيغ التاريخية (Diachronic) وبين الصيغ المتزامنة للأشكال الثقافية يَكْمُنُ منطق تحولي ملائم يعتمد على نفس التقنيات الفكرية للتجانس، والمُماثَلَة، والانعكاس، والتطابق، والتكرار.

يؤكد ليفي ستراوس (Lévi-Strauss) أن عقلية الإنسان وثقافته هي عمليات كُتَلِيَّة، مترابطة، عالمية، ورمزية. وكمفكر مثير للجدل وذي تأثير لا يمكن قياسه على التفكير

العقلي المعاصر، رفع ليفي ستراوس الحاجز أمام كافة العلوم الإنسانية (MA).

انظر أيضاً دوغلاس (Doug-las)، وبايك (Pike).

قراءات إضافية:

Hénaff, M. (1998) *Claude Lévi-Strauss and the Making of*

Structural Anthropology, trans M. Baker, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Leach, E. R. (1970) *Lévi-Strauss*, London: Collins.

Rossi, I. (ed.) (1974) *The Unconscious in Culture: The*

Structuralism of Claude Lévi-Strauss in Perspective, New York: E. P. Dutton.

المعجم (Lexicon): تُسْتَخْدَمُ هذه الكلمة في بعض الأحيان كبديل **للقاموس** (*Dictionary*). في علم اللغويات، المعجم هو المصطلح الذي يُسْتَخْدَم لمُكَوِّن (Compo-nent) من مكونات النحو، ويحتوي على معلومات حول الكلمات الفردية: على وجه الخصوص، هو يحتوي على المعلومات الخاصة بهذه الكلمة والتي لا يمكن التنبؤ بها من قاعدةٍ ما عامةٍ. على سبيل المثال، هو حقيقةٌ عَرَضية وذات خصوصية عن اللغة الإنجليزية بحيث أن كلمة فتاة (Girl) تعني «الأنثى الشابة». ولكن حقيقة أن المجموع هو فتيات (Girls) هو نتيجة لقاعدةٍ عامة حول صِيَغ الجمع في اللغة الإنجليزية. هنا، الحقيقة الأولى يمكن أن تكون جزءاً من المعجم، في حين أن الحقيقة الثانية لا يمكن أن تكون كذلك (RS).

النظام اللغوي (Linguistic System): في المقاربات البنيوية (Structuralist)، تُعْتَبَر اللغة نظاماً من أنظمةٍ مترابطة، تم ترتيبها في تسلسل هرمي من المستويات: النظام الصوتي يتناول الانتظام في الصوت، والنظام النحوي يتناول الانتظام في الشكل (في كلا العنصرين مثل الكلمات، والتركيبات)؛ والنظام الدلالي يتناول عناصر وترتيبات المعنى (Meaning) (GRK).

لوك (Locke): جون لوك (John Locke) (1632-1704)، هو فيلسوف إنجليزي. وبالعودة إلى قصةٍ مُعَقَّدَة (L. J. Russell 1939; Sebeok 1971; Romeo 1977; Deely 1994a, Ch.

5; Deely 2000, Ch. 14)، يبدو أن كلمة «علم السيمياء» (Semiotics) في اللغة الإنجليزية مُشْتَقَّة من النقل الحرفي (نسخ كتابة لغة بحروف لغة أخرى) لما يمكن أن يكون عليه المصطلح اللاتيني («Semiotica») للكلمة اليوناني ∑HMIΩTIKH التي أسيء استحداثها [هكذا، أي الخطأ في الكلمة أو الجملة هو خطأ أصلي في مصدره وتم طبعه في شكله الأصلي] في الفصل الختامي لمقال لوك: **فيما يخص الفهم الإنساني للعام 1690** (*Concerning Human Understanding of 1690*). هذه الصياغة الجديدة والأصيلة للكلمات التي أدخلها لوك ليسمي ما كان يسميه أيضاً «مبدأ الإشارات»، يعيد إلى الأذهان العبارة اللاتينية «doctrina signorum» التي تم تعميمها على نطاق واسع في عالم الـجامعة اللاتينية في إيبيريا في القرن السادس عشر، حيث تم اختزال الفكرة، التي كان لوك يجهلها، إلى أسسٍ منهجية في مبدأ العلاقة التكاملية الثلاثية التي أتى بها جون بوانسو John Poinsot) (1632). وإن مصطلح علم السيمياء (Semiotics) الذي انتقاه تشارلز بيرس (Charles S. Peirce) عندما شارف القرن التاسع عشر على نهايته، تطور تدريجياً ليصل إلى الاستخدام العام من قِبَل الجميع على مدى القرن العشرين، مُنْتَصِراً بذلك على منافسه (أي علم السيميولوجيا (Semiology)) كمصطلح للثقافة الشعبية للحركة الفكرية الجديدة. وهكذا يعود إلى لوك شرف تسمية ما بعد الحداثة التي أطاحت بالنموذج المعرفي الحديث (الذي يؤيده لوك نفسه في الجزء الرئيسي من **مقالته** *Essay*) لصالح «نوع آخر من من المنطق والنقد، وبعبارة لوك لصالح (another Sort of Logick and Critick)، مختلفٍ عما كنا حتى الآن على اطِّلاع عليه» (JD).

قراءات إضافية:

Deely, J. (1978) «What's in a name?», *Semiotica*22 (1/2): 151-81.

التعبير (Locution) أو القول التعبيري (Locutionary): في إطار المصطلحات التي أدخلها أوستن(Austin) (1962) لمواكبة ومجاراة التعددية الوظيفية لكل الأقوال (التعبير (Locution) – القول المحقق (Illocution)— وفعل الكلام (Perlocution))، يمكن تخصيص مصطلح

«Locution» أو «التعبير» لنتحدث عن فعل قول شيءٍ ما. وهذا ينطوي دائماً على فعل لفظ بعض الأصوات، أي على فعلٍ لفظي صوتي (Phonetic Act). علاوةً على ذلك، هذا يرتبط دائماً بفعل لفظ بعض الكلمات التابعة له وبحقيقة أنها تنتمي إلى مفردات خاصة، ويرتبط كذلك بلفظ بعض التركيبات التابعة وبحقيقة أنها تنتمي إلى قواعد نحوية (Grammar) خاصة، أي إلى فعلٍ من تبادل المشاعر (Phatic). بالإضافة إلى ذلك، إن «قول شيءٍ ما» هو عموماً فعلٌ صوتي لفظي وتبادلي للمشاعر وذي معنىً ودلالة أكثر أو أقل تحديداً (وهما يضيفان سوياً شيئاً إلى «المعنى» (Meaning))، أي إلى الفعل المُسْنَد (Rhetic Act). في النسخ الأحدث لنظرية فعل الكلام (Speech Act) (منذ Searle 1969)، لم يكن مصطلح «تعبير» (Locution) مستعملاً بشكلٍ شائع؛ وبشكلٍ عام تم استبداله بـ: «اقتراح أو افتراض» (Proposition) (ليشمل بذلك الدلالة والتنبؤ، ويهمل جوانب الصوت والمفردات والقواعد النحوية التي كان أوستن قد أدرجها من قبل) (JV).

قراءات إضافية:

Austin, J. L. (1962) *How to Do Things with Words*, ed. J. O. Urmson, Oxford: Oxford University Press.

الرموز أو الإشارات الغرافيكية (Logos)، الرموز المركزية (Logo-centric): هي مصطلحات استخدمها الفيلسوف الفرنسي المولود في الجزائر جاك ديريدا (Jacques Derrida) ليصف التميز أو التقدمية المُعطاة للكلمة المحكية في علم اللغويات عند سوسور. يقول ديريدا أنَّ سوسور يوازي ما بين الرموز (Logos) والصوت (phon)، وبذلك، يعزز الاعتقاد (الخاطئ، حسب رأي ديريدا) بأن اللغة المحكية هي تعبيرٌ عن الفكر، وبأن الفكر يمكن أن يكون له وجود بشكلٍ مستقل عن اللغة (RM).

انظر (Phone) صوت (Phonic) صوتي، والفونولوجية أو علم (وظائف) الأصوات الكلامية (Phonologism).

لوتمان (Lotman): يوريج (Jurij) (في بعض الأحيان «يوري» (Yuri)) لوتمان (Petrograd 1922- Tartu 1993) (Lotman) و باحثٌ في الأدب والسيمياء، ومؤسس مشارك

لمدرسة تارتو–موسكو (Tartu-Mos- cow). من العام 1939 إلى العام 1940 ومن العام 1946 إلى العام 1950، درس في Lenigrad State Univer- sity أي جامعة ولاية لينيغراد (من العام 1940 إلى العام 1945 في الجيش السوفيتي)؛ ومن العام 1950 كان مقيماً في تارتو ومن العام 1954، في جامعة تارتو (Tartu University) (وفي فترة 1960–1977 كان رئيس قسم الأدب الروسي، ومن العام 1963 كان أستاذاً). طوال فترة الـ: 1968–1985 كان نائباً لرئيس جمعية الـ: IASS (Terras 1985; Le Grand 1993).

كان أول منشور «سيميائي» بالمعنى الصريح للوتمان هو: **محاضرات (في الشعرية) البنيوية** (*Lectures on Structural Poetics*) (1964) التي شكلت الأساس لسلسلة: **السيمياء: دراسات نظم الإشارة** (*Semeiotik: Sign Systems Studies*). نشأت سيميائية (Semiotics) لوتمان من البنية المُمَيِّزَة في اللغة والنصوص (Lotman 1964, 1975)، والتي كان أساسها مفهوم «نظام النمذجة» (Modelling System) كبنيةٍ من العناصر التي ترافقها قواعدها الدامِجَة. ويتم تشكيل «نظام النمذجة الأولي» عبر اللغة الطبيعية (Natural Language) (انظر Sebeok 1989)، في حين أن «نظم النمذجة الثانوية» هي مماثلة للغة، أو تستخدم اللغة كمادة (الأدب، والفنون الجميلة، والموسيقى، والأفلام، والأسطورة، والدين... إلخ). في الثقافة تعمل هذه الأنظمة معاً، وتسعى إلى الاستقلالية من ناحية، وإلى تهجين اللغة أو تبسيطها (لأغراض التعامل اليومي بين شعوب من لغات مختلفة يعيشون في مجتمع واحد) من جهة أخرى. وهكذا أصبحت «السيميائية الثقافية» (Cultural Semiotics) بالنسبة له هي «دراسة الترابط الوظيفي بين النظم المختلفة للإشارة» (Lotman 1973).

يمكن تحليل نظم الإشارة بشكل فردي، ولكن يتم التعبير عن ترابطها مع بعضها بالشكل الأفضل في الوحدة التحليلية الأهم – أي النص (Text) (Lotman 1976, 1977a). في حين يتم تعريف الثقافة «على أنها نظامٌ من العلاقات المؤسَّسَة بين الإنسان والعالم» (Lotman and Uspenskij 1984; Lotman et al. 1985)، فإن أساس هذا الوصف هو التماثل الوظيفي بين نصفي الكرة المخية الدماغية، واللغة، والنص والثقافة. من الثنائية (السيميائية) البدائية هو يؤسس لتقسيم العالم إلى اثنين في اللغة والازدواج

الإنسان في الفضاء – ثنائيةً (Binarism) غير متماثلة للآلية السيميائية الأصغر. على نحوٍ أكثر فعاليةً، تُقْسَم النظم إلى نوعين رئيسيين: في النظم «المنفردة» (اللفظية، المنطقية) تكون الإشارة (sign) أساسية ومستقلة عن السلوك: وفي الأنظمة «المتواصلة» (التمثيلية الصُّوَرِيَّة (Iconic)، الأسطورية) هناك نصوص تكون فيها الإشارات وصفية تصويرية ومرتبطة بالسلوك. في الحالة الأولى، تنشأ اللغة من الإشارات، وفي الحالة الثانية هي تنشأ من النص. وبالتالي قد يكون النص في وقت واحدٍ إشارةً أو نظاماً أو أكثر من النظم الإشارية.

إن فهم عدم التجانس والتماسك في النص هو جزء لا يتجزأ من مفهوم «الحدّ أو الفاصل». إذ يقوم هذا الحد إما بالفصل (لضمان التماسك الهيكلي) أو بالتوحيد (لضمان الديالوجيكية الحوارية مع ما هو خارج عن النص). فالحدود المتداخلة في الزمان والمكان تشكل نظاماً من الدوائر السيميائية (Semiospheres) في الدائرة السيميائية الشاملة التي هي «نتيجة وشرط لتطور الثقافة» (Lotman 1990; Deltcheva and Vlasov 1996; Mandelker 1994; Sturrock 1991).

وتتميز سيميائية لوتمان بالترابط الوثيق مع المادة التجريبية: تحليلات النص، والتاريخ الأدبي والسيرة الذاتية (PT) (Shukman 1987).

قراءات إضافية:

Lotman,Y. M. (1990) *Universe of The Mind*, trans. A. Shukman, London and New York: Tauris.

Lotman, J. M. and Uspenski, B. A. (1984) *The Semiotics of Russian Culture*, Ann Arbor, MI: Michigan Slavic Contributions 11.

Shukman, A. (1977) *Literature and Semiotics: Study of the Writings of Ju. M. Lotman*, Amsterdam: North Holland Publishers.

M

المؤشّر (Marker): هو مصطلح عام يشمل مجموعةً من الظواهر اللغويّة التي تختصّ في «تمييز» الكلام المرتبط وظيفياً بالسياق بطريقة محدّدة. وتتراوح المجموعة الكاملة من القوة التمثيلية المُنْتَمِيَة إلى الفعل اللغوي (Illocutionary) والتي تشير إلى أدوات (مثل «أَعِدُ» في «أنا أَعِدُك بأن آتي غداً»)، إلى دلائل السياق (مثل التحويلات اللغويّة التي تدل على تماسك المجموعة؛ انظر Gumperz 1982) إلى «مؤشرات الخطاب» أو «الأدوات البراغماتيّة» (مثل أنت «تعلَم»، «أعني» أو «على كلّ حال»، إلى آخره؛ انظر Schiffrin 1987) (JV).

ماركس (Marx): كارل ماركس (1818-1883). في المجال النظري كما في السياسة، تدخلت «الماركسية» في فهم عظمة ماركس كمفكر. باستثناء حالاتٍ نادرة (مثل فولوسينوف (VoloŠinov)/ باختين (Bakhtin)، شاف (Schaff)، وروسي لاندي (Rossi-Landi)). فإن النظريات «الماركسية» في الإشارة وحتى علم اللغويات الماركسية (مثال على ذلك هو «علم اللغويات الماركسية» الذي مارسه مار (N. J. Marr) انظر مارسيليز وآخرون (Marcellese et al. 1978) ليس لها علاقة بمساهمة ماركس في دراسة اللغة والتواصل الاجتماعي. ويبدو أن ماركس نفسه قال: «الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقوله هو أنني لست ماركسياً!» (انظر Enzensberger 1973, p. 456).

ويقترح ماركس أن «"الروح" ومن البداية مبتلاة بكونها "مُثْقَلَة" بالمادة، التي تظهر هنا على شكل طبقات هياجيَّة من الهواء، والأصوات، وباختصار من اللغة» (Marx and Engels 1968, p. 42).وإن اللّغة تحتلّ جزءاً مهماً جداً من فلسفة ماركس. ليست المادية عند ماركس آلية وهي تتقبل البعد التاريخي؛ وتحافظ على التوازن بين العوامل «الطبيعية» و«الاجتماعية» بغية الحفاظ على الاستمرارية بين البشر والحيوانات الغير بشرية، وتقييم القفزة النوعية التي تميّز ما هو بشري فيما يخص النوع وبين إعادة تشكيل الحياة على الأرض. فاللغة هي شرط للمرور من «مجرد الحياة» إلى الوعي، وبالتالي إلى تنظيم الحياة. بعبارةٍ أخرى، هي مطلوبة للانتقال من النشاط الإشاري (Semiosis) إلى السيميائية (Semiotics)، من مجرد المرور للإشارات إلى الحياة الخاصة بالإنسان كحيوان سيميائي. ليست اللغة إحدى الوسائل العديدة للتواصل بين النفس والآخر، بل هي الأساس للذات، ولعلاقات الإنسان، كذاتٍ، مع الآخرين. وإن إمكانية «بناء علاقات»، وليس فقط كون الإنسان في علاقة، التي هي إمكانية إنسانية بشكلٍ خاص، هي بحد ذاتها قائمةٌ على اللغة.

اللغة قديمة قِدَمَ الوعي، وهي الوعي العملي الموجود أيضاً لدى الآخرين من بني البشر، ولهذا السبب لوحده فإن اللغة تتواجد لديَّ شخصياً أيضاً... ولا يملك الحيوان «علاقات»... إذ ليس لعلاقات الحيوان وجودٌ كعلاقات (Marx and Engels 1968, p. 42)... اللغة هي الواقع المباشر للفكر... وإنه ليس للغة وليس للفكر حتى أي وجود في واقعٍ مستقل من الحياة.

(Marx and Engels 1968, pp. 503-504).

يركّز النّقد الماركسي على فكّ رموز «لغة السلع» (Marx 1962, vol. 1, chapter 1)، وعلى شرح العمليّة الكاملة لتوظيف هذه السلع كرسائل. بالتوازي مع هذا، يهدف نقد الرؤية الفيتشية الماسوشية إلى الإشارة إلى أن العلاقة بين السلع، وبين السلع والقيم، هي علاقات تواصل بين الكائنات البشرية، وهي كلها مبنيّة على علاقاتٍ اجتماعية (AP).

قراءات إضافية:

Marx, K. (1973) *Grun-*

drisse: Foundations of the Critique of Political Economy, trans. M. Nicolaus, Harmondsworth: Penguin.

Marx, K. And Engels, F. (1974) *Über Sprache, stil und Übersetzung*, ed. K. Ruschiski and B. Retzlaff-Kresse, Berlin: Dietz.

Ponzio, A. (1989) «Semiotics and Marxism», in *The Semiotic Web 1988*, ed. T. A. Sebeok and J. Umiker-Sebeok, Berlin: Mouton de Gruyter.

المعنى (Meaning): «المعنى» يبرز في صلب الموضوع كلما كان بالإمكان القول عن شيء بأنه إشارة (Sign) تم ترسيخها ثقافياً للدلالة على شئ آخر، سواءً كان ذلك لغويّاً كما في الكلمة الفرنسيّة «neige» التي تعني الثلج، أو غير لغوي كما في «العَلَم الأبيض يعني الاستسلام أو الخضوع». فالمعنى الذي يتولد عند استخدام الإشارات يمكن أن يكون مقصوداً أو غير مقصود (على الرغم من أنّ بعض العلماء قد يعترفون فقط بالتنوع المقصود، مؤكّدين بالتالي على الجانب الإنتاجي). قد يكون المعنى حرفيّاً (حيث يكون الرابط بين الإشارة وبين ما ترمز إليه الإشارة صريحاً ومُتَعارفاً عليه بشكلٍ تام) أو مجازياً وغير مباشر (وهذاً يتطلّب المزيد من الاستدلال، بالرغم من أنّ درجة الاصطلاحيّة معنية في الغالب أيضاً، كما في حالات التعابير المجازيّة وأفعال الكلام غير المباشرة). ويمكن رؤية المعنى على أنه «أبدي» (معنى الجملة ومعنى الكلمة) أو على أنه خاص بمناسبةٍ ما (وفي هذه الحالة يستخدم غرايس (Grice) مصطلح «معنى المتكلم»).

ويمكن تمييز نظريّات مختلفة عن المعاني. فالنظريّة المرجعيّة أو الدلالية ترى أنّ معنى عبارةٍ ما هو ما تدل عليه تلك العبارة. والنظرية العقلية قد تربط معنى عبارةٍ ما بالأفكار أو المفاهيم المرتبطة بها في فكر أيِّ شخص يفهمها. أما النظرية السلوكية، فهي ترى أن المثير الذي يستدعي إلى الذهن عبارةً ما أو يُوَلِّدُ الجواب الذي تستدعيه تلك العبارة هو معناها. وإن نظرية المعنى– في– الاستخدام ترى أن معنى العبارة هو وظيفة الطريقة/ الطرق التي يتم استخدامها فيها. فبالنسبة للنظرية التحققيّة، يتحدد

معنى العبارة من خلال التحقق من الطروحات التي تحتويها. وتعرّف نظرية الحقيقة– الشرطية المعنى على أنه المساهمة التي تقدمها العبارة إلى شروط الحقيقة لجملةٍ ما (JV).

انظر أيضاً بريال (Breal)، الاقتراح (Proposition)، علم الدلالة (Semantics)، فعل الكلام (Speech Act)، الدلالة (Denotation)، المدلول أو المعنى الضمني (Con-notation)، المرجع (Referent)، المغزى (Signification) والحقيقة (Truth).

قراءات إضافية:

Lyons, J. (1995) *Linguistic Semantics: An Introduction*,Cambridge: Cambridge University Press.

الخطاب الإعلامي (Media Discourse): إن السمة الرئيسية للخطاب الإعلامي هي تنوعه. بالنظر إلى وسائل الاعلام المختلفة في المجتمع المعاصر، من البديهي أن الكتب، والصحف، والمجلات، والراديو، والتلفزيون، و«وسائل الإعلام الحديثة» مثل الإنترنت والشبكة العنكبوتية العالمية لا تتكلم بصوت واحد، لا من حيث المضمون ولا من حيث أنماطها في المعالجة. وإن الخطاب الإعلامي، المُعَرَّف بشكلٍ عام على أنه الطريقة التي يتحدث بها الإعلام عن الحقيقة الاجتماعية، هو بالتالي مفهوم تعددي في جوهره.

ويبقى التنوّع السمة الرئيسية عندما ينظر المرء إلى الخطاب الإعلامي الفردي. على سبيل المثال، يشمل التلفزيون مجموعةً واسعة من الأنواع (Genres) الخالصة والهجينة مثل الأخبار، والقضايا المُتَداوَلَة، والوثائقيات، والكوميديا، والمسلسلات الدرامية، والبرامج الجَدَلية في الاستديوهات، والبرامج الهاتفية، إلى آخره. وإن لغة هذه المجموعة والوسائط الدلالية (Signi-fication) الأخرى تضاهي التوصيف المُوَحَّد.

ولكن في الوقت نفسه، من البديهي أن هناك نقاط تشابه لافتة للنظر بين بعض وسائل الإعلام وخاصةً على مستوى الأنواع المختلفة. إذ تبرز «المقابلات» في الصحافة المطبوعة كما في التلفزيون والراديو، على الرغم من أن نوع المقابلة قد

تم تكييفه وفقاً للأنماط التكنولوجية والتعبيرية المختلفة لكل وسيط. ومن الأمثلة الأخرى على الأنواع المشتركة بين وسائل الإعلام توجد الأشكال المُخْتَلَقَة من قصص الخيال المتعددة مثل الروايات الغربية أو البوليسية، أو الإعلان الواسع الانتشار في جميع وسائل الإعلام التجارية.

بسبب هذا التنوع، يجب على الناس الذين يبحثون عن توصيفٍ لوسائل الإعلام العودة إلى الأعمال التحليلية والتي تشكل نقطةَ انطلاقها نظمُ الإشارة الأساسية والتي تُؤَسِّسُ منها كل الخطابات الإعلامية معانيها (Meanings) (Barthes [1957] 1973c; Eco 1797; Hode and Kress 1988; kress and Van Leeuwen 1996; Messaris 1997)، أو يجب عليهم العودة إلى الأعمال التي تحلل أنواع وسائل الإعلام الخاصة التي يهتم بها المرء عادةً (Crisell 1989; Bell 1991; Cook 1992; Scannell 1991; Livingstone and Lunt 1994; Turkle 1995; Olson 1999).

نتيجة للتعددية الملازمة لهذه الظاهرة فهي تشير إلى أنه ينبغي مقاربة دراسة الخطاب الإعلامي بطريقة شمولية (SchrÖder 1994). وهناك مقاربة تركيبية موثوقة تعتمد على مجموعةٍ من التقاليد الأكاديمية من علم اللغويات إلى النظرية الاجتماعية، وهي مقاربة منهج نورمان فيركلاو (Norman Fairclough) (Fairclough 1995b)، وفي ظل هذه المقاربة البنائية الاجتماعية الشاملة، يُنْظَر إلى تحليل خطاب الإعلام (Discourse Analysis) على أنه يحتوي مثالياً على ثلاث خطوات مترابطة: النصوص، الممارسات الخطابية، والممارسات الاجتماعية الثقافية. ولكن من الناحية العملية، فإن العديد من المحللين فشلوا في الوصول إلى هذا المبدأ المثالي.

في جوهر النشاط التحليلي، يوجد تحليل النصوص الإعلامية التي تنقلها وسائل الإعلام، أي البنى الهيكلية المُمَثِّلَة للإشارات اللفظية والبصرية التي تشكل «الرسالة»، سواءً أكان ذلك تقريراً صحفياً، أو إعلاناً أو مسلسلاً درامياً. ويتتابَع التحليل وفق ترسانةٍ من الأدوات المتقدمة في علم السيمياء (Semiotics) وعلم اللغويات، غالباً بهدف الاستنتاج من خلال التحليل النصي كيف أن نص الإعلام ربما يؤثر على نظرة الجمهور

إلى العالم أو على أيديولوجيته، وبالتالي كيف أنه يُعْتَبَر ممارساً للسلطة (Barthes 1964a; Fowler 1985).

ولكن من المسلم به بشكل شائع أن الفهم الأعمق للحياة الإجتماعية في النصوص الإعلامية يتحقق من خلال النظر إلى الممارسات الخطابية (Discourse) المحيطة بالنص الإعلامي. وهذا يتضمن كلاً من العمليات المؤسسية التي يتم إنتاج أو «تشفير (تحويل إلى رموز)» النصوص الإعلامية بها من خلال الصحفيين وغيرهم من الأشخاص المبدعين والسياقات اليومية المتحولة إلى طقوس أحياناً والتي يستخدم فيها الناس، أو «يفكّون شيفرة» النصوص وذلك وفقاً لحاجتهم الفرديّة والاجتماعيّة (Swales and Rogers 1995; Deacon et al. 1999).

وأخيراً، لا بدّ من النظر إلى الطرق التي ترتبط فيها الخطابات الإعلاميّة بالممارسات الاجتماعيّة الثقافيّة التي تميِّز المجتمع الأوسع، وخاصّةً الطرق التي تسهم فيها الخطابات الإعلامية في الاستقرار الاجتماعي وكذلك في التغيير الاجتماعي. ومن أبرز عمليّات التواصل التي تميز المجتمعات الحديثة الأخيرة، يقترح فيركلاو (Fairclough 1995b) أنّه ينبغي إعطاء أهميّة خاصّة لـ «تحويل شركات الدولة إلى شركات موجهة إلى الأسواق» و«للمداولة» في الخطاب العام، وكذلك يجب إيلاء أهمية لتقييم تأثيرها المتضارب على آليّات الرقابة الاجتماعية والتحول إلى الديمقراطية الثقافيّة (KCS).

قراءات إضافية:

Briggs, A. and Cobley, P. (eds) (1998) *The Media: An Introduction*, Harlow: Longman (Especially the Essays in Section III, ‘In the Media’).

Fairclough, N. (1995b) *Media Discourse*, London: Arnold.

Myers, G. (1994) *Words in Ads*, London: Arnold.

(اللغة الواصفة) التي تُسْتَخْدَم لوصف لغات أخرى (Metalanguage): تُعَرَّف اللغة بشكل عام على أنها استخدام اللغة للحديث عن اللغة. في نموذج فعل الكلام عند جاكوبسون (1960)، تتمثل لغة المعرفة في الوظيفة الما بعد لغوية، وهي ظاهرة دائمة الوجود في أي حدث لغوي يتحدد

بالرجوع إلى الشيفرة (Code) نفسها. إن الوظيفة الما بعد لغوية هي مهمةٌ بشكلٍ خاص في اكتساب اللغة عند الأطفال وفي أي شكلٍ من أشكال اكتساب اللغة الثانية أو الثالثة. وقد تمت مناقشة مظاهر التعطل الما بعد لغوي بشكل مفصل عند جاكوبسون (Jackobson) في كتابه: **مظاهر اللغة وأنواع الاضطرابات الكلامية** (*As-pects of Language and Types of Aphasic Disturbances*) (1956). وهناك مناقشة ذات صلة وثيقة بهذا الموضوع وهي مناقشة جاكوبسون لموضوع الوظيفة الما بعد لغوية في التركيبات اللغوية المزدوجة في كتاب: **التحولات الكلامية والفئات الكلامية** (*Shifters and Verbal Categories*) (1957) (EA).

انظر أيضاً التعبير الإشاري أو التعبير الذي لا يمكن تحديد معناه إلا في سياق الكلام (Deixis)، الكناية أو المجاز المرسل (Metonymy) وهال (Halle).

الميتافيزيقيا أو ما وراء الطبيعة (Metaphysics): تعتبر الميتافيزيقيا أساس التقليد الفلسفي الغربي ولكنها تشتمل على العديد من التعاريف الكامنة ولا تزال موضوعاً مثيراً للجدل بشكل لافت. عموماً، تهتم الميتافيزيقيا بـ«كيفية وجود الأشياء» في الكون وبكيفية الاعتقاد بتلازم العلاقات بين الأشياء. وبما أن التفاعل الإنساني مع الأشياء في العالم مرتبط بالفعل الوسيطي للإشارات (Signs)، فإن لعلم الإشارات (Semiotics) نتائج هامة تساهم في الجدل القائم حول الميتافيزيقيا (KB).

انظر أيضاً الواقعية (Realism) والاسمية (Nominalism).

الكناية أو المجاز المرسل (Me-tonymy): في نظرية جاكوبسون، لم تعد الكناية مجرد واحدة من المحسنات الكلامية (أشكال التعبير التي تستخدم فيها الكلمات بعيداً عن معناها الحرفي)، بل أصبحت واحدة من المحورين المميزين للغات الإنسانية. إن كل فعل (تصرف) لغوي يتطلب عملية اختيار من مجموعةٍ من الوحدات الموجودة بشكل مسبق ويتطلب دمج هذه الوحدات في تركيبات وسلاسل (Syntagms) لغوية أكثر تعقيداً. إن محور الاختيار يستند بشكل أساسي إلى علاقات التشابه التي هي مجازية في جوهرها، في

حال يستند محور الدمج إلى علاقات التقارب التي هي كنائية أي ذات طابع المجاز المرسل. إن كل حالات فقد القدرة على الكلام عند جاكوبسون (Jackobson) تستقر بين هذين الطرفين من التناسب. وإن اضطرابات الحبسة الكلامية التقاربية تُعَرَّف بشكل أساسي على أنها فقدان العلاقات الكنائية (المجازية). ليس هناك أي مظهر للفن اللفظي للغة يستقصي المجاز أو الاستعارة والمجاز المرسل؛ ولكن يمكن سيطرة أحد الطرفين على الآخر (انظر المذهب التكعيبي في فن الرسم (Cubism) وفن آيزنشتاين السينمائي كأمثلة على المجاز المرسل السائد) (EA).

(صيغة أو نمط لغوي) (إن التنوع اللهجي أو اللغوي) (**Register**): في نظرية أسلوب الكلام، يشير إلى قناة التواصل التي تم قبولها في الموقف (Situation) الكلامي. في غرفة الصف مثلا يكون مجال (Field) الممارسات الاجتماعية التي تغذي التفاعل اللغوي هو الروح العامة أو عملية التربية. ويكون الفحوى (Tenor) هو علاقات القوة بين المعلم الذي قد يكون ناشطاً في المشاركة بالمعلومات، والتلميذ الذي قد يعتمد على المعلم لأجل ذلك ذلك الهدف. تقوم هذه العلاقات بين الأدوار من خلال الأسلوب: القناة الخاصة بالتواصل التربوي التي تتضمن أشكالها النموذجية المحاضرات، والحلقات الدراسية، وجلسات العصف الذهني، وهلم جراً (PC).

انظر أيضاً هاليداي (Halliday).

النمذجة (**Modelling**): هي عملية يتم بموجبها أداء أو إعادة انتاج شئ ما على أساس نموذج أومخططٍ ما، سواءً أكان ذلك مثالياً أو واقعياً. على سبيل المثال، فإن عالم الأفكار عند أفلاطون يستعمله خالق الكون المادي المادي ليخلق العالم التجريبي. في علم السيمياء (Semiotics)، تستند النماذج إلى علاقة تشابه أو تشاكل (تشابه من حيث الشكل والمظهر) وهي بالنتيجة مرتبطة بالإشارة التمثيلية الصورية (Iconic) كما يفهمها بيرس (Peirce). إن مفهوم «النمذجة» موجود في مصطلح الإطراز أو المحاكاة كما استخدمه سابير (Sapir) (1916) للدلالة على التنظيم الأساسي والخاص للثقافة واللغة: المحاكاة الثقافية والمحاكاة اللغوية. من بين كل التصرفات الاجتماعية، لا يوجد

أي تصرف يعتمد على آليات لاواعية كاللغة. تعمل المحاكاة اللاوعية على كل مستويات اللغة الطبيعية، الصوتية، البنائية، الدلالية (Semantic) والبراغماتية. وإن اللغة الطبيعية تقاوم تدخل الفرد والعقلنة أكثر من أي عنصر آخر في الثقافة. وبالرغم من ذلك، فهي أيضاً عرضة للتحول، ولكن هذا يُعْزى لعملية «جرف» داخلية. وبالمقارنة مع كل النتاجات الثقافية الأخرى، فإن اللغة الطبيعية (Natural Language) هي الأكثر سياديةً والأكثر لاوعياً وتنوعاً من خلال عملية «الجرف» الداخلي ولهذا السبب فإنها أداة عالم الإنسان وأصل الجنس البشري الأكثر أهميةً للدراسات التي تتناول المحاكاة الأصلية للثقافة.

يُسْتَخْدَم «نظام النمذجة» في ما يسمى مدرسة تارتو–موسكو (Tartu-Moscow). ولقد استخدم عبارة «نظام النمذجة الأولي» منذ (عام) 1962 (كل من) إيفانوف (A. A. Ivanov) وتوبوروف (V. N. Toporov). في العام 1967 (في الترجمة الإنجليزية للعام 1977). حدد لوتمان (J. M. Lotman) أنه «يمكن اعتبار نظام النمذجة كلغة». وتُسْتَخْدَم عبارة «نظام النمذجة الأولي» للتمييز بين اللغة الطبيعية والأنظمة السيميائية الأخرى. ولقد استخدم سيميائيو مدرسة تارتو– موسكو (Tartu-Moscow school) عبارة «نظام النمذجة الثانوي» للدلالة على الأنظمة الثقافية البشرية المختلفة عن اللغة الطبيعية.

وإن مفهوم النمذجة كما اقترحته مدرسة تارتو– موسكو (Tartu-Moscow) يتشابه بشكل كبير مع مفهوم سابير (Sapir). وهو يتمحور حول تفوق «أصل» اللغة في النمذجة على كل الأنظمة الأخرى. وكما عند سابير، هو يشمل نسبية الثقافات بالمقارنة مع هكذا نمذجة أولية ولا يطرح حلاً لمشكلة التواصل بين اللغات والثقافات المختلفة ولمشكلة تعدد اللغات، أو حتى بشكلٍ أقل لمشكلة أصل اللغة.

إن إحدى طرق تطوير وتوسيع مفهوم التاتو (Tatu) تشمل ربطها بعالم الأحياء والسيمياء جايكوب فون أويكسكول (Jakob von Uexküll) ومفهومه عن الـ: Umwelt الذي تمت ترجمته باستخدام كلمة «النموذج». ولقد تبنى سيبيوك (Sebeok) and Anderson and Merrell (1991a) (1991هذا المنحى ونسب القدرة على

النمذجة الأولية إلى اللغة كمفهوم متميز عن الكلام. وإن اللغة هي مُصَمَّمَة بشكل محدد لإنتاج وتنظيم وجهات النظر العالمية، أما الكلام فهو اشتقاق تكيفي عند الجنس الإنساني (Homo) وينبثق عن حاجات تواصلية. ولقد تطور الجنس الإنساني إلى إنسانٍ عاقل (Homo Sapiens) بفضل أداة النمذجة هذه ومميزاتها الخاصة بالكائنات، ونعني بها اللغة. وإن كل الكائنات الحيوانية تبني عوالمها الخاصة التي تأخذ فيها الأشياء معنىً معيناً على وجه الافتراض: وتكمن الصفة المميزة للصنف البشري في قدرتها على منح عدد غير محدود من المعاني المختلفة إلى مجموعةٍ محددة من العناصر وبالتالي في قدرتها على إنشاء عددٍ هائل من العوالم المختلفة الممكنة. ويظهر الكلام، بدوره التواصلي الخاص، فقط كنتيجة للعملية التطورية. وإن تعددية اللغات و»الإبداع اللغوي» (تشومسكي (Chomsky)) تشهد على قدرة اللغة بصفتها أداةَ نمذجةٍ أولية على إنتاج عوالم محتملة متعددة. وعلى النقيض من ذلك، فإن اللغة اللفظية واللغات الطبيعية التي هي بمثابة الوسط الذي يميز تللك اللغة (اللفظية، تعبر عن عمليات النمذجة الثانوية) (AP).

قراءات إضافية:

Anderson, M. And Merell, F. (eds) (1991) *On Semiotic Modeling*, Berlin and New York: Mouton de Gruyter.

Sebeok, T. A. and Danesi, M. (2000) *The Forms of Meaning:*

Modeling Systems Theory and Semiotic Analysis, Berlin and New York: Mouton de Gruyter.

Zaliznjak, A. A. *et al*. (1977) «Structural-Typological Study of Semiotic Modeling Systems», in D. P. Lucid (ed.) *Soviet Semiotics: An Anthology*, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press.

المورفيم (أصغر وحدة صرفية ذات معنى في اللغة (Morpheme): تتكون الكلمات غالباً من أجزاء (صغرى) ذات معنى. على سبيل المثال فإن كلمة Climbers أي

متسلقون تتألف من ثلاثة أجزاء لكل منها معنىً (Meaning) مختلف: Climb أي يتسلق (يتحرك للأعلى)، ومن -er (للدلالة على الفاعل) ومن –s (للدلالة على الجمع). هذه الوحدات (الصغرى) مع معانيها الخاصة تسمى المورفيمات. وإن كلمةDaffodil أي النرجس تتكون من مورفيم واحد، في حين أن كلمة Internationally أي عالمياً تتألف من أربعة مورفيمات (Inter+nation+al+ly) (RS).

(علم الصرف) أو المورفولوجيا (Morphology): هو دراسة تركيب الكلمات والمورفيمات (Mor-phemes). وتشمل المورفولوجيا التصريف (الأشكال المختلفة للكلمة الواحدة مثل Invent، Invents أي يخترع، (Invented) أي اخترع، (In-venting) أي مخترعاً) وتشكيل الكلمات (خلق كلمات جديدة عن طريق دمج الكلمات والمورفيمات الموجودة مثل Invention أي اختراع من (invent+ion) (RS).

موريس تشارلز (Morri Charles): درس موريس (دنفر (Denver)، كولورادو (Colorado)، غاينزفيل (Gainesville)، فلوريدا (Florida)، (1901-1979) الهندسة وعلم الأحياء وعلم النفس والفلسفة. وبعد نيله إجازته في العلوم عام 1922، حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام 1925 من جامعة شيكاغو التي دَرَّس فيها من العام 1931 وحتى العام 1958.

إن علم السيمياء (Semiotics): عند موريس يقدم وصفاً عاماً للإشارة (Sign) كمفهوم يشمل كل ما ينتمي إلى عالم الحياة. ولقد كان هدفه هو تطوير مقاربة لدراسة علم السيمياء تستطيع أن تعالج فيه جميع أنواع الإشارات، ولهذا فقد بنى مصطلحاته ضمن إطارٍ أحيائي متميز كما يظهر ذلك بشكلٍ خاص في كتابه الصادر عام: **الإشارات، اللغة، والسلوك** (*Signs, Language and Behavior*) (1946). ولهذا السبب فإن فيروسيو روسي– لاندي (Ferruccio Rossi-Landi)، مؤلف دراسة تشارلز موريس عام 1953 – وصف بحثموريس في إطار «علم النفس الحيوي السلوكي».

لكن اهتمام موريس بعلم الأحياء قد تطابق مع بداية دراسته حول الإشارات، أو كما أطلق عليها في العقد الثاني من القرن العشرين،

«الرمزية». وإن رسالته في الدكتوراه المعنونة «Symbolism and Reality»(SR) أي الرمزية والواقعية التي أنجزها في العام 1925 (ولكن لم ينشرها حتى العام 1993) تشمل فصلاً بعنوان «بعض الاعتبارات النفسية والأحيائية». ولهذا فإن مصطلحي «الرمزية» و«علم الأحياء» يظهران في بداية عمله. وهو يذكر أيضاً في مقدمة كتابه: **ست نظريات للعقل** (*Six Theories of Mind*) (1932) نيته في تطوير نظرية عامة عن الرمزية بالاستناد إلى اعتقاده بأن العقل والعملية الرمزية قابلان للتحديد.

لدى وصفه للسيمياء كـ «علم للسلوك»، لم يكن موريس يشير إلى توجه فلسفي–نفسي يُعْرَف بالسلوكية، بل بالأحرى كان يشير إلى «علم»، إلى فرع من فروع المعرفة لم يتم تطويره بعد، أو إلى «مجال»، كما يعبر عنه موريس في مصطلحاته الخاصة. شدد موريس على أن السلوكية عنده قد اشتُقَّت أساساً من جورج ميد (George H. Mead) وإدوارد تولمان (Edward Tolman) وكلارك هول (Clark L. Hull). ولقد أخذ مصطلح «سلوكي» من أوتو نيوراث (Otto Neurath) لتسمية العلم أو المجال موضع البحث. وفي الواقع، اختلف موريس عن السلوكيين الآخرين الذين يطبقون علم النفس كما تم تطويره بمقارنة دراسة الجرذان بدراسة الإنسان (كما احتج أحد نقاد موريس)، ولقد حاول هؤلاء الباحثون تطوير نظرية عامة للسلوك، «السلوكية» كما يقول موريس، قادرة على تفسير سلوك الإنسان والجرذان، وفي نفس الوقت قادرة على تفسير الاختلافات عند كلا النوعين.

لعبت الواقعية البراغماتية (Pragmatism) عند بيرس (Charles S. Pierce) دوراً مهماً في تطوير علم السيمياء عند موريس. وهذا يظهر جلياً في الدراسة المعنونة: **الفلسفة الوضعية المنطقية، الواقعية البراغماتية، والتجريبية العلمية** (*Logical Positivism, Pragmatism and Scientific Empiricism*) (1937). وفي العام 1938 أصدر موريس، بالإضافة إلى: **أسس نظرية الإشارات** (*Foundations of a Theory of Signs*)، **التجريبية العلمية** (*Scientific Empiricism*) (وكلا الدراستين موجودتان في الموسوعة الدولية للعلوم المتحدة: (International Encyclopedia of United science)، وبالإضافة إلى

ذلك أصدر موريس: **بيرس، ميد، والواقعية البراغماتية** (*Pierce, Mead and Pragmatism*) (المنشور في مجلة: **النشرة الفلسفية** *Philosophi-cal Review*). وفي الدراسة الأخيرة، أكَّد موريس على القرابة بين بيرس وميد أو بين الواقعية البراغماتية الأصلية عند بيرس والنسخة المعدلة الحديثة لنفس النظرية عند ميد.

وبالمقارنة مع كتاب **الأسس** (*Foundations*)، فإن موريس في كتابه: **الإشارات، اللغة، والسلوك** (*Signs, Language and Behavior*) (1946) يعزز العلاقة بين علم الأحياء والسلوكية وعلم السيمياء. وإن لجوءه إلى علم الأحياء لاشتقاق مصطلحاته السيميائية لا يعني على الإطلاق «البيولوجية» (Biologism) إذ إنه لا يوجد أي ميل نحو عملية الإنقاص أو التقليصية وهي نظرية تَدَّعي أنه من الممكن تفسير أي ظاهرة عن طريق ظواهر أكثرَ بساطةً منها (وهذا الميل هو الإغراء بتقليص مجموعة متعددة من عوالم خطابٍ (Discourse) ما إلى عالم واحد، وفي هذه الحالة هو خطاب علم الأحياء). من وجهة النظر هذه، فإن موقفه كان مختلفاً عن تقليصية التجريبيين المنطقيين أو الفلاسفة الوضعيين الجدد بسبب توجهاتهم نحو الفيزيائية بشكلٍ صريح.

في كتابه: **الدلالة والمدلول** (*Signification and Significance*) (1964)، يطور موريس اهتمامه بالقيم بالإضافة إلى الإشارات وهو في الحقيقة يؤسس لعلاقة وثيقة بين علم السيمياء وعلم الأكسيولوجيا أو علم مفاهيم القيم. إن كلمة «معنى» (Meaning) لها معنى مزدوج، وتشمل ليس فقط المعنى التعبيري (Seman-tic) (الدلالة) وإنما أيضا المعنى القِيَمي (المدلول). وفي نفس الوقت، يثبت علم السيمياء عند موريس في هذا الكتاب نفسه كـ «مهمة متداخلة في عدة فروع من فروع المعرفة» (المصدر نفسه، ص 1) مركزاً على الإشارات في كل أشكالها ومظاهرها، نسبياً للبشر وغيرهم من الحيوانات، والإشارات الطبيعية والمرضية، والإشارات اللغوية وغير اللغوية، والإشارات الشخصية والاجتماعية (SP).

قراءات إضافية:

Morris, C. (1938) *Foundations of the Theory of Signs*, Chicago: University of Chicago Press.

Morris, C. (1946) *Signs, Language and Behavior*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Morris, C. (1971) *Writings on the General Theory of Signs*, ed. T. A. Sebeok. The Hague and Paris: Mouton.

موكاروفسكي (Mukařovský): جان موكاروفسكي (Jan Mukařovskȳ) (1891-1975) هو أحد مؤسسي دائرة براغ لعلم اللغويات (مع جاكوبسون (R. Jakobson)، تروبتزكوي (N. Trubetzkoy)، ماثيسيوس (V. Mathesius)، هافرانيك (B. Havránek) و كارسيفسكي (S. Karcevskij)) في العام 1926. شملت مناصبه الأكاديمية مدرسةً للنحو في بيلسن (Pilsen)، ودرجة أستاذ في جامعة براتيسلافا (University of Bratislava)، وبعد العام 1937 شغل منصب أستاذٍ لعلم الجمال في جامعة تشارلز (Charles University). تركز أعماله العلمية على دراسة الشعرية التشيكية وعلى بناء نظريةٍ لعلم الجمال البنيوي. على الرغم من أن موكاروفسكي كان العضو الوحيد في دائرة براغ لعلم اللغويات الذي لم يكن لغوياً، فإن العديد يعتبرونه أحد الأعضاء الأكثر تأثيراً. تشمل أعمال موكاروفسكي الأكثر بروزاً «Přispěvek k estetice českého verse» (1923)، «Ojazyce básnickém» (1940)، «Kapitoly z české poetiky» (1948). ولقد أصبح موكاروفسكي ناشطاً في السياسة في فترة ما بعد الحرب في تشيكوسلوفاكيا كمؤيد للشيوعية كما أنه تخلى ظاهرياً عن جذوره الفكرية (البنائية) (EA).

انظر أيضاً مدرسة براغ (Prague School).

قراءات إضافية:

Mukařovskȳ, J. (1979) *Aesthetic Function, Norm and Value as Social Facts*, trans. M. Suino, Ann Arbor, MI: University of Michigan Slavic Contributions.

N

اللغة الطبيعية (Natural Language): تُمَيِّز عبارة «اللغة الطبيعية» بين اللغات المستعملة في المجتمعات الفعلية واللغات التي يخترعها الأشخاص أو اللجان للترويج للانسجام العالمي (مثلاً: الاسبيرانتو)، أو لخدمة سكان محددين (مثلاً: لغة باغت– غورمن (Paget-Gorman) للإشارة، وأنظمة الإشارة الأميركية المتعددة لتعليم الأطفال الصم). ولكن صفة «الطبيعية» التي تنطبق على اللغة عامةً تحمل تضميناتٍ (Connotations) مختلفة.

في تقليد ديكارت وسوسور (Saussure)، يعتقد بعض علماء اللغة أن هكذا نظام عشوائي كاللغة لا يمكن أن يكون قد نشأ بشكل طبيعي انطلاقاً من تواصل الحيوانات الأخرى (مثال: Chomsky 1957; Bickerton 1995). يسمي آخرون اللغة غريزة (مثال Pinker, 1994)، وهذا يدل ضمناً على أن استعمال اللغة هو تصرفٌ طبيعي تماماً كأيِّ تصرفٍ غريزيٍّ آخر. ولكن لا يزال آخرون يرون أن هناك استمرارية تطورية عبر اعتبار اللغة إيماءات (Gestures)، وهي حركات ذات مغزى تقوم بها الحيوانات الرئيسية الأعلى ويفسرها البشر بشكل نحوي وسيميائي (Armstrong et al. 1995, Stokoe) [(هذا الكتاب)].

يبدو أن الإجابة على السؤال العام، «هل اللغة تحصل بشكل طبيعي؟» هي «نعم، ولكن فقط في ظل

شروط معينة». إذ يتطلب اكتساب اللغة الطبيعية أو العادية التفاعل الاجتماعي والفيزيولوجيا الإنسانية الوظيفية. لا يكتسب الأطفال الصم لغةً محكية منذ الولادة، على الأقل ليس بالطريقة الاعتيادية. وإن مراجعة العديد من الدراسات الطولية للأطفال الصم وغير الصم، في بيئات لغوية مختلفة، تُبَيِّنُ أن كل الأطفال يتواصلون بالإيماءات لبضعة أشهر قبل أن يستعملوا اللغة التي يستعملها الآخرون من حولهم (Volterra and Iverson 1996). ويبدو أن التواصل الإيمائي مرحلة طبيعية في اكتساب الفرد للغة – وربما هو مشابه للزحف الذي يسبق المشي (WCS).

انظر لغات الإشارة (Sign Languages) والنمذجة (Modelling).

قراءات إضافية:

Armstrong, D. et al. (1995) *Gesture and the Nature of Language*, Cambridge: Cambridge University Press.

علم اللغويات العصبي (Neurolinguistics): هو دراسة الأساس العصبي للغة. المهمة الاساسية لعلم اللغويات العصبي هي تحديد مواقع الدماغ التي تعالج النواحي المختلفة للغة. يُسْتَعْمَل نوعان من التقنيات: التقنية الأولى التي تطورت هي دراسة الأشخاص المصابين بضرر في الدماغ، كنتيجة لحادث، أو مرض. إذا كان هناك جزء معين من دماغ الأشخاص مصاب بالضرر أو التلف وبالتالي يخطئ هؤلاء في لفظ الكلمات، فمن المنطقي الافتراض أن هذا الجزء من الدماغ مسؤول عن إصدار الكلام. مؤخراً، أنتجت تقنيات مراقبة وقياس نشاط الدماغ نوعاً آخر من تقنيات الاستقصاء في علم اللغويات العصبي: هذه التقنيات تتضمن الرسم السطحي المحوري الإلكتروني والتصوير بالرنين المغناطيسي.

يبدو أن الجزء الأساسي من الدماغ المرتبط باللغة هو الطبقة الرمادية الخارجية، المعروفة باسم اللحاء المخي. وإن الشق الأيسر للدماغ هو المعني باللغة لدى معظم الناس، مع أن وظائف اللغة لدى حوالي 20 بالمئة من الأشخاص العسراويين موجودة في الشق الأيمن (Caplan 1992, pp. 79-80). كما أن موقع الوظائف المحددة للغة في أجزاء معينة من الدماغ هو موضوع مثير لبعض الجدل، ولا يزال هناك

نقص في فهم الأساس الفيزيولوجي والبيوكيميائي للغة (RS).

قراءات إضافية:

Caplan, D. (1988) «The Biological Basis for Language», in F.

Newmeyer (ed.) *Linguistics: The Cambridge Survey*, vol. 3, Cambridge: Cambridge University Press, pp. 237-255.

الاسمية (Nominalism): هو المذهب الذي يعتبر أن كل العموميات الموجودة في العالم تخص الأسماء وليس الأشياء الحقيقية. ما هو موجود فعلاً هو الأشياء المعينة الخاصة أو الأفراد، في حين أن المسلمات والعموميات هي مجرد ابتكارات للغة بهدف تسمية الكثير من الأشياء في آن واحد. في شكلها الأكثر تطرفاً، تنص وجهة النظر الاسمية على أن المسلمات والأفكار التجريدية غير موجودة بأي معنى إلا كأسماء أو كلمات فارغة. هذه النظرة لا تقتضي ضمناً بالضرورة الاعتقاد بأن العبارات العامة غير فعالة أو عديمة الفائدة ولكن يمكن فقط اختصارها دائماً بتعابير تتضمن تسميةً لشيءٍ ما، ليس أكثر من مفردات أو تعابير خاصة تخدم غرضاً منطقياً ما. من وجهة النظر هذه، المسلمات هي خيالية من أي نوعٍ كانت. إذ هناك شكلٌ أكثر اعتدالاً للاسمية، وهو المفهومية، الذي ينص على أنه في الوقت الذي تفتقر فيه المسلمات إلى أي وجودٍ جوهري، يمكن أن يكون لها وجود شخصي أو اسمي كمفاهيم عقلية. وغالباً ما تعتبر المبدئية أو المفهومية حلاً وسطاً بين الاسمية والندِّ الرئيسي لها، أي الواقعية (Realism) الأفلاطونية.

ظهرت الحجج الأساسية للاسمية في القرن الثاني عشر مع روسيلينوس وأبيلارد، وفي القرن الرابع عشر طورها وليام أوكهام (William of Ockham) أكثر من السابق على عكس واقعية دانز سكوتس (Duns Scotus). كان كل التجريبيين البريطانيين الأساسيين اسميين ومثل أوكهام، أيدوا فكرة أنَ التعابير العامة هي بطريقةٍ أو بأخرى مجردُ اختراعات لغوية للحديث عن العديد من الخصوصيات في آنٍ واحد. لدى اتباعها للقبول الواسع الانتشار للنظرية التطورية في علم الأحياء، كانت الاسمية تميل إلى أن تندمج مع المادية لتدعم التبسيط الميكانيكي الفيزيائي

من النوع الذي طوره هربرت سبنسر (Herbert Spencer) في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر؛ ومؤخراً، تم تأييده بنجاح كبير من قِبَل فلاسفة مثل ويلارد فان أورمان كواين (Wil-lard van Orman Quine) ويلفرد سيلارز (Wilfrid Sellars). ولدى استمرارهم في معارضتهم لما يعتقدون أنَه تضاعفٌ عددي غير ضروري للكيانات، ينفي الاسميون الحديثون إمكانية نِسبة حقيقة كل أنواع الكيانات المجردة من قوانينَ وحالاتٍ ممكنة إلى الممتلكات، والمجموعات، والأنواع الطبيعية. وإن نفي فكرة أنَ النوايا والتجارب الفردية الذاتية الواعية هي حقيقية هو نفيٌ نموذجي يعبر عن الاسمية الحديثة.

مع وجود الكثير من الكيانات المجردة المختلفة والعموميات في المزيج الحالي، هناك الكثير من الدرجات والمكونات المتنوعة في الاسمية. كواين، على سبيل المثال، يَقْبَلُ بالمجموعات في علم الوجود عنده، ولكن في ما عدا ذلك يقبل فقط بالخصوصيات. بالرغم من كون العدو التقليدي للاسمية هو الواقعية، فإن بعض أشكال الواقعية هي في الحقيقة متوافقة مع الاسمية. إذ مثلاً أيَّد العديد من الاسميين الحديثين ما يسمى الآن بالواقعية الخارجية،وهي وجهة النظر التي تعتبر أنَ الأشياء الحقيقية موجودة بشكل مستقل عن كل الأفكار المعروفة عنها. عندما تُدْمَج الاسمية مع الواقعية الخارجية، يكون هناك ميل نحو العزلة التي أتى بها كَنْت (Kant) بين الواقع الأساسي والتفكير به ويكون هناك افتراض بأنَ المحتوى الرئيسي للفكر هو ذو أصل ألسني أو نفسي. بالنسبة لتشارلز بيرس (Charles S. Peirce)، فإن وجهة نظر كَنْت بأنَ كلَ وحدة في الفكر تعتمد على طبيعة العقل البشري، ولا تنتمي إلى «الشيء نفسه»، هي شكلٌ من أشكال الاسمية.

للاسمية تشعُّبات مهمة عن الأخلاق، والسيمياء، وفروع المعرفة الأخرى. الأخلاقيات الاسمية نفسها تهتم حصرياً باهتمامات الأفراد وتُبْنى من دون أي عودة إلى الأهداف الفعَالة أو إلى السلع والحقوق العالمية. ويرفض السيميائيون الاسميون أيَ تمييز متين بين النماذج والرموز، وهذه صفةٌ جوهرية في علم السيمياء عند بيرس.

انظر أيضاً الميتافيزيقيا (Meta-physics).

قراءات إضافية:

Armstrong, D. M. (1978) *Universals and Scientific Realism*, 2 vols, Cambridge: Cambridge University Press.

Loux, M. J. (1998) «Nominalism», Routledge Encyclopedia of Philosophy, London: Routledge.

Peirce, C. S. (1992) «Some Consequences of Four Incapacities», (1868) and «Review of Fraser's *The Works of George Berkeley*», (1871) in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 1, eds. N. Houser and C. Kloesel, Bloomington: Indiana University Press, pp. 83-105 and pp. 28-55.

الاسم (**Noun**): الكلمات مثل طاولة (Table)، قطة (Cat) ومدرسة (School) تسمى أسماء. يمكن أن تظهر هذه الاسماء كجزء من الفاعل أو المفعول به للجملة (الطاولة فارغة (The Table is Empty))، أكره المدرسة (I Hate School)؛ ولهذه الأسماء عادةً صِيَغ للجمع (قطط (Cats))، ويمكن أن يسبقها حرف تعريف (المدرسة (The School)) أو نعت (طاولة مليئة (a Full Table)). تُسَمّي الأسماءُ عادةً الأشخاصَ، الأماكن، الأشياء أو الحيوانات (RS).

الجملة الاسمية (**Noun-Phrase**): هي مجموعة كلمات تحتوي على اسم (Noun)، وتعمل كاسم في الجملة. المثال على ذلك هو: الغرفة الصغيرة في أعلى السلم (The Little Room at the Top of the Stairs): الاسم الأساسي أو أساس الجملة الاسمية هو الغرفة (Room)، ويتضح ذلك من خلال حقيقة أنَه إذا كانت الجملة الاسمية هذه جواباً على السؤال: ماذا رأيت؟ (What Did you See?)، فإنَ الجواب سيكون: رأيت نوعاً من الغرف، في حين أن الكلمات الأخرى في الجملة تخبرنا شيئاً ما عن الغرفة. وإن الفاعل أو المفعول به في الجملة يكون عادةً جملةً اسمية بدلاً من أن يكون اسماً واحداً قائماً بذاته (RS).



O

شيء (Object): أيَ شيء يمكن الإحساس به، أو الاستجابة له، أو التفكير به، إما بطريقة مباشرة أو بطريقةٍ غير مباشرة. وهو عادةً محصور بذاك الذي له علاقةٌ به كشيء منفصل عنه أو كشيء مختلف عن شيءٍ آخر، ولكن أحياناً يمكن التوسع في ذلك ليشمل الأشياء الحقيقية بذاتها (بشكلٍ مستقل عن علاقاتها ببعضها). عندما تُؤخذ بالمعنى الأول، يمكن تمييز الأشياء عن الأشخاص. يمكن أن تكون الأشياء ذات طبيعة فكرية (عقلية) مثل مفهوم أفلاطون للعدالة، أو يمكن أن تكون طبيعية (خارجية) مثل الشكوكران الذي شربه سقراط. وكذلك يمكن أن يكون هدفاً أو غاية، وهو ذلك الذي يُتَّخَذُ إجراءٌ أو عملٌ لأجله. كَفِعْلٍ (Verb): Object تعني المُعارضة أو رَفع الاعتراض. في علم الإشارات والرموز عند تشارلز بيرس، الشيء هو كل ما يتم تمثيله بإشارة (Sign). إذا كان موضِع أو شيء الإشارة ذا طبيعةٍ شخصية، فإن مُفَسِّر الإشارة (Interpretant) سيكون إحساساً. وإذا كان شيئاً أو حدثاً وجودياً، فإن المفسر سيكون مقاومةً أو ردَة فعل. وإذا كان هذا الشيء قانوناً، فإنَّ المفسر سيكون فكراً. بالنسبة لبيرس، تتضمن الإشارات نوعين من الأشياء، الأشياء المباشرة، التي هي فقط ما تمثله الإشارات، والأشياء الديناميكية، التي هي وسيلة مُساعِدَة في تحديد إشاراتها ولكن ليست مُمَثِّلة مباشرةً بها. لا يمكن للإشارات التعبير عن الأشياء الديناميكية ولكن يمكنها فقط أن تشير إليها وتتركها للمفسرين

ليجدوها من خلال «الخبرة المُكَمِّلَة» (NH) (Peirce 1998, p. 498).

قراءات إضافية:

Réthoré, J. (ed.) (1993) *Variations sur l'objet, Special Issue of European Journal for Semiotic Studies*, 5 (1 and 2).

أوكهام (Ockham): انظر وليام أوكهام (William of Ockham).

أوغدِن (**Ogden**): كان تشارلز كاي أوغدِن (Charles Kay Ogden) (1889-1957) بلا شك ذا ثقافاتٍ متعددة الجوانب، وكان معروفاً فوق ذلك كله بكتابه: **معنى المعنى** (*The Meaning of Meaning*) (1923) الذي كَتبَه مع آيفور أ. ريتشاردز (Ivor A. Richards). كتلميذٍ في جامعة كامبردج، كان أوغدن أحد مؤسسي الـ: جمعية الهرطقة (Society Heretic) التي لا تهدف فقط إلى مناقشة المشاكل المتعلقة بالدين وإنما أيضاً المواضيع المتعلقة بالفلسفة، الفن، والعلوم... إلخ. عَمِلَ كَمُحَرِّر لـ: **مجلة كامبردج** (*Cambridge Magazine*) وبالتالي **لمجلة النفس** (*Psyche*) (1923-52)، وهي مجلة تناقش قضايا علم النفس العام واللغوي. ضمن مسؤولياته المتعددة، أَسَّسَ الـ: المعهد الوصفي (Orthological Institute) واخترع الإنجليزية الأساسية، وهي لغة عالمية تتألف من 850 كلمة ومُوَجَّهَة للأشخاص الذين ليس لديهم أي معرفة باللغة الإنجليزية.

كان توجيه وتطوير بحثه متأثراً بشكل كبير بعلاقته مع فيكتوريا ليدي ويلبي (Victoria Lady Welby) وريتشاردز (Richards). وإن المراسلات غير المنشورة بين أوغدِن وويلبي (1910–1911) هي ذات أهمية ملحوظة من وجهة نظر الصلة بين الـ: Significsأو الدَّلالات عند ويلبي (وهي عبارة ويلبي اللغوية والفلسفية التي عَرَّفتها في العام 1890) وبين مفهوم المعنى (Meaning) المُقْتَرَح في الكتاب المذكور أعلاه لأوغدِن وريتشاردز (انظر Gordon 1990b; Petrilli 1995c, 1998a, 1998b). كتلميذِ جامعةٍ شابّ، كان أوغدن مرَوِّجاً حماسياً للدلالات (Significs)، وفي العام 1911 قَدَّمَ ورقةً للـ: Heretic Society حول «تطور الدلالات» (The Progress of Significs) (انظر Ogden 1994b). في كتاب *Meaning of Meaning*،يقترح أوغدِن وريتشاردز (Ogden and Richards)

(1923) مُخَطَّطاً ثلاثياً للإشارة حيث يبرز التفسير والمعنى كعمليات علائقية، تنشأ من التفاعل الديناميكي بين الإشارة (أو المُمَثِّل -Repre (sentamen)، المُفَسِّر (Intepretant)، والشيء (Object)، أو بعبارة الكاتِبَيْن هي تنشأ من التفاعل بين الرمز -Sym (bol، والمرجع (Reference)، وما يتم الإشارة إليه (Referent). في هذا الكتاب، وفي حين الاعتراف بأهمية تشارلز بيرس في مجال علم السيمياء وذلك من خلال إدخال قِسْم مُكَرَّسٍ له في المُلْحَق الذي قُدِّمَتْ فيه أفكاره وَوُزِّعَتْ للمرة الأولى في إنجلترا إلى جانب أسماء أشخاص مهمين آخرين، تمَّ ذِكر ويلبي ولكن لم يتم الاعتراف بأهمية مساهمتها بشكلٍ كاف.

قراءات إضافية:

Gordon, T. W. (1991) «The semiotics of C. K. Ogden», in T. A. Sebeok and J. Umiker-Sebeok (eds) *Recent Developments in Theory and History: The Semiotic Web 1990*, The Hague and Berlin: Mouton de Gruyter, pp. 111-77.

المحاكاة الصوتية (Onomato- poeia): أو التسمية المُحاكية – هي عملية تشكيل كلمة بالاستناد إلى صوتٍ ما تقوم الكلمة بتسميته. من الأمثله في الإنجليزية: طائر الوقواق (*Cuckoo*) وهَسْهَسَ (Hiss). في لغاتٍ أخرى نجد كلمات مثل العبرية كأس (Bak-Buk) (من الصوت الذي يصدر عن السائل عندما يخرج من الكأس)؛ Shona (اللغة الزمبابوية) *Vhuvhuta* «يَهُبُّ مثل العاصفة»، والألمانية *Knuspring* «هشّ، مُتَفَتِّت» . (RS)

النص المفتوح (Open Text):

في العام 1962، وجد العمل المفتوح L'opera aperta (The Open Work, 1989) أنَ الكثير من القراء لا يوافقون على الاقتراحات الابتكارية والمثيرة للجدل نوعاً ما لـ (أمبرتو إيكو) (Umberto Eco). اليوم، أصبح تعبير «Open Work» أو «العمل المفتوح» تعبيراً مشهوراً لدرجة أنه لا يشير دائماً إلى وجهات النظر الأصلية للسيميائي والروائي الإيطالي.

إن «شاعرية العمل المفتوح لإيكو» (Poetic of the Open Work) كان ردَة فعل على الجماليات المثالية لِبينيديتو كروس (Croce) عن الإلهام، الشكل، والمحتوى؛ وكان أيضاً نتيجةً لكونه درس تحت إشراف

لويغي باريسون (Luigi Pareyson) الذي ركَزت تعاليمه الفلسفية حول الجماليات على فكرة أنَ الفن هو تجربة إدراكية وعلى كيفية معرفته للعالم من خلال تركيباته الشكلية.

كان العمل المفتوح (The Open Work) سابقاً لعدد من المفاهيم النظرية حول الجدلية بين المؤلف، النص (Text) والقارئ وفي الستينات والسبعينات كانت هذه المفاهيم تُحْدِث ثورةًفي النقد الأدبي؛ وهي تعلن عن عددٍ من الاستراتيجيات التي تنبَّأ بها المؤلفون الذين يعتبرون القراء مساهمين مُحْتَمَلين في تكوين أعمالهم. في مقالاته يمكننا بسهولة أن نقتفي عناصر من مفهوم بارت (Barthes) عن «القراء كمساهمين» (Notion of Readers as Collaborators)، وعن «نظريات تَلَقّي القارئ» التي أشاعها وولفغانغ أيزر (Wolfgang Iser) ورومان إنغاردن (Roman Ingarden)، وأيضاً من مفهومه عن المقاربات الجديدة للفن والأدب المُقْتَرَحَة من قِبَل «مجموعة 63» (Gruppo 63)التجريبية والرائدة في إيطاليا.

تبدأ الانعكاسات على السِّمات ودرجات «الانفتاح» (Openness) بإشاراتٍ إلى المقطوعات الموسيقية لبيريو (Berio)، وبوسور (Pousseur)وستوكهاوسن (Stockhausen) التي تعطي حريةً (تفسيرية) كاملة للفنانين الذين يرغبون في عزفها. فيما يلي مجموعة متنوعة من الملاحظات على هكذا أشكال متنوعة من التعبير كمتحركات كولدر (Caulder)، وشاعرية وانطباعية باروك، والميلودراما (Kitsch)، وأفلام أنطونيوني (Antonioni)، وشعر مالارميه (Mallarmé)، وروايات جويس (Joyce)، وهي تهدف إلى دراسة ما يُقْصَد بالبنية «المفتوحة» (Open). إن الملاحظات حول الملحنين والفنانين ومخرجي الأفلام، والجمهور هي جميعها مرتبطة ضمنياً بوجهات النظر حول النصوص المفتوحة والقراء.

الكلمات المفتاحية والعبارات عند مركز «الانفتاح» (Openness) هي الغموض، الانقطاع، الاحتمالية، عدم التيقن، عدم التحديد، الحركة، العملية المستمرة، الأداء، والتفاعل الحر. الباعث الكامن وراء المقالات هو أنَّ العمل المفتوح لا يقترح أيَ خاتمة أو تفسير محدد بما أنه يتطلب استجابةً

اختراعية حرة من قِبَل الممثل/ القارئ.

العمل المفتوح يُحَوِّلُ بشكل مستمر دلالاته (Denotations) في تضمينات (Connotations) وتبياناته (Signifieds) في مؤشراتِ (Signifiers) التبياناتِ الأخرى.

وإن عملية فك الشيفرة هذه تبقى مفتوحةً ومستمرة، وضامنةً لقراءات مفتوحة للنص.في الأعمال المفتوحة، كل قراءة/ تفسير يمكن أن تَشْرَحَ نصاً ولكن لا تستنفده لأن قوانينه الداخلية مبنية على الغموض (مثال على ذلك: يقظة فينيغان لجويس (*Joyce's Finnegan's Wake*). إضافةً إلى ذلك، فإن النصوص المفتوحة هي أنظمة لعلاقات تؤكد على تكوين العمليات عوضاً عن الرسائل. هي أيضاً تشجع على التعاون الفعَال مع المؤلِّف وتدعو إلى الاشتراك الحر للترابطات التي تعمل كمقاطع مُسَلِّيَة وكآلةٍ للإدراك. بالنسبة لإيكو (Eco)، إنَّ انفتاح عملٍ فنيٍّ ما هو الشرط الأساسي للمتعة الجمالية وهو استعارة متعلقة بنظرية المعرفة عن مجتمعنا. إذ تتخطى الانفتاحية القِيَم الوسيطة التاريخية (المثال على ذلك قد يكون الطريقة التي ما زالت فيها كوميديا دانتيه (Dante's Commedia) ممتعة حتى اليوم)، وتفتح المجال للعمل لأن يبقى صالحاً لمدة طويلة بالرغم من كونه يتضمن رسائل محددة للغاية (RC).

انظر النص المغلق (Closed Text).

قراءات إضافية:

Eco, U. (1989) *The Open Work*, trans. A. Cancogni, Cambridge, MA: Harvard University Press.

فلسفة اللغة العادية الطبيعية (Ordinary Language Philosophy): عادةً ما تُسَمّى فلسفة اللغة الطبيعية: فلسفة أكسفورد (Oxford Philosophy) لأن مجموعةً من الفلاسفة الذي يعملون في أكسفورد قاموا بتطَويرها بشكل بارز (من الثلاثينات إلى الستينات)، من ضمنهم نذكر ج. ل. أوستن (J. L. Austin)، ب. ف. ستراوسون (P. F. Strawson) و ه. ب. غرايس (H. P. Grice) (الذي انتقل إلى الولايات المتحدة الأميركية). ظهر هذا التقليد في مقابل خلفية الأشكال السابقة للفلسفة التحليلية (ابتداءً من آخر القرن التاسع عشر) الذي مثَل

«تحولًا لغوياً» في الفلسفة، وأبدى اهتماماً واضحاً بمشكلة المعرفة في علاقتها مع اللغة، كما تأثرت أو تمثَّلت في عمل ج. فردج (G. Frege)، ج. إ. مور (G. E. Moore)، وب. روسيل (B. Russell)، وفيتغنشتاين (Wittgen-stein) السابق، ور. كارناب (R. Car-nap). على عكس الفلسفة التحليلية السابقة، حولت الفلسفة اللغوية الطبيعية (التي ساهم بها فيتغنشَّتاين اللاحق بقوةٍ من كامبردج) اهتماماتها من الاختزال وإعادة الصياغة إلى الوصف والتوضيح وتحولت من لغة العلوم كهدف أساسي لها إلى اللغة العادية اليومية. في سياق التأكيد على الاستعمال الفعلي للغة، كان يُنْظَر أيضاً إلى الكلام والعبارات كأشكالٍ من الفعل، وهذه هي الملاحظة الأساسية التي أنتجت نظرية فعل الكلام (Speech Act) كما صاغها أوستن أولاً ثم طوَّرها بشكل أكبر ج. ر. سيرل (J. R. Searle) (JV).

قراءات إضافية:

Austin, J. L. (1961) *Philosophical Papers*, Oxford: Oxford University Press.

الغيرية (Otherness): انظر الغيرية (Alterity).

P

نموذج الاستبدال (Paradigm): أي النموذج الذي يتألف من مجموعة المفردات التي يمكن أن تتبادل بين بعضها البعض (الصلات التراتبية الاستبدالية (Paradigmatic) أي الصلات التقديرية الموجودة بين الوحدات المختلفة اللغوية والتي تنتمي إلى النوع الصرفي النحوي نفسه أو إلى النوع الدلالي نفسه): نموذج الاستبدال هو مصطلح تقني في علم اللغويات الذي تم تحديثه عند سوسور، ولكنه مصطلح لم يستخدمه سوسور (Saussure) نفسه من قبل. وهو غالباً ما يحلُّ محل السلسلة الترابطية والتواردية الاقترانية عند سوسور (Associative Series)، والتي هي عبارة عن مجموعة من الإشارات المترابطة فيما بينها من خلال التشابهات الجزئية، إما في الشكل أو في المعنى (Meaning). وصف سوسور هذه المجموعات بأنها مجموعات يجري تأسيسها «في الذاكرة» وأن العناصر المرتبطة بها تشكل بالنتيجة «سلسلةً متعلقة بالذاكرة». ويبدو أن استبدال الصلات التراتبية الاستبدالية (Paradigmatic) بالصلات الترابطية يركز على مفهوم (الذي يناقشه سوسور) مجموعات المفردات المتصلة ببعضها من خلال إمكانيات الاستبدال في موضع معين. ويستشهد سوسور بنموذج الاستبدال المتغير المعروف في قواعد اللغة اللاتينية (Dominus أي الرب، Dominum أي سيد، Domini أي عام الرب... إلخ) كمثلٍ واحد فقط من أمثال السلسلة الترابطية (RH).

انظر أيضاً التركيب، السلسلة (Syntagm).

الكلام (Parole): هو مصطلح تقني عند سوسور يستخدم للدلالة على المستوى اللغوي الذي تحدث عنده أفعال الكلام (Speech Acts). وإن شخصين يتحدثان مع بعضهما البعض يشكلان الحد الأدنى من الدائرة أو الحلقة الكلامية (Speech Circuit) (circuit de la parole). وإن الفرد يتحكم كلياً بفعل الكلام (acte de parole)، على عكس اللغة أو اللسان (langue) (RH).

بيرس (Peirce): تشارلز ساندرز بيرس (Charles Sanders Peirce) (كامبردج (Cambridge)، ماساتشوستس (*Massachusetts*) 1914 – 1839 ميلفورد (Milford))، هو عالم أميركي، ومؤرخ للعلوم، وعالم بالمنطق، وعالم بالرياضيات وفيلسوف ذو شهرة عالمية. أسس السيميائية (Semiotics) المعاصرة، وهي نظرية للإشارات، ساوى بينها وبين المنطق ونظرية الاستدلال، وخاصةً الإبعاد (Abduction)، وبينها وبين البراغماتية أي الذرائعية الواقعية في وقتٍ لاحق، أو كما كان بيرس نفسه يفضل أن يسميها، (Pragmaticism). تخرج بيرس من كلية هارفارد في العام 1859 ثم حصل على شهادة الماجستير من كلية لورانس العلمية (Lawrence Scientific School) التي أسستها حديثاً جامعة هارفارد (Harvard University) في العام 1863. انتهت فترة عمله كعالم أبحاث وامتدت لواحدٍ وثلاثين عاماً في: ساحل الولايات المتحدة والمسح الجيوديسي (US Coast and Geodetic Survey) في العام 1891. باستثناء المحاضرات المؤقتة في المنطق وفلسفة العلوم التي كان يلقيها في جامعة جونز هوبكنز (Johns Hopkins University) في بالتيمور (Baltimore) (1884-1979)، وفي معهد لويل في بوسطن (Lowell Institute in Boston) (Boston) (1866)، وفيهارفارد (Harvard) (1865، 1869 – 1870، 1903، 1907)، وكذلك في المنازل الخاصة في كامبردج (في عام 1898 وفي أعوام أخرى)، كما عمل بيرس لوحده، خارج المجتمع الأكاديمي.

كان لدى بيرس صعوبة في نشر أعماله خلال حياته. وفي النهاية تم إعداد مجموعة مختارة من الكتابات المنشورة وغير المنشورة في (*Col-*

(*lected Papers*، والتي ظهرت أوائلها في العام 1931. ولكن مختاراتٍ من كتاباته التي حررها كوهن (M. R. Cohen) كانت قد نُشرت قبل ذلك تحت عنوان: **الحظ، الحب، والمنطق** (*Chance, Love and Logic*) في العام 1923. ويجري حالياً تنظيم أعمال بيرس وفق التراتبية الزمنية في طبعةٍ نقدية مؤلفة من ثلاثين مجلداً تحت العنوان العام: **كتابات تشارلز ساندرز بيرس: طبعة وفق الترتيب الزمني** (*Writings of Charles S. Peirce: A Chronological Edition* (في إنديانابوليس، بولاية إنديانا (Indiana)): مشروع بيرس للنشر (Peirce Edition Project)، وقد ظهر المجلد الأول في العام 1982.

في رسالة إلى فيكتوريا (ليدي) ويلبي (Welby) (1837-1912) مؤرخة في 23 كانون الأول/ ديسمبر من العام 1908، نقل بيرس، الذي شارف على السبعين من عمره، مضمون النطاق الشامل لرؤيته السيميائية عندما قال:

لم يكن في وسعي أبداً دراسة أي شيء من هذه العلوم: الرياضيات، الأخلاق، الميتافيزيقيا، الجاذبية، الديناميكا الحرارية، البصريات، الكيمياء، علم التشريح المقارن، علم الفلك، علم النفس، علم الصوتيات (Phonetics)، الاقتصاد، تاريخ العلوم، الهويست أي نوع من لعب الورق، الرجال والنساء، النبيذ، علم القياس، باستثناء دراسة السيميائية.

(Hardwick 1977, pp. 85-86)

كما كان متوقعاً في ورقةٍ كَتَبَها عام 1905، قضايا في البراغماتية (Issues of Pragmaticism)، في تصور بيرس للكون كله، كون الموجودات وكون بنياتنا المفاهيمية عنها، ذلك الكون الأوسع الذي اعتدنا على الإشارة إليه على أنه الحقيقة (Truth) التي لا يشكل فيها كون الموجودات سوى جزءٍ واحدٍ فقط، «كل هذا الكون مُشْبَع بالإشارات، هذا إن لم يكن مُكَوّناً حصراً من الإشارات» (CP 5.448 n. 1).

في الوقت الذي وضع فيه نموذجاً عاماً للإشارة، كان بيرس مهتماً بشكلٍ خاص بنظرية الأسلوب. وتركزت أبحاثه بشكل خاص على العلوم وبالتالي على البحث عن طريقة علمية. ولكن في منظور البراغماتية عند بيرس، فإن المعرفة التي تُفْهَم من حيث الابتكار والإبداع لا يُنْظَرُ إليها كعملية

بحثية معرفية بحتة. إذ تفترض المعرفة وجود المعرفة الأخلاقية، والاستجابة للآخر، الذي يستمع إليه الذات كالآخر الآتي من الذات وكالذات الأخرى على حد سواء: إذ ليكون هناك إشارة مُفَسَّرَة، أي موضوع (Object) للتفسير، يجب أن يكون هناك مُفَسِّر (Interpretant)، حتى عندما نتعامل مع الإشارات المعرفية الإدراكية بالمعنى الدقيق للكلمة. الإشارة كإشارة هي الآخر، وبعبارات أخرى يمكن وصفها على أنها إشارة بسبب انفتاحها الهيكلي على الآخر، وبالتالي يمكن وصفها كحوارٍ (Dialogue) مع الآخر. وهذا يعني ضمنياً أن هوية الإشارة متأصلة في منطق الغيرية أو الاختلاف (Alterity). وبالنتيجة يقع كل من التعلم، والمعرفة، والحكمة، والفهم، والحصافة بأشكالها المختلفة في وضعٍ إشاري يرأف بالآخر، كما يرد في التحليل الأخير، ويستمع إليه. وإن الهوية الإدراكية تخضع إلى الآخر، وعلى هذا النحو يتم وضعها باستمرار في أزمةٍ من خلال هستيريا الإشارات التي يُحْدِثُها الاحتكام إلى الآخر بشكلٍ متصلِّب. لذلك، بقدر ما تكون الهوية الإدراكية جزءاً من الشبكة الإشارية التي بفضلها وحدها تكتسب مكانتها كإشارة، بقدر ما يتم وضع وتشكيل الإشارة في سياقٍ أخلاقي غير قابل للإنقاص (SP).

انظر أيضاً ميريل (Merrell) (هذا الكتاب)، (نوع الإشارة) (Quali-sign)، الإشارة المُفْرَدَة (Sinsign)، الإشارة (القانونية) (Legisign)، التمثيل الصوري (Icon)، المؤشر (Index)، الرمز (Symbol)، المُسْنَد (Rheme)، الإشارة الوجودية (Di-cent)، الحجة (Argument)، الممثل (Representamen)، العادة (Habit)، والأساس (Ground).

قراءات إضافية:

Brent, J. (1998) *Charles Sanders Peirce*: *A Life*, rev. and Enlarged edn, Bloomington: Indiana University Press.

Peirce, C. S. (1992) *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 1, eds. N. Houser and C. Kloesel, Bloomington: Indiana University Press.

Peirce, C. S. (1998) *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 2, ed.

Peirce Edition Project, Bloomington: Indiana University Press.

الأداء (Performance): هو الاستخدام الفعلي للغةٍ ما في حالات واقعية (ملموسة)، في مقابل الكفاءة (Competence)، أي المعرفة باللغة. على الرغم من أن قواعد النحو والمعاجم تعطي توصيفاً للكفاءة، فإن دراسة الأداء تكتسب أهميةً متزايدة، وذلك لأسباب علمية (في بعض الأحيان يمتاز الأداء بصفات منهجية لا تعكس الكفاءة بشكل مباشر) ولأسباب عملية على حد سواء، بما أن متعلمي اللغة الثانية يحتاجون إلى المساعدة كي يقوموا بأداء أصلي جدير بالثقة (RS).

الفعل الأدائي التحقيقي (Performative): في التناقض بين التقريرية (Constative) (صفة الجملة التي تبين الحدث فقط) وبين الفعل الأدائي التحقيقي (وهو كل فعل يتحقق لدى قوله)، يدل الفعل الأدائي على فئة من العبارات (مثل «أُسمي هذه السفينة الملكة إليزابيث»، «أعتذر»، «أرحب بكم»، «أنصحك أن تفعل ذلك») التي لا تقول فقط شيئاً ولكن تقوم بدور أداءِ عملٍ (مثل تعميد السفينة، والاعتذار، والترحيب، أو تقديم المشورة/ النصيحة). لا يمكن أن نقول أن الأفعال الأدائية صحيحة أو خاطئة (حتى ولو كان بالإمكان لبعدٍ من الحقيقة (Truth) أن يكون مَعنياً، كما هو الحال عندما يتم الحكم على شخص قام بارتكاب جريمة)، ولكن يمكن إخضاعها لبعدٍ من الانتقادات على أساس معايير «اللباقة». وبالتالي لا يمكن لجملة «أنا أُسَمّي هذه السفينة الملكة إليزابيث» أن تكون صحيحة (لبقة) إلا إذا كان للمتكلم السلطة المناسبة لتعميد السفينة (وإلا فإن الفعل «باطل» أو «فارغ»)، أو لا يمكن لجملة «أعتذر» أن تكون صحيحة (لبقة) إلا إذا كان المتكلم يعتزم التعبير عن الأسف (وإلا «أسيء» استعمال التعبير).

ج. ل. أوستن (J. L. Austin) (1962): مَيز أوستن بين الفعل الأدائي الأولي والفعل الأدائي الصريح. وعلى النقيض من الأفعال الأدائية الأولية (مثل «سآتي غداً»)، تحتوي الأفعال الأدائية الصريحة (مثل «أعدك أن آتي غداً») على إشارة واضحة على العمل الذي يتم تنفيذه، كالفعل (Verb) الأدائي المستخدم في ضمير المتكلم المفرد الدلالي لصيغة المعلوم (في هذه الحالة «أَعِدُ»). أما مصطلح «القول

الأدائي» فغالباً ما يتم تخصيصه لفئة أضيق من «الأفعال الأدائية الصريحة» (Searle, 1989) (JV).

انظر أيضاً فعل الكلام (Speech Act).

قراءات إضافية:

Verschueren, J. (1995) «The Conceptual Basis of Performativity», in M. Shibatani and S. Thompson (eds) *Essays in Semantics and Pragmatics*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins, pp. 299–321.

فعل الكلام (Perlocution)، الفعل الكلامي (Perlocutionary): في إطار المصطلحات التي أدخلها أوستن (Austin) (1962) لمجاراة الوظائف المتعددة لكل الأقوال (التعبير (Locution) - القول المحقق (Illocution) – فعل الكلام (Perlocution)، يتم تخصيص مصطلح فعل الكلام (perlocution) للدلالة على الفعل الذي يتم أداؤه عن طريق قول شيءٍ ما. وكما يقول أوستن:

في كثيرٍ من الأحيان، أو حتى بشكلٍ طبيعي، إن قول شيءٍ ما يَنتج عنه بعض التأثيرات التَّبَعية على المشاعر، والأفكار، أو على تصرفات المستمعين أو المتكلم، أو الأشخاص الآخرين: ويمكن أن يتم ذلك عن طريق التصميم، والنية، أو الغرض من القول.

(المصدر نفسه، ص 101)

قرر سيرل (Searle) (1969) عدم مناقشة جوانب الأفعال الكلامية بشكلٍ عام وذلك بحجة أن فعل هذه التأثيرات التبعية ليس جزءاً من نظام اللغة أو أن التأثيرات عشوائية جداً وغير مستقرة، ولا يمكن التنبؤ بمعالجتها كخصائص مُكَوِّنَة لأنواع أفعال الكلام. وقد حاول الآخرون الحفاظ على دور مفهوم «فعل الكلام» (Perlocution) في نظرية فعل الكلام (Speech Act) من خلال اعتبار أن جميع أنواع الفعل التحقيقي (Illo-cutionary) لا بد أن يكون لها بعض التأثيرات التي ترتبط عادةً بها على الرغم من أنه لا يمكن التنبؤ بنشوئها الفعلي. وهكذا، ونموذجياً يُقْصَد بالجمل التأكيدية إبلاغ المستمعين بظروفٍ ما، ويُقْصَد بالأسئلة استنباط الأجوبة، ويُقْصَد بالوعود توليد الثقة في المسار أو العمل المُقْبِل للمستمع، تماماً كما يُقْصَد من التوجيهات حمل

المستمع على فعل شيءٍ ما (والذي يمكن اعتباره حتى كغايةٍ لفعلها المحقق (Illocutionary)) (JV).

قراءات إضافية:

Austin, J. L. (1962) *How to Do Things with Words*, ed. J. O. Urmson, Oxford: Oxford University Press. (2nd rev edn, 1975, eds J. O. Urmson and M. Sbisà, Cambridge, MA: Harvard University Press).

بيتر أوف سبين (Peter of Spain): (بيتروس هايسبانوس (Petrus Hispanus) ولد في لشبونة (Lisbon) في وقتٍ ما قبل عام 1205. ومن العام 1220 حتى العام 1229 درس في جامعة باريس (University of Paris)، في مركز شهير للدراسات في المنطق والفلسفة واللاهوت. درس الطب في ساليرنو (Salerno) أو مونبلييه (Montpellier)، وتخرج حوالي العام 1235. وكان قد كتب سابقاً *Summule logicales* أو *Tractatus* (critical ed. 1972)، وهو العمل الذي كان قد أكسبه الشهرة: ('e Pietro Ispano/ lo qual già luce in dodici libelli', Dante, *Paradise* XII, 134–35) قبل بضع سنوات، في بدايات العام 1230، وعلى وجه الاحتمال حينما كان يعيش في شمال إسبانيا. دَرَّسَ الطب في جامعة سيينا (University of Siena)، في إيطاليا، وفي الفترة الواقعة بين 1245–50. عام 1276، أصبح بابا تحت اسم جون الحادي والعشرين (John XXI). وواصل سعيه إلى البحث في الدراسات العلمية في شقةٍ مجهزة لهذا الغرض وبُنِيَت إلى جانب القصر البابوي (Papal Palace) في فيتربو (Viterbo)، حيث لاقى حتفه المأساوي في العام 1277 تحت سقف مكتبه الذي انهار عليه.

في الـTractatus، أوضح بيتر أوف سبين المنطق المنهجي والمُفَسَّر، كما تم تطويره حتى ذلك الوقت، بعمق وأصالة. ووضع الإشارة (Sign) ضمن إطار العملية المعقدة للنشاط الإشاري (Semiosis) وحدَّد خصائصها الأساسية.

واستبق نموذجه عن الإشارة نموذج تشارلز ساندرز بيرس (انظر: Ponzio 1990c; Ponzio and Petrilli 1996). وإن التشابهات التي ظهرت بينهما إنما تدل على اتجاه الـTractatus وعلى استباقه لبيرس الممثل vox sig-

nificativa = representamen; significatio أو interpretant = المُفَسِّر، res significata أو representata = الموضوع المباشر (immediate object)، to stand for = acceptio pro aliquid أي يرمز إلى، (الدالّ على acceptio) = الموضوع الديناميكي (dynamic object). وهذا ما يفسر اهتمام بيرس ببيتر أوف سبين الذي استَشهَد به في مناسبات عديدة (AP).

انظر أيضاً السيميائية (Semiotics).

قراءات إضافية:

Ponzio, A. (1990) «Meaning and Referent in Peter of Spain», in *Man as a Sign*, trans., ed., intro. and Appendices by S. Petrilli, Berlin and New York: Mouton de Gruyter.

(التبادل اللفظي الاجتماعي) (Phatic): (نوع من الاتصال اللغوي الذي لا يهدف إلى نقل الأفكار، بل إلى تقوية الصلة الاجتماعية بين الناس مثل المجاملة والتحية): هي واحدة من الوظائف الأساسية الستة التي وردت في فعل الكلام (Speech Act) عند جاكوبسون (Jakobson)، والتي يحددها عامل التعاقد لفعل الكلام. عندما يكون الهدف الرئيسي من الكلام هو البدء بالتواصل أو إنهاؤه أو التحقق من وجود قناة اتصال، عندها يمكن أن تهيمن وظيفة التبادل المشاعري. وهي الوظيفة الوحيدة المشتركة بين البشر والطيور (EA).

علم فقه اللغة (Philology): بما أن مصطلح علم فقه اللغة كان مختلفاً عن علم اللغويات، فإنه يتم عادةً تطبيق هذا المصطلح على النموذج الأكثر تقليديةً لدراسة اللغة، وذلك استناداً إلى النصوص (وخاصة في فترات الزمن السابق). ولقد أسس علم فقه اللغة المقارن في القرن التاسع عشر العلاقات بين لغات العائلة الهندو أوروبية قبل ظهور علم اللغويات الحديث (RH).

الصوت الكلامي (Phone)، الصوتي (Phonic)، نظرية علم الصوت الوظيفي (Phonologism): ترتبط هذه المصطلحات كلها بأصوات اللغة المنطوقة، ولقد استخدمها جاك **ديريدا** (Jacques Derrida) في «تفكيكه» (Deconstruction) لعملِ علم اللغة فرديناند دو سوسور (Fer-

dinand de Saussure) في **مقرر علم اللغويات العامة** (*Course in General Linguistics*)، ولقد أعطى سوسور امتيازاً للكلام على الكتابة، وتأسف من حقيقة أن الناس يولون أهمية أكبر للكتابة على الكلام، حيث أن «استيعاب رابط الكتابة السطحي هو أسهل من استيعاب الرابط الحقيقي الوحيد، رابط الصوت» ([1916] 1974, p. 25). ونتيجةً لهذا الامتياز للدال الصوتي، يقول ديريدا، «الصوت الكلامي (Phon) ... هو الجوهر الدالّ المرتبط بالوعي كذلك الدالّ المرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة مفهوم المدلول» (1981, p. 22). لذا، عندما نتكلم، يبدو أن الدال (Signifier) والمدلول (Sig- nified) يَتَّحِدان كثيراً، لدرجةٍ يبدو فيها أن الدال «يمحو نفسه»، «ليصبح شفافاً». ومن هنا نأتي إلى الاعتقاد باحتمال التفكير بمفهوم «يتواجد ببساطة من أجل الفكر، ويستقل عن العلاقة باللغة»، فيما يسميه ديريدا «المدلول الواقع ما وراء نطاق الخبرة» (المصدر نفسه، ص 19–22) – وهذا احتمال يرفضه ديريدا، كما يرفضه عدد من علماء اللغة المعاصرين (Harris (RM) 1981, p. 9).

انظر أيضاً الرموز (Logos)، تمركز الكلمة (Logocentric) (أي ما يعود لفكرة أن للكلمات علاقة مبنية مع الشيء الذي تمثله)، التباين والتفاضل (Différance).

قراءات إضافية:

Derrida, J. (1981) *Positions*, trans. A. Bass, Chicago: University of Chicago Press.

الوحدة الصوتية أو الفونيمة (Phoneme): هي وحدة الصوت الأساسية في أي لغة. بالنسبة لسوسور وآخرين، تعتبر الاختلافات بين الوحدات الصوتية حاسمة في توليد القيمة (Value). مثال بسيط على ذلك هو الفرق بين الأصوات في كلمتي القصدير(Tin) والنَّسَب (Kin) في اللغة الإنجليزية. وإن التمييز بين الوحدتين الصوتيتين اللتين يُرْمَز إليهما بـ: t و kتمكنان كل كلمة من توليد معاني (Meanings) مختلفة. وإن دراسة هذه الوحدات هو مجال فرعي في علم اللغويات ويُعْرَف باسم علم النطقيات أو علم تحليل الفونيمات (Phone- mics) (في مقابل علم الصوتيات أو علم نظام الأصوات الكلامية (Pho- netics) (PC).

علم الصوتيات (Phonetics):

هو علم دراسة أصوات الكلام: الذي يدرس كيفية إصدار الأصوات من قبل أعضاء النطق (علم الصوتيات النطقية)، وكيفية إدراكها عبر الأذن (علم الصوتيات السمعية) وخصائصها الفيزيائية (علم النطقيات الصوتية). ولقد طور علماء الصوتيات أنظمةً لتدوين أصوات أي لغة من اللغات، وإن النظام الأكثر استعمالاً هو نظام الأبجدية الصوتية العالمي (Inter- national Phonetic Alphabet أو IPA). في الـ: IPA، تتم كتابة كلمة الصوتيات (Phonetics) كالآتي: [fənetɪks] (RS).

انظر أيضاً الصوت الكلامي أو الفونيمة أو الصوتَم (Phoneme).

علم (وظائف) الأصوات أو الفونولوجيا (Phonology): هو علم (وظائف)الأصوات وأنماط الأصوات في لغاتٍ معينة. يضع علماء الأصوات قائمةً بأصوات كل لغة (على سبيل المثال، صوت هـــ (h) كما في كلمة hat أي قبعة موجود في اللغة الإنجليزية، ولكن غير موجود في اللغة الفرنسية)، وكذلك يشرحون كيفية تركيب الأصوات (يتواجد صوت الـ: هـــ (h) في اللغة الإنجليزية في بداية المقطع اللفظي فقط) (RS).

(مصطلح تعبيري :Phrasal Verb) وهو اصطلاح Idiom يتكون من فعل وظرف (كما في Come around بمعني «يستعيد وعيه»)، أو يتكون من فعل وحرف جر (كما في: *Fall for Someone* وتعني «يعشقه أو يقع في غرامه»). إن الجمل الفعلية شائعة في اللغة الإنجليزية، وتعد واحدةً من المشاكل الرئيسية بالنسبة للأشخاص الذين يتعلمون اللغة الإنجليزية كلغة ثانية (RS).

بنية جزء الجملة (Phrase Structure): تتكون العبارات (Claus- es) من أجزاء الجمل: وهكذا فإن جملة فتح الباب بهدوء شديد (The Door Opened Very Quietly) تنقسم إلى [الباب] (The Door) وفتح بهدوء شديد (Opened Very Quietly). تتكون هذه الجمل في بعض الأحيان من أجزاء أصغر من الجمل: إذ يمكن تقسيم فتح بهدوء شديد (Opened Very Qui- etly) إلى [فتح] [Opened] +[بهدوءٍ شديد] [Very Quietly]. تتكون أجزاء الجملة الأصغر من كلماتٍ فردية. هذا هو بناء جزء الجملة للعبارة الأصلية، ويتم تمثيله في بعض الأحيان بالشكل الملائم باستخدام الرسوم البيانية (RS).

اللغة المبسطة (Pidgin): (التي تستخدم للتفاهم بين الشعوب الناطقة بلغات مختلفة): وهي عبارة عن لغة تحتوي على كلمات من لغتين أو أكثر من اللغات، وتُستخدم كوسيلة للتواصل في التجارة أو في العمل بين الشعوب الذين ليس لديهم لغة مشتركة. غالباً ما يكون للغات المبسطة قواعد نحو (Grammar) بسيطة، وغالباً ما تكون مفرداتها مقتصرة على المجالات التي تستخدم فيها عادةً. وتسمى اللغة المبسطة، التي تتطور إلى لغة يتم استخدامها في جميع مجالات الحياة ويتعلمها الصغار كلغةٍ أمّ، اللغة الكريبولية (أي اللغة الهجينية المتكونة من مزيج بين لغتين أو أكثر) (Creole) (RS).

بايك (Pike) كينيث لي بايك (Kenneth Lee Pike) (1912 – 2000): هو مساهم لفترة طويلة في: المعهد الصيفي لعلم اللغويات (Summer Institute of Linguistics)، وبقي صاحب التميز الأفضل المتعارف عليه بسبب استحداثه (1954) ودفاعه (1990) عن المصطلحات المرتبطة بالسلوك الإنساني المقيد بالثقافة (Emic) و المتحرر من الثقافة (Etic)، والمشتقة على التوالي من كلمتي الفونيمي الصوتي (Phonemic) والصوتي اللفظي (Phonetic) ، وكذلك بسبب نشره المغامِر للاستعارة أو المجاز في المنهجية والنظرية، مثل ذَرة (Particle) وموجة (Wave) وحقل (Field) (1959). نشر بايك الانتقائي منشوراته على نطاق واسع في جميع نواحي علم اللغويات (MA).

بوينسو (Poinsot): على الرغم من تفوّق معاصريه غاليليو (Galileo) وديكارت (Descartes) عليه في الفلسفة الحديثة، كان لجون بوينسو (John Poinsot) الشرف تاريخياً بأن يكون أول من نجح في إعطاء مغزىً لاقتراح أوغسطين (Augustine) في مطلع القرن الخامس والذي يعتبر أن الإشارة (Sign) هي نمط من الحيادية تجاه التمييز بين الطبيعة والثقافة. ولقد قام بوينسو بهذا العمل الثقافي عن طريق الأخذ بإنجازين سابقين ومن ثم الجمع بينهما مع الإثبات العصري (Araújo 1617) بأن الإشارات هي ثلاثية بشكل غير قابل للاختزال.

أولاً، أخذ بوينسو بترجمة بوثيوس (Boethius) لمشكلة أرسطو (Aristotle) في التمييز بين المواد، التي يجب أن تُفْهَم وفقاً لبيئتها

(الذاتيات، «وروابط النسق الواقعة وراء نطاق الخبرة»)، والعلاقات المحضة، التي ليس لها كيان غير ذلك الكيان الذي يربط المواد ببعضها البعض (الذاتيات الفوقية، و«الروابط الأنثولوجية الوجودية»). **ثانياً**، أخذ بوينسو باكتشاف (تحقيق) أكويناس (Aquinas) (28 .Q 1266). بأن العلاقات المجردة التي حددها أرسطو غير متحيزة لأساسها الذاتي، لذلك يتجاوز التواصل حدودَ كونِه محدوداً. بهذه الطريقة، كان بوينسو أول من أثبت بطريقة منهجية بأن الكيان الخاص بالإشارات، كعلاقةٍ ثلاثية غير قابلة للاختزال، يتجاوز أيضاً التمييز بين الكيان الناتج عن عمل الطبيعة وذلك الناتج عن عمل العقل، مما يجعل «التجربة» نسيجاً موضوعياً متشابكاً (أو محبوكاً) من نتاجات كلا العَمَلَين (JD).

انظر أيضاً السيميائية (-Semiot ics).

قراءات إضافية:

Special Issue on John Poinsot, *American Catholic Philosophical Quarterly* 68 (3) (Summer 1994), pp. 363–393.

نقاط كابيتون (-Point de Capi ton): «نقاط كابيتون» (points de Capiton) هي نقاط إرساء وترسيخ يتم من خلالها تجنب توليد التغيير اللامُتَناهي للمعنى (Meaning). يقول لاكان أنه في حين أن هكذا «نقاط حشو أو تبطين (الوصل)» هي فعالة في حالات التفكير العادية أو العصبية، فإنها تكون ضعيفة في حالة الذهان. يتحدث لاكان (Lacan) عن «الأنا» لكائنٍ عصبي مصاب بهذا «الحشو». في عام 1953، أخذ لاكان تأثير نقطة الحشو التي سيحدثها «جواب لا من الأب»؛ وفي قت لاحق استخدم لاكان نظرية العقدة لإضفاء طابع رسمي على هذا الدور (BB).

اللُّطف أو الأدب (Politeness): هو وسيلة لإظهار الكِياسة، والاحترام، والمراعاة والموقع الاجتماعي في اللغة. قد تتكون كلمة Politeness من كلمات أساسية تُضاف إلى الكلمة القائمة بذاتها: «من فضلك» (please). ويمكن أن تتكون أيضاً من كلمات مُشَفَّرَة كصِيَغٍ لإظهار اللطف، مثل الضمير الرسمي الثاني للمخاطب في اللغة الإيطالية «Lei» في مقابل الضمير الرسمي «Tu. بسبب العوامل السياقية التي يجسدها التهذيب أو

اللطف بطريقة شائعة وفطنة جداً، كانت هذه الظاهرة موضع استقصاء جدير بالاعتبار في البراغماتية (Prag-matics) (وهو مجال اللغويات الذي يدرس فهم طبيعة اللغة واستخدامها وليس بُنْيَة اللغة) (PC).

تعدد المعاني (التعددية في معنى الإشارة) (Polysemy) (Polyse-mic): هي قدرة الإشارات أو النصوص على احتواء عدة معاني. فكلمة «Crack» مثلًا تحمل معنى المحاكاة الصوتية(رمز ذو صوتٍ محدد)(Ono-matopoeia) كفعل (Verb) (كما في: «بدأت الألعاب النارية تفرقع» (The Fireworks Began to Crack) وكاسم (Noun) على حدٍ سواء (كما في: «صوت فرقعة عالية» (a Loud Crack). وهذه الكلمة هي أيضاً فعل متعلق بالكسر (كما في: قررت أن أفتحه بفرقعة (I Decided to Crack it Open) وهي كذلك اسمٌ (كما في سقط المال في الصدع (the Money Fell into the Crack). وهي اسمٌ يشير إلى ملاحظات تهكمية (كما في: أصدر صوتاً تهكمياً حول سوء أداء رئيس الوزراء (he Made A Crack About The Prime Minister's Poor Performance) أو حتى كفعلٍ يشير إلى نفس المعنى (كما في: «بدأ بالتهكم بمكرٍ مجدداً» (He Start-ed To Crack Wise Again). في الاستخدام العامي، تشير هذه الكلمة إلى بلورات الكوكايين الفعالة («الشق أو الفَلَق» (Crack))، وإلى الشق بين الأرداف، وأحياناً تشير إلى المهبل. في إيرلندا، غالباً ما يكون لكلمة «Crack» معنىً ألطف بكثير يعبر عن تمضية وقت جيد. هذه فقط هي بعض المعاني المحتملة لهذه الكلمة.

عندما يتم تمديد تعدد المعاني إلى مستوى النصوص والخطاب (Discourse) الأطول، يصبح تعدد المعاني بدون شك أكثر تعقيداً. في هذه الحالات، قد يكون الفهم المحدد للمعاني المحتملة للنصوص نتيجةً للحد من تعدد المعاني من قِبَل المجتمعات الكلامية (Speech Com-munities) أو من قِبَل أنواع معينة من تأليف النصوص (كالنص المغلق (Closed Text) أو النص المأخوذ من نوعٍ (Genre) أدبي معين) (PC).

انظر النص المفتوح (Open Text)، النشاط الإشاري اللامحدود (Unlimited Semiosis)، والقول المحقق (Illocution).

قراءات إضافية:

Eco, U. (1979) *The Role of the Reader: Explorations in the Semiotics of Texts*, Bloomington: Indiana University Press.

بور- روايال (Port-Royal): هو اسمٌ لمؤسسة تعليمية جينسينية (تتبع مذهب كورنيليوس الذي يركز على مشيئة القدر وعلى أنه ليس هناك إرادة حرة) كانت مشهورة في فرنسا في القرن السابع عشر، حين أصدر فيها أنطوان أرنولد (Antoine Arnauld) (1612–94) وكلود لانسلو (Claude Lancelot) (1615–95) كتاب قواعد (Grammar) **اللغة الفرنسية المبتكرة** (*Grammaire générale et raisonée*) (1660)، وذلك استناداً إلى مبادئ تربوية جذرية. ولقد استندت «العقلانية» للطريقة على افتراض أن بعض المبادئ كانت تنطبق على جميع اللغات وأن كل اللغات يمكن أن تُعبر عن بعض العمليات العالمية للعقل البشري. شارك أرنو (Arnauld) وبيار نيكول (Pierre Nicole) (1625–95) في تأليف الملحق المرافق *Art de penser* ، والذي يُطلق عليه عادةً اسم منطق بور روايال (The Port-Royal Logic). هذه الأعمال غالباً ما تُلخص أو تمثل بصورةٍ مختصرةٍ الأطروحةَ التي تعتبر أن بنية الفكر تُحدد بنية التعبير اللغوي. (للاطلاع على الفرضية المعاكسة، انظر سوسور) (RH).

قراءات إضافية:

Padley, G. A. (1985) *Grammatical Theory in Western Europe, 1500–1700: Trends in Vernacular Grammar I*, Cambridge: Cambridge University Press.

الفلسفة الوضعية (Positivism): (وتدعى الفلسفة اليقينية، الإيجابية): نشأ هذا النهج أو الحركة الفلسفية مع هنري كونت دو سان سيمون (Henri Comte de Saint-Simon) (1760-1825) وأوغست كونت (Auguste Comte) (1798-1857) اللذين أكدا على أهمية إسناد المعرفة إلى الحقائق الموجبة والمستمدة من الخبرة المباشرة. يمكن إيجاد العديد من ميزات المنهج الوضعي في أعمال التجريبيين السابقين، بما فيهم هيوم (Hume) وكَنْت (Kant)، ولكن اليقينية ميَّزت نفسها من خلال التزامها الصارم بمناهج العلوم الدقيقة وعدائها الحاد

للميتافيزيقية (Metaphysics) والدين.

ولقد عارض أنصار الفلسفة اليقينية (اليقينيون) بشدة إسناد ادعاءات المعرفة إلى المعتقدات التخمينية وأصروا على أنه لا يمكن قبول أي فرضية لدراسةٍ جادة إلا إذا كان من الممكن التحقق منها من خلال الملاحظة المباشرة. افتُتن اليقينيون كثيراً بنجاحات العلوم – التجريبية وكانوا مقتنعين أن المنهج العلمي هو الطريق الوحيد إلى الحقيقة في البحث من أي نوع كان. وقد أراد اليقينيون أن يعيدوا صياغة الفلسفة والعلوم الاجتماعية على صورة العلوم الواقعية.

على الرغم من عدائية اليقينية للدين، فإنه تمت ترقيتها إلى نوع من الدين العلماني، وهو دين الإنسانية. ولقد تم وصف التقدم البشري كحركةٍ تنتقل من قاعدة لاهوتية تنطوي على الاعتقاد بما هو خارق للطبيعة، من خلال مرحلةٍ ميتافيزيقية تنطوي على الكثير من التكهن والاحتكام إلى التجريدات، وتصل إلى مرحلة يقينية (إيجابية) نهائية حيث يتم رفض التجريدات الميتافيزيقية (مثل القضايا النهائية)، ويتم استنباط جميع المعارف من التجربة والقوانين العلمية المعروفة.

في حين تطورت اليقينية بعد كونت (Comte)، أي مثلاً، في أعمال جون ستيوارت ميل (John Stuart Mill)، وهربرت سبنسر (Herbert Spen-cer)، وإرنست ماخ (Ernst Mach)، ما عاد يُرَوَّج لها كدين علماني، ولكنها استمرت بالاهتمام بتقدم المجتمع وورفاهية البشرية. وكان اليقينيون يعتقدون بشكلٍ نموذجي أن السبيل إلى عالم أفضلٍ يَكمن في التمكن من الطبيعة، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا من خلال زيادةٍ كافيةٍ في المعرفة العلمية.

انتشرت اليقينية في الفلسفة من خلال الحركات والبرامج ذات الصلة. وفي فيينا، توسعت مجموعة من الفلاسفة المعروفين باسم دائرة فيينا (Vienna Circle) في أفكار إرنست ماخ (Ernst Mach) لتطوير اليقينية المنطقية. هذه الصيغة من اليقينية استمرت في عدائها الشديد للميتافيزيقية، ولكنها ركزت بشكل رئيسي على عملية التحقق التي يمكن عن طريقها إثبات فرضيات المعرفة. اعتُبِر كتاب: *Tractatus Logico-philosophicus* للودفيغ فيتغنشتاين (Ludwig Wittgenstein) نصاً أساسياً لليقينيين المنطقيين، ومن بين هؤلاء يمكن تعداد موريتز شليك (Mori-

tz Schlick)، وأوتو نيوراث (Otto Neurath)، وفيليكس كوفمان (Felix Kaufmann)، وهربرت فيجل (Her-bert Feigl)، وفيليب فرانك (Philipp Frank)، ورودولف كارناب (Ru-dolf Carnap). ولقد هاجر الأعضاء الرئيسيون في: دائرة فيينا (Vienna Circle) إلى الولايات المتحدة في أوائل الثلاثينات وأسسوا مع تشارلز موريس (Charles W. Morris) الـ: وحدة حركة العلوم المخصصة (Unity of Science Movement) المُكَرَّسة لوضع فلسفة تجريبية دقيقة شاملة مبنية على منهجية علمية واقعية يوجهها المنطق المنهجي. عَرَّف موريس أعضاء هذه الحركة على المبادئ السيميائية، ولا سيما على أهمية التقسيم الثلاثي لعلم السيمياء (Semiotics)، وعلى علم البناء، وعلم معاني الكلمات أو الدلالة (Se-mantics)، وعلم اللغة في الاستخدام أو البراغماتية (Pragmatics). في علم النفس وفي فلسفة علم النفس، أَدْرَجَت (دَمَجَت) نظرية السلوكية المبادئ الرئيسية لليقينية. من خلال هذه المبادئ ومن خلال التطورات والنتاجات الأخرى، مارست اليقينية تأثيراً هائلًا على الفلسفة التحليلية واللغوية في القرن العشرين.

البراغماتي (المذهب العملي) (**Pragmatism**): هو أيضاً، يحمل بعض أوجه الشبه مع المذهب اليقيني (Positivism) لأنه يشدد على اعتماد المنهج العملي وعلى النتائج العملانية، وعلى دور تلك النتائج في تحسين المجتمع. ولكن البراغماتيين لم يهدفوا إلى رفض القضايا الميتافيزيقية (التجريدية) بالكامل، وإنما تأملوا في تخليصها من بعض عيوبها، وهم كذلك انحرفوا بطرقٍ أخرى عن الفلسفة اليقينية. ولقد كان بيرس (Peirce) يعتقد أن الفلسفة اليقينية هي حتمياً فلسفة اسمانية (Nominal-istic) (وهي فلسفة تأُسست على أن المفاهيم المجردة أو «الكليات» ليس لها وجود حقيقي وهي مجرد أسماء لا غير)، وكان يُلاحظ أنها بإصرارها على التحقق عن طريق الملاحظة المباشرة، استبعدت المعارف التاريخية (Peirce 1984, p. 45 n. 8). ولقد عارض البراغماتيون الآخرون، وبالأخص جون ديوي (John Dewey) والعديد من الفلاسفة المعاصرين، التمييزات الثنائية التي تبناها الفلاسفة اليقينيون، ومنها مثلاً التمييز بين الماورائيات والعلوم، وبين الحقائق والقيم، وبين

ما هو تحليلي وما هو تركيبي، وبين ما يمكن إثباته وما لا يمكن إثباته. وإن الفلسفة الحديثة تعمل إلى حدّ كبير على إبطال الآثار السيئة للفلسفة اليقينية وعلى إعادة النظر في إنجازاتها. وهكذا فإن الاتجاه العالمي اليوم نحو مفهومٍ للسيميائية ينتمي إلى النوع الذي أتى به بيرس هو في حركةٍ نحو الابتعاد عن اليقينية (NH).

قراءات إضافية:

Ayer, A. J. (1946) *Language, Truth and Logic*, rev. edn, New York: Oxford University Press.

Kremer-Marietti, A. (1998) «Comte, Isidore-Auguste-Marie-François-Xavier», *Routledge Encyclopedia of Philosophy*, London, Routledge.

Peirce, C. S. (1984) «Critique of positivism», (1867–68) in *Writings of Charles S. Peirce*, vol. 2, eds. E. C. Moore, M. M. H. Fisch, et al., Bloomington: Indiana University Press.

ما بعد البنيوية (Poststructuralism، ما بعد البنيوي Post-structuralist): من النادر إيجاد تعريفات لمصطلح ما بعد البنيوية: والسبب يعود من ناحية إلى أن الظاهرة التي يصفها هذا المصطلح غامضة، ومن ناحيةٍ أخرى إلى أنه من الصعب بمكان وضعها في إطار زمني معين كتيارٍ فكري، وكذلك لأن العديد من مناصري هذا التوجه يتحاشون إعطاءه تعريفات. من دون شك، هناك علاقة بين فلسفة «ما بعد البنيوية» وفلسفة البنيوية (Structuralism)، ولكن هذه العلاقة غير سهلة.

في حين يمكن اعتبار أن البنيوية تجسد مفهومَ نظامٍ من الإشارات (Signs) التي يمكنً أن يتشارك فيها البشر بشكلٍ جماعي – مستمدٍ من الجانب «الوظيفي» لمفهوم سوسور (Saussure) عن اللغة (Langue) –فإن ما بعد البنيوية تصورت علاقةً مختلفة جوهرياً بين الإشارات والبشر. ولقد استفادت المقاربات البنيوية إلى الظواهر الثقافية من التحليلات التي اتخذت الإشارات موضوعاً للنقاش وذلك بمعزل عن سياقاتها. على النقيض من ذلك، لم تركّز ما بعد البنيوية فقط على الكيفية التي تتصل فيها الإشارات ببعضها البعض، وإنما

أيضاً على الكيفية التي يفهم فيها دائماً الكائن البشري الإشارات في الجمع، أي في سلاسل من الكلام، كالخطاب (Discourse). وكما يؤكد سيلفرمان (Silverman) «يأتي المغزى أو الدلالة فقط عبر الخطاب... فالخطاب يتطلب موضوعاً والموضوع بحد ذاته هو تأثير للخطاب» (1983, p. VII).

وبعبارة أخرى، فإن الدلالة (Signification) لا تتجسد في معنى (Meaning) إشارةٍ واحدة ولكن في علاقة الإشارة مع الإشارات الأخرى؛ كما أن الدلالة يجب أن ترتبط بالإنسان أو البشر الذين يستخدمون الإشارات في لحظة معينة؛ وبشكل حاسم، وإن مستخدم الإشارة ليس موجوداً خارج المحادثة (الخطاب)، ولا يستخدمها بطريقةٍ يتحكم بها بشكلٍ كامل، بل بدلاً من ذلك تتحكم الإشارة به، لدرجةٍ يكون/ تكون فيها في الواقع نتاجاً لذلك الخطاب. وإن كان ذلك بشكلٍ غير ملحوظ، فإن هذه الطروحات هي في الواقع بديهية لما بعد البنيويين الرئيسيين: لاكان (Lacan)، وديريدا (Derrida)، وكريستيفا (Kriste-va)، وفوكو (Foucault)، وبودرييار (Baudrillard)، ودولوز (Deleuze) وغاتاري (Guattari).

ومع ذلك، فإن الجذور السوسورية (Saussurean) المباشرة لوجهة نظر ما بعد البنيوية هي في الحقيقة سابقة لتلك التيارات الفكرية التي تُدعى البنيوية في العلوم الإنسانية والتي انتشرت شعبيتها في فرنسا ما بين الخمسينات والستينات، وفي أجزاء من العالم الفكري الأنجلو – ساكسوني في السبعينات والثمانينات. وكان أبو البنيوية هو علم اللغويات الفرنسي إميل بينفينيست (Benveniste)، الذي فتحت كتاباته في الأربعينات المجالَ أمام انتقادات سوسور والبنيوية من قِبَل لاكان في أواخر الخمسينات وديريدا في الستينات.

بشكل رئيسي، شدَّ بينفينيست الإنتباه إلى بعض الانحرافات في تأكيد سوسور على الطبيعة الاعتباطية للإشارات. وتم القبول بفكرة أن الإشارة «ثنائية»، وتتألف من المدلول، وهو المفهوم والدالّ، وهو الصورة الصوتية (وقد تُرجم هذان المصطلحان في كثير من الأحيان بشكل مضللٍ أصبح معياراً ك: **مدلول عليه** (Signi-fied) **ودالّ** (Signifier)–للتصحيح، انظر: Harris 1987). ولكن بينفينيست وضع الطبيعة الاعتباطية في الدلالة؛ أي في العلاقة بين الإشارة والحقيقة (أو بعبارات أخرى بين الدال

أو المرجع (Referent) والموضوع (Object)). إن العلاقات في إشارة سوسور، مع جزئيها العقلانيين، كانت بالأحرى تعتبر ضرورية: كان صوت الصورة والموضوع جدٌّ قريبين لدرجة أنهما يُشكلان تقريباً وحدةً لا تتجزأ.

وما أراد بينفينيست أن يُبيِّنَه هو أن الإشارة والدلالة قابلتان للدمج: فمعرفة أن كلمة «قط» (Cat) أي تدل بطريقة اعتباطية فقط على حيوان سنوري يمشي على أربعة قوائم هي معرفة موجودة في كل مكان وذلك لأنه من الواضح أن هناك طرقاً أخرى للدلالة على هذا الحيوان في لغات قومية مختلفة: مثل Chat, Gatto... إلخ. ولكن الإشارة المستخدمة لهذا الهدف تحوي علاقةً قوية جداً وقريبة جداً بحيث أن طبيعتها الاعتباطية في الدلالة على الواقع لا يمكن إظهارها إلا «تحت النظرة الجامدة اللامبالية لسيريوس (Sirius) (وهو ألمع نجم في السماء)» (Benveniste [1939] 1971, p. 44). وباختصار، بالنسبة للمستخدم الاعتيادي للإشارة فإن الطريقة التي تُستخدم فيها الإشارة للدلالة على شيء تبدو من غير ريب طبيعيةً.

وهكذا، فإن الإشارة اللغوية يمكن أن تحمل قيمةً ما (Value) بفضل اختلافها عن الإشارات الأخرى في نظامٍ ما (لغةٍ ما (Langue))، ويمكن معرفة ذلك من خلال الفكر التجريدي. ولكن وجود هذا الأساس للاعتباطية في الدلالة عادةً ما يتم تجاهله بسبب الترابطات القريبة والضرورية في الإشارة. وبالنتيجة، يخضع البشر لنظام يعرفون أنه مركب واعتباطي جوهرياً؛ وليكون باستطاعتهم أخذ مكانهم والتواصل فيما بينهم فيه، عليهم الاشتراك في تمثيل للعالم الذي هو في الواقع مركبٌ وذلك مهما أحسوا أنه فطريّ. وبعبارة المجاز النموذجي لما بعد البنيوية، يكون الموضوع دائماً مُشَكَّلاً مسبقاً من قِبَل النظام.

ويمكن استشعار انعكاسات إعادة التوجيه للإشارة من خلال تجليات ما بعد البنيوية. وإن بعض المفاهيم مثل «التفكيكية»، و«لا مركزية الموضوع»، و«المناداة» و«المحاكاة» هي جميعها مستمدة من انحراف بينفينيست عن أهداف علم السيمياء (Semiology).

لم تكن ما بعد البنيوية حركةً معروفة محلياً داخل فرنسا (Easthope 1988, p. xxiii) ولكن نجاحها في

بعض أجزاء الوسط الفكري الأنجلو–ساكسوني لم ينعكس أبداً في داخل السيمائية. وفي منشئه في **علم السيمياء البشري** (Anthroposemiotics)، كان التشاؤم الثقافي الذي اتصفت به كل الاتجاهات والذي كان مُمَيِّزاً للعديد من أنواع ما بعد البنيوية، قد جوبِهَ من قِبَل علم السيمياء الاجتماعي الذي تَبِع أعمال هاليداي (Halliday). وإن الأساسيات بذاتها عند هاليداي، والتي هي بنفسها ترتبط من بعيد بالنقد القديمالذي وجهه فولوسينوف (Vološinov) لسوسور والتي استندت في نفس الوقت وإلى حدٍ كبير إلى العمل التجريبي، ركزت على الصراع بين أنظمة الإشارات وحددت فضاءً لمقاومة الإنسان للأنظمة الموجودة مُسْبَقاً. ومن ناحية أخرى، فإن ما بعد البنيوية كانت حتى أقل نجاحاً. فالصيغة الشاملة للإشارة المستمدة من بيرس (Peirce) والتي انطلقت خارج فرنسا وبريطانيا في أواخر عقود القرن العشرين، إلى جانب تنامي الوعي بأهمية السيمائية البيولوجية (Biose-miotics) (وهو علم الإشارات في الأنظمة الحية) لم تلعب دوراً إلا في إظهار الانحياز السيميولوجي والحدود البشرية التَّمَرْكُز لما بعد البنيوية (النظرية البشرية التمركز (An-thropocentric) تقول بأن الإنسان يحتل النقطة المركزية لكل الأنواع الحية على هذا الكوكب) (PC).

قراءات إضافية:

Benveniste, E. (1971) *Problems in General Linguistics*, trans.

M. E. Meek, Coral Gables: University of Miami Press.

Derrida, J. (1976) *Of Grammatology*, trans. G. C. Spivak, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press.

Lacan, J. (1977) *Écrits: A Selection*, trans. A. Sheridan, London: Tavistock.

براغماتية بيرس (Pragmaticism) (علم الذرائع الواقعية): أتى تشارلز ساندرز بيرسب مصطلح الـ: (Pragmaticism) في العام 1905 ليميز مفهومه الخاص عن البراغماتية (Pragmatism) عن مفهوم كل من وليام جيمس (William James) وفرديناند شيلير (Ferdinand C. Schiller) (CP 5.414–415). رفض

بيرس فكرة أن يكون «الفعل» «كل شيء ونهاية كل شيء في الحياة» (CP 5. 429). على نحوٍ مختلف عن البراغماتية المبتذلة، المعنى هو قانون عام للسلوك مستقلٌّ عن ظروف الفعل الخاصة، ولذلك هو دائماً عام ومشاع (SP).

البراغماتية (Pragmatics): (في نظرية موريس لعلم النشاط الإشاري (Semiosis)، ينتمي البعد البراغماتي للإشارات (Signs) إلى «علاقة الإشارات بالمفسرات») (1938a, p. 6) وتسمى دراسة هذا البعد بالبراغماتية. في علم اللغويات (الألسنيات)، اعتُبِرت البراغماتية سلةً للنفايات تُرْمى فيها المشاكل التي لا يمكن حلّها أو التعاطي معها في علم بناء الجمل (Syntax) وعلم الدلالة أو علم المعاني (Semantics). ونتيجةً لذلك، يبدو ميدان الأدب البراغماتي، في جزءٍ منه، مجموعةً عشوائية من المواضيع، وخاصةً: التعبير الإشاري (Deixis)، والافتراضات، والمضامين، وأفعال الكلام (Speech Acts)، والمحادثات (انظر Levinson 1983). ولكن قد يكون من المفيد أكثر العودة إلى تعريف موريس الأصلي ومعاينة البراغماتية كوجهة نظر وظيفية عامة (أي إدراكية، واجتماعية وثقافية) حول اللغة واستخدامها، ويتم هذا بهدف البحث في عمليات توليد المعاني الديناميكية والمُتَداوَلة خلال التفاعل الحواري. وعندها يُنْظَرُ إلى استخدام اللغة كشكلٍ من أشكال الفعل ذي النتائج الواقعية الحقيقية والمتأصلة بقوة في سياقٍ ما (JV).

انظر أيضاً أوستن (Austin)، التقريري (Constative)، القول المحقق (Illocution)، الجمعية الدولية للبراغماتية (International Pragmatics Association IPrA)، التعبير (Locution)، غرايس (Grice)، المعنى (Meaning)، الفعل الأدائي التحقيقي (Performative)، فعل الكلام (Perlocution)، ونظرية الصلة (وثاقة الصلة بالموضوع) (Rele-vance Theory).

قراءات إضافية:

Verschueren, J. (1999) *Understanding Pragmatics*, London: Edward Arnold/New York: Oxford University Press.

البراغماتية (Pragmatism): البراغماتية هي عبارة عن مجموعة من المبادئ والأساليب التي وضعها تشارلز ساندرز بيرس (Charles S.

(William وليام جيمس Peirce) (James واستمرت قبل كل شيء مع ميد (G. H. Mead)، ولويس .C. I) (Lewis، وتشارلز موريس Charles) (Morris وجون ديوي -John Dew) (ey. سجلت «البراغماتية» دخولها الرسمي في الأدب الفلسفي عام 1898 عندما عقد جيمس مؤتمره حول المفاهيم الفلسفية والنتائج العملية (Philosophical Conceptions and Practical Results) في: اتحاد بيركلي الفلسفي التابع لهاوينسون -G. H. Ho) winson's Berkeley Philosophical (Union. ولكن تم شرح البراغماتية بشكلٍ مبسط للمرة الأولى في سلسلة من ست مقالات كتبها بيرس ونُشِرت في **المجلة الشهرية للعلوم** (*Popular Science Monthly*) أي التي اشتهرت بين 1877–78 في سلسلة توضيحات منطق العلوم (Illustrations of the Logic of Science) (cf. *CP* 5.358 – 387, 5.388 – 410, 2.645 – 660, 2.669 – 693, 6.395– 427, 2.619 – 644). ولكنها كمنظومةٍ فكرية تعود إلى النواة الأصلية لثلاث كتابات لبيرس في العام 1868 –CP 5.213) (263, 264–317, 318–357، والتي تطورت فيما بعد في كتاباته من 1877–

78. في بحثه عن أصول البراغماتية، اعتبر بيرس أن نيكولاس سينت جون غرين (Nicholas St. John Green) هو «جدّ» البراغماتية (محتفظاً بذلك ضمناً بلقب «الأب» لنفسه). هذا الأخير، بدوره، ذَكَرَ الاسكتلندي ألكسندر باين (Alexander Bain)، مؤلف: **العواطف والإرادة** (*Emotions and Will*) (لندن 1859)، وحثّ على أهمية تطبيق تعريفه للاعتقاد على أنه «ذاك الذي بالتوافق معه يتحضر الإنسان للفعل» (CP 5.12).

بشكلٍ عام، أعادت البراغماتية تقييم أهميّة الفعل في العمليات الإدراكية على ضوء الاكتشافات في علم الأحياء وعلم النفس وعلم الاجتماع التي يمكن تَتَبُّعها عند تشارلز داروين. وإن تشونسي رايت (Chauncey Wright) الذي كان عضواً في: النادي الميتافيزيقي (Metaphysical Club) أعاد إلى الأذهان داروين، وفي اللقاءات التي أجريت في كامبردج (Cambridge)، ماساتشوستس (Massachusetts) ما بين نهاية العام 1871 وبداية العام 1872 أعلن بيرس ولادة البراغماتية. (انظر: مبدأ الفرص *The Doctrine of Chances*)، CP 5.12).

كانت اجتماعات الـ: النادي الميتافيزيائي (Metaphysical Club) أي تُنَظَّم على حد سواء في مكتبه وفي مكتب جيمس بمشاركةٍ من العلماء ورجال الدين والمحامين. ويبدو تأثير داروين في علوم الحياء جلياً في مقال بيرس تثبيت (الاعتقاد) (Fixation of Belief) (1877) حيث قال أن المنطق فيما يخص الأمور العملية قد ينجم عن فعل الانتقاء الطبيعي. (انظر: *CP* 5.366).

وفقاً للبراغماتية، ليس العقل (أو الروح أو الفكر) مادةً، كما هو الحال في الثنائية الديكارتية، كما أنه ليس عمليةً أو فعلاً بالمعنى المتعارف عليه في مفهوم المثالية، وليس هو كذلك مجموعةً من العلاقات كما في التجريبية الكلاسيكية، وإنما هو دور تؤديه الإشارات (Signs) اللفظية وغير اللفظية. وبالتالي فإن دراسة الإشارات واللغة الشفهية على وجه الخصوص هي شرطٌ لفهم العقل (انظر موريس (Morris)، **ست نظريات للعقل** (*Six Theories of Mind*) (1923)). البراغماتية هي أيضاً نظرية المعنى التي تُفْهَم على أنها عملية التحقق العملي من حقيقة (Truth) التوكيد. في: **كيف نوضح أفكارنا** (*How to Make our Ideas Clear*) (1878) ، قصدَ بيرس إثبات ما يلي:

كيف يستحيل أن تكون لدينا فكرة في أذهاننا لا تتعلق بأي شيء سوى تصور التأثيرات المحسوسة للأشياء... ويبدو بالتالي أن القاعدة لبلوغ المستوى الثالث من الوضوح في الفهم والإدراك هي التالية: فَكِّر بالنتائج، الممكن تضمنها لاتجاهات عملية قابلة للتخيل والفهم، التي نتصور أن تنتج عن موضوع إدراكنا. وهكذا فإن إدراكنا لهذه التأثيرات يعبر عن كلية إدراكنا لهذا الموضوع.

(CP 5. 401–402).

لقد اتُّخذ هذا الجانب لكنه عُدِّل بشكل كبير من قبل جيمس الذي حول البراغماتية إلى نظريةٍ للحقيقة. فسر جيمس البراغماتية من ناحية فائدتها، وبالتالي من ناحية تبعية المعرفة لاحتياجات الفعل والعواطف (**إرادة الاعتقاد** The Will to Believe) (1897). بالنسبة لجيمس، ما يكون لديه نتائج عملية مُرضية فهو صحيح. وبالتالي فهو يؤكد على القيمة العملية للإيمان الديني، ولإرادة الاعتقاد، ولمبررات القلب (انظر أيضاً كتاب: **البراغماتية** *Pragma-*)

(*tism* لجيمس، 1907). أصر ديوي أيضاً على هذا الجانب الذي طوره بقوة إلى صيغته الخاصة للبراغماتية والذي أسماه الفلسفة «التجريبية» أو «الذرائعية». في إيطاليا، تطورت البراغماتية بموازاة اهتمامات بيرس من قبل جيوفاني فايلاتي (Giovanni Vailati) وماريو كالديروني (Mario Calderoni) وبموازاة اهتمامات جيمس من قبل ج. بابيني (G. Papini) وج. بريزوليني (G. Prezzolini). وإن فرديناند شيلر (Ferdinand C. S. Schiller) (انظر: **دراسات في الإنسانية** (*Studies in Humanism*)) وَجَّه نهجه في اتجاه نهج جيمس مؤكداً على نسبية المعرفة للفائدة الشخصية أو الاجتماعية.

عاد بيرس إلى البراغماتية في مجموعته المؤلفة من سبع مؤتمرات – محاضرات عُقِدَت في جامعة هارفارد بمبادرة جيمس انظر – (*CP* 5.14 – 40, 5.180 – 212)، والتي عرَّف فيها البراغماتية بمنطق الإبعاد (Abduction) وبنظرية البحث وذلك بشكلٍ ضمني، أي بالنتيجة، عرَّفه بالمنطق وبعلم (الإشارات) (Semiotics). في مقالاته الأحادية (Monist) لعام (*CP* 5.411–437, 5.438–463, 1905 4.530 – 572)، أنشأ بيرس مسافةً له من البراغماتية كما يتصورها جيمس وشيلر، مُحَدّداً موقفه من المصطلح البديل براغماتية (Pragmaticism) بيرس (SP).

قراءات إضافية:

Morris, C. (1937) *Logical Positivism, Pragmatism and Scientific Empiricism,* Paris: Hermann.

Murphy, J. P. (1990) *Pragmatism: From Peirce to Davidson*, Boulder, CO: Westview Press.

Peirce, C. S. (1907) «Pragmatism», in Peirce (1998) *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 2, ed. Peirce Edition Project, Bloomington: Indiana University Press, pp. 398–433.

مدرسة براغ (Prague School):

هي معروفة أصلاً باسم دائرة براغ لعلم اللغويات (Prague Linguistics Circle) (PLC)، والتي أسسها عام 1926 كلٌّ من ماثيسيوس (V. Mathe-

(sius، وهافرانيك (B. Havránek)، وموكاروفسكي (J. Mukařovský)، وجاكوبسون (R. Jakobson)، وتروبتزكوي (N. Trubetzkoy)، وكارسيفسكي (S. Karcevskij). هذه المدرسة مُكَرَّسَة لدراسة اللغات السلافية والأدب السلافي، والشعر، وعلم (وظائف) الأصوات الكلامية أو الفونولوجيا (Phonology) وعلم الصرف (Morphology). وفقاً لفوغ (Waugh) ومونفيل- برستون (Mon-ville-Burston (1990, p. 6)، وكان جاكوبسون (Jakobson) هو من صاغ مصطلح البنيوية (Structuralism) للمجموعة. وقد تمّ أول عرض مُفَصَّل لبرنامج PLC في الـ: المؤتمر الدولي الأول للسلافيين-First Internation) al Congress of Slavists) في العام 1929 في مدينة براغ.كما بدأت كذلك في العام 1929 سلسلة أعمال دائرة براغ لعلم اللغويات Travaux du Cercle) Linguistique de Prague). لتوضيح للمقترحات الأساسية للـ PLC، انظر: أطروحات (Thèses) (مع بالي (Bally)، جاكوبسون (Jakobson)، ماثيسيوس (Mathesius)، سيشيهاي (Sechehaye)، وتروبتزكوي -Tru) betzkoy)، والتي تقدمت للمرة الأولى في نيسان/ أبريل 1928 وأعيد طبعها في تومان 1995 (Toman)).

ووفقاً للوائح (القوانين) الداخلية للـ: PLC (المؤرخة في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1930، والتي تُرجمت وأُعيدت طباعتها في تومان (Toman) [1995, 265 .p])، فإن الغرض الأساسي من الـ: PLC «هو العمل على أساس الأسلوب الهيكلي الوظيفي باتجاه التقدم في البحث اللغوي». ولقد كان رومان جاكوبسون نائب رئيس الـ: PLC حتى العام 1939 عندما أُجْبِرَ على المغادرة عندما غزا النازيون تشيكوسلوفاكيا. في سنوات ما بعد الحرب، تغيرت عضوية الـ: PLC تغيراً كبيراً، ولا سيما بسبب غياب جاكوبسون (Jakobson) وبوغاتيريف (Bogatyrëv) ووفاة تروبتزكوي -Tr) ubetzkoy) وماثيسيوس -Mathe) sius). في بعض الروايات، يقال أن الـ: PLC اندثرت ولم تعد موجودة في العام 1939. وبالرغم من ذلك، واصل موكاروفسكي (Mukařovský) وآخرون إلقاء المحاضرات وإجراء البحوث. وشهدت حقبة ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي إعادة إحياءٍ لمدرسة براغ في التسعينات (EA).

قراءات إضافية:

Galan, F. W. (1985) *Historic Structures: The Prague School-Project*, 1828–1946, Austin, TX: University of Texas Press.

Steiner, P. (ed.) (1982) *The Prague School: Selected Writings, 1929 – 1946*, Austin, TX: University of Texas Press.

Winner, T. G. (1995) «Prague structuralism: Neglect and Resulting fallacies», *Semiotica* 105 (3/4), 243–76.

نظرية المبادئ والمتغيرات (Principles and Parameters Theory): هي مرحلة من مراحل تطور النظرية النحوية، تابعها تشومسكي (Chomsky) وزملاؤه في الثمانينات وأوائل التسعينات. ولقد اعتبرت المبادئ المطروحة جزءاً من قواعد النحو العالمية (Universal Grammar)، وتمت صياغتها كقيود على قواعد النحو (Grammars) للغات الفردية. وكانت المتغيرات مبادئَ يمكن أن تختلف في طرق مُعَرَّفَة جيداً ومحدودة عبر اللغات. وقد أجريت ضمن هذا الإطار الكثير من البحوث المثمرة حول أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات، بالإضافة إلى البحوث حول اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية.

وقد كان من الممكن صياغة قواعد عامة جداً مثل Move-alpha والتي تعني في الواقع «نقل أي كلمة أو عبارة في الجملة» وذلك لأن قواعد النحو لبعض اللغات الخاصة كانت مقتصرة على المبادئ العالمية. وإن المبادئ العالمية مثل مبدأ الحفاظ على الهيكلية (Structure-Preserving Principle) مَنَعَ قاعدة Move-Alpha من نقل عناصر (أجزاء) الجملة ما عدا تلك المبادئ الموجودة ضمن الأطر الصحيحة لها. وإن أحدث تفصيل لهذا العمل هو Minimalism أي التبسيط والتقليل حتى الحد الأدنى الممكن، والذي يقترح قواعد ومبادئ لأقصى قدرٍ من العمومية (RS).

قراءات إضافية:

Culicover, P. W. (1997) *Principles and Parameters: An Introduction to Syntactic Theory*, Oxford, Oxford University Press.

الضمير (Pronoun): الضمائر

هي كلمات مثل هي (She)، أو هو/ هي لغير العاقل، أو هم/ هنَّ، وهي تحل محل اسمٍ ما Noun أو (بمعنىً أصح) تحل محل جملةٍ اسميةٍ ما (Noun Phrase). غالباً ما تأتي الجملة الاسمية أولاً، ويُسْتَخْدَم الضمير لتجنب التكرار: مثلاً في جملة: **غسل بول الأطباق ووضعها جانباً** (*Paul Washed The Dishes And Put Them Away*)، الضمير (Them) أو «ها» في كلمة وضعها يعود للجملة الاسمية**الأطباق** (*The Dishes*). أحياناً يأتي الضمير أولاً، كما هو الحال في جملة عندما ترك بلاكبيرن (When He Left Blackburn, Shearer Scored Fewer Goals)، سجل شيرر عدداً أقلّ من الأهداف (RS).

الافتراضات أو المسائل (Prop-ositions): الافتراضات تختلف عن الجمل وأفعال الكلام من ناحية أن الجمل أو أفعال الكلام (Speech Acts) المختلفة (مثل «القطة على الحصيرة»، «هل القطة على الحصيرة؟»، و«القطة، على الحصيرة!») قد تحتوي على نفس العبارات أو الافتراضات التي تتألف من المرجع أو الدالّ (وهو عبارة (Expression) تحدد أي شيء، أو عملية، أو حدث، أو فعل) ومن الإسناد (Predication) (ما هو «مُسْنَد» أو ما يقال عن شيءٍ ما، أو عملية، أو حدث، أو فعلٍ يتحدد عن طريق عبارة الإحالة). فالافتراضات هي التي تكون صحيحة أو خاطئة، وليس الجمل أو أفعال الكلام. ولكن يُمكن لأفعال الكلام التأكيدية أن تكون صحيحة أو خاطئة وذلك لأن من طبيعة قوتها التمثيلية (Illocutionary) (التي تنتمي إلى فعلٍ لغوي يُنَفَّذ بواسطة متحدث في تقديم تعبيرٍ ما) أن تقدم ظرفاً ما على أنها صحيحة أو خاطئة. وهكذا فإن شكل الجملة الواحدة نفسها (مثل هُزِم نابليون في ووترلو (Napoleon was Defeated at Waterloo) لديه شروطللحقيقة مختلفة ومرتبطة به، وذلك تبعاً للافتراض الدقيق الذي يعبر عنه (والذي يختلف وفقاً، على سبيل المثال، للمرجع أو الدالّ «نابليون» الذي يمكن أن يكون اسم شخصية تاريخية أو اسم كلب المتكلم) (JV).

انظر أيضاً المعنى (Meaning).

قراءات إضافية:

Lyons, J. (1995) *Linguistic Semantics: An Introduction*, Cambridge: Cambridge University Press.

علم اللغة النفسي (Psycholin-guistics): هو دراسة اللغة والعقل، أو

علم نفس اللغة. إن آليات إنتاج وفهم اللغة هي مصدر اهتمام رئيسي لعلماء نفس اللغة. الاهتمام الآخر هو طريقة تخزين اللغة في الدماغ. وقد صُممت العديد من الأساليب التجريبية للتحقيق في هذه المسائل: وهي تشمل قياس الوقت الذي يستغرقه الناس للفهم أو للرد على الكلام الذي تم تحريفه بطرق مختلفة، ولمراقبة أخطاء الكلام التي يرتكبها الناس في ظروفٍ مختلفة.

لقد اهتم علماء نفس اللغة أيضاً باكتساب اللغة عند الشباب. يمر اكتساب كل اللغات بمراحل منتظمة؛ حيث يتفوه الأطفال بكلمات مفردة في البداية، تليها سلاسل من كلمتين ومن ثم عباراتٍ أطول مع بدايات بناء الجملة (Syntax). وإن الكلام وعلم أمراض اللغة هي مجالات مرتبطة ببعضها البعض وذات بُعد عملي هام. كما أنها تطرح قضايا صعبة حول العلاقة بين اللغة والجوانب الأخرى من العقل، مثل الذاكرة، والذكاء العام والعاطفة. فالشاب الذي لديه صعوبة في تعلم الكلام، أو البطيء في تعلم القراءة في المدرسة لاحقاً، قد يكون لديه مشكلة لغوية بحتة؛ ولكن في كثير من الأحيان، قد يكون ذلك مرتبطاً بالمشاكل النفسية الأخرى التي يُعاني منها (RS).

قراءات إضافية:

Garnham, A. (1989) *Psycholinguistics: Central Topics*, London: Routledge.

Q

نوعية أو صفة الإشارة (Qualisign): هو مصطلح تشارلز ساندرز بيرس للتقسيم الأولي للثلاثية التي أتى بها فيما يخص أسس الإشارات. (فنوعية او صفة الإشارة) هي الإشارةٌ التي هي بحد ذاتها ميزة، وبالتالي تصلح فقط لتمثيل الأشياء التي تتشابه معها أو تلك التي لديها شيءٌ مشتركٌ معها. فرُقاقة الطلاء مثلاً تمثل لونها الخاص بها. كل الإشارات ذات الميزة هي رموز صورية وتستطيع أن تؤدي دورها فقط عندما يتم تجسيدها.

انظر أيضاً الإشارة (القانونية) (Legisign) والإشارة المفردة (Sinsign).



R

مذهب الواقعية (Realism):

هو المذهب الأفلاطوني الذي يعتبر أن الكليات الشاملة أو جواهر الأشياء تتواجد بشكل مستقل عن الأفراد الذين يمثلونها. إن هذا المعنى، يتعارض مفهوم الواقعية مع مفهوم الاسمية (Nominalism). كما أنه بشكله المتطرف يفترض وجود نوع من أنواع العوالم الأفلاطونية حيث تتواجد الكليات أبدياً وبلا نهاية وحيث التفاصيل الخصوصية هي نسخ ناقصة عن نظيراتها من الكليات. يعتبر مفهوم الواقعية لدى أرسطو أكثر اعتدالاً. فقد عارض المذهب الأفلاطونيوتَبَنّى فكرة أن الواقعية الكاملة موجودة في التفاصيل الخصوصية المتلازمة مع الكليات. ولكنه نسب الواقعية أيضاً إلى الكليات. وإن هؤلاء الذين يقبلون اليوم بهذا المذهب يؤيدون حقيقة الطبقات الطبيعية والكيانات التجريدية وهذه «الكليات» كالقوانين والخصائص (بما في ذلك الخصائص الأخلاقية)، أكثر مما يؤيدون «الصِّيَغ الأفلاطونية».

الشكل الآخر من الواقعية، أي الواقعية الخارجية، يتعارض مع مبدأ المثالية. وإن حدس الأشخاص الذين يقبلون بهذا النوع من الواقعية يرى أن العالم الخارجي له وجود مستقل عن الفكر القائم حوله–أي أن الواقع له وجود بشكل منفصل عن الوعي أو عن التمثيلات العقلية. وبما أن العالم، بناءً على وجهة النظر هذه، هو مستقل عن ما نعتقده عنه، أي لا يهم

ما إذا كنا نؤمن به أم لا، وبالتالي فإن حقيقة ما إذا كان ما نؤمن به صحيحاً أم خطأً تعتمد على ما إذا كان هذا العالم يتناسب مع حقائق المادة. يقبل المؤمنون بالواقعية الخارجية بفكرة وجود مجهولات، أي حقائق ليس لنا قدرة بشرية على إدراكها. وإن الواقعية الخارجية بشكلها المتطرف تميل إلى الاندماج مع مفهوم الاسمية، الذي يريأن العالم مليء بالأشياء الواقعية التي هي مستقلَّة بالكامل عن ما نفكر به، وإن معرفتنا عن العالم لا يمكن أن تتجاوز أساسها اللغوي والنفسي لتتصل بشكل ذي مغزى «بالأشياء بحد ذاتها». لقد دوّر مايكل (دومت) (Mi-chael Dummett) الشكل الحديث للواقعية الخارجية من خلال وصفه لها من ناحية أخرى كوجهة نظر ملتزمة بمبدأ الوسطية المستثناة وكذلك من خلال إثباته أنه بالنسبة لأي صفةٍ كانت، يمكن أن يكون للشيء تلك الصفة أم لا. رأي لا يقبل كل فروض مفهوم الواقعية الخارجية يُعْتبَر مناقضاً للواقعية (Dummett 1978).

يوجد هناك عدة أنواع من الواقعية (أو نقيض الواقعية). وإن الواقعية الداخلية التي دافع عنها هيلاري بوتنام، تنكر وجود أشياء غير مُدْرَكَة وترفض نظرية الملازَمة للحقيقة (Truth) دعماً لوجهة النظر القائلة بأن الحقيقة يجب أن تُفْهَمَ، ليس بالتلازم مع الوقائع، وإنما نتيجةً للبحث المُطَوّل الذي يتم إجراؤه في الاتجاه السليم (Putnam 1987). وإن الواقعية العلمية تشمل وجهات نظر متعددة جداً، بما فيها فكرة أن النظريات العلمية تدل على ميزات حقيقية عن العالم وفكرة أنه ليس من الضروري أن تكون النظرية الجيدة والمفيدة حقيقيةً.

ولقد دافع تشارلز بيرس (Charles S. Peirce) عن شكل من أشكال الواقعية التي تتشابه بشكلٍ ما مع الواقعية الداخلية لبوتنام، وخصوصاً فيما يخص وجهة النظر القائلة بأن الحقيقة يجب أن تُفْهَمَ من حيث رسوخ الاعتقاد المُتَوَقَّع الوصول إليه في نهاية البحث. إلاّ أن بيرس أغنى مفهوم الواقعية عن طريق تطوير وجهة النظر التي دافع عنها دانس سكوتس (Duns Scotus) والتي تنص على أن الواقعية تتضمن أكثر مما هو موجود بكثير. ولقد عرّف بيرس ثلاثة أصناف من الواقع: الأنواع (Qualia) أو الصفات (الأَوَّليَّة First-ness)، الحقائق أو الأحداث الثانيَّة أو الترتيب الثاني (Secondness)،

والأنماط أو القوانين (الثالثيَّة (Third-ness). تعتبر الفئتان الأولى والثالثة عامَّتين، مناقضتين بذلك ما بين بيرس والاسمية. ولقد كان بيرس يرى أن «المعركة» بين الاسمية والواقعية هي من أهم الصراعات الحاسمة في الفلسفة:

بالرغم من أن إشكالية الواقعية والاسمية لها جذورها الكامنة في تقنيات المنطق، فإن فروعها تصل لتلامس حياتنا. وإن مسألة ما إذا كان للجنس الإنساني (Genus Homo) أي وجود ما عدا الوجود كأفراد، هي مسألة ما إذا كان يوجد أي شيء ذي مهابةٍ أكثر، وذي استحقاقٍ أكبر، وأهميةٍ أكثر من السعادة الفردية، والتطلعات الفردية، والحياة الفردية. سواءً أكان لدى البشر أي شيء مشترك أم لا، بحيث يعتبر فيه المجتمع (Community) هدفاً بحد ذاته، وإذا كانت المسألة كذلك، فإن ماهية القيمة النسبية لهذين العاملين هي المسألة العملية الأكثر أهميةً بالنظر إلى كل مؤسسة نمتلك تكوينها في قوتنا على التأثير.

(Pierce 1992, p.105)

في الفنون الأولى، تشير الواقعية عادةً إلى الأساليب والتقنيات التي تؤكد على المفاهيم المُتعارَف عليها أو على التجربة العادية (NH).

انظر أيضاً علم الميتافيزيقيا (Metaphysics) وعلم السيمياء (Se-miotics).

قراءات إضافية:

Armstrong, D. M. (1978) *Universals and Scientific Realism*, 2 vols, Cambridge: Cambridge University Press.

Haack, S. (1987) «Realism», *Synthese* 73: 275-99.

Peirce, C. S. (1992) «Review of Fraser's *the Works of George Berkeley*» (1871), in *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 1, eds N. Houser and C. Kloesel, Bloomington: Indiana University Press, pp. 83-105.

المرجع (Referent): هو مصطلح يستخدم عموماً للدلالة على الشيء الذي تشير إليه الإشارات (Signs) في العالم. وهو يتألف من الأشياء المُتاحَة مثل الكرسي الملموس الذي يجلس عليه شخصٌ

ما عندما يصدر الإشارة، إضافةً إلى الأشياء غير المُتاحَة مثل نابليون: «في هكذا حالة، يمكن أن يكون هناك لائحة مطولة من حالات الإشارات التي تظهر بين الفعل والمرجع الخاص به: كلمة– مؤرخ– سجل معاصر– شاهد عيان» (Ogden and Richards 1985, p. 11). على ضوء هذا التعريف، لا بد من ذكر بعض نقاط الشبه مع مفهوم بيرس (Peirce) وبعض نقاط الاختلاف مع سوسور (Saussure). إذ إن ثلاثية الإشارة عند بيرس تتضمن مفسّراً (Interpretant) وممثلاً (Representamen) بالإضافة إلى الشيء (Object) الذي يمكن أن يكون إما مباشراً بحد ذاته أو ديناميكياً مثل المرجع– وبعبارةٍ أخرى يمكن أن يكون متواجداً في العالم و لكنّه غير مُتاح بشكلٍ مباشر في نفس الوقت والمكان الذي تتواجد فيه الإشارة. من جهةٍ أخرى، إنّ إشارة سوسور الثنائية تتضمن دالّاً (Signifier) ومدلولاً (Signified)، وإن هذا الأخير هو مفهوم عقلي. إذ بحسب بعض اعتبارات «السيميولوجيا» (Semiology)، يتم الخلط بين المدلول والمرجع، أو في غالب الأحيان يتماس بمفهوم المرجع كالكيان الذي تجاهله سوسور. ولكن مقرر سوسور *Cours* يركّز على العلاقة في الإشارة بين نمطٍ سمعي عقلي ومفهومٍ معين، وليس على العلاقة بين الإشاراًت اللغويّة وما نشير إليه (PC).

انظر أيضاً علم السيمياء (Semiotics)، البنيوية (Structuralism)، ما بعد البنيوية (Poststructuralism)، أوغدن (Ogden)، وريتشاردز (Richards).

قراءات إضافية:

Ogden, C. K. and Richards, I. A. (1923 [1985]) *The Meaning of Meaning: A Study of the Influence of Language on Thought and the Science of Symbolism*, London and Boston, MA: Ark.

نمط الكلام (Register) (نوع الكلام في النص (Text Variety)): هو مصطلح مشتق من علم اللغويات الحديث عند فيرث (Firth) الذييركّز على علاقة اللغة ببيئاتها الاجتماعية، وعلى أنواعها وتغيراتها استجابةً للتغيرات التي تحدث في السياق والاستعمال. إنّها ترى اللّغة كمورد من خلاله: **(1)** يمثّل المستخدمون «ما يحدث» في العالم: حقل النص (Field)، **(2)** وخصائص العلاقات

الاجتماعية بين المشاركين في التفاعل اللغوي: فحوى أو مغزى (Tenor) النّص، (3) وتنظيم وتشكيل اللّغة في التواصل: نمط (Mode) النّص.

وإنّ نمط الكلام يسّمي الترتيب النّصي الذي ينتج عن التفاعل المشترك لكلٍّ من متغيرات الحقل، الفحوى والنمط. وهذه يمكن أن تكون استقراراً نسبياً للحالة (Situation) الاجتماعية، وتؤدي إلى ظهور أنماط كلام مستقرة نسبياً (الخِطْبَة على سبيل المثال). بشكل عام، تفترض نظرية نمط الكلام تنظيماً سلساً وديناميا للغة الموضوعة في الاستخدام. ولقد كانت نظرية نمط الكلام مؤثرة إلى حدٍ كبيرٍ جدّاً في مجموعةٍ من التّطويرات التي تتعلّق باللّغة لأهدافٍ خاصة، وفي نظرية النوع (Genre) وكذلك في تخطيط اللّغة (GRK).

انظر أيضاً كوبلاند (Coupland) وجاوورسكي (Jaworski) (هذا الكتاب) وعلم اللغويات الاجتماعي (Sociolinguistics).

قراءات إضافية:

Halliday, M. A. K. (1978) *Language as Social Semiotic*, London: Edward Arnold.

نظرية الصلة أو وثاقة الصلة بالموضوع (المُلاءمة) (Relevance Theory): إن إحدى مبادئ غرايس (Grice) في المحادثة كان مبدأ الصلة، «كن وثيق الصلة» (Be Relevant) (Grice 1975). ومن الممكن تقليص بعض المبادئ الأخرى بطريقةٍ ملموسة إلى هذا المفهوم للصلة. على سبيل المثال، إن عبارة: «يوجد هناك كراج عند زاوية الطريق» التي تأتي رداً على عبارة: «نفذ مني الوقود» تنتهك مبدأ الكمية: إذ إن المعنى (Meaning) الصريح للجواب غير كافٍ لضمان إرضاء الحاجة المُعَبَّر عنها؛ لذلك، إن افترضنا تعاون المتحدث، فإن العبارة تدل على أنه يوجد في الكراج وقود للبيع وهو مفتوح الآن. بمعنىً آخر، لن يكون الجواب ذا صلة (Relevant) إلا إذا كان من الممكن افتراض تلك النواحي للمعنى الضمني. وإن نظرية الصلة أو المُلاءَمَة لسبيربر (Sperber) وويلسون (Wilson) (1986) أنتجت هذه الفكرة المُتَداوَلَة للصلة ضمن المبدأ السائد وذلك لصياغة نظرية التواصل والإدراك التي يُقصَد منها تفسير فهم الكلام.

إن نظرية الملاءمة لها علاقة بالتحديد بما يُسَمّى «التواصل الظاهري

أو المزعوم»، أي التواصل المُتَعَمَّد والعلني بطريقةٍ لا يَقْصِدُ فيها المتحدث إيصال معنىً محدد فحسب وإنما ينغمس في جهودٍ يسعى فيها لمساعدة المستمع على إدراك هذا القصد. ويقال أن هكذا أوجه في التواصل يَحْكُمُها «مبدأ المُلاءَمة»، الذي ينص على أن «كل فعل من التواصل الظاهري ينقل حَدْساً من ملاءمته المثلى الخاصة به» (المصدر نفسه، 1986، ص 158). لكي يكون التواصل الظاهري ناجحاً، على المستمعين أن ينتبهوا إلى المُحَفِّز الظاهري، وإن هؤلاء المستمعين لن ينتبهوا إلا إذا كانت الظاهرة التي يشهدونها تبدو وثيقة الصلة أو ملائمة بشكل كافٍ. على عكس مبدأ غرايس، فإنه لم تتم صياغة مبدأ المُلاءَمَة كمعيار يتم الالتزام به أو الخروج عنه، ولكن بالأحرى كان تعميماً لا استثناء له عن الإدراك الإنساني. ولكن هذا المبدأ لا يمكن أن يضمن نجاح التواصل دائماً. إذ إن هذا النجاح يتطلب من التفسير الأولي المُتاح الذي يختاره متحدثٌ عقلانيٌ ما أن يكون ملائماً بشكل مثالي ومتطابقاً مع المعنى المقصود.

إن نظرية الفهم المرتكزة على هذه الافتراضات تميّز بين المُضَمَّنات أي ما ينطوي عليه الكلام (من نوع مُضَمَّنات غرايس) ومعاني الكلام السياقية، التي هي مُقْتَرَحات أو جمل (Propositions) يُعَبَّر عنها بشكل صريح ومن الممكن أنها (كانت) قد حَلَّت محل هذه المُضَمَّنات. بالإضافة إلى ذلك، هي تفترض أن يكون هناك مبدأ يتم بالاستناد إليه تجنب الجهد الإدراكي الغير الضروري. لهذا السبب فإن التعابير التي تحمل مُضَمَّنات يمكن أن تحمل معانٍ إضافية قد يُقال أنه «تم تضمينها بشكلٍ ضعيف». ولذلك يجب أن يكون هناكً سبب يجعل المتحدث يستدعي جهداً إضافياً من المستمع في عملية التفسير وذلك عن طريق عدم إظهار المتحدث للمعنى الصريح بنفسه/ بنفسها. فمثلاً إذا كانت إجابة المتحدث «يجب أن أدرس للامتحان» رداً على دعوةٍ للذهاب إلى السينما، فإن هذا يعني ضمنياً أنه/ أنها يرفض/ ترفض الدعوة. ولكن كان من الممكن أن يقول المتحدث هذا الكلام بشكل مباشر جداً. لذلك، وبالإضافة إلى هذه الإيحاءة أو المعنى المُتَضَمَّن، فإن افترض الملاءمة في علاقتها مع مبدأ الحد الأدنى من الجهد الإدراكي قد يُمْلي علينا إضافة عدد من «الإيحاءات أو المُضَّمَنات الضعيفة» إلى التفسير: والتي لا تُقْصَد بشكل محدد بنفس

الطريقة التي يُقْصَد فيها الإيحاء المحدد: إذ يريد المتحدث أن يعبر عن وجود أسباب مُقْنِعَة لعدم قبول الدعوة؛ أو هو/ هي يريد/ تريد أن يعبر/ تعبر عن حالة ذهنية معينة (JV).

انظر أيضاً القواعد (Rules).

قراءات إضافية:

Blackemore, D. (1992) *Understanding Utterances: an Introduction to pragmatics*, Oxford: Blackwell.

Rouchota, V. and Jucker, A. H. (eds) (1998) *Current Issues in Relevance Theory*, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins.

Sperber, D. and Wilson, D. (1986) *Relevance: Communication and Cognition*, Oxford: Blackwell.

مُمَثِّل الشيء (Representamen/ الإشارة (Sign): إن ممثل الشيء ينقل معلومات عن الشيء (Object) الذي يمثله. فبالنسبة إلى تشارلز بيرس، يعتبر ممثل الشيء عنصراً في علاقةٍ ثلاثية مع الشيء ومع المُفَسِّر (Interpretant). وهو يحدد المُفَسِّر الذي يدخل في علاقة مع الشيء كما يقوم هو بذلك، بشكلٍ يكون فيه المفسر محدداً بشكلٍ وسيط عبر الشيء. وإن الإشارات (Signs)، التي تنقل المعلومات إلى العقول البشرية، هي أكثر الممثلات المألوفة، ولكن ربما ليس كل الممثلات إشاراتٍ.

على سبيل المثال، إن العامل الحيوي المسبب للأمراض من بكتيريا وفيروسات وطفيليات يمكن أن يكون الممثل لمرضٍ ما في جهاز المناعة من دون أن يكون تقنياً إشارةً بحد ذاته. وعادةً لم تعد «الإشارة» محصورةً بهذه الطريقة وهي تُسْتَخْدَم بشكل مرادف مع «الممثل» (NH).

الشيفرة المُقَيَّدة أو المحصورة (Restricted Code): هذا المصطلح لوحده مع مصطلح «الشيفرة المُفَصَّلَة» (Elaborated Code)، هو مصطلح عرَّفَه العالم الاجتماعي باسيل برنشتاين (Basil Bernstein) ليشير إلى ظاهرتين اثنتين: الاستخدام المألوف والاعتيادي للغة في بيئةٍ اجتماعية مستقرة يؤدي إلى توجه خاص نحو استخدام اللغة التي هي انعكاس للنواحي البارزة من خصائص تلك البيئة، والاستخدام الاعتيادي يؤدي إلى شيفرة (Code). وإنّ مستخدمي الشيفرة المُقَيَّدَة ليسوا مستثنين من الاستخدام الكامل للغة، ولكن هذه الشيفرة تتطلب جهداً لتداركها.

وإن الشيفرة تعكس صفات البيئة كالحركية الاجتماعية والجغرافية المتدنية، وأوجه المعرفة المتوفرة في السياق المباشر. هكذا معرفة، والتي يفترض أن تكون معروفة لدى الجميع، ليست بحاجة لأن يتم الحديث عنها. فكلما كان ما هو معروف بشكل مشترك أكثر، كلما قلت الحاجة إلى الحديث عنه، وهذا يؤدي إلى عبارات أكثر ضمنيةً، وينتج بالتالي لغةً أسهل معجمياً ونحوياً.

إن خصائص الشيفرات المقيدة والموَسَّعة تحمل كثيراً من التشابهات التي يمكن أن تُنْسَب إلى فئات الطبقة العاملة والطبقة المتوسطة في المجتمع. وهذا ما أدى إلى ظهور تحديات لهذه النظرية (انظر Labov 1972a). يمكن أن لا تكون التعابير مختارة بشكل جيد؛ فهي تعبر عن بعض ظواهر اللغة المعجمية والنحوية بشكل دقيق. ولكن هي تسمح بتفسير كل مصطلح كتوصيفات للترتيبات الإدراكية لدى مستخدمي الشيفرات (GRK).

قراءات إضافية:

Bernstein, B. (1972) «Social Class, Language and Socialization», in P. P. Giglioli (ed.) *Language and Social Context*, Harmondsworth: Penguin.

الخبر أو المُسْنَد (Rheme): هو المصطلح الذي أطلقه تشارلز بيرس على القسم الأول لثلاثية الإشارات (Signs) الذي يُعنى بكيفية تفسيرها. فالإشارة المُسْنَدَة (أو المُسْنَد) تُفْهَم على أنها تمثل الشيء (Object) التابع لها في صفاتها وبالتالي هي تُفَسَّر كإشارة على الجوهر أو الإمكانية. يمكن أن يكون المُسْنَد تمثيلياً صُوَرِياً (Iconic)، مؤشراً (Indexical)، أو رمزياً (Symbolic)، ولكنه يُفْهَم دائماً على أنه يمثل إمكانيةً نوعية من نوع ما أكثر مما يمثل حقيقة الأمر أو سبباً ما. وغالباً ما تكون المُسْنَدات مرتبطة بالمصطلحات النحوية أو الإسنادات المفتوحة (NH).

انظر ميريل (Merrell) (هذا الكتاب)، اللفظ (Dicent)، والحجة (Argument).

البلاغة (Rhetoric): هي فن استخدام اللغة أو استخدام عناصر اللغة مثل العبارات المجازية (الصور البيانية أو البديعية) بشكلٍ فعّال أو مقنع؛ ولذلك فهي دراسة كيفية التأثير على أفكار، أو عواطف، أو سلوك

الآخرين من خلال استخدام اللغة. وهي واحدة من المواضيع الثلاثة للفنون الثلاثية الرومانية: النحو (Grammar)، والمنطق، والبلاغة. لقد تم تقسيم فن البلاغة بشكل كلاسيكي إلى خمسة أقسام: الابتكار، الترتيب، وفن الخطابة (أسلوب التعبير والإبداع الأدبي)، والذاكرة (فن الاستذكار)، والفعل (الإلقاء). في علم السيمياء عند تشارلز، تعتبر البلاغة الفكرية (النظرية أو الخالصة) الفرع الثالث الذي يلي النحو الفكري والنقد الفكري. فبالنسبة لبيرس، البلاغة الفكرية هي «علم الظروف الضرورية التي يمكن أن تحدد الإشارة (Sign) في ظلها إشارة مفسر بذاته وبأي شيء يدل عليه، والتي يمكن أن تؤدي كإشارة إلى نتيجة مادية محسوسة» (1998, p. 326). وإن البلاغة الفكرية هي دراسة الشروط الضرورية والكافية لإيصال المعلومات أو للمحتوى السيميائي على أي مستوى من النشاط الإشاري أو نقل المعلومات، سواءً أكان ذلك من شخصٍ إلى آخر أو إذا كان تطويراً للفكر الفردي. في بعض الأحيان، يُنْظَر إلى البلاغة على أنها الاستخدام الخيالي أو الشاعري للغة، ذلك الجانب من اللغة الذي هو عصيٌّ على أن يكون محدوداً بالمتطلبات الدقيقة للمنطق أو للخطاب العقلاني. في معناها الحالي الأخير، تعتبر البلاغة نظريةً عامة للتعبير اللغوي أو حتى نظريةً عامة للنصية (NH).

انظر أيضاً المُفَسِّر (Interpretant)، القاعدة الأساسية (Ground) والعادة (Habit).

قراءات إضافية:

Liszka, J. J. (1996) *A General Introduction to the Semeiotic of Charles Sanders Peirce*, Bloomington: Indiana University Press (Especially Chapter 4).

ريتشاردز (**Richards**): آيفور أرمسترونغ ريتشاردز (1893-1979)، هو عالم أدبي، ولغوي وناقد ثقافي، دَرَّسَ في جامعتي كامبردج وهارفرد. من بين كتبه المتعددة نذكر (**مبادئ النقد الأدبي** (*Principles of Literary Criticism*) (1925)، **النقد العملي** (*Practical Criticism*) (1929)، **كوليردج على محط الخيال** (*Coleridge on Imagination*) (1935) **فلسفة البلاغة** (1936) (*The Philosophy of Rhetoric*)، **كيف تقرأ صفحة** (*How to Read a Page*)

(1942)، **الأشعار والعلوم** (1970) (*Poetries and Sciences*)وفي **الما وراء** (*Beyond*) (1975). ولكن في مجال **السيميائية** (*Semiotics*)، يبقى أشهر كتابٍ له هو كتابه الأول **معنى المعنى** (*Meaning of Meaning*) (1923) الذي شاركه في كتابته أوغدن (C. K. Ogden). في هذا الكتاب، ناقش المؤلفان مجموعةً كبيرة من العلماء المعاصرين والمعاصرين المقاربين الذين كان لهم أهمية مثل سوسور، بيرس، روسيل وفردج، إضافةً إلى الرائدين في هذا المجال مثل وليام أوف أوكهام (William of Ock-ham) وهومبولت (Humboldt). كما أنهما استعرضا نسخة ثلاثية للدلالة ليست بعيدةً جداً عن نظرية بيرس الثلاثية للإشارة (Sign). وإن أفضل ما يمكن أن يذكرنا بريتشاردز فيما يختص بالنظرية الأدبية ونظرية الإشارة هو بحثه حول الإستعارة وتمييزه بين «أداة نقل الفكر أو الصوت» و«الفحوى» في هذه العبارة المجازية.

وإن مقاربة ريتشاردز في التحليل كانت دائماً إنتقائية، وتأخذ استنتاجاتها من علم اللغة، والأدب والعلوم ولكنها تركز بثبات على تقلبات الإشارة. بشكلٍ مثير للإهتمام، أثبتت هذه المقاربة صعوبة في النظرية الأدبية التي حاولت بشكل متوالٍ أن تطالب باستحقاق عمله كمثال مُبَكِّر عن النقد الحديث (New Criticism) من جهة، وعن نظرية القارئ-الاستجابة من جهة أخرى (PC).

قراءات إضافية:

Richards, I. A. (1976) *Complementarities: Uncollected Essays*, ed. J. P. Russo, Manchester: Carcanet.

روسي- لاندي (Rossi-Landi): ساهم فيروسيو روسي- لاندي (ميلان (Milan) تريست (Trieste) (1985) (1921-1985) بشكل ملحوظ في تطوير علم السيمياء (Semiotics) وفلسفة اللغة. خلال السنوات الأولى من تكوينه الفكري، اكتسب روسي- لاندي أفكاراً ومنهجيات ليس فقط من الثقافة الإيطالية، ولكن أيضاً من التقاليد الثقافية للنمسا وألمانيا وكذلك من التراث الفكري الأميركي- البريطاني. ولقد تم نشر العديد من كتبه ومقالاته بالأصل باللغة الإنجليزية. عاش روسي-لاندي لعدة سنوات في بلدان غير إيطال، وخاصةً في إنجلترا والولايات المتحدة الأميركية. دَرَّس

روسي- لاندي في جامعة ميتشيغان (Michigan)، آن أربور (Ann Arbor) (1962–1963)، وفي جامعة تكساس (Texas)، أوستن (1963) التي زارها مجدداً في عدة مناسبات، وعمل كأستاذ زائر في عدة جامعات في أوروبا وكذلك في أميركا بين عامي 1964 و1975. إضافةً إلى ذلك، قام بتدريس مواد في الفلسفة وعلم السيمياء في جامعة هافانا (University of Ha-vana) وسانتييغو (Santiago) (كوبا (Cuba)). وبعد أن تبوأ منصباً تعليمياً في بادوفا (Padova) (1962-1963) عاد إلى العالَم الأكاديمي الإيطالي عام 1975 كأستاذ لفلسفة التاريخ في جامعة الليسيه (University of Lecce) (جنوب إيطاليا). وفي العام 1977، حصل على درجة الأستاذية الكاملة لمادة الفلسفة النظرية في جامعة تريست.

كمُحَرِّر ومترجم ومؤلف، قَدَّم روسي-لاندي مساهماتٍ مهمة في الحياة الثقافية. وعمل كمحرر لعضو في المجلس التحريري للعديد من المجلات التي أسس في الحقيقة بعضاً منها: **الطرق** (*Methodos*) (1949-1952)، (1955-1956) *Occidente*، *Nuova corrente* (1966-68)، **علم الإنسان الديالكتيكي** (*Dialectical Anthropology*) (من العام 1975)، **الأيديولوجيا** (*Ideologie*) (1967–74)، وأخيراً *Scienze umane* (1979–1981) التي تحتوي على مساهمات عديدة في نظرية الإشارات (Signs).

يمكن تقسيم دراسات روسي- لاندي إلى ثلاث مراحل (انظر Ponzio 1986, 1989). المرحلة الأولى تهتم بالخمسينات وتتضمن دراساتٍ حول موضوع واحد: تشارلز موريس (Charles Morris) (1953)، التي تمت مراجعتها وتوسيعها في طبعة العام 1975؛ انظر مراسلات روسي- لاندي مع موريس التي نشرت في العام 1992)، *Significato*، *comunicazione e parlare comune* (1961)، ولكن التي كانت في الحقيقة خلاصةً لعمله في الخمسينات، والتي أعيد نشرها عام 1980 ومجدداً عام 1998 في كتابٍ نَقَّحَه بونزيو (A. Ponzio).

أما المرحلة الثانية فتعود إلى الستينات وتتضمن كتاب: *IL linguaggio comelavoro e come mercato* (1968)، الترجمة الإنجليزية،

1983)، والذي يقترح نظريةً للإنتاج اللغوي وللإنتاج الإشاري بشكل عام والتي هي أيضاً نظرية للعمل اللغوي وللعمل الإشاري العام، وهي بذلك تضع الأسس لدراسة التماثل السيميائي بين علم اللغويات وعلم الاقتصاد. وإن كتاب *Semiotica e Ideologia* (1972، والذي أعيدت طباعته في 1974، 1994) هو مُكَمِّل للكتاب السابق مع إضافة مقالات مهمة مثل «Ideologia della relatività linguistica». ولقد نُشِرَ هذا الأخير ككتاب مستقل باللغة الإنجليزية تحت عنوان: **أيديولوجيات النسبية اللغوية** (*Ideologies of Linguistic Relativity*) (1973). وأخيراً هناك كتاب: **علم اللغويات والاقتصاد** (*Linguistics and Economics*) (1975). ولقد كُتِبَ باللغة الإنجليزية في (1970–1971) لسلسلة الكتب: **الاتجاهات الحالية في علم اللغة** (*Current Trends in Linguistics*)، المجلد 12، وأعيدت طباعته كمجلد مستقل في 1975–1977.

أما المرحلة الثالثة فهي تشمل فترة السبعينات وتتضمن كتاب *Ideologia* (1978-1982) الذي ناقش فيه روسي–لاندي مشكلة الصلة بين العقيدة أو الأيديولوجيا واللغة مع إشارةٍ خاصة إلى الاغتراب اللغوي. وخلال هذه المرحلة الثالثة نفسها أَلَّفَ عدة مقالات تم جمعها فيما بعد في الكتاب: *Metodica filosofica e scienza dei segni* (1985).

وإن العديد من المقالات المكتوبة في الفترات الثلاثة، بما فيها المقالات التي ظهرت أساساً باللغة الإنجليزية جُمِعَت بعد وفاته في كتاب: بين الإشارات واللاإشارات (*Between Signs and Non-signs*) (1992a, ed. S. Petrilli). ولقد صمَّم روسي–لاندي هذا الكتاب بنفسه ولكن هذا الأخير بقي من بين الكتب العديدة التي لم تُنْشَر خلال فترة حياته (AP).

قراءات إضافية:

Rossi-Landi, F. (1977) *Linguistics and Economics*, The Hague: Mouton.

Rossi- Landi, F. (1990) *Marxism and Ideology*, trans. R. Griffin, Oxford: Clarendon.

Rossi-Landi, F. (1992) *Between Signs and Non-signs*, ed. S.

Petrilli, Amsterdam: John Benjamin.

القواعد (Rules): في كتاب **المنطق** (*Logic*)، تم التمييز بشكل تقليديين نوعين من القواعد وهما: قواعد التشكيل التي تحدد الطريقة التي تُبْنى فيها الصيغ المنطقية من التعابير الأساسية، وقواعد الاستدلال أو الاستنتاج التي تحدد الخطوات التي من خلالها يمكن استنتاج قاعدة أو صيغة من الأخرى مع المحافظة على شروط الحقيقة. أما في علم اللغة، فلقد كان مصطلح «القاعدة» في الاستخدام الشائع منذ أيام تشومسكي (Chom-sky (1957)، وذلك للتماشي مع التكرارية بشكل رئيسي: إذ إن القواعد تحدد كيفية توسيع نمط واحد إلى آخر. لذلك من الممكن أن نتحدث عن قواعد النحو (Grammar)، في مجال استخدام اللغة، إلاّ أنّ مصطلح «قواعد» عادةً ما يكون غير مرغوباً فيه ويتم استبداله بالأحرى بالمبدأ أو بالاستراتيجيات (مثال Leech 1983). وفي كتاب **الفلسفة** (*Philosophy*)، يجري التمييز بين القواعد التنظيمية (التي تنظم أشكال السلوك الموجودة مسبقاً، مثل القواعد أو الإيتيكيت) والقواعد التكوينية (والتي تحدد أشكال السلوك، مثل قواعد لعبة القدم)؛ وإن سيرل (Searle) (1969) يستخدم هذا التمييز ويصف القواعد المُصاغة لأفعال الكلام (Speech Acts) على أنها قواعد تكوينية (ولذلك فإن فعل «الوعد» يتكون من القواعد التكوينية (بالنتيجة) أو التي تتحدد بحقيقة أنه في ظل بعض الظروف يتضمن قول جملة «أعدك أن آتي غداً» تعهداً بالالتزام من جهة المتحدث (JV)).

انظر أيضاً غرايس (Grice).

قراءات إضافية:

Bartsch, R. (1987) *Norms of Language*, London: Longman.

الشكلية الروسية (Russian Formalism): هو اتجاه في النظرية الأدبية تطور في روسيا بين عامي (1915-1925). وإن المُكَمِّل الأهم لهذه الحركة من حيث الأصالة والنقد هو ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin). وبالتعاون مع هذا الأخير أعطى بافيل ميدفيديف (Pavel N. Medvedev) أهميةً إلى الشكلية الروسية في كتابه للعام 1928، **الطريقة الشكلية للمعرفة الأدبية** (*The Formal Method in Liter-ary*). ولقد أدينت الشكلية في عهد ستالين كمفهوم بورجوازي متعارض مع الأورثوذوكسية الماركسية. وفوق كل ذلك، كان الشكليون «موصّفين» أو محددين وتعاملوا مع مشكلة «خصوصية النص الشعري» للمرة الأولى على الإطلاق. وإن

الشخصيتين الأبرز في حركة الشكلية الروسية هما جاكوبسون (R. Jakobson) وجاكوبنسكي (L. Jakubinsky). كما أن أحد النصوص الافتتاحية لهذه الحركة هو كُتَيِّب شكلوفسكي (V. B. Shklovsky)، **إحياء الكلمة** (*The Resurrection of the Word*) (1914)، في حين أن أول محاولة للتخطيط التاريخي لهذه الحركة كانت لـِ أيخينباوم (M. Eikhenbaum) في: «Teoriia «formal» nogo metoda» (1926، الترجمة الإنجليزية في Todorov 1965).

لقد تطورت الشكلية الروسية في ثلاث مراحل. ولقد تأسست مبادئها النظرية التوجيهية في المرحلة الأولى (1914–1919). وكانت «اللغة الشعرية» هي الموضوع الخاص للبحث ولهذه الإشكالية تكرّس عمل الـ: جمعية دراسة اللغة الشعرية (Society for the Study of (Opoiaz) Poetic Language) . تعتبر اللغة الشعرية نظاماً لغوياً خاصاً. ولقد تكونت علاقة من التعارض بين **قوانين الشعرية** (*Poetic*) و**اللغة العملية** (*Practical Language*) على أساس خصائص لغوية معينة، وخصوصاً الخاصية الصوتية. ولقد تميز **البناء الشعري** (*Poetic Construction*) عن اللغة العملية كما أنه اعْتُبِرَ غريباً عنها من خلال إجراء عملية أَجْنَبَة لها «Foreignization». في البناء الشعري تعتبر **الحبكة** (*Plot*) أساسيةً في حين أن **القصة** (*Story*) (**الحكاية الرمزية** (*fabula*)) ما هي إلا مُكَوِّن. وتتجلى المساهمة المهمة في تفسير العمل الفني بعبارة النوع الأدبي بدلاً من الدلالة على المؤلف وحياته. أمّا المرحلة الثانية (1920-1923) فهي تتميز بنقص في الوحدة وبالإخفاق في التوفيق بين ذاتها وبين الأورثوذوكسية الماركسية. وأما المرحلة الثالثة (1924-1925)، فقد كانت فترة التفكك إلى نظريات جِدُّ مختلفة لدرجة إحداث عددٍ من الشكليات بقدر ما يوجد هناك من علماء شكليّين (AP).

قراءات إضافية:

Steiner, P. (1984) *Russian Formalism: A Metapoetics*, Ithaca, NY and London: Cornell University Press.

S

سابير (Sapir): كان إدوارد سابير (1884-1939) (Edward Sapir) عالماً في اللغويات الأميركية وعالماً في الأنثروبولوجيا. ولد في ألمانيا، وانتقلت عائلته إلى الولايات المتحدة عندما كان في الخامسة من عمره. أثناء دراسته في جامعة كولومبيا (Co- lumbia University)، التقى بعالِم الأنثروبولوجيا فرانز بواس (Franz Boas)، الذي شجع سابير على دراسة اللغات والثقافات الأصلية الأميركية. عمل سابير في أوتاوا طوال خمسة عشر عاماً، باحثاً عن السكان الأصليين في كندا. وعمل لاحقاً كأستاذ في جامعتي شيكاغو (Chicago) وييل (Yale).

قام سابير بعملٍ رائدٍ ومهمفي علم وظائف الأصواتً الكلامية (Pho- nology) وعلم اللغويات التاريخي (Historical Linguistics)، وعمل على تصنيف لغات السكان الأصليين في أميركا. وإن كتابه التمهيدي **اللغة** (*Language*) (1921) هو كتاب ممتاز وجذاب ولا يزال مُحَبَّذاً عن غيره من الكتب في كثيرٍ من الأحيان كمقدمةٍ إلى علم اللغويات. غالباً ما كان سابير يستخدم مفهوم العملية النحوية، ليس بمعنى التغيير التاريخي على مر الزمن ولكن كوسيلة لوصف العلاقات بين المتغيرات المختلفة لنفس الكلمة أو لنفس الوحدة (الصرفية الصغرى) في اللغة (Morpheme). فاسم Na- tion (أي وطن) مثلاً له صفة ذات صلة به ككلمة وهي National (أي وطني). وإذا فَكَّر المرء في هذه العلاقة كعملية، يمكنه القول أن الصفةتتشكل

عن طريق إضافة al- إلى آخر الاسم وتغيير نطق حرف العلة الأول من نوع صوت الحرف الموجود في كلمة يكره (Hate) إلى ذلك الموجود في كلمة قبعة (Hat). كان العديد من البنيويين الأميركيين يشككون بهذه الطريقة في وصف العلاقات اللغوية، مفضلين أسلوباً توزيعياً بشكلٍ التام (انظر البنيوية الأميركية American Struc-) (turalism). وإن عمل تشومسكي في النحو التوليدي Generative Gram-) (mar أعاد إدخالَ عملياتٍ إلى النظرية النحوية.

يرتبط اسم سابير أحياناً باسم وورف (Whorf)، على الرغم من إمكانية إيجاد تصريحات له يرفض فيها «Whorf Hypothesis» (أي «فرضية وورف») في كتاباته. قدم سابير مساهمات هامة في علم الإنسان، وخاصة فيما يخص العلاقة بين الثقافة والمجتمع، وفي الدراسات اليهودية. ولقد قرأ الكثير عن الطب النفسي والتحليل النفسي، وكتب أوراقاً بحثية حول العلاقة بين الثقافة والشخصية. ولقد رأت أشعاره النور في العديد من الأماكن، وقام بكتابة العديد من الأعمال الموسيقية.

على الرغم من أن سابير وبلومفيلد (Bloomfield) يُعْتَبَران عادةً من المهندسين الرئيسيين لعلم اللغويات البنيوية في أميركا، فإن المدى الأوسع للاهتمامات العلميةِ لسابير يوحي بأن معظم مجالات تأثيره كانت في علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا والدراسات الثقافية، ولقد ترك بذلك المجال لبلومفيلد ليكون الشخصية الأكثر هيمنةً في علم اللغويات. وبالرغم من تنامي مكانة تشومسكي في النصف الثاني من هذا القرن، كان يتم تسمية سابير في كثير من الأحيان كمفكرٍ رئيسيٍ رائد، في الوقت الذي تأكدت فيه نقاط الضعف في عمل بلومفيلد. وكان أحد أسباب ذلك هو أنّ بلومفيلد تجنب ربط اللغة بالعقل، في حين كان سابير حريصاً على إيجاد صلة بين علم اللغويات وعلم النفس. وإن الصيغ المختلفة لعلم اللغويات التي تستخدم عبارة 'المعرفية' كتسميةٍ لها (انظر (Cognitive Linguistics) أي علم اللغويات المعرفية) ترى نفسها تواصل عمل سابير بطرقٍ مختلفة.

كان سابير مزيجاً نادراً: فلقد كان عالماً دقيقاً ذا مجموعةٍ إنسانية واسعة من الاهتمامات والإنجازات. لتقديره أعماله حق قدرها، انظر كورنر Ko-) (erner 1984) (RS).

قراءات إضافية:

Koerner, K. (1984) *Edward Sapir: Appraisals of his Life and Work*, Amsterdam: John Benjamins.

Sapir, E. (1921) *Language*, London: HartDavis MacGibbon (Reprinted 1978).

Sapir, E. (1949) *Selected Writings in Language, Culture and Personality*, ed. D. G. Mandelbaum, Berkeley, CA: University of California Press (Reprinted 1985).

فرضية سابير– وورف (Sapir-Whorf Hypothesis): انظر سابير وورف (Sapir and Whorf).

سوسور (Saussure) فرديناند مونجين دو سوسور (Ferdinand-Mongin de Saussure، 1913-1857)، هو عالم لغوي سويسري، وأحد المفكرين الأكثر تأثيراً في اللغة في القرن العشرين. وإن مقرره في علم اللغويات العامة (*Cours de linguistique générale*) (1916) الذي نُشِرَ بعد وفاته، والذي حَرَّرَه زملاؤه بالعودة إلى المسودة أو الملاحظات التي كتبها طلابه خلال محاضراته، أصبح الماغنا كارتا (الدستور) لعلم اللغويات الحديثة. هذا المقرر هو النص المفتاح ليس فقط في تطوير دراسات اللغة ولكن أيضاً في تأسيس «علم السيمياء» (Semiology)، وهو عِلْمٌ في الإشاراتِ أكثر عموميةً، إذ شَكَّلَ علم اللغويات فرعاً خاصاً تابعاً له، وإن مقرر سوسور ساهم في تكوين تلك الحركة الفكرية الأوسع التي عُرِفَت باسم «البنيوية» (Structuralism).

كان طرح سوسور الثوري هو أنه بدلًا من أن يُنْظَرَ إلى اللغة على أنها هامشية في فهم الواقع، يجب التسليم بأن فهمنا لهذا الواقع يدور حول اللغة. أصبحت هذه الفكرة فيما بعد مألوفةً في مختلف مجالات البحث الفكري، من الأنثروبولوجيا إلى الفلسفة وعلم النفس؛ ولكن هذه الفكرة أُعْرِبَ عنها بوضوح في مقرر سوسور التعليمي، وشُرِحَت أيضاً لأول مرة بشيءٍ من التفصيل.

إن أساس تفكير سوسور هو مفهومٌ جديد للكيفية التي يستطيع فيها المتكلم التعبير عن الأفكار من خلال نطق بعض الأصوات. كيف يرتبط هذان النشاطان ببعضهما البعض؟

في مقارنةٍ رائجة، يُشَبِّهُ سوسور اللغة بورقة يشكل فيها الفكر جانباً ويشكل الصوت الجانب المعاكس. وكما أنه من المستحيل قطع الورقة دون قطع الأشكال المقابلة على كلا الجانبين، فإنه ثَبُتَ أنه يستحيل بالنسبة له عزل الفكر عن الصوت أوالصوت عن الفكر في حالة اللغة. وإن الصورتين المتطابقتين هما الجهتان الأمامية والخلفية لصيغةٍ واحدة من الخبرة وليستا شيئين منفصلين تم جمعهما بشكل مُصْطَنَع لأغراض التعبير اللغوي. بل على العكس من ذلك، فإن الوحدة الغير قابلة للتفكيك بينهما هي شرط مُسْبَق (Precondition) لإمكانية التعبير اللغوي.

وإن الوحدة الأصغر في الارتباطات بين الصوت والفكر هي الإشارة (Sign) اللغوية الموجودة في فكر المتكلم باعتبارها بمثابة اقتران بين المعنى أو الدّالّ (Signifiant) (النموذج الصوتي) وبين المدلول عليه (*signifié*) (المفهوم). وإن الإشارة اللغوية هي اعتباطية وخطية على حدٍّ سواء. الصفة الاعتباطية تعني ضمنياً أن العلاقة بين الدّالّ (signifiant) والمدلول عليه (signifié) لا تتحدد بأي عوامل خارجية. والصفة الخطية تعني ضمنياً تواجد سلسلة متتابعة من الإشارات في الرسائل اللغوية، بحيث تدخل في علاقاتٍ تركيبية (Syntag-matic) مع الإشارات السابقة ومع الإشارات اللاحقة.

رأى سوسور أن كل لغة تربط بين الصوت والفكر بطريقةٍ فريدة من نوعها. وبهذا المعنى، فإن متكلمي اللغة A لا يقطنون في نفس العالم العقلي لمتحدثي اللغة B المختلفة عن الأولى، حتى ولو كانوا يعيشون في نفس المكان المادي. وأصر سوسور على التمييز بين الفعل اللغوي الفردي (الكلام (parole)) والنظام اللغوي التابع له (اللغة (Langue))، وكذلك شدد على تمييز هذين الاثنين عن المقدرة اللغوية للإنسان بصفة عامة (الملكة الفطرية) (Langage)). ورأى سوسور اللغة (Langue) كنظام ينتمي إلى المجتمع، أي إلى مجموعةً المتحدثين بها، حتى أنه قاد دل أنها ليست كاملةً عند كل الأفراد. وشدد على دراستها كظاهرة «متزامنة» (Syn-chronic) (أي من دون الرجوع إلى التطور الزمني) وأحال مهمة دراسة التغير اللغوي إلى «علم اللغويات التاريخي» (Diachronic). وفي رأيه، إن عدم تمييز الحقائق المتزامنة عن

الحقائق التاريخية أفسدت مساحات واسعة من الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر (RH). انظر أيضاً المدلول عليه (Signified) والدّال (Signifier).

قراءات إضافية:

Harris, R. (1987) *Reading Saussure*, London: Duckworth.

Saussure, F. de ([1916] 1972) *Cours de linguistique générale*, ed. T. de Mauro, Paris: Payot.

Saussure, F. de (1983) *Course in General Linguistics*, trans. R.

Harris, London: Duckworth.

شاف (Schaff): آدم شاف (Adam Schaff) (مواليد 1913، لوو (Lwów)) هو فيلسوف بولندي. من ضمن كتبه الوافرة، هناك العديد من الكتب التي تعالج مشاكل علم الدلالة أو المعاني (Semantics)، وفلسفة اللغة، والمنطق ونظرية المعرفة والأيديولوجيا. حسب رأي شاف، اللغة هي نتاج اجتماعي وكذلك ظاهرة وراثية ووظيفية للأداء الإنساني. هذا هو أساس «الدور النشط» للموضوع الإنساني على مستوى العمليات الإدراكية المعرفية وعلى مستوى الفعل التطبيقي. فاللغة ليست فقط أداةً للتعبير (Expression) عن المعنى (Meaning)، ولكنها أيضا المادة التي يُصْنَع منها المعنى والتي بدونها لا يكون للمعنى أي وجود. وبالتالي فإن شاف ينتقد تفسير اللغة الفطري والبيولوجي الاختزالي على النحو الذي طرحه عالم اللغة نعوم تشومسكي (Noam Chomsky) وعالم الأحياء إريك لينبيرغ (Eric H. Lenneberg) (انظر Schaff 1978).

وفقاً لشاف، يجب علينا أن نحرِّر أنفسنا من ما يسميه (1962) «الارتباط الاستحواذي أو عبودية الإشارات» (Fetishism of Signs) (وهي صدىً مباشر للارتباط الاستحواذي بالسلع عند ماركس). وإن الارتباط الاستحواذي بالإشارات يجد انعكاساً له في المفهوم المُجَسَّد للعلاقات بين الإشارات وكذلك بين الدالّ (Signifier) والمدلول (Signified)، ويجب أن ينطلق التحليل من العمليات الاجتماعية للتواصل، كما يجب اعتبار العلاقات بين الإشارات مماثلةً للعلاقات بين البشر الذين يستخدمون ويحدثون إشاراتٍ محددة في ظروفٍ

اجتماعية معينة. برأي شاف، وعلى عكس المادية البسيطة، يجب أن نعترف بتفوق النظريات اللغوية التي تُرَكِّز على الوظيفة الفاعلة للغة في العملية الإدراكية المعرفية؛ وعلى العلاقة بين اللغة والرؤية الفلسفية الألمانية الكونية (weltanschauung)؛ وعلى العلاقة بين اللغة و«صورة الواقع». ومع ذلك، ينبغي اعتبار الإنسان نتاجاً للعلاقات الاجتماعية، وكذلك اعتبار أنَّ اللغة لا يمكن فصلها عن الأداء العملي الاجتماعي (Ponzio 1974).

في دراسات النشاط الإشاري (Semiosis) عند الإنسان، هذا الاعتبار يؤدي بنا إلى رؤيةٍ جديدة للقضايا المتعلقة بالإشارة واللغة: وهي مشكلة العلاقة بين اللغة والمعرفة (انظر Schaff 1973، 1975)؛ وبين اللغة والوعي؛ وبين اللغة والأيديولوجية والقوالب النمطية؛ وبين اللغة والمسؤولية. وعلى العكس من ذلك، من الواضح أن نظريات المعرفة هي نظرياتٌ بحاجة إلى دعمٍ من الدراسات الجارية حول اللغة؛ من أجل الحفاظ على الاهتمام البحثي المناسب حول مفاهيم «الاختيار»، «المسؤولية»، و«الحرية الفردية»، ويجب أن تُؤْخَذَ بعين الاعتبار مشاكل أخرى مثل «هيمنة الكلمات»، و«الاغتراب اللغوي» وأسبابه (AP).

قراءات إضافية:

Ponzio, A. (1990) «Humanism, Language and Knowledge in Adam Schaff», in A. Ponzio (ed.) *Man as a Sign*, Berlin: Mouton de Gruyter.

Schaff, A. (1973) *Language and Cognition*, New York: McGraw-Hill.

Schaff, A. (1978) *Structuralism and Marxism*, Oxford: Pergamon Press.

سيبيوك (**Sebeok**): ولد توماس سيبيوك (Thomas A. Sebeok) في بودابست عام 1920. هاجر إلى الولايات المتحدة عام 1937، وحصل على الجنسية عام 1944. كان أحد أعضاء هيئة التدريس في جامعة إنديانا منذ العام 1944 وهو المحرر العام لـ: *Semiotica*، وهي مجلة: **الجمعية الدولية للدراسات السيميائية** (*International Association for Semiotic Studies*) (IASS)، التي تأسست في باريس عام 1969. ولا بد من اعتبار سيبيوك من بين الشخصيات الذين كان لهم الدور

الأكبر في إضفاء الطابع المؤسسي على السيميائية دولياً، وفي تكوينها «كسيميائية عالمية» (Global Semiotics). أَلْهَمَ تشارلز بيرس عمل سيبيوك بشكل كبير، وكذلك تأثر سيبيوك بعمل تشارلز موريس (Charles Morris) ورومان جاكوبسون (Roman Jakobson). وإن اهتماماته البحثية العديدة والمتنوعة تغطي كماً هائلاً من المجالات، متراوحةً من العلوم الطبيعية إلى العلوم الإنسانية. وإن الاعتقاد الأساسي المُسْتَنْبَط من بيرس والمقابل للأسلوب البحثي العام لسيبيوك هو أن العالم بأكمله مليء بالإشارات (Signs). وبفضل هذه المقاربة «العالمية» أو «الشمولية»، قد يكون بحث سيبيوك في «حياة الإشارات» مرتبطاً بشكل مباشر باهتمامه بإشارات الحياة. من وجهة نظره، يتطابق النشاط الإشاري (Semiosis) مع الحياة. ويأتي أصل النشاط الإشاري من الحركات الأولى للحياة، التي تؤدي إلى تشكيلٍ بديهيةٍ يعتبرها أساسيةً لعلم السيمياء: «النشاط الإشاري هو الخاصية المعيارية للحياة: يؤمِّن علم السيمياء نقطةَ التقاء وركيزةَ ملاحظةٍ للدراسات القائمة حول حياة الإشارات وإشارات الحياة».

بالإضافة إلى ذلك، تفترض مقاربة سيبيوك العامة لحياة الإشارة انتقادَه للنظرية السيميائية وللتجربة اللتين تريان الإنسان واللسان عنصرين مركزيين أو رئيسيين أو الهدف من خلق الكون. في أبحاثه حول حدود وهوامش العلوم أو (كما يسميه أيضاً) «مبدأ» الإشارات، يفتح المجال لتضمين علم السيمياء الحيواني (Zoosemiotics) (وهو مصطلح أدخله في العام 1963) أو حتى بشكل أوسع لتضمين علم السيمياء البيولوجي (Biosemiotics)، من جهة واحدة، وعلم السيمياء الباطني من جهة أخرى. في مفهوم سيبيوك، ليس علم الإشارة فقط الـ: «science qui étude la vie des signes au sein de la vie sociale» (Saussure) (أي العلم الذي يدرس حياة الإشارات في بيئة الحياة الاجتماعية (سوسور))، أي دراسة التواصل في الثقافة وإنما هو أيضاً تلك الدراسة التي تتناول السلوك التواصلي من جهة نظر سيميائية حياتية.

وإن ملاحظات سيبيوك الافتتاحية لكتابه: **الإشارات وخبراؤها** (*The Sign and Its Masters*) (1976)، التي يعرفها على أنها «انتقالية»، قد تمتد إلى كل أبحاثه التي يُنْظَر إليها في ضوء النقاش الحالي حول النظرية السيميائية

الفلسفية– اللغوية. يجري الانتقال الآن بشكل عام من «سيمياء الشيفرة» (Code)إلى «سيمياء التفسير»، أي من سيمياء مرتكزٍ على علم اللغة إلى سيمياء مستقل عنه.

حتى في عمله النظري السابق **مساهمات في مبدأ الرموز** (*Contributions to the Doctrine of Signs*) (1976)، يعطي سيبيوك بشكل واضح امتيازاً للسيمياء التفسيري، بينما في كتابه: *The Play of Musement* (1981)، يكتشف فعالية علم السيميائية كوسيلةٍ منهجية وبالتالي يدرس امتدادها إلى مختلف المجالات بمصطلحات أكثر استطرادية وعَمَلانيةً.

تَبِعَت هذه الكتب وبشكلٍ سريع كتبٌ أخرى مهمة وتتضمن:

أظن أنني فِعْل: مساهماتٌ أكثر في مبدأ الإشارات (*I Think I Am a verb: More Contributions to the Doctrine of Signs*) (1986)، **مقالات في علم السيمياء الحيواني** (*Essays in Zoosemiotics*) (1990)، **الإشارة هي مجرد إشارة** (*A Sign is Just a Sign*) (1991)، **السيمياء في الولايات المتحدة** (*Semiotics in the United States*) (1991)، **الإشارات: مدخل إلى علم السيمياء** (*Signs: An Introduction to Semiotics*) (SP) (1994). انظر أيضاً سيبيوك (Sebeok) (هذا الكتاب).

قراءات إضافية:

Sebeok, T.A. (1976) *Contributions to the Doctrine of Signs*, Bloomington: Indiana University Press.

Sebeok, T. A. (1989) *The Sign and its Masters*, 2nd edn, Lanham, MD: University Press of America.

Sebeok, T. A. (1994) *Signs: An Introduction to Semiotics*, Toronto: University of Toronto Press.

الثانيَّة أو الترتيب الثاني (**Secondness**): هي إحدى التصنيفات الثلاثة للظواهر عند تشارلز بيرس، التصنيفان الآخران هما: الأولية (Firstness) والثالثية (Thirdness). إن تصنيف الثانيَّة (التعارض والتقابل في الجانب الآخر)، مع الأوليَّة والثالثيَّة هي التصنيفات الكلية الوجود للعقل، والإشارة (Sign) والواقع (CP 2.84-2.94).

الترتيب الثاني هو تصنيف تِبعاً له يُنْظَر إلى شيءٍ ما نسبةً إلى شيء آخر أو في مقابل الجانب الآخر. وهو تتضمن الثنائية، التي هي علاقة تعارض أو ردة فعل. من وجهة نظر الإشارات، الثانيَّة مرتبطة بالمؤشر (Index). والمؤشر هو إشارة علاقة تدل على موضوعه بعلاقة تقارب، أو بسببية، أو برابط ماديٍّ آخر. لكن هذه العلاقة تعتمد أيضاً على عادةٍ (Habit) أو عُرف مثل العلاقة بين سماع قرعٍ على الباب وشخصٍ ما على الناحية الأخرى من الباب يريد الدخول. في حين أن التمثيل الصوري (Icon)، الذي تحكمه الأوليَّة، يمثل نفسه كإشارةٍ أصلية (Original)، والرمز (Symbol) الذي تحكمه الثالثيَّة، كإشارة مؤشرة -Tran) (suasional، المؤشر، الذي تحكمه، والتي هي إشارةٌ مقابِلَة (CP2. 89-92) (Obsistent).

من وجهة نظر المنطق، الاستدلال المُنَسَّق قبلاً يتوافق مع الاستنتاج. في الواقع، في حالة الحجة المقابلة أو الاستنتاج، تكون النتيجة مدفوعةً إلى الإقرار بأن الحقائق المنصوص عليها في الافتراضات الأساسية، سواءً في واحدة منها أو في كليهما، وكأنها لم تكن لو كانت الحقيقة المُعْلَن عنها في النتيجة غير موجودة فيها (cf.CP 2.96).

من وجهة نظر علم الوجود، الذي هو، علم الكينونة، الثانيَّة موجودة في قانون الـ: Anancasm أو الضرورة التي، برأي بيرس، تنظم النمو التطوري للعالم مع الـ: Agapasm (أي الحب المبدع الذي يتساوى مع الأولية) ومع الـ: Tychasm (أي السببية التي تتساوى مع الثالثية) (cf. CP 6.287-317; Petrilli 1999d).

وبالتالي، وعلى مستوى المنطق، فإن الأوليَّة، والثانيَّة، والثالثية تتساوى مع الإبعاد (Abduction)، الاستنتاج والاستقراء؛ وعلى مستوى دراسة رموز الإشارات هي تتساوى مع التمثيل الصوري، والمؤشر والرمز، وعلى مستوى علم الوجود مع الحب المبدع والضرورة والسببية.

بالنسبة للثانيَّة أو التقابل، وهو تصنيف ثنائي، توجد علاقة غيرية -Al) (terity نسبية، تعتمد فيها مصطلحات العلاقة على بعضها البعض. الغيرية الفعالة، وهي إمكانية وجود شيءٍ لوحده، مطلقٍ بحد ذاته (*Absolute* *per se*)، وبشكلٍ مستقل، تقدم نفسها تحت تصنيف الأولية، أو الأصالة

والتي بالنسبة لها إن شيئاً ما «هو ما هو عليه من دون الدلالة على أي شيء آخر ضمنه أو بدونه، بغض النظر عن كل قوة وعن كل سبب» (CP 2.85). هنا يمكن للعلاقة الفعالة للغيرية أن تكون ممكنة إذا كان هناك ثنائية، ثانيَّة، وبالتالي تَقَابل من الجانب الآخر (cf. Ponzio 1990a, pp. 197-214). ولا يمكن لعلاقة الغيرية أن تكون ممكنة في نظام يُنَسَّقُ بشكلٍ حصري من قِبَل الثُّانيَّة وبالتالي، من قبل الثنائية، حيث يتواجد عنصرٌ ما فقط إذا دل على عنصر آخر ولن يكون لهذا العنصر أي وجود في حال انعدام هذا العنصر الآخر.

خذ، على سبيل المثال، زوجاً وزوجة. هنا ليس هناك من شيءٍ سوى ثنائيةٍ حقيقيةٍ، ولكنها تشكل تفاعلاً، بمعنى أن الزوج يجعل الزوجة زوجة في واقع الحال (وليس فقط في فكرٍ ما مقارن)؛ في الوقت الذي تجعل فيه الزوجة الزوج زوجاً.

.(SP) (CP 2.84)

قراءات إضافية:

Peirce, C. S. (1955) «The Principles of Phenomenology», in *Philosophical Writings of Peirce*, ed. J. Buchler, New York: Dover.

Peirce, C. S. (1958) «Letter to lady Welby, 12 October 1904», in *Charles S. Peirce: Selected Writings*, ed. P. Wiener, New York: Dover.

Petrilli, S. (1999) «About and beyond Peirce», *Semiotica* 124 (3/4), 299-376.

علم الدلالة أو علم معاني الكلمات (Semantics): في نظرية موريس (Morris) عن النشاط الإشاري، إن البعد السيميائي لوظيفية الإشارة يتعلق «بعلاقة الإشارات بالأشياء التي يمكن أن تنطبق عليها الإشارات» (1938a, p. 6) وإن دراسة هذا البعد يسمى دراسة معاني الكلمات. في علم اللغويات، هذا يُتَرْجَم إلى وجهة نظر علم الدلالة كمكونٍ لنظريةٍ لغوية تتعاطى مع المعنى (Meaning)، سواءً على مستوى الكلمة (علم الدلالة المعجمي) أو على مستوى الجملة أو الأفكار (الافتراضات). غالباً ما يقال أن علم الدلالة يدرس المعنى خارج السياق، في حين أن علم البراغماتية (Pragmatics) يدرس المعنى ضمن السياق (Levinson 1983). وعلى أي حال، فإن أغلب الجمل لا يمكن فهمها إلا في مقابل مجموعة افتراضات

أساسية تعرِّف السياق بشكل فعال (Searle 1978). وبالتالي فإن التمييز الأكثر فائدةً قد يكون باعتبار ميدان علم معاني الكلمات كصفاتٍ لنظام اللغة التي تُمَكِّن من توليد المعنى في استخدام اللغة بشكلٍ مباشر، وهي عملية تتواجد بذاتها ضمن نطاق علم البراغماتية أو دراسة استعمال لغة (JV).

انظر أيضاً بريال (Bréal) وغرايس (Grice).

قراءات إضافية:

Lyons, J. (1995) *Linguistic Semantics: An Introduction*, Cambridge: Cambridge University Press.

علم الرموز، الرموزية (Semiology): يجب عدم الخلط بين هذا العلم وبين علم الدلالة (Semantics) أو علم السيمياء (Semiotics)، بالرغم من حقيقة أن هذا الأخير يتم التعامل معه غالباً بشكل غير مضبوط على أنه مرادفٌ لعلم الرموزية. الكلمة الإنجليزية هي ترجمة للكلمة الفرنسية semiologie، التي أدخلها إلى المعجم فرديناند دو سوسور عام 1894 ليقصد بها تسمية فرع المعرفة (الذي لم يكن موجوداً آنذاك) المُكَرَّس لدراسة «حياة الإشارات كجزءٍ من الحياة الاجتماعية». في مقرر سوسور **علم اللغويات العامة** (*Cours de linguistique générale*)، يتم تقديم هذا المجال المعرفي كفرعٍ من علم النفس الاجتماعي. لم يتصور سوسور علم الرموز كعلمٍ عام للإشارات من كلِّ نوع. ويبدو واضحاً من محاضراته في جنيف أنه اسثنى من علم الرموز كل الإشارات التي تعتمد على أو التي تحكمها قرارات الأفراد. ولم يُضَمِّن في هذا العلم الإشارات المسماة «بالطبيعية» (غيوم العاصفة، احمرار الوجه خجلاً... إلخ). وكان يبدو ظاهرياً أن علم الرموز محصورٌ في دراسة الإشارات المؤسساتية العامة، وبالأخص تلك التي تكون فيها العلاقة بين الشكل والمعنى (Meaning) «اعتباطية»: من ضمن هذه الإشارات، اعتبر سوسور أن الإشارات اللغوية تشكل الطبقة الأكثر أهميةٍ».

وَسَّعَ أتباع سوسور لاحقاً تعريف هذا المصطلح. ولقد ساوى بويسنز (Buyssens) السيمياء مع دراسة عمليات التواصل بشكل عام (على الأقل حين تُفْهَم كأفعال يُقْصَدُ منها التأثير على الآخرين، وحين الاعتراف

بها كما هي من قِبَل «الآخرين» الذين نحن بصددهم). وإن بارت (Barthes) قَلَب وجهة نظر سوسور عن العلاقات بين علم الرموز وعلم اللغويات، متعاطياً مع الأول كجزءٍ من الأخير. واعتبر ليفي- ستراوس (Lévi-Strauss) علم دراسة الإنسان أو الأنثروبولوجيا كفرعٍ من علم الرموز. وإن أياً من التطورات اللاحقة لا تتناسب مع تصور سوسور الأصلي (RH).

انظر هاريس (Harris) (هذا الكتاب)، هيلمسليف، والبنيوية (Structuralism)، وما بعد البنيوية(Poststructuralism).

قراءات إضافية:

Saussure, F. de (1983) *Course in General Linguistics*, trans. R. Harris, London: Duckworth.

النشاط الإشاري (Semiosis):
النشاط السيميائي هو التسمية التي أُعْطِيَت لفعل الإشارات (Signs). وبالتالي يمكن فهم السيمياء (Se-miotics) كدراسةٍ للنشاط الإشاري أو حتى كدراسةٍ «للنشاط الإشاري الأشمل» أي إنتاج «الإشارات عن الإشارات». ولكن وراء هذا التعريف البسيط، هناك عالمٌ من التعقيدات. في اللغة العامة، وأحياناً في لغة السيمياء، تُفْهَمُ الإشارات فقط كمجرد أشياء جامدة تُسْتَخْدَم بهدف إرسال الرسائل. ولكن النشاط الإشاري يحدث بطرق عديدة مختلفة وفي أماكن لا تبدو فيها الإشارات ظاهرةً بالضرورة للبشر. في حين أن النشاط السيميائي الإنساني كان موضوع العديد من الأبحاث التي تؤلف علم سيمياء الإنسان (Anthro-posemiotics)، فإن هناك تنوعاً هائلاً لعلم النشاط الإشاري الذي هو ذو ميزةٍ غير بشرية. بالإضافة إلى ذلك، يجب عدم اعتبار النشاط الإشاري البشري منفصلاً عن أفعال النطاق الأوسع للإشارات بين جميع أنواع الخلايا. بدلاً من ذلك، يجب أن يُفْهَمَ على أنه موجودُ ضمن هذا الأخير، بما أن تقلباته هي فقط مُنَظَّمة بشكل مختلف عن تغيرات مجاوريه: «وهكذا، فإن كلاً من الفيزياء، وعلم النفس وعلم الاجتماع يجسد مستواه المتميز الخاص للنشاط الإشاري» (Sebeok 1994, p. 6).

يُعَرِّف موريس (Morris) النشاط الإشاري على نحوٍ شائع «بأنه عبارة عن عملية يكون فيها شيءٌ ما إشارةً

لكائنٍ حيٍّ ما» (1964, p. 366). مثل بيرس، يعرف موريس عملية ثلاثية الأضعاف للنشاط الإشاري تتضمن واسطةَ نقل الإشارة، المدلول أو المشار إليه (designatum)، والمُفَسِّر (وهو موازي للممثل -respresenta men)، الموضوع (Object) والمُفَسِّر (Interpretant))، حيث يعمل الأول كإشارة، والثاني هو ما يُشار إليه والثالث هو تأثير أو المؤثر في العلاقة بين الاثنين الآخَرَيْن (Morris 1938). وإن عمل موريس هو مثالٌ جيد يفسر كيف أن علاقات الإشارة البسيطة تستتبع تعقيداً إشارياً سيميائياً. يتصور موريس ثلاثة نطاقات للنشاط الإشاري: هذه النطاقات هي العلاقات بين وسائط نقل الإشارة، التي يسميها علم التراكيب (Syntactic) (أو علم البناء (Syntax))؛ والعلاقات بين كل وسيلة نقل مختلفة للإشارة وبين مدلولها، والمسمى علم الدلالة -Se mantics)، والعلاقات بين الإشارات ومستخدميها – أي علم دراسة استخدام اللغة أو البراغماتية (Pragmatics). مع بعض التعديلات، أَمَّنَت هذه الثلاثية للمقاربات للنشاط الإشاري بشكلٍ عام برنامجاً للكثير من إنجازات علم اللغويات الحديثة.

يجب كذلك إبراز العلاقات بين مصطلحَي «النشاط الإشاري» و«التواصل». منالمعروف جيداً أن بيرس استخدم مصطلح «النشاط الإشاري» ولكنه نادراً ما كان يستحضر مفاهيم «التواصل» و«القصدية» (مع أنه يمكن الاطلاع على Johansen (1993, pp. 189 ff). ولكن هذا المصطلح الأخير عادةً ما يعْتَبَر بديهياً في علم السيمياء الإنساني -Anthro (posemiotics. فمثلاً، استعرض سوسور «دائرة الكلام» وذلك في **مقرره** (*Cours*). فأظهر رسماً لرأسين بشريين، يقومان بتمرير كلام مُشَفَّر إلى بعضهما البعض وهما بذلك يقومان بوصل محتويات عقلين في فعلٍ من «النشاط العقلي عن بعد» -Telemen (tation.

(1983, p. 11; Harris 1987, pp. 205 ff.).

هكذا تركيز على «نجاح» النشاط الإشاري يميز الكثير من نقاط نظرية الاتصال. ولاحقاً في القرن العشرين، على سبيل المثال، طَرَحَت نظرية وثاقة الصلة (Relevance Theory) تساؤلاتٍ حول نماذج الشيفرة (Code) مقترحةً أن:

عملية التواصل البشري هي في معظمها قصدية، وذلك لسببين منطقيين. السبب الأول هو ذلك الذي اقترحه غرايس (Grice): من خلال تقديم دليل مباشر على نية الشخص في إعطاء معلومات، هذا الأخير يستطيع أن ينقل مجالاً أوسع بكثير من المعلومات التي يمكن أن تنتقل عبر تقديم دليل مباشر على المعلومات الأساسية نفسها. السبب الثاني الذي يدفع البشر للتواصل هو تعديل وتمديد البيئة الإدراكية المتبادلة التي يشاركون فيها بعضهم البعض.

(Sperber and Wilson 1995, p. 64)

الشيفرة في دائرة الكلام عند سوسور، والنقل للمعنى بالإشارة إليه والاستدلال في نظرية وثاقة الصلة، هما مكونان قويان في فعل التواصل البشري. فكلاهما يعنيان ضمنياً العملية الواضحة في نقل الإشارة. ولكن يجب ألا يُسْمَحَ لهذا أن يحجب حقيقة أن أفعال التواصل والقصدية هي مجرد جزء صغير من المخزون الإشاري العالمي. فالنشاط الإشاري هو ببساطة فائق الوصف وإن الكثير من النشاطات الإشارية، مثل حركة الجزئيات الذرية الفرعية (Sebeok 1994, p. 8) يمكن تمييزها فقط من خلال نموذج (Mod-el نشاطها (PC).

انظر أيضاً سيبيوك (Sebeok)، كوبلاند (Coupland) وجاوورسكي (Jaworksi) وفيرشويرن (Ver-schueren) (هذا الكتاب)، وعلم السيمياء الحياتية (Biosemiotics).

قراءات إضافية:

Merrell, F. (1998) Sensing Semiosis: *Toward the Possibility of Contemporary Cultural Logics*, London: Macmillan.

Morris, C. (1938) *Foundations of the Theory of Signs*, Chicago: University of Chicago Press.

Sebeok, T. A. (1994) *Signs: An Introduction to Semiotics*, Toronto: University of Toronto Press.

علم السيمياء (Semiotics): يمكن لعلم السيمياء أن يُفْهَمَ على أنه يشير إلى:

1- خصوصية النشاط الإشاري البشري (Semiosis).

2- علم الإشارات (Signs) العام.

في ما يتعلق بالرقم (1) أعلاه، في عالم الحياة الذي يتزامن مع النشاط الإشاري، يتميز علم النشاط الإشاري البشري بكونه النشاط الإشاري الشمولي، أي احتمالية الانعكاس على الإشارات، وجعل الإشارات ليس فقط موضوع التفسير الذي لا يمكن تمييزه عن الاستجابة لهذه الإشارات، وإنما أيضاً تفسيراً كانعكاسٍ على الإشارات، كتعليق للاستجابة واحتمال التداول. يمكن أن نسمي هذه القدرة البشرية المحددة للنشاط الإشاري الشمولي «السيمياء». وإنه بتطوير ملاحظة أرسطو (Aristotle) الصحيحة التي قدمها في بداية كتابه **الميتافيزيقيا** (*Metaphysics*)، وهي أن الإنسان يميل بطبيعته إلى المعرفة، يمكننا القول أن الإنسان يميل بطبيعته إلى السيمياء. ويمكن أن يتميز النشاط الإشاري الإنساني، أي الـ: An-throposemiosis بتقديم نفسه على أنه السيمياء. فالسيمياء مثل النشاط الإشاري البشري أو الـ: Anthropo-semiosis يمكن أن (أ) يصل إلى كل الكون بحثاً عن المعاني (Meanings) والإدراكات، إذا تم بالنتيجة اعتباره من وجهة النظر الإشارية أو (ب) يمكن أن يجعل النشاط الإشاري البشري مطلقاً عبر اعتباره علم الإشارات بذاته.

أما في ما يتعلق بالرقم **(2)** أعلاه، فإن السيمياء كمجالٍ معرفي أو علم (سوسور (Saussure)) أو كنظرية (موريس (Morris)) أو كمبدأ (سيبيوك (Sebeok)) يقدم نفسه في الحالة الأولى (أ) «كسيمياء عالمية» (سيبيوك (Sebeok)) قابلة للامتداد إلى الكون كله طالما أنه مليء بالإشارات (بيرس)، بينما في الحالة **(ب)** فهو محدود ومركزيته هي البشر.

فوق كل شيء يمكن إيجاد أصول السيمياء كحقل معرفة في أصول السيمياء الطبية، أو علم الأعراض المرضية، أي دراسة الأعراض. في الحقيقة، بما أن الإنسان هو «حيوان سيميائي»، فإن كل الحياة الإنسانية لطالما كانت متميزة بمعرفة نظامٍ سيميائيٍّ ما. وبالتالي، إن كان بالإمكان اعتبار علم السيمياء الطبية الفرع الأول في تطور علم السيمياء، فإن هذا فقط بسبب أنه على عكس أبقراط (Hip-pocrates) وغالن (Galen)، فإن الصيادين، والمزارعين، والملاحين، وصيادي السمك، والنساء بحكمتهم وممارساتهم الإشارية المتعلقة بإنتاج وإعادة إنتاج الحياة، لطالما كانوا معنيين بالسيمياء، لكن من دون أن يكتبوا أبحاثاً حول هذا الموضوع.

وبما أن الإشارات الكلامية، الشفهية والكتابية، هي فريدة من نوعها من جهة أنها لا تنفذ أي شيءٍ سوى وظيفة الإشارة، فإن الانعكاس على الإشارات الكلامية يمثل منذ زمانٍ بعيد دعامةً أخرى في علم السيمياء. وبالفعل، فإن دراسة الإشارات الكلامية وَجَّهَت بشكلٍ كبير معايير تحديد ما يمكن اعتباره إشارةً.

هذا يشرح كيف أنه في أوقات جِدُّ راهنة (بداية القرن العشرين)، تُمَثِّل السيمياء نفسها، على أساس اهتماماتها اللغوية- الكلامية، في صيغة علم الرمزية (semiologie) الذي يقوم، برأي سوسور، بمهمة دراسة حياة الإشارات «في وسط الحياة الاجتماعية». وبالرغم من كون اللغويات مُتَضَمَّنَة كمجرد فرع لعلم الرمزية (Semiology)، فإن علم الرمزية في كليته، كان متأثراً به بشكل كبير. ولقد أدرك سوسور الإشارات فقط في الكيانات التي تنفذ دوراً تواصلياً قصدياً في سياقٍ اجتماعي. بالاستناد إلى حدود هذا المفهوم، أي سيمياء التواصل، يتم الانتقال إلى سيمياء المغزى أو الدلالة (بارت (Barthes)) الذي يعترف أيضاً بالإشارات في ما لا يُنْتَج بنيَّة لعب دورٍ كهذا، وفي النهاية يتم الانتقال إلى المرحلة التي يمكن تسميتها مع بارت (1915) «سيمياء المعنى الثالث» أو «سيمياء النص»، أو سيمياء المدلول. لكن بشكل متوازٍ مع كل هذا، تم تطوير وجهات نظر أخرى في مجالات اهتمام مختلفة أيضاً. من دون الادّعاء بشمول القائمة، يمكن تأمل وجهات النظر التالية معاً مع أسماء ممثليها الأساسيين: النفسية (فرويد (Freud)، بولر (Buhler)، فيغوتسكي (Vygotsky)) والفلسفية (بيرس، ويلبي (Welby)، أوغدن (Ogden) وريتشاردز (Richards)، فيتغشتاين (Wittgenstein)، موريس (Morris)، كاسيرر (Cassirer))، والنقدية الأدبية (باختين (Bakhtin))، والبيولوجية (رومانس (Romanes)، جايكوب (Jakob) وثور فون أويكسكول (Thure von Uexkull)، جايكوب، مونود (Monod))، والرياضية – والطوبولوجية (رين توم (Rene Thom)). عندما اعتُبِرَت «السيمياء الكلية» لسيبيوك «الحلقة السيميائية» (لوتمان -Lot man) تكمن في «الحلقة البيولوجية السيميائية»، فإنها قدمت التفسير الأكثر شموليةً للإشارات: وجهة النظر هذه هي الأكثر قدرةً على طرح التساؤلات

عن الكليات المُفْتَرَضة للسيمياء وعلى إظهارها على ما هي عليه فعلاً، أي أجزائها (SP).

انظر أيضاً علم سيمياء الإنسان (*Anthroposemiotics*) **وعلم السيمياء البيولوجي** (*Biosemiotics*)**.**

قراءات إضافية:

Deely, J. (1994) *The Human Use of Signs, or Elements ofAnthroposemiosis*. Lanham, MD: Rowman and Littlefied. Hoffmeyer, J. and Emmeche, C. (eds) (1999) *Biosemiotica*. Special Issue of *Semiotica* 126.

Nöth, W. (1990) *Handbook of Semiotics*, Bloomington: Indiana University Press.

شيفتر (**Shifter**): انظر التعبير الإشاري (كلمة أو تعبير لا يمكن تحديد معناه إلا ضمن سياق الكلام) (Deixis).

الإشارة (**Sign**): الإشارة هي عامل في عمليةٍ مفهومة إما بشكل ثنائي (الدّالّ (Signifier)/ المدلول (Signified)) بما يتوافق مع سوسور وأتباعه، أو بشكلٍ ثلاثي (الإشارة (الممثل (representamen))/ الموضوع (Object)/ المُفَسِّر (Interpretant)) بما يتوافق مع بيرس وأتباعه.

الشروط الأساسية للإشارة تتضمن ما يمكن أن نسميه الإشارة المُفَسَّرَة، من ناحية الشيء، والمُفَسِّر في علاقةٍ يكون فيها المفسر هو ما يجعل الإشارة المُفَسَّرَة ممكنة. المُفَسَّر يصبح مُكَوِّناً إشارياً لأنه يتلقى تفسيراً، ولكن المفسر بدوره هو أيضاً مكون إشاري ذو قدرة على توليد إشارة جديدة: وبالتالي، حيث هناك إشارة، توجد وبشكلٍ مباشر إشارتان، وبما أن المفسر يمكن أن يولِّد إشارةً جديدة، يصبح مباشرةً عدد الإشارات ثلاثة، وهكذا كما تمَّ وصف ذلك من قبل تشارلز بيرس من خلال مفهومه عن النشاط الإشاري اللامتناهي (Unlimited Semiosis)، تتكون سلسلة من التحولات من مُفَسِّر إلى آخر.

وإن تحليل الإشارة بدءاً من موضوع التفسير، أي المُفَسَّر، يعني البدء من مستوىً ثانويٍّ. بعبارةٍ أخرى إن البدء من الموضوع – المُفَسَّر يعني البدء من نقطة في سلسلة التحويلات، أو سلسلة النشاط الإشاري، التي لا يمكن اعتبارها نقطة البداية. ولا يمكن

إعطاؤها امتيازاً عن طريق التجريد على مستوىً نظري لشرح أفعال عمليات الإشارة.

مثال على ذلك هو: أن بقعةً ما على الجلد هي إشارة طالما أنه يمكن تفسيرها كعارضٍ لمرضٍ في الكبد: هذا هو أساساً مستوىً ثانوي في عملية التفسير. على مستوىً أولي، وبأثر ارتجاعي، إنَّ خلل الجلد هو تفسير يُحْدِثه الكائن الحي بنفسه فيما يتعلق بالشذوذ الذي يزعجه والذي يستجيب له. وإن الاضطراب الجلدي هو أصلاً بحد ذاته استجابةٌ للمفسر.

إن القول بأن الإشارة هي في البداية مفسرٌ تعني أن الإشارة هي أيضاً في البداية استجابة. يمكننا القول أيضاً أن الإشارة هي استجابة: ولكن فقط بشرط أن نقصد «الشرح» بكلمة «استجابة» (وهذا يشبه السلوكية عند تشارلز موريس (Charles Morris)، ويختلف عن المقاربة الديناميكية).

يُفَضَّل التعبير «الحثّ–الاستجابة» على التعبير «المُحَفِّز–الاستجابة» بهدف تجنب الترابطات السطحية بين المقاربات التي يتذكرونها على التوالي. حتى الاستجابة «المباشرة» للمحفز، أو الحث الأفضل، ليست مباشرةً أبداً ولكن «أداتها» هي التفسير: فقط في حال لم يكن تشكيل الاستجابة «فعلَ انعكاس»، هو يتضمن تحديد الحث، واضعاً إياه في سياق، ورابطاً إياه بالعوامل المتغيرة السلوكية المُعطاة (سواءً أكان ذلك في مسألة الأنواع البسيطة من السلوك، مثل نموذج الفريسة–المُفْتَرِس، أو في مسألة السلوكيات الأكثر تعقيداً والمرتبطة بالقيم الاجتماعية، كما في العالم الإنساني). وبالتالي فإن الإشارة هي أولاً مُفَسِّر، بداية استجابة يُعْتَبَر شيءٌ منها إشارةً ويصبح مُفَسِّرَها قادراً أكثر على توليد سلسلةٍ غير متناهية من الإشارات الأخرى.

تمثل الإشارة درجات متعددة من التعددية الصوتية والوحدة الصوتية. ويمكن تعريف المؤشر كإشارة وحيدة الصوت، أو بشكلٍ أفضل كإشارةٍ ذات الدرجات الأقل للتعددية الصوتية.

(لاحظ أيضاً أن الإشارة (Sign) هي المصطلح المُخْتَزَل الاعتيادي الذي يُطْلَق على لغة الإشارة (Sign Language) الرسمية التي يستخدمها الصم) (SP).

انظر أيضاً ميريل (Merrell)

وسيبيوك (Sebeok) (هذا الكتاب)، النشاط الإشاري (Semiosis)، علم السيمياء (Semiotics)، علم الرمزية (Semiology)، والدلالة (Signification).

قراءات إضافية:

Morris, C.(1983) *Foundations of the Theory of Signs*, Chicago: University of Chicago Press.

Peirce, C. S. (1955) «Logic as Semiotic: The Theory of Signs; in *Philosophical Writings of Peirce* ed. J. Buchler, New York: Dover.

Sebeok, T. A. (1994) *Signs: An Introduction to Semiotics*, Toronto: University of Toronto Press.

الدّالّ (Signans): يشكل الدّالّ، مع المدلول، مكوناً إشارياً. تُفَضَّل هذه التعابير الأوغسطية التي أعيد إحياؤها على تعابير سوسور عن الدّالّ (Signifiant) والمدلول (Signifie)، أي «الصورة الصوتية» و«المفهوم»، بما أنهما لا تعنيان ضمنياً صيغةً سيكولوجية فلسفية وذات مركزية صوتية (انظر الصوت (Phone)) للإشارة (Sign).

الدّالّ هو شيءٌ يصبح، بمجرد تفسيره، مادةً للمدلول. والإشارة هي الكلّ ويجب عدم الخلط بينها وبين الدّالّ كما في العبارة الحالية «أن تكون إشارةً لـ» التي يُفَضَّل التعبير عنها كالآتي: «أن تكون دالاً على»: يتم تفسير شيءٍ ما على أنه ذلك الذي يمثل، أو يشير إلى، أو ذلك الذي هو وسيلة نقل للمدلول عليه (signatum) أو المشار إليه (designatum) (Morris 1938a)، أو المدلول عليه أيضاً (Significatum) (Morris 1964)، أو الدلالة (Signification) (Morris 1964) لتمييزه عن المدلول (Denotatum). بدلاً من ذلك، عندما تعمل الإشارة الكلية كدالٍّ جديد على المدلول عليه على مستوىً ثانوي، يكون لدينا حالة التضمين (المعنى الضمني) (Connotation) (Hjelmslev 1961).

إن مادية الدّالّ (Rossi Landi 1992b, pp. 271-299; Petrilli 1990b, pp. 365-401) ليست فقط مادية الإشارة الخارجية، والمادية الفيزيائية (جسم الدّالّ)، والمادية

الوسائطية (الإشارات غير الشفوية، واستخداماتها اللاإشارية ووظائفها)، وإنما أيضاً المادية السيميائية: أي المادية التاريخية – الاجتماعية على مستويات أعلى أو أدنى من التعقيد، التفسير و/ أو النطق (المادية التفسيرية)، والمادية الأيديولوجية؛ المادية القصدية– الإضافية، أي الموضوعية المستقلة عن الوعي والإرادة؛ وأيضاً المادية الغيرية الدّالّة، أي احتمالية المدلولات الأخرى بالنسبة إلى مدلول أي مسارٍ تفسيريٍّ محدد (SP).

قراءات إضافية:

Rossi-Landi, F. (1992) «Signs and Material Reality», in *Between Signs and Non-signs*, ed. and Introduced by S. Petrilli, Amsterdam: John Benjamins.

الدلالة أو المعنى (Signification) / المغزى أو القيمة (Significance): يميز تشارلز موريس (Charles Morris) بين الدلالة والمغزى، محدداً بالتالي جانبين مختلفين «للمعنى» (Meaning): المعنى الدلالي (Semantic) والمعنى الأكسيولوجي القيمي. بدلاً من ذلك، تستخدم فيكتوريا ويلبي (Victoria Welby، المغزى أو القيمة (انظر الدلالة القيمية (Significs)) للتعبير عن المصطلح الثالث لثلاثية المعنى لديها، حيث المصطلحان الآخران هما «الفهم» و«المعنى». كلا المُؤَلِّفَين (بنفس الطريقة التي عمل فيها الآخرون على نفس المفاهيم، مثل بارت (Barthes 1975)) يربطان المعنى بالقيمة و بالتالي، يربطان السيمياء بالأكسيولوجيا أو القِيَمِيَّة. بكلمات موريس (Morris) (1964, p. VII): «إذا سألنا عن معنى الحياة، قد يكون سؤالنا عن دلالة كلمة «الحياة»، وقد يكون عن قيمة أو مغزى العيش– أو قد يكون عن كليهما». ويتابع موريس بأن حقيقة استعمال هكذا عبارات «كالمعنى» (مع اقتراح الاستقطابية) هي منتشرة بشكل واسع جداً، توحي أن هناك علاقة أساسية بين الدلالة والمعنى الذين يقوم بالتمييز بينهما (SP).

المدلول عليه (Significatum): فسَّر تشارلز موريس (Charles Morris) استخدام عبارة المدلول عليه في السيمياء (Semiotics) في كتابه: **الإشارة، اللغة، والسلوك** (*Signs, Language, and Behavior*) (1949). الإشارة (Sign)، أو بتعبيرٍ أفضل، الدّالَ (Signans)، تدل على مدلولها. أن تدلَّ

على، أن يكون لديك دلالة (Signi- fication) وأن يكون لديك مدلولاً عليه هما عبارتان مرادفتان. وبكلمات موريس: «تلك الشروط التي يكون أي شيءٍ يحققها مدلولاً سيُطْلَقُ عليها اسم المدلول عليه للإشارة» (1971, p. 94). في وصفه للشروط التي تسمح لشيءٍ ما بأن يكون إشارة، يجري التمييز بين المدلول عليه (Significa- tum) والمدلول (Denotatum). إذا وافق شيءٌ ما الشروط بشكلٍ يعمل فيه شيءٌ ما آخر كإشارة، فإنه في حال كان الشيء الثاني مدلولاً، فإن الشيء الأول هو مدلولٌ عليه.

كل الإشارات تدل على شيءٍ ما، أي لديها مدلول عليه، ولكن ليست كل الإشارات دالة على شيء. فالمدلول عليه للجرس (إشارة) الذي يجذب اهتمام كلب بافلوف (Pavlov) الشهير (المفسر) هو أنّ هناك وجودٌ لشيءٍ ما قابل للأكل؛ فالأكل الذي وجده الكلب والذي يُمَكِّنُه من الاستجابة بطريقة معينة (المُفَسِّر (Interpretant)) كما تثيرها الإشارة، هو الدلالة. ولكن هذه الأخيرة قد لا تكون موجودة بشكل فعلي، مُسَبِّبَةً الإحباط الكبير للكلب. في كتابه: **أسس نظرية الإشارات** (*Foundations of the Theory of Signs*) (1938, Ch. 2) يستخدم موريس عبارة المشار إليه (Desig- natum) بدلاً من عبارة المدلول عليه (Significatum). لدى كل إشارة مشار إليه طالما أنها إشارة، لأنه ليست كل إشارة تدل شيءٍ ما موجود فعلياً: حيث أن ما يُشار إليه (المدلول عليه أو المُشار إليه) موجود فعلياً كما هو مشار إليه، فإن موضوع الإشارة هو مدلول. بعبارةٍ أخرى، المدلول عليه هو ما تدل عليه الإشارة أو الدّالّ، وهو مجموعة من الصفات المكوِّنة لطبقة أو لنوع الأشياء أو الأحداث التي يستجيب لها المُفَسِّر بشكلٍ مستقلّ عن حقيقة الوجود الفعلي لما يُشار إليه (المدلول) بالنسبة لقيمة الوجود التي تُنْسَب إليه عبر الإشارة انظر (Ponzio 1981a). في كتابه: **الدلالة والمغزى** (*Signification and Significance*) (1964)، هو يُبَدِّل مصطلح «المدلول عليه» بمصطلح «الدلالة» في الوقت الذي يُلْغى فيه مصطلح «المدلول» كلياً (SP).

قراءات إضافية:

Morris, C.(1971) *Writings on the General Theory of Signs*, ed.T.A.Sebeok, The Hague and Paris: Mouton.

الدلالة القِيَمِيَّة (Significs):

الدلالة القِيَمِيَّة كانت تعبيراً جديداً أدخلته فيكتوريا ويلبي (Welby)، بعد أن حاولت أولاً إدخال تعبير المعنى القِيَمي (Sensifics)، لمقاربتها لدراسة الإشارات (Signs)، المعنى (Meaning) والتفسير. ولقد صاغت ويلبي تعريفاً مُؤَقَّتاً للدلالة القِيَمِيَّة في (كتابها): **الدلالة القِيَمِيَّة واللغة** (*Sig-nifics and Language*) (1911): «هي دراسة طبيعية الدلالة بكل أشكالها وعلاقاتها» (Welby [1911] 1985a, p. vii)، مع تأثيرٍ تطبيقي «ليس فقط على اللغة وإنما على كل صيغةٍ ممكنة للتعبير الإنساني في الفعل، الاختراع، والخلق» (المصدر نفسه، ص ix). لكن انظر إلى تعريفها المعجمي الخاص للعام 1902 ومدخلها الموسوعي للعام 1911 (الآن Welby 1977). على عكس **علم الدلالة** (Seman-tics)، «علم الرموز» و»علم السيمياء» (Semiotics)، فإن الدلالة القيمية لم تكن تحمل أية ارتباطات تقنية، وهي بذلك تجعل من الملائم الإشارة إلى الرابط بين المعنى والقيمة بكل جوانبها (البراغماتية، والاجتماعية، والأخلاقية، والجمالية... إلخ) (انظر Welby 1983, 1985a; Schmitz 1985). هي تفسر العبارة اليومية «على ماذا يدل هذا؟»، وتركز على القيمة المطلقة للإشارة وعلى الدلالة (انظر الدلالة (Signification)/ المغزى (Significance)) بشكلٍ يتجاوز المعنى الدلالي. بالإضافة إلى نظرية المعنى، تقترح الدلالة القِيَمِيَّة «طريقةً دلالية» تتجاوز الوصفية البحتة والحدود الدقيقة والمنطقية – المتعلقة بنظرية المعرفة باتجاه علم مفهوم القيم والسلوك المُحْتَمَل ذو المعنى (انظر Petrilli 1988, 1998a).

إن تحليل ويلبي للمعنى إلى ثلاثة مستويات أساسية هو ذو أهمية مركزية للدلالة القِيَمِية: «الإحساس»– «وهو الاستجابة العضوية للبيئة»؛ «المعنى» – «وهو الإحساس المحدد الذي «يَقْصَدُ» نقلُه من خلال الكلمة»؛ و«المغزى»– وهو «النتيجة البعيدة المدى، التضمين، أي النتيجة النهائية أو حصيلة حدثٍ أو تجربةٍ ما» انظر (Hardwick 1977, p. 169). بالنسبة لتشارلز بيرس، إن ثلاثية الحس، المعنى والمغزى مرتبطة بشكلٍ وثيق بثلاثيتها الخاصة للمفسر المباشر، للمفسر الديناميكي وللمفسر النهائي، على التوالي (Hardwick 1997, pp. 109-11 (SP)).

قراءات إضافية:

Welby, V. (1985) *Significs and Language: (The Articulate Form of Our Expressive and Interpretative Resources)* (1911) with Additional Essays, ed. and Introduced H. W. Schmtiz, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

المدلول (Signified): هذا المصطلح هو ترجمةٌ شائعة ولكن سيئة للمصطلح التقني لسوسور (Saussure signifié (= المُكَوِّن المفهومي للإشارة اللغوية). وكما توحي الترجمة الإنجليزية الخاطئة، هو ليس «الشيء المدلول عليه» (أي المرجع (Referent) (RH).

الدّالّ (Signifier): هذا المصلح هو ترجمةٌ شائعة ولكن سيئة للمصطلح التقني لسوسور: *signifiant* (= النموذج الصوتي العقلي المرتبط بالمدلول من أجل صياغة الإشارة اللغوية). وهو ليس مستخدم– الإشارة ولا التعبير المادي للإشارة (أي الأصوات المنطوقة) (RH).

انظر الدّالّ (Signans).

لغة الإشارة (Sign Language): إن الظواهر التي طُبِّقَ عليها أو يمكن أن يُطَبَّقَ عليها مصطلح لغة الإشارة هي كثيرةٌ بالفعل. إذ ينجو عدد كبير من الأنواع في عالم الحيوان من خلال تفسير واستخدام ما تراه هذه الأنواع. للعديد منها، تأتي المعلومات الأكثر أهمية من تفسير الأفعال المرئية للأنواع (مثال على ذلك: فون فريش (von Frisch) حول لغة نحل العسل). تُؤْخَذ وجهات النظر الأوسع للظواهر من السيمياء (Semiotics) (انظر سيبيوك (Sebeok)، هذا الكتاب) وعلم الأحياء. ولكن عندما يكون السلوك بشرياً، فإن الباحثين في الأنثروبولوجيا، واللغويات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع يأخذون أيضاً بعين الاعتبار جوانب من هذا السلوك. وقد يُسَمّون مجموعتهم المختارة الإيماءة (Gesture)، وحركة اليد المعبرة عن النية، ودراسة الحركات الجسدية كشكلٍ للاتصال (Kinesics)، والكلام البديل، والسلوك غير الشفوي، أو تسميةً ما أخرى؛ ولكن لغة الإشارة هي التسمية التي يبدو أنه كثيراً ما يَحْتَكِمُ إليها العامةُ والدائرةُ الأوسع من المستخدمين.

وإن كمية وتنوع هذه الظواهر تؤدي إلى اختلاف كبير فيما تتضمنه المصطلحات المستخدمة للتعبير عن

هذه الظواهر. وكان فلاسفة الأزمان القديمة إما يعتبرون الإشارة نذيراً على الكلام وإما ينبذون هذه الفكرة ويرون اللغة كلغة محكية فقط. فقط في منتصف القرن العشرين، لاحظ علماء الاجتماع أنّ إشارات الصم تساعد، في كل الاعتبارات وتماماً كما في حالة الأشخاص الذين يسمعون أو يتكلمون، على إنتاج الآثار الأولية للغة، ولاحظوا باختصار، أن لغة الإشارة هي لغة. عندما يستخدم أعضاء مجموعةٍ اجتماعيةٍ ما لغة الإشارة بدلاً من استخدام لغتهم الأولى أو الوحيدة، فإن لغة الإشارة عندهم تعبر عن اللغة. وإن حركات أيديهم، ووجوههم وأجسادهم تكوِّن إشاراتٍ لغوية تماماً كما تفعل الحركات الصوتية. وهذا ينطبق أيضاً على لغة الإشارة التي يستخدمها الناس كبدائل للغة التي يتكلمونها عادةً. (Kendon 1988; Farnell 1995). ولكن الظروف تُبْقي على مسافة المجموعات التي تستخدم لغات الإشارة «الأساسية» و«البديلة» أكثر مما تفعل ذلك مع مجموعات الأشخاص الذين يستخدمون اللغات المحكية (انظر لغات الإشارة (Sign Languages [البديلة] (Alternate)). المجموعات المختلفة من الناس تستخدم اللغات المختلفة، سواءً كانوا يتكلمونها أو يستخدمونها للإشارة.

بالرغم من أن الناس الذين لا يملكون لغة مشتركة يستطيعون التواصل من خلال الإيماءات، فإنه لا وجود لأي لغة إشارة مشتركة أو عالمية (WCS).

انظر أيضاً سيبيوك (Se-beok)(هذا الكتاب)، علم السيمياء البيولوجي (Biosemiotics)، ولغات الإشارة (Sign Languages) (الأولية).

قراءات إضافية:

Wilson, F. R. (1998) *The Hand: How its Use Shapes the Brain, Language, and Human Culture*, New York: Pantheon.

لغات الإشارة (Sign Lan-guages) (البديلة) (Alternate): منذ قرنٍ من الزمن، كانت الدراسات حول لغات الإشارة (Sign Languages) البديلة تميل إلى التركيز على ما أصبح معروفاً في ذلك الوقت بلغة الإشارة في سهول الهنود (Plains Indian Sign Language). وتقدم أعمال ماليري (Mallery) (1881) العديد من البيانات التي لم تكن لتتوفر لولاه والتي تصف

الإشارات المُسْتَخْدَمَة في العديد من القبائل الأميركية المحليَّة. ومع ذلك، تركزت كل الدراسات الألسنية للغات الأميركية المحلية على لغاتهم المحكية، وعلى علاقتهم المحتملة، وعلى دراسة رموزهم اللغوية. هذه القبائل قد تكون استخدمت (وما زالت تستخدم: انظر Farnell 1995) لغات الإشارة لديها كبدائل عن اللغات التي يتكلمونها عادةً للتعاطي مع لغات الإشارة عندهم كلغاتٍ أيضاً.

فضلاً عن أعمال كيندون (ken-don) (1988) وفارنيل (Farnell) (1995)، هناك ندرة في الأبحاث حول لغات الإشارة البديلة. وقد ينتج هذا عن ميلٍ في علم الاجتماع إلى الاعتماد على منطق أرسطو أو المنطق الدقيق – إن شيئاً ما إمّا أن يكون لغة أو لا. مع عقليةٍ كهذه، يصبح من المستحيل تحديد ما إذا كان ما ينظر إليه أحدٌ ما عند سكانٍ غرباء هو الإيماءة أو حركات اليد التي يُحْتَمَل أن يقوم بها الجميع أثناء الحديث، أو هو التعبير الإشاري الذي يعبر عن لغة الإشارة. إن التصنيف المنطقي يستبعد احتمالية أن تكون الإيماءة واستخدام لغة الإشارة متعلقين ببعضها البعض عبر التحول التطوري (انظر ستوكو (Stokoe)، في هذا الكتاب) (WCS).

انظر أيضاً لغات الإشارة (Sign Languages) (الأولية أو الأساسية (Primary)).

قراءات إضافية:

Farnell, B. (1995) *Do You See What I Mean? Plains Indian Sign Talk and the Embodiment of Action*, Austin, TX: Texas University Press.

لغات الإشارة (Sign Languages) (الأولية أو الأساسية) (Primary): هي اللغات التي تكون فيها الإشارة النمط الأساسي للتواصل. هناك الكثير من لغات الإشارة (Sign Languages) الأساسية، وعندما يستخدم أحدَ هذه اللغات سكانٌ موزعون على نطاق واسع، يمكن أن يُصار إليها بمصطلح اللهجات (Dia-lects). وهذا يعني أن مستخدمي إشارة الصم قد يكون لديهم إشارات (Signs) تختلف عن تلك المستخدمة في أنحاء أخرى من البلد، ولكنهم يتشاركون مع بعضهم بقواعد (Grammar) هذه اللغة.

ولايزال مستخدمو لغة الإشارة للَّهجات يستخدمون نفس العلامات أو الدلالات النحوية: مثل الإشارات

المستخدمة للتعبير عن: «و»، «لكن»، «إلى»، «من أجل»، «لا»، «لأن»... إلخ. ولكنهم عادةً ما يفعلون ذلك بشكل مختلف. يأتي هذا التنوع في لغات الإشارة الوطنية من نفس الأسباب التي تجعل اللغة المحكية مختلفة – أي الانفصال وتواصل السكان. ولكن هناك عامل آخر يعمل في حالة لغات الإشارة عند الصم. ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أدّت التغيرات في المواقف نحو الصم بالمبتكرين العظماء إلى تأمين تعليم رسمي فعّال لأولئك الذين لا يستطيعون أن يسمعوا. ومن أكثر المؤسسات بروزاً كان المعهد الذي أسسه أبّي تشارلز ميشال دو ليبي (Abbe Charles Michel de l'Epee) (1712–1789) في باريس (1755).

وإن نجاحه، الذي يستند إلى استخدام الطالب لإشارته الخاصة، أدّى بشكلٍ سريع إلى تأسيس مدارس للصم في معظم العواصم الأوروبية في وقتٍ مبكر في العام 1817 في هارتفورد، كونكتيكت، في الولايات المتحدة الأميركية. وبالتالي، أصبح الأشخاص الصم الذين تعلموا في باريس قادةً في الفنون، والطباعة والنّشر، وفي المجالات الأخرى.

ولقد حملوا نجاحاتهم – ولغة الإشارة عندهم – إلى أماكن أخرى، حيث حملت لغتهم واللغة المستخدمة في المدارس الوطنية مستخدمي الإشارة إلى تبني إشاراتٍ جديدة. تستمر هذه العملية اليوم: حيث إن مستخدمي لغة الإشارات الصم في بلدان آسيا يتبنون بشكل سريع إشاراتٍ من لغة الإشارة الأميركية (American Sign Language). وإن لغة الإشارة التايلاندية الحديثة تختلف بشكلٍ كبير عن تلك المُسْتَخْدَمَة من قبل مستخدمي الإشارة الصم من الجيل الأقدم، وإن الفرق هو استخدام إشاراتٍ من لغة الإشارة الأميركية(ASL).

فضلاً عن الدراسات الإحصائية المعجمية لوودوورد (Woodward) حول علاقة لغات الإشارة الأساسية، أُجْرِيَت القليل من الدراسات لمقارنة لغات الإشارة الأساسية. بدلاً من ذلك، فإن المحاولات التي قام بها اللغويون مؤخراً من أجل إيجاد قواعد نحو عالمية (Universal Grammar) للغة أَدَّت ببعض الباحثين في لغة الإشارة إلى تجاهل الفروقات والبحث عن نقاط التشابه بين لغات الإشارة وبين اللغات المحكية. الكثير من نقاط نظرية ما بعد تشومسكي

الحديثة تنطوي على فكرة أنّ اللغة تأتي من عضو في الدماغ البشري وليس من التفاعل (الاجتماعي). هذا حوّل أبحاث لغة الإشارة باتجاه التعاطي مع إشارات الصم وإيماءات الأطفال كنتائج حتمية للآليات الفطرية. من وجهة النظر هذه، إن الاختلافات في لغات الإشارة والدراسات المقارنة ليس لديها سوى القليل لتقدمه، إذ إنّ الهدف لا يتم البحث عنه في أجهزة البيانات المرئية وإنما في تعقيدات الدماغ (WCS).

قراءات إضافية:

Journal of Deaf Studies and Deaf Education. *Sign Language Studies* (1972-1996).

Stokoe, W. C. (1972) *Semiotics and Human Sign Languages*, The Hague: Mouton.

الإشارة المفردة (Sinsign): هي مصطلح تشارلز بيرس للفئة الثانية من ثلاثيته عن أساسيات (Grounds) الإشارات. الإشارة المُفْرَدَة هي الإشارة التي هي بنفسها، شيءٌ أو حدثٌ له وجود. هناك أنواع مختلفة من الإشارات المفردة التي تتميز أساساً فيما إذا كانت تمثل مراجعها (Referents) بشكل تمثيلي صُوَري (Iconically)، مثل الرسم البياني الفردي (وهو إشارة مفردة تمثيلية صورية)، أو بشكل مؤشر (Indexically) مثل صرخة الألم أو الجهاز المزود بمؤشر دوار يدور حتى يستقر ويشير لنقطة تدل على إتجاه الرياح (الإشارة الوجودية (Dicent) المفردة). إن الإشارات المفردة التمثيلية الصورية تُنْبِئ فقط عن جواهر الأشياء بينما الإشارات المفردة للمؤشر تُنْبِئ فقط عن الأسباب أو الحقائق الفعلية. ويمكن أن تكون الإشارة المفردة رمزاً لنموذج معين (NH).

انظر أيضاً (نوع أو صفة الإشارة) (Qualisign) والإشارة (التشريعية أو القانونية) (Legisign).

(السياق أو) الحالة (Situation): إن الجمل المحكية أو المكتوبة، تصدر دائماً في حالات (اجتماعية). في النظريات ذات التوجه الاجتماعي للغة، يُفْتَرَض أن ميزات (السياق) (الشخص المَعني، العلاقات الاجتماعية، الغايات، الإطار المؤسساتي) سيكون لها انعكاسات على جوانب الكلام (GRK).

انظر أيضاً حقل النص (Field)،

فحوى أو مغزى النص (Tenor)، ونمط النص (Mode).

البنية الاجتماعية (Social Structure): إن النظريات الاجتماعية للغة (أو للتمثيل بشكل أكثر عمومية) تدل بشكلٍ مباشر أو ضمني على تركيبات البيئة الاجتماعية أو المحيط الاجتماعي. قد تكون هذه التركيبات هي بنيات الفئة الاجتماعية؛ و«الطبقات الاجتماعية»؛ أو التصنيفات المشتقة أو التابعة لها، كالسلطة، والجنس أو العائلة. وإن نوع البنية المفترض سوف يؤثر على الافتراضات حول اللغة (استخداماتها) (GRK). انظر أيضاً الحالة (Situation).

علم اللغويات الاجتماعية (Soci-olinguistics) : يبحث علم اللغويات الاجتماعية في تنوع اللغة بالنظر إلى التغيرات في الظروف الاجتماعية. ويمكن تمييز ثلاث مقاربات: الأولى ترى أن اللغة واستخداماتها هي انعكاس للعوامل الاجتماعية؛والثانية تبحث في العوامل الاجتماعية على أنها ناتجة عن تأثير العوامل اللغوية؛ والثالثة تفسر العلاقات بين البنيات الاجتماعية واللغوية، حيث تعتبر أن هاتين البنيتين مستقلتان عن بعضهما البعض. هناك أمثلة من المقاربة الأولى تصف لغة (استخدام) المهن؛ اللهجات الاجتماعية (Dialects) أو «الشيفرات» (Codes)، أو الأنواع (Genres) وأساليب الكلام (Registers) من كل الأنواع؛ أو استعمالات اللغة المتعلقة بالجنس، والعمر، والطبقة الاجتماعية. الأمثلة على المقاربة الثانية هي أشكال تحليل الخطاب (Discourse Analy-sis) التي ترى التنظيمات الاجتماعية – القانون، الطب، العلوم – كنتيجة للفعل اللغوي. تنتمي إلى هذه المقاربة أيضاً الدراسات التي تبحث في «اللغة حول» الأجناس، والأعراق، والطبقات، والانتماءات العرقية، منتجةً بذلك حقائق اجتماعية حول الجنس كالتمييز على أساس الجنس، أو العرق كالتمييز العنصري. فمثلاً، إن محاولات التغيير المجتمعي من خلال تغيير السلوكيات اللغوية، وصراعات المساواة بين الجنسين لتغيير ممارسات التسمية، تستند على هذه المقاربة. تبحث المقاربة الثالثة في اللغة والمجتمع كمكونين مستقلين ولكنها تنظر في الانتظام في العلاقات المتبادلة بينهما: فتغيير الشيفرة (الانتقال من لغة إلى أخرى) يُظْهِر كيف أنّ التغييرات في الظروف الاجتماعية تؤدي إلى

التبديل أو الانتقال من لغة (أو لهجة) إلى أخرى؛ وكذلك تُظْهِر الدراسات في التغيرات الفونولوجية كيف أن المتكلمين يلفظون نفس الكلمة بشكلٍ مختلف في وسطٍ غير رسمي وفي وسطٍ رسمي (GRK).

انظر أيضاً آيتشيزون (Aitchi-son)، كريس (Kress)، كوبلاند (Coupland) وجاوورسكي (Jawor-ski) (هذا الكتاب)، الخطاب (Dis-course)، لابوف (Labov) وبرنشتاين (Bernstein).

قراءات إضافية:

Hudson, R. A. (1996) *Socio-linguistics*, 2nd edn, Cambridge: Cambridge University Press.

فعل الكلام (Speech Act):
كان أوستن (Austin) (1962) أول من أدخل مصطلح «فعل الكلام» ليلفت الانتباه إلى حقيقة أنّ الناس يقومون بالأفعال عندما يقولون شيئاً ما. وكان شرح سيرل (Searle) (1969) المفصل لهذه الفكرة هو الذي حول «نظرية فعل الكلام» إلى مجال رائج للبحث ليس فقط في فلسفة اللغة وإنما أيضاً في اللغويات. إن الشكل العام لفعل الكلام هو F(p)، حيث يرمز الحرف «p» إلى الافتراض أو المسألة (Proposition) (وهو مرجع وإسناد أو توكيد) ويرمز الحرف «F» إلى القوة التعبيرية التمثيلية المُحَقَّقَة (Illocu-tionary) للكلام أو القول. ويمكن وصف أفعال الكلام من حيث القواعد (Rules) المُكَوِّنَة التي تتعلق بالشروط الضرورية والكافية للأداء المناسب لفعلٍ من نوعٍ محدد. وبالتالي فإن «شرط المضمون الافتراضي» لوعدٍ ما هو أنّ المتكلم/ المتكلمة يُسْنِدُ/ تُسْنِدُ عملاً مستقبلياً من ناحيته/ ناحيتها، وتتضمن «الشروط المُمَهِّدة» للوعد فكرة أنّ المستمع سوف يفضل تأدية المتكلم لهذا الفعل على عدم تأديته، وفكرة أنه ليس من الواضح لكلا المتكلم والمستمع أنّ المتكلم سيؤدي هذا الفعل في المجرى الطبيعي للأحداث؛ وإن «شرط الصدقية» في الوعد بذلك هو أنّ المتكلم/ المتكلمة ينوي/ تنوي القيام بما يعد/ تعد به؛ وإن «الشرط الأساسي» هو أن المتكلم/ المتكلمة يقصد/ تقصد من كلامه/ كلامها أن يُخْضِعَه/ يُخْضِعَها للالتزام بفعل ما وعد/ وعدت به.

هناك تمييز مهم بين أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة (Searle 1975). فأفعال الكلام غير المباشرة

مثل «هل تستطيع أن تصل إلى الملح؟» لديها قوة تعبيرية مضاعفة: هناك فعل تعبيري أساسي (طلبٌ لتمرير الملح في هذه الحالة) وفعل ثانوي (أي الذي من خلاله يمكن الحصول على القوة الأساسي بشكلٍ غير مباشر، وهو في هذه الحالة سؤالٌ يخص أحد الشروط المُمهَدِّة للمتكلمين الذين يستطيعون القيام بهذا الطلب) (JV).

قراءات إضافية:

Searle, J. R. (1969) *Speech Acts: An Essay in the Philosophy ofLanguage*, Cambridge: Cambridge University Press.

مجتمع الكلام (Speech Community): اللغة ليست مُسْتَخْدَمَة بطريقةٍ مُوَحَّدَة في كل مكان: هناك اختلافات في اللهجة (Dialect) الجغرافية والاجتماعية؛ للغات المتخصِّصَة، مثل لغة القانون، ولغة الطب، ولغة ميكانيكا المحرك؛ وهناك أيضاً اختلافات في المستويات الرسمية وغيرها. يمكن للشخص إما أن يفترض أنّ هذه الاختلافات لها وجودٌ فقط: «في هذا الجزء من البلد هذه اللهجة هي المحكية، وفي هذا الجزء تلك اللهجة هي المحكية»،وإما أن يحاول أن يفهم أسباب ذلك الاختلاف.

إن عبارة «مجتمع الكلام» تحدد أصول الاختلاف في حقيقة أن عناصر المجموعات تتميز، من بين الخصائص الأخرى، بدرجة/ كثافة من التفاعل أكثر من غيرها؛ وأنّ فُرَص تفاعلها ضمن المجتمع، أي «أحداث الكلام»، تتميز بتشابهٍ أكبر من فرص التفاعل «خارج» المجموعة أو عبر المجتمعات؛ وأنَّ بعض «أحداث الكلام» في المجموعة تحدث بشكل متكرر، وأنّ لمادة/ محتوى التفاعل ثبات واستقرار نسبيّان. وإن عدداً من العوامل من هذا النوع سيؤدي إلى ظهور تشابهات شديدة جداً في طرق اللفظ، والكلمات المستخدمة، والقواعد (Grammar)، وبناء الجمل (Syntax)، والأنواع (Genres). كل هذه التقاربات تميز المجموعة «كمجتمع»، ويتم تدعيمها من قبل المجتمع، وتجعل استخدامات اللغة مميزة بشكل واضح (GRK).

انظر أيضاً آيتشيزون (Aitchison) (في هذا الكتاب).

قراءات إضافية:

Gumperz, J. J. (ed.) (1982) *Language and Social Identity*,

Cambridge: Cambridge University Press.

الرواقيون والإبيقوريون (Stoics And Epicureans): أسس زينو أوف سيتيوم (Zeno of Citium) (c.336-260 BCE) حركةً فكريةً عرفت بالرواقية، نِسْبَةَ إلى المكان الذي دَرَّسَ فيه بالأصل، الستويبيسيل (Stoapoecille) الشهيرة أو «الرواق المطلي». شجعت الفلسفة الرواقية على المشاركة في الشؤون العامة وأداء الأعمال العظيمة كإنجازِ مهمةِ الوجود الإنساني. وتم اقتراح وجهة نظر تقريباً معاكسة في الفلسفة الإبيقورية، وهي الحركة الفكرية التي أسسها إبيقورس أوف ساموس (Epicurus of Samos) (341-270 BCE) وذلك تقريباً في نفس المرحلة الزمنية التاريخية.

دَرَّسَ إبيقورس الانسحاب من الانتباه العام و«زراعة الشخص لحديقته بنفسه»، حيث مع أصدقاءَ ورفاق بنفس العقلية، يمكن للشخص أن يستكشف عالم المنطق (إلى الحد الذي أُعْطِيَ فيه البشر الحكمة) في سلام لا يمكن أن يؤمّنه سوى تجنب تياراتٍ الحياة العامة. كان الرواقيون والإبيقوريون يميلون إلى التوافق على الطبيعة ذات الأساس المادي للعالم.

لكن في حين رأى الرواقيون الكون مليئاً بالمنطق الإلهي الذي أسموه، بعد الاستخدام المنسوب لشعر هيراكليتيس (c.540/535-c.480/475 BCE)، الـ: λογος، أي «حكمة الرب الخصبة»، والتي رأوها كغاية المنطق البشري الذي يريدون فهمه، رأى الإبيقوريون الكون بالأحرى، بعد تعاليم ديموقريطس (Democritus) (c.460-370/362 BCE) على أنه يشبه رقصاً للذرات في الفراغ.

تشكل إعادة بناء وجهات نظر الرواقيين على وجه الخصوص مشكلةً لأن تقارير آرائهم النظرية تبقى قائمةً عندنا فقط في تقارير أعدائهم، وبشكل خاص عند الشكوكيّ سيكتوس إيمبيريكوس (Sextus Empiricus) (c.150-c.225) وعند تابعه إبيقورس فيلوديموس أوف غادارا (Epicurus Philodemus of Gadara) (c. 110-40 BCE). في كل الحالات التي يتعلق فيها الأمر بالسيمياء (Semiotics)، إن الشهادة الأهم على الإطلاق في ما يتعلق بالرواقيين والإبيقوريين هي تلك التي تظهر التقاء طرقهم النظرية في فهم الإشارات (Signs) الطبيعية. المصدر الأساسي لهذه الشهادة هو كراسة منتصف القرن الأول قبل

الميلاد حول الإشارة والاستدلالات من ذلك (*On the Sign and Infer- ences Therefrom*) Περί σημείων καίσηειώσεων، التي كتبها فيلوديموس. كان فيلوديموس يقصد أنَّ هذه الكراسة تُثْبِت صحة موقف الإبيقوريين في المسائل التي هي من صلب الموضوع. مع ذلك، في الإدراك المتأخر الحالي، ما هو مثير للاهتمام بشكل أساسي في الكراسة (التي يُشار إليها بعنوانٍ لاتيني في الجمع *De Signis*، أو بالعنوان الانجليزي التي نُشِرَت تحته في الحقيقة حول طرق الاستدلال (*On Methods of Inference*)، الذي يحذف ονσημεί حتى في المفرد) هو الدليل الذي تقدمه حول خلافٍ متجذر في مفهوم الإشارة (Sign)، ονσημεί، بُعَيْدَ فجر العصر المسيحي، وهو خلاف تُظْهِر مصطلحاته أنّه في هذه المرحلة المتأخرة لم تكن توجد في الفلسفة اليونانية فكرة عامة عن الإشارة يَتَّحِدُ فيها نظاما الطبيعة والثقافة (ولا سيما التواصل اللغوي). وما زالت الإشارة تنتمي إلى نظام الطبيعة، واللغة تنتمي إلى نظام العُرْف.

كما قد نتوقع في خلافٍ بين الرواقيين والإبيقوريون حول موضوع الاستدلال المنطقي، يرى الإبيقوريون كل شيء بالاستقراء **أي من** النتيجة إلى السبب، في مصطلحاتٍ تجريبية، أما الرواقيون فيرون كل شيء قبلياً في مصطلحات استنتاجية للرغبة العقلانية المُلِحَّة. في التحليلين الرواقي والإبيقوري على حدٍّ سواء، الـ: ονσημεί هو موضوع مادي أو حدث طبيعي قابل يمكن وصول الإحساس إليه، ويسمونه Tyn- chanon (في الترجمة الصوتية لمانيتي، لمرجعٍ (Referent) حسيٍ فعلي رواقي). لموضوعٍ (Object) كهذا، إن التعبير اللغوي، semai- non في المنطق الرواقي، onoma في المنطق الإبيقوري، متعلقٌ عن طريق وسيط؛ في الحالة الأولى، بما يسميه الرواقيون semainomenon أو lekton، وفي الحالة الثانية بتوقع الأحداث المستقبلية (ολήψσιςπρ، «الفكرة المبلورة مسبقاً»، «التوقع أو الحدس»).

وهكذا، ضمن الاتفاق «حول صلاحية الإشارات المحددة»، يظهر هذا الفرق النظري الكبير: «في حين اعتبر الرواقيون الموضوع إشارةً تبدأ من الناتج (أو بالأحرى مما كان يشار إليه)، نظر إليه الإبيقوريون من

وجهة نظر السابق» (Manetti 1993, pp. 128-129). أكثر من هذا بكثير وكاستنتاجٍ عام راسخ، ليس لدينا دليل على ذلكَ لتوضيح الخصوصيات. كل ما يظهر بشكل جازم هو أنه في الحالتين الرواقية والإبيقورية، يبقى الرابط بين أي نظرية للعبارات اللغوية والإشارات غير مباشر وضمني في زمنهم.

ما يلاحظه مانيتي (Manetti (1993, p. 98) عن الرواقيين ينطبق بشكل مساوٍ على الإبيقوريين، إذ ليدركوا ذلك، «لا يصلون إلى حد القول أنّ الكلمات هي إشارات (كان أول من أدلى بهذه الفكرة هو أوغسطين (Augustine))، وفي الحالة الخاصة للرواقيين، «يبقى هناك فرق معجمي بين الثنائي» semainon /semainom-enon وsemeion. فيما يخص هذه الثلاثية من المصطلحات، كان إيكو (Eco) (1984, p. 32) قد أشار مسبقاً إلى أن «الجذر الاشتقاقي المشترك والواضح للكلمات هو مؤشر على ارتباطها ببعضها البعض»؛ بحيث نرى ربما (Jackson 1972, p. 136) في الثنائي semainon /semainomenon بعض(الانحراف) الدلالي بالاتجاه الذي سيحدده أوغسطين كمسارٍ فريدٍ من نوعه للفلسفة يجب تَتَبُّعُه في تطور لغتها اللاتينية. لكن هذا الاقتراح يبدو مُسْتَبْعَداً، وفي أي حدث، يتجاوز الدليل الفعلي من النصوص الموجودة. وأوضحُ بكثير من أي انحرافٍ منسوبٍ أو ضمنيٍ هو التقدير للتماثل بين الثنائي الرواقي -semainon /se mainomenon والثنائي significant /signifié أي (الدّالَ/ المدلول) الذي اقترحه علم الرمزية أو السيمياء -Se) (miology الحديث مؤخراً كجوهرٍ تقنيٍ «للإشارة». هذا التشابه أيضاً سوف يفسر، وربما بشكلٍ أفضل لماذا برهنت صيغة المنطق الرواقي لِميت (Mates) (Mates 1961, p. 20) أنها متجانسة مع النظريات المنطقية لفردج (Frege) وكارناب (Carnap).

بالتخمينات من جهة، يتطلب منا الدليل الحالي من العصور القديمة اليونانية أن نفهم بشكل تام أنّ اقتراح أوغسطين (354-430) النهائي للإشارة كمفهوم عام سيكون مؤشراً على مبادرة لاتينية أصلية في الفلسفة، وهذا المؤشر سوف يحدد بالشكل الأكثر تميزاً الصفة التخمينية للعصر اللاتيني من أصله في أيام أوغسطين إلى ذروته في عمل جون بوانسو (Poinsot) (1589-1644) في العام 1632، حيث تم اختزال مفهوم أوغسطين العام،

لأول مرّة، وبشكل منظم إلى أساسياته في نظرية الكينونة النسبية. بعد بوانسو، يفسح العصر اللاتيني المجال أمام تطور العصور الحديثة. ويتحول الاهتمام إلى عمل غاليليو (Galileo) وديكارت (Descartes)، وتفسح اللغة اللاتينية المجال أمام اللغات القومية. وإن تلاقي مسارَي الرواقيين والإبيقوريين لن يكون ذا اهتمام مجدداً حتى يجعل التطور المعاصر للسيمياء الأصل التاريخي لمفاهيم الإشارة موضوع اهتمامٍ عامٍ وضرورةً علمية (JD).

انظر أيضاً الدّالّ (Signans)، (Signifier)، والمدلول (Signified) والدلالة (Signification).

قراءات إضافية:

Fisch, M. H. (1986). «Philodemus and Semeiosis (1879-1883)», Section 5 (pp. 329-30) of the Essay «Pierce's General Theory of Signs», Reprinted in M. H. Fisch *Pierce: Semeiotics and Pragmatism*, Bloomington: Indiana University Press, pp. 321-56.

Mates, B. (1949) «Stoic Logic and the Text of Sextus Empiricus», *American Journal of Philology* LXX (3): 290-8.

Philodemus (*c*.110-*c*.40 BC). i.54-40 BCE. Περί οημειώσων (*De Signis*), trans. as *On the Methods of Inference* in the Edition of P. H. De Lacy and E. Allen De Lacy, rev. with the Collaboration of M. Gigante, F. Longo Auricchio, and A. Tepedino Guerra, Naples: Bibliopolis, 1978, Greek Text pp. 27-87, English 91-131.

البنيوية (Structuralism)، **البنيوي (Structuralist):** إن مصطلح «البنيوية» يدل على عددٍ من الأشياء. فالبنيوية الأميركية (American Structuralism) تشير إلى الميول في اللغويات المرتبطة بأسماء بلومفيلد (Bloomfield)، سابير (Sapir)، هاريس (Harris) وبشكلٍ أكثر تعقيداً إلى تشومسكي (Chomsky). تشير البنيوية أيضاً إلى ميل في الأنثروبولوجيا يبدو واضحاً عند علماء الأنثروبولوجيا المعاصرين مثل دوغلاس (Douglas). ثم هناك «اللغويات البنيوية» أو بنيوية مدرسة براغ (Prague School) التي ركزت على مستوياتٍ وظيفيةٍ

مختلفة في اللغة ونُقِلَت من الشكلية الروسية (Russian Formalism) عبر دائرة براغ اللغوية (Prague Linguis-tic Circle) ثم إلى عملها اللاحق من قِبَل رومان جاكوبسون (Roman Ja-kobson) (مثلاً Jakobson 1960). على أية حال، ترتبط البنيوية في أغلب الأحيان بالحركة الواسعة الانتشار في العلوم الإنسانية التي كان عنفوانها في الخمسينات والستينات في فرنسا وفي أواخر الستينات والسبعينات في العالم الأنجلو– الأميركي (انظر مثلاً Mack-sey and Donato 1972، de George and de George 1972). إن مصطلح «البنية» هو بلا شك كامن في «البنيوية» لكنه ليس واضحاً دائماً، وإن ما هو ضمني بشكلٍ (تام) في معظم الأحيان هو مجموعةٌ من المبادئ السيميائية الرمزية المشتقة من مفهوم سوسور (Saussure) عن اللغة (Langue).

بشكلٍ أولي، كان لدى البنيوية طريقة شائعة في فروع المعرفة حيث كان يُسْأَلُ عن التوضيح السطحي للظواهر ربما من أجل أن تكشف مجموعةً محددةً من المبادئ الضمنية الأساسية. وإن أنثروبولوجيا ليفي – ستراوس (Lévi-Strauss) هي مثال جيد عن هذا، وبالأخص مقاربته إلى الأسطورة. بشكل أساسي، إن مقاربته مشابهة للبحث في أمثلة عديدة من الكلام (parole) (الأساطير المتعددة الخاضعة للدراسة) من أجل اكتشاف لغة عالمية (Langue) (شيفرة (Code) رئيسية تجعل كل الأساطير ممكنة). خلال العملية، يمكن إذاً تعرية أسطورة معينة لتكشف عن بنيتها الخاصة فيما يتعلق بالشيفرة الرئيسية. بشكل شائع، أخذ ليفي– ستراوس (Lévi-Strauss) أسطورة أوديبوس (Oedipus) وتعاطى معها «بالطريقة التي يمكن أن تكون عليها سجل نقاط الأوركسترا لو اعتُبِرَت بشكلٍ غير مُتَعَمَّد سلسلةً غيرَ خطية» (1977, p. 213). وكانت النتيجة جدولاً من الخانات التي تُظْهِرُ توزيع الوظائف القصصية المتعددة بطريقة مشابهة تقريباً للمقطع العرضي للخلية وتحقق بالتأكيد الإحالة المتزامنة (Synchronic) التي وضعها سوسور.أ هذا لم يكن مجرد تمرين (جردي)، ولكن كنتيجة لعمل كهذا تمكن ليفي ستراوس من افتراض نظريات عن الميزات المتكررة – أو حتى العالمية– للعقل البشري في هكذا أنشطة كتأليف الأساطير ورواية القصص.

يمكن رؤية مقاربة مشابهة إلى حدٍ كبير في عمل غريماس (Grei-

mas)، بريموند (Bremond) وحتى في أعمال «ما بعد البنيويين» مثل الفولكلوري الروسي فلاديمير بروب (Vladimir Propp) (الذي كتب لفي ستراوس نقداً حاداً لعمله في العام (1961-1978) انظر ليفي ستراوس. وقد يقال أيضاً عن الكتابات الأولى لرولان بارت بأنها بنيوية في توجهها. هكذا أعمال كمجموعة العام الأساطير (1957) (*Mythologies*) ([1957] 1973) التي أشتهرت بسبب الطريقة الماهرة التي تظهر فيها بعض الحقائق الجميلة الأكثر وضوحاً وطبيعةً للثقافة الشعبية التي تولدت عن نظامٍ هو أكثر أو أقل تماسكاً وهو أيديولوجي بكل معنى الكلمة.

بالرغم من أن بارت تبنى بلا شك غايةً نقدية في بنيويته، فإن ما يشكل أساس مقاربته ومقاربة الآخرين المذكورة أعلاه هو الاعتقاد بوجود شيفرة رئيسية رمزية وسيميائية تحكم المظهر والطبيعة المباشرة للظواهر. لهذا السبب، فإن البنيوية عادةً ما ترتبط بالوظيفية، وهي ميل في التفكير الاجتماعي الذي هو موجود أصلًا في اللغة عند سوسور langue، وهي مفهومٌ يُعْتَقَد في كثيرٍ من الأحيان أنه قد تأثر بعلم الاجتماع الوظيفي لدوركهايم (Durkheim). في الوظيفية، تعمل آلية المجتمع على تسهيل التفاعل الإنساني ويُعْتَقَد بشكلٍ كبير أن فروعها المختلفة تعمل بالحد الأدنى من النزاع. (العمل المشتق من فولوسينوف (Vološinov) ومن أسلوب علماء اللغويات الاجتماعية يطرح عملياً النظرية المُعاكسة: انظر فولوسينوف (Vološinov [1929] 1973)). وبذلك، عادةً ما يعتبر البشر في البنيوية على أنهم «حاملو» الأنظمة أو «وسطاء» فيها بدلاً من أن يكونوا متحكمين بها. إن الفاصل بين ما بعد البنيوية (Poststructuralism) والبنيوية هو بالضبط عند هذه النقطة، حيث وبشكلٍ كبير تعتبر ما بعد البنيوية البشر بدلاً من ذلك، نتيجةً (Effect) للأنظمة والبنيات. ولكن الفرق هنا دقيق وبالعادة يصعب التعرف بشكل مباشر على هكذا فاصل بين الحركتين (PC).

قراءات إضافية:

Lévi-Strauss, C. (1987) *The View from Afar*, Harmondsworth: Penguin.

Sturrock, J. (ed.) (1979) *Structuralism and Since*, Oxford

University Press.

Sturrock, J. (1993) *Structuralism*, 2nd edn, London: Paladin.

البنية السطحية (Surface Structure): في النحو التوليدي (Generative Grammar) القديم، ينطبق مستوى التحليل بعد التحولات. حيث كانت الفكرة الأساسية أن البنية النحوية للجمل المعقدة يمكن وصفها بالشكل الأفضل من خلال تجزئتها إلى تمثيلاتٍ أكثر شفافيةً تُسَمّى البنيات العميقة (Deep Structures) التي تنطبق عليها سلسلة من العمليات التي تُسَمّى التحويلات. وهكذا فإن البنيات السطحية هي البنيات النحوية التي يمكن تمييزها مباشرةً في الجمل: إذ لا يصح القول أنها «الجمل التي نراها أو نسمعها»، بما أن القواعد الصوتية تنطبق على البنيات السطحية لإنتاج سلاسل وتتابعات فعلية للأصوات، تسمى أحياناً الشكل صوتي (Phonetic Form) (PF).

في أعمال مؤخرة، تم تقليص دور البنية العميقة وتم القيام بعمل إضافي من قِبَل البنية السطحية. النظرية الأحدث التي اقترحها تشومسكي (Chomsky) وزملاؤه، والمعروفة بالنظرية التبسيطية، تقترح أن البنية السطحية يمكن أن تكون موزعة معها (RS).

قراءات إضافية:

Chomsky, N. (1965) *Aspects of the Theory of Syntax*, Cambridge, MA: MIT Press.

القياس المنطقي (Syllogism): القياس المنطقي هو نقاش استنتاجي مؤلف من مُسَلَّمَتَيْن مُطْلَقَتَين (غير مقيدتين بشروط) مع استنتاج ناتج عن إزالة تعبير شائع، كما في: كل الرجال مولودون من النساء، أي شيء مولود من المرأة هو فانٍ، لذلك فإن كل الرجال هم كائناتٌ فانية. رَكَّزَ المنطق التقليدي على دراسة أشكال القياس المنطقي والقواعد للحصول على استدلالات صحيحة. وإن مبدأ الانتقالية (if *a* then *b*, and if *b* then *c*, and if *a* then *c*)(أي إذا كان عندنا a فهو يؤدي إلى b، وإذا كان عندنا b فهو يؤدي إلى c، وإذا كان عندنا a فهو يؤدي إلى c) هو مفتاحٌ للمنطق القياسي (NH).

الرمز (Symbol): هذا المصطلح متعدد المعنى (Polysemic) في

الخطاب اليومي وفي الخطاب الفلسفي– العلمي بما في ذلك الخطاب السيميائي. ويمكن أن نميز بين معنَيَيْن مقبولَين أساسيين: الرمز هو

1- مرادف للإشارة (Sign)؛ أو

2- نوع خاص من الإشارة

بالنسبة للمعنى (1):

- استخدم إرنست كاسيرر (Ernst Cassirer) مفهوم الرمز في **فلسفة الأشكال الرمزية** (*Philosophy of Symbolic Forms*) (1921–1929) ليشير إلى الإشارات. فالإنسان يبني الثقافة من خلال الإشارات وهو رمزٌ حيواني (Animal Symbolicum). والرمز مرتبط بالشكل الرمزي الذي يؤدي إلى نقد كاسيرر للمنطق الرمزي (Critique of Symbolic Reason) أو للجوانب المتعددة للثقافة بما فيها اللغة، والأسطورة، والدين... إلخ.

- أيضاً **في أوغدن وريتشاردز** (Ogden and Richards) (1923)، «الرمز» يرمز إلى الإشارة التي تمثل المعنى (Meaning) من حيث مصطلحات العلاقة التفاعلية بين ما يسمى الرمز، والفكر أو الإسناد، والمرجع (Referent).

بالنسبة للمعنى (2):

- برأي فرويد ومفكرين لاحقين من ذوي التوجه نحو التحليل النفسي، الرمز هو نوع محدد من الإشارة يشير إلى كل النشاط الروحي أو الأحلامي بقدر ما يكشف عن اللاوعي. عبر تمثيل الوعي برمز الشيء الذي تتم الدلالة عليه، يمارس اللاوعي دوراً حاجباً وقائياً.

- الرمز هو أيضاً نوعٌ محدد من الإشارة في دراسة الرموز التي وصفها تشارلزبيرس: الرمز هو الإشارة «نتيجةً لعادةٍ (Habit) (الذي اسْتُعْمِل مصطلحه كمصطلح يتضمن ترتيباً طبيعياً)» (CP 4.531).

- بالنسبة لتشارلز موريس (Charles Morris)، هو إشارة تحلُّ محلَّ أخرى كدليلٍ للسلوك (cf. Morris 1946, I, 8).

- وفي تفسير جون ديوي (John Dewey) (1938، «المقدمة»)، هو إشارة اعتباطية أو اصطلاحية.

- الرمز هو أيضاً نوعٌ محدد من الإشارة بالنسبة لسوسور (Saussure

(1916, ch I). وعلى أية حال، هو ليس اعتباطياً كلياً في اعتبار هذا الأخير وبالتالي فهو مختلف عن الإشارة الشفوية. على عكس الإشارات الشفوية، العلاقة بين الدّالّ (Signi-fier) والمدلول (Signified) في الرمز دائماً اصطلاحية إلى حدٍّ ما (كما في حالة الميزان الذي هو إشارةٌ للعدل)، علماً أنها غير عشوائية بشكلٍ كامل.

- بالإشارة إلى المدخل الموسوعي «الرمز» لأفيرينسيف (S. S. Averincev) (1961)، يصف باختين (M. Bakhtin) (1974) الرمز كإشارةٍ تتطلب قبل كل شيء الاستجابة للفهم، علماً أن هناك ارتباط جدلي بين الهوية والاختلاف (Alterity). يتضمن الرمز شدة الغموض الذي يُوَحِّد، في تجاوُر الواحد مع الآخر، شدة الحب وبرودة الغرابة، والتجاور والمقارنة: هو ليس قابلاً لأن يتم تحديده في سياقٍ مباشر ولكنه متعلق بسياق بعيد وناءٍ، وهذا ما يفسر الانفتاح على الاختلاف (AP).

قراءات إضافية:

Ponzio, A. (1985) «The Symbol, Alterity, and Abduction», *Semiotica*56 (3/ 4): 261-.77

التزامن (Synchrony)

(المتزامن) (Synchronic): (هو الظواهر اللغوية في وقتٍ محدد من تاريخ اللغة): التزامن هو المصطلح التقني لسوسور لمنظورٍ نظري يُعْتَبَر فيه نظام الإشارة (اللغوي) بنيةً مستقلة بذاتها وغير قابلة للتغيير. وإن دراسة التغير اللغوي الذي أحاله سوسور إلى اللغويات «التعاقبية» (Diachron-ic) أو التطورية التاريخية (وهو نوع من الدراسة اللغوية التي تعتمد على مراحل التطور عبر الزمن، وهي تقوم على تغير بعض خصائص اللغة عبر المراحل الزمنية المتتابعة). غالباً ما يُفْهَمُ التعارض بين التزامني والتعاقبي على نحوٍ حرّ ولكنه يُفَسَّر بشكلٍ خاطئ كمجرد علاقاتٍ متناقضة بين الظواهر اللغوية التي يصدف أنها متزامنة مع العلاقات بين الظواهر اللغوية التي يبدو أنها منفصلة زمنياً ولكن مرتبطة سلالياً. وهكذا تصبح «التعاقبية» متساوية (بشكل مضلل) مع «التاريخية». بالنسبة لسوسور، اللغة (Langue) هي مفهوم متزامن على وجه الحصر، واللغويات التطورية التاريخية لا تدرس اللغة بأي معنى. وكان مصطلح سوسور البديل للغويات المتزامنة هو «اللغويات غير المتغيرة»، أي دراسة الحالات اللغوية (حالات اللغة) (RH).

التركيب أو السلسلة (Syn-tagm)، والعلاقة الأفقية (Syntag-matic): بين الوحدة اللغوية والأخرى في ذات السياق مثل العلاقة بين كلمات الجملة الواحدة: في مصطلحات سوسور، العلاقات الأفقية هي تلك التي تدخل فيها وحدةٌ لغوية بفضل تتابعها الخطي في سلسلةٍ كلامية. وهكذا فإن كلمة unbeatable (أي لا يُهْزَم) هو التركيب الذي يشمل ثلاث إشارات مرتبطة بشكلٍ تسلسلي: (i): un، (ii):beat و(iii): able. وإن معنى (Meaning) التركيب هو دائماً أكثر من مجموع أجزائه. وإن العلاقات التسلسلية هي متناقضة مع العلاقات «الترابطية» في نظرية سوسور (انظر الاستبدال (Paradigm)). ويجب عدم الخلط بين التركيبية التتابعية والبناء النحوي (Syntax)، بالمعنى الذي تُفْهَمُ فيه عادةً القواعد (Grammar) التقليدية أو اللغويات اللاسوسورية. (ولقد حَذَّرَ محرِّرو سوسور بصراحة من هذا الخلط، ولكنه يحصل بشكلٍ شائع). ولقد وصف سوسور العلاقات الأفقية كعلاقاتٍ تصحُّ حضورياً، على عكس العلاقات الترابطية، التي تصحُّ غيابياً (RH).

البناء أو النحو (Syntax)، البنائي– النحوي (Syntactic): البناء هو جزءٌ من القواعد النحوية التي تدرس ترتيب الكلمات في الجمل. هناك جزءٌ مهم في النحو وهو ترتيب الكلمات. قارن هذه الجمل الإنجليزية والألمانية:

(1) Max has Read the Book
(أي قرأ ماكس الكتاب)

(2) Max Hat das Buchgele-sen أي جعل ماكس أحدهم يقرأ الكتاب (Max Has the Book Read)

الجملتان تحملان نفس المعنى (Meaning)، ولكن للغتين قواعد نحوية مختلفة فيما يخص ترتيب الكلمات: في الإنجليزية، يأتي المفعول به عادةً بعد الفعل (Verb) (+ Read the Book أي قرأ + الكتاب)، بينما في هذا النوع من الجمل الألمانية يأتي المفعول به قبل الفعل (+ das Buch gelesen أي الكتاب+ قرأ).

يعالج النحو أيضاً العمليات التي يتم إجراؤها على الجمل. فللإنجليزية والألمانية طريقة لتحويل جمل مثل الجمل (1) و(2) إلى أسئلة عبر نقل الفعل الأول المساعد (Auxiliary) إلى بداية الجملة، وهذا يؤدي بنا إلى:

Has Max Read the Book? **(3)**
(أي هل قرأ ماكس الكتاب؟)

Hat Max das Buchgele- **(4)**
sen?

Has Max the Book Read*?*
(أي هل جعل ماكس أحدهم يقرأ الكتاب؟)

ولكن بناء الأسئلة مختلف في اللغة الفرنسية، بما أن هذه اللغة لا تسمح بتحويل الجملة (5) إلى سؤال مثل الجملة (6):

(أي قرأ Max a lu le livre **(5)**
ماكس الكتاب)

A Max lu le livre? **(6)**

(إن علامة النجمة في الجملة (6) تشير إلى أن هذه الجملة غير ممكنة في اللغة الفرنسية). بما أن معنى الجملة هو نفسه في كل لغة، فإن هذه القواعد النحوية مستقلة عن المعنى (RS).

قراءات إضافية:

Fabb, N. (1994) *Sentence Structure*, London: Routledge.

القواعد النحوية النظامية (Systemic Grammar): القواعد النحوية النظامية هي مقاربة إلى اللغة تضع الدور الوظيفي في المقدمة: ويكون التركيز على ما يفعله الناس باللغة، بدلًا من أن يكون على تحليل بنية اللغة بشكلٍ منعزل (لهذا السبب، تُعْرَف هذه القواعد أيضاً بقواعد النحو الوظيفية (انظر هاليداي (Halliday 1994)). القوة المُحَرِّكة هي مايكل هاليداي (Michael Halliday)، وهو عالم لغة بريطاني عمل في أستراليا لعدة سنوات. إذ يُعْتَبَر أي قول مفرد أو أي نص (Text) أطول كنتيجةٍ للاختيارات التي يقوم بها المتكلمون أو الكاتبون، ويحاول النحويون النظاميون تصنيف هذه الاختيارات تبعاً للوظائف الرئيسية الثلاثة للغة: الوظيفة الفكرية (Ide-ational) هي استخدام اللغة لإيصال المعلومات؛ الوظيفة النصية (Tex-tual) هي خلق الروابط بين الأجزاء المختلفة للنص؛ والوظيفة الشخصية (Interpersonal) هي استخدام اللغة لخلق العلاقات الاجتماعية بين الأشخاص والمحافظة عليها.

وإن قواعد النظامية النسقية أو الوظيفية هي إحدى الأطر القليلة التي تحلل نصوصاً كاملة، مُحَدِّدَةً الكلمات والبنيات التي تجعل النصوص متماسكة (انظر: Halliday and

Hasan 1976). هذه القواعد هي أيضاً مميزة في إعطاء مكانة مركزية للروابط بين اللغة والعمليات الاجتماعية. بسبب هذا، فقد كانت ذا تأثير في علم الأساليب، وفي علم اللغويات–الاجتماعية وفي التعليم (RS).

قراءات إضافية:

Halliday, M. A. K. (1994) *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd edn, London: Arnold.

T

تيل كيل (Tel Quel): هو اسم مجلة فصلية باريسية أُصْدِرَت من العام 1960 إلى العام 1980. هي أيضاً الاسم المُلْحَق بشبه الحركة الثقافية المرتبطة بهذه (المجلة) الدورية. لم تكن أياً من المجلة والحركة مهتمة بالأسئلة المباشرة للسيمياء (Semiotics) وعلم اللغويات ولكنهما أصبحتا مشهورتين لكونهما كانتا بوتقة ما بعد البنيوية (Poststructuralism).

من العام 1968 (و) ما بعد، وبالرغم من حداثة فكرة (بارت (Barthes)، عن **موت المؤلف** *Death of the Author*)، (Bathes 1977a)، ازدهرت مجلة **تيل كيل** بفضل شهرة الأسماء المرتبطة بها. الشخص الوحيد الثابت كان محررها الروائي فيليب سولرز؛ الشخصان الآخران الأكثر ارتباطاً بالمجلة هما جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) (التي انضمت إلى لجنة التحرير في العام 1970) وجاك ديريدا (Jacques Derrida).

التزمت المجلة بترجمة أعمال المؤلفين الأجانب إلى اللغة الفرنسية (بما فيهم ت. س. أليوت (T. S. Eliot)، فيرجينيا وولف (Virginia Woolf)، غونتر غرايس (Gunther Grass)، تشارلز أولسن (Charles Olson)، وفيليب روث (Philip Roth))، وبنشر أدب القصص الخيالية التي كان يكتبها مؤلفون فرنسيون (ألين روب–غرييه (Alain Robbe-Grillet)، ميشال وآخرون (.Michel et al))، وتقديم المقالات النظرية من قبل أفضل

وأعظم المثقفين الغاليين(Gallic) الفرنسيين (رولان (بارت) (Roland Barthes)، ميشال فوكو (Michel Foucault)، لوسي إيريغاراي (Luce Irigaray)، ورينيه جيرار (René Gi-rard)، ضمن آخرين).

داخل صفحاتها وفي العام 1971، كانت أحد أهم مواضيع المجلة صدىً لما سماه (بارت)، «حلماً مبتهجاً للعلمية» (Euphoric Dream of Scientificity) (Coward and Ellis 1977, p. 25)، بالرغم من أنّ هذا كان مشوباً بحركة ما بعد البنيوية النموذجية المُضادَّة للعلمية. إن توسُّل مجلة تيل كيل بالعلم دار حول رابطة ماركس (Marx) – فرويد (Freud)– سوسور (التي انعكست، على نحوٍ قابل للجدل، في منشور (Prism) ألتوسير (Althusser)–لاكان (Lacan)– ديريدا (Derrida)). الشخصية الأخرى الرئيسية في الفكر الغربي للمئة والخمسين سنة الماضية– والعالم غير الزائف الاصلي داروين (Darwin) – داروين، كانت بارزةً في غيابه.

التكريس الوضيع للماوية (المبادئ الثورية للحزب الشيوعي الصيني والذي قاده رجل الدولة الصيني ماو تسي- تونج)، بما في ذلك إصدار ترجمات بعض أعمال ماو (Mao)، ربما تقوم أحياناً بالتعتيم على ما تبقى من حس الريادة لمجلة **تيل كيل**. ولقد نشرت هذه المجلة بعض الأعمال المفتاحية المهمة عن الإشارة (Sign) ومدلول الكلام (Significa-tion): فمثلاً تم إدراج نص طويل مقتطف من كتاب إيكو العمل المفتوح (*The Open Work*) ضمن إصدار عن جويس (Joyce) (PC).

قراءات إضافية:

French, P. and Lack, R.-F. (eds) (1998) *The Tel Quel Reader*, London: Routledge.

الفحوى أو المضمون (Ten-or): في نظرية (التنوع اللغوي واللهجي) (Register)، يشير الفحوى إلى مجموعة علاقات الدور ضمن المشاركين في (السياق) (Situa-tion). ففي صفٍّ مثلاً، سيكون الحقل (Field) أو الممارسات الاجتماعية التي تعطي فكرةً عن التفاعل عبارةً عن الأخلاقيات العامة أو عملية التعليم.

وسيكون الفحوى عبارة عن علاقات القوة بين المعلم الذي قد يكون فاعلاً في نقل المعرفة، والتلميذ

الذي قد يعتمد على المعلم لأجل هذه الغاية. علاقات الدور هذه ستأخذ مكانها من خلال النمط أو الأسلوب (Mode): وهو أشكال نموذجية من التواصل التربوي بما في ذلك المحاضرات، والحلقات الدراسية، والعصف الذهني، وما إلى ذلك (PC).

انظر هاليداي (Halliday).

النص (**Text**): كنتيجة للاعتراف المتزايد بأهمية السيمياء وعلم اللغويات للكثير من المجالات والفروع المعرفية في الجزء الأخير من من القرن العشرين، أصبح تعبير «النص» مستعملاً على نطاق واسع. وهذه طريقة محايدة للإقرار بأن الأنواع المختلفة من الظواهر السيميائية متصلة ببعضها البعض عبر ميزتها المرتكزة على الإشارة. وهذا يتضمن نصوصاً كالأفلام، والخطابات، والرويات، والقصص القصيرة، والإعلانات، والعمل المسرحي أو الدراما، واللوحات الفنية، والبيئات الحقيقة الوهمية، والأدلة التعليمية، والأوبرا، والكتابة التاريخية، وفن النحت، المحادثة، وما إلى ذلك.

في دائرة علم السيمياء البيولوجي (Biosemiotics)، لم يكن وجود كيانات مُصَنَّفَة كنصوص دائماً واضحاً إلا قبل فترة قصيرة مؤخراً. ولكنْ هكذا حقائق عن المعلومات التي تتضاعف بسرعة عن الحبل المجدول للحمض النووي (DNA)، شجعت البعض على اعتبار العمليات البيولوجية ونتائجها كمثيل للنصوص (Pollack 1994).

في نظرية **الخطاب** (**Dis-course**) (انظر كوبلاند (Coupland) وجاوورسكي (Jaworski)، هذا الكتاب) وفي تحليل الخطاب (Dis-course Analysis) يستمر النص في حمله لمعانٍ (Meanings) محددة. أحياناً يعتبر النص مرادفاً لمفهوم الخطاب الذي يعني ببساطة العديد من الإشارات المرتبطة ببعضها، ففي عبارة سوسور مثلاً، هو يعني نموذجاً طويلًا من الكلام المحكيَ (parole). في هذه الحالات اللغوية، عادةً ما يُنْظَرُ إلى الاختبار على أنه أكثر شمولاً من الجملة. أحياناً وبطريقة مماثلة لمعالجات الخطاب، يتم تصور النص فقط على أنه مجموعةٌ من الإشارات التي تعرض قواعد (Rules) أو تراكيب محددة.

في علم السيمياء الاجتماعي عند هاليداي، يشير النص إلى «قدرة

المعنى المتحققة». وهذه القدرة تمثل الاختيار. فالنص هو «ما يُعنى»، «وهو المعنى المُنتقى من المجموعة الكاملة من الخيارات التي تُكَوّنِ ما يمكن أن يعنيه النص» (1978, p. 109). في هذه النسخة، النص هو القدرة للمعنى الذي يملأ مجموعات الإشارات كنتيجةٍ للقوى الماكنة والمانعة (للسياق) (Situation) وللثقافة العامة التي تظهر فيها تلك الإشارات (PC).

قراءات إضافية:

Beaugrande, R. de and Dressler, W. (1981) *Introduction to TextLinguistics*, Harlow: Longman.

النصي (**Textual**): تعالج الوظيفة النصية تنظيم اللغة كرسالة. وهي تشير إلى العلاقات الداخلية للنصوص، ما بين الجمل والفقرات وعبرها، وتشير إلى علاقات النص مع سياقه، وإلى الشكل الإجمالي للنص كتأثير لدوره الاجتماعي (GRK).

انظر الفكري (Ideational)، والعلائقي بين الأشخاص (Interpersonal)، وقواعد النحو الشاملة (Systemic Grammar) وهاليداي (Halliday).

الموضوع أو المبحث (**Theme**): بالنسبة لفولوسينوف (Vološinov) يتناقض موضوع الكلام أو التعبير مع معناه (Meaning). إذ للتعبير «What is the time?» أي «(ما الوقت) ؟» معنىً عام ينطبق على كل الحالات أو المواقف الاجتماعية. إنه يشبه التعريف المعجمي الدقيق الذي يمكن أن يُلقى من خلال استقصاء بناء السؤال؟

في هذا المثل، إن تعريف أو معنى «What is the time?» أي «(ما الوقت)؟» يمكن أن يكون «سؤالاً عرضياً مؤقتاً عن الوقت». من جهة أخرى، يتغير الموضوع من وقتٍ إلى آخر ومن وضعٍ إلى آخر. فموضوع (ما الوقت) ؟ عند (أ) الشخص الذي لديه رئيس استبدادي يتأخر عن العمل ويسأل السؤال إلى شخصٍ مارّ أو عابر سبيل؛ يختلف عن موضوع السؤال نفسه في حال (ب) كان زملاؤه/ زميلاته في العمل الذين يسألون بعضهم البعض السؤال بسبب هَلَعِهم من الطريقة التي يجري بها الوقت ببطء في مكان العمل، ويختلف أيضاً عن موضوع هذا السؤال في حال (ج) الرؤساء المهووسون بالربح الذين يستطلعون ما يعتبرونه إنتاجاً ضعيفاً

للقوى العاملة لديهم ويسألون هذا السؤال باشمئزاز.

إذاً، الموضوع هو مدلول القول أو الكلام بكامله فيما يخص الحالة التاريخية المحددة. وهكذا، فهو يتباين من خلال اللهجة (Accent) الاجتماعية (PC).

انظر أيضاً فرشويرين (Ver-schueren) (هذا الكتاب)، الحوار (Dialogue)، القول أو التعبير (Locu-tion)، والقول المحقق (Illocution).

قراءات إضافية:

Vološinov, V. N. (1973) *Marxism and the Philosophy of Language*, New York: Seminar Press.

الثالثية (Thirdness): الثالثية هي تصنيف قدَّمه تشارلز بيرس، التصنيفان الآخران هما الأوليّة (First-ness) والثانيَّة (Secondness). الأوليَّة (في نفسها أو كيانها الذاتي، في أصالتها) والثانيَّة (في مغايرتها، تباينها) والثالثية (في وسطيتها، توسطها) هي تصنيفات عالمية. بالتشارك مع التصنيفين الآخرين، الثالثية ترشد وتُحَفِّزُ على التساؤل وبذلك تملك قيمة تجريبية مُشَجِّعَة على الاكتشاف.

وإن العلاقة الاستنتاجية بين الفرضيات والنتيجة هي مبنية على الوساطة، أي على الثالثية. وبما أنّه بالنسبة لبيرس، كل العمليات العقلية هي عمليات إشارية (Sign)، فإن تصنيفاته ليست هي فقط تصنيفات عالمية للعقل وإنما هي أيضاً تصنيفات للإشارة. وفضلاً عن ذلك، وبما أنّ كل الواقع، أو بعبارةٍ أخرى، الكيان نفسه، مليءٌ بالإشارات، فإن هذه التصنيفات هي أيضاً تصنيفات وجودية.

يقول بيرس أن الإشارة تعطي مثلاً عن الثالثيَّة؛ فهي تجسد العلاقة الثلاثية بين ذاتها، وموضوعها (Object) والمفسر (Interpretant). وتلعب الإشارة دائماً دور الطرف الثالث، لأنها تتوسط بين المفسر وموضوعه.

قد تُؤخَذُ أي إشارة على أنها شيءٌ في ذاتها (in itself)، أو في علاقتها مع شيءٍ آخر (to something else) (موضوعها)، أو كوسيط (توسط بين موضوعها والمفسر). استناداً إلى هذا الاعتبار الثلاثي، ينشئ بيرس التطابقات التالية بين تقسيمه الثلاثي للتصنيفات التي تتضمن الثالثيَّة (ولكن كل ثلاثياته تحتوي على ثالثية طالما

أنها ثلاثيات) وثلاثةَ تقسيمات ثلاثية أخرى مهمة في نظامه السيميائي: الأولية: (نوع وصفة الأشارة) (Quali-sign)، التمثيل الصوري (Icon)، عنصر الحديث الذي يعبر عن فكرة أي الخبر أو المُسْنَد (Rheme)؛ الثانيَّة: الإشارة المُفْرَدَة (Sinsign)، المؤشر (In-dex)، مؤشر الإشارة (Dicisign) (أو الدال على الإشارة)؛ الثالثيَّة: الإشارة (القانونية او التشريعية) (Legisign)، الرمز (Symbol)، الحجة (Argu-ment) (cf. CP 2.243).

الثالثية تنظم الاستمرارية التي، بالنسبة لبيرس، تستمر في العلاقة الجدلية بين الرمزية، المؤشرية، والتمثيلية الصورية. لا يُعْتَبَرُ الرمز خالصاً أبداً ولكنه يحتوي على درجات مختلفة من المؤشرية والتمثيلية الصورية؛ وبالمثل، بقدر ما يمكن فيه للإشارة أن تُوَصَّفَ كمؤشر أو تمثيل صوري، بقدر ما ستحافظ على صفات الرمزية، أي أن استمرارية الإشارة على هذا النحو تتطلب وساطة المفسر والاستعانة باصطلاحٍ ما.

الرمزية هي بعد الإشارة الأكثر مشاركةً في الثالثية. وهي تتميز بالوساطة (أو البينيَّة/ التوسط)، بينما تتميز التمثيلية الصورية بالأوليَّة أو الآنيَّة (أو بذاتيتها/ كيانها الذاتي)، في حين تتميز المؤشرية بثانيَّتها (أو مغايرتها/ تباينها).

يتنبأ بيرس بإمكانية اقتفاء الإشارات في الطبيعة جوهرياً أو في حد ذاتها، أيبشكل مستقل عن فعل عاملٍ خارجي. من وجهة النظر هذه، الكون مليء بالإشارات بشكلٍ سابقٍ لفعل الإرادة التفسيرية. الوساطة الأصلية–الثالثية غير القابلة للاختزال – هي جزء متأصل من الواقع الذي نصادفه في التجربة، التي تفرض نفسها على انتباهنا كواقع إشاري وتتوضَّح لنا في عمليات تفسيرية.

تُمَيِّزُ الثالثية علاقة (الوساطة) بين الإشارات في كافة أنحاء الكون. من وجهة النظر هذه، يعَرِّفُ بيرس علاقةً وطيدة بين الثالثيَّة والتعبير الفلسفي (Synechism) وهو الميل لاعتبار وجود استمرارية بين الوقت والزمان والقانون، وهذا هو تعبيره عن مذهب الاستمرارية (Continuity) (cf. CP 7.565, 7.570, 7. 571)، التي لا تنفي وجود الوحدة المنفصلة القائمة، أي الثانيَّة على الرغم من أنها تستبعد كل أشكال الانفصالية.

لذلك، إذا اعترفنا بالوحدة المنفصلة القائمة بذاتها، فإن مبدأ الاستمرارية لا يسمح لنا بعمليات التمييز غير المختزلة بين الفكري والجسدي، وبين الذات والآخر (cf. CP 6. 268)، ويمكن اعتبار هكذا تمييزات كوحدات خاصة مُعَبَّر عنها في التيارات السيميائية الوجودية والظواهرية السائدة.

يؤسس جيرارد ديليدال (1987) سلسلة من التطابقات بين تصنيفات الأولية، والثانيَّة والثالثية من جهة، وبين فلسفة التسامي المتعالية، والبراغماتية العملية المنهجية والبراغماتية الميتافيزيقية من جهة أخرى (SP).

قراءات إضافية:

Peirce, C. S. (1955) «The Principles of Phenomenology», in *Philosophical Writings of Pierce*, ed. J. Buchler, New York: Dover.

Peirce, C. S. (1958) « Letter to Lady Welby, 12 October 1904», in Charles S. Peirce: *Selected Writings*, ed. P. Wiener, New York: Dover.

Petrilli, S. (1999) «About and beyond Peirce», *Semiotica* 124 (3/ 4), 299-376.

الأثر (Trace): هي مُفْرَدَة استخدمها الفيلسوف الفرنسي المولود في الجزائر، جاك ديريدا (Jacques Derrida) في منهجه التفكيكي لعمل العامل اللغوي فرديناند دو سوسور. في كتابه **المُقَرَّر في علم اللغويات العامة** (*Course in General Linguistics*)، اقترح سوسور أن المبدأ الأساسي في دراسة اللغة كان قاعدة الاختلاف التي تنص على أنّ «المفاهيم هي تباينية والمعرفة بشكل تام... عبر علاقاتها مع عبارات أخرى في النظام» (Saussure [1916] 1974, p. 117).

وهكذا يمكن للغة أن تدرس في ظل المجموعة (محور علم التراكيب) أو الاختيار (محور نموذجي). على أساس هذا، يؤكد ديريدا أنّ أصل كل هذه الأكاذيب التي تخلق معنى في الأثر، أي، الأصداء المحمولة عبر المؤشر لكل المؤشرات السابقة أو اللاحقة، وكل الاختيارات التي كان من الممكن أن تتخذ لكنها رفضت.

لكن ديريدا يذهب إلى أبعد من ذلك: في مناقشة ملاحظة سوسور

أنّ صورة صوتية... ليست صوت المادة ... ، لكن الأثر النفسي للصوت (1974, p. 66 [1916])، يقترح ديريدا أنّ الأثر هو جزء من العملية تحول فوضى العالم المادية إلى العالم المنظم من خلال اللغة، «الاختلاف الذي يفتح المظهر والأهمية» (1976, p. 65).

قراءات إضافية:

Derrida, J. (1976) *of Grammatology*, trans. G. C. Spivak, Baltimore and London:Johns .Hopkins University Press

القواعد التحولية– عبارة تستخدم أحياناً (لتحيل) إلى نظرية (قواعد) تشومسكي للقواعد. استخدم التعبير في الخمسينات التي أدخلها تشومسكي في نظرية القواعد.

التعبير سيء الحظ لعدة أسباب. **أولاً**، أدخل تشومسكي وزملاؤه العديد من أنواع القاعدات في نظرية القواعد، وليس من مساعدات انتقاء واحدة بالخصوص. **ثانياً**، حتى أعداء تشومسكي عادة لم تكن لديهم اعتراض على التحويلات، التي هي أداة وصفية ملائمة.

ثالثاً، منذ منتصف، الستينات، اهتم تشومسكي وشركاؤه بخفض القوة الرسمية للتحويلات (انظر سالكي، هذا العدد، للنقاش). **وأخيراً**، في أعمال (متأخرة) كل التحويلات المحددة التي اقترحت سابقاً أصبحت مضمنة تحت قاعدة واحدة تسمى الحركة.

هذا يترك السؤال لأي علاقة أفضل قد يكون لألسنية تشومسكي. عادة ما يصف تشومسكي مشروعه كـ «استعمال اللغة لتحقيق نواحي إدراكية للطبيعة البشرية»، لكن (هذا كلام مطول لم يترك لنا بديلاً للتعبير) «ألسنية تشومسكي».

الترجمة هي استبدال نص من لغة تاريخية إلى أخرى، مع ذلك ومن وجهة نظر سيميائية، فان مؤلفين أمثال فيكتوريا ويلبي وشالس بيرس ورومان جاكوبسون يدركون أهمية الترجمة في الإجراءات والنشاطات السيميائية بشكل واسع. الترجمة تدرك كعملية عندما يكون كيان إشارة مكافئ إلى آخر عندما يحل محله افتراضياً.

(1) الترجمة، سلسلة من العمليات حيث يستبدل كيان سيميائي واحد بآخر، و

(2) القدرة على الترجمة، قدرة

تبديل –داخلي، قابلية للتبديل ضمن كيانات سيميائية.

يجب أن نؤكد أنّ (1) و(2) هما امتيازات للسيمياء وللرمز الترجمة، إذا، هي ظاهرة للواقع الرمزي بقدر ما هي هدف دراسة السيمياء (cf. Petrilli 1922a, 1998e, 1998f, 1999b, 1999c; Ponzio 1981b, 1997b, pp. 158-163).

مع جاكوبسون يمكننا أن نميز بين ثلاثة أنواع من الترجمة: ترجمة (بين كيانين سيميائيين من لغتين شفويتين مختلفتين، ترجمة (بين كيانيين سيميائيين ضمن نفس اللغة الشفوية)، والترجمة ال (بين كيانيين سيميائيين من نظامي رمز مختلفين، ما أذا كانت إحداهما شفوية أم لا).

غياب نوع رابع: ترجمة (أي، داخلي بالنسبة لواحدة ونفس النظام الرمزي الغير شفوي) مبررة عبر نقص قدرة السنية مجتمعة في أنظمة رمزية غير شفوية.

انظر أيضاً وورف (Whorf).

قراءات إضافية:

Merrell, F. (1999-2000) Neither Matrix nor Redux, but Reflux: Translation from within Semiosis, *Athanor* X(2).

– **الأمير نيكولاي سرجيفيك تروبتزكوي (1938-1980)**: أكثر الأعمال العلمية البارزة مكرسة إلى المبادئ التعريفية للفونولوجيا والمورفونولوجيا ونظرية السمات المميزة باستخدام العلاماتية. عمله.... (ال) فونولوجيا 1939 (لا يزال يعتبر) عملاً معلمياً في النظرية الفونولوجية.

زميل قريب وصديق لرومان جاكوبسون. تروبتزكوي وجاكوبسون كانا اثنين من المؤسسين الشركاء لدائرة (براغ) الألسنية (انظر مدرسة (براغ)) ومؤلفين شريكين للمقترحات التعريفية لدائرة (براغ).

الحقيقة (أن الرأي) أو جسم المعرفة التي تتفق مع أو تخضع للحقائق. بالرغم من أنّ الحقيقة عادة منسوبة بشكل طليق للحقائق نفسها، أو ما هيالحالة، هي فعلاً تخص تمثيلات من نوع خاص: مقترحات. المقترحات عادة يكون معبّر عنها في جمل، التي في سيمياء تشارلز س. بيرس هي رمز، لكن بيرس يسمح أنّ لوحة مرسومة مع اسم الشخص مكتوب في الأسفل هي مقترح، (من حيث) التأثير يمثل أن شخص ما يشبه هذا.

يمكننا أيضاً أن نفكر بمقالة أو حتى كتاب كامل «مقترح» في معنى شامل، وهكذا كـ «حقيقة» إذا كان العالم ممثلاً بشكل مرض. بطريقة، كل المقترحات تمثل العالم، أو جزء منه – هدفهم يمثل هدفه، ليصبحوا هكذا، يعني، كما وصف في المسند.

إذا فالحقيقة مقترح يمثل هدفه، مهما كان معتمداً وما إذا كان حقيقاً أم خيالياً، بالطريقة الصحيحة، يعني، كما هو (فعلاً). وهكذا يمكننا القول أنّ الحقائق تتفق مع الواقع. من وجهة نظر بيرس، المقترح صحيح إذا كان يمثل هدفه بالطريقة التي يستقر السؤال إذا دام لمدة كافية.

يمكننا القول أنّ الحقائق تتفق مع الواقع، لكن بالنسبة لبيرس، الذرائعي، (قضية) كهذه تعني فقط أنّ مجموعة التوقعات التجربية المرتبطة مع الحقيقة، إذا كانت قد خرجت من سؤال تحقيق طويل بشكل غير محدد إلى حقائق الأمر، سوف يجتمع. ويجب أن يتذكر أنّ المقترحات المتبادلة للرموز مع أهدافهم ومفسريهم.لا يمكن أن يكون هناك حقيقة ليست شيئا بالنسبة لشخص ما.

بالنسبة لبيرس، الحقيقة التي تخضع للوقائع ليست هي النوع الأسمى من الحقيقة، نوع أسمى تخضع له الحقائق. هذه الحقائق تكون قوانين الطبيعية.

قراءات إضافية:

Saatkamp, H. J. Jr. (ed) (1995) *Rorty and Pragmatism*, Nashville: Vanderbilt University Press. (See Especially the exchange between Susan Haack and Richard Rorty, pp. 126-53).

U

أويكسكول (Uexkull): كان جايكوب فون أويكسكول (Jakob von Uexkull) (1864، كيبلاست (keblaste) [الآن ميخلي (Mikhli)]، أستونيا (Estonia) –1944، كابري (Capri)، إيطاليا) عالماً في البيولوجيا، ومؤسساً لعلم السيمياء البيولوجي (Biosemiotics): درس علم الحيوان في جامعة تارتو (Tartu) (ثمَّ دوربات (Dorpat))، أستونيا من العام 1884 إلى العام 1889؛ بعد ذلك عمل في معهد الفيزيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) في جامعة هايدلبرغ (University of Heidelberg) في المجموعة التي كان يقودها ويلهلم كون(Wilhelm kuhne) (1837-1900)، وفي مركز علم الحيوان في نايبلز (Naples). في العام 1907 مُنِحَ شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة هايدلبرغ لدراساته في مجال علم وظائف الأعضاء أو الفيزيولوجيا العضلية والتوتر في العضلات. إحدى النتائج التي توصل إليها خلال هذه السنوات أصبحت معروفةً بقانون أويكسكول، الذي هو على الأغلب أحد أول الصياغات لمبدأ الإرجاع السلبي الذي يحدث داخل الكائن الحي. ولقد كرس عمله اللاحق لحل مسألة كيفية إدراك الكائنات الحية لمحيطها بشكل ذاتي، ولطريقة بنائها للنموذج الداخلي لعالمها، ولكيفية ارتباط هذا النموذج بتصرفاتها. أدخل كلمة أمولت (Um- welt) (1909) أي البيئة أو المحيط للدلالة على العالم الشخصي للكائن

الحي. هذا هو المفهوم الذي بالاستناد إليه، يتم الاستشهاد بأويكسكول في الأدب الحديث في أغلب الأحيان. طَوَّرَ أويكسكول طريقةً محدَّدة للدراسة التجربية للسلوك وأطلق عليها اسم «بحث أمولت» (Um-welt- Research). بين عامي 1927 و1939، كان أويكسكول مدير Insti-tut fur Umweltforschung أي معهد بحث أمولت (الذي أسسه بنفسه) في جامعة هامبرغ (Hamburg)، وكان يقضي فصول الصيف مع عائلته في بوتو بينينسولا (Puhtu peninsula) (وهو الشاطئ الغربي لأستونيا) في كوخه الصيفي، حيث كتب الكثير من أعماله (Brock 1934a, 1934b: G.v. Uexküll 1964).

كان مجال أبحاث أويكسكول هو سلوك الكائنات الحية وتفاعلها كخلايا وأعضاء في الجسم أو كأشخاص ضمن عائلات، مجموعات، ومجتمعات (T. v. Uexküll) 1987. ولقد تم الاعتراف به كأحد مؤسسي علم الفيزيولوجيا السلوكي وعلم السلوك (دراسة نمط تصرفات الحيوانات في بيئتها الطبيعية)، وكرائد في علم السَّبرانيَّات الأحيائية (علم التحكم والتواصل عند الأحياء).

كان يسترعي اهتمام أويكسكول بشكل خاص حقيقة أنّ الإشارات والمعاني هي ذات أهمية جوهرية في كل جوانب العمليات الحياتية. ويمكن تفسير مفهومه حول الدورة الوظيفية (Funktion-skreis) كنموذج عام لعمليات الإشارة (النشاط الإشاري (Semiosis)).

اعتبر أويكسكول نفسه تابعاً لعالِمَي البيولوجيا جوهانز مولير (Jo-hannes Muller) (1858-1801) وكارل إرنست فون باير (Karl Ernst von Baer) (1876–1792). ولقد استندت نظرياته الفلسفية إلى أعمال كَنْت (Kant).

كتب أويكسكول إحدى أول دراساته المتركزة على موضوع واحد يدور حول علم الأحياء النظري (1928, 1920). وتتضمن المجالات التي حقق فيها مساهمات استثنائية: الفيزيولوجيا المقارنة للّافقريات، علم النفس المقارن، وفلسفة علم الأحياء. ولقد تم الاعتراف به كمُؤسِّس للمقاربة السيميائية في علم الأحياء (1940، والترجمة في العام 1982). في حقل علم السيمياء، أصبحت أعماله معروفةً على نطاق واسع بعد إصدار منشورات

سيبيوك (Sebeok) (1979) و T. v. Uexkϋll (1987) وهو ابن أويكسكول (J. v. Uexküll)، ولقد تَبعَ ذلك إعادة نشر للأعمال السابقة ,Uexküll 1980) 1982, 1992). ومنذ العام 1993، ينظم مركز أويكسكول عمله على إرث أويكسكول في تارتو، أستونيا (KK).

قراءات إضافية:

Sebeok, T. A. (1989) *The Sign and its Masters*, Lanham, MD: University Press of America.

Uexküll, G.von (1964) *Jakob von Uexkull, seine Welt und seine Umwelt: Eine Biographie*, Hamburg: Christian Wegner Verlag.

Uexküll, T. von (1987) «The Sign Theory of Jakob von Uexküll», in M. Krampen, *et al.* (eds) *Classics of Semiotics*, New York: Plenum Press, pp. 147-79.

البيئة أو المحيط (Umwelt): هو العالم الذاتي للكائن الحي. ولقد عَرَّف هذا المفهوم كل من جايكوب فون أويكسكول (Jakob von Uexküll) (1909) وأويكسكول وكريسزات (Kriszat) (1934) اللذان مَيَّزا أيضاً بين البيئة البسيطة التي قد تحتوي فقط على عددٍ قليل من الإشارات المترابطة (مثلاً القراد، والأوليات)، والبيئة المعقدة التي تشتمل على المكان والزمان. إن البيئات التي تترافق الأشياء الخيالية، التي تتواجد عند شخصٍ ما لوحده دون أن تكون مُقَيَّدَة بتجارب، أو التي ترتبط على الأكثر بتجربة واحدة، تسمى البيئات السحرية (وهي تشمل أيضاً البيئات الموروثة جينياً).

فالبيئة الداخلية هي عبارة عن دمجٍ للعالم الحسي الإدراكي (Merk-welt) مع العالم التشغيلي (Wirk-welt) من خلال الدورة الوظيفية (Funktionskreis). وتصطدم البيئة كعالَمٍ (داخلي) للفرد بالبيئة الخارجية كعالَمٍ خارجي يكون هو نفسه بالنسبة لمختلف الكائنات. فالبيئة هي نموذج ذاتي (Model) عن العالم. وهي العالَم كما هو مُمَثَّلٌ في النظام الإشاري للكائن الحي.

وإن وصف البيئة ممكنٌ من خلال دراسة ومقارنة المعنى والأعضاء المستجيبة عند الكائنات الحية. بالإضافة إلى ذلك، فإن الدراسات

السلوكية المُقارَنَة والتجارب السلوكية يمكن أن تسلط الضوء على تصنيف الأشكال في بنية المحيط، الذي قد لا يكون من الممكن وصفه على أساس البيانات التشريحية.

وإن مفهوم البيئات في الوقت الحاضر يُسْتَخْدَم على نطاق واسع في علم الإنسان وعلم النفس المقارن (KK).

انظر أيضاً علم السيمياء البيولوجي (Biosemiotics).

قراءات إضافية:

Kull, K. (1998) «On semiosis, *Umwelt*, and semiosphere», *Semiotica* 120 (3/4): 299-310.

قواعد النحو العالمية (Universal Grammar): هي العبارة التي يستخدمها تشومسكي للتعبير عن تلك الأجزاء من كفاءتنا (Competence) في لغةٍ معينة والتي هي بطبيعتها فطرية، وتنتقل عن طريق الجينات لدينا، وتنطبق على جميع اللغات، وبالتالي لا داعيَ لأن يتعلمها الشباب الذين يكتسبون لغةً ما. ويقول تشومسكي أنه من المنطقي أن يكون هناك افتراض أولي بأن بعض جوانب اللغة هي مُشَفَّرَة وراثياً، وهي خاصة باللغة، أي ليست جوانبَ عامةً في الإدراك البشري. وهو يقترح على علماء اللغة إمكانية صياغة فرضيات محددة حول قواعد النحو الشامل عن طريق استقصاء أجزاء من قواعد النحو للغات الفردية التي يمكن أن تبدو وكأنه من المستحيل تعلمها على أساس البيانات المتوفرة للشباب. هذه الفرضيات يجب أن تكون عامةً بما فيه الكفاية لتنطبق على جميع اللغات ولكنها في نفس الوقت يجب أن تكون محددة بما يكفي لتفسر السهولة النسبية التي يكتسب بها الشباب لغتهم الأولى الخاصة.

ويرى تشومسكي القواعد العالمية للنحو كنظامٍ من المبادئ (انظر المبادئ (Principles) والقِيَم الوسيطة أو المَعْلَمات (Parameters)) التي تحد من مجموعة الفرضيات التي لا بد للشباب من القيام بتجريبها خلال عملية اكتسابهم للغةٍ ما.

بالنسبة لتشومسكي، إن إمكانية العثور على معلومات حول القواعد العالمية للنحو تجعل علم اللغة مثيراً للاهتمام. وإذا كان نهجه صحيحاً، فإنَّ دراسة علم اللغة تُمَكِّنُنا من اكتشاف أشياء أساسية عن العقل البشري (RS).

قراءات إضافية:

Salkie, R. (1990) *The Chomsky Update*, London: Unwin Hyman.

النشاط الإشاري اللامحدود (Unlimited Semiosis): إن تعريف تشارلز ساندرز بيرس «للإشارة» (Sign) (في علاقتها الثلاثية التكاملية الديناميكية بين الإشارة أو المُمَثِّل، والمُفَسِّر والشيء) يحتوي ضمناً على عملية إشارية (Semiosic) يمكن تعريفها على أنها نشاطٌ إشاريٌ (Semiosis) لا متناهٍ أو لامحدود. بالنسبة لبيرس:

الإشارة أو الممثل هي الشيء الذي يبدو لشخصٍ ما من أجل شيءٍ ما في اعتبارٍ أو صفةٍ ما. وهي تتوجه إلى شخص ما، أي تخلق في ذهن ذلك الشخص إشارةًمُعادِلة (مُساوية)، أو ربما إشارةً أكثر تطوراً. وأنا أطلق على تلك الإشارة التي تخلقها اسم المُفَسِّر (Interpretant) (CP 2.228). ومن المهم أن نذكر هنا أن مفسر الإشارة يصبح في حد ذاته إشارةً أو مفسراً وبالتالي فإننا نشرع في سلسلة من الإشارات التي يميزها «مفسرٌ يصبح بدوره إشارة، وهكذا إلى ما لا نهاية» (CP 2.303).

عرَّف بيرس أيضاً الإشارة بأنها «الشيء الذي من خلال معرفته نعرف شيئاً أكثر» (CP 8.332) وهذا يقتضي ضمناً عمليةً معرفيةً إدراكية لا نهاية لها، وهذه الأخيرة هي في تطورٍ دائم طالما أننا نتابع سلسلةً من الإشارات/ المفسرات. تبعاً لبيرس، يتم تحديد كل فعل إدراكي من خلال الأفعال الإدراكية السابقة وبما أن الإدراك هو ذو طبيعةٍ إشارية، فإنه لا بد من تفسيره في الإدراك الذي يليه وهلم جراً.

في الثمانينات، أصبحت هذه المفاهيم عن النشاط الإشاري اللامتناهي (Infinite Semiosis) والمندمجة مع مفاهيم «التناص اللامحدود»، شعبيةً جداً وخصوصاً في أوساط علماء السيمياء والروائيين. ونذكر هنا أن إيكو (Eco) في: **اسم الوردة** (*The Name of the Rose*) يؤكد كثيراً على فكرة أن «النصوص غالباً ما تتكلم عن نصوصٍ أخرى». بعض التفكيكيين (Deconstruction-ists) الراديكاليين (الذين يعتقدون باستحالة الوصول إلى فهم متكامل أو على الأقل متماسك للنص أياً كان) يذهبون إلى أبعد من ذلك ليؤكدوا بالحجة على أنه لا يوجد شيء خارج النص باستثناء الكلمات الأخرى

التي تشير إلى نصوص أخرى، وهلُمَّ جرا. وبالتالي، فإن النشاط الإشاري اللانهائي، مثل التناص، غالباً ما يرافق الصور ومجازات المكتبات، والمتاهات، والموسوعات، والجذامير (الجذمور هو ساق يشبه الجذر ينمو بشكل أفقي تحت سطح التراب وينتج البراعم الجديدة)، والروابط الممكنة لشبكة الإنترنت (Web) اللامتناهية من الناحية النظرية، وذلك من أجل توضيح السلاسل التي يحتمل أن تكون غير محدودة من التعاريف، والتفسيرات، والاقتباسات، أو التلميحات المُسْتَخْدَمَة في عملية اكتساب ونقل المعرفة (RC).

انظر أيضاً ميريل (Merrell) (في هذا الكتاب) ديريدا، المختلف الذي يضعه العقل جانباً (Difference) وما بعد البنيوية (Post-Structuralism).

قراءات إضافية:

Eco, U. (1990) «Unlimited semiosis and drift», in *The Limits of Interpretation*, Bloomington: Indiana University Press.
Merrell, F. (1995) *Peirce's Semiotics Now: A Primer*, Toronto. Canadian Scholars Press.

Peirce, C. S. (1931-1958) *Collected Papers of Charles Sanders Peirce*, vol. 1-8., eds. C. Hawthorne, P. Weiss and A. Burks, Cambridge, MA: Harvard University Press.

V

جيوفاني فايلاتي (Giovanni Vailati) (1863–1909): عالم رياضيات، وعالم منطق وفيلسوف براغماتي ذرائعي (فيلسوف دراسة استعمال اللغة). تتلمذ على يد غيوسيبي بيانو (Giuseppe Peano) وحاضر في الرياضيات والفيزياء في جامعة تورين (في عامي 1892 و1899) وفيما بعد، دَرَّسَ في مدارس رسمية متعددة. تواصل مع مفكرين مثل فرانز برنتانو (Franz Brentano) وفيكتوريا ويلبي (Victoria Welby) التي قدَّر لها أهمية دالّاتها (Significs) وطورها. سلَّم بأهمية دراسة بيرس لاستعمال اللغة براغماتية بيرس (Pragmatism) التي قدَّمها في إيطاليا. خلال فترة حياته القصيرة، مَيَّز نفسه كمفكر مُبْدِع في فلسفة اللغة، وتاريخ العلوم ونظرية المعرفة.

إن هدف عمل فايلاتي هو إظهار الغموض المُعَبِّر والأخطاء الشفوية. في مقالاته (التي تم جمعها في *Scritti* 1911 و1987)، يجذب فايلاتي اهتمامنا إلى الفوضوية اللغوية النابعة من الاستعمال الخاطئ للغة، ويقترح البحث عن «اختراعات تربوية فعالة لخلق عادةِ إدراك التباسات اللغة» (Letter to Welby of 12 July 1898 in Vailati 1971, p. 141).

في (1905) «Sull’arte dell’interrogare» يقترح فايلاتي إبدال أسئلة من نوع «ما هي»؟ – التي تنتج جملاً نمطية وتعريفات ميكانيكية

– بالأسئلة التي تنتمي إلى سلسلة «ماذا كنت ستفعل لو...» أو «من أجل أن»، التي تؤكد على الصلة بين المفاهيم أو التعريفات والتصرفات، والسياقات والتوقعات. بالنسبة لفايلاتي، مثلما هو بالنسبة لويلبي (Welby)، السؤال «ماذا يعني هذا بالنسبة لك/ لنا؟» هو أساسي ومهم، انظر .,Ponzio 1990d) .1990e)

في «I tropi della logica» (1905) يُبَيِّن فايلاتي أن الاستعارات ليست موجودة فقط في اللغة العادية، في فن الخطابة (Rhetoric)، وفي الشعر، بل هي موجودة أيضاً في المنطق والرياضيات (في عبارات مثل «يستند إلى»، «يتحدَّر من»... إلخ). في «La grammatica dell'algebra» (1908)، يقارن فايلاتي اللغة الشفوية بلغة الجبر من وجهة نظر سيميائية. وبغض النظر عن بيرس، كان فايلاتي مدركاً لأهمية الإبعاد (Abduction) في الاكتشاف والإبداع.

في إيطاليا، كانت التكملة الواضحة والقابلة للبرمجة لدراسات اللغة في الاتجاه المشار إليه من قِبَل فايلاتي هي عمل روسي- لاندي .(SP) (Rossi-Landi)

قراءات إضافية:

Petrilli, S. (1990e) «The critique of language in Vailati and Welby», in A. Ponzio, *Man as a Sign*, ed. S. Petrilli, Berlin: Mouton de Gruyter, pp. 339-47.

القيمة (Value): هي الترجمة الإنجليزية للكلمة التقنية عند سوسور valeur، التي تم تكريس فصل كامل لها في كتابه: .-*Cours de linguistique générale* يميز سوسور بين قيمة الإشارة وبين كل الخصائص الأخرى. إن قيمة الإشارة تُحَدَّدُ عبر شبكة التناقضات التي تدخل فيها مع كل الإشارات الأخرى في النظام. في حالة الإشارات اللغوية، اللغة هي بحد ذاتها «نظام من القيم الخالصة»، ما يعني أنها تضفي قيمةً على كل مكون إشاري في داخلها. هذا المفهوم يلعب دوراً أساسياً في النظرية الكاملة لبنيوية سوسور، ويفصلها عن النسخ غير المُتْقَنَة للبنائية التي أصبحت رائجةً في علم اللغويات الأميركية خلال فترات ما بين الحروب وما بعد الحروب. إن قيمة تعبيرٍ هي ليست «معناه»، بالرغم من أن هذه المعادلة، التي يرفضها سوسور بوضوح، هي أمر اعتيادي مألوف في أيامنا الحالية (RH).

الفعل (Verb): إن الكلمات التالية مثل يعتبر أو يفكر (Consider)، ينشئ (Construct)، ويمنع (Prevent) تسمى أفعالاً. يضاف إلى الأفعال فقط (-s) في حالة الغائب المفرد هي تعتبر أو تفكر(She Considers)، و-d عند تشكيل صيغة الماضي نحن أنشأنا (We Constructed) وing– لتشكيل صيغة مضارع النعت الفعلي يمنع (*Preventing*). يمكن أن تصف الظروفُ الأفعالَ: نقول مثلاً هم فكروا بحذر (They Considered Careful- ly). وعادةً ما تعبر الأفعال عن الأعمال أو الحالات (RS).

الجملة الفعلية (Verb Phrase): هي مجموعة من الكلمات التي تحتوي على فعل (Verb) وتعمل كفعل. مثال على ذلك هو الكلمات التي تأتي بعد Maxine في جملة عادةً ما كانت ماكسين تنظم مناسباتٍ خيرية (Max- ine has Often Organized Charity Events). الفعل الذي هو «أساس» الجملة الفعلية هو تنظم (Organized): الكلمات الأخرى تشير إلى زمن الفعل (*Has*)، وتعطينا فكرة عن عدد المرات التي حصل بها الفعل عادة (Often)، وكذلك عن الأمر الذي طُبِّقَ عليه فعل التنظيم (المناسبات الخيرية) (RS).

فولوسينوف (Vološinov): فالانتين نيكولافيتش فولوسينوف (Valentin Nikolaevich Vološinov) (1895-1936) تخرج في الحقوق من سينت بيترزبرغ (St Petersburg). كان شاعراً وناقداً وموسيقياً، له اهتماماته في فلسفة اللغة، والنقد الأدبي وعلم النفس. كان صديقاً ومعاوناً لميخائيل م. باختين وعضواً في «دائرته» (Cir- cle) خلال العشرينات. كتب كتابيه: **الفرويدية: تخطيط دقيق** (1927) (*Freudianism: A Critical Sketch*) و**الماركسية وفلسفة اللغة** (*Marx- ism and the Philosophy of Lan- guage*) (1929)، ومقالاته التي نشرت بين 1925 و1930، والتي كان أهمها هو **الحديث في الحياة والحديث في الفن** (*Discourse in Life and Discourse in Art*) (1926)، على الأغلب بالتعاون مع باختين.

إن نصوص فولوسينوف تشارك باختين في إدراكه لعلاقة الاختلاف (Alterity) كخاصية أساسية للكلمة. إن مشكلة العلاقة بين كلمة شخصٍ ما وكلمة شخص آخر هي نقطة التركيز الدائم والموحد في كل كتابات فولوسينوف. إذ يحلل الجزء الثالث من **الماركسية وفلسفة**

اللغة (*Marxism and the Philosophy of Language*) هذه العلاقة في أشكالها المختلفة كما تظهر في أنواع الأحاديث المختلفة (Discourse Genres) وفي اللغات الطبيعية (Natural Languages) المختلفة. لكن هذه الإشكالية تمت معالجتها أيضاً في نقده «للفلسفة الفرويدية» كما هي موجودة في مفهومه للتعبير كإظهار للداخل المستقل، بغض النظر عن المتحدث وعن القصدية المُوَجَّهة نحو المتلقي (AP).

قراءات إضافية:

Vološinov, V. N. (1987) *Freudianism: A Critical Sketch*, trans. I. R. Titunik, Bloomington: Indiana University Press. (This edition also contains «Discourse in life and discourse in art» as an appendix).

(الصوت الصائت) (Vowel):

هو صوت كلامي لا يتم فيه إغلاق مجرى التنفس بشكل كبير. هذه التسمية تُسْتَعمل أيضاً للتعبير عن (الأصوات) التي تمثل أصوات (الصائت) ولكن للأسف، ليست الأحرف الأبجدية ثابتة دائماً: كلمة ((Happy) أي سعيد) مثلاً تنتهي بصوت(صائت) في آخرها، ولكن (الصوت) (y) يُسْتَعْمَل أيضاً في كلمات أخرى مثل (Yellow أي أصفر) ليمثل صوت (صامت) في بداية الكلمة (RS).

W

ويلبي (Welby): فيكتوريا ليدي ويلبي (Victoria Lady Welby) (1837-1912) هي باحثة مستقلة، وفيلسوفة، ومُنْشِئَة الدلالات (Signif-ics)، والمؤسِّسة الأم «لعلم السيمياء». وُلِدَت ويلبي في الدوائر الإنجليزية الأرفع نُبْلاً. لم تتلقى تعليمها بالشكل التقليدي، وفي سنواتها الأولى سافرت كثيراً مع والدتها (Hardwick 1977, pp. 13-14)، ونشرت مذكرات سفرها في العام 1852. وبعد زواجها من السير وليام إيرل وويلبِين (Sir Wil-liam Earle Welbyin) في العام 1863، بدأت أبحاثها وهي على درايةٍ تامة بمقامها الاستثنائي كأنثى مثقفة ومنفتحة من العصر الفيكتوري.

أدخلت تعبيرها المُسْتَحْدَث «significs» (أو الدلالات) في نظريتها عن المعنى التي تَدْرُسُ فيها العلاقة بين الإشارات، والمعاني في كل مضامينها الدلالية المُعَبِّرَة، والقِيَم، فضلاً عن نتائجها العملية على سلوك الإنسان. في البداية، كان اهتمامها موجهاً نحو الأسئلة اللاهوتية التي كانت تؤدي إلى وعيها بمشاكل اللغة والمعنى والتفسير. في العام 1881 نشرت **روابط وقرائن** (*Links and Clues*)، التي اعتبرها الرأي الرسمي غير قويمة المُعْتَقَد في الدوائر الدينية. في هذا الكتاب كانت ويلبي تتبصَّر في أوجه القصور في الخطاب الديني الذي كانت تعتقد أنه كان يُطْرَحُ بأشكال لغوية عفا عنها الزمن. لدى تمحيصها في اللغة والمعنى، وجدت

التباساً لغوياً سائداً ينبع إلى حد كبير من سوء فهم اللغة بوصفها نظاماً من المعاني الثابتة، ويمكن حلّ هذا الالتباس فقط من خلال الاعتراف بأن اللغة يجب أن تنمو وتتغير تماماً كما هو حال التجارب الإنسانية عموماً. اقترحت نقداً للغة المجازية وأكَّدت على الحاجة إلى تطوير الوعي النقدي اللغوي بالشكل المناسب (Welby 1891, 1892, 1893, 1897, 1898). وقدمت دراسةً جادة للعلوم مُشيرةً بشكلٍ خاص إلى علم الأحياء والنظرية التطورية التي قامت بقراءتها بتمعن، مع اقتناعها بأن الاكتشافات العلمية الهامة قدمت التجارب الجديدة التي يمكن في ضوئها تحديث كل أنواع الخطاب، بما فيها الخطاب الديني، وكذلك اعتبرت أنه يمكن تحويلها إلى شيء أكثر أهميةً. تشمل إصداراتها الأساسية حول هذه الموضوعات كتابها: **ما هو المعنى؟** (*What is Meaning?* ([1903] 1983)، وعملها النظري الأكثر تعقيداً: **الدلالات واللغة** (*Significs and Language* ([1911] 1985a)، والذي هو أكثر احتكاماً للدلالات (Significs)، بالإضافة إلى مقالتيها «المعنى والمجاز» (Meaning and Metaphor) (1893)، **والحس، المعنى، والمجاز** (*Sense, Meaning and Interpretation*) (1896)، وكلا المقالتين مُدْرَجتان في مُجَلَّدِها *Significs and Language*، الذي صدر في العام 1985، مع مجموعةٍ مختارة من كتابات أخرى لها لم تكن منشورةً من قبل.

إلى جانب العديد من المقالات في الصحف والمجلات والجرائد العلمية، نشرت ويلبي قائمةً طويلة من المقالات، والأمثال والأقوال المأثورة، والكُتَيِّبات المطبوعة بصورة شخصية، والتي تناقش طائفةً واسعة من المواضيع المُوَجَّهة إلى جماهير متنوعة: العلوم والرياضيات وعلم الإنسان والفلسفة والتعليم والقضايا الاجتماعية. طوَّرَت ويلبي دراسة الدلالات، بإعلانها عن جائزة ويلبي لأفضل مقالة عن الدلالات (Significs) في مجلة **العقل** (*Mind*) (1896)، التي مُنِحَت لفرديناند تونيس (Ferdinand Tönnies) (1899-1900) في العام 1898 (انظر Welby and Tönnies 1901). اللحظات المهمة من الاعتراف الرسمي ببحوث ويلبي تمَّ تقديمها لمنشور المدخل (Significs) أو الدلالات، الذي كتبته بالمشاركة مع بالدوين وستاوت (J. Baldwin and

(G. F. Stout (1902) **لقاموس بالدوين في الفلسفة وعلم النفس** (*Dictionary of Philosophy and Psychology*) (1901-5)، وتلاه فيما بعد المدخل «Significs» في **الموسوعة البريطانية** (*Encyclopedia Britannica*)، في العام 1911 (انظر Welby 1977).

كانت ويلبي تكتب بانتظام لأكثر من 450 مراسلاً، مُطَوِّرةً بذلك شبكة رسائل واسعة طورت أفكارها من خلالها وفرضت تأثيرها على العديد من المثقفين المعروفين في زمانها،على الرغم من أن أغلب أفكارها غير معروف - كما هو الحال بالنسبة لـ: أوغدن (C. K. Ogden). ولقد قام تشارلز ساندرز بيرس بمراجعة كتابها: **ما هو المعنى؟** (*What is Meaning*?) لـ**كتاب**: **من أجل الأمة** (*For The Nation*) عام 1903 وذلك جنباً إلى جنب مع كتاب روسيل (Russell)*:* **مبادئ الرياضيات** (*Principles of Mathematics*) (انظر Peirce 1977). وهكذا بدأت المراسلات والتي استمرت حتى العام 1911، مُؤَثِّرَةً بذلك على مَحَط التركيز في بحثه خلال العقد الأخير من حياته؛ وفي الحقيقة نجد بعض أفضل طروحاته السيميائية في رسائله إلى ويلبي (انظر Fisch 1986a; Hardwick 1977). ولقد قامت ابنتها السيدة هنري كاست (Henry Cust) (نينا) (Nina) بتحرير ونشر قسمٍ من رسائلها، (انظر (Welby 1929 and 1931))، بما في ذلك الرسائل التي تبادلتها مع روسيل (B. Russell)، وأوغدن (C. K. Ogden)، **وبالدوين** (J. M. Baldwin)، وسبنسر (H. Spencer)]، وهاكسلي (T. A. Huxely)، ومولير (M. Müller)، وجوويت (B. Jowett)، وبولوك (F. Pollock)، وستاوت (G. F. Stout)، وويلز (H. G. Wells)، وبول (M. E. Boole)، وجيمس (H. and W. James)، وبيرغسون (H. L. Bergson)، وبرييال (M. Bréal)، ولالاند (A. Lalande)، وبوانكاري (J.-H. Poincaré)، وتونيس (F. Tönnies)، وكارناب (R. Carnap)، ونيوراث (O. Neurath)، وهوفدينغ (H. Höffding)، وفان إيدن (F. van Eeden)، وفايلاتي (G. Vailati) ومع الكثيرين غيرهم. نشأت حركة الدلالات (Signific Movement) في هولندا من بحوث ويلبي وذلك عبر وساطة فريدريك فان إيدن (Frederik van Eeden) (1869–1932) (انظر Schimtz 1990b; Heijerman and Schimtz 1991). ويمكن العثور على نتائج أبحاثها، بما في ذلك

العديد من كتاباتها غير المنشورة، في مجموعة ويلبي (Welby Collection) في محفوظات جامعة يورك (York University) في تورونتو وفي مكتبة السيدة ويلبي (Lady Welby Library) في جامعة مكتبة لندن (University of London Library) (انظر Schimtz 1985, Petrilli 1998a) (SP).

قراءات إضافية:

Hardwick, C. (1977) *Semiotic and Significs: TheCorrespondence between Charles S. Peirce and Victoria Lady Welby*, Bloomington and London: Indiana University Press.

Welby, V. (1983) *What is Meaning?* , ed. A. Eschbach , Introduced by G. Mannoury, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins (originally 1903).

Welby, V. (1985) *Significs and Language*. (*The Articulate Form of our Expressive and Interpretative Resources*), with additional essays, ed. and introduced H. W. Schimtz, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

وورف (Whorf): كان بنجامين لي وورف (Benjamin Lee Whorf) (1897-1941) عالماً في اللغة والأنثروبولوجيا. بعد أن تَدَرَّب كمهندس كيميائي، عمل وورف لسنواتٍ عدة في تجارة التأمين. قاده اهتمامه العميق باللغة إلى دراسة علم اللغة على يد إدوارد سابير (Edward Sapir)، ونالت منشوراته إعجاب الكثير من القراء. وقد تم إعادة نشر أعماله مثل: **اللغة، الفكر، والحقيقة** (*Language, Thought and Reality*) (1956) (أي) بعد وفاته.

أكثر ما يُعْرَف عن وورف هو رؤيته التي يعتقد فيها بأن اللغة التي تتكلم بها تؤثر على الطريقة التي تفكر بها وهي نظرةٌ معروفة بفرضية النسبية اللغوية أو «فرضية وورف» (WhorfHypothesis). وبما أن آراء سابير كانت مماثلة لآرائه، فإن هذه الفرضية كانت تُسَمَّى أحياناً فرضية سابير–وورف (Sapir-Whorf Hypothesis). ولقد صُدِمَ وورف بالتباينات الهائلة بين اللغات الأميركية المحلية كلغة الهوبي (Hopi) واللغات الأوروبية. كما أنه قام بنشر العديد من الأبحاث التي يفسر فيها كيف أن رؤية العالم والأفكار المُعَبَّر عنها في كل لغة تحدد الطريقة التي يدرك المتكلمون بها ويفهمون العالم المحيط بهم.

هذه الصيغة «القوية» لفرضية وورف لا تبدو قابلةً للتعليل. ولو أنها كانت صحيحة لكانت الترجمة (Translation) بين اللغات أمراً مستحيلاً في أغلب الأحيان. ومع أن الترجمة قد تبدو بالتأكيد صعبة في بعض الحالات، فإنها ممكنة في أغلب الأحيان. وهذا ما يضعف مصداقية هذه الفرضية التي تؤكد على أن تأثير اللغة على الفكر هو أقل انتشاراً.

وعلى الأرجح، يصح القول أن سمعة وورف هي اليوم ذات مكانة أرفع خارج نطاق علم اللغويات مما هي عليه داخله. وللاطلاع على المزيد من التقييمات الإيجابية انظر Gumperz and Levinson 1996.

قراءات إضافية:

Gumperz, J. and S. Levinson (eds) (1996) *Rethinking Linguistic Relativity*, Cambridge, Cambridge University Press.

وليام أوف أوكهام (William of Ockham): جنباً إلى جنب مع سكوتس قَبْلَهُ وبوانسو (Poinsot) بَعْدَهُ، ولو لم يكن ذلك بنفس القدر من الاستحقاق، يعتبر أوكهام (c. 1285-1349)وجهاً معروفاً في العصر اللاتيني الأخير (Deely 1994b). ولقد برزت أهميته في تطبيق تسمية «الإشارة الطبيعية» (Natural Sign) على المفاهيم (Ockham 1323; McCord Adams 1978). ولقد قام أتباعه، بدءاً من بيار دايلي (Pierre d'Ailly (a.1396)، الذي ألهمته هذه التسمية المحيرة في الواقع (Gilson 1955, p. 491)، بالتمييز إلى حدٍّ أبعد من ذلك بين المفاهيم كـ: «إشارات شكلية» (Formal Signs) والأشياء كـ: «إشارات مساعِدَة» (Meier-Oeser 1997, pp. 114, 119). شكلت هذه المصطلحات الجديدة نقطة تحول (Deely 2000, ch. 8) وذلك من خلال تعريف الإشارات على أنها تحتوي أساساً على علاقات أو على أنها بحد ذاتها علاقات وبالتحديد بالمعنى الذي نفاه أوكهام جهاراً، ونعني بذلك أنها ذاتية جداً في طبيعتها بغض النظر عن الفكر الإنساني (وهي أصبحت تُعْرَفُ بعد بويثيوس (Boethius)، الأكويني (Aquinas)، وبوانسو (Poinsot) بالعلاقة المُدْرَكَة المنطقية). أوكهام بنفسه يؤكد على: «نمطٍ واحدٍ للوجود، وجود لشيء أو حقيقة فردية، وجود يتألف من شيء يحشد لنفسه مكاناً ما في الكون، وإذا جاز التعبير» (Peirce

(1903: CP 1.17– هذا النمط هو بكلمة واحدة الذاتية. هذا المبدأ، الذي يُدْعى «الاسمية» (Nominalism)، كان بيرس يعتبره (مثلاً في c.1902; CP 2.167 ff.) مُتَعارضاً مع العلوم ومع مبدأ الإشارات على حدٍّ سواء. وعلى الرغم من حداثة ما توقَّعَه، بقي أوكهام مُهْمَلاً من بين اللاتينيين من قبل توقعات ما بعد الحداثة لسكوتس (Scotus) وبوانسو (Poinsot) (JD).

قراءات إضافية:

Maurer, A. (1999) *The Philosophy of William of Ockham in the Light of Its Principles*. Toronto: Pontifical Institute of Mediaeval Studies.

فيتغنشتاين لودويغ جوزيف جوهان فيتغنشتاين (Wittegenstein Ludwig Josef Johann Wittegenstein) (1951-1889): وُلِدَ في عائلة نمساوية غنية وموهوبة. أمضى معظم حياته المهنية في إنجلترا في تدريس الفلسفة في جامعة كامبردج. وإن كتابه *The Tractatus Logico-Philosophicus* (1922) هو العمل المنتشر الوحيد الذي نُشِرَ في حياته. أما كتابه: **التحقيقات الفلسفية** (*Philosophical Investigations*) فقد ظهر بعد وفاته سنة 1953. وكان لفيتغنشتاين تأثير ضخم على الفلسفة الأنجلو–أميركية وهو قوةٌ حية في الدراسات الدولية حول اللغة اللفظية الكلامية والإشارات.

بدأ فيتغنشتاين عمله حول عمليات إنتاج اللغة–الفكر وحول العمليات السيميائية–الإدراكية في عمله *Tractatus*. ولكنه لاحقاً ترك هذا الجانب من بحثه في كتابه: *Philosophical Investigations* ورَكَّز اهتمامَه على المعنى كاستخدام وعلى الاصطلاحات اللغوية)الألعاب اللغوية(. وإن الأهمية المنسوبة للدور (Turn) والتي استُثْمِرَت من قِبَل كتابه *Philosophical Investigations* وخاصةً من قِبَل الفلاسفة التحليليين، يجب ألا تؤدي إلى إغفال أهمية كتابه الـ: *Tractatus*، ولا سيما فيما يخص الجانب الأيقوني (التمثيلي الصوري) للغة. (cf. Ponzio, "Segno e raffigurazione in Wittgenstein", in Ponzio1997b, pp. 309-313). في الواقع يُمَيِّزفيتغنشتاين في كتابه *Tractatus*، بين الأسماء والافتراضات (Propositions): فالعلاقة بين الأسماء أو «الإشارات البسيطة» المستعملة في الافتراض ومواضيعه أو معانيه،

هي من النوع التقليدي. والعلاقة بين الافتراضات الكلية أو الإشارات الافتراضية وبين ما تعنيه هي علاقة تشابه. وإن الافتراض هو صورة منطقية (cf. CP 4.022 and 4.026). إذ بقدر ما تكون الافتراضات اصطلاحية – رمزية أيضاً، بقدر ما تستند أساساً على علاقة التمثيل أي على العلاقة الأيقونية الصورية؛ وعلى غرار «الرسوم البيانية الوجودية» لبيرس، هذه العلاقة هي من النوع النسبي الهيكلي (AP).

قراءات إضافية:

Wittgenstein, L. (1953) *Philosophical Investigations*, Oxford: Blackwell.



Z

دراسة التواصل الحيواني (Zoosemiotics): انظر أيضاً علم الإشارة البيولوجي (Biosemiotics) (أي دراسة إنتاج، عمل، وتفسير الإشارات والرموز في العالم البيولوجي).



المراجع

D'Ailly, P. (a. 1396 [1980]) *Destructiones Modorum Significandi (secundum viam nominalium), nach lnkunabelausgaben in einer vorlaufigen Fassung neu zusammengestellt und mit Anmerkungen versehen von Ludger Kaczmarek*, Munster: Munsteraner Arbeitskreis für Semiotik.

Aitchison, J. (2001) *Language Change: Progress or Decay?* 3rd edn, Cambridge: Cambridge University Press.

Aitchison, J. (1995) «Language contact and models of change», in J. Fisiak (ed.) *Linguistic Change Under Contact Conditions*, Berlin and New York: Mouton de Gruyter.

Aitchison, J. (1996) *The Seeds of Speech: Language Origin and Evolution*, Cambridge: Cambridge University Press.

Alford, H. (1864) *A Plea for the Queen's English*, 2nd edn, London: Strahan.

Almeder, R. (1980) *The Philosophy of Charles S. Peirce: A Critical Introduction*, Totowa, NJ: Rowman and Littlefield.

Anderson, M. and Merrell, F. (eds) (1991) *On Semiotic Modeling*, Berlin and New York: Mouton de Gruyter.

Aquinas, T. ([c.1266-1273] 1982) «Summa theologiae», in R. Busa (ed.) S. *Thomae Aquinatis Opera Omnia ut sunt in indice thomistico*, Stuttgart-Bad Cannstatt: Frommann-Holzboog, vol. 2, pp. 184-926.

Araújo, F. de (1617) *Commentariorum in universam Aristotelis Metaphysicam tomus primus*, Burgos and Salamanca: J. B. Varesius.

Armstrong, D. (1999) *Original Signs: Gesture, Signs, and the Sourc-*

es of Language, Washington, DC: Gallaudet University Press.

Armstrong D., Stokoe, W. and Wilcox, S. (1995) *Gesture andthe Nature of Language*, Cambridge: Cambridge University Press.

Armstrong, D. M. (1978) *Universals and Scientific Realism*, 2 vols, Cambridge: Cambridge University Press.

Ashby, W. (1981) «The loss of the negative particle *ne* in French: a syntactic change in progress», *Language* 57: 674-687.

Asher, R. E. (ed.) (1994) *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, Oxford: Pergamon.

Atkinson, M. and Heritage, J. (eds) (1984) *Structures of Social Action: Studies in Conversation Analysis*, Cambridge: Cambridge University Press.

Atkinson, P. (1985) *Language, Structuralism and Reproduction: An Introduction to the Sociology of Basil Bernstein*, London: Methuen.

Auer, P. and Di Luzio, A. (eds) (1992) *The Contextualization of Language*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Austin, J. L. (1957) «A plea for excuses», *Proceedings of the Aristotelian Society* LVII (new series), pp. 1-30.

Austin, J. L. (1962) *How to Do Things with Words*, ed. J. O. Urmson. Oxford: Oxford University Press. (2nd rev. edn, 1975, eds. J. O Urmson and M. Sbisà, Cambridge, MA: Harvard University Press).

Averincev, S. S. (1971) «Simbolo» («Sinvol», in *Kratkaja literaturnaja enciclopedija*, vol. VII, Moscow 1971), It. trans in A. Ponzio and P. Jachia (eds) *Bachtin e. . .* , Bari and Rome: Laterza, 1993.

Ayer, A. J. (1946) *Language, Truth and Logic*, rev. edn, New York: Oxford University Press.

Bach, E. and Harms, R. T. (eds) (1968) *Universals in Linguistic Theory*, New York: Holt, Rinehart and Winston.

Bakhtin, M. M. (1929) *Problemi dell' opera di Dostoevskij*, It. trans. M. De Michiel, intro. A. Ponzio, Bari: Edizioni dal Sud, 1997.

Bakhtin, M. M. (1963) *Problems of Dostoevsky's Poetics*, trans. C. Emerson Minneapolis: University of Minnesota Press, 1984.

Bakhtin, M. M. (1965) *Rabelais and His World*, trans. H. Iswolsky, Bloomington: Indiana University Press, 1984.

Bakhtin, M. M. (1974) «Toward a methodology for the human sci-

ences», in M. Bakhtin, *Speech Genres and Other Late Essays*, Austin, TX: University of Texas Press, 1986, pp.159-172.

Bakhtin, M. M. (1975) *Estetica e ramanzo. Un contributo fondamentale alla scienza della letteratura*, ed. C. Strada Janovic, Turin: Einaudi, 1979.

Bakhtin, M. M. (1979) *L'autore e l'eroe. Teoria letteraria e scienze umane*, ed. C. Strada Janovic, Turin: Einaudi, 1988.

Bakhtin, M. M. (1981) *The Dialogic Imagination: Four Essays*, ed. M. Holquist, trans. C. Emerson and M. Holquist, Austin, TX: University of Texas Press.

Bakhtin, M. M. (1986) *Speech Genres and Other Late Essays*, trans. V. McGee, ed. C. Emerson and M. Holquist, Austin, TX: University of Texas Press.

Bakhtin, M. M. (1990) *Art and Answerability. Early Philosophical Essays*, ed. M. Holquist and V. Liapunov, trans. and notes V. Liapunov, suppl. trans. K. Brostrom, Austin, TX: University of Texas Press.

Bakhtin, M. M. (1998) *La scrittura e l'umano*. Saggi, dialoghi, conversazioni, M. De Michiel and A. Ponzio eds, Bari: Edizioni dal Sud.

Bakhtin, M. M. and Medvedev, P. N. (1928) *The Formal Method in Literary Scholarship*, trans. A. J. Werle, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1985.

Barlow, J. P. (1996) «A Cyberspace Independence Declaration».URL is http://www.eff.org/Publications/John_Perry _Barlow/barlow _0296.declaration.

Barnet, V. (1972) «Learning the spoken language», in V. Fried (ed.) *The Prague School of Linguistics and Language Teaching*, Oxford: Oxford University Press, pp. 29-42.

Barnett, D. (1987) *The Art of Gesture: The Practices and Principles of 18th Century Acting*, Heidelberg: Carl Winter.

Barthes, R. ([1947] 1953) Le Degré zéro de l'écriture, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1963) *Sur Racine*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1964a) «La rhétorique de l'image», *Communications*, Paaris. Published in English as «The Rhetoric of the Image», in *Image-Music-Text*, ed. and trans. S. Heath, London: Fontana, 1977.

Barthes, R. (1964b) *Éléments de sémiologie*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1964c) *Essais critiques*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1966a) *Critique et Vérité*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1966b) «L'introduction à l'analyse structurale des récits», *Communications* 8, pp. 1-27.

Barthes, R. (1967a) *Elements of Semiology*, trans. R. Howard, London: Cape.

Barthes, R. (1967b) *Système de la mode*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1970a) *S/Z*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1970b) *L'Empire de Signes*, Geneva: Skira.

Barthes, R. (1971) *Sade, Fourier, Loyola*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1973a) «Myth today», in *Mythologies*, trans. A. Lavers, London: Paladin.

Barthes, R. (1973b) *Le Plaisir du texte*, Paris: Seuil.

Barthes, R. ([1957] 1973c) *Mythologies*, trans. A. Lavers, London: Paladin.

Barthes, R. (1975) *Roland Barthes*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1977a) «The death of the author», in *Image-Music Text*, trans. and ed. S. Heath, London: Collins.

Barthes, R. (1977b) *Image-Music-Text*, trans. S. Heath, London: Collins.

Barthes, R. (1977c) *Fragments d'un discours amoureaux*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1977d) *Leçon*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1980) *La Chambre claire*, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1982) *L'Obvie et l'obtus*. *Essais critiques III*, Paris: Editions du Seuil.

Barthes, R. (1993_1995) *Œuvres complètes*, ed. E. Marty, Paris: Seuil.

Barthes, R. (1998) *Scritti. Società, testo, comunicazione*, ed. G. Marrone, Turin: Einaudi.

Battison, R. (1978) *Lexical Borrowing in American Sign Language*, Burtonsville, MD: Linstok Press.

Baudrillard, J. (1975) *The Mirror of Production*, trans. MPoster, St. Louis: Telos.

Baudrillard, J. (1981) *For a Critique of the Political Economy of the Sign*, trans. C. Levin, St. Louis: Telos.

Baudrillard, J. (1983a) *Simulations*, New York: Semiotext(e).

Baudrillard, J. (1983b) In the Shadow of the Silent Majorities, trans. P. Foss, J. Johnston, and P. Patton, New York: Semiotext(e).

Baudrillard, J. (1988) *The Ecstasy of Communication*, trans. B. Schutze and C. Schutze, New York: Semiotext(e).

Baudrillard, J. (1995) *Simulacra and Simulation*, trans. S. F. Glaser, Ann Arbor, MI: University of Michigan Press.

Beaken, M. (1996) *The Making of Language*, Edinburg: Edinburgh University Press.

Beaugrande, R. de (1994) «Text Linguistics», in R. E. Asher, *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, Oxford: Pergamon, pp. 4573-8.

Bell, A. (1991) *The Language of News Media*, Oxford: Blackwell.

Benveniste, E. (1971) Problems in General Linguistics, trans. M. E. Meek, Coral Gables: University of Miami Press.

Bernstein, B. (1962) «Linguistic codes, hesitation phenomena and intelligence», *Language and Speech* 5: 221-40. Reprinted in B. Bernstein, (1971) *Class, Codes and Control Vol 1: Theoretical Studies Towards a Sociology of Language*, London: Routledge and Kegan Paul.

Bernstein, B. (1971) «Introduction», in Class, Codes and Control Vol 1: Theoretical Studies Towards a Sociology of Language, London: Routledge and Kegan Paul.

Bickerton, D. (1981) Roots of Language, Ann Arbor, MI: Karoma.

Bickerton, D. (1995) *Language and Human Behavior*, Seattle: University of Washington Press.

Billig, M. (1990) «Stacking the cards of ideology: the history of the Sun Royal Album», *Discourse and Society* 1 (1): 17-37.

Billig, M. (1991) *Ideologies and Beliefs*, London: Sage.

Billig, M. et al. (1988) *Ideological Dilemmas*, London: Sage.

Bloch, B. (1948) «A set of postulates for phonemic analysis,» *Language* 24 (1): 3-46.

Blommaert, J. and Verschueren, J. (1998) *Debating Diversity: Analysing the Discourse of Tolerance*, London: Routledge.

Bloomfield, L. (1935) *Languag*e, London: Allen and Unwin.

Boas, F. ([1911] 1963) *The Mind of Primitive Man*. rev. edn, New York: Collier.

Boden, D. and Zimmerman, D. H. (eds) (1991) *Talk and Social Structure: Studies in Ethnomethodology and Conversation Analysis*, Oxford: Polity Press.

Bonfantini, M. A. (1987) *La semiosi e l'abduzione*, Milan: Bompiani.

Bonfantini, M. A. and Ponzio, A. (1986) *Dialogo sui dialoghi*, Ravenna: Longo.

Bonfantini, M. A. et al. (1996) *I tre dialoghi della menzogna e della verità*, Naples: Edizioni Scientifiche Italiane.

Bouissac, P. et al. (eds) (1986) *Iconicity: Essays on the Nature of Culture*. Festchrift for Thomas A. Sebeok on his 65th birthday, Tübingen: Stauffenburg.

Bourdieu, P. (1991) *Language and Symbolic Power*, Cambridge: Polity Press.

Bourdieu, P. (1999) «Language and symbolic power», in A. Jaworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 502-13. [Originally published as part of Bourdieu 1991].

Braine, M. D. W. (1963) «Grammatical structure in the speech of two-year olds», *Proceedings of the Washington Linguistics Club* 1.1 (Fall): 7-16.

Brantlinger, P. (1990) *Crusoe's Footprints: Cultural Studies in Britain and America,* London: Routledge.

Bréal, M. (1897) *Essais de sémantique: Science des significations*, Paris: Hachette.

Bremmer, J. and Roodenberg, H. (eds) (1992) *A Cultural History of Gesture*, Ithaca: Cornell University Press.

Brent, J. (1998) *Charles Sanders Peirce: A Life*, 2nd edn, Bloomington: Indiana University Press.

Briggs, C. L. and Bauman, R. (1992) «Genre, intertextuality, and social power», *Journal of Linguistic Anthropology* 2: 131-72.

British Council (1995) *English in the World: The English 2000 Global Consultation*. Manchester: British Council.

Brock, F. (1934a) «Jakob Johann Baron von Uexküll: Zn seinem 70. Geburtstage am 8. September 1934», *Sudhoffs Archiv für Geschichte der Medizin und der Naturwissenschaflen* 27: 193-203.

Brock, F. (1934b) «Verzeichnis der Schriften Jakob Johann von Uexkülls und der aus dem Institut für Urnweltforschung zu Hamburg hervorgegangenen Arbeiten», *Sudhoffs Archiv für Geschichte der Medizin und der Naturwissenschaften* 27: 204-12.

Brøndal, V. (1932) *Morfologi og Syntax*, Copenhagen: BiancoLuno.

Brøndal, V. (1943) *Essais de linguistique générale*, Copenhagen: Munksgaard.

Brøndal, V. ([1928] 1948) *Les parties du discours*, Copenhagen: Munksgaard.

Brøndal, V. ([1940] 1950) *Théorie des prépositions*, Copenhagen: Munksgaard.

Brown, P. and Levinson, S. C. (1987) Politeness: *Some Universals in Language Usage*, Cambridge: Cambridge University Press.

Bühler, K. (1990) *Theory of Language: The Representational Function of Language*, trans. D. Fraser Goodwin, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Bull, T. (1996) «Spørsmål og svar i språk-og-kjønn-forskinga», in T. Bull et al., *Sprog og Køn –Oplæg fra et seminar på RUC 30.5.1994* (Skrifter fra Dansk og Public Relations), Roskilde: University of Roskilde.

Bullowa, M. (1977) «From performative act to performative utterance: an ethogical perspective», *Sign Language Studie*s 16: 193-218.

Cairns-Smith, A. G. (1996) Evolving the Mind, Cambridge: Cambridge University Press.

Cameron, D. (1995) *Verbal Hygiene*, London: Routledge.

Cameron, D. (1999) «Performing gender identity: young men’s talk and the construction of heterosexual identity», in A. Jaworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 442-458.

Cameron, D. et al. (1999) «Power/ knowledge: the politics of social science», in A. Jaworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 141-157.

Candlin, C. N. (1997) «General editor’s preface», in B-L. Gunnarsson, P. Linell and B. Nordberg (eds) *The Construction of Professional Discourse*, London: Longman, pp. xii-xiv.

Caplan, D. (1992) «Neural structures», in W. Bright (ed.) *International Encyclopedia of Linguistics*, vol. 3, Oxford: Oxford University Press, pp. 79-84.

Caramazza, A. and Miozzo, M. (1997) «The relation between syntactic and phonological knowledge in lexical access: evidence from the «tip-of-the-tongue» phenomenon» Cognition 64: 309-43.

Carroll, J. B. (ed.) (1956) *Language, Thought, and Reality: Selected Writings of Benjamin Lee Whorf*, Cambridge, MA: MIT Press.

Chambers, I. (1986) *Popular Culture: The Metropolitan Experience*, London: Methuen.

Cheney, D. and Seyfarth, R. (1990) *How Monkeys See the World*, Chicago: University of Chicago Press.

Cheshire, J. (1982) *Variation in an English Dialect*. Cambridge: Cambridge University Press.

Chierchia, G. and McConnell-Ginet, S. (1990) *Meaning and Grammar: An Introduction to Semantics*, Cambridge, MA: MIT Press.

Chomsky, N. (1957) *Syntactic Structures*, The Hague: Mouton.

Chomsky, N. (1959) «Review of Skinner 1957», *Language* 35: 26-58.

Chomsky, N. (1964a) *Current Issues in Linguistic Theory*, The Hague: Mouton. Also in J. Fodor and J. J. Katz (eds) *The Structure of Language*: *Readings in the Philosophy of Language*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, pp. 50-118.

Chomsky, N. (1964b) «Review of B. F. Skinner, «Verbal Behaviour»», in J. Fodor and J. J. Katz (eds) *The Structure of Language: Readings in the Philosophy of Language*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, pp. 547-578.

Chomsky, N. (1965) *Aspects of the Theory of Syntax*, Cambridge, MA: MIT Press.

Chomsky, N. (1972) *Language and Mind*, New York: HarcourtBrace and World.

Chomsky, N. (1980) *Rules and Representations*, Oxford: Basil Blackwell.

Chomsky, N. (1981) *Lectures on Government and Binding*, Amsterdam: Foris.

Chomsky, N. (1988) *Language and Problems of Knowledge*, Cambridge, MA: MIT Press.

Chomsky, N. (1995) *The Minimalist Program*, Cambridge, MA:MIT

Press.

Chomsky, N. (1996) *Powers and Prospects*, London: Pluto Press.

Chomsky, N. and Miller, G. A. (1963) «Introduction to the formal analysis of natural languages», in *Handbook of Mathematical Psychology*, vol. II, ed. R. D. Luce et al., New York: Wiley, pp. 269-322.

Chouliaraki, L. and Fairclough, N. (1999) *Discourse in Late Modernity: Rethinking Critical Discourse Analysis*, Edinburgh: Edinburgh University Press.

Clahsen, H. and Almazan, M. (1998) «Syntax and morphology in Williams syndrome», *Cognition* 68: 167-198.

Clark, H. H. (1996) *Using Language*, Oxford: Oxford University Press.

Clark, K. and Holquist, M. (1984) *Mikhail Bakhtin*, Cambridge, MA: Belknap Press.

Coates, J. (1989) «Gossip revisited: language in all-female groups», in J. Coates and D. Cameron (eds) *Women in their Speech Communities*, London: Longman, pp. 94-121.

Coates, J. (1996) *Women Talk: Conversations between Women Friends*, Oxford: Blackwell.

Colapietro, V. (1989) *Peirce's Approach to the Self*, Albany,NY: State University of New York Press.

Collins English Dictionary (1994) Third updated edition, Glasgow: HarperCollins.

Cook, G. (1992) *The discourse of advertising*, London: Routledge.

Corballis, M. C. (1999) «The gestural origins of language,» *American Scientist* 87 (2): 8-16.

Cottingham, J. (1988) *The Rationalists* (A History of Western Philosophy, vol. 4), Oxford: Oxford University Press.

Coulmas, F. (ed.) (1997) *The Handbook of Sociolinguistics*, Oxford: Blackwell.

Coupland, J. (ed.) (2000) *Small Talk*, London: Longman.

Coupland, J. and Coupland, N. (2000) «Selling control: Ideological dilemmas of sun, tanning, risk and leisure», in S. Allan et al. (eds) *Communication, Risk and the Environment*, London: UCL Press.

Coupland, J. et al. (1991) «Intergenerational discourse: contextual versions of ageing and elderliness», *Ageing and Society* 11: 189-208.

Coupland, N. (2000) «Other representation», in J. Verschueren (ed.) *Handbook of Pragmatics*, Amsterdam and Philadephia: John Benjamins.

Coupland, N. and Nussbaum, J. F. (eds) (1993) *Discourse and Lifespan Identity*, Newbury Park, CA: Sage.

Coward, R. and Ellis, J. (1977) *Language and Materialism: Developments in Semiology and the Theory of the Subject*, London: Routledge and Kegan Paul.

Crick, F, (1994) *The Astonishing Hypothesis: The Scientific Search for the Soul*, New York: Charles Scribners and Sons.

Crisell, A. (1986) *Understanding Radio*, London: Methuen.

Croft, W. (1994) «Universals, Linguistic», in R. E. Asher, *The Encyclopedia of Language and Linguistics* Oxford, Pergamon, pp. 4850-2.

Crystal, D. (1985) *Linguistics*, 2nd edn, Harmondsworth: Penguin.

Culicover, P. (1997) *Principles and Parameters*, Oxford: Oxford University Press.

Curtiss, S. (1977) Genie: *A Linguistic Study of a Modern-day* «Wild Child», New York: Academic Press.

Darwin, C. (1872) *The Expression of the Emotions in Man and Animals*, London: John Murray.

Darwin, C. ([1872] 1998) *The Expression of the Emotions in Man and Animals*, Intro., Afterword and Commentaries P. Ekman, New York: Oxford University Press.

Deacon, D., Fenton N. and Bryman, A. (1999) «From inception to reception: the natural history of a news item», *Media, Culture and Society* 21.

Deacon, T. (1996) *The Symbolic Species*, New York: Norton.

Deely, J. (1985) «Editorial afterword», to J. Poinsot (1632) *Tractatus de Signis: The Semiotic of John Poinsot.* Berkeley, CA: University of California Press, pp. 395-514.

Deely, J. (1994a) *New Beginnings: Early Modern Philosophy and Postmodern Thought*, Toronto: University of Toronto Press.

Deely, J. (1994b) «What happened to philosophy between Aquinas

and Descartes?», *The Thomist* 58 (4): 543-568.

Deely, J. (1994c) *The Human Use of Signs, or Elements of Anthroposemiosis*, Lanham, MD: Rowman and Littlefield.

Deely, J. (2001) *Four Ages of Understanding: The First Postmodern Survey of Philosophy from Ancient Times to the Turn of the Twenty-first Century*, Toronto: University of Toronto Press.

Deely J. and Petrilli, S. (eds) (1993) *Semiotics in the United States and Beyond: Problems, People, and Perspectives*, *Semiotica* 97 (3/ 4).

de George, R. and de George, F. (eds) (1972) *The Structuralists: From Marx to Lévi- Strauss*, New York: Doubleday and Co.

De Josseling de Jong, J. P. B. (ed.) (1952) *Lévi-Strauss's Theory on Kinship and Marriage*, *Mededelingen van het Rijksmusem voor Volkenkunde* 10, Leiden: Brill.

Deledalle, G. (1987) *Charles S. Peirce: Phénomenologue et sémioticien*, Amsterdam: John Benjamins; trans. Charles S. Peirce: An Intellectual *Biography*, trans. and intro. S. Petrilli, Amsterdam: John Benjamins, 1990.

Deltcheva, R. and Vlasov, E. (1996) «Lotman's Culture and Explosion: a shift in the paradigm of the semiotics of culture», *Slavic and East European Journal* 1 (40): 148-52.

de Mauro, T. (1972) *Édition critique du «Cours de linguistique générale»* de F. de Saussure, Paris: Payot.

Denison, D. (1993) *English Historical Syntax*, London: Longman.

Dennett, D. C. (1991) *Consciousness Explained*, New York: Little, Brown.

Derrida, J. ([1967] 1976) *Of Grammatology*, trans. G. C. Spivak, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press.

Derrida, J. (1977) «Limited Inc abc...», trans. S. Weber, *Glyph 2*: 164-254.

Derrida, J. (1981) *Positions*, trans. A. Bass, Chicago: University of Chicago Press.

Derrida, J. (1982) «Signature, event, context», in *Margins of Philosophy*, trans. A. Bass, Chicago: University of Chicago Press.

Dewey, J. (1938) *Logic, the Theory of Inquiry*, New York: Henry Holt.

Dik, S. C. (1994) «Functional grammar», in Asher, R. E. *The Ency-*

clopedia of Language and Linguistics, Oxford: Pergamon, pp. 1318-1323.

Discourse and Society (1999) «Debate: critical discourse analysis and conversation analysis: an exchange between Michael Billig and Emanuel A. Schegloff», *Discourse and Society* 10 (4): 543-82.

Donald, M. (1991) *Origins of the Modern Mind: Three Stages in the Evolution of Culture and Cognition*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Dorian, N. (1981) *Language Death: The Life Cycle of a Scottish Gaelic Dialect*, Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press.

Douglas, M. T. (1966) *Purity and Danger: An Analysis of Concepts of Pollution and Taboo*, London: Routledge.

Douglas, M. T. (1970) *Natural Symbols: Explorations in Cosmology*, New York: Pantheon Books.

Douglas, M. T. and Isherwood, B. (1979) *The World of Goods: An Anthropological Theory of Consumption*, New York: Basic Books.

Douglas, M. T. and Wildavsky, A. (1982) *Risk and Culture*, Berkeley, CA: University of California Press.

Drew, P. and Heritage, J. (eds) (1992) *Talk at Work: Interaction in Institutional Settings*, Cambridge: Cambridge University Press.

Dummett, M. (1978) *Truth and Other Enigmas*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Duranti, A. and Goodwin, C. (eds) (1992) *Rethinking Context*, Cambridge: Cambridge University Press.

Easthope, A. (1988) *British Post-structuralism Since 1968*, London: Routledge.

Eckert, P. (1989) *Jocks and Burnouts: Social Categories and Identity in the High School*, New York: Teachers College Press.

Eco, U. (1973) «Social life as a sign system», in C. Norris (ed.) *Structuralism: An Introduction*, Oxford: Oxford University Press.

Eco, U. (1975) *Trattato di semiotica generale*, Milan: Bompiani.

Eco, U. (1976) *A Theory of Semiotics*, Bloomington: Indiana University Press.

Eco, U. (1979a) *The Role of the Reader: Explorations in the Semiot-*

ics of Texts, Bloomington: Indiana University Press.

Eco, U. (1979b) *A Semiotic Landscape*, The Hague: Mouton.

Eco, U. (1984) *Semiotics and the Philosophy of Language*, Bloomington: Indiana University Press.

Eco, U. (1989) *The Open Work*, trans. A. Cancogni, Cambridge, MA: Harvard University Press (abridged translation of *Opera Aperta*, Milano: Bompiani, 1962).

Eco, U. (1990) *The Limits of Interpretation*, Bloomington: Indiana University Press.

Eco, U. (1997) *The Search for the Perfect Language*, London: Fontana.

Eco, U. (1997) *Kant e l'ornitorinco*, Milano: Bompiani. English trans. *Kant and the Platypus*, (1999).

Eco, U. (2000) *Kant and the Platypus*, trans. A. McEwan, Harcourt: New York.

Edelman, G. (1989) *The Remembered Present: A Biological Theory of Consciousness*, New York: Basic Books.

Edelman, G. (1998) «Building a picture of the brain», *Doadalus* 127(2): 37-70.

Eikhenbaum, B. M. (1926) «Teoriia «formal» nogo metoda,» trans. in T. Todorov (ed.) *Théorie de la Littérature*, Paris: Seuil.

Elman, J. (1990) «Finding structure in time», *Cognitive Science* 14: 179-211.

Elman, J. et al. (1996) *Rethinking Innateness*, Cambridge, MA:MIT Press.

Emerson, C. (1997) *The First Hundred Years of Mikhail Bakhtin*, Princeton, N.J: Princeton University Press.

Enzensberger, H. M. (1973) *Gespräche mit Marx und Engels*. Frankfurt am Main: Insel Verlag.

Erlich, V. (1964) *Russian Formalism*, The Hague: Mouton.

Eschbach, A. (1988) *Karl Bühler's Theory of Language: Proceedings of the Conferences Held at Kirchberg, August 26, 1984 and Essen, November 21-24, 1984*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Fairclough, N. (1989) *Language and Power*, London: Longman.

Fairclough, N. (1992) «Introduction», in N. Fairclough (ed.) *Critical*

Language Awareness, London: Longman, pp. 1-29.

Fairclough, N. (1995a) *Critical Discourse Analysis: The Critical Study of Language*, London: Longman.

Fairclough, N. (1995b) *Media Discourse*, London: Arnold.

Fairclough, N. (1999) «Linguistic and intertextual analysis within discourse analysis», in A. Jaworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 183-21l.

Farnell, B. (1995) *Do You See What I Mean? Plains Indian Sign Talk and the Embodiment of Action*, Austin, TX: University of Texas Press.

Fillmore, C. J. (1975) *Santa Cruz Lectures on Deixis*, Bloomington: Indiana University Linguistics Club.

Firth, J. R. (1957) *Papers in Linguistics 1934-1951*, Oxford:Oxford University Press.

Fisch, M. H. (1986a) *Peirce: Semeiotics and Pragmatism*, Bloomington: Indiana University Press.

Fisch, M. H. (1986b) «Philodemus and Semeiosis (1879-1883)», section 5 of the essay «Peirce's General Theory of Signs' in M. H. Fisch, *Peirce: Semeiotics and Pragmatism*, Bloomington: Indiana University Press.

Fischer, S. D. and Siple, P. (1990) *Theoretical Issues in Sign Language Research*, vol. 1, Chicago: University of Chicago Press.

Fiske, J. (1989a) *Understanding Popular Culture*, London: Unwin Hyman.

Fiske, J. (1989b) *Reading the Popular*, London: Unwin Hyman.

Fiske, J. (1991) *Introduction to Communication Studies*, London: Routledge.

Foley, R. (1997) *Humans Before Humanity: An Evolutionary Perspective*, Oxford: Blackwell.

Foucault, M. (1972) *The Archaeology of Knowledge*, trans. S. Smith, London: Tavistock.

Foucault, M. (1977) *Power/ Knowledge*, Hemel Hempstead: Harvester.

Foucault, M. (1979) *Discipline and Punish: The Birth of the Prison*, New York: Vintage/ Random House.

Foucault, M. (1999) «The incitement to discourse», in A. Jaworski and

N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 514-522.

Fought, J. G. (1994) «American structuralism», in R. Asher and J. Simpson (eds) *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, vol. 1, Oxford: Pergamon Press, pp. 97-106.

Fouts, R. with Mills, S. T. (1997) *Next of Kin: What Chimpanzees Have Taught Me About Who We Are*, New York: William Morrow.

Fowler, R. (1981) *Literature as Social Discourse: The Practice of Linguistic Criticism*, London: Batsford Academic.

Fowler, R. (1985) «Power», in T. van Dijk (ed.) Handbook of Discourse Analysis, vol. 4, London: Academic Press, pp. 61-82.

Fowler, R. et al. (eds) (1979) *Language and Control*, London: Routledge and Kegan Paul.

Frege, G. (1892) «Über Sinn und Bedeutung» [On sense and reference], English translation in D. Davidson and G. Harman (eds) *The Logic of Grammar*, Encino, CA: Dickenson, pp. 116-28.

Freud, S. (1899) *Die Traumdeutung*, Leipzig and Vienna.

Freud, S. (1905 [1960]) *Jokes and Their Relation to the Unconscious*, in *The Standard Edition of the Complete Psychological Works of Sigmund Freud*, vol. VIII, Hogarth: London.

Fried, V. (ed.) (1972) *The Prague School of Linguistics and Language Teaching*, Oxford: Oxford University Press.

Fromkin, V. and Rodman, R. (1978) *An Introduction to Language*, 2nd edn, New York: Holt, Rinehart and Winston.

Gabelentz, G. von der (1891) *Die Sprachwissenschaft: Ihre Aufgaben, Methoden und bisherigen Erbegnisse*, Leipzig: Weigel.

Gadamer, H.-G. (1975) *Truth and method*, Bloomington: Indiana University Press.

Galasizński, D. and Jaworski, A. (forthcoming) «Meeting the local Other: representations of local people in British press travel sections».

Gardner, B. T. and Gardner, A. (1971) «Two way communication with an infant chimpanzee», in Schrier and Stollnitz (eds) *Behavior of Non-human Primates*, vol. 4, New York: Academic Press.

Gardner, H. (1993) *Frames of Mind: The Theory of Applied Multiple Intelligence*, London: HarperCollins.

Garfinkel, H. (1967) *Studies in Ethnomethodology*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Garfinkel, H. (1974) «*On the origins of the term «ethnomethodology»*», in R. Turner (ed.) *Ethnomethodology*, Harmondsworth: Penguin.

Giddens, A. (1991) *Modernity and Self-identity: Self and Society in the Late Modern Age*, Cambridge: Polity Press.

Gilbert, G. N. and Mulkay, M. (1984) *Opening Pandora's Box: A Sociological Analysis of Scientists' Discourse*, Cambridge: Cambridge University Press.

Giles, E. (1994) «Accommodation in communication», in R. E. Asher, *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, Oxford: Pergamon, pp. 12-15.

Gilson, E. (1995) *History of Christian Philosophy in the Middle Ages*, New York: Random House.

Givón, T. (1995) *Functionalism and Grammar*, Amsterdam: John Benjamins.

Godel, R. (1957) *Les sources manuscrites du Cours de Linguistique Générale de F. de Saussure*, Geneva: Droz and Paris: Minard.

Goffman, E. (1959) *The Presentation of Self in Everyday Life*, New York: Anchor Books.

Goffman, E. (1967) *Interaction Ritual: Essays on Face-to-Face Behavior*, New York: Doubleday.

Goffman, E. (1974) *Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience*, New York: Harper and Row.

Goffman, E. (1983) «The interaction order», *American Sociological Review* 48: 1-17.

Goldschmidt, W. R. (ed.) (1959) *The Anthropology of Franz Boas: Essays on the Centennial of his Birth*, American Anthropological Association, Memoirs, No. 89. Menasha, WI: American Anthropological Association.

Goodwin, C. (1994) «Professional vision», *American Anthropologist* 96: 606-33.

Gopnik, M. (1999) «Some evidence for impaired grammars», in R. Jackendoff et al. (eds) *Language, Logic, and Concepts: Essays in Memory of John Macnamara*, Cambridge, MA: MIT Press, pp. 263-284.

Gordon, T. W. (l990a) «Significs and C. K. Ogden: the influence of Lady Welby», in W. H. Schmitz (ed.), *Essays on Significs*, Amsterdam: John Benjamins, pp. 179-196.

Gordon, T. W. (1990b) C. K. Ogden. *A Bio-bibliographic Study*, London: Scarecrow and New Jersey: Metuchen.

Gordon, T. W. (1991) *The Semiotics of C. K. Ogden*, in T. A. Sebeok and J. Umiker-Sebeok (eds), *Recent Developments in Theory and History: The Semiotic Web 1990*, The Hague and Berlin: Mouton de Gruyter, pp. 111-177.

Graddol, D. (1996) «The semiotics of a wine label», in S. Goodman and D. Graddol (eds) *Redesigning English: New Texts, New Identities*, London: Routledge in association with The Open University, pp. 73-81.

Greenberg, J. H. (ed.) (1966) *Universals of Language*, 2nd edn, Cambridge, MA., MIT Press.

Greimas, A. J. (1966) *Sémantique structurale*, Paris: Larousse.

Greimas, A. J. (1970) *Du sens*, Paris: Seuil.

Greimas, A. J. (1987) *On Meaning: Selected Writings in Semiotic Theory*, trans. and ed. P. Perron and F. Collins, Minneapolis: University of Minnesota Press.

Grice, H. P. (1957) «Meaning», *Philosophical Review* 66: 377-88.

Grice, H. P. (1968) «Utterer's meaning, sentence-meaning and word-meaning», *Foundations of Language* 4: 1-18.

Grice, H. P. (1969) «Utterer's meaning and intentions,» *Philosophical Review* 78: 147-177.

Grice, H. P. (1975) «Logic and conversation», in P. Cole and J. L. Morgan (eds) *Syntax and Semantics 3: Speech Acts*, New York: Academic Press, pp. 41-58.

Grice, H. P. (1978) «Further notes on logic and conversation», in P. Cole (ed.) *Syntax and Semantics 9: Pragmatics*, New York: Academic Press, pp. 113-27.

Grice, H. P. (1981) «Presupposition and conversational implicature», in P. Cole (ed.) *Radical Pragmatics*, New York: Academic Press, pp. 183-198.

Gumperz, J. J. (1982) *Discourse Strategies*, Cambridge: Cambridge University Press.

Gumperz, J. and Levinson, S. (eds) (1996) *Rethinking Linguistic Relativity*, Cambridge: Cambridge University Press.

Haack, Susan (1987) «Realism», *Synthese* 73: 275-299.

Hadamard, J. (1945) *The Psychology of Invention in the Mathematical Field*, Princeton, NJ: Princeton University Press, Appendix II, titled «A testimonial from Professor Einstein».

Hale, K. et al. (1992) «Endangered languages», *Language* 68: 1-42.

Hall, E. T. (1994) in J. Erting et al. (eds) *The Deaf Way: Perspectives from the International Conference on Deaf Culture*, Washington, DC: Gallaudet University Press.

Hall, S. (1996) «The problem of ideology: Marxism without guarantees», in D. Morley and K. H. Chen (eds) *Stuart Hall: Critical Dialogues in Cultural Studies*, London: Routledge, pp. 25-46.

Halliday, M. A. K. (1973) «Foreword», in B. Bernstein (ed.) *Class, Codes and Control* Vol 2: *Applied Studies Towards a Sociology of Language*, London: Routledge and Kegan Paul.

Halliday, M. A. K. (1978) *Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning*, London: Edward Arnold.

Halliday, M. A. K. (1985) *An Introduction to Functional Grammar*, London: Edward Arnold.

Halliday, M. A. K. (1994) *An Introduction to Functional Grammar*, 2nd edn, London: Arnold.

Halliday, M. A. K. and Hasan, (1976) *Cohesion in English*, London: Longman.

Hardwick, C. S. (ed.) (1977) *Semiotic and Significs: The Correspondence Between Charles S. Peirce and Victoria Lady Welby*, Bloomington and London: Indiana University Press.

Harris, R. (1981) *The Language Myth*, London: Duckworth.

Harris, R. (1987) *Reading Saussure*, London: Duckworth.

Harris, R. (1992) «On scientific method in linguistics», in G.Wolf (ed.), *New Departures in Linguistics*, New York: Garland, pp. 1-26.

Harris, R. (1995) *Signs of Writing*, London: Routledge.

Harris, R. (1998) *Introduction to Integrational Linguistics*, Oxford: Pergamon.

Harris, Z. ([1951] 1984) «Review of Selected Writings by Edward

Sapir (Berkeley, University of California Press, 1949)», *Language* 27 (3): 228-333.

Harris, Z. (1991) *A Theory of Language and Information*, Oxford: Clarendon Press.

Hart, B. and Risley, T. R. (1995) *Meaningful Differences*, Baltimore: P. H. Brookes.

Headland, T. N., Pike, K. L. and Harris, M. (eds) (1990) *Emics and Etics: The Insider/ Outsider Debate*, Newbury Park, CA: Sage.

Hebdige, D. (1979) *Subculture: The Meaning of Style*, London: Methuen.

Hediger, H. (1980) *Tiere verstehen: Erkenntnisse eines Tierpsychologen [Understanding Animals: Experiences of an Animal Psychologist*], Munich: Kindler.

Hediger, H. (1998) «Biosemiotics» in P. Bouissac (ed.) *Encyclopedia of Semiotics*, New York: Oxford University Press, pp. 82-85.

Hediger, H. and Emmeche, C. (eds) (1999) *Biosemiotica*, *Semiotica* 126 [Special issue].

Heijerman, E. and Schmitz, W. H. (eds) (1991) *Significs, Mathematics and Semiotics. The Significs Movement in the Netherlands*, Proceedings of the International Conference, Bonn, 19-21 Nov., 1986 Munster, Nodus Publikationen.

Heisenberg, W. (1958) *Physics and Philosophy*, Ann Arbor: University of Michigan Press.

Heritage, J. (1984a) «A change-of-state token and aspects of its sequential placement», in J. Atkinson and J. Heritage (eds) *Structures of Social Action: Studies in Conversation Analysis*, Cambridge: Cambridge University Press, pp. 299-345.

Heritage, J. (1984b) *Garfinkel and Ethnomethodology*, Oxford: Blackwell.

Hjelmslev, L. (1928) *Principes de grammaire générale*, Copenhagen: Det Kongelige Danske Videnskabernes Selskab.

Hjelmslev, L. (1932) *Études baltiques*, Copenhagen: Munksgaard.

Hjelmslev, L. (1935-1937) *La catégorie des cas*, vols 1-2, Aarhus: Universitetsforlaget.

Hjelmslev, L. (1959) *Essais linguistiques*, Copenhagen: Nordisk

Sprog- og Kulturforlag.

Hjelmslev, L. (1961) *Prolegomena to a Theory of Language*, rev. edn, trans. F. J.Whitfield, Madison, WI: University of Wisconsin Press.

Hjelmslev, L. (1973) *Essais linguistiques*, vol. II, Copenhagen: Nordisk Sprog-og Kulturforlag.

Hjelmslev, L. (1975) *Résumé of a Theory of Language*, Copenhagen: Nordisk Sprog- og Kulturforlag.

Hobsbawm, E. J. (1992) *Nations and Nationalism Since 1780*: *Programme, Myth, Reality*, 2nd edn, Cambridge: Cambridge University Press.

Hodge, R. and Kress, G. (1988) *Social Semiotics*, Oxford: Polity Press.

Hodge, R. and Kress, G. (1993) *Language as Ideology*, 2nd edn, London: Routledge.

Holmes, J. (1999) «Women, men and politeness: agreeable and disagreeable responses», in A. Jaworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 336-345.

Holmes, J. and Meyerhoff, M. (1999) *Communities of Practice in Language and Gender Research*, Special Issue of Language in Society, 28 (2).

Holquist, M. (1990) *Dialogism: Bakhtin and His World*, London and New York: Routledge.

Hookway, C. (1992) *Peirce*, London: Routledge and Kegan Paul.

Hoopes, J. (ed.) (1991) *Peirce on Signs*, Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press.

Hopper, P. (1994) «Phonogenesis», in W. Pagliuca (ed.), *Perspectives on Grammaticalisation*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Hubel, D. and Wiesel, T. (1968) «Receptive fields and functional architecture of monkey striate cortex», *Journal of Physiology* (Lond.) 195: 215-243.

Husserl, E. (1938) *Erfarhrug und Urteil*, Praha: Akademia.

Husserl, E. ([1900-01] 1968) *Logische Untersuchungen*, vols 1-2, Tübingen: Niemeyer.

Hutchby. I. (1999) «Power in discourse: the case of arguments on a British talk radio show», in A. Jaworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 576-88.

Hutchby, I. and Wooffitt, R. (1998) *Conversation Analysis*, Cambridge: Polity Press.

Hymes, D. (1974) *Foundations in Sociolinguistics: An Ethnographic Approach*, London: Tavistock.

Jackendoff, R. (1983) *Semantics and Cognition*, Cambridge, MA: MIT Press.

Jackendoff, R. (1994) *Patterns in the Mind*, New York: Basic Books.

Jackendoff, R. (1996) «How language helps us think,»*Pragmatics and Cognition* 4: 1-24.

Jackendoff, R. (1997) *The Architecture of the Language Faculty*, Cambridge, MA: MIT Press.

Jackson, B. D. (1972) «The theory of signs in Augustine's *De Doctrina Christiana*». In *Augustine: A Collection of Critical Essays*, ed. R. A. Markus, Garden City, NY: Doubleday and Co, pp. 92-147.

Jakobson, R. (1960) «Closing statement: linguistics and poetics,» in T. A. Sebeok (ed.) *Style in Language*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Jakobson, R. ([1956] 1990a) «Two aspects of language and two types of aphasic disturbances», in *On Language*, ed. L. R. Waugh and M. M. Burston, Cambridge, MA and London: Harvard University Press.

Jakobson, R. ([1957] 1990b) «Shifters and verbal categories», in *On Language*, ed. L. R. Waugh and M. M. Burston, Cambridge, MA and London: Harvard University Press.

James, W. (1897) *The Will to Believe*, 1979; It. trans. *La volontà di credere*, Intro. C. Sini, Milan: Principato, 1984.

James, W. ([1907] 1981) *Pragmatism*, Indianapolis: Hackett, 1981.

Jaworski, A. and Coupland, N. (eds) (1999) *The Discourse Reader*, London: Routledge.

Jaworski, A. and Galasiński, D. (1998) «The last Romantic hero: Lech Walesa's image-building in TV presidential debates», *Text* 18 (2): 525-544.

Jaworski, A. and Galasiński, D. (1999) «Vocative address forms and ideological legitimisation in political debates», *Discourse Studies* 2 (1): 65-83.

Jaworski, A., Coupland, N. and Galasiński, D. (eds.) (forthcoming) *Metalanguage: Social and Political Perspectives*.

Jenkins, A. (1979) *The Social Theory of Claude Lévi-Strauss*, New York: St. Martin's Press.

Jespersen, O. (1905) *Growth and Structure of the English Language*, Leipzig: Teubner.

Jespersen, O. (1909-1949) *A Modern English Grammar on Historical Principles*, Copenhagen: Munksgaard and London: Allen and Unwin.

Jespersen, O. (1916) *Nutidssprog hos börn og voxne [Contemporary Child and Adult Language*], Copenhagen and Christiania: Gyldendal.

Jespersen, O. (1922) *Language: Its Nature, Development and Origin*, London: Allen and Unwin.

Jespersen, O. (1924) *The Philosophy of Grammar*, London: Allen and Unwin.

Jespersen, O. (1941) *Efficiency in Linguistic Change*, Copenhagen: Munksgaard.

Johansen, J. D. (1993) *Dialogic Semiosis: An Essay in Signs and Meaning*, Bloomington: Indiana University Press.

Juul, A. et al. (eds) (1995) *A Linguist's Life: An English Translation of Otto Jespersen's Autobiography with Notes, Photos and a Bibliography*, trans. D. Stoner, Odense: Odense University Press.

Kanaev, I. I. (1926) «Contemporary vitalism», It trans. «vitalismo contemporaneo», in M. Bakhtin et al., *Bachtin e le sue maschere*, ed. A. Ponzio et al., Bari: Dedalo, 1995, pp. 175-198.

Kapor, M. (1993) «Where is the digital highway really heading?,» *Wired* (July-Aug): 53-9, 94.

Karttunen, L. (1974) «Presupposition and Linguistic Context,» *Theoretical Linguistics* 1: 3-44.

Kegl, J. et al. (1999) «Creation through contact: sign language emergence and sign language change in Nicaragua», in M. DeGraff (ed.), *Language Creation and Language Change*, Cambridge, MA: MIT Press.

Kendon, A. (1988) *Sign Languages of Aboriginal Australia*, Cambridge: Cambridge University Press.

Kinsbourne, M. (1998) «Unity and diversity in the human brain: evidence from injury», *Doedalus* 127(2): 233-56.

Klima, E. and Bellugi, U. (1979) *The Signs of Language*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Knowlsen, J. R. (1965) «The idea of gesture as a universal language in the XVIIth and XVIIIth centuries», *Journal for the History of Ideas*, 26: 495-508.

Koerner, K. (1984) *Edward Sapir: Appraisals of his Life and Work*, Amsterdam: John Benjamins.

Köhler, W. (1927) *The Mentality of Apes*, London: Routledge and Kegan Paul.

Körner, S. (1955) *Kant*, London: Penguin Books.

Kremer-Marietti, A. (1998) «Comte, Isidore-Auguste-Marie-François-Xavier», *Routledge Encyclopedia of Philosophy*, London, Routledge.

Kress, G. and van Leeuwen, T. (1996) *Reading Images: The Grammar of Visual Design*, London: Routledge.

Kristeva, J. (1969a) *Le langage, cet inconnu*, Paris: Seuil.

Kristeva, J. (1969b) *Semeiotiké: recherches pour une sémanalyse*, Paris: Seuil.

Kristeva, J. (1974) *La révolution du langage poétique*, Paris: Seuil.

Kristeva, J. (1979) *Les Samouraïs*, Paris: Fayard.

Kristeva, J. (1980) *Pouvoirs de l'horreur: essais sur l'abjection*, Paris: Seuil.

Kristeva, J. (1983) *Histoires d'amour*, Paris: Denoël.

Kristeva, J. (1987) *Soleil noir*. *Dépression et mélancolie*, Paris: Gallimard.

Kristeva, J. (1988) *Étrangers à nous-mêmes*, Paris: Fayard.

Kristeva, J. (1991) *Le Viel Homme et les loups*, Paris: Fayard.

Kristeva, J. (1994) *Le temps sensible. Proust et l'expérience littéraire*, Paris: Gallimard.

Kristeva, J. (1999) *Le génie feminine, Tome premier: Hannah Arendt*, Paris: Fayard.

Kuiper, K. (1991) «Sporting formulae in New Zealand English: two models of male solidarity», in J. Cheshire (ed.) *English Around the World*, Cambridge: Cambridge University Press, pp. 200-209.

Labov, W. (1972a) «The study of language in its social contexts,» in P. P, Giglioli, *Language and Social Context: Selected Readings*, Harmondsworth: Penguin Books, pp. 283-307.

Labov, W. (1972b) *Language in the Inner City: Studies in the Black*

English Vernacular, Philadelphia, P A: University of Pennsylvania Press.

Labov, W. ([1972c] 1978) *Sociolinguistic Patterns*,

Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press.

Labov, W. (1994) *Principles of Linguistic Change: Vol. 1. Internal Factors*, Oxford: Blackwell.

Lakoff, G. (1973a) «Fuzzy grammar and the performance-competence terminology game», *Papers from the Ninth Regional Meeting, Chicago Linguistic Society*, pp. 271-291.

Lakoff, G. (1973b) «The logic of politeness: or minding your p's and q's', *Proceedings of the Ninth Regional Meeting of the Chicago Linguistic Society*, pp. 292-305.

Lakoff, G. (1987) *Women, Fire, and Dangerous Things*, Chicago: University of Chicago Press.

Lakoff, R. (1975) *Language and Woman's Place*, New York: Harper and Row.

Langacker, R. (1987) *Foundations of Cognitive Grammar*, Vol. 1, Stanford, CA: Stanford University Press.

Larsen, S. E. (1988) «Gods, ghosts, and objects: Brøndal and Peirce», *Semiotica* 70 (1/ 2): 49-58.

Larsen, S. E. (1993) «Patriarchal hierarchies», *Semiotica* 94 (1/ 2):35-54.

Lecourt, D. (1973) *The Case of Lysenko*, London: New Left Books.

Ledgerwood, M. D. (1995) «The visual and the Auditory: poetry on CD ROMs», *Semiotics 1994*, University Press of America, pp. 381-391.

Ledgerwood, M. D. (1997) «Hypertextuality and Multimedia Literature», *Semiotics of the Media: State of the Art, Projects and Perspectives*, Berlin: Mouton de Gruyter.

Ledgerwood, M. D. (1998a) «The semiotics of cyberspace: Part One, persona», *Signs and Space, Raum und Zeichnen: An International Conference on the Semiotics of Space and Culture in Amsterdam*, Tübingen: Günter Narr Verlag, pp. 273-279.

Ledgerwood, M. D. (1998b) «The end of narrative? Multimedia literature and hypertext», *Signs and Space, Raum und Zeichnen: An International Conference on the Semiotics ofSpace and Culture in Amsterdam*, Tübingen: Günter Narr Verlag, pp. 279-290.

Ledgerwood, M. D. (1999) «Multimedia Literature, «Exploratory Games» and their Hypertextuality», in S. Inkinen (ed.) *Mediapolis: Aspects of Texts. Hypertexts and Multimedial Communication*, Berlin: Walter de Gruyter, pp. 547-558.

Leech, G. N. (1983) *Principles of Pragmatics*, London: Longman.

Le Grand, E. (1993) «Lotman», in I. M. Makaryk (ed.) *Encyclopedia of Contemporary Literary Theory: Approaches, Scholars, Terms*, Toronto, Buffalo, London: University of Toronto Press.

Lemke, J. L. (1995) *Textual Politics: Discourse and Social Dynamics*, London and Bristol, P A: Taylor and Francis.

Lenneberg, E. (1967) *Biological Foundations of Language*, New York: Wiley.

Levinas, E. (1961) *Totalité et Infini*, La Haye: Nijhoff.

Levinas, E. (1974) *Autrement qu'être ou au-delà de l'essence*, La Haye: Nijhoff.

Levinson, S. C. (1983) *Pragmatics*, Cambridge: Cambridge University Press.

Levinson, S. C. (1996) «Frames of reference and Molyneux's question: crosslinguistic evidence», in P. Bloom et al. (eds), *Language and Space*, Cambridge, MA: MIT Press, pp. 109-70.

Lévi-Strauss, C. (1944) «Reciprocity and hierarchy», *American Ane thropologist* 46(2): 266-268.

Lévi-Strauss, C. (1949) *Les Structures Élémentaires de la Parenté*, Paris: Presses Universitaires de France.

Lévi-Strauss, C. (1964) *Le Cru et le Cuit. Mythologiques*, Vol. 1, Paris: Plon. Trans. *The Raw and the Cooked*, New York: Harper and Row, 1969.

Lévi-Strauss, C. (1966) *Du Miel au Cendres. Mythologiques*, Vol. 2, Paris: Plon. Trans. *From Honey to Ashes*, New York: Harper and Row, 1973.

Lévi-Strauss, C. (1968) *L'Origine des Manières de Table: Mythologiques*, Vol. 3, Paris: Plon. Trans. *The Origin of Table Manners*, New York: Harper and Row, 1978.

Lévi-Strauss, C. (1971) *L'Homme nu. Mythologiques*, Vol. 4, Paris: Plon. Trans. *The Naked Man*, New York: Harper and Row, 1981.

Lévi-Strauss, C. (1977) *Structural Anthropology 1*, Harmondsworth: Penguin.

Lévi-Strauss, C. (1978) «Structure and form: reflections on a work by Vladimir Propp», in *Structural Anthropology 1*, Harmondsworth: Penguin.

Lévi-Strauss, C. (1987) *The View from Afar*, Harmondsworth: Penguin.

Li, P. and Gleitman, L. R. (2000) *Turning the Tables: Explorations in Spatial Cognition*, Technical Report no. 2000-3, Institute for Research in Cognitive Science, University of Pennsylvania.

Liszka, J. J. (1996) *A General Introduction to the Semeiotic of Charles Sanders Peirce*, Bloomington: Indiana University Press, esp. Ch. 4.

Livingstone, S. and Lunt, P. (1994) *Talk on Television: Audience Participation and Public Debate*, London: Routledge.

Lotman, J. (1964) «Sur la délimitation linguistique et littéraire de la notion de structure», *Linguistics* 6: 59-72.

Lotman, J. (1975) «Notes on the structure of a literary text,» *Semiotica* 15 (3): 199-205.

Lotman, J. (1976) *Analyses of the Poetic Text: Verse Structure*, Ann Arbor: Ardis.

Lotman, J. (1977a) *Structure of the Artistic Text*, Ann Arbor: Michigan Slavic Contributions 7.

Lotman, J. (l977b) «Primary and secondary communication-modeling systems», in D. Lucid, (ed.) *Soviet Semiotics: An Anthology*, Baltimore: Johns Hopkins University Press.

Lotman, J. (1990) *Universe of the Mind*, trans. A. Shukman, London and New York: Tauris.

Lotman, J. M. and Uspenskij, B. A. (1984) *The Semiotics of Russian Culture*, Ann Arbor: Michigan Slavic Contributions, 11.

Lotman, J. et al. (1973) «Theses on the semiotic study of cultures (as applied to Slavic texts)», in J. van Eng (ed.) *Structure of Texts and Semiotics of Culture*, The Hague and Paris: Mouton.

Lotman, J. et al. (1985) *The Semiotics of Russian Cultural History*, eds. A. D. Nakhimovsky and A. S. Nakhimovsky, Ithaca, NY and London: Cornell University Press.

Loux, M. J. (1998) «Nominalism», *Routledge Encyclopedia of Phi-*

losophy, London, Routledge.

Lucid, D. P. (ed.) (1977) *Soviet Semiotics: An Anthology*, Baltimore: Johns Hopkins University Press.

McClelland, J., and Rumelhart, D. (1986) *Parallel Distributed Processing*, vol. 1, Cambridge, MA: MIT Press.

McCord Adams, M. (1978) «Ockham's Theory of Natural Signification», *The Monist* 61: 444-59.

Macksey, R. and Donato, E. (eds) (1972) *The Structuralist Controversy*: *The Languages of Criticism and the Sciences of Man*, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press.

McNeill, D. (1992) *Hand and Mind: What Gestures Reveal About Thought*, Chicago: Chicago University Press.

Maher, J. (1996) *Seeing Language in Sign: The work of William C. Stokoe*, Washington, DC: Gallaudet University Press.

Mallery,G . ([1881] 1972) *Sign Language among the North American Indians Compared with That of Other Peoples and Deaf mutes*, The Hague: Mouton.

Malotki, E. (1983) *Hopi Time: A Linguistic Analysis of the Temporal Concepts in the Hopi Language*, Berlin: Mouton.

Mandelker, A. (1994) «Semiotizing the sphere: organicist theory in Lotman, Bakhtin, and Vernadsky» , PMLA 3 (109): 385-396.

Manetti, G. (1993) *Theories of the Sign in Classical Antiquity* trans. C. Richardson, Bloomington: Indiana University Press.

Marcellesi, J. -B. et al. (1978) Linguaggio e classi sociali. Marrismo e stalinismo, ed. A. Ponzio, Bari: Dedalo.

Marcus, G. (2001) *The Algebraic Mind*, Cambridge, MA: MIT Press.

Martinet, A. (1984) «Double articulation as a criterion of Linguisticity», *LanguageSciences* 6 (1): 31-8.

Martinet, A. (1994) «Functional grammar: Martinet's model», in R. E. Asher, *The EncyclopediaofLanguage and Linguistics*, Oxford: Pergamon, pp. 1323-1327.

Marx, K. (1962) *Capital*, Book I, 2 vols, trans. E. and C. Paul, introd. G. D. H. Cole, London: Dent.

Marx, K. and Engels, F. (1968) *The German Ideology*, ed. S. Rayzankaya, Moscow: Progress Publishers.

Mates, B. (1961) *Stoic Logic*, Berkeley, CA: University of California Press.

Matthews, P. H. (1979) *Generative Grammar and Linguistic Competence*, London: Allen and Unwin.

Mehan, H. (1999) «Oracular reasoning in a psychiatric exam: the resolution of conflict in language», in A. Jaworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 559-75.

Meier-Oeser, S. (1997) *Die Spur deszeichens. Das Zeichen und seine Funktion in der Philosophie des Mittelalters und derfrühen Neuzeit*, Berlin: Walter de Gruyter.

Merleau-Ponty, M. (1966) *Sens et non sens* (1948), Paris: Nagel.

Merquior, J. G. (1986) *From Prague to Paris: A Critique of Structuralist and Post-Structuralist Thought*, London:Verso.

Merrell, F. (1995a) *Semiosis in the Postmodern Age*, West Lafayette: Purdue University Press.

Merrell, F. (1995b) *Peirce's Semiotics Now: A Primer*, Toronto: Canadian Scholars' Press.

Messaris, P. (1997) *Visual Persuasion: The Role of Images in Advertising*, London: Sage.

Mey, J. L. (1994) «Pragmatics», in R. E. Asher, *The Encyclopedia of Language and Linguistics*. Oxford: Pergamon, pp. 3260-3278.

Mills, S. (1997) *Discourse*, London: Routledge.

Milroy, J. (1992) *Linguistic Variation and Change*, Oxford: Blackwell.

Milroy, J. and Milroy, L. (1985) «Linguistic change, social network and speaker innovation», *Journal of Linguistics* 21: 339-384.

Milroy, J. and Milroy, L. (1998) *Authority in Language: Investigating Language Prescription and Standardisation*, 3rd edn, London: Routledge.

Milroy, L. (1987) Language and Social Networks, Oxford: Blackwell.

Morris, C. (1932) *Six Theories of Mind*, Chicago: University of Chicago Press.

Morris, C. (1937) *Logical Positivism, Pragmatism and Scientific Empiricism*, Paris: Hemann.

Morris, C. (1938a) *Foundations of the Theory of Signs* [= *International Encyclopedia of Unified Science* 1, 2], Chicago: University of Chi-

cago Press.

Morris, C. (1938b) «Scientific Empiricism», in *Encyclopedia and Unified Science* [= *International Encyclopedia ofUnified Science* 1, 2], Chicago: University of Chicago Press, pp. 63-75.

Morris, C. (1938c) «Peirce, Mead, and Pragmatism»,

Philosophical Review XLVII: 109-27.

Morris, C. (1946) *Signs, Language and Behavior*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

Morris, C. (1964) *Signification and Significance: A Study of the Relations of Signs and Values*, Cambridge MA: MIT Press.

Morris, C. (1971) *Writings on the General Theory of Signs*, T. A. Sebeok ed., The Hague and Paris: Mouton.

Morris, C. (1993 [1925]) *Symbolism and Reality: A Study in the-Nature of Mind*, A. Eschbach ed. and pref., Amsterdam: John Benjamins.

Morris, D. (1977) *Manwatching: A Field Guide to Human Behaviour*, London: Jonathan Cape.

Morson, G. S. and Emerson, C. (eds) (1989) *Rethinking Bakhtin: Extensions and Challenges*, Evanston, ILL: Northwestern University Press.

Morson, G. S. and Emerson, C. (1990) *Mikhail Bakhtin: Creation of a Prosaics*, Stanford, CA: University of California Press.

Murphy, J. P. (1990) *Pragmatism: From peirce to Davidson*, Boulder, CO: Westview Press.

Myers-Scotton, C. (1998) «A way to dusty death: the Matrix Language turnover hypothesis», in L. A. Grenoble and L. J. Whaley (eds), *Endangered Languages: Current Issues and future Prospects*, Cambridge: Cambridge University Press.

Newmeyer, F. J. (1994) «Autonomous linguistics», inR. E. Asher, *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, Oxford: Pergamon, pp. 283-284.

Newmeyer, F. J. (1998) «On the supposed

«counterfunctionality» of Universal Grammar: Some evolutionary implications», in J. Hurford et al. (eds) *Approaches to the Evolution of Language*, Cambridge: Cambridge University Press.

Newport, E. (1990) «Maturational constraints on language learning», Cognitive Science 14: 11-28.

Nunes, M. (1995) «Baudrillard in cyberspace: Internet, virtuality, and postmodernity», *Style* 29: 314-327.

Ockham, William of (1323) *Summa Logicae*, Vol. I of the *Opera Philosophica* in the 17- volume critical edition *Guillelmi de Ockham Opera Philosophica et Theologica,* St Bonaventure, NY: Editions of the Franciscan Institute of the University of St. Bonaventure, 1974-1988.

Ogden, C. K. (1994a) *C. K. Ogden and Liguistics*, 5 vols, ed. T. W. Gordon, London: Routledge Thoemmes Press.

Ogden, C. K. (1994b) «The progress of Significs», in *C.K. Ogden and Liguistics*, vol. 1, *From significs to Orthology*, London: Routledge-Thoemmes Press, pp. 1-47.

Ogden, C. K. and Richards, I. A. ([1923] 1985) *The Meaning of Meaning*: *A Study of the Influence of Language upon Thought and of the Science of Symbolism*, With supplementary essays by B. Malinowski and F. G. Crookshank, London: Routledge and Kegan Paul; New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1989.

Olson, S. R. (1999) *Hollywood Planet: Global Media and the Competitive Advantage of Narrative Transparency*, Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

Ong, W. (1982)*Orality and Literacy*, London: Methuen.

östman,J .-O. (1986) *Pragmatics as Implicitness*, Ann Arbor: University Microfilms International.

Parret, H. (1983) *Semiotics and Pragmatics: An Evaluative Comparison of Conceptual Frameworks,* Amsterdam: John Benjamins.

Pateman, T. (1983) «What is a language?», *Language and Communication* 3, (2): 101-27.

Payne, J. R. (1994) «Universals of language», in R. E. Asher, *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, Oxford: Pergamon, pp. 4847-4850.

Pêcheux,M. (1982) *Language, Semantics and Ideology*, Basingstoke:Macmillan.

Peirce, C. S. (1868) «Some consequences of four incapacities», in C. S. Peirce, *The Essential Peirce*, vol. 1, Bloomington: Indiana University Press, 1992, pp. 28-55.

Peirce, C. S. (1871) «Review of Fraser’s *The Works of George Berkeley*», in C. S. Peirce, *The Essential Peirce*, vol. 1, Bloomington: Indiana

University Press, 1992, pp. 83-105.

Peirce, C. S. (c.1902) *Minute Logic*, draft for a book complete consecutively only to Chapter 4. Published in CP in extracts scattered over six of the eight volumes, including 1.203-283, 1.575-584; 2.1-202; 4.227-323, 6.349-352; 7.279, 7.374n10, 7.362-387 except 381n19.

Peirce, C. S. (1905a) «What pragmatism is», in C. S. Peirce, *The Essential Peirce*, vol. 2, Bloomington: Indiana University Press, 1998, pp. 331-345.

Peirce, C. S. (1905b) «Issues of pragmaticism», in C. S. Peirce, *The Essential Peirce*, vol. 2, Bloomington: Indiana University Press, 1998, pp. 346-359.

Peirce, C. S. (1907) «Pragmatism», in C. S. Peirce *The Essential Peirce*, vol. 2, Bloomington: Indiana University Press, 1998, pp. 398-433.

Peirce, C. S. (1923) *Chance, Love and Logic*, ed. M. R. Cohen, New York: Harcourt.

Peirce, C. S. (1931-1958) *Collected Papers of Charles Sanders Peirce*, ed. A. Burks, C. Hartshor ne and P. Weiss, Cambridge, MA: The Belknap Press of Harvard University Press.

Peirce, C. S. (1966) «Letter to Lady Welby, 23 December 1908», in *Charles S. Peirce: Selected Writings*, ed. P. Wiener, New York: Dover.

Peirce, C. S. (1977) *What is Meaning?* By V. Welby. *The Principles of Mathematics*. By Bertrand Russell (1903, Review article), *The Nation* 77. 15/Ott./1903, 308-9; in C. S. Peirce (1931-58), Vol. VIII; now in C. S. Hardwick (ed.) *Semiotics and Significs*, Bloomington: Indiana University Press, 1977, pp. 157-159.

Peirce, C. S. (1982-) *Writings of Charles Sanders Peirce: A Chronological Edition*, vols. 1-6. Bloomington: Indiana University Press.

Peirce, C. S. (1984) «Critique of positivism», (1867-1868) in *Writings of Charles S. Peirce*, vol. 2, ed. E. C. Moore, M. H. Fisch, et al., Bloomington: Indiana University Press.

Peirce, C. S. (1992) *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 1, ed. N. Houser and C. Kloesel, Bloomington: Indiana University Press.

Peirce, C. S. (1998) *The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings*, vol. 2, ed. Peirce Edition Project, Bloomington: Indiana University Press.

Petrilli, S. (1986) «Introduzione», in V. Welby, *Significato, metafora, interpretazione*, trans. and ed. S. Petrilli, Bari: Adriatica, 1986, pp. 7-77.

Petrilli, S. (1988) *Significs, Semiotica, Significazione*, Bari: Adriatica.

Petrilli, S. (1989) «La critica del Linquaggio in Giovanni Vailaiti e Victoria Welby», in M. Quaranta (ed.), *Giovanni Vailati nelia cultura del '900*, Bologna: Forni, pp. 87-101.

Petrilli, S. (1990a) «The problem of signifying in Welby, Peirce, Vailati, Bakhtin», in A. Ponzio, *Man as a Sign*, trans. ed., intro. and Appendices S. Petrilli, Berlin and New York: Mouton de Gruyter, pp. 313-363.

Petrilli, S. (1990b) «On the materiality of signs», A. Ponzio, *Man as a sign*, trans. ed., intro. and appendices S. Petrilli, Berlin and New York: Mouton de Gruyter, pp. 356-401.

Pertilli, S. (1990c) «Sign and meaning in Victoria Welby and Mikhail Bakhtin: a confrontation», in W. H. Schmitz ed., *Essays on Significs*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins, 1990, pp. 197-215.

Petrilli, S. (1990d) «Dialogue and Chronotopic Otherness: Bakhtin and Welby», *Discours social/ Social Discourse* 1/ 2, pp. 339-350.

Petrilli, S. (1990e) «The critique of language in Vailati and Welby», in A. Ponzio, *Man as a Sign*, ed. S. Petrilli, Berlin: Mouton de Gruyter.

Petrilli, S. (1992a) «Translation, Semiotics and ideology», *TTR. Etudes sur le texte et ses transformations* V, 1, pp. 233-64.

Petrilli, S. (1992b) (ed. and introd.)*Semiotica. Social Practice, Semiotics and The Sciences of Man: The Correspondence between Charles Morris and Ferruccio Rossi-Landi*, *Semiotica* 8 (1/ 2).

Petrilli, S. (1995a) *Materia segnica e interpretazione*, Lecce: Milella.

Petrilli, S. (1995b) «La metafora in Charles S. Peirce e Victoria Lady Welby», in S. Petrilli, *Materia segnica e intrepretazione*, Lecce: Milella, 1995, pp. 323-359.

Petrilli, S. (1995c) «Between Semiotics and Significs. C. K. Ogden and V. Welby», *Semiotica*, 105-3/4: 277-309.

Petrilli, S. (1996a) *Che cosa significa significare*?, Bari: Edizioni dal Sud.

Petrili, S. (1998a) *Su Victoria Welby: Significs e filosofia del linguaggio*, Naples: Edizioni Scientifiche Italiane.

Petrilli, S. (1998b) «La significs e il «significato» : la corrispondenza

di «significato»: la corrispondenza di Welby con Charles K. Ogden», in S. Petrilli *Su Victoria Welby*, Naples: Edizioni Scientifiche Italiane, pp. 281-298.

Petrilli, S. (1998c) «Linguaggio figurato, processo linguistico e progcessi del significare», in S. Petrilli, *Su Victoria Welby: Significs e filosofia del linguaggio*, Naples: Edizioni Scientifiche Italiane, pp. 173-219.

Petrilli, S. (1998d) *Teoria dei segni e del linguaggio*, Bari: Graphics.

Petrilli, S. (1998e) «Intersemiosi e traduzione», in S. Petrilli, *Teoria dei segni e del linguaggio*, Bari: Graphis, pp. 49-82.

Petrilli, S. (1998f) «Translation and ideology», *Signs of Research on Signs*, *Semiotische Berichte*, ed. S. Petrilli, Jg. 22, 3, 4/ 1998, pp. 127-139.

Petrilli, S. (1999a) «Semiotic phenomenology of predicative judgement», *S - European Journal for Semiotic Studies, Trajectories in Semiotic Studies from Bari*, Special Issue ed. S. Petrilli, forthcoming.

Petrilli, S. (1999b) «Traduzione e traducibilità», in S. Gensini (ed.), *Manuale di comunicazione*, Rome: Carocci, pp. 419-449.

Petrilli, S. (1999c) ed. and introd. «Traduzione e semiosi: considerazioni introduttive», *Athanor: Semiotica, Filosofia, Arte, Letteratura* X, ns. 2, 1999-2000.

Petrilli, S. (1999d) «About and Beyond Peirce», *Semiotica* 124- 3/4: 299-376.

Petrilli, S. (forthcoming) «Welby» in H. C. G. Matthew (ed.), *New Dictionary of National Biography*, Oxford: Oxford University Press.

Petrus Hispanus (1972) *Tractatus: Called afterwards Summulelogicales* (1230[?]), L. M. De Rijk ed., Assen: Van Gorcum; *Tractatus. Summule logicales*, It. trans. and ed. A. Ponzio, Bari: Adriatica, 1985.

Philodemus (*c*.110-*c*.40BC) i.54-40 BCE. ∏Ɛρί οημƐιώσƐων (*De Signis*), trans. As *On the Methods of Inference* in the edition by P. H. De Lacy and E. Allen De Lacy, rev.with the collaboration of M. Gigante, F. Longo Auricchio and A. Tepedino Guerra, Naples: Bibliopolis, 1978, Greek text pp. 27-87, English 91-131.

Pike, K. L. (1954) *Language in Relation to a Unified Theory ofthe Structure of Human Behaviour*, Part 1, Glendale: Summer Institute of Linguistics.

Pike, K. L. (1959) «Language as particle, wave, and field», *Texas Quarterly* 2 (2): 37-54.

Pinker, S. (1994) *The Language Instinct*, New York: William Morrow.

Pinker, S. and Bloom, P. (1990) «Natural language and natural selection», *Behavioral and Brain Sciences* 13: 707-726.

Poinsot. J. (1632) *Tractatus de signis*, subtitled *The Semiotic of John Poinsot*, arranged in bilingual format by J. Deely in consultation with R. A. Powell. First edition. Berkeley, CA, University of California Press, 1985; available in electronic form as a text database, Charlottesville, VA: Intelex Corp., 1992.

Pollack, R. (1994) *Signs of Life: The Language and Meanings ofDNA*, Harmondsworth: Penguin.

Ponzio, A. (1974) *Persona umana, linguaggio e conoscenza in Adam Schaff*, Bari: Dedalo.

Ponzio, A. (1980a) *Michail Bachtin: Alle origini della semiotica sovietica*, Bari: Dedalo.

Ponzio, A. (1980b) Introduzione, in V. N. Vološinov and M. Bakhtin, *Il linguaggio come pratica sociale* essays 1926-30, collected and ed. A. Ponzio, Bari: Dedalo, pp. 5-17.

Ponzio, A. (1981a) «Das Problem der Bezeichnung bei Morris und in der zeitgenössis-chen Semiotik», A. Eschbach ed., *Zeichen überZeinchenüber Zeichen*, Tübingen: Günter Narr, 1981, pp. 162-172.

Ponzio, A. (1981b) «Polisemia e traduzione», in A. Ponzio, *Segni e contraddizioni*. *Fra Marx e Bachtin*, Bertani, Verona, pp. 15-42.

Ponzio, A. (1985) «The symbol, alterity, and abduction», *Semiotica* 56, 3/ 4: 261-277.

Ponzio, A. (1986) «On the signs of Rossi-Landi's work», *Semiotica* 62-3/4: 207-221.

Ponzio, A. (1989) *Rossi-Landi e la filisofia del linguaggio*, Bari: Adriatica.

Ponzio, A. (1990a) *Man as a Sign*, trans., ed., intro. and Appendices S. Petrilli, Berlin and New York: Mouton de Gruyter.

Ponzio, A. (1990b) «Signs to talk about signs», in A. Ponzio *Man as a sign*, Berlin and New York: Mouton de Gruyter, pp. 16-74.

Ponzio, A. (1990c) «Meaning and referent in Peter of Spain», in A. Ponzio, *Man as a sign*, Berlin and New York: Mouton de Gruyter, pp. 77-93.

Ponzio, A. (1990d) «Significs and semiotics. Victoria Welby and Giovanni Vailati», in A. Ponzio, *Man as a Sign*, ed. S. Petrilli, Berlin: Mouton de Gruyter.

Ponzio, A. (1990e) «Theory of meaning and theory of knowledge: Vailati and Welby» , in W. H. Schmitz ed., *Essays on Significs*, Amsterdam: John Benjamins, pp. 165-178.

Ponzio, A. (1992a) *Tra semiotica e letteratura. Introduzione a Michail Bachtin*, Milano: Bompiani.

Ponzio, A. (1992b) «Intervista a Julia Kristeva» , in J. Kristeva, *Il linguaggio, questo sconosciuto*, Bari, Adriatica, pp. 9-27.

Ponzio, A. (1993) *Signs, Dialogue and Ideology*, Amsterdam: John Benjamins.

Ponzio, A. (1994) *Scrittura, dialogo, alterità tra Bachtin e Lévinas*, Florence: La Nuova Italia.

Ponzio,A. (1995a)*I segni dell'altro. Eccedenza letteraria e prossimità*, Naples: Edizioni Scientifiche Italiane.

Ponzio, A. (1995b) «Nel segno di Barthes», in A. Ponzio *I segni dell'altro*, Naples: Edizioni Scientifiche Italiene, pp. 76-86.

Ponzio, A. (1996) *Sujet et altérité. Sur Lévinas*, Paris: L'Harmattan.

Ponzio, A. (1997a) «Treating and mistreating semiotics:Eco's treatise on semiotics», *S-European Journal for Semiotic Studies* 9 (3, 4): 641-660.

Ponzio, A. (1997b) *Metodologia della formazione linguistica*, Bari: Latera.

Ponzio, A. (1998a) *La revolución Bajtiniana. El pensamiento de Bajtín Y la ideologia contemporánea*, Madrid: Ediciones Cátedra.

Ponzio, A. (1998b) «Bakhtin's semiotics as philosophy of language», *Semiotische Berichte* Jg. 22, 3, 4: 19-33.

Ponzio,A. (ed.) (1998c) *Lévinas vivant. Riflessioni sul pensiero di Emmanuel Lévinas*, Bari: Edizioni dal Sud.

Ponzio, A. and Petrilli, S. (1996) «Peirce and medieval Semiotics», in V. M. Colapietro and T. M. Olshewsky (eds) *Peirce's Doctrine of Signs: Theory, Applications, and Connections*, Berlin and New York: Mouton de Gruyter, pp. 351-364.

Ponzio, A. and Petrilli, S. (1998) *Signs of Research on Signs, Semiotische Berichte*, mit Linguistik Interdisziplinär, Jg. 22, 3, 4/1998.

Ponzio, A. and Petrilli, S. (1999) *Fuori campo. Il segni del corpo tra rappresentazione ed eccedenza*, Milan: Mimesis.

Ponzio, A. and Petrilli, S. (2000) *Il sentire della comunicazione globalizzata*, Rome: Meltelmi.

Ponzio, A, et al. (1985) *Per parlare dei segni/ Talking about Signs*, trans. S. Petrilli, Bari: Adriatica.

Ponzio, A. et al. (1999) *Fondamenti di filosofia del linguaggio*, Bari: Laterza.

Postal, P. (1968) *Aspects of Phonological Theory*, New York: Harper and Row.

Potter, J. (1996) *Representing Reality: Discourse, Rhetoric and Social Construction*, London: Sage.

Potter, J. and Wetherell, M. (1987) *Discourse and Social Psychology: Beyond Attitudes and Behaviour*, London: Sage.

Prince, A. and Smolensky, P. (1993) *Optimality Theory: Constraint Interaction in GenerativeGrammar*, Piscataway, NJ: Rutgers University Center for Cognitive Science.

Prodi, G. (1988) «La biologia come semiotica naturale [biology as nature semiotics]», in M. Herzfeld and L. Melazzo, (eds) *Semiotic Theory and Practice*, Vol. II, Berlin: Mouton de Gruyter, pp. 929-251.

Pullum, G. (1991) *The Great Eskimo Vocabulary Hoax*, Chicago: University of Chicago Press.

Pulvermüller, F. (1999) «Words in the brain's language», *Behavioral and Brain Sciences* 22: 253-279.

Pustejovsky, J. (1995) *The Generative Lexicon*, Cambridge, MA: MIT Press.

Putnam, H. (1987) *The Many Faces of Realism*, LaSalle, IL: Open Court.

Quaranta, M. (ed.) (1989) *Giovanni Vailati e la culture del 1900*, Bologna: Arnaldo Forni.

Quintilian, M. F. (1924) *The Institutio Oratoria of Quintilian with an English Translatio*n, trans. H. E. Butler. London: W. Heinemann.

Recherches structurales1949. Interventions dans le débat glossématique. Publiées à l'occasion di cinquantenaire de M. Louis Hjelmslev, Copenhagen: Nordisk Sprog-og Kulturforlag.

Réthoré, J. (ed.) (1993) *Variations sur l'objet*, special issue of *European Journal for Semiotic Studies* 5 (1/2).

Robertson, G. et al. (eds) (1996) *FutureNatural: Science, Nature, Culture*, London: Routledge.

Robins, R. H. and Uhlenbeck, E. M. (eds) (1991) *Endangered Languages*, Providence: Berg.

Romeo, L. (1977) «The derivation of «semiotics» through the history of the discipline», *Semiosis* 6 (2): 37-49.

Rossi-Landi, F. (1953) *Morris e la semiotica novecentesca*, Milan: Feltrinelli 1975.

Rossi-Landi, F.(1961) *Significato, communicazione e parlarecomune*, Venice: Marsilio, 1998.

Rossi-Landi, F. (1968) *Il linguaggio come lavoro e come mercato*, Milan: Bompiani, 1992. Trans. M. Adams et al. *Language as Work and Trade*, South Hadley, MA: Bergin and Garvey, 1983.

Rossi-Landi, F. (1972) *Semiotica e ideologia*, Milan: Bompiani, 1994.

Rossi-Landi, F. (1973) *Ideologies of Linguistic Relativity*, The Hague: Mouton.

Rossi-Landi, F. (1975) *Linguitics and Economics*, The Hague: Mouton, 1977.

Rossi-Landi, F. (1978) *Ideologia*, Milan: Mondadori, 1982; trans. R. Griffin, *Marxism and Ideology*, Oxford: Clarendon, 1990.

Rossi-Landi, F. (1985) *Metodica filosofica e scienza dei segni*, Milan: Bompiani.

Rossi-Landi, F. (1992a) *Between Signs and Non-signs*, intro.and ed. S. Petrilli, Amsterdam: John Benjamins.

Rossi-Landi, F. (1992b) «Signs and material reality», in F. Rossi-Landi *Between Signs and Non-signs*. Amsterdam: John Benjamins, pp. 271-299.

Rossi-Landi, F. (1992c) *Semiotica*. *Social Practice*. *Semiotics and the Sciences of Man*: *The Correspondence between Charles Morris and Ferruccio Rossi-Landi*, ed. andintro. S. Petrilli, *Semiotica*, 1/2.

Ruesch, J. and Kees, W. (1956) *Nonverbal Communication: Notes on the Visual Perception of Human Relations*, Berkeley, CA: University of California Press.

Russell, B. (1948) *Human Knowledge: Its Scope and Limits*, London:

Allen and Unwin.

Russell, L. J. (1939) «Note on the Term ∑HMIΩTIKH [sic] in Locke», *Mind* 48, 405-406.

Saatkamp, H. J., Jr. (ed.) (1995) *Rorty and Pragmatism*, Nashville: Vanderbilt University Press.

Sacks, H., Schegloff, E. and Jefferson, G. (1974) «A simplest systematics for the organization ofturn-taking for conversation», *Language* 50: 696-735.

Sacks, O. (1984) *Seeing Voices*, London: Picador.

Said, E. (1995) *Orientalism: Western Conceptions of the Orient*, Harmondsworth: Penguin.

Salkie, R. (1990) *The Chomsky Update: Linguistics and Politics*, London: Unwin Hyman.

Sapir, E. (1916) «Time perspective in Aboriginal American culture: a study in method», in D. G. Mandelbaum (ed.) *Selected Writings of Edwards Sapir in Language Culture and Personality*, Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1962.

Sarangi, S. and Slembrouck, S. (1996) *Language, Bureaucracy, and Social Control*, London: Longman.

Saussure, F. de (1916) *Cours de linguistique générale*, (ed.) C. Bally and A. Sechehaye, Paris: Payot.

Saussure, F. de ([1916] 1974) *Course in General Linguistics*, trans. W. Baskin, London: Peter Owen.

Saussure, F. de (1983) *Course in General Linguistics*, trans. R. Harris, London: Duckworth.

Savage-Rumbaugh, S. et al. (1998) *Apes, Language, and the Human Mind*, Oxford: Oxford University Press.

Savan, D. (1987-88) *An Introduction to C. S. Peirce's Full System of Semeiotic*, Toronto: Victoria College.

Scannell, P. (1991) *Broadcast Talk*, London: Sage.

Schaff, A. (1962) *Introduction to Semantics*, Oxford: Pergamon Press.

Scaff, A. (1973) *Language and Cognition*, New York: McGraw-Hill.

Scaff, A. (1975) *Humanismus: Sprachphilosophie- Erkenntnistheorie des Marxismus*, Vienna: Europe Verlag.

Scaff, A. (1978) *Structuralism and Marxism*, Oxford: Pergamon

Press.

Schegloff, E. A. and Sacks, H. (1999) «Opening up closings», in A. Jworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 263-274.

Schieffelin, B. B. et al. (eds) (1998) *Language Ideologies: Practice and Theory*, Oxford: Oxford University Press.

Schiffrin, D. (1987) *Discourse Markers*, Cambridge: Cambridge University Press.

Schiller, F. C. S. (1907) *Studies in Humanism,* London and New York: Macmillan.

Schmitz. W. H. (1985) «Victoria Lady Welby's Significs: The origin of the Significmovement», in V. Welby *Significs and Language*, Amsterdam, John Benjamins, pp. ix-cclxvii.

Schmitz, W. H. (ed.) (1990a) Essays on Significs. Papers Presented on the Occasion of the 150th Anniversary of the Birth of Victoria Lady Welby, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Schmitz, W. H. (1990b) «The Significmovement in the Netherlands», in W. H. Schmitz (ed.) *Essays on Significs*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins, pp. 219-272.

Schrøder, K. C. (1994) «Media language and communication», in- *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, vol. 5, Oxford: Pergamon Press.

Searle, J. (1980) 'Minds, brains, and programs', *Behavioral and Brain Sciences* 3: 417-58.

Searle , J. R. (1975) «Speech acts: An Essay in the Philosophy of Language», Cambridge: Cambridge University Press.

Searle , J. R. (1975) «Indirect speech acts», in P. Cole and J. L. Morgan (eds) Syntax *and Semantics 3: Speech Acts*, New York: Academic Press, pp. 59-82.

Searle, J. R. (1976) «A classification of illocutionary acts», *Language in Society* 5: 1-23.

Searle, J. R. (1978) «Literal Meaning», *Erkenntnis* 13: 207-224.

Searle, J. R. (1989) «How performatives work», *Lingistics and Philosophy* 12: 535-58.

Sebeok, T. A. (1971) '«Semiotic»' and its congeners', as reprinted in J.

Deely et al. (eds) *Frontiers in Semiotics*, Bloomington: Indiana University Press, 1986, pp. 255-263.

Sebeok, T. A. (1976a) *Contributions to the Doctrine of Signs*, Bloomington: IndianaUniversity Press.

Sebeok, T. A. (1976b) «Iconicity», *Modern Language Notes*, 91, pp. 1427-1456.

Sebeok, T. A. (ed.) (1997) *A Perfusion of Signs*, Bloomington: Indiana University Press.

Sebeok, T. A. (1979) *The Sign and Its Masters*, London: University of Texas Press.

Sebeok, T. A. (1981) *The Play of Musement*, Bloomington: Indiana University Press.

Sebeok, T. A. (1986a) «The problem of the origin of language in an evolutionary frame», *Language Sciences* 8 (2): 168-174.

Sebeok, T. A. (1986b) *I Think I am a verb*, New York and London: Plenum Press.

Sebeok, T. A. (1989) *The Sign and its Masters*, 2nd edn, Lanham, MD: University Press of America.

Sebeok, T. A. (1990) Essays in Zoosemiotics, ed. M. Danesi, Toronto: Toronto Semiotic Circle.

Sebeok, T. A. (1991a) «In what sense is language a «primary modeling system»?', in *A Sign is Just a Sign*, Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press.

Sebeok, T. A. (1991b) *A Sign is Just a Sign*, Bloomington:Indiana University Press.

Sebeok, T. A. (1991c) *Semiotics in the United States*, Bloomington: Indiana University Press.

Sebeok, T. A. (1991d) *American Signatures: Semiotic Inquiryand Method*, ed. I. Smith, Norman and London: University of Oklahoma Press.

Sebeok, T. A. (1994) *Signs: An Introduction to Semiotics*, Toronto: University of Toronto Press.

Sebeok, T. A. (1996a) «Galen in medical semiotics», *Interdisciplinary Journal for Germanic Linguistics and Semiotic Analysis* 1: 89-111.

Sebeok, T. A. (1996b) «Signs, bridges, origins», in J. Trabant (ed.) The Origins of Language, Budapest: Collegium Budapest Institute for Ad-

vanced Study.

Sebeok, T. A. (1997) «The evolution of semiosis», in R. Posner and T. A. Sebeok (eds) *Semiotics: A Handbook on Sign-Theoretic Foundations of Nature and Culture*, Vol. 1, Berlin: Walter de Gruyter, pp. 436-446.

Sebeok, T. A. (1998a) *A Sign is Just a Sign and La semiotica globale* [Global Semiotics], Milan: Spirali.

Sebeok, T. A. (1998b) *Come communicano gli animali che nonparelano [How Speechless Creatures Communicate*], Modugno: Edizioni dal Sud.

Sebeok, T. A. and Umiker-Sebeok, J. (eds) (1991) *Biosemiotics*, Berlin: Mouton de Gruyter.

Seigel, J. P. (1969) «The Enlightenment and the evolution of a language of signs in France and England», *Journal for the History of Ideas* 30: 96-115.

Semiotics in the Biosphere: Reviews and a Rejoinder (1998), *Semiotica* 120 (3/4). [Special issue].

Shear, J. (ed.) (1998) *Explaining Consciousness: The Hard Problem*, Cambridge, MA: MIT Press.

Sheriff, J. K. (1989) *The Fate of Meaning: Charles Peirce, Structuralism, and Literature*, Princeton, NJ: Princeton University Press.

Sheriff, J. K. (1994) *Charles Peirce's Guess at the Riddle*, Bloomington: Indiana University Press.

Short, T. L. (1998) «What's the use?», *Semiotica* 122, 1/2: 1-68.

Shotter, J. (1993) *Conversational Realities*, London: Sage.

Shotter, J. and Gergen, K. J. (eds) (1989) *Texts of Identity*, London: Sage.

Shukman, A. (1987) «Semiotic Aspects of the Work of Jurij Michailoviè Lotman», in *The Semiotic Web 1987*, Berlin: Mouton de Gruyter.

Silver, I. (1993) «Marketing authenticity in Third World countries», *Annals of Tourism Research* 20: 302-18.

Silverman, K. (1983) *The Subject of Semiotics*, Oxford: OxfordUniversity Press.

Silverstein, M. (1993) «Metapragmatic discourse and metapragmatic function», in J. A. Lucy (ed.) *Reflexive Language*, Cambridge: Cambridge University Press, pp. 33-58.

Sinclair, J. (1991) *Corpus, Concordance, Collocation*, Oxford: Oxford University Press.

Sinclair, J. M. and Coulthard, M. (1976) *Towards an Analysis ofDiscourse: The English Used by Teachers and Pupils*, London: Oxford University Press.

Skinner, B. F. (1957) *Verbal Behavior*, New York: Appleton-Century-Crofts.

Snow, C. P. (1993) *The Two Cultures*, Cambridge: Cambridge University Press.

Sonea, S. (1990) «Bacterial communication», in T. A. Sebeokand J. Umiker-Sebeok (eds) *The Semiotic Web*, Berlin: Mouton de Gruyter, pp. 639-662.

Sonea, S. and Panisset, M. (1983) *A New Bacteriology*, Boston: Jones and Bartlett.

Spang-Hanssen, H. (1954) *Recent Theories on the Nature of the Language Sign*, Copenhagen: Nordisk Sprog-og Kulturforlag.

Spence, N. C. W. (1957) «A hardy perennial: the problem of *langue and parole*», *Archivum Linguisticum*, 9.

Sperber, D. and Wilson, D. (1986) *Relevance: Communication and Cognition*, Oxford: Blackwell.

Sperber, D. and Wilson, D. (1995) *Relevance:Communication and Cognition*, 2nd edn, Oxford: Basil Blackwell.

Stocking, G. W., Jr. (1966) «Franz Boas and the culture concept in historical perspective», *American Anthropologist* 68: 867-82.

Stocking, G. W., Jr. (ed.) (1996) Volksgeist *as Method and Ethic: Essays on Boasian Ethnography and the GermanAnthropological Tradition*, History of Anthropology, vol. 8, Madison, WI: Universityof Wisconsin Press.

Stockwell, R. P. (1977) Motivations for exbraciation in Old English», in C. N. Li (ed.) Mechanisms of Syntactic Change, Austin, TX: University of Texas Press.

Stokoe, W. C. et al. (1965, rev. 1976) *A Dictionary of American Sign Language on Linguistic Principles*, 2nd edn, Silver Spring: Linstok Press.

Stubbs, M. (1983) *Discourse Analysis*, Oxford: Blackwell.

Sturrock, J. (1991) «Inside the Semiosphere», *TLS*, 3 May.

Swales, J. M. and Rogers, P. S. (1995) «Discourse and the projection of corporate culture: the Mission Statement», *Discourse and Society*, 6 (2).

Swift, J. (1996) 'A proposal for correcting, improving and ascertaining the English Tongue» (1712), in W. F. Bolton (ed.) *The English Language: Essays by English and American Men of Letters 1490-1839*, Cambridge: Cambridge University Press.

Tannen, D. (1999) «New YorkJewish conversational style», in A. Jaworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 459-473.

Tarski, A. (1956) «The concept of truth in formalized languages», in A. Tarski, *Logic*, Semantics and Metamathematics, London: Oxford University Press, pp. 152-197.

Tasca, N. (ed.) (1995) *Essays in Honour of Thomas A. Sebeok, Cruzerio Sémiotico*, pp. 22-25.

Terras, V. (1985) «Lotman», in V. Terras (ed.) *Handbook of Russian-Literature*, New Haven, CT and London: Yale University Press.

Thompson, J. B. (1991) «Editor's introduction», in P. Bourdieu, *Language and Symbolic Power*, Cambridge: Polity Press, pp. 1-31.

Todorov, T. (ed.) (1965) *Théorie de la littérature*, Paris: Seuil.

Todorov, T. (1981) *Le principe dialogique*, *Mikhail Bakhtine*, Paris: Editions du Seuil.

Toman, J. (1995) *The Magic of a Common Language: Jakobson, Mathesius, Trubetzkoy, and the Prague Linguistic Circle*, Cambridge, MA: The MIT Press.

Tomasello, M. (1999) *The Cultural Origins of Human Cognition*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Tomlin, R. S. (1986) *Basic Word Order: Functional Principles*, London: Croom Helm.

Tracy, K. and Coupland, N. (1990) «Multiple goals in discourse: an overview of issues», in K. Tracy and N. Coupland (eds) *Multiple Goals in Discourse*, Clevedon: Multilingual Matters, pp. 1-13.

Trudgill, P. and Hannah, J. (1982) *International English*, London: Arnold.

Turkle, S. (1995) *Life on the Screen: Identity in the Age of the Internet*, New York: Simon and Schuster.

Turner, G. (1990) *British Cultural Studies*, London: Unwin Hyman.

Turner, R. (1974) *Ethnomethodology*, Harmondsworth: Penguin.

Tylor, E. (1865) *Researches into the Early History of Mankind*, London: John Murray.

Uexküll, G. von (1964) *Jakob von Uexküll, seine Welt und seine Umwelt: Eine Biographie*, Hamburg: Christian Wegner Verlag.

Uexküll, J. von (1909) *Umwelt und Innenwelt der Tiere*, Berlin: Verlag von Julius Springer.

Uexküll, J. von (1940) *Bedeutungslehre*, Leipzig: VerlagvonJ. A. Barth.

Uexküll,J. von. ([1920, 1928] 1973) *Theoretische Biologie* [*Theoretical Biology*], Frankfurt: Suhrkamp.

Uexküll, J. von (1980) *Kompositionslehre der Natur: Biologie als undogmatische Naturwissenschaft. Ausgewählte Schriften*, T. von Uexküll, ed., Frankfurt am Main: Verlag Ullstein GmbH.

Uexküll, J. von (1982) «The theory of meaning», *Semiotica* 42 (1): 25-82.

Uexküll, J. von (1992) «A stroll though the worlds of animalsand men: a picture book of invisible worlds», *Semiotica* 89 (4): 319-391.

Uexküll, J. von, and Kriszat, G. (1934) *Streifzüge durch die Umwelten von Tieren und Menschen: Ein Bilderbuch unsichtbarer Welten*, Berlin: J. Springer.

Uexküll, T. von. (1987) «The sign-theory of Jakob von Uexküll», Krampen et al. (eds) *Classics of Semiotics*, London: Plenum Press, pp. 147-179.

Uexküll, T. von. (1997) «Biosemiose» [‘Biosemiosis’], in R. Posner and T. A. Sebeok (eds) *Semiotics: A Handbook on Sign- Theoretic Foundations of Nature and Culture*, vol. 1, Berlin: Walter de Gruyter, pp. 447-457.

Uexküll, T. von et al. (1993) «Endosemiosis», *Semiotica* 96: 5-51.

Uldall, H. J. (1994) «Speech and writing», *Acta Linguistica* 4: 11-17.

Uldall, H. J. (1957) *Outline of Glossematics*, Copenhagen: Nordisk Sprog-og Kulturforlag.

Vachek, J. (ed.) (1964) *A Prague School Reader in Linguistics*, Bloomington: Indiana University Press.

Vailati, G. (1971) *Epistolario*, Turin: Einaudi.

Vailati, G. (1972) *Scritti filosofici*, ed. G. Lanaro, Florence: La Nuova Italia.

Vailati, G. (1987) *Scritti*, ed. M. Quaranta, Bologne: Arnaldo Forni.

Vailati, G. (2000) *Il metodo della filosofia: Saggi di critica del linguaggio*, ed. A. Ponzio, Bari: Graphis.

Van Dijk, T. A. (ed.) (1985) *Handbook of Discourse Analysis*, London: Academic.

Van Dijk, T. A. (1992) «Discourse and the denial of racism», *Discourse and Society* 3 (1): 87-118.

Van Dijk, T. A. (1993a) *Elite Discourse and Racism*, London: Sage.

Van Dijk, T. A. (ed.) (1993b) *Discourse and Society* 4 (2) (special issue on Critical Discourse Analysis).

Van Dijk, T. A. (1998) *Ideology*, London: Sage.

Van Leeuwen, T. (1993) «Genre and field in critical discourse Analysis», *Discourse and Society* 4 (2): 193-225.

Vargha-Khadem, F. et al. (1995) «Praxic and nonverbal cognitive deficits in a large family with a genetically transmitted speech and language disorder», *Proceedings of the National Academy of Sciences* 92: 930-9333.

Verschueren, J. (1999) *Understanding Pragmatics*, London: Edward Arnold; New York: Oxford University Press.

Vološinov, V. N. (1926) «Discourse in life and discourse in art (Concerning Sociological Poetics)», trans. in V. N. Vološinov, *Freudianism*: *A Critical Sketch*, trans. I. R. Titunik, ed. I. R. Titunik with N. H. Bruss, Indianapolis: Indiana University Press, 1987, pp. 93-116; and as «Discourse in life and discourse in poetry: questions of sociological poetics», trans. J. Richmond, in *Bakhtin School Papers*, ed. A. Shukman, RPT Publications in association with Dept. of Lit., University of Essex: Colchester 1988, pp. 5-30.

Vološinov, V. N. ([1927] 1987) *Freudianism: A Critical Sketch*, trans. I. R. Titunik, ed. I. R. Titunik with N. H. Bruss, Indianapolis: Indiana University Press.

Vološino, V. N. (1929] 1973) *Marxism and the Philosophy of Language*, trans. L. Matejka andI. R. Titunik, Cambridge, MA: Harvard University Press, 1976.

Volterra, V. and Iverson, J. (1996) «When do modality factors affect the course of language acquisition’, in K. Emmorey and J. S. Reilly (eds)

Language, *Gesture and Space*, 371-390.

Vygotsky, L. (1978) *Mind in Society*: *The Development of Higher Psychological Processes*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Warnock, G. J. (1953) *Berkeley*, London: Penguin Books.

Watson, J. B. (1913) «Psychology as the behaviorist views it», *Psychological Review* 20: 158-177.

Waugh, L. and Monville-Burston, M. (1990) «Introduction», in R. Jakobson *On Language*, Cambridge, MA: Harvard University Press.

Welby, V. (1852) *A Young Traveller's Journal of a Tour in North and South America during the Year 1850*, London:T. Bosworth.

Welby, V. (1881) *Links and Clues*, London: Macmillan and Co, 1883.

Welby, V. (1891) *Witnesses to Ambiguity: A Collection*, Grantham: W. Clarke (LateL. Ridge).

Welby, V. (1892) *The Use of 'Inner' and 'Outer' in Psychology: Does the Metaphor Help or Hinder? A Small Collection of Extracts Bearing upon this Question Respectfully Submitted to the International Congress of Experimental Psychology*, August 1892, Grantham: W. Clarke (Late L. Ridge).

Welby, V. (1893) *A Selection of Passages from 'Mind' (Jan. 1876, to July 1892), 'Nature' (1870 and 1888 to 1892), 'Natural Science' (1892), Bearing on Changes and Defects in the Significance of Terms and in the Theory and Practice of Logic*, Grantham: W. Clarke (Late L. Ridge).

Welby, V. (1897) *Grains of Sense*, London: J. M. Dent.

Welby, V. (1898) *The Witness of Science to Linguistic Anarchy, a Collection of Extracts, chiefly from Nature, Science and Natural Science*, Grantham: e.

Welby, V. (1902) «Translation», in J. M. Baldwin (ed.) *Dictionary of Philosophy and Psychology in Three Volumes*, 1901-1905, New York and London: Macmillan, vol. 2, p. 712.

Welby, V. (1929) *Echoes of Larger Life: A Selection from the Early Correspondence of Victoria Lady Welby*, Mrs Henry Cust ed., London: Jonathan Cape.

Welby, V. (1931) *Other Dimensions: A Selection from the Later Correspondence of Victoria Lady Welby*, Mrs Henry Cust ed., introd. L. P. Jacks. London: Jonathan Cape.

Welby, V. (1977) «Significs» (1911), in *The Encyclopedia Britannica*, 11th edn, vol. XXV, pp. 78-81, Cambridge: Cambridge University Press; now in C. Hardwick, *Semiotic and Significs: The Correspondence Between Charles S. Peirce and Victoria Lady Welby*, Bloomingtonand London: IndianaUniversity Press, 1977, pp. 167-75.

Welby, V. (1983) *What is Meaning?* (1903), A. Eschbach (ed. And pref., ix-xxxii), G. Mannoury (intro., pp. xxxiv-xlii, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Welby, V. (1985a) *Significs and Language:*(*The articulate from of our expressive and interpretative resources*) (1911), with additional essays, W. H. Schmtiz (ed. And intro.), Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Welby, V. (1985b) «Meaning and metaphor» (1893), *The Monist*3(4): 510-25. Now in V. Welby, *Significs and Language*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Welby, V. (1985c) «Sense, Meaning and Interpretation»(1896),*Mind* 5 (17): 24-37. 5(18): 186-202. Now in V. Welby, *Significs and Language*, Amsterdam and Philadelphia: John Benjamins.

Welby, V. (1986) *Significato, metafora, interpretazione*, intro. trans. and ed. S. Petrilli, Bari: Adriatica.

Welby, V. and Tönnies, F. (1901) «Notes on the «Welby Prize Essay», *Mind* 10 (38):188-209.

Welby, V. et al. (1902) «Signific», in J. M. Baldwin (ed.) *Dictionary of Philosophy and Psychology in three Volumes, 1901-1905,* New York and London: Macmillan, vol. 2, p. 529.

Wells, G. A. (1987) *The Origin of Language: Aspects of the Discussion from Condillac to Wundt*, La Salle, ILL: Open Court Publishing Co.

Whorf, B. L. (1997) «The relation of habitual thought and behavior to language», in N. Coupland and A. Jaworski (eds) *Sociolinguistics: A Reader and Coursebook*, London: Macmillan, pp. 443-463.

Williams, V. J. Jr. (1996) *Rethinking Race: Franz Boas and his Contemporaries*, Lexington, MA: University Press of Kentucky.

Wilson, F. R. (1998) *The Hand: How its Use Shapes the Brain, Language, and Human Culture*, New York: Pantheon.

Wittgenstein, L. (1922) *Tractatus Logico-Philosophicus*, trans. D. F. Pears and B. F. Guinness, introd. B. Russell, London: Routledge and Kegan Paul.

Wittgenstein, L. (1953) *Philosophical Investigations*, Oxford: Blackwell.

Woodward, K. (ed.) (1997) *Identity and Difference*, London and Thousand Oaks, CA: Sage/ Open University.

Woolhouse, R. S. (1988) *The Empiricists* (A History of Western Philosophy, vol. 5), Oxford: Oxford University Press.

Young, K. (1999) «Narrative embodiments: enclaves of the self in the realm of medicine», in A. Jaworski and N. Coupland (eds) *The Discourse Reader*, London: Routledge, pp. 428-441.

Zimmerman, D. H. and West, C. (1975) «Sex roles, interruptions and Silences in conversation», in B. Thorne and N. Henley (eds) *Language and Sex: Difference and Dominance*, Rowley, MA: Newbury House, pp. 105-129.

الفهرس